

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد التاسع عشر

أَهْلُ الْبَيْتِ عليهم السلام

ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ / كانون الثاني ٢٠١٦

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليهم السلام

الإشراف العام: أ.د. صادق عبدالمطلب الموسوي

رئيس التحرير: أ.د. لبنان هاتف الشامي

مدير التحرير: أ.م.د. باقر جواد الزجاجي

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. عباس حسين جواد الحميري

أ.د. عزيز جبر شـيال

أ.د. ماجد حمزة طعمة الدفاعي

أ.د. حسن حنتوش رشيد

أ.م.د. منصور مذكور شـلش

أ.م.د. عباس صادق سعيد الوهاب

أ.م.د. قيس عبد الحسين الياسري

كربلاء، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليهم السلام

ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧٩

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486, Tel: 351257-9

info@abu.edu.iq ، www.abu.edu.iq

الهيئة الإستشارية

الأستاذ الدكتور

حسن عبدالهادي الجبلي
الجامعة الإسلامية / بيروت

الأستاذ الدكتور

عبود جودي الحلي
جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

زكريا مطلق الراوي
جامعة الإسراء / الأردن

الأستاذ الدكتور

مؤيد عبدالحسين خليل الفضل
جامعة الكوفة

الأستاذ الدكتور

انتظار الشمري
الجامعة المستنصرية

الأستاذ الدكتور

غازي فيصل مهدي
جامعة النهرين

الأستاذ الدكتور

كاوة محمد فرج
جامعة السلیمانية

الأستاذ الدكتور

حكمت عبدالرزاق علي الدباغ
جامعة أهل البيت عليه السلام

الأستاذ الدكتور

أكرم محسن الياسري
جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

عبدالجبار محمود
جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور

صادق ياسين محمد الحلو
جامعة أهل البيت عليه السلام

الأستاذ الدكتور

أحمد خليل الحسيني
جامعة بابل

الأستاذ الدكتور

علاء فرحان الدعيمي
جامعة كربلاء

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥

ISSN 1819-2033

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليه السلام بمساهمات الاساتذة والكتّاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والاجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجديد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

✓ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

✓ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

✓ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة

واحدة مع تعريف بالباحث.

✓ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقومين المتخصصين.

✓ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب

عدم النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء المقدسة، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليه السلام

ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧.٩

البريد الإلكتروني: info@abu.edu.iq

الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://abu.edu.iq/ahl-al-bayt-jurnal>

محتويات العدد

- الأبعاد السياسية والفكرية للمدرسة الأصولية بقيادة الوحيد البهبهاني ٨
الدكتور محسن القزويني
- اثر الهيكل التنظيمي في التعلم التنظيمي دراسة استطلاعية لآراء عدد من
العاملين في الشركة العامة للصناعات النسيجية / الحلة ١٧
أ.م.د. بشار عباس الحميري
أ.م.د. احمد كاظم بريس
- مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية
مقارنة مع الفقه الاسلامي) ٥٩
أ.م.د. حيدر حسين كاظم الشمري
- القداسة والتقديس عند محمد أركون ١٠٤
أ.م.د. سامي شهيد مشكور
م.م. جاسم علك شهاب خميس
- التلوث البيئي من منظور اسلامي (المواد الكيماوية) انموذجا ١٢٤
م. د ناهدة جليل الغالبي
م. د ضرغام كريم كاظم
- الزعامة الدينية للسيد الخوئي أسبابها آثارها ١٥١
م.د. محمد حسين عبود
- الطبيعة القانونية لحق حل البرلمان ١٦٦
م.د. علي سعد عمران القيسي

- ١٨٨ تمثلات المرايا في التكوينات الهندسية للروضة ألكاظميه
د. أثمار حميد كريم
- ٢٠٧ جذور حرية النشر والتعبير عن الرأي في صحافة بغداد ١٩٠٨- ١٩٣٢
د.علي شمخي جبر
- ٢٢٦ نظرة تحليلية على قصيدة "لامية الكرد" لعبد الحميد العرفان السندي
د. عدنان طهماسبي
د. حسام الدين خاكيور
- معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشحات العاملين في
مجالات الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي
م.د. عبد عون عبود جعفر المسعودي
- ٢٦٦ علويوا الاناضول (تاريخهم و عقائدهم).....
د. مهدي جمالي فر
د. مهري ادريسي
- ٢٩٠ أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي
م. د ضياء عزيز محمد الموسوي
م.م تحسين علي حسين الشاهر
- التوازن القانوني للأجرة في العلاقة الأيجارية (دراسة مقارنة بين القانون
المدني وقانون أيجار العقار).....
م.م.محمد عبد الرزاق محمد الشوك
- أثر استعمال النصوص الادبية الاثرائية في تحصيل طلاب الصف الرابع
العلمي في مادة قواعد اللغة العربية
د.كريم خضير فارس المسعودي
- ٣٨٠ أبي الصلت الهروي صاحب الامام الرضا (عليه السلام)
م.م علاوي مزهر مزعل المسعودي
- ٤٠١ بناء القصيدة العربية بين الاشتراط والتوصيف
د.علي حسين يوسف
- ٤١٦ دور الشركات الكبرى في صنع القرار السياسي الامريكي
م.م. مؤيد جبار حسن صالح

- ٤٣٨.....سمات السينما الشعاعية عند المخرج (أندريه تاركوفسكي)
د.علاء مشذوب عبود
- ٤٦٥٠٠.....مقابر قريش ملامح من تاريخها وتسمياتها حتى نهاية الدولة العباسية
م.م أنغام عادل جواد
م.م. حسين هليب نجم
- ٤٨٥.....الطبيعة القانونية لعقد الفندق (دراسة تحليلية مقارنة)
م.م. عباس سلمان
- ٥٢٧.....طريقة الوحدات في تدريس المواد الاجتماعية (دراسة تحليلية)
م.م. داخل محمد علوان العيساوي
- ٥٥٣.....مشروع الشرق الاوسط الكبير (قراءة في الفكر السياسي الاميركي المعاصر)
م.م. ميثاق مناحي دشر

كلمة هيئة التحرير

الأبعاد السياسية والفكرية للمدرسة الأصولية بقيادة الوحيد البهبهاني

The Political and Intellectual Aspects of Al-Bahbahani School of Principles

Dr. Mohsen Baqer Al Qazwini

الدكتور محسن باقر القزويني

الخلاصة بالعربية:

شهد العالم الاسلامي في منتصف القرن الثاني عشر الهجري تطوراً نوعياً بظهور الوحيد البهبهاني في مدينة كربلاء المقدسة بالعراق حيث استطاع بنهجه التغييرية أن يسدل الستار على جمود استمر عدة عقود في الفقه الامامي وأن يعيد للفقيه مكانته الطبيعية في المجتمع عندما فرض الاجتهاد كحقيقة مسلمة في الفقه فظهر المجتهدون الذين مارسوا أدوارهم التاريخية ووضعا منهجاً جديداً في أصول الفقه وقادوا مسيرة التغيير في كل من إيران والعراق فكانت حركة التنبك وثورة الدستور في إيران وثورة العشرين في العراق من ثمار ذلك التغيير الذي أحدثه الوحيد البهبهاني ومدرسته الأصولية .

البحث يتناول المدرسة الأصولية التي أوجدها الوحيد البهبهاني وتلاميذه وآثار هذه المدرسة على كل من إيران والعراق في المجال السياسي والفكري.

الخلاصة بالانكليزية:

The summary of the Research:

"The Political and Intellectual Aspects of Al-Bahbahani School of Principles"

Since the middle of the Hegra' twelfth century, the Islamic world has witnessed a considerable development with the emergence of Al –Waheed Al –Bahbabani in the holy city of Karbala in Iraq. Al-Bahbahani managed to

put and end to the decade – long block in the Imam's jurisprudence, and to restore the natural place of the jurisprudence in society. He managed to impose (Igtihad) as an accepted reality in jurisprudence.

As a result, a number of jurisprudence have emerged and played historical roles in establishing a new doctrine in the principles of jurisprudence, and leading the march of change in both Iraq and Iran.

The movement of (Tinbac) and (Al- Dustoor) revolution in Iran, and Al Ishreen revolution in Iraq were fruits of such march of change made by Al – Bahbahani and this school of principles.

The Research also deals with the school of principles made by Al – Waheed Al – Bahbahani and his students. He also deals with the impacts of this school on both Iraq and Iran particularly in the political and intellectual fields.

الأبعاد السياسية والفكرية للمدرسة الأصولية بقيادة الوحيد البهبهاني

تعود جذور النهضة الحديثة في كل من ايران والعراق إلى عهد الأغا باقر البهبهاني الذي ولد في اصفهان سنة ١١١٨ هجرية وقطن برهه في بيهان ثم انتقل إلى كربلاء في عهد رئاسة الشيخ يوسف البحراني [صاحب الحدائق]. وقد احدث الوحيد البهبهاني ثورة في منهج المجتهدين فأسدل الستار على خمسة قرون من الجمود، وأوجد نهضة فكرية كبرى اعاد فيها القرآن الكريم والعقل إلى ممارسة دورهما في الحياة الفقهية بعد اغفاءة دامت خمسة قرون.

الجمود الفكري في المؤسسة الفقهية:

اصيبت الحياة الفكرية بصدمة على يد الشيخ محمد أمين الاسترابادي [المتوفي سنة ١٠٣٦هـ] مؤلف كتاب الفوائد المدنية الذي أعلن فيه عن الاستغناء عن القواعد العقلية وارجع العقل الشيعي إلى الوراء لأكثر من خمسة قرون، عندما دعا إلى الأخذ بالكتب الحديثة الأربعة والاحتجاج بما دون تمحيص، فالفقه برأيه لا يحتاج إلى بحث إسناد الروايات الواردة في هذه الكتب، وصحة التمسك بما ورد فيها من الاحداث. كما وأنه نفى صحة الإجماع، ورفض الاحتجاج بالكتاب العزيز ما لم يأت فيه إيضاح من الحديث وحجته في ذلك الاحاديث الناهية عن تفسير القرآن بالرأي. يقول الشيخ الآصفي عن ذلك: "فقد توسعت هذه الحركة العلمية وشقت طريقها إلى الاوساط العلمية الشيعية وفرضت طريقته العقلية الفقهية الشيعية بفضل الجهود التي بذلها مؤسس هذه الطريقة الامين الاسترابادي (رحمه الله) وقد

اشغلت هذه المعارضة العلمية التي قادها الامين الاستريادي فقهاء الشيعة فترة من الزمن وادخلتهم في صراع لم يكن لهم به عهد من قبل. (١)

وسيطرة هذا الاتجاه الذي أخذ يحمل عنوان (الاجبارية) يُفسر لنا جهوداً وانحساراً كبيرين ساد المسار الفقهي الشيعي الذي ترك أثره على الحياة الفكرية والسياسية.

لكن مع وصول البهبهاني إلى كربلاء تغَيَّر كل شيء، إذ بدأ حواراً بناءً مع منظر الحركة الاجبارية وهو الشيخ يوسف البحراني حتى استطاع أن يقنعه بالعدول عن الاتجاه الاجباري إلى الاتجاه الوسط. يقول البحراني: "وقد كنت في أول الأمر ممن ينتصر لمذهب الاجباريين، وقد آثرت البحث فيه مع بعض المجتهدين من مشايخنا المعاصرين [الوحيد البهبهاني] إلا أن الذي ظهر لي بعد اعطاء التأمل حقه هو في المقام وأمعان النظر في كلام علمائنا الأعلام هو أغماض النظر عن هذا الباب وإرخاء الستر دونه والحجاب. (٢)"

وقد سجل التاريخ لنا أروع صور التحوار بين العلمين حيث ذكر الشيخ عباس القمي في الفوائد الرضوية عن صاحب التكملة عن الحاج كريم [فراش الحرم الحسيني] إنه كان يقوم بخدمة الحرم في شبابه، وذات ليلة التقى بالشيخ يوسف البحراني والوحيد البهبهاني داخل الحرم الشريف وهما واقفان يتحاوران حتى حان وقت إغلاق أبواب الحرم فانتقلا إلى الرواق المحيط بالحرم واستمرا في حوارهما واقفان، فلما أراد السدنة إغلاق أبواب الرواق انتقلا خارج الصحن من الباب الذي يفتح على القبلة واستمرا في حوارهما وهما واقفان فتركهما وذهب إلى بيته ونام، فلما حلَّ الفجر ورجع إلى الحرم صباح اليوم الثاني سمع صوت حوار الشيخين من بعيد، فلما اقترب منهما وجدتهما على نفس الهيئة التي تركهما عليها في الليلة الماضية مستمرين في الحوار والنقاش، فلما أذن المؤذن لصلاة الصبح رجع الشيخ يوسف إلى الحرم ليقوم الصلاة جماعة ورجع الوحيد البهبهاني إلى الصحن وافترش عباءته على طرف مدخل باب القبلة، واذن واقام وصلى الصبح (٣) فكانا ملتزمين باداب المحاورة رائدتهما في ذلك هو الحق، وقد عدل البحراني إلى الاتجاه الحق بعد أن اتضح له ذلك من خلال هذه المحاورة الطويلة.

ويذكر لنا المؤرخون عن تعالي شخصية المتحاورين أن صاحب الحدائق كان يوصي تلامذته بمحضور درس الوحيد البهبهاني على رغم ما بينهما من اختلاف.

شهادة المؤرخين:

رصد المؤرخون التطور المهم في تاريخ الشيعة الحديث بظهور الوحيد البهبهاني منهم الأب انستاس ماري الكرملي فقال "كان في القرن الثالث عشر للهجرة مدرستان للشيعة في كربلاء تتزاحمان، مدرسة الأخبارية ومدرسة الأصولية، وكان الرجحان لمدرسة الأخبارية حتى بعث الله ذلك المجدد الكبير والمصلح

١ - الأصفى: محمد مهدي، مجلة الفكر الإسلامي، السنة ١١، العدد ١، ص ٩٢.

٢ - الحدائق الناضرة: ١ / ٣٢.

٣ - القمي: الفوائد الرضوية ص ٨٥.

الشهير العلامة المعروف بالأغا باقر البهبهاني، نبغ ذلك العبقري في بهبهان وبعد أن برز فيها هاجر إلى كربلاء فنفتح من روحه الطاهرة في المدرسة الأصولية فزاحت المدرسة الأخبارية بل اخرجتها من كربلاء والنجف، وعلى يد العلامة تأسست المدرسة الأصولية الكبرى^(٤) وكل من كتب عن هذه المرحلة التاريخية شهد بمذه الشهادة.

لقد استطاع الوحيد البهبهاني ان يربي جيلاً من المجتهدين اصبحوا فيها اعمدة المدرسة الأصولية التي أرسى قواعدها في كتبه (الاجتهاد و الأخبار) و (صحة الاجماع) و(الفوائد الحائرية) و (الفوائد الجديدة). والتي اتسمت بالمتانة، وكانت مشحونة بالافكار الفقهية والاصولية وتمكن بالعلم أن يدحض نظرية الاخباريين وأن يعزل هذه الحركة عن الساحة الفكرية الشيعية فأعاد للعقل مجده وللقرآن دوره وللإجماع قيمته.

وانطلق تلاميذه يبحثون في ذلك الركام الذي تجمع منذ قرون وانطلقوا في البحث والاجتهاد وفتحوا أبواب كانت مغلقة بوجه المجتهدين، وقد انعكس ذلك في الحياة السياسية والفكرية والإجتماعية، وقد لا نجد علاقة مباشرة بين مجمل الأحداث السياسية التي وقعت في كل من إيران والعراق وهذه الثورة الفكرية التي فجرها الوحيد البهبهاني، لكن آثار هذه الثورة كانت من السعة بحيث أثرت في جميع مناحي الحياة الشيعية. إذ بدأ الاجتهاد بمذه الثورة الاصولية عهداً جديداً بعد جمود مديد، فأخذ العلماء يستنبطون أحكاماً لم تكن موجودة وأخذوا يبحثون في أمور كانت ممنوعة عليهم. وقد امتدت هذه الثورة بآثارها السياسية والفكرية والفقهية لأكثر من قرنين بل مازالت متواصلة إلى يومنا هذا ومن آثارها المحسوسة نذكر:

أولاً: البحث في نظرية الدولة:

كانت حركة الوحيد البهبهاني وسلسلة تلاميذه، وتلاميذ تلاميذه والذين يشكلون مدرسة مترابطة ومتكاملة هي في الواقع حركة علمية فقهية أصولية بحتة، لكنها انتهجت منهجاً جديداً للتفكير ورؤية جديدة للمجتهد وللمؤسسة المرجعية، فكان لا بد أن تنعكس هذه الحركة على الفكر السياسي وتكوين نظرية الدولة على ضوء الفقه الإمامي المعتقد بغيبة الإمام المعصوم، وقيام مراجع الدين بوظيفة الإمام بالنيابة عنه في حال غيابه، وأول إفراز لهذه الحركة في مجال الفكر السياسي كان على يد الشيخ ملا أحمد النراقي المتوفي في عام 1245هجرية والذي له الفضل الأكبر في بلورة نظرية ولاية الفقيه في كتابه (عوائد الأيام) عندما أضاف للفقيه إلى جانب سلطته الدينية سلطة ادارة الأمة، حيث منح للفقيه ما للإمام من ولاية اعتبارية.

يقول النراقي "كلما كان للنبي والإمام اللذان هم سلاطين الأنام وحصون الإسلام فيه الولاية وكان لهم للفقيه أيضاً إلا ما أخرجه الدليل من إجماع أو نفي أو غيرها"^(٥) وقد مهدت نظرية ولاية الفقيه

٤ - مجلة لغة العرب ج ٦ ص ٤ ص ٣٢٠.

٥ - النراقي: عوائد الأيام ص ١٨٨.

الطريق أمام الفقهاء للبحث في نظرية الدولة الإسلامية ومن ثم قيام أول تجربة للدولة الإسلامية القائمة على نظرية ولاية الفقيه على أيدي الإمام الخميني.

واستطاع الشيخ النراقي أن يستدل على رأيه بقواعد أصولية كانت محظورة في المرحلة التي سبقته وأتى بتسعة عشر دليلاً استدلل بها على ولاية الفقيه، وبعد أن شاعت هذه الفكرة بين أوساط العلماء أخذوا يتفرعون من خلالها إلى بقية اجزاء الفكر السياسي. فأخذ بها أكثر من سلك الخط الاصولي لوحيد البهبهاني منهم الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب جواهر الكلام وهو تلميذ السيد مهدي بحر العلوم والذي يعتبر من تلاميذ الوحيد البهبهاني. ولعل أهم وثيقة كتبت في الفكر السياسي الشيعي المعاصر هو ما أفرزته هذه المدرسة على يد الميرزا محمد حسين النائيني (١٢٧٧-١٣٥٥) أحد اعمدة علم الأصول في المرحلة المتأخرة. والنائيني يتصل بالوحيد البهبهاني عبر جمع من اساتذته هم على الترتيب: المجدد الشيرازي ← الشيخ الانصاري ← شريف العلماء ← السيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض) ← الوحيد البهبهاني. وقد كتب النائيني كتاباً مهماً سماه "تنبيه الأمة وتنزيه الملة" كتبه باللغة الفارسية وطبعه في عام 1327 هجرية وترجمه إلى العربية الشيخ علي الخاقاني، تناول الميرزا النائيني فكرة الديمقراطية وحاول أن يجد لها مسوغاً من خلال فكرة الشورى فذكر قائلاً حول آية الشورى: "ودلالة الآية المباركة المخاطب بها نفس العصمة وعقل الكل، وقد كلف بالمشورة مع عقلاء الأمة على هذا المطلب في كمال البداهة والظهور حيث يصلح بالضرورة ان مرجع ضمير الجمع هو عموم الامة وقاطبة المهاجرين والانصار والقرائن المقامية لا من باب الظهور اللفظي كما أن دلالة حكمته -في الأمر- وهو مفرد محلي باللام ومفيد للعموم الاطلاقي على ان متعلق المشورة المقررة في الشريعة الطاهرة هو كلية الأمور السياسية في غاية الوضوح أيضاً.^(٦)"

وفي هذه القراءة نجد كيف جند الميرزا النائيني علم الأصول واستثمره لأستنباط حكم وجوب الشورى كمقدمة لتشريع نظام نيابي يكون فيه لعلماء الدين الدور الأكبر. وهو خطوة رائدة ليست بالهينة في تلك المرحلة من تاريخ فقهاء الشيعة الذين كانوا يعانون من سيطرة المنهج الاخباري، وبالأضافة إلى هذين العالمين [النراقي والنائيني] هناك اسهامات قيمة قام بها الجيل الثالث والرابع من المدرسة الأصولية بقيادة الوحيد البهبهاني وهم كل من المجدد الشيرازي والآخوند الخراساني والميرزا الشيرازي فيما كتبوه من رسائل تضمنت مواقف سياسية واجهتها الأمة الإسلامية في مراحل من تاريخها، وهي تؤشر إلى فكر المقاومة والجهاد ومراقبة السلطات وضرورة السعي إلى الدولة العادلة. وتلك الرسائل والبيانات تعتبر بحق نصوصاً مهمة في الفكر السياسي فيمكن الرجوع إليها.

ثانياً: اعلان الجهاد ومقاومة الإحتلال:

استولت روسيا القيصرية على بعض المدن الإيرانية كدريند وشيروان، فأستنجد السلطان القاجاري فتح علي شاه بالسيد محمد المجاهد الذي ولد في كربلاء عام 1180 هجرية وقاد جيشاً كبيراً لمحاربة الروس في محاولة منه لدفع شرهم عن المدن الإسلامية^(٧). إلا أنه وافته المنية في مدينة قزوین سنة ١٢٤٢ هـ ونقل جثمانه إلى كربلاء المقدسة، وقد سمي بالمجاهد لموقفه الجهادي من الإحتلال الروسي وفتواه بالجهاد [معروفة] ضد الروس في عدوانها على حياض الإسلام وأراضي المسلمين.^(٨)

والسيد محمد المجاهد هو ابن السيد علي الطباطبائي [صاحب الرياض] وسبط الوحيد البهبهاني وصهر السيد مهدي بحر العلوم، وهو أحد اعمدة المدرسة الأصولية التي أسسها الوحيد البهبهاني [جده من أمه] فهو صاحب موسوعة كبيرة في علم الأصول هي "مفتاح الأصول" ثم تبعه بكتاب "المصايح في شرح المفاتيح" وكان يوصي تلاميذه بأن يكتبوا في الاصول ليسدوا الثغرات التي كانت قائمة يومذاك ومن بين من كتب في الاصول متأثراً بأستاذه السيد ابراهيم الموسوي القزويني صاحب الكتاب الشهير (ضوابط الاصول) الذي طبع بجزئين واصبح مرجعاً للعلماء في علم الاصول . وكان للسيد ابراهيم دورٌ جهادي مهم ابان حصار نجيب باشا لمدينة كربلاء . اذ تجمع في المدينة اعداد كبيرة من الفدائيين من مختلف مناطق العراق بالاضافة الى الشباب الكرلائي للدفاع عن المدينة المقدسة بلغ تعدادهم زهاء عشرة الاف شخص ، وقد اطلقت عليهم السلطات العثمانية عبارة (اليرماز) ومعناها باللغة التركية (الشقاوات) ، وانظلت هذه الدعاية المضللة على المؤرخين الذين اخذوا يُسمون هؤلاء الفدائيين بهذه التسمية. يقول علي الوردي عنهم "والواقع ان بلدة كربلاء كانت في تلك الايام قد تحكمت فيها زمرة من الاشقياء والسفلة يُقال لهم (اليرمازية) وكان هؤلاء الاشرار قد تجمعوا في كربلاء منذ عهد داود باشا برئاسة زعيم لهم اسمه السيد ابراهيم الزعفراني واخذوا يعيشون فيها فساداً ويستغلون سلطانتها كما يشاؤون"^(٩) وكان قسم من هؤلاء الفدائيين يتبعون السيد ابراهيم الموسوي كما اشار الى ذلك سلمان هادي طعمة " ولكن وجد العلماء في انقسام (اليارمز) الى شطرين احدهما مع الزعيم الديني الشهير كاظم الرشتي والاخر مع زعيم ديني آخر يدعى السيد ابراهيم القزويني"^(١٠).

والسيد ابراهيم القزويني هو احد اعمدة المدرسة الاصولية التي اسسها الوحيد البهبهاني فهو تلميذ لثلاثة من الاعمدة الرئيسية لهذه المدرسة هم كل من ؛ السيد علي (صاحب الرياض) والسيد محمد المجاهد وشريف العلماء وهو ايضا الذي بنى سور سامراء وقام بتذهيب ايوان ابي الفضل العباس^(١١) وصرف عمره في تربية جيل من الاصوليين ناهزوا الثمانمائة طالب وانتشروا في البلاد الشيعية مبشرين وداعين الى التيار الاصولي .

٧ - الشاهودي: تاريخ الحركة العلمية في كربلاء ص ١٤٠.

٨ - المصدر نفسه ص ١٤٠.

٩ - الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ١١٦/٢.

١٠ - تراث كربلاء ص ٣٧٩.

١١ - المصدر نفسه.

انتفاضة التبناك

ومن الحوادث المهمة التي وقعت في إيران ابان القرن التاسع عشر انتفاضة التبناك وهو نوع من انواع التبوغ شاع في الوسط الايراني ، فهو يوضع في النرجيلة لغرض التدخين ولم يكن الايرانيون قد عرفوا السيكارة بعد .

والسبب في وقائع انتفاضة التبناك ان الشاه (ناصر الدين شاه) قد ابرم اتفاقية مع شركة بريطانية بموجبها يتم بيع التبناك من قبلها حصراً ، مما ادى الى استياء شديد عم البلاد بأسرها وتدخل علماء الدين لصالح الشعب وكان على رأسهم السيد محمد حسن الشيرازي وهو في سامراء بالعراق فأرسل برسالة الى الشاه يطالبه فيها بالامتنال لرغبة الشعب في الغاء الاتفاقية فلن يدعن الشاه لهذه الرسالة . وبعد اليأس اصدر الميرزا الشيرازي فتواه المشهورة بتحريم تدخين التبناك ونص الفتوى "بسم الله الرحمن الرحيم: اليوم استعمال التبناك والتبن حرام بأي نحو كان ومن استعمله كمن حارب الامام عجل الله فرجه^(١٢)" إن هذه الفتوى على اختصارها كانت بمثابة القنبلة من حيث تأثيرها في المجتمع الايراني^(١٣) فأمتنع الناس عن التدخين وحطموا النرجيلات ، وكان ذلك بداية لانتفاضة كبيرة ضد الاجانب والشركات البريطانية . وسرت مظاهرات في شوارع طهران مؤيدة لفتوى الشيرازي واحاط المتظاهرون بالقصر الملكي . واضطر الشاه اخيراً امام الضغط الجماهيري الكبير الى الازدعان والغاء الاتفاقية . فاصدار الفتوى كان على ضوء القواعد الاصولية التي لولاها لما كان بمقدور احد ان يصدر مثل هذه الفتوى ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان محمد حسن الشيرازي هو امتداد للسلسلة الاصولية التي اخذت معينها من الوحيد البهبائي ، فهو تلميذ صاحب أطول موسوعة اصولية هو الشيخ مرتضى الانصاري مؤلف كتاب (الرسائل) في علم الاصول ، فأخذ من استاذه الاهتمام بهذا العلم فكتب افادات استاذه وكتب رسائل في علم الاصول في اجتماع الامر والنهي^(١٤) كما يتصل الشيرازي الذي أخذ تسمية المجدد الشيرازي بالوحيد البهبائي عبر ثلاث حلقات من الأساتذة (مرتضى الانصاري ← شريف العلماء ← السيد علي الطباطبائي ← وحيد البهبائي) .

وكان لفتوى السيد في الجهاد الأثر الأكبر على الواقع السياسي أمتد حتى ثورة العشرين في العراق على يد أحد أعمدة المدرسة الاصولية الشيخ محمد تقى الشيرازي.

هاجر محمد تقى الشيرازي من إيران إلى كربلاء سنة ١٢٧١ للهجرة ثم هاجر إلى سامراء وتلمذ على يد السيد محمد حسن الشيرازي المعروف بالمجدد، ثم عاد إلى كربلاء بعد وفاة استاذه ليقود الشعب العراقي ضد الاحتلال البريطاني واصدر فتواه الشهيرة التي توجب على المسلمين كافة الجهاد ضد المحتلين تلك الفتوى التي كانت ساعة الصفر في ثورة العشرين، يقول علي الوردي عن هذه الفتوى "من الممكن

١٢ - الوردي: مخات اجتماعية ٩٥/٣ .

١٣ - المصدر نفسه ٩٥/٣ .

١٤ - فقهاء البشر ص ٤٤١ .

القول أن فتوى الشيرازي كانت عاملاً مهماً في تطور الوعي السياسي في العراق فهي قد جعلت الدين والوطنية في اطار واحد، وهذا أمرٌ جديد لم يكن يألفونه من قبل. وبذا أصبح الوطني متديناً والمتدين وطنياً وانتشر بين الناس الحديث المنسوب إلى النبي (ص) ((حب الوطن من الإيمان))، وصار شعاراً للحركة الوطنية الجديدة^(١٥).

وكانت ثورة العشرين أكبر إنجاز تحققه المدرسة الأصولية التي مهدت بأرائها وانفتاحها على قضايا الأمة السبيل أمام انتهاج النهج الجديد المستمد من ارضية فقهية وأصولية أرسى دعائمها الوحيد البهبهاني والتي سقى شجرتها كل من السيد على الطباطبائي والسيد محمد المجاهد والمجدد الشيرازي والآخوند الخراساني حتى وصلت إلى تلميذهم الميرزا محمد تقي الشيرازي الذي ورث إرث هذه المدرسة التي منحت عالم الدين دوراً أكبر في ممارسة وظيفته الشرعية.

ثالثاً: فكرة العمل السياسي:

اتاح الزخم الذي أوجدته المدرسة الأصولية لعلماء الدين فرصة المشاركة في العمل السياسي في كل من إيران والعراق، إذ ظهر في إيران طاغية سيء الصيت هو محمد علي شاه حاول أن يكيّد للشعب ويلغى القوانين والضوابط ويتفرد بالسلطة. فظهرت حركة تدعو إلى التمسك بالدستور فكانوا يسمون ب(المشروطة (في مقابل مجموعة كانت تؤيد الشاه فسميت ب(المستبدة).

وكان لعلماء الدين مساهمة رائدة في الحركة الدستورية التي اشترطت على الشاه التزامه بقوانين البلاد. ومن أبرز من وقف إلى جانب هذه الحركة الملا محمد كاظم الخراساني، والذي اعتبره علي الوردي زعيم هذه الحركة وأظهر الخراساني موقفه من الدستور بجوابه على رسالة وصلت من طهران تستفتيه في أمر المجلس المقترح فجاء الجواب:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على القوم الظالمين إلى يوم الدين، أما بعد فبالتأييدات الالهية والمراحم السماوية تمت توجيهات الهادي العالي الشأن حضرة صاحب الزمان أرواحنا له الفداء: إن قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسة ومحترمة وهي فرض على جميع المسلمين، إنّ هذه القوانين يجب تنفيذها وعليه نكرر قولنا: إنّ الاقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الاقدام على مقاومة احكام الدين الحنيف، فواجب المسلمين أن يقفوا دون أية حركة ضد المجلس^(١٦) ."

نجد في هذه الرسالة قوة الاستنباط وشجاعة الطرح لأحد أعمدة المدرسة الأصولية الذي كتب كتاباً في الاصول لازال حتى يومنا هذا يدرس في الحوزات العلمية ويعتبر مدخلاً للانتقال إلى مرحلة دروس الخارج هو كتاب "كفاية الأصول" وقد استقى الآخوند الخراساني علومه في الاصول من استاذة محمد

١٥ - علي الوردي: لمحات اجتماعية ٣ / ١١٦ .

١٦ - الوردي: لمحات اجتماعية ٣ / ١١٦ .

حسن الشيرازي والذي بدوره تتلمذ على يد الشيخ الانصاري وهو ممتد في جذوره العلمية الى الوحيد البهبهاني كما اسلفنا .

وفي هذه الحقبة بدا واضحاً وجلياً اثر علم الاصول في الحياة السياسية للامة ، فقد كان هذا العلم نظيفاً من عوامل الجمود والتكلس واصبح منطلقاً فكرياً ومنهجاً علمياً للعلماء والحوزات العلمية التي اصبحت تتحمل مسؤوليات سياسية واجتماعية .
وكان للخراساني دور كبير في انجاح حركة الدستور في ايران ، والتي تمخضت عن سن اول دستور للبلاد نشأ على اساسه النظام السياسي في ايران .

الخلاصة :

انجبت المدرسة الاصولية جمعاً من الرواد الذين ساهموا في خلق الأرضية لقيام التحول السياسي في كل من ايران والعراق .

ففكرة ولاية الفقيه التي بلورها النراقي ، وفكرة مكافحة الاحتكارات الغربية التي تزعمها الميرزا الشيرازي وفكرة الجهاد التي اعلنها السيد محمد المجاهد ضد الغزو الروسي في ايران وميرزا تقي الشيرازي ضد الاحتلال البريطاني في العراق، وفكرة الشورى وقيام المجالس النيابية على اصول اسلامية التي كتب عنها الميرزا النائيني في كتابه المشهور (تنبيه الامة وتنزيه الملة) كل هذه الافكار لم تكن لتوجد لولا التحول الذي احده الوحيد البهبهاني والذي رفع من منزلة عالم الدين الى مكان الصدارة في قيادة الامة الاسلامية . فأصبح يقود الثورات والاحتجاجات معتبراً هذا العمل جزءاً من وظائفه الدينية .

اثر الهيكل التنظيمي في التعلم التنظيمي دراسة استطلاعية لأراء عدد من العاملين في الشركة العامة للصناعات النسيجية / الحلة

The Influence of Organizational Structure on Organizational Learning: Exploratory Study of the opinions of a Sample of employees in the State Company of Textile Industries / Hilla

أ.م.د. بشار عباس الحميري^١
Asst.Prof. Bashar Abbas AL-Himairi
أ.م.د. احمد كاظم بريسي^٢
Asst.Prof. Ahmad Kadhim Bris

المستخلص

كرست هذه الدراسة الى تحديد اثر الهيكل التنظيمي في التعلم التنظيمي ؛ ولاجل تحقيق هذا الهدف تم تبني (المركزية ، الرسمية ، التخصص ، والتعقيد) كأبعاد للهيكل التنظيمي ، في حين تمثلت أبعاد التعلم التنظيمي بـ (اكتساب المعلومات ، نشر المعلومات ، تفسير المعلومات ، والذاكرة التنظيمية). وقد جرت الدراسة في الشركة العامة للصناعات النسيجية / الحلة ، وشملت عينة مقدارها (٨٤) من العاملين في الشركة المذكورة ، واعتمدت استمارة استبانة اعدت لهذا الغرض من اجل قياس متغيري الدراسة. و تجسدت مشكلة البحث في ضعف ادراك المنظمة لاهمية امتلاكها لهيكل تنظيمي ملائم يدعم آليات التعلم التنظيمي ، وفي ضوء الاستنتاجات التي تم التوصل اليها تم طرح مجموعة من التوصيات.

Abstract

This Study Intended to determine the Influence of the organizational structure on organizational learning, and in order to achieve that was

١ - كلية الادارة والاقتصاد / جامعة بابل
٢ - كلية الادارة والاقتصاد / جامعة كربلاء

adopted (Centralization, Formalization, specialization, complexity) as dimensions of the organizational structure, while (Information Acquisition, Information Dissemination, Information Interpretation, Organizational Memory) are adopted as dimensions of organizational learning. This study took place in the State Company of Textile Industries / Hilla, included a sample of (84) of the employees working in the company, has been relying on the questionnaire form prepared for this purpose in measuring the variables of the study. the research problem of the study epitomized in the weakness of the attention of mentioned organization in adopting an adequate organizational structure that supports organizational learning mechanisms, and in the light of the conclusions reached was introduced a set of recommendations .

مقدمة

تواجه منظمات الاعمال الكثير من قوى التغيير التي حدثت في اواخر القرن الماضي ، ومن ابرز هذه القوى التقدم التكنولوجي السريع ، المنافسة الحادة ، الازمات الاقتصادية ، الاسواق العالمية وغيرها ، والتي فرضت تحديات كبيرة على هذا النوع من المنظمات ، التي بات التصدي لها يتطلب القيام بامور كثيرة من بينها ، ايجاد موائمة بين هياكلها التنظيمية ومتطلبات التعلم التنظيمي . فقدرة المنظمة على التعلم تعد من الامور التي تشكل اهمية خاصة بالنسبة لنجاحها على الامد القريب والبعيد على حد سواء. اذ ان التعلم التنظيمي يزيد من قدرتها على التكيف مع التغيرات البيئية ، من خلال اكتساب العاملين للمهارات والخبرات ، وتطوير العمليات التشغيلية والتطبيقات التكنولوجية ، ، هذا فضلا عن انه يحسن المرونة الاستراتيجية للمنظمة.

وبما ان منتجات الصناعة العراقية تشهد اليوم تنافسا حادا بسبب انفتاح السوق العراقية على المنتجات العربية والأجنبية ، مما يستلزم من المنظمات العراقية العاملة في القطاع الصناعي وبخاصة الصناعات النسيجية السعي نحو تبني هياكل تنظيمية قادرة على تعزيز عمليات التعلم التنظيمي داخلها ، وذلك من خلال اجراء مراجعة مستمرة لابعاد هياكلها التنظيمية المتمثلة بـ (المركزية ، الرسمية ، التخصص ، التعقيد) في ضوء المستجدات البيئية ، ومن ثم اجراء التعديلات اللازمة التي من شأنها ان تدعم عمليات التعلم التنظيمي على مستوى العاملين والمنظمة.

وقد اقتضت منهجية البحث تقسيمه الى اربعة مباحث: تناول المبحث الاول منهجية البحث ، في حين كرس المبحث الثاني للاطار النظري ، واختص المبحث الثالث بالجانب الميداني ، وتضمن المبحث الرابع الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: منهجية البحث

أولاً- مشكلة البحث

التغيرات التي حدثت في العقود القليلة الماضية كان لها بالغ الأثر على المشهد التنافسي ، إذ إن بيئة الأعمال اليوم أصبحت أكثر دينامية وتعقيدا على المستويين المحلي والعالمي. ومن هذا المنطلق برزت أهمية التعلم ، إذ إن المنظمات التي لا تحتم بانشطة وفعاليات التعلم التنظيمي قد لا تستطيع التصدي لمثل هذه التغيرات ولن تبقى أو تستمر طويلا في المشهد التنافسي. لذا نستطيع القول بأنه كلما ازدادت قدرة المنظمة على توليد المعرفة واستيعابها ، ازدادت قدرتها على فهم رغبات الزبائن وحاجاتهم وتقديم المنتج أو الخدمة التي تحقق رضاهم.

ولكي يحصل التعلم بالشكل الذي يساعد منظمات الأعمال على مواجهة حالات التغيير المعقدة ، يتطلب الأمر تبني الهياكل التنظيمية القادرة على تزويدها بالاطر التي يمكن من خلالها توظيف مختلف آليات التنسيق والرقابة بالشكل الذي يجسد أنشطة وفعاليات التعلم التنظيمي المتمثلة باكتساب ، ونشر المعلومات وتفسيرها ودمج المعرفة المتولدة منها في الذاكرة التنظيمية. ومن هذه المنطلق تنبثق مشكلة البحث ، إذ أنها تتمثل في ضعف ادراك المنظمة موضوع الدراسة لأهمية امتلاكها لهيكل تنظيمي ملائم يدعم آليات التعلم التنظيمي الخاصة بها. وبناء على ما تقدم يمكن بيان مشكلة الدراسة من خلال طرح التساؤلات الآتية:

١. هل تسعى المنظمة المبحوثة الى تبني هياكل تنظيمية تعزز عمليات التعلم التنظيمي الخاصة بها ؟
٢. هل تدرك المنظمة موضوع الدراسة أهمية التعلم التنظيمي كألية لتحسين استجاباتها للتغيرات البيئية ؟
٣. هل توجد علاقات ارتباط بين الهيكل التنظيمي والتعلم التنظيمي؟
٤. هل يؤثر الهيكل التنظيمي في التعلم التنظيمي؟

ثانياً- أهمية البحث

تتجسد أهمية البحث بالآتي:

١. تبرز أهمية البحث من خلال تناوله لقطاع مهم هو: قطاع الصناعات النسيجية الذي يواجه اليوم تحديات كبيرة بسبب التغيرات التي طرأت على البيئة العراقية خلال العقود المنصرمين ، والذي يقع على عاتق الجهة التي تتولى مسؤولية ادارته الارتقاء بمستوى جودة المنتجات النسيجية من اجل منافسة المنتج الاجنبي ، وتلبية حاجة المجتمع ، وبما يضمن تشغيل أكبر عدد ممكن من الايدي العاملة ، و المساهمة بشكل فاعل في رفد عجلة التنمية الاقتصادية.

٢. يستمد البحث أهميته من قلة البحوث والدراسات التي تناولت المتغيرين معا، وانه على حد علم الباحثين لا توجد دراسة عراقية او عربية تناولت العلاقة بين متغيري البحث. وعليه ركز البحث الحالي على دراسة العلاقة بين المتغيرين المذكورين لما لها من اهمية خاصة في تعزيز عمليات التعلم التنظيمي الخاصة بالشركة العامة للصناعات النسيجية.

ثالثا- اهداف البحث

تتلخص اهم اهداف البحث بالنقاط التالية:

١. استعراض المفاهيم الاساسية لمتغيري البحث المتمثلة بالهيكل التنظيمي والتعلم التنظيمي.
٢. تحديد مستوى ابعاد كل من الهيكل التنظيمي والتعلم التنظيمي في المنظمة المبحوثة.
٣. تشخيص ودراسة علاقات الارتباط والتاثير بين الهيكل التنظيمي (المتغير المستقل) والتعلم التنظيمي (المتغير التابع).
٤. اقتراح عدد من التوصيات للمعنيين في المنظمة المبحوثة في ضوء النتائج التي سيتم التوصل اليها ، وصياغة الآليات اللازمة لتنفيذ هذه التوصيات.

رابعا- فرضيات البحث

تضمن البحث الفرضيات الآتية:

الفرضية الرئيسة الاولى

لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين الهيكل التنظيمي X والتعلم التنظيمي Y ويتفرع عنها الفرضيات الفرعية الآتية:

١. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين المركزية والتعلم التنظيمي.
٢. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين الرسمية والتعلم التنظيمي.
٣. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين التخصص والتعلم التنظيمي.
٤. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين التعقيد والتعلم التنظيمي.

الفرضية الرئيسة الثانية

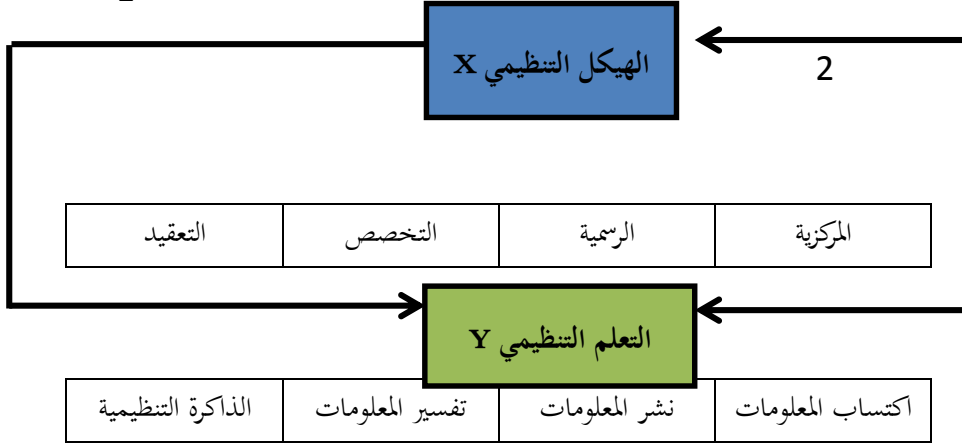
لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للهيكل التنظيمي X في التعلم التنظيمي Y ويتفرع عنها الفرضيات الفرعية الآتية:

١. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للمركزية في التعلم التنظيمي.
٢. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للرسمية في التعلم التنظيمي.
٣. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للتخصص في التعلم التنظيمي.
٤. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للتعقيد في التعلم التنظيمي.

خامسا- مخطط البحث الفرضي

تم تصميم مخطط البحث الفرضي بالاستناد الى الاطر الفكرية لمتغيرات الدراسة المتمثلة بالهيكل التنظيمي ، والتعلم التنظيمي في ضوء مشكلة الدراسة واهدافها وفرضياتها ، اذ يجسد النموذج المذكور مخططا للعلاقات بين هذه المتغيرات واتجاهات التأثير فيها ، وشكل رقم (١) يوضح مخطط البحث

1



تمثل الارقام على الاسهم فرضيات البحث الرئيسة
شكل رقم (١) مخطط البحث الفرضي

المصدر: اعداد الباحثان

سادسا- مجتمع وعينة البحث

اختيرت الشركة العامة للصناعات النسيجية / الحلة كمجتمع للبحث الحالي ، وتمثلت عينة البحث بمجموعة من العاملين فيها بلغ عددهم (٨٤) فردا من المدراء و رؤساء الاقسام والشعب وبعض العاملين من ذوي التخصصات المهمة.

سابعا- خصائص افراد عينة البحث

يعرض جدول رقم (١) خصائص افراد عينة البحث استنادا للبيانات التي وردت ضمن قسم المعلومات العامة في الاستبانة وقد اتسمت الخصائص بالآتي:

جدول رقم (١) خصائص افراد عينة البحث

ت	الخاصية	الفئة	التكرار	%
١	الجنس	ذكور	٦٨	٨١
		إناث	١٦	١٩
	المجموع		٨٤	١٠٠
٢	سنوات الخدمة	١-٩	٠	٠

٣٩	٣٣	١٩-١٠		
٢٦	٢٢	٢٩-٢٠		
٣٥	٢٩	٣٠ فأكثر		
١٠٠	٨٤		المجموع	
٠	٠	٢٥-٢٠	العمر	٣
٠	٠	٣١-٢٦		
١٠	٨	٣٧-٣٢		
٩٠	٧٦	٣٨ فأكثر		
١٠٠	٨٤		المجموع	
١٥	١٣	إعدادية فأقل	التحصيل العلمي	٤
١٨	١٥	دبلوم فني		
٦٧	٥٦	بكالوريوس		
٠	٠	ماجستير		
٠	٠	دكتوراه		
١٠٠	٨٤		المجموع	
٢٣	١٩	لا يوجد	الدورات التدريبية	٥
٢٥	٢١	دورة واحدة		
٢٦	٢٢	دورتان		
١٤	١٢	ثلاث دورات		
١٢	١٠	اربع دورات فأكثر		
١٠٠	٨٤		المجموع	

المصدر: اعداد الباحثان بالاعتماد على المعلومات العامة الواردة في استبانة البحث

١-الجنس

بلغت نسبة الذكور (٨١%)، في حين شكلت الاناث ما نسبته (١٩%). وعلى هذا فان الفارق كبير بين النسبتين ، مما يؤشر ان المنظمة المبحوثة تحتاج الى بذل المزيد من الجهود لجذب نسبة اكبر من العنصر النسوي المؤهل والقادر على العمل فيها.

٢-سنوات الخدمة

يتضح من جدول رقم (١) ان الفئة (١٩-١٠) قد احتلت النسبة الاكبر اذ بلغت (٣٩%)، ثم تلتها الفئة (٣٠ فأكثر) بنسبة (٣٥%) ، و جاءت الفئة (٢٩-٢٠) بنسبة (٢٦%). يتبين مما تقدم ان

(٦١%) من افراد العينة ، تراوحت سنوات خدمتهم بين (٢٠-٣٠ فأكثر) ، وهذا يعني ان نسبة كبيرة من العاملين يفترض تمتعهم بالخبرات اللازمة للعمل في المنظمة المبحوثة.

٣- العمر

يظهر جدول رقم (١) ان (٩٠%) من افراد العينة ضمن الفئة العمرية (٣٠ سنة فأكثر) ، و (١٠%) ضمن الفئة العمرية (٣٢-٣٧) سنة. علما بان هذه النتائج تتوافق مع النتائج التي جاءت ضمن فقرة سنوات الخدمة ، اذ نجد (٦١%) من العاملين لديهم سنوات خدمة كبيرة نسبيا.

٤- التحصيل الدراسي

يتبين من جدول رقم (١) ان الجزء الاكبر من افراد العينة يحملون شهادة (البكالوريوس) اي بما نسبته (٦٧%) ، يليه حملة (الدبلوم الفني) بنسبة (١٨%) ، ثم جاء تحصيل (الاعدادية فأقل) بالمرتبة الاخيرة اذ بلغت نسبته (١٥%). وهذا يعني ان نسبة كبيرة من افراد العينة حاصلين على التعليم الجامعي ، الا انه بالرغم من ذلك فان الامر يتطلب من ادارة المنظمة المبحوثة الاهتمام باستقطاب حملة الشهادات العليا هذا من جانب ، وتشجيع العاملين على اكمال دراستهم الاولية او العليا من جانب آخر، لما لذلك من اهمية في تعزيز أنشطة وفعاليات التعلم التنظيمي على مستوى العاملين والمنظمة.

٥- الدورات التدريبية

يتضح من جدول رقم (١) ان (٢٦%) من افراد عينة البحث التحقوا بدورتين تدريبيتين ، و (٢٥%) بدورة تدريبية واحدة ، ، و(١٤%) بثلاث دورات تدريبية ، وكانت نسبة من التحق باربع دورات فأكثر (١٢%) ، علما ان (٢٣%) من المبحوثين لم يلتحقوا بأية دورة تدريبية.

ثامنا- أساليب جمع البيانات المعلومات

استخدم الباحثان عددا من الاساليب في جمع البيانات والمعلومات منها:

١. المقابلات الشخصية.
 ٢. الاطلاع على الكتب والمجلات والدوريات العلمية المتنوعة.
- استمارة الاستبيان حيث تم اعداد الاستبانة بالاعتماد على عدد من الاديات المتخصصة ، علما انها تكونت من قسمين ، الاول ضم بيانات عامة متعلقة بالسمات الشخصية والوظيفية ، في حين تضمن القسم الثاني ابعاد متغيري البحث وهما الهيكل التنظيمي والتعلم التنظيمي. وجدول رقم (٢) يتضمن ملخص بمكونات الاستبانة والتي يمكن توضيح ملامحها بالاتي:

جدول رقم (٢) ملخص مكونات استمارة الاستبانة

ت	المكونات	عدد الفقرات	المصدر
١	معلومات عامة	٥	
٢	الهيكل التنظيمي المركزية	١٩	Walton ,1981 Folami,1999

Barnes,2006 Alam,2011 Amirhossein & Rajaeepoure et al ,2012 Delic & Ahmetovic ,2013		الرسمية التخصص التعقيد	
Huber,1991 Slater & Navaer,1995 Jones ,2006 Martinez-Leon & Martinez-Garcia , 2011 Santos-Vijande et al ,2012	١٩	التعلم التنظيمي اكتساب المعلومات نشر المعلومات تفسير المعلومات الذاكرة التنظيمية	٣

المصدر: اعداد الباحثان

المبحث الثاني: الاطار النظري

اولا- الهيكل التنظيمي Organizational Structure

١- مفهوم الهيكل التنظيمي

يحتل موضوع الهيكل التنظيمي موقعا مهما في اهتمامات كل من الباحثين والممارسين في حقل العلوم الإدارية ، لما له من مكانة بارزة في عمل المنظمات على اختلاف انواعها وطبيعة اهدافها. وان خير من عبر عن العلاقة بين الهيكل التنظيمي والمنظمة هو الاستاذ (Stinchcombe,1965:144) عندما عرف الاخيرة على انها: " مجموعة من العلاقات الاجتماعية المستقرة التي يتم انشاؤها بتأني مع توافر القصد في الانجاز المستمر لاهداف محددة ". وان تنظيم هذه العلاقات ينشئ ما يسمى بالهيكل التنظيمي، وقد شبه الباحث الهيكل التنظيمي ببيكل بناء يتكون من الجدران الداخلية والدعامات والسقوف التي يجب ان تكون مناسبة للأنشطة التي ستمارس داخله. وبهذا الخصوص اشار (Ashkenas etal,2002:85) ان الهيكل التنظيمي يعبر عن وجود توجه فطري لدى الناس نحو تشكيل منظمات هرمية ، والمنظمات بدورها تشكل نفسها وفقا لحاجاتها المتعددة ، وتتسم هذه العلمية بالاستمرار والتطور عبر الوقت. وقد حظى مفهوم الهيكل التنظيمي بتعاريف عديدة ، فقد عرف (Mintzberg,1979:2) الهيكل التنظيمي على انه: " الوسائل المختلفة التي تستخدمها المنظمة لتقسيم العمل وتحقيق التكامل بهدف انجاز الاهداف التنظيمية ". في حين عرف (Bernardin,1996:121) الهيكل التنظيمي على انه: " النمط الرسمي من التفاعلات والتنسيق المصمم من قبل الادارة لربط مهام الافراد والجماعات لاجل تحقيق اهداف المنظمة ". و يرى (Zandra ,1999: 5) ان هناك اربعة عناصر تشكل الهيكل التنظيمي وهي:

١- اسناد المهام والمسؤوليات التي تحدد وظائف الافراد والوحدات التنظيمية.

٢- تجميع الافراد في وحدات ، والوحدات في اقسام او وحدات اكبر لتشكيل الهرم الاداري في المنظمة.

٣- توافر الاليات اللازمة التي تسهل عملية التنسيق العمودي (من اعلى الى اسفل) ، وخير مثال على ذلك: درجة تفويض السلطات.

٤- توافر الاليات اللازمة التي تسهل عملية التنسيق الافقي (عبر الوحدات) على سبيل المثال، فرق العمل المتداخلة بين الاقسام.

وبالنسبة (Daft, 1998:211) فان الهيكل التنظيمي هو: " اداة يحدد من خلالها قنوات الاتصال الرسمية والمستويات الهرمية للادارة ، هذا الى جانب تحديد نطاق الاشراف ". وينظر (Nahm et al 283 :2003)، الى الهيكل التنظيمي على انه: " وصف لتوزيع المسؤوليات والسلطات واجراءات العمل بين اعضاء المنظمة " في حين ينظر (Ashshmma,2009:45) الى الهيكل التنظيمي على انه: " مجموعة من الاساليب التي تستخدمها المنظمة لاجل تقسيم الافراد في مهام متميزة وتجميعهم في اقسام رئيسة والتنسيق فيما بينهم ، هذا فضلا عن توزيع المهام والمسؤوليات بين الاقسام وتحديد العلاقات الرسمية وعدد المستويات التنظيمية ". وبالنسبة ل (Ubani, 2012: 1284) فان الهيكل التنظيمي هو: بمثابة " اطار للادارة يتم تنبيهه للاشراف على انشطة المنظمة المختلفة ".

وعلى العموم ، ان الهيكل التنظيمي لا يخرج عن كونه اما هيكل تنظيمي آلي (Mechanistic Structure) يلائم البيئات المستقرة. وان اهم ما يميز به هو تركيزه على القواعد والاجراءات مع وجود هيمنة لهرمية السلطة. او هيكل تنظيمي عضوي (Organic Structure) يلائم البيئات التي تتسم بالتعقيد وعدم التاكيد ، وان اهم ما يميزه اعتماد اللامركزية ونظم تنظيمية اكثر تكيفية. (Zhong & 201-189:2004, Dilt).

وقد قارن (Spencer , 1994:459) بين الهيكل الآلي والهيكل العضوي من خلال عدة ابعاد وجدول رقم (٣) يوضح ذلك.

جدول رقم (٣) خصائص الهياكل الآلية والعضوية

الابعاد	الهيكل الآلي	الهيكل العضوي
الاهداف التنظيمية	الكفاءة / اهداف الاداء	البقاء التنظيمي (متطلبات الاداء)
تعريف الجودة	المطابقة للمعايير	رضا الزبون
دور الادارة	التنسيق / توفير رقابة واضحة	التنسيق / توفير رقابة غير واضحة من خلال انشاء نظام / رؤية
دور العاملين	سلي / اتباع الاوامر	تفاعلي / رقابة ذاتية داخل النظام
العقلانية الهيكلية	سلسلة الامرة (اتصالات عمودية)	تدفق العملية (اتصالات افقية وعمودية)
الفلسفة تجاه التغيير	الاستقرار عنصر مهم والتعلم	التغيير والتعلم يحصل عن طريق التكيف

Source: Spencer ,B. " Models of Organization and Total Quality Management: A Comparison & Critical Evaluation " , Academy of Management Review , , Vol.19 ,No.3, 1994.

٢- أهمية الهيكل التنظيمي

ان دور الهيكل التنظيمي في المنظمة يشبه الى حد كبير دور الهيكل العظمي في جسم الانسان الذي يتمثل بمسك ودعم اعضاء الجسم الاخرى. لذا فالهيكل التنظيمي يعد اداة ادارية مهمة تساعد المنظمة على تحقيق الاهداف عن طريق تنظيم العلاقات وتحديد المسؤوليات. وعليه فان غياب الهيكل التنظيمي الملائم يعني: ان العمليات التنظيمية ستقع في فوضى ، وينتج عن ذلك آثار سلبية تؤثر على معنويات العاملين ، هذا فضلا عن زيادة النفقات والصراعات التنظيمية. (اللوزي، ٤٧: ٢٠٠٢- ٤٩). وقد حدد (Pettinger,2000:210) عدة عناصر تشكل اهمية الهيكل التنظيمي والتي منها:

١. ان الهيكل التنظيمي يضمن للمنظمة كفاءة وفاعلية النشاطات وفقا للاهداف المرسومة.
 ٢. يساعد في تخصيص الصلاحيات والمسؤوليات.
 ٣. تحديد الوسائل اللازمة للاشراف على العمل.
- والهيكل التنظيمي يعد احد الوسائل الفاعلة في تحقيق الانسياب الكفوء لتدفق الاعمال من خلال دوره في ضمان وتوحيد وتنسيق النشاطات التنظيمية المختلفة. وبناء على ذلك ، فهو: يعد اداة مهمة في انجاز الاهداف التنظيمية من خلال دوره في تحقيق الامور الآتية: (AL- Raggad, 2013: 524)
١. السماح بتدفق البيانات و المعلومات بطريقة تجعل من عملية اتخاذ القرارات اكثر فاعلية.
 ٢. يمنع الازدواجية والتداخل بين مختلف الانشطة التنظيمية.
 ٣. يساعد المنظمات على تحقيق الاستجابة الفاعلة للتغيرات الداخلية والخارجية ، وتسريع التكيف لهذه التغيرات.
 ٤. يجعل من عملية تنفيذ الخطط اكثر فاعلية ، وذلك عن طريق تحديد الانشطة والعمل على تحقيق الاستخدام الامثل للموارد.
 ٥. يسهل من عملية تحديد ادوار وواجبات الافراد وفقا للتشريعات ، الاجراءات ، والمعايير.
 ٦. يساهم في تحقيق الانسجام بين الوحدات الادارية وتجنب احتناقات العمل.
- استنادا الى ما تقدم من مفاهيم وآراء يمكن القول ان اهمية الهيكل التنظيمي تتبلور في النقاط الآتية:
١. يحدد طرق الاتصال ومواقع اتخاذ القرار.
 ٢. ربط مهام الافراد والجماعات بما يضمن تحقيق الاهداف التنظيمية.
 ٣. توزيع المسؤوليات والسلطات واجراءات العمل داخل المنظمة.
 ٤. يعزز علاقات التعاون بين العاملين من جهة والوحدات التنظيمية من جهة اخرى.

٣- ابعاد الهيكل التنظيمي

ان الجوانب التنظيمية المختلفة ومن بينها الهيكل التنظيمي وابعاده تصف السمات الخاصة للمنظمة كما هو الحال مع الفرد نفسه ، اذ ان سلوكه وسماته الظاهرة تعكس المظاهر الاساسية لشخصيته. ونظرا لاهمية تحديد ابعاد الهيكل التنظيمي لما لها من تأثير مهم في تحقيق اهداف المنظمة ، فان هذا الامر كان محط اهتمام العديد من الباحثين الذين اختلفت آراؤهم حول عدد هذه الابعاد وماهيتها ، وبمحد الخصوص اشار (Walton,1981 ; Alam,2011) الى ان ابعاد الهيكل التنظيمي تتمثل في (المركزية ، الرسمية ، التخصص). اما (Folami,1999;Barnes,2006;Amirhossein&Raana,2011 ;Rajaeepour et al,2012) فقد حددوا ثلاثة ابعاد للهيكل التنظيمي تتجسد في (الرسمية ، المركزية ، التعقيد). في حين حدد (Al- Raggad ,2013) خمسة ابعاد للهيكل التنظيمي وهي (المركزية ، الرسمية ، الاتصال ، التخصص ، المعيارية). اما (Delic & Ahmetovic ,2013) فقد حددا ايضا خمسة ابعاد للهيكل التنظيمي وهي (التخصص ، الرسمية ، التعقيد ، الهرمية ، اللامركزية). وبناء على وجهات النظر المشار اليها آنفا سيتم اعتماد المركزية ، و الرسمية ، والتخصص ، و التعقيد ، كابعاد للهيكل التنظيمي في الدراسة الحالية وكالآتي:

أ-المركزية Centralization

تناسب المركزية تناسباً طرئياً مع مستوى موقع صنع القرار في المنظمة ، اذ كلما ارتفع مستوى الموقع الذي يتخذ فيه القرار ارتفعت معه درجة المركزية (Al-Raggad,2013:525). ووفقاً للرأي (Barnes,2006:31) ترتبط المركزية بتوزيع السلطة ، وان لعملية توزيعها أثر مهم على اداء المنظمة وسلوك العاملين فيها. وبالنسبة لـ (Folami,1999:19) تشير المركزية الى مدى قيام السلطة الرسمية بتحديد حرية التصرف الخاصة بالافراد والوحدات التنظيمية. والمنظمات التي تتركز فيها سلطة صنع القرار في المستويات العليا من الهرم التنظيمي يطلق عليها منظمات مركزية والعكس صحيح (Amirhossein & Raana,2011:868). ويتفق (Daft,2001:12) مع هذا الرأي ، اذ يرى ان اتخاذ القرارات في المستويات العليا من الهرم الاداري يدل على ان المنظمة تتبنى المركزية ، وفي حالة تحويل اتخاذ القرارات الى المستويات الدنيا فعندئذ تتبنى المنظمة اللامركزية. الا ان (Martinez-Leon & Martinez-Garcia,2011: 548) يرى انه غالباً ما يرافق المركزية تفويض قليل لسلطة صنع القرار ، مع خلق بيئة غير مشجعة لمشاركة العاملين ، وعليه فانها تضعف عملية الاتصال والتفاعل الاجتماعي واندماج العاملين ، هذا فضلاً عن ضعف دعمها لفعاليات التعلم التنظيمي.

ب-الرسمية Formalization

تميل المنظمات الى استخدام معيارية السلوك عندما تصبح اكثر تعقيداً ، ومن هذا المنطلق ، تشير الرسمية الى درجة معيارية الوظائف ، اذ تساعد على تقليل التباين في السلوك، وتعزز عملية تنسيق

الانشطة والفعاليات التنظيمية (Folami,1999:17). ويرى (Barnes,2006:30) ان الرسمية تعبر عن استخدام المنظمة للقواعد عبر وصف السلطات و المسؤوليات و الواجبات و الاجراءات التي يمكن اتباعها لكل وظيفة ، ومن ثم التأكد من ان شاغلي الوظائف يتم الاشراف عليهم لضمان المطابقة مع وصف الوظيفة. وبالنسبة لـ (Al-Raggad ,2013:525) يؤكد على ان الرسمية تشير الى درجة توثيق الاوامر والتعليمات والاجراءات والقوانين الداخلية بصيغة مكتوبة. وبحسب رأي (Daft ,2003:319) فان الرسمية هي بمثابة توثيق للسياسات والاجراءات والتعليمات وهي تكمل الخارطة التنظيمية ، اذ تزود المنظمة بتوصيف للمهام ، والمسؤوليات ، وسلطة اتخاذ القرار. ويعتقد (Martinez-Leon & Martinez-Garcia,2011: 547) ان المنظمات ذات الرسمية العالية تستخدم بشكل كبير اجراءات وقواعد مكتوبة بهدف الابتعاد عن النقاشات التي غالبا ما تدور حول الانشطة والفعاليات التي يفترض القيام بها، وهي غالبا ما تؤدي بالهيكل التنظيمي لان يصبح اكثر جمودا ، في حين يتميز سلوك الوظائف في المنظمات ذات الرسمية المنخفضة بانه غير مهيكول نسبيا ، وتمتع العاملين فيها بحرية اكبر عند التعامل مع المهام المكلفين بتنفيذها ، هذا فضلا عن ان هذا النوع من الوظائف يشجع التفاعل الاجتماعي بين العاملين ويحفز ابداعهم وعمليات تعلمهم.

ج-التخصص Specialization

يشير التخصص الى الدرجة التي تبدأ عندها تقسيم مهام وفعاليات المنظمة الى أنشطة اصغر، ويعتمد التخصص بشكل مباشر على درجة تقسيم العمل ، اذ كلما ازداد مستوى او درجة تقسيم العمل كلما اصبح التخصص اكثر ضيقا ، وكلما انخفضت درجة تقسيم العمل كلما اصبح التخصص اكثر اتساعا (Folami,1999:18). وقد صنف الباحثون التخصص في المنظمات الى تخصص افقي ، وتخصص عمودي ، ويقصد بالتخصص الافقي: اتساع العمل. اي زيادة عدد الفعاليات والانشطة التي تنجز من قبل الفرد. في حين يشير التخصص العمودي الى مدى سيطرة او تحكم الفرد بالعمل الموكل اليه داخل المنظمة. و قد يولد التخصص العمودي الدقيق نوعا من الملل او الشعور بالتعب لدى العاملين. ولتجنب هذا النوع من التأثير فان الامر غالبا ما يتطلب من ادارة المنظمة تبني سياسة التدوير الوظيفي، او اغناء العمل بهدف جعل الوظيفة اكثر تحديا او اثارة لاهتمام العاملين ، اي بمعنى ان التخصص المنخفض يزيد من معارف العاملين وخبراتهم. على العكس ، فان التخصص العالي يقيد اداء الافراد العاملين بعدد محدود من المهام المتشابهة، ما يجعل من الصعب عليهم وضع تصورات، او وجهات نظر تتسم بنوع من الشمولية، والذي قد يؤدي الى خفض احتمالية دعم الانشطة والفعاليات ذات الصلة بالتعلم التنظيمي. وبناء على ما تقدم ، يمكن القول ان التخصص المنخفض يشجع العاملين على التعلم ويعزز قدراتهم على الابداع. (Delic & Ahmetovic,2013:36)

د-التعقيد Complexity

يشير التعقيد إلى عدد الأنشطة أو الأنظمة الفرعية الموجودة داخل المنظمة (Delic & Ahmetovic, 2013:37). وينظر (Folami, 1999:15) إلى التعقيد على أنه: درجة تمايز أو اختلاف الأنشطة التنظيمية ، والذي يمكن قياسه باستخدام التمايز الأفقي والتمايز العمودي والانتشار الجغرافي. ويقصد بالتمايز الأفقي: درجة التمايز بين الوحدات التنظيمية بالاعتماد على توجه الأعضاء ، وطبيعة المهام التي يؤديها ، هذا فضلا عن مستوى تعليمهم وتدريبهم. ويرى (Arney, 2007: 25) أن الدليل على التمايز الأفقي هو: التخصص وتعدد الأقسام ، في حين يشير التمايز العمودي إلى عمق الهرم التنظيمي ، أي: كلما ازداد التمايز العمودي ازداد معه عدد المستويات التنظيمية ، وبالتالي يرتفع مستوى التعقيد. وأخيرا يتحقق الانتشار الجغرافي عندما تستطيع المنظمة إنجاز نفس الوظائف ، أو المهام في مواقع جغرافية متعددة ، أي فصل المهام ومراكز السلطة جغرافيا. بناء على ذلك يتضح أن ارتفاع مستوى تعقيد الهيكل التنظيمي يزيد من مستوى التخصص وعدد المستويات التنظيمية، وعليه فإنه يضعف عملية دعم الأنشطة والفعاليات الخاصة بالتعلم التنظيمي.

ثانيا - التعلم التنظيمي Organizational Learning

١- مفهوم التعلم التنظيمي

عادة يفهم التعلم على أنه: استلام أو تلقي المتعلم المعرفة من المعلم أو الشخص الخبير ، وفي حالات أخرى ينظر له على أنه: جهد مدروس لزيادة معرفة الفرد وقدراته الإدراكية وتغيير سلوكه. ويرى (Issler & Habermass, 1994:30) أن التعلم هو اكتساب المعرفة الإدراكية والمهارات والاتجاهات والقيم الناجمة عن تفاعل المتعلم مع أفراد آخرين ، ومع النظم الاجتماعية ، والطبيعة، ومن ثم فإن التعلم هو: عملية إنسانية تتسم بالتعقيد ويمكن أن تتم على المستوى الفردي والجماعي والمنظمي. أن الأساس المفاهيمي لمصطلح التعلم التنظيمي يمكن أن يعود إلى ستينيات القرن المنصرم عندما طور (Cyert & March) عام ١٩٦٣ ، وهما من منظري السلوك التنظيمي، نماذج سيرانائية (Cybernetic Models) وقدمتا المنظمات على أنها أماكن تلعب فيها الخصائص السلوكية دورا بارزا لمساهمتها في تشكيل المكون التعليمي الخاص بها. ويعد (Cangelosi & Dill) من الأوائل الذين ابتكروا وناقشوا مصطلح التعلم التنظيمي وذلك في عام ١٩٦٥. وبعد ذلك فقد أولي الموضوع اهتماما كبيرا في عقد السبعينيات من القرن الماضي عندما قاما (Argyris & Schon) بتطوير نموذجا نفسيا تحادثا فيه عن التعلم أحادي الاتجاه (Single - loop learning) ، والتعلم ثنائي الاتجاه (Double - loop learning). ومنذ ذلك الحين تنامت الأبحاث في هذا المجال على نطاق واسع في مجالات عديدة منها على سبيل المثال ، العلوم الإدارية ، علم الاجتماع ، علم النفس وغيرها كل بحسب منظوره الخاص ، مما أدى إلى توظيف مصطلحات وتعاريف مختلفة. (Blankenhagen , 1994:58) وبهذا الخصوص يرى (Crossan & Guatto, 1996: 109) أن الباحثين قد استخدموا مفهوم التعلم التنظيمي أو المصطلحات الفنية الأخرى ذات العلاقة في

مجالات مختلفة، وبالتالي فانه لا يوجد فهم موحد حول المفهوم المذكور ، فضلا عن غياب الاجماع حول نظريات التعلم التنظيمي ونماذجه وعملياته. وبهذا الخصوص ندرج في ادناه آراء بعض الباحثين حول مفهوم التعلم التنظيمي وكالآتي:

يرى (Argyris & Schon, 1978:116) ان التعلم التنظيمي هو عملية يستطيع من خلالها اعضاء المنظمة تحديد واكتشاف الاخطاء والسلوكيات الشاذة والعمل على تصحيحها عن طريق اعادة هيكلة النظريات التنظيمية للسلوك او الفعل والعمل على تضمين نتائج التحقيق هذه في الخرائط التنظيمية والذهنية. اما (Duncan & Weiss, 1979) فقد عرف التعلم التنظيمي على انه عملية تؤدي الى نتيجة تتجسد بمعرفة او مهارة معينة. وقد عرف (Daft & Weick, 1984:285) التعلم التنظيمي على انه العملية التي من خلالها يتم معرفة نتائج عمل العلاقات التي ربطت بين المنظمة وبيئتها. في حين ينظر (Huber, 1991: 88) الى التعلم التنظيمي على انه عملية اكتساب المعرفة من قبل اعضاء المنظمة عن طريق توليد المعرفة ، ونشر المعلومات وتفسيرها ، وتطوير الذاكرة التنظيمية. ويرى (523-524: Crossan et al, 1999) ان التعلم التنظيمي عملية تفاعلية تساعد على خلق واعادة خلق قاعدة معرفية مشتركة توجه السلوك ، وتشكل الخبرة بما يفضي طابع مؤسسي على التعلم ، وانه يحدث على المستويين الفردي والجماعي. وعرف (Chen, 2005: 480) التعلم التنظيمي على انه العملية التي من خلالها تستطيع المنظمة بشكل مستمر تعديل ، او تغيير نفسها عن طريق الاستفادة من مصادر المعرفة التنظيمية واثرائها في محاولة تهدف الى التكيف للتغيرات البيئية الداخلية والخارجية على حدا سواء، للحفاظ على الميزة التنافسية المستدامة. وبالنسبة ل (Lien et al, 2007 213): فان التعلم التنظيمي يدور حول كيفية قيام الافراد بجمع واستيعاب وتحويل المعلومات الى الذاكرة التنظيمية. وعرف (Smith 5: 2012)، التعلم التنظيمي على انه: " تحديد الاخطاء والعمل على تصحيحها ، والاخطاء تعبر حالة الاختلاف بين طموحات الافراد في انجاز امر ما وما هو المتحقق فعلا من ذلك الامر".

يتضح من التعريفات السابقة انها تركز على المعرفة المتحصلة ، والتي تعد واحدة من اهم الموجودات التنظيمية سواء كانت مكتسبة من داخل المنظمة او خارجها ، وان هذه المعرفة يتم خزنها وتجسيدها في اداء المنظمة. والجدير بالذكر، ان اهم ما يميز موضوع التعلم التنظيمي هو الاتساع والتعميق ، لذا نجد اغلب الباحثين اتجهوا نحو التركيز على جوانب محددة في التعلم التنظيمي ، وان معظم هؤلاء قد اتفقوا على ان هناك خمس وجهات نظر اساسية في مجال التعلم التنظيمي تجسدت في اعمال عدد من الباحثين البارزين وهم (Reese, 2006:18-25):

(Argyris & Schoan, 1978 ; Daft & Weick, 1984 ; Fiol & Lyles, 1985 ; Levitt & March, 1988 ; Crossan et al, 1999)

فيما يتعلق بـ (Argyris & Schoan, 1978) فقد كان لهما دورا رائدا في بلورة موضوع التعلم التنظيمي ، وذلك من خلال طرحهما لمفهومي التعلم احادي الاتجاه والتعلم ثنائي الاتجاه. ان التعلم احادي الاتجاه يستمر ضمن الاطر السائدة لقرارات المنظمة ، وهو: يهتم بشكل اساسي بتحقيق

الكفاءة من خلال الوصول الى افضل طريقة لانجاز الاهداف ، وابقاء اداء المنظمة ضمن المدى الذي حددته القواعد والاعراف. وبالمقابل فان التعلم ثنائي الاتجاه يدرس الاطر السائدة للقرارات والافتراضات الضمنية والقواعد ، او الاعراف بهدف تطوير استراتيجيات جديدة. اي بعبارة اخرى هو لا يسأل فقط عن كيفية انجاز العمل بشكل افضل بل يركز ايضا على كيفية احداث نقلة نوعية في الطرق والاساليب التي تعتمدها المنظمة في تنفيذ الاستراتيجيات الخاصة بها وهو كما يراه الباحثين يعالج حالة التعارض بين القواعد والاعراف التنظيمية من خلال وضع اسبقيات جديدة واعطاء وزن لكل واحدة منها.

ولتوضيح الفرق بين التعلم احادي الاتجاه والتعلم ثنائي الاتجاه نورد المثال الآتي: لاحظ مدير الاحوال المدنية في احدى المحافظات ان الاستجابة للشكاوى المواطنين تتطلب ستة ايام ، في حين ان معيار الاستجابة لهذه الشكاوى يتطلب ثلاثة ايام. وبهذا الخصوص اذا ارادت المديرية المذكورة تبني مدخل التعلم احادي الاتجاه فان السؤال الذي يطرح هو كيف يمكن تخفيض عدد الايام الى اقل من ثلاثة ايام ؟ ، فاذا استطاعت المديرية حل هذه المعضلة بوقت اقل من المعيار المحدد فان هذا يعني انها قد حققت نجاحا ملموسا. ومن هذا يتضح ان التعلم احادي الاتجاه يعتمد اطر القرارات السائدة كأداة لتحسين فعالية المنظمة. من جانب آخر ، اذا ارادت المنظمة المذكورة تبني مدخل التعلم ثنائي الاتجاه فانه يفترض طرح التساؤل الآتي: كيف يمكن الاستجابة فورا للشكاوى ؟ او الغائها تماما ؟ وذلك من خلال الارتقاء بمستوى اداء المنظمة المذكورة. واذا كان بمقدور المديرية انجاز ذلك ، فان هذا يدل على انها خرجت عن الاطر السائدة في التعامل مع هذا النوع من المشاكل.

وكانت لـ (Daft & Weick, 1984) مساهمة مهمة تجسدت في مقالتهما الموسومة (نحو بناء نموذج للمنظمات كنظم تفسيرية) والتي نشرت عام 1984 في دورية (Academy of Management Review). لقد نظر الباحثين الى المنظمات كنظم تفسيرية، وركزا على الافراد العاملين داخل المنظمة ، وعلى كيفية تفسيرهم لادوارهم. وبحسب رأيهما فان الافراد العاملين وعلى وجه الخصوص في المستويات الادارية العليا يتعلمون ويحلون المشاكل ، ويضعون الاهداف وينفذون الاستراتيجيات. وان التفسير التنظيمي يتضمن كل ما له علاقة بالتصورات، والمشاركة في المعلومات ، والافكار التي تسمح لجماعات العمل او المنظمة بالعمل كنظام ، هذا فضلا عن ، ان التفسير التنظيمي هو بمثابة ترجمة للاحداث وتطوير فهم مشترك وخرائط ادراكية وسط اعضاء الادارة العليا للمنظمة ، وان هذا الفهم المشترك يستخدم في تطوير افعال واستراتيجيات جديدة تفضي الى احداث التعلم التنظيمي. ومن هذا المنطلق فان التفسير التنظيمي يسبق التعلم التنظيمي.

اما مساهمة (Fiol & Lyles, 1985) فقد كانت شبيهة إلى حد ما بمفهوم التعلم احادي الاتجاه والتعلم ثنائي الاتجاه التي جاء بها (Argyris & Schoan)، وقد ميز الباحثين بين التعلم التنظيمي والتكيف التنظيمي. يضاف الى ذلك ، فقد ركزا على التغيرات الادراكية والسلوكية التي تحدث داخل المنظمة. وللإجابة على التساؤل حول كيفية تشكيل التعلم التنظيمي ، يتفق الباحثان مع الرأي الذي يحظى بقبول واسع وسط المهتمين في التعلم التنظيمي ، وهو ان التعلم الفردي داخل المنظمات يعد امرا

مهما ، وان التعلم التنظيمي هو أكبر من مجموع ما تعلمه الافراد العاملين في المنظمة. يضاف الى ذلك ، أكد الباحثين ايضا على ان التغييرات السلوكية داخل المنظمة هي التي تشكل التكيف التنظيمي. من ناحية اخرى ، ان التكيف التنظيمي هو مشابه لمفهوم التعلم احادي الاتجاه لـ (Argyris & Schoan) الا انه ليس تعلم بل هو مجرد تكيف ، وذلك لفشله في الاعتماد على المنطق الادراكي. اذ يرا الباحثين ان التعلم التنظيمي يحدث عندما يكون هناك منطق ادراكي وحالة من التغيير. وهذا هو الموضوع الذي يجعل من عمل الباحثين مشابه لمفهوم التعلم ثنائي الاتجاه الذي سبق الاشارة له. وان التعلم التنظيمي يتضمن كلا من التغييرات السلوكية والمعرفية التي تأخذ مكانها عن طريق تحدي الاطر الحالية. وبحسب رأيهما ايضا ان التعلم التنظيمي يتطلب بصيرة جديدة، وفهم عميق بما يساعد على تطوير خرائط ادراكية جديدة وارتباطات وفعاليات مستقبلية.

اما (Levitt & March, 1988) فقد وصفوا التعلم التنظيمي على انه: روتين يتضمن القواعد والممارسات والاجراءات والسياسات والاستراتيجيات التي تعمل بها المنظمة. وان هذه الروتينات تستخدم لخلق الثقافة التنظيمية او الاطر الثقافية. وقد اشار الباحثين الى ان التعلم التنظيمي هو: بمثابة تاريخ يعتمد على التوجه المستهدف. وان تاريخ الافراد والمنظمة ، مع الاهداف المستهدفة تتطلب خلق القواعد ، والممارسات والاجراءات والسياسات التي يجب ان تتبع. وفي مثل هذه الحالة يتم خلق الروتين الذي يشكل التعلم التنظيمي. واذ يرا الباحثين ان المنظمات تتعلم عن طريق تحويل المعاني او الدلالات المكتسبة من تاريخها الى روتينيات توجه السلوك. ويقدر تعلم الافراد عبر خبراتهم الحالية والسابقة ، تتعلم المنظمة عبر خلق السياسات والاجراءات الجديدة التي بدورها تتحول الى روتينات تنظيمية تولد التعلم التنظيمي. كذلك ناقشا الباحثين الافكار الخاصة بـ (فخ الرضا) Complacency Traps ، و(التعلم الوهمي) Superstitious Learning. وبحسب رأيهما إن فخ الرضا يحصل في المنظمات الناجحة التي تعتمد على الانجازات التي تحققت في الماضي لتوجيه المستقبل. بعبارة اخرى ، ان الاطار المرجعي للمنظمة يتقيد بالنجاحات المتحققة في الماضي. اذ ان ما تقوم به المنظمة هو جزء من الروتين الذي تمارسه وحققت عبر تطبيقه نجاحا الا ان ذلك قد يصبح عائقا للنجاح في المستقبل. في حين يرتبط التعلم الوهمي بالتفسير الخاطئ للعوامل البيئية ، مثال ذلك قد يفسر المعينون في كلية ما ان سبب ارتفاع نسبة الرسوب وسط الطلبة يعود الى عدم رغبتهم في التخصصات التي يدرسون فيها ، في حين ان السبب الحقيقي يكمن في امور اخرى منها على سبيل المثال ، كثرة وسائل الترفيه و ضعف الرقابة العائلية.

وقد حاول (Crossan et al, 1999) ايجاد اطار للتعلم التنظيمي ، وقد وصفوا التعلم التنظيمي بانه عملية دينامية للتحديد الاستراتيجي ، وان وصفهم هذا يحتل اهمية خاصة كون الاطار الذي اعتمدهو يهدف الى ايجاد قواسم مشتركة مع الاعمال السابقة ذات الصلة بالتعلم التنظيمي ، هذا فضلا عن مناقشتهم للعلاقة بين التعلم التنظيمي والاستراتيجية. وبحسب رأيهم فان التعلم التنظيمي هو عملية تغيير في الفكر والسلوك ويعبر عن التحديد عبر ثلاثة مستويات هي الافراد ، الجماعة ، المنظمة. وقد قدموا اربعة نقاط رئيسة تشكل اساس الاطار الذي وصفوه للتعلم التنظيمي وهي:

١. التعلم التنظيمي يتضمن الاستكشاف والاستغلال ، و الاستكشاف هو: تعلم شئى جديد ، بينما الاستغلال هو استخدام ما تعرفه.
 ٢. التعلم التنظيمي يحدث على المستوى الفردي و الجماعي ، والمنظمي.
 ٣. العمليات الاجتماعية والنفسية تؤثر في التعلم وتمثل هذه العمليات بـ: بالحدس ، والتفسير ، والتكامل ، والمؤسسية ، والتي يطلق عليها اختصارا بـ4Is.
 ٤. الادراك يؤثر في السلوك ، والسلوك يؤثر في الادراك.
- وفي محاولة منهم لتوحيد المدارس الفكرية ذات الصلة بالتعلم التنظيمي ، بين الباحثين ان التعلم لا يحدث فقط عبر الوقت والمستويات ، وانما يولد ايضا نوعا من الاجهاد نتيجة للجهد الذي يتطلبه عملية استيعاب التعلم الجديد (التغذية الامامية) من جانب ، واستخدام ما تم تعلمه (التغذية الراجعة) من جانب آخر. يضاف الى ذلك ، ان الباحثين اقترحوا اطار فكري للتعلم التنظيمي أطلقوا عليه بـ (4IS) والذي تتدفق فيه المعرفة والتعلم عبر المستويات التنظيمية الثلاثة المتمثلة بـ (الفردي والجماعي والمنظمي).

٢- مستويات التعلم التنظيمي

اشار (Crossan et al, 1995: 339) الى ان التعلم التنظيمي يرتبط بصورة مباشرة وغير مباشرة بالتعلم على المستوى الفردي والجماعي ، كما انهم أكدوا على العلاقة بين التعلم على مستوى الفرد ، الجماعة ، والمنظمة. ويرى (Nonaka & Takeuchi, 1995:57) ان فهمنا للتعلم التنظيمي يتاثر بالبعد الانطولوجي (Ontological Dimension) ، وهي وجهة نظر ترى ان المعرفة يتم تحويلها من مستوى الافراد ، والجماعات ، الى مستوى المنظمة. ووفقا لرأى اغلب الباحثين فان التعلم الفردي يشكل اساس التعلم التنظيمي ، فعلى سبيل المثال أكد (Kim) على اهمية التعلم الفردي في المنظمات ، اذ ان هذا النوع من التعلم هو الذي يحدث تقديما في التعلم ، وقد بين ان المنظمات تتعلم عبر افرادها ، لذا فهي تتاثر الى حد كبير بالتعلم الفردي، والافراد العاملين هم من ياخذون بروح المبادرة او الفعل، وان التعلم التنظيمي ما هو الا محصلة للتعلم الفردي (Espejo et al, 1996: 154). وعليه فان فهم كيفية تعلم الافراد يمكن ان يفسر لنا كيف يمكن ان تتعلم المنظمات. وبهذا الخصوص طرح (Hedberg, 1981: 55)، تساؤلا مهما فيما اذا كانت المنظمات في الواقع تتعلم ، وقد اشار الى ان العديد من المنظرين التنظيميين لا يؤيدون معاملة المنظمات كنظم حية ، وقد افترضوا ان المنظمات هي بمثابة كيانات مشيدة لاغير ، لذا فهي من الناحية الفعلية لاتفعل شيئا وان اهم ما يميزها ان لديها مجموعة من الافراد ، اي ان المعرفة الجديدة تبدأ مع الفرد.

ولاجل الوصول الى فهم افضل للتعلم التنظيمي ، فانه من المهم القاء نظرة على العلاقة بين التعلم على مستوى الفرد ، والتعلم على مستوى الجماعة. ان التاكيد على العلاقة بين المستويات السابقة يذكرنا بالتساؤل التقليدي الذي طرحه (Argryis & Schon, 1996 89): ومضمونه " ماهي المنظمة التي يمكن

ان تتعلم ؟ " وقد كانت اجابتهما على هذا التساؤل هو: ان مجموعات الافراد تعبر عن قدرة تنظيمية على الفعل في حال وضع القواعد اللازمة لصنع القرارات والاحكام المتعلقة بعضوية الفرد في المنظمة ، والتفويض وبناء السياسات والاجراءات والنظم والثقافات. ومتى ما عملت تلك المجموعات للمنظمة فانه يمكن ان يقال عنها انها تتعلم ، وبالتالي فان التعلم سيكون على مستوى المنظمة ايضا. (Marsick & Neaman ,1996: 99)

وقد ميز (Espejo et al ,1996: 155-156) بين التعلم الفردي والتعلم الجماعي ، اذ اشاروا الى ان التعلم الفردي يشير الى الخبرات الشخصية المملوكة من قبل الافراد التي يتفاعلون بها مع الاخرين. اما التعلم الجماعي ، فانه يشير الى المشاركة في الاهتمامات العامة او الحالات التي تفضي الى تحقيق التعلم التنظيمي ، وهم يؤكدون ايضا على ان المنظمات تتعلم عندما ينجح افرادها في التغلب على العوائق التي تقلل من فرص اكتشاف الاخطاء وتصحيحها. ويتفق مع هذا الرأي عدد لا بأس به من الباحثين الذين ميزوا بين التعلم الفردي و الجماعي والتعلم التنظيمي، اذ اكدوا على ان التعلم على مستوى الجماعة هو بمثابة الجسر الذي يربط بين التعلم الفردي والتعلم التنظيمي ، فمن خلال التعلم الجماعي يتم تحويل تصورات الافراد ومعرفتهم الى تعلم تنظيمي. (Marsick & Neaman ,1996: 102)

٣- عمليات التعلم التنظيمي

ان النموذج او الاطار السائد لفهم التعلم التنظيمي قد تاثر بشكل كبير بمنظور معالجة المعلومات (Cyert & March ,1992:16)، والمنظمات باتت تدرك اهمية ان تمتلك القدرة على معالجة المعلومات التي تتمثل مراحلها ب: اكتساب ونشر وتفسير وخزن المعلومات عبر المنظمة (Huber,1991:88-89). وبهذا الخصوص، فقد اكد اغلب الباحثين ان التعلم التنظيمي هو: عملية متعددة المراحل تتكون من اكتساب المعلومات ونشرها وتفسيرها وخزنها. (Boisot & Child ,1996: 600). وان هذه المراحل هي: بمثابة الخطوات الرئيسية في تحويل المعلومات الى معرفة وتلعب دورا مفاهيميا اساسيا في ادبيات التعلم التنظيمي (Pawlowsky ,2003: 68). وقد طور (Huber ,1991: 88-115) استاذ الدراسات العليا في كلية ادارة الاعمال لجامعة اوستن / تكساس في مقالته الموسومة ORGANIZATIONAL LEARNING: THE CONTRIBUTING PROCESSES AND THE LITERATURES) نموذجا شدد فيه على اهمية اربعة عمليات في التعلم التنظيمي تتمثل في: اكتساب المعرفة ، وتوزيع المعلومات وتفسيرها ، والذاكرة التنظيمية. يضاف الى ذلك اعتمد كل من Slater & Narver,1995 ; Jones,2006 ; Martinez-Leon & Martinez-Garcia,2011; Santos-Vijande et al ,2012. اربعة ابعاد للتعلم التنظيمي وهي: اكتساب المعلومات ، نشر المعلومات ، تفسير المعلومات ، والذاكرة التنظيمية. وبناءا على ما سبق ، وبالاعتماد على النموذج (Huber) والباحثين الاخرين في اعلاه تبني الباحثان العمليات الآتية كابعاد للتعلم التنظيمي في الدراسة الحالية وهي:

أ- اكتساب المعلومات Information Acquisition

يمثل اكتساب المعلومات الخطوة الأولى في عملية التعلم التنظيمي ويقصد بها: تحديد المعلومات الملائمة والمفيدة للمنظمة والعمل من أجل الحصول عليها من المصادر الداخلية والخارجية. علما ان المنظمات قادرة على تعلم ما تعلمه الافراد العاملين فيها من خلال تفاعلهم مع اطراف اخرى تمتلك معلومات مهمة ، وتعلم هذه المعلومات عبر مختلف الطرق الادراكية والسلوكية. (Boisot & Child ,1996 :601) ان هذا النوع من التفاعل يحدث في حالات متنوعة منها على سبيل المثال ، الكادر التسويقي في منظمة ما قد يحصل على معلومات مهمة ذات صلة بالسوق من خلال الاجتماعات التي تعقد مع المجهزين ، والموزعين وغيرهم. كذلك تحصل المنظمة على المعلومات من خبرة العاملين فيها مثال ذلك ، قد توظف المنظمة بعض العاملين الذين يمتلكون معرفة تسويقية مهمة ، او اية معرفة في مجالات عملها الاخرى. يضاف الى ذلك ، فان المنظمة قد تكون مصدرا مهما للمعلومات، وفي مثل هذه الحالة تكون المنظمة بمثابة مخزون معرفي يستطيع العاملون استخراج المعلومات المفيدة منه.

ب- نشر المعلومات Information Dissemination

بمجرد الحصول على المعلومات يفترض نشرها عبر المنظمة ، اي جعلها متاحة لكل الاجزاء او الوحدات التنظيمية، وعلى وجه الخصوص الوحدات التي تكون بامس الحاجة لها. (Slater & Narver,1995) وفيما يتعلق بذلك ، تستخدم المنظمات اساليب متنوعة يمكن من خلالها نشر المعلومات ،ومن بين اهم هذه الاساليب ، اسلوب الرسائل الموجهه ، واسلوب الرسائل الملخصة. فعن طريق الرسائل الموجهه توزع المعلومات او تنشر الى وحدات تنظيمية محددة ، في حين تسعى المنظمة من خلال تبني اسلوب الرسائل الملخصة الى تقليل حجم المعلومات واعادة تشكيل المعنى بأمانة تامة. (Daft & Huber, 1987: 4)

ان نشر المعلومات يحقق ثلاثة متضمنات للتعلم التنظيمي تتمثل ب: أ- انها تزيد من سرعة التعلم التنظيمي من خلال توجيه الرسائل وتلخيصها. ب- تعزز من تعلم الافراد والوحدات التنظيمية ومن ثم المنظمة ككل لانها تتضمن مصادر عديدة للمعلومات. ج- تزيد من المعرفة التنظيمية خاصة في الحالات التي لاتعرف فيها المنظمة مقدار المعلومات المتاحة لديها فعليا لغاية ما يتم تجميع اجزاء المعلومات المختلفة في الذاكرة الرئيسة. (Jones,2006: 55)

ج- تفسير المعلومات Information Interpretation

يعد غالبية الباحثين مرحلة تفسير المعلومات جزءا مهما في عملية التعلم التنظيمي كون المدراء او العاملين قد يمتلكون المعلومة الملائمة الا انهم يفشلون في اعطاء التفسير الصحيح لها. من جانب آخر ، ان المعرفة المتولدة من تفسير المعلومات يتم استيعابها داخل النظام القائم عند المستويين الفردي والجماعي

(Pawlowsky et al, 2003:777). لذا يفترض تحويل المعرفة الضمنية الى معرفة صريحة لتسهيل المشاركة فيها ومن ثم دمجها في الروتين والإجراءات التنظيمية. (Boisot & Child, 1996: 604) وبخصوص التفسيرات المتنوعة للمعلومات فقد أكد (Slater & Navaer, 1995: 68) على ضرورة ان يتحقق اجماع المعنيين سواء كانوا مدراء او عاملين او الاثنيين معا على كل او بعض هذه التفسيرات. يضاف الى ذلك ، يجب ان يتمتع افراد المنظمة بشعور المشاركة في التفسير من اجل توليد المزيد من التفسيرات الشاملة للمعرفة الجديدة.

د-الذاكرة التنظيمية Organizational Memory

ان المرحلة الاخيرة في التعلم التنظيمي تتضمن ايداع المعرفة الجديدة في ذاكرة المنظمة ، وان هذه المعلومات يتم تحويلها الى فعل تنظيمي جديد ، فضلا عن اعادة تعديل روتينات واجراءات المنظمة في ضوء تلك المعرفة التي يتم خزنها. (Jones, 2006: 45). والذاكرة التنظيمية تتضمن جزئين هما ، التخزين والاحتفاظ بالمعلومات ، واسترجاع المعلومات. ان المعلومات المخزونة في الذاكرة التنظيمية قد تكون حول القواعد و الاجراءات والتكنولوجيا و المعتقدات والثقافات التي يتم تبنيها عبر عمليات التنشئة الاجتماعية. (Levitt & March, 1988:320). وهي عادة تصنف الى معلومات صلبة ومعلومات ناعمة ، ويقصد بالمعلومات الصلبة المعلومات التي تسجل على الوثائق والملفات ، وتتجسد في اجراءات العمل والروتينات وغير ذلك. اما المعلومات الناعمة ، فهي تتضمن المعلومات المخزونة في عقول افراد المنظمة. وفيما يتعلق ، باسترجاع المعلومات فانه يعتمد على مدى توافر المعلومات المخزونة ومستوى الاسترجاع ، وان توافر المعلومات يعتمد على سهولة ايجاد المعلومات و مدى تكرار استخدامها. علما ان هناك مستويين لاسترجاع المعلومات وهما على مستوى الافراد وعلى مستوى المنظمة. (Walsh & Ungson, 1991:32).

ثالثا- العلاقة بين الهيكل التنظيمي والتعلم التنظيمي

بما ان الهيكل التنظيمي يتسم بالدينامية ، لذا يمكن تغييره عبر الوقت اذا تغيرت الظروف التنظيمية ، هذا من جانب ، ويمكن تعديله بالشكل الذي يساعد الافراد العاملين في المنظمات على اكتساب الخبرات والمعارف الجديدة من جانب آخر. وقد اشار (Fiol & Lyles, 1985) ان الهيكل التنظيمي يؤثر في قدرة المنظمات على التعلم لاسباب عديدة منها: (Martinez-Leon & Martinez- Garcia, 2011: 543)

١. ان التعلم التنظيمي يجسد عمليات ، او ممارسات فيها بعض الخصوصية لمنظمة دون غيرها ، لذا فان للهيكل التنظيمي دور اساسي في تشكيل مثل هذه الممارسات.
٢. الهيكل التنظيمي يقوم بتحديد آليات التفاعل مما يساعد في عملية النهوض بعمليات التعلم داخل المنظمة.
٣. يؤثر الهيكل التنظيمي في تدفق المعلومات التي تحتاج اليها عملية التعلم داخل المنظمات.

٤. تحتاج النشاطات التعليمية الى التنسيق ، وان الآليات التي تستخدم في انجاز الفعاليات التنسيقية تلعب دورا مهما في تشكيل عمليات التعلم التنظيمي.

يتضح من الاسباب الواردة اعلاه ان الهيكل التنظيمي له تأثير كبير على التعلم التنظيمي من خلال دوره في تحديد آليات التفاعل والتنسيق وتدفق المعلومات وغير ذلك. وقد اتفق (Morgan & Ramirez 1984:13) مع ما جاء به (Fiol & Lyles) حول التأثير الكبير للهيكل التنظيمي على التعلم التنظيمي ، اذ اشارا الى ان المرونة واللامركزية والهيكل العضوية تعزز عمليات التعلم داخل المنظمات ، اذ يرا الباحثين ان المنظمات يمكن ان تصمم بطريقة تعزز من عمليات التعلم فيها. وقد بين (Hong 1999:89) انه بالرغم من الاهتمام القليل الذي ناله موضوع العلاقة بين الهيكل والتعلم التنظيمي ، الا انه من المتوقع ان الهيكل التنظيمي مع خصائصه العضوية يعزز ثقافة التعلم في المنظمات. في حين يرى (Shipton et al, 2002: 58) ان هناك علاقة سلبية بين الهياكل التي تتسم بالمركزية وآليات التعلم التنظيمي. من جانب آخر اشار (Huang et al, 2011: 1106) الى ان الهياكل العضوية هي اكثر ارتباطا مع عمليات التعلم ، فعلى سبيل المثال ، ان الهياكل العضوية تشجع اللامركزية في عمليات اتخاذ القرار وبالتالي فهي تسمح للأفراد ممن يمتلكون المعرفة الضمنية بمشاركة أكبر في مثل هذه العمليات. وبخصوص العلاقة بين حجم المنظمة وعمليات التعلم التنظيمي فقد اشار (Davenport & Prusak, 1998) ان عملية خلق ومشاركة وتحويل المعلومات او المعرفة تكون اسهل في المنظمات الصغيرة والمتوسطة بالمقارنة مع المنظمات الكبيرة ، آخذين بالاعتبار عنصر قوى العمل كمقياس لحجم المنظمة. ووفقا لرأي (Martinez-Leon & Martinez-Garcia, 2011: 543) ان الهيكل التنظيمي يلعب ايضا دورا اساسيا في قدرة المنظمة على تحديد مصادر المعرفة المطلوبة واكتساب المعرفة الجديدة ، ودمجها في الذاكرة التنظيمية. ومن هذا المنطلق ، فان للهيكل التنظيمي اهمية كبيرة في كيفية معالجة المنظمة للمعرفة. يتضح مما تقدم في اعلاه ، ان لنمط الهيكل التنظيمي اهمية خاصة في دعم عمليات التعلم التنظيمي على مستوى الافراد ، والجماعة ، والمنظمة ككل. فمن خلاله يستطيع المدراء صياغة الانشطة التنظيمية وتحديد الاجراءات والعمليات الادارية ذات الصلة بمراحل او عمليات التعلم التنظيمي ، وبالتالي فانه قد يسهم او يعيق قدرة المنظمة على الاستجابة للمستجدات البيئية.

المبحث الثالث: الجانب الميداني

أولا. مقياس البحث

صمم مقياس البحث بالاعتماد على مقياس (Likert) الخماسي ، وتم إخضاعه للاختبارات الآتية:-

١. اتساق وثبات مقياس البحث

قام الباحثان بالتأكد من اتساق وثبات مقاييس البحث بطريقة ألفا كرونباخ، وقد تم حساب معامل الثبات للمقاييس باستخدام معامل ألفا كرونباخ وقد بلغت قيمة المعامل (٠,٨١)، وهي مقبولة إحصائياً في البحوث الإدارية والسلوكية لان قيمتها أكبر من (٠,٧٥)، وتدل على الاتساق الداخلي للمقياس.

٢. الصدق الظاهري لمقياس البحث:

بهدف التأكد من الصدق الظاهري لمقياس البحث تم عرضه بصيغته النهائية على عدد من المختصين (ملحق رقم ١)، وقد اعتمدت الملاحظات التي أبدوها، وعدلت فقرات المقياس بما يتلاءم والمقترحات المذكورة.

ثانياً: الإحصائيات الوصفية:

يلاحظ في جدول رقم (٤) مصفوفة الارتباط والإحصائيات الوصفية لمتغيرات الدراسة:

١- المركزية (Cent.)

حقق بعد المركزية وسطاً حسابياً موزوناً مقداره (٣,٦٨)، وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، بانحراف معياري بلغ (١,٠٦) ، وهذا يدل على ان المنظمة المبحوثة تعتمد على المركزية في تسيير أعمالها ، ويدعم ذلك انخفاض قيمة الانحراف المعياري مما يؤشر اتساق اجابات افراد العينة بخصوص البعد المذكور.

٢- الرسمية (Form.)

بلغ الوسط الحسابي الموزون لبعده الرسمية (٣,٧٨) ، وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، بانحراف معياري بلغ (٠,٩٧) ، وهذا يدل على ان المنظمة قيد الدراسة تعتمد الرسمية الى حد كبير عبر توثيق الاوامر والتعليمات والتزام العاملين بها. ويدعم ذلك انخفاض قيمة الانحراف المعياري ما يؤشر اتساق اجابات افراد العينة بخصوص بعد الرسمية.

٣- التخصص (Spe.)

حقق بعد التخصص وسطاً حسابياً موزوناً مقداره (٣,٩٩) ، وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، وهذا يدل على وجود التخصص بدرجة عالية الى حد ما في المنظمة قيد الدراسة. ويدعم ذلك انخفاض قيمة الانحراف المعياري البالغة (١,٠٤) ، مما يؤشر اتساق اجابات افراد العينة بخصوص البعد المذكور.

٤- التعقيد (Comp.)

بلغ الوسط الحسابي الموزون لبعده التعقيد (٣,٦٢) ، وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، وهذا يدل على وجود درجة عالية من التعقيد في المنظمة المبحوثة. ويدعم ذلك قيمة الانحراف المعياري البالغة (١,٠٦) ، مما يعني تقارب اجابات افراد العينة وقوة اتفاقها.

جدول رقم (٤) مصفوفة الارتباط، والأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لمتغيرات البحث (N = ٨٤)

Org. L	Me.	Intr.	Diss.	Acq.	Stru.	Comp.	Spe.	Form	Cen.	
									١	Cen.
								١	*٠,٤٩	Form.
									*	
							١	*٠,٥٢	*٠,٤٢	Spe.
								*	*	
						١	*٠,٢٦	٠,١٨	*٠,٣٤	Comp.
									*	
					١	*٠,٥٩	*٠,٧٦	*٠,٧٥	*٠,٨٠	Stru.
						*	*	*	*	
				١	٠,١٩-	٠,٠٥	٠,١٦-	-	٠,١٧-	Acq.
								*٠,٢٥		
					*٠,٤١		*٠,٣٤	*٠,٣٩	*٠,٣٢	Diss
			١	٠,١٧-	*	٠,١٣	*	*	*	
		١	*٠,٢٣	*٠,٢٣	٠,١٠	٠,١٨	٠,١٤	٠,٠٧	٠,٠٧-	Intr.
		١	*٠,٣١	*٠,٨٣	٠,٠٥	*٠,١٧	٠,١٠	٠,٠٥	٠,٢٠	Me.
			*	*						
١	*٠,٦٧	*٠,٧٣	*٠,٥٩	*٠,٤٦	٠,٢٠	٠,١٩	٠,١٥	٠,١٦	٠,٠٩	Org. L
			*	*						
٢,٨	٢,٩٥	٢,٨٥	٣,١	٢,٥	٣,٧١	٣,٦٢	٣,٩٩	٣,٧٨	٣,٦٨	وسط
٦										حسابي
١,٣	١,٣٣	١,٣٥	٠,٩٧	١,٣٢	١,٠٥	١,٠٦	١,٠٤	٠,٩٧	١,٠٦	انحراف
٦										معياري

المصدر: إعداد الباحثان
*معنوي عند مستوى ٥%.

** معنوي عند مستوى ١%.

٥- الهيكل التنظيمي (Struc.)

نال متغير الهيكل التنظيمي وسطاً "حسابياً" موزوناً عاماً بلغ (٣,٧١)، وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، ما يدل على ان نمط الهيكل التنظيمي السائد على مستوى المنظمة والمصانع التابعة لها هو النمط الآلي الذي يعتمد على تبني المركزية والرسومية والتخصص والتعقيد الى حد كبير. ويدعم ذلك انخفاض قيمة الانحراف المعياري البالغة (١,٠٥)، ما يعني اتساق اجابات افراد العينة حول متغير الهيكل التنظيمي.

٦- أكتساب المعلومات (Acq.)

حقق بعد اكتساب المعلومات وسط حسابي موزون مقداره (٢,٥) ، وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، بانحراف معياري عام بلغ (١,٣٢)، ما يدل على ادراك عينة البحث لضعف توافر هذا البعد في المنظمة مجتمع الدراسة. يضاف الى ذلك ، كانت قيمة الانحراف المعياري مرتفعة الى حد ما ، ما يعني تشتت اجابات العينة حول هذا البعد.

٧- نشر المعلومات (Diss.)

بلغ الوسط الحسابي الموزون لبعد نشر المعلومات (٣,١) ، وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، ما يدل على ان نشر المعلومات ينال اهتمام محدود الى حد ما من قبل المنظمة موضوع البحث ، ويدعم ذلك قيمة الانحراف المعياري البالغة (٠,٩٧). ما يؤشر ان البيانات متجانسة.

٨- تفسير المعلومات (Intr.)

بلغ الوسط الحسابي الموزون لبعد تفسير المعلومات (٢,٨٥) وهو اقل من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، ما يعني ضعف توافر هذا البعد في المنظمة موضوع الدراسة ، ويعزز ذلك ارتفاع قيمة الانحراف المعياري الى حد ما وبالغته (١,٣٥). ما يؤشر تشتت اجابات افراد العينة وعدم اتفاقها حول هذا البعد.

٩- الذاكرة (Memo.)

حقق بعد الذاكرة التنظيمية وسطاً "حسابياً" موزوناً بلغ (٢,٩٥) ، وهو اقل من الوسط الفرضي البالغ (٣)، ما يدل على ضعف توافر هذا البعد في المنظمة المذكورة ، ويعزز ذلك ارتفاع قيمة الانحراف المعياري الى حد ما وبالغته (١,٣٣) ، وهذا يؤشر ضعف تجانس اجابات العينة وعدم اتفاقها حول هذا البعد.

١٠- التعلم التنظيمي (Org.lear.)

نال متغير التعلم التنظيمي وسطاً "حسابياً" عاماً موزوناً بلغ (٢,٨٦)، وهو اوطأ من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، ما يعني ضعف توافر متغير التعلم التنظيمي في المنظمة موضوع البحث ، وعزز ذلك ارتفاع قيمة الانحراف المعياري الى حد ما وبالغته (١,٣٦)، ما يؤشر ضعف اتفاق افراد عينة الدراسة حول هذا المتغير.

ثالثاً: اختبار فرضيات البحث

اختبار فرضيات الارتباط

اعتمد الباحثان على معامل ارتباط (Pearson) من اجل اختبار الفرضية الرئيسة الاولى ، وما انبثق عنها من فرضيات فرعية وعلى النحو الآتي:

١ - اختبار الفرضية الفرعية الأولى:

يتبين من جدول رقم (٤) ان قيمة معامل الارتباط بين بعد المركزية ومتغير التعلم التنظيمي بلغت (٠,٠٩)، وهي قيمة وان كانت موجبة الا انها ضعيفة جدا وغير دالة احصائيا ، ما يعني ان تقييد المنظمة لحرية تصرف الافراد والوحدات التنظيمية، وحصر عملية اتخاذ القرارات في المستويات العليا من شأنه يضعف الانشطة والفعاليات الخاصة بالتعلم التنظيمي داخل المنظمة المذكورة.

٢ - اختبار الفرضية الفرعية الثانية:

يتبين من جدول رقم (٤) ان قيمة معامل الارتباط بين بعد الرسمية ومتغير التعلم التنظيمي بلغت (٠,١٦)، وهي قيمة موجبة الا انها ضعيفة وغير دالة احصائيا ، وتفسر هذه العلاقة ان التوسع في اعتماد الرسمية من خلال توثيق الاوامر والتعليمات والاجراءات والزام العاملين بضرورة العمل بموجبها وعدم الخروج عنها قيد حرية هؤلاء في التعامل مع المهام المكلفين بها ، هذا من جانب ، وان هذا التوسع قد اضعف الى حد كبير أنشطة وفعاليات التعلم التنظيمي داخل المنظمة المذكورة من جانب آخر.

٣ - اختبار الفرضية الفرعية الثالثة:

يتبين من جدول رقم (٤) ان قيمة معامل الارتباط بين بعد التخصص ومتغير التعلم التنظيمي بلغت (٠,١٥) ، وهي قيمة موجبة وضعيفة وغير دالة احصائيا، ما يعني ان توسع المنظمة موضوع الدراسة في اعتماد اسلوب التخصص العالي يؤدي الى ضعف الانشطة والفعاليات ذات الصلة بالتعلم على مستوى العاملين والمنظمة ككل.

٤ - اختبار الفرضية الفرعية الرابعة:

يتبين من جدول رقم (٤) اعلاه ان قيمة معامل الارتباط بين بعد التعقيد ومتغير التعلم التنظيمي بلغت (٠,١٩) وهي قيمة موجبة ولكنها غير دالة احصائيا. و تفسر هذه العلاقة ارتفاع مستوى التعقيد في المنظمة موضوع الدراسة والمتمثل بوجود درجة عالية من التداخل والازدواجية في الانشطة والفعاليات وتعدد المستويات الاشرافية ، ما ادى الى عدم الاهتمام بتنمية قابليات التعلم التنظيمي داخل المنظمة المذكورة.

بعد اختبار الفرضيات الفرعية المنبثقة عن الفرضية الرئيسة الاولى قام الباحثان باختبار الفرضية الرئيسة الاولى بشكل عام ، ويتبين من جدول رقم (٤) اعلاه ان قيمة معامل ارتباط الهيكل التنظيمي مع التعلم التنظيمي وبشكل عام بلغت (٠,٢٠)، وهي قيمة موجبة وغير دالة احصائيا ، ما يدل على ان الهيكل التنظيمي المعتمد من قبل المنظمة المبحوثة وبصيغتها الحالية لا يمكن ان تساهم في تحسين التعلم التنظيمي

بالشكل الذي يساعدها على التكيف للمتغيرات البيئية، ومن ثم عدم قدرتها على منافسة المنتجات الاجنبية في الاسواق المحلية والعالمية.

اختبار فرضيات الاثر:-

استخدم الباحثان تحليل الانحدار البسيط من اجل اختبار الفرضية الرئيسية الثانية وما تفرع عنها من فرضيات فرعية وحسب الجدول الاتي:

جدول رقم (٥) اختبار الفرضية الرئيسية الثانية

R ²	F	Organizational Learning		تابع مستقل
		β	A	
٠,٠٠٨	٠,٦٦٧	٠,٠٦	٢,٦٣	Cent.
٠,٠٢٥	٢,١٣	٠,١٢	٢,٤١	Form.
٠,٠٢٣	١,٩٨	٠,١١	٢,٤٠	Spe.
٠,٠٣٧	٣,١٧	٠,١٦	٢,٢٩	Comp.
٠,٠٠٤	٣,٤٢	٠,٢١	٢,٠٨	Stru.

- تبلغ قيمة (F) الجدولية عند مستوى معنوية ١% (٦,٧٤).

- تبلغ قيمة (F) الجدولية عند مستوى معنوية ٥% (٣,٨٧).

يتبين من جدول رقم (٥) ما يأتي:-

١- إن قيمة معامل انحدار بعد المركزية على متغير التعلم التنظيمي بلغت (٠,٠٦) وهي قيمة موجبة الا انها ضعيفة وغير دالة احصائيا، ما يؤشر ان هذا التأثير غير فعال من الناحية العملية، وبديل على إن التعلم التنظيمي يزداد بمقدار (٠,٠٦) إذا ازداد استخدام المنظمة للمركزية في ادارة نشاطاتها، وما يدعم ذلك إن قيمة (F) المحسوبة لأنموذج الانحدار قد بلغت (٠,٦٦٧)، وهي قيمة غير معنوية، وقد بلغت قيمة معامل التحديد (٠,٠٠٨)، وهذا يعني إن بعد المركزية يفسر ما نسبته (٠,٨%) من التغيرات التي تطرأ على التعلم التنظيمي. إن النتائج أعلاه تدعم صحة الفرضية الفرعية الاولى التي تنص على عدم وجود علاقة أثر ذات دلالة معنوية بين بعد المركزية والتعلم التنظيمي.

٢- إن قيمة معامل انحدار بعد الرسمية على متغير التعلم التنظيمي بلغت (٠,١٢)، وهي قيمة موجبة الا انها ضعيفة وغير دالة احصائيا، ما يؤشر ان هذا التأثير غير فعال من الناحية العملية، وبديل على إن التعلم التنظيمي يزداد بمقدار (٠,١٢) إذا ازداد استخدام المنظمة للرسمية في ادارة نشاطاتها. وما يدعم ذلك إن قيمة (F) المحسوبة لأنموذج الانحدار بلغت (٢,١٣)، وهي قيمة غير معنوية، وقد بلغت قيمة معامل التحديد (٠,٠٢٥). وهذا يعني إن بعد الرسمية يفسر ما نسبته (٢,٥%) من التغيرات التي تطرأ على التعلم التنظيمي. إن النتائج أعلاه تدعم صحة الفرضية الفرعية الثانية التي تنص على عدم وجود علاقة أثر ذات دلالة معنوية بين بعد الرسمية والتعلم التنظيمي.

٣- حقق بعد التخصص معامل انحدار على متغير التعلم التنظيمي مقداره (٠,١١)، وهي قيمة موجبة وغير دالة احصائيا. ما يؤشر ان هذا التأثير غير فعال من الناحية العملية، ويدل على إن التعلم التنظيمي يزداد بمقدار (٠,١١) إذا ازداد استخدام المنظمة للتخصص في ادارة نشاطاتها. وما يدعم ذلك إن قيمة (F) المحسوبة لأنموذج الانحدار بلغت (١,٩٨) وهي قيمة غير معنوية، وقد بلغت قيمة معامل التحديد (٠,٠٢٣)، وهذا يعني إن بعد التخصص يفسر ما نسبته (٣,٢%) من التغيرات التي تطرأ على التعلم التنظيمي. إن النتائج أعلاه تدعم صحة الفرضية الفرعية الثالثة التي تنص على عدم وجود علاقة أثر ذات دلالة معنوية بين بعد التخصص والتعلم التنظيمي.

٤- حقق بعد التعقيد معامل انحدار على متغير التعلم التنظيمي مقداره (٠,١٦)، وهي قيمة موجبة وغير دالة احصائيا، ما يؤشر ان هذا التأثير غير فعال من الناحية العملية، ويدل على إن التعلم التنظيمي يزداد بمقدار (٠,١٦) إذا ازداد التعقيد في ادارة نشاطات المنظمة، وما يدعم ذلك إن قيمة (F) المحسوبة لأنموذج الانحدار بلغت (٣,١٧) وهي قيمة غير معنوية، وقد بلغت قيمة معامل التحديد (٠,٠٣٧)، وهذا يعني إن بعد التعقيد يفسر ما نسبته (٧,٣%) من التغيرات التي تطرأ على التعلم التنظيمي. إن النتائج أعلاه تدعم صحة الفرضية الفرعية الرابعة التي تنص على عدم وجود أثر علاقة ذات دلالة معنوية بين بعد الرسمية والتعلم التنظيمي.

٥- ان قيمة معامل انحدار متغير الهيكل التنظيمي على متغير التعلم التنظيمي بلغت (٠,٢١)، وهي قيمة موجبة وغير دالة احصائيا، ما يؤشر ان هذا التأثير غير فعال من الناحية العملية، ويدل على إن التعلم التنظيمي يزداد بمقدار (٠,٢١) إذا ازداد اهتمام الشركة بالهيكل التنظيمي. وما يدعم ذلك إن قيمة (F) المحسوبة لأنموذج الانحدار بلغت (٣,٤٢)، وهي قيمة غير معنوية، وقد بلغت قيمة معامل التحديد (٠,٠٤)، وهذا يعني إن متغير الهيكل التنظيمي يفسر ما نسبته (٤%) من التغيرات التي تطرأ على التعلم التنظيمي. إن النتائج أعلاه تدعم صحة الفرضية الرئيسية الثانية التي تنص على عدم وجود أثر علاقة ذات دلالة معنوية بين الهيكل التنظيمي والتعلم التنظيمي.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

اولا: الاستنتاجات

اظهرت الدراسة عدد من الاستنتاجات هي:

١. دلت نتائج التحليل الاحصائي لاستجابات افراد العينة ، ان بعد المركزية جاء بوسط حسابي موزون مقداره (٣,٦٨)، وهو اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، ما يؤشر ان ادارة المنظمة موضوع البحث لم تدعم مشاركة العاملين في صياغة رؤية المنظمة وإستراتيجيتها بالشكل المطلوب ، وان الصلاحيات الممنوحة لهم غير كافية لانجاز الاعمال المكلفين بها ، وان اغلب الافكار التي تطرح من قبلهم تمر عبر سلسلة طويلة من التدرج الاداري قبل وصولها الى الادارة العليا.

٢. حقق بعد الرسمية وسط حسابي موزون بلغت قيمته (٣,٧٨) ، وهو اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، ما يدل على ان هناك درجة عالية من توثيق الاوامر والتعليمات والاجراءات التنظيمية ، وان السياسات والاجراءات المعتمدة في كثير من الاحيان تحول دون وصول المعلومات الى الجهات التي هي بحاجة اليها بالوقت المناسب ، هذا فضلا عن التزام العاملون بالتوجيهات والتعليمات عند تنفيذ الانشطة والفعاليات المسندة اليهم.
٣. جاء بعد التخصص بأعلى وسط حسابي موزون مقداره (٣,٩٩) ، وهو اعلى من الوسط الفرضي (٣) ، ما يعني ان التخصص في المنظمة المبحوثة يتوافر بدرجة عالية الى حد ما ، اذ نجد ان العاملين يكلفون بالاعمال التي تتفق مع قدراتهم ومؤهلاتهم ، وهم يقومون بتأدية المهام ذات الصلة بتخصصاتهم الوظيفية دون غيرها ، وعليه يشعرون بالملل لقلّة عدد الانشطة والفعاليات المكلفين بها.
٤. في حين حقق بعد التعقيد وسط حسابي موزون مقداره (٣,٦٢) ، وهو اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، ما يؤشر ان الانشطة والانظمة الفرعية في المنظمة تتمايز عن بعضها ، اذ نجد ان الاهداف التنظيمية تتسم بالتعدد والتنوع ، وان هناك عدد كبير من المستويات الاشرافية ، وتواجه المنظمة المبحوثة صعوبة في التنسيق والسيطرة على الانشطة والفعاليات التي تقوم بها ، هذا فضلا عن وجود درجة عالية من التداخل والازدواجية في ما بينها.
٥. وقد جاء متغير الهيكل التنظيمي بوسط حسابي موزون بلغت قيمته (٣,٧١) ، وهو اعلى من الوسط الفرضي (٣) ، ما يدل على ان نمط الهياكل التنظيمية السائدة على مستوى المنظمة والمصانع التابعة لها موضوع البحث هو النمط الآلي الذي يعتمد المركزية ، والرسمية ، والتخصص ، والتعقيد الى حد كبير.
٦. اظهرت نتائج التحليل الاحصائي ان بعد اكتساب المعلومات حقق اوطأ وسط حسابي موزون مقداره (٢,٥) ، وهو اقل من الوسط الفرضي (٣) ، ما يؤشر ان الخطوة الاولى في عملية التعلم التنظيمي تعاني من ضعف كبير يتمثل في عدم قدرة المنظمة موضوع البحث على تحديد المعلومات المناسبة التي ينبغي الحصول عليها، اذ نجد ان المنظمة المذكورة لم تولي عملية التعلم من ممارسات واستراتيجيات المنظمات المنافسة ، وتشجيع العاملين على البحث عن كل ما هو جديد في مجال عملهم ، واستقطاب الافراد من ذوي المهارات والخبرات العالية الاهتمام اللازم ، هذا فضلا عن عدم اعتماد التجارب والخبرات السابقة كأساس للعمل في المستقبل.
٧. في حين جاء بعد نشر المعلومات بوسط حسابي موزون بلغ (٣,١) ، وهو اعلى من الوسط الفرضي البالغ (٣) ، ما يعني ان المنظمة تهتم الى حد ما بنشر المعلومات ، من خلال استخدام التقارير الرسمية كوسيلة لنقل المعلومات عبر الوحدات التنظيمية ، وتشجيع العاملين على تبادل الآراء والافكار فيما بينهم عن طريق توليد الرغبة والاستعداد لفعل ذلك ، وتوفير ادوات تكنولوجيا المعلومات اللازمة لنقل المعلومات بين العاملين من جهة والوحدات التنظيمية من جهة اخرى.

٨. اما بعد تفسير المعلومات فقد حقق وسط حسابي موزون بلغت قيمته (٢,٨٥) ، وهو اقل من الوسط الحسابي الموزون (٣) ، ما يؤشر ان المنظمة موضوع البحث تعاني من ضعف في تحويل المعرفة الضمنية الى معرفة صريحة و دمجها في الروتين والاجراءات التنظيمية ، اذ نجد ان المنظمة عينه الدراسة تواجه صعوبة في التخلص من المعرفة القديمة و احلالها بمعرفة جديدة ، وضعف امتلاك العاملين للخبرات اللازمة لتفسير المعلومات بشكل صحيح ، هذا فضلا عن ان كثافة المعلومات المتدفقة الى المنظمة تتجاوز قدرتها على تفسير تلك المعلومات.

٩. في حين جاء بعد الذاكرة التنظيمية بوسط حسابي موزون بلغ (٢,٩٥) ، وهو اقل من الوسط الحسابي الموزون (٣) ، ما يؤشر وجود ضعف واضح في عملية ايداع المعرفة الجديدة في ذاكرة المنظمة ، وتحويل هذه المعرفة الى فعل تنظيمي جديد ، اذ نجد ان المنظمة عينه الدراسة لم تولي خزن المعرفة الخاصة بكيفية تنفيذ الاعمال الاهتمام الكافي ، ولم يتم تصنيف وحفظ المعرفة بطريقة يسهل الوصول اليها ، هذا فضلا عن ان اهتمام المنظمة بتوسيع قاعدة المشاركة في تحديد الحاجة الى المعلومات كان دون المستوى المطلوب.

١٠. وقد جاء متغير التعلم التنظيمي بوسط حسابي موزون بلغت قيمته (٢,٨٦) ، وهو اقل من الوسط الحسابي الموزون (٣) ، ما يؤشر عدم اهتمام المنظمة بالمتغير المذكور ، اذ تبين من تحليل استجابات افراد العينة في اعلاه وجود تباين في قيم الاوساط الحسابية الموزونة على مستوى ابعاد التعلم التنظيمي ، اذ كانت اغلب هذه القيم دون الوسط الفرضي.

١١. بلغت قيمة معامل الارتباط بين الهيكل التنظيمي والتعلم التنظيمي (٠,٢) ، وهي قيمة ضعيفة وغير دالة احصائيا. وكانت علاقات الارتباط بين ابعاد الهيكل التنظيمي واجمالي التعلم التنظيمي ضعيفة ايضا وغير دالة احصائيا ، اذ بلغت قيم معاملات ارتباط المركزية ، الرسمية ، التخصص ، التعقيد (٠,٩ ، ٠,١٦ ، ٠,١٥ ، ٠,١٩) على التوالي.

١٢. وفيما يتعلق بعلاقات التأثير ، اتضح من التحليل الاحصائي ان ابعاد الهيكل التنظيمي كان لها تأثير ضعيف وغير دال معنويا ، اذ بلغت قيمة F المحسوبة ل (المركزية ، الرسمية ، التخصص ، التعقيد) (٠,٦٦٧ ، ٠,١٣ ، ١,٩٨ ، ٣,١٧) على التوالي ، ما يؤشر ضعف مساهمة الهيكل التنظيمي في تعزيز عمليات التعلم الخاصة بالمنظمة موضوع الدراسة لاعتماده سمات الهياكل الآلية.

ثانيا: التوصيات

في ضوء ما خلصت اليه الدراسة الحالية من استنتاجات يمكن طرح التوصيات الآتية:

١- اظهرت نتائج التحليل الاحصائي ، ان ادارة المنظمة المبحوثة تمارس المركزية بدرجة عالية وبالشكل الذي جعل منها عائقا امام ايجاد بيئة مشجعة على التعلم. عليه نوصي بضرورة الحد من درجة المركزية المعتمدة على مستوى المنظمة والمعامل التابعة لها ، والتوسع في منح الصلاحيات بما يضمن التوجه نحو تبني اللامركزية من خلال الآتي:

- أ- منح استقلالية أكبر لادارة الاقسام والمعامل في مجال اتخاذ القرارات اللازمة لتدفق سير العمل وعلى وجه الخصوص ، القرارات التي تدعم الانشطة والفعاليات ذات الصلة بعمليات التعلم التنظيمي.
- ب- تعديل اللوائح والتعليمات التي لا تسمح بتفويض المزيد من الصلاحيات للعاملين في المنظمة.
- ت- تشجيع العاملين على قبول الصلاحيات الممنوحة لهم عن طريق ازالة هاجس الخوف من ارتكاب الاخطاء، وتنمية رغبتهم وتطلعاتهم نحو تحمل المزيد من المسؤوليات.
- ث- اتاحة الفرصة للعاملين في التعبير عن آرائهم حول خطط الوحدات التنظيمية التي يعملون بها ، بهدف تعزيز مشاركتهم ، وتنمية مقدراتهم على طرح الآراء والافكار التي من شأنها تعزيز جهود الادارة العليا في مجال صياغة استراتيجية المنظمة وتنفيذها.
- ج- توفير بيئة تشجع العاملين في المستويات الدنيا على المبادرة في اتخاذ القرارات الادارية دون الرجوع الى الرؤساء المباشرين ، وعلى وجه الخصوص القرارات الروتينية.
- ٢- بما ان درجة الرسمية المعتمدة من قبل المنظمة موضوع الدراسة لم تشكل دافعا ايجابيا لعمليات التعلم التنظيمي ، لذا نوصي بضرورة العمل على تخفيف شدة الرسمية من خلال الآتي:
- أ- اعادة النظر في الاوامر والتعليمات والإجراءات المكتوبة التي تقيد سلوك العاملين والوحدات التنظيمية من اجل اتاحة قدر كافي من المرونة ، والاجتهاد وحرية التصرف للجهات المذكورة.
- ب- تشجيع العاملين على اداء الاعمال وفق الطريقة التي يعتقدونها على انها هي الانسب ، على ان لا يؤدي ذلك الى الخروج عن القواعد الاساسية التي تحكم عمل المنظمة.
- ٣- يتضح من نتائج الدراسة الحالية ، ان العاملين يؤدون عدد محدود من المهام المتشابهة ، اي بمعنى ان ادارة المنظمة المبحوثة تعتمد منهج التخصص العالي ، والذي كان احد اسباب انخفاض مستوى نشاطات وفعاليات التعلم داخل المنظمة المذكورة ، لذا نوصي بالآتي:
- أ- تنويع المهام التي يكلف العاملون بتنفيذها ، بهدف اكسابهم المزيد من المهارات والخبرات وابعادهم عن حالة الملل والرتابة التي هم فيها ، وبما يعزز حالة التعلم على مستوى العاملين والمنظمة.
- ب- ضرورة اهتمام المنظمة بزج اكبر عدد ممكن من العاملين في الدورات التدريبية المقامة داخل او خارج العراق ، والتي يمكن من خلالها اطلاعهم على آخر المستجدات في مجال الصناعة النسيجية.
- ٤- الحد من ظاهرة ارتفاع مستوى ظاهرة التعقيد الهيكلي لما لها من آثار سلبية على مجمل نواحي الاداء الاستراتيجي وبخاصة التعلم التنظيمي ، وبهذا الخصوص نوصي بالآتي:
- أ- تطوير سياقات عمل خاصة بالتنسيق بين مختلف أنشطة وفعاليات الوحدات التنظيمية التابعة للمنظمة.

- ب- الحد من ظاهرة التداخل والازدواجية في الانشطة والفعاليات التي تقوم بها مختلف الوحدات التنظيمية.
- ت- اعادة النظر بصفة دورية في الهيكل التنظيمي الرسمي للمنظمة ، بهدف ضمان استجابتها للتغيرات والمستجدات البيئية بالوقت المناسب.
- ٥- اشرت نتائج الدراسة الحالية حالة من الضعف في عملية اكتساب المعلومات ، ما يستدعي من المنظمة ان تولي هذه العملية الاهتمام اللازم ، لاسيما وانها تمثل الخطوة الاولى في مراحل التعلم التنظيمي من خلال الآتي:
- أ- استقطاب العاملين الذين يتمتعون بمهارات وقدرات معرفية متميزة من كلا الجنسين ، وتشجيعهم على التفاعل مع الآخرين سواء كانوا داخل المنظمة او في منظمات اخرى.
- ب- انشاء وحدة تنظيمية تختص بالمسح البيئي ترتبط بقسم التخطيط والمتابعة، تتولى مهمة جمع المعلومات واعداد الدراسات ذات الصلة بواقع الصناعة النسيجية وتطورها على المستويين الوطني والعالمي.
- ت- تشجيع العاملين على مناقشة النجاحات والاختفاقات في العمل في مؤتمرات او ندوات تعقد لهذا الغرض ، واعتماد هذه الآلية كمنهج للتعلم في المنظمة.
- ٦- ضرورة ان تولي المنظمة نشر المعلومات اهتمام اكبر بهدف تعزيز مشاركة وتفاعل العاملين من جانب ، والوحدات التنظيمية مع بعضها من جانب آخر. وبهذا الخصوص نقترح الآتي:
- أ- تهيئة البيئة المناسبة للعمل الفرقي ، من خلال توفير المستلزمات المادية والبشرية اللازمة.
- ب- مكافأة العاملين الذين لديهم الرغبة والاستعداد في تعليم الافراد الآخرين في المنظمة.
- ت- تعزيز البنى التحتية الخاصة بتكنولوجيا المعلومات في المنظمة من خلال رفدها بأجهزة حاسوب وانظمة تشغيل متطورة فضلا عن ، توفير الكوادر المؤهلة للعمل في هذا المجال.
- ٧- بما ان الضعف الذي يشوب عملية تفسير المعلومات في المنظمة المبحوثة يكمن خلفه اسباب عديدة ، والتي من ابرزها عدم امتلاك اغلب العاملين المقدرات المعرفية التي تساهم في الوصول الى التفسير الصحيح للمعلومات او المعارف الجديدة ، وضعف قدرة المنظمة في تحويل المعارف الضمنية الى معارف صريحة ، وبهذا الخصوص نوصي بضرورة قيام المنظمة باجراء حوارات او عقد لقاءات تطرح فيها وجهات نظر العاملين بشأن مختلف القضايا ذات الصلة بالمعلومات او المعارف على مستوى المنظمة والصناعات النسيجية ومناقشتها وتدريبهم على كيفية تفسير المعلومات بشكل صحيح.
- ٨- ضرورة اهتمام المنظمة بتحديث قواعد البيانات بشكل مستمر من خلال رفدها بالمعارف والخبرات الجديدة والسعي وراء تعلم سلوكيات وتطبيق الافكار الحديثة والمتأتية من خبرات العاملين في المنظمة موضوع الدراسة ، او ممارسات وخبرات المنظمات المنافسة ، هذا فضلا عن تحويل هذه المعارف الى ممارسات تنظيمية جديدة ، واستخدامها في تعديل او تصحيح الممارسات القائمة.

References:

- ١- اللوزي ، موسى " التنظيم واجراءات العمل " دار وائل للنشر ، عمان ، ٢٠٠٢ .
- 2-Alam ,H.M. " Impact of Organizational Structure and Time on Efficiency: Evidence from Pakistan " , Interdisciplinary Journal of Contemporary Research in Business , Vol.3 ,No.1, 2011.
- 3-Al-Raggad ,M. " Effect of Organizational Structure Dimensions on fulfilling Managers Need in Jordanian Industrial Companies", Interdisciplinary Journal of Contemporary Research in Business , Vol.5 ,No.7, 2013.
- 4-Amirhossein ,A. & Raana , N.A. " The Study of Relationship between Organizational Structure & the Competency of Experts in Iran National Gas Company " Interdisciplinary Journal of Contemporary Research in Business , Vol.3 ,No.4, 2011.
- 5-Argyris ,C. & Schon ,D.A. " Organizational Learning: A theory of Action Perspective " , 2nd ed ,Addison –Wesley Publishing Company ,1978.
- 6-Arney ,JOA. " Ethics & Organizational Structure: a study of organizational values " A thesis, University of Colorado ,2007.
- 7-Ashkenas ,R. ; Ulrich ,D. ,Jick ,T. & Kerr,S. " The Boundaryless Organization " San Francisco: Jossey–Bass Publishers ,2002.
- 8-Ashshmmaa , Khaleel , M.H. " Management Principles " , No.1., Almaseerah Publishing , Amman ,2009.
- 9-Barnes ,K. " The Relationship Between Perceived Organization Structure & Perceived Technology and Individual Psychological and Group Empowerment " , Dissertation, University of Albany ,2006.
- 10- Bernardin –Russell " Management " , Mc Graw–Hill , USA ,1996.
- 11-Blankenhagen ,E.E. " Organizational Learning in the Development of Doctrine in the U.S Army ,1976–1986: A historically based study " ,George Washington University ,1994.

12-Boisot ,M. & Child ,J." From Fiefs to Clans & Network Capitalism: Explaining Chinas Emerging Economic Order " , Administrative Science Quarterly , Vol.41 ,No.4, 1996 .

13-Chen ,G. " An Organizational Learning model based on western & Chinese Management thoughts & Practices " , Management Decision , Vol.43 ,No.4,2005.

14-Crossan ,M. ; Lane ,H. & White ,R. "An Organizational Learning Framework: From Intuition to Institution " , Academy of Management Review , Vol.24 ,1999.

15-Crossan ,M.M. ; Lane , H.W. ; White ,R.E. & Djurfeldt , L. " Organizational Learning: Dimensions for a theory" , The International Journal of Organizational Analysis , Vol.3 ,No.4,1995.

16- Cyert ,R.M. & March , J.G. " A behavioral theory of the firm " , 2ed , Blackwell Publishers Inc ,1992.

17-Daft ,R.L. & Weick ,K.E. "Toward a model of Organizations as Interpretation Systems " , Academy of Management Review, Vol.9 ,No.2,1984.

18-Daft ,R.L. & Huber , G.P. " How Organizations Learn: a Communication Framework" , Research in the Sociology of Organizations , Vol. 5 ,1987.

19- Daft ,Richard ,L., " Organization Theory & Design " Third Edition ,West Publishing Company ,1998.

20- Daft , R. L." Organization Theory & Design " , 7th ed , South-Western,Thomson Learning ,USA,2001.

21-Daft , R. L. " Management" , 6th ed ,South-Western , Thomson Learning ,2003.

22-Davenport ,T.H. & Prusak ,L. " Working Knowledge: How Organizations Manage What They Know" , Harvard Business School Press ,Boston ,MA ,1998.

23-Delic ,A. & Ahmetovic ,E. " Characteristics of Organizational Structure of Bosnian and Herzegovinian Companies " , Economic Review Journal of Economics & Business , Vol.XI ,No.2, 2013.

24-Duncan ,R.B. & Weiss ,A. " Organizational Learning Implications for Organizational Design ". In Straw ,B (Ed). , Research in Organizational Behavior, JAI Press ,Greenwich , CT ,1979.

- 25-Espejo ,R. ; Schuhmann ,W. ; Schwaninger & Bilello ,U. " Organizational Transformation & Learning: A cybernetic approach to management " , New York: John Wiley & Sons ,1996.
- 26-Fiol ,C. M. & Lyles ,M. A. " Organizational Learning " Academy of Management Review, Vol.10 ,No.4 , 1985.
- 27-Folami ,L.B. "An Investigation Into Perceptions of Accounting Firm Organizational Structure " , Dissertation ,Georgia State University ,1999.
- 28-Hedberg ,R. " How Organizations Learn & Unlearn " In N.C Nystrom & W.H. Starbuck (Eds.) , Handbook of Organizational design , Oxford: Oxford University Press ,1981.
- 29-Hong ,J. " Structuring for Organizational Learning " , The Learning Organization , Vol.6 ,No.4 , 1999.
- 30-Huang ,X. ; Rode ,J.C. & Schroede , R.G. " Organizational Structure & Continuous Improvement & Learning: Moderating Effects of Cultural Endorsement of Participative Leadership " , Journal of International Business Studies , Vol.42, 2011.
- 31-Huber , G. P. " Organizational Learning: The Contributing Processes & Literatures " ,Organizational Science , Vol.2 ,No.1 ,1991.
- 32-Issler ,K. & Habermass ,R. " Foundations & Practice of Christian Educational Ministry:Teaching for Reconciliation " , Grand Rapids ,MI: Baker Books. 1994.
- 33-Jones ,W.D " The Impacts of Entrepreneurial Strategies & Organizational Learning on Firm Performance in Transitional Environments: An Empirical Study in China and Vietnam " , Dissertation, University of Hawai'i ,2006.
- 34-Levitt ,B. & March ,J. " Organizational Learning " , Annual Review of Sociology No.14,1988.
- 35- Lien ,B.Y. ; Hang ,R.Y. & Mclean ,G.N. " Organization Learning as an Organizational Development in six high technology firms in Taiwan: An Exploratory case study " , Human Resource Development Quarterly , Vol.18 ,No.2 , 2007.
- 36-Marsick , V.J & Neaman , P.G. " Individuals who learn create organizations that learn " ,New Directions for Adult & Continuing Education , Vol.72 ,1996.

37-Martinez –Leon , I.M & Martinez –Garcia ,J.A " The Influence of Organizational Structure on Organizational Learning " , International Journal of Manpower , Vol.32 ,No.5/6 , 2011.

38- Mintzberg ,H. " The Structuring of Organizations: A synthesis of the research" , Prentice –Hall, Englewood Cliffs ,NJ.(ISBN: 0138552703) ,1979.

39- Morgan ,G. & Ramirez ,R. " Action Learning: a holographic metaphor for guiding social change " , Human Relations , Vol.37 ,No.1 , 1984.

40-Nahm ,A. ; Vonderembse ,M. & Koufteros ,X. " The Impact of Organizational Structure on Time – Based manufacturing and Plant Performance " ,Journal of Operations Management , Vol.21 ,No.3 ,2003.

41-Nonaka ,I. & Takeuchi ,H. " The Knowledge –Creating Company: How Japanes Companies Create the Dynamics of Innovation " , Oxford: Oxford University Press ,1995.

42-Pawlowsky ,P. " The Treatment of Organizational Learning in Management Science " , In M. Dierkes , A. Berthoin Antal ,J. Child & I. Nonaka (Eds.) , Handbook of Organizational Learning & Knowledge ,New York ,NY: Oxford University Press , 2003 .

43-Pawlowsky ,P. ; Forslin ,J. & Reinhardt ,R. " Practices & Tools of Organizational Learning " , In M. Dierkes ,A. Berthoin Antal , J. Child & I. Nonaka (Eds.), Handbook of Organizational Learning & Knowledge , New York, NY: Oxford University Press ,2003.

44-Pettinger ,R. " Mastering Organizational Behavior " , 1ed ,Macmillan Press Ltd ,Great Britain London ,2000.

45-Rajaeepour ,S. ; Azizollah , A. ; Mahmoud ,Z. & Solmaz ,S. " Relation Between Organizational Structure & Organizational Alienation " Interdisciplinary Journal of Contemporary Research in Business , Vol.3 ,No.12, 2012.

46-Reese ,C.L. " Organizational Learning among Strategic Leaders in an International Transportation Organization " , Dissertation, University of the Incarnate word ,2006.

47-Santos-Vijande ,M.L. ;Lopez-Sanchez ,J.A. & Trespalacios ,J.A. " How Organizational Learning affects firm's flexibility ,Competitive Strategy & Performance " , Journal of Business Research , Vol. 65 ,2012.

48-Slater ,S.F. & Narver , J.C. " Market Orientation & The Learning Organization" , Journal of Marketing , Vol.59 ,1995.

49-Shipton ,H. ; Dawson ,J. ; West ,M. & Patterson ,M. " Learning in Manufacturing Organizations: What Factors Predict Effectiveness ? " , Human Resource Development International , Vol.5 ,No.1 , 2002.

50-Stinchcombe ,A.L. " Social Structure & Organizations ",In J.F March (Ed) , Handbook of organizations:vol.4 ,Chicago,IL: Rand McNally,1965.

51-Spencer ,B. " Models of Organization and Total Quality Management: A Comparison & Critical Evaluation " , Academy of Management Review , , Vol.19 ,No.3, 1994.

52- Walsh , J.P. & Ungson ,G.R. " Organizational Memory " , Academy of Management Review , Vol.16 ,1991.

53-Walton,E.J " The Comparison of Measures of Organization Structure " , The Academy of Management Review , Vol.6 ,No.1, 1981.

54-Zandra ,R.B. " The Importance of Organizational Structure: A case study of the San Diego Symphony Orchestra " , Master of Art , American University ,1999.

55-Zhong ,Y. & Dilt , D. " System Dynamics of Supply Chain Network Organization Structure " , Information Systems & E-business Management, Vol.2 ,No.2,2004.

ملحق رقم (١)

المحكمين

ت	الاسم	اللقب العلمي	مكان العمل
١	د. عباس حسين جواد	أستاذ	جامعة بابل
٢	د.علاء فرحان طالب	أستاذ	جامعة كربلاء
٣	د. اكرم محسن الياسري	أستاذ	جامعة كربلاء
٤	د. حسين محمد الجبوري	أستاذ	كلية المستقبل /الجامعة
٥	فؤاد العطار	أستاذ	جامعة كربلاء

٦	د. مجبل رفيق مرجان	أستاذ مساعد	جامعة بابل
٧	د. ثامر هادي الجنابي	أستاذ مساعد	جامعة بابل
٨	كامل شكير الوطيفي	أستاذ مساعد	جامعة بابل
٩	نايف عبد عاصي	أستاذ مساعد	جامعة بابل
١٠	د. امل عبد محمد علي	مدرس	جامعة بابل

ملحق رقم (٢)

استمارة استبيان

السيد المستجيب... المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نضع بين أيديكم استمارة الاستبيان للبحث الموسوم (أثر الهيكل التنظيمي في التعلم التنظيمي: دراسة استطلاعية لآراء عدد من العاملين في الشركة العامة للصناعات النسيجية / الحلة). ان القيمة الفعلية لبيانات هذا البحث تعتمد على الاجابة عن جميع فقرات الاستبانة ، وان ما ستقدموه من اجابات موضوعية ودقيقة سيكون له الاثر المفيد في اتمام هذا البحث. علما ان الاجابات ستستخدم لاغراض علمية فلا حاجة لذكر الاسم او التوقيع على الاستمارة ، راجين منكم وضع علامة صح (√) واحدة امام كل فقرة من الفقرات المدرجة في الاستبانة.

شاكرين حسن تعاونكم وتقديركم لاهمية البحث العلمي

الباحثان

القسم الأول: معلومات عامة

١	الجنس	أ. ذكر	ب. أنثى
٢	عدد سنوات الخدمة		
٣	العمر		
٤	التحصيل الدراسي		
٥	عدد الدورات التدريبية		

القسم الثاني: متغيرات البحث

المتغير المستقل: الهيكل التنظيمي

هو بمثابة اطار رسمي يحدد من خلاله قنوات الاتصال الرسمية والمستويات التنظيمية ، ويعبر عن الانماط الداخلية للعلاقات بين الوحدات التنظيمية. وفيما يتعلق بابعاد الهيكل التنظيمي اعتمدت الدراسة الحالية الابعاد الآتية:

اولا- المركزية: مدى قيام السلطة الرسمية في المنظمة بتحديد حرية تصرف العاملين والوحدات التنظيمية.

ت	العبارة	موافق جدا	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق جدا
١	تتولى الادارة العليا مهمة صياغة رؤية وإستراتيجية المنظمة.					
٢	الصلاحيات الممنوحة للعاملين غير كافية لانجاز الاعمال المكلفين بها.					
٣	تمر الافكار الجديدة التي تطرح من قبل العاملين في المنظمة عبر سلسلة التدرج الاداري قبل وصولها الى الادارة العليا.					
٤	تتولى الاقسام الموجودة في المنظمة مهمة اتخاذ القرارات الخاصة بتسيير شؤونها دون الرجوع الى الادارة العليا.					
٥	تفرض الادارة العليا رقابة محكمة على القرارات التي تتخذ في المستويات الادارية الدنيا.					

ثانيا- الرسمية: تشير الى درجة توثيق الاوامر والتعليمات والاجراءات التنظيمية بصيغة مكتوبة.

ت	العبارة	موافق جدا	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق جدا
١	يوجد توصيف وظيفي واضح لجميع العناوين الوظيفية في المنظمة.					
٢	السياسات والاجراءات التنظيمية المعتمدة داخل المنظمة غالبا ما تحول دون وصول المعلومات الى الجهات المعنية بالوقت المناسب.					
٣	رسالة واهداف المنظمة واضحة ومحددة ومعلنة للعاملين.					
٤	التعليمات والتوجيهات حول العمل مكتوبة					

					وواضحة ومحددة للجميع.	
					يلتزم العاملون في المنظمة بالتعليمات والاجراءات عند تنفيذ الانشطة والفعاليات المكلفين بها.	٥

ثالثا- التخصص: يشير الى مستوى تقسيم مهام وفعاليات المنظمة الى أنشطة اصغر ، وكلما زاد مستوى او درجة تقسيم العمل كلما اصبح التخصص اكثر ضيقا ، وكلما انخفضت درجة تقسيم العمل كلما اصبح التخصص أكثر اتساعا.

ت	العبارة	موافق جدا	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق جدا
١	يكلف العاملون بالاعمال التي تتفق مع قدراتهم ومؤهلاتهم.					
٢	يقوم العاملون بتأدية المهام ذات الصلة بتخصصاتهم الوظيفية دون غيرها.					
٣	يشعر العاملون بالملل لقلة عدد الانشطة والفعاليات المكلفين بها.					
٤	تهتم المنظمة بتطوير قدرات العاملين من خلال اشراكهم بالدورات التدريبية ذات الصلة بالمجالات التي يختصون فيها.					

رابعا - التعقيد: يقصد به درجة تمايز او اختلاف الانشطة والانظمة الفرعية الموجودة داخل المنظمة.

ت	العبارة	موافق جدا	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق جدا
١	تتسم الاهداف التنظيمية بالتعدد والتنوع تبعاً لتنوع الاقسام.					
٢	يوجد في المنظمة عدد كبير من المستويات الاشرافية.					
٣	تواجه الادارة صعوبة التنسيق والسيطرة على					

					انشطة وفعاليات اقسام المنظمة.
				٤	هناك تباين في طبيعة الاعمال التي تؤديها الوحدات التنظيمية (الاقسام والشعب) التي تقع في مستويات مختلفة من الهيكل التنظيمي للمنظمة.
				٥	هناك درجة عالية من التداخل والازدواجية في الانشطة والفعاليات التي تقوم بها المنظمة.

المتغير التابع: التعلم التنظيمي
عملية تفاعلية تساعد على خلق واعادة تشكيل قاعدة معرفية مشتركة توجه السلوك وتقوم الخبرة، ويتمحور التعلم التنظيمي حول كيفية قيام الافراد بجمع واستيعاب وتحويل المعلومات الى الذاكرة التنظيمية. وفيما يتعلق بإبعاد التعلم التنظيمي اعتمدت الدراسة الحالية الابعاد الآتية:
اولا- اكتساب المعلومات: يمثل اكتساب المعلومات الخطوة الاولى في عملية التعلم التنظيمي ، ويقصد به تحديد المعلومات الملائمة والمفيدة للمنظمة والعمل على الحصول عليها من المصادر الداخلية والخارجية.

ت	العبارة	موافق جدا	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق جدا
١	تسعى المنظمة الى التعلم من ممارسات واستراتيجيات المنظمات المنافسة.					
٢	تشجع المنظمة العاملين على البحث عن كل ماهو جديد في مجال عملهم.					
٣	تسعى المنظمة الى استقطاب الكوادر البشرية من ذوي المهارات والخبرات العالية.					
٤	تعتمد المنظمة على التجارب والخبرات السابقة كأساس للعمل في المستقبل					
٥	التغذية الراجعة من آليات التعلم المعتمدة داخل المنظمة.					

ثانيا- نشر المعلومات: عملية يتم من خلالها توزيع او نشر المعلومات التي تحصل عليها المنظمة بين الافراد العاملين والوحدات التنظيمية.

ت	العبارة	موافق جدا	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق جدا
١	تستخدم المنظمة التقارير الرسمية كوسيلة لنقل المعلومات عبر الوحدات التنظيمية.					
٢	تشجع المنظمة عملية تبادل الآراء والأفكار بين العاملين بهدف رفع قدراتهم الإبداعية.					
٣	تتوفر لدى العاملين الرغبة والاستعداد للتعلم من بعضهم الآخر.					
٤	تهتم المنظمة بتوفير أدوات تكنولوجيا المعلومات اللازمة لنقل المعلومات بين الأفراد العاملين من جهة ، والوحدات التنظيمية من جهة أخرى.					
٥	تتبنى المنظمة مبدأ العمل الفرقي كألية لنقل المعلومات وتعزيز عملية تعلم العاملين.					

ثالثا- تفسير المعلومات: يقصد بها تحويل المعرفة الضمنية الى معرفة صريحة ودمجها في الروتين والاجراءات التنظيمية.

ت	العبارة	موافق جدا	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق جدا
١	يتأثر تفسير المعلومات بالمفاهيم المعرفية والذهنية التي يمتلكها العاملون في المنظمة.					
٢	تعمل المنظمة على التخلص من المعرفة القديمة واحلالها بأخرى جديدة تساهم في تعزيز عملية التعلم التنظيمي.					
٣	يملك العاملون في المنظمة الخبرات اللازمة لتفسير المعلومات بالشكل الصحيح.					
٤	تتجاوز كثافة المعلومات المتدفقة قدرة المنظمة على تفسيرها.					

رابعا- الذاكرة التنظيمية: تتضمن ايداع المعرفة الجديدة في ذاكرة المنظمة ، ومن ثم تحويل هذه المعرفة الى فعل تنظيمي جديد ، فضلا عن اعادة تعديل روتينات واجراءات المنظمة في ضوء المعرفة المذكورة.

ت	العبارة	موافق جدا	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق جدا
١	تسعى المنظمة الى تخزين المعرفة الخاصة بكيفية تنفيذ الاعمال على شكل اجراءات وروتينات محددة.					
٢	يتم تصنيف المعرفة وحفظها بطريقة يسهل الوصول اليها.					
٣	تهتم المنظمة بتحديث قواعد البيانات بشكل مستمر من خلال رفدها بالمعارف والخبرات الجديدة.					
٤	تحتفظ المنظمة بالكوادر الفنية والادارية من ذوي المهارات والخبرات العالية.					
٥	تهتم المنظمة بتوسيع قاعدة المشاركة في تحديد الحاجة الى المعلومات لضمان تخزين اكبر قدر من المعرفة.					

**مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب
(دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي)**

*The legitimacy of genetic embolism and its authenticity in the
denial of parentage*

(A legal comparative study with Islamic Jursprudence)

ا.م.د. حيدر حسين كاظم الشمري^(١)
Kadhim Al-Shimri

مقدمة

الحمد لله الأول قبل الإنشاء، والآخر بعد فناء الأشياء، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الأنبياء، وعلى أهل بيته الأصفياء، وأصحابه النجباء، وعلى من أتبعهم فكان من الأولياء. كان من تداعيات التطور التكنولوجي في مجال النسب ظهور ما يعرف بالبصمة الوراثية او الدنا (DNA) والتي لها من الدقة في تحديد الخريطة الوراثية للإنسان ما لا يسمح بالمجال بالشك في نسبة هذا المولود من ذلك الشخص، حتى قيل بشأن دقة هذه التقنية في الاثبات انه يصل الى حوالي 99 و 99% وما ترتب على ذلك من اشكاليات في مدى الاعتماد على هذه التقنية في مجال نفي النسب كما هو الحال في اثباته.

ان اشكالية البحث تتمحور في عدة جوانب لعل اهمها يكمن في مدى جواز اللجوء الى البصمة الوراثية في نفي النسب بالاعتماد على دقة النتائج المستخلصة منها بعيدا عن الركون الى وسائل النفي التقليدية وخاصة اللعان سواء على صعيد الشريعة الإسلامية او على صعيد التشريعات الوضعية المقارنة ومنها التشريع العراقي؟

١ - كلية القانون / جامعة كربلاء.

ومن جانب اخر ما حكم التعارض بين النتائج المتحصلة من اختبارات البصمة الوراثية مع الادلة الاخرى لأثبات النسب كالإقرار والفرش والشهادة وايهما يقدم على الاخر على الصعيدين الشرعي والقانوني؟

ومن جانب اخر ما حكم التعارض بين النتائج المتحصلة من اختبارات البصمة الوراثية مع اللعان اذ لو اثبت الاول صحة النسب وتمسك الزوج باللعان في نفيه المولود عنه؟
ثم كيف تقام دعوى نفي النسب وعلى من ومن قبل من؟ وما قيمة النفي المتحصل بالبصمة الوراثية؟
ان المنهج الذي اعتمدته في بحثي هذا هو المنهج التحليلي المبني على أسلوب الدراسة المقارنة.
فمن حيث الدراسة المقارنة اعتمدت اسلوب المقارنة بين الفقه والتشريع وان استعنت بالقضاء قدر الحاجة والمصادر المتوفرة لتغطية بعض الاشكاليات.

فالفقه تناولناه من جانبين: الاول، الفقه الاسلامي وهو بالطبع الفقه المعاصر على اعتبار ان مسألة التحليل بالبصمة الوراثية من مستحدثات المسائل او ما تعرف بلغة اهل الفتوى من المسائل الابتلائية والتي هي بالتأكيد كانت غائبة عن اذهان فقهاء الشريعة الاوائل لكن هذا لا يعني غفلاً الرجوع اليهم بالمرّة اذ ان اساسيات اثبات النسب او نفيه هي من المسلمات التي ينبغي الركون اليها في مؤلفات الفقهاء المسلمين الاوائل ولا يمكن اهمالها اضافة الى ذلك ان القواعد الكلية تعطي من المجال ما يسمح للقول بإمكانية الاستعانة بأراء الفقهاء الاوائل في العديد من مسائل البحث، كما نرى.
اما الجانب الثاني فهو الفقه القانوني لاسيما للتشريعات محل المقارنة.

اما التشريعات فحاولنا الاستعانة بنمطين منها: الاولى تشريعات نظمت مسألة اللجوء لتحليل البصمة الوراثية في نفي النسب، سواء بشكل صريح ام ضمني وهي: فرنسا وتونس والجزائر، والثانية تشريعات سكنت عن ايراد مثل هذا التنظيم وهي: العراق ومصر
وقد راينا من باب الضرورة وزيادة في المعرفة استعرض اهم القضايا المعروضة على القضاء العربي بل وحتى العربي من هذه المسألة وان لم تكن بالضرورة هي راجعة لقضاء التشريعات محل المقارنة.
اما المنهج التحليلي الذي اتبعناه في الدراسة المقارنة فهو لم يقتصر على استعراض الآراء فقط، وإنما تعداه إلى مناقشة الآراء وتحليلها، وصولاً إلى معرفة الرأي القوي من الضعيف، والراجح من المرجوح، وذلك بترجيح بعض الآراء دون بعض كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً ونُحِض عندي دليلًا للترجيح، وان يوضح ذلك الدليل لدي توقفت ولم أرحح.

وكان اكتمال المعلومة متوقفاً على الركون للجانب اللغوي وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة وقواميسها تأصيلاً للبحث ومادته من ناحية، وترصيناً له ولمفرداته من ناحية أخرى.
وبعد هذه المقدمة ارتأينا تقسيم هذا البحث على فصلين: الاول نتناول فيه مشروعية نفي النسب بالبصمة الوراثية، والثاني نتطرق فيه الى حجية البصمة الوراثية في نفي النسب بالبصمة الوراثية. وبعد الانتهاء من البحث، فقد ختمته بخاتمة، تمثل تدويناً لأهم النتائج المستخلصة من البحث، وعرضاً لأهم المقترحات التي توصلت إليها.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي) وعليه فإننا سنقسم هذه الدراسة على فصلين اساسين: الاول نتناول فيه مدى مشروعية نفي النسب بالبصمة الوراثية، والثاني نتناول فيه مدى حجية البصمة الوراثية في نفي النسب، وسنضع خاتمة تتضمن اهم النتائج والتوصيات التي سنخرج منها في هذه الدراسة.

الفصل الاول: مدى مشروعية نفي النسب بالبصمة الوراثية

ان حداثة تقنية التحليل بالبصمة الوراثية كانت دافعا وراء الاختلاف في الرؤى الفقهية و التشريعية حول مشروعية العمل بها في الاثبات الجنائي والمدني عموما والنسب خصوصا بل امتد الخلاف بالنسبة للأخير بين مدى مشروعية اثبات النسب بالبصمة الوراثية ام نفيها به.

وازداد الامر تعقيدا بالنسبة للفقه العربي مع اختلاف الرؤى الشرعية من مسالة نفي النسب بالبصمة الوراثية خصوصا مع حداثها وعدم الاشارة اليها في مؤلفات الفقهاء المسلمين الاوائل وان وردت بعض الاشارات القريبة من هذه التقنية في مؤلفاتهم كالقيافة ما دعى بعض الفقهاء المعاصرين الى القياس عليها سلبا او ايجاباً واعطاء حكم نفي النسب بما تبعه لموقف مذاهب الفقه الاسلامي من مسالة نفي النسب بالقيافة.

والامر كذلك بالنسبة للتشريعات المقارنة وان اختلاف الامر بالنسبة للتشريعات الغربية منها عن العربية، وهو ما تبعه اختلاف في الموقف القضائي تبعاً للموقف التشريعي.

عليه فإننا سنقسم هذا الفصل على مبحثين: الاول نتناول فيه الموقف الفقهي الشرعي والقانوني من نفي النسب بالبصمة الوراثية، والثاني نتطرق فيه الى الموقف التشريعي والقضائي من نفي النسب بالبصمة الوراثية.

المبحث الاول: الموقف الفقهي الشرعي والقانوني من نفي النسب بالبصمة الوراثية

يرى البعض ان النسب الثابت بإحدى الطرق الشرعية المعتمدة (الفراس، الاقرار، الشهادة) لا يجوز نفيه او ابطاله مهما كانت هنالك امارات او قرائن تدل عليه وذلك لاحتياط الشارع لأنساب من جهة واكتفائه في الاثبات بأدنى سبب ما يعني التشدد في نفي النسب وعدم الحكم به الا مع وجود الدليل القوي^(٢).

ومع ظهور البصمة الوراثية ودقة نتائجها التحليلية في الاثبات تسارعت الانظار نحو الاستعانة بهذه التقنية في نفي النسب الثابت شرعاً والاستغناء بها عن سائر طرق النفي الاخرى، لا سيما، اللعان، خصوصا في مسائل الاتهام بالزنا ولاغتصاب.

٢ - عمر بن محمد السبيل، البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجنائية، ط١، دار الفضيلة - الرياض، ٢٠٠٢، ص ٤٠-٤١.

وهذا الامر وان لم يكن له محل نقاش بالنسبة للفقهاء المسلمين الاوائل، لعدم اكتشاف هذه التقنية وقتهم، الا ان ذات الفكرة، اي نفي النسب بلا لعان^(٣)، لم تغرب عن فكرهم لجامع العلة بينهما، وهو تيقن عدم انتساب المولود لأبيه بيولوجيا.

ومع ذلك فان الفقهاء المعاصرين، سواء على صعيد الفقه الاسلامي ام القانون اختلفوا في مسالة جواز نفي النسب بالبصمة الوراثية بين مجيز ومانع ومفصل.

عليه فأنا سنقسم هذا المبحث على ثلاثة مطالب: الاول، نتناول فيه المجيزون مطلقاً لنفي النسب بالبصمة الوراثية، والثاني نتطرق فيه الى المانعين مطلقاً لنفي النسب بالبصمة الوراثية، والثالث نخصه للمفصلين لنفي النسب بالبصمة الوراثية.

المطلب الاول: المجيزون مطلقاً لنفي النسب بالبصمة الوراثية

يرى عدة من الفقهاء المسلمين المعاصرين جواز الاستعانة بالبصمة الوراثية في نفي نسب المولود من ابيه والاستغناء عن اللعان في نفي النسب متى ما كانت النتائج الممخضة عن اجراء التحليل يقينه ان الحمل ليس من الزوج، لأن نتائجها يقينية إذا أثبتت أن الولد ليس من الزوج، فينتفي من الزوج بالبصمة الوراثية دون اللعان. لأن اللعان هو الاستثناء و ليس القاعدة^(٤)، كما أن نتائج البصمة الوراثية يقينية

٣ - لقد اختلف الفقهاء المسلمون في حكم نفي الزوج نسب الولد عنه دون ان يتهم زوجته بالزنا كأن يقول مثلاً هذا الولد ليس مني وانما هو من وطء شبهي، او يقول هذا الولد من زوجها السابق وليس مني او انما اكرهت على الزنا فأنجبته او يدعى بأنه طلق زوجته طلاقاً رجعيّاً، ثم اعادها اليه بعد ان تزوجت زواجاً فاسداً، وأن ولدها من ذلك الزوج وليس مني، على ثلاث مذاهب: الاول، لا ينتفي النسب من الزوج مطلقاً بلعان او بغيره وهذا ما قال به الحنفية الكاساني، وعلاء الدين: بدائع الصنائع، ج٣، ط٢، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٣٩ - ٢٤٤. الثاني فيرى بأنه لا ينتفي النسب الا باللعان، وهذا ما قال به المالكية والشافعية والحنابلة. الخرشبي: دار صادر - بيروت، بدون سنة نشر، ج٤، ص ١٢٦ - ١٣٣. الشافعي، الام دار الفكر - بيروت، لبنان، ط١، بدون سنة نشر، ج٦، ص ٢٨٦. الشربيني الخطيب، محمد بن احمد: مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ج٣، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٨، ص ٣٧٣. ابن قدامه، عبد الله بن محمد: المغني، ج٨، ط١، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥ هـ، ص ٣٣ - ٣٨. الثالث يرجع في هذه الصورة الى القافة فإذا نفى النسب عن الزوج انتفى وان الحقته به التحق، وهذا ما قال به الحنابلة، وعلى هذا يمكن القول بجواز اللجوء الى البصمة الوراثية في هذه الصورة وذلك قياساً على القيافة بالطريقة الاولى ابن قدامي: المغني، مرجع سابق، ص ٣٣.

٤ - من اصحاب هذا الاتجاه: د. محمد المختار السلامي، مفتي مصر السابق، في بحثه الموسوم، اثبات النسب بالبصمة الوراثية، المنشور ضمن البحوث المقدمة للندوة الفقهية الحادية عشر ضمن اعمال المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية، ١٤١٣هـ، ص ٤٠٥. د. عبدالله محمد، د. ابراهيم احمد عثمان، قاضي المحكمة العليا - السودان وعضو مجمع الفقه الاسلامي - السودان، في بحثه " دور البصمة الوراثية في قضايا اثبات النسب والجرائم الخنائية "، المقدم الى المؤتمر العربي الاول لعلوم الادلة الخنائية والطلب الشرعي المنعقد في الرياض للفترة من ١٢ - ١٤ / ١١ / ٢٠٠٧، ص ٢٣. وقد أتيد هذا الموقف المجمع الفقهي الاسلامي التابع لرابطة العالم الاسلامي، شريطة استيفاء شروطها الكاملة؛ حيث جاء في توصياته أن "البصمة الوراثية إذا استوفت الشروط الكاملة، واجتنبت الأخطاء البشرية؛ فإن نتائجها تكاد تكون قطعية في إثبات نسبة الأولاد إلى الوالدين، أو نفيها عنهما، وتصل نتائجها إلى ٩٩,٩%". وكذلك الدكتور أحمد الحجى الكردي على موقعه فتوى في البصمة الوراثية، يقرر فيها أن البصمة الوراثية المستكملة لشروطها تصلح دليلاً على الأمومة مطلقاً، إذا لم يوجد مانع من ذلك، وتصلح لنفي الأبوة لا لإثباتها عند انعدام الأدلة المعارضة. ينظر الرابط الالكتروني: 1=ar&type=ar&index=1 http://www.islamic-fatwa.com/ http://www.islamic-fatwa.com/ index.j...lang =ar&type=1 كالمرجع الديني السيد علي الحسيني السيستاني بخصوص استفتاء قدم اليه مفاده (هل يعتبر فحص دي أن أي (DNA) دليلاً شرعياً لثبوت الأبوة للطفل إذا كان ملائماً مئة بالمئة؟ وهل تعتبر عدم الملاءمة دليلاً على نفي النسب والأبوة؟ فاجاب عنه بالقول (- نعم يعتبر الفحص المذكور مع كونه طريقة علمية بينة لا تتخللها الاجتهادات الشخصية)، نقلاً عن موقع سماحة السيد http://www.sistani.org/arabic/archive/24549.

مبنية على الحس، فإذا أجرينا تحليل البصمة الوراثية، و ثبت أن الطفل من الزوج و أراد أن ينفيه، فكيف نقطع النسب و نكذب الحس و نخالف العقل، ولا يمكن أن يتعارض الشرع مع العقل^(٥).

ويرى البعض من اصحاب هذا الاتجاه أن البصمة الوراثية يجوز الاعتماد عليها في نفي النسب ما دامت نتيجتها قطعية كما يرد دعوى الزوج في نفي النسب إذا أثبتت نتائج البصمة الوراثية القطعية لحوق الطفل به، لأن قول الزوج حينئذ مخالف للحس والعقل وليس ذلك تقديماً للعان، وينبغي للقضاة أن يجيئوا الزوجين قبل إجراء اللعان لفحوص البصمة الوراثية لأن إيقاع اللعان مشروط بعدم وجود الشهود، فإذا كان لأحد الزوجين بينة تشهد له فلا وجه لإجراء اللعان.

والأخذ بهذه التقنية يحقق مقصود الشرع في حفظ الأنساب من الضياع ويصد ضعفاء الضمائر من التجاسر على الحلف بالله كاذبين^(٦).

ومن فقهاء القانون من يرى إن البصمة الوراثية يمكنها أن تؤكد يقينا نفي الولد عن رجل معلوم وكذلك يمكن بما أن تؤكد يقينا أن هذا الولد من هذا الرجل المعلوم وبهذا ينتفي الخلاف تماما، ويتم ذلك عن طريق تحديد البصمة الوراثية للرجل والمولود والأم، و مقارنة البصمة الوراثية للطفل مع بصمة كل من الرجل والمرأة، فلو تمت مطابقة البصمة الوراثية لكل من الرجل والمرأة ووجد أن الصفات الوراثية الموجودة في الطفل نصفها من الأم والنصف الآخر من الرجل المدعى عليه، أو مدعي النسب، فهذا دليل لا يقبل الشك على أن هذا الطفل من ذلك الرجل، أما إذا وجد أن الصفات الوراثية الموجودة في الطفل نصفها من الأم والنصف الآخر غير مطابق لما هو الرجل المدعى عليه أو مدعي النسب؛ فهذا دليل أكيد على أن هذا الطفل ليس من هذا الرجل^(٧).

واستدل القائلون باعتبار البصمة الوراثية بجملة ادلة عقلية واخرى نقلية:

١ - قوله تعالى " الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ أُولَئِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَإِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ " (٨)، ووجه الدلالة في هذه الآية أن اللعان لا يكون الا مع انعدام الشهود و ليس ثمة شاهد إلا الزوج فقط حينئذ يكون اللعان، فان كان مع الزوج بينة كالبصمة الوراثية تشهد لقوله أو تنفيه فليس هناك موجب للعان أصلا لاتفناء القيد الوارد في الآية اعلاه، اي ان البصمة الوراثية تكون بمثابة الشهود التي تدل على صدق

٥ - د. نصر فريد واصل: البصمة الوراثية و مجالات الاستفادة منها، أعمال و بحوث الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة، المجلد ٣، ص ٣٠.

٦ - د. عبد الرشيد محمد أمين بن قاسم: البصمة الوراثية وإثبات النسب، مجلة العدل - وزارة العدل السعودية، العدد (٢٣)، رجب ١٤٢٥ هـ، السنة السادسة، وكذلك منشور على الموقع الإلكتروني: <http://islamtoday.net/bohooth/artlistn-86> 930-1.htm.

٧ - ينظر: محمد كفييل، تباين آراء القضاة المغاربة حول البصمة الوراثية ومدى قوتها كوسيلة لإثبات الأنساب، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: www.badilpress.com

٨ - النور ٦-١٠.

الزوج فيما يدعيه على زوجته عندما يثبت نفي النسب بين الزوج والمولود على فراشه من خلال نتائج البصمة الوراثية^(٩). كما ذكرت الآية اعلاه عبارة (درء العذاب) ولم تذكر عبارة (نفي النسب)، وحققيقة لا تلازم بين اللعان ونفي النسب، فيمكن أن يلاعن الرجل ويدرأ عن نفسه العذاب و لا يمنع ذلك من أن ينسب المولود إليه إذا ثبت ذلك بالبصمة الوراثية^(١٠).

٢- قوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قُبَلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ ذُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ ذُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾^(١١). ووجه دلالة الآية اعلاه أن شق القميص من جهة معينة اعتبر نوعاً من الشهادة و البصمة الوراثية تقوم مقام الشهادة، ومن ثم القول بجواز نفي النسب بالبصمة الوراثية^(١٢).

٣- قوله تعالى (ادعوهم لإبائهم هو اقسط عند الله)^(١٣)، ووجه الدلالة بان الحاق النسب من المقاصد العظيمة للتشريع الاسلامي فاذا ما اراد الاباء لأمر من الامور التملص من الابناء فان مقتضى العدل ان يتم الحاق المولود بابيه دون تمكين الاب من اللعان حفاظاً عليهم من الضياع^(١٤).

٤- ما رواه البخاري ومسلم بن انس من ان هلال بن امية قذف امراته بشريك بن سمحاء وكان اول رجل لاعن في الاسلام، فقال الرسول ﷺ (ابصروها فان جاءت به ابيض سبطاً فهو لزوجها وان جاءت به اكحل فهو للذي رماها به) فجاءت به على النعت المكروه، فقال (لولا الايمان لكان لي ولها شان)^(١٥)، ووجه الدلالة في هذا الحديث ان الرسول ﷺ جعل عدم مشابهة الولد للزوج دليلاً على عدم انتسابه اليه ونفي النسب عنه وهو عين ما تقوم به البصمة الوراثية^(١٦).

٥- إن نتائج المسلم عنها للبصمة يقينية قطعية كونها مبنية على الحس، فلو أجري تحليل للبصمة الوراثية وثبت أن المولود من الزوج وأراد أن ينفيه، فكيف نقطع النسب ونكذب الحس و الواقع ونخالف العقل، فلا يمكن أن يتعارض الشرع الحكيم مع العقل السليم في مثل هذه المسائل المعقولة المعنى وهي ليست تعبدية، وان إنكار الزوج وطلبه اللعان بعد ظهور النتيجة يعد من المكابرة و الشرع ينتزه أن يثبت حكماً بني على المكابرة^(١٧). كما أن الشرع يتشوف إلى إثبات النسب رعاية لحق الولد و مخالفة البصمة

٩ - محمد المختار السلامي، التحليل البيولوجي للجنينات البشرية وحجته في الإثبات، مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون جامعة الإمارات العربية المتحدة، في ٢٢- ٢٤ صفر ١٤٢٣ هـ الموافق ٥-٧ مايو ٢٠٠٢، المجلد ١، ص ٤٠٥.

١٠ - ينظر: د. سعد الدين مسعد هلال: البصمة الوراثية وقضايا النسب الشرعي، مقال منشور على الموقع الالكتروني: www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2b

١١ - يوسف/٢٦- ٢٨.

١٢ - د. حسني محمود عبد الدائم: البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الإثبات، ط٢، دار الفكر الجامعي - الاسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٨٠٨.

١٣ - جزء من الآية ٥/ الاحزاب.

١٤ - د. عبد الرشيد بن قاسم، مرجع سابق، ص ٨.

١٥ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٢، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ، ص ١١٣٣.

١٦ - د. عبد الرحمن احمد الرفاعي: البصمة الوراثية واحكامها في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي، دراسة فقهية مقارنة، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الشريعة والقانون - جامعة الازهر، ٢٠٠٥، ص ٥٧٧.

١٧ - د. حسني محمود عبد الدائم، مرجع سابق، ص ٨٠٩.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي)
لقول الزوج في النفي يتنافى مع أصول الشريعة في حفظ الأنساب، ونفاذ اللعان مع مخالفة البصمة لقول
الزوج يعد باعث كيد للزوجة يوجب عدم نفي نسب الطفل^(١٨).

٦- ان خراب الذم عند بعض الناس في هذا الزمان وتعدد احوال وبواعث باعث الكيد بالزوجة
يوجب عدم نفي نسب الطفل إحقاقاً و باعثاً لاستقرار الأوضاع الصحيحة في المجتمع، ذلك لأن الشارع
يتشوف إلى إثبات النسب رعاية لحقوق الصغير وان مخالفة البصمة لقول الزوج في النفي يتنافى مع أصل
من أصول الشريعة في حفظ الأنساب.

ونوقشت الأدلة اعلاه من قبل المانعين بالمناقشات الآتية:

١- ففيما يخص الدليل الاول فيرد عليه في ان الاصل الذي عدل عنه الى اللعان في الآيات اعلاه
ورد بلفظ (الشهداء) وهو ما يضعف الاستدلال لعدم امكانية القول بان البصمة الوراثية تكون من
الشهداء خلافاً فيما اذا كانت الآية اعلاه تورد عبارة (بينات) لامكن القول بذلك فاستوجب الامر عدم
الاعتداد بالبصمة الوراثية^(١٩). اضعف الى ذلك انه لا تلازم بين اثبات النسب واقامة البينة على زني
الزوجة لأحما بينتان لأمرين مختلفين ما دعى غالبية الفقهاء الى القول بان النسب الثابت بالفراش لا
ينتفي الا باللعان ما دام يولد لمثل الزوج^(٢٠).

٢- فيما يخص الدليل الثاني فرد عليه بمثل مارد في الدليل الاول.

٣- فيما يخص الدليل الثالث فالقول بان اللعان كان وسيلة معاصرة لزمانه قول غير سليم لان
تشريع اللعان هو لكل زمان ومكان والقول بنفي النسب بالبصمة معناه نسخ آية اللعان وهو قول
مرفوض جملة وتفصيلاً^(٢١).

٤- فيما يخص الدليل الرابع فيرد عليه انه لا يوجد في هذا الحديث ما يشير الى التعويل على
الصفات الوراثية في نفي النسب بدليل عدم الحاق الرسول ﷺ الولد بمشبهه في الحكم وانما نفاه باللعان
وهي اقوى من البصمة الوراثية^(٢٢).

المطلب الثاني: المانعون مطلقاً لنفي النسب بالبصمة الوراثية

بقباله الاتجاه الاول القائل بالجواز فان هنالك اتجاه اخر يرى عدم جواز نفي النسب بالبصمة الوراثية
وانه لا يجوز تقديمها مطلقاً على اللعان، وان كان اصحاب هذا الاتجاه بدورهم انقسموا بهذا الخصوص
بين المانع مطلقاً وبين المفصل.

عليه فاننا سنقسم هذا المطلب على فرعين: الاول: نتناول فيه المانعون مطلقاً، والثاني نتطرق فيه الى
المفصلين.

١٨ - د. نصر فريد واصل، مرجع سابق، ص ٣٠.

١٩ - د. ناصر عبد الميمان: البصمة الوراثية وحكم استخدامها في مجال الطب الشرعي والنسب - مجلة القانون والشريعة -
مجلس النشر العلمي - جامعة الامارات العربية المتحدة - العدد ١٨ يناير ٢٠٠٢ ص ٦١٨.

٢٠ - د. حسني محمود عبد الدائم، مرجع سابق، ص ٨٠٨.

٢١ - سعود صبري في مقال، فتاوى المجتمع، نقلاً عن: د. حسني محمود عبد الدائم، مرجع سابق، ص ٨١٣.

٢٢ - د. وهبه الزحيلي، البصمة الوراثية ودورها في الاثبات، ج ٢، ص ٥٤٥.

الفرع الاول: المانعون مطلقاً

ذهب غالبية فقهاء الشريعة والقانون الى القول بعدم انتفاء النسب الشرعي الثابت بالفراش إلا باللعان فقط و لا يجوز تقديم البصمة الوراثية على اللعان او نفي النسب به مطلقاً^(٢٣)، وهو اتجاه مجمع الفقه الاسلامي بمكة المكرمة^(٢٤). بل ذهب البعض منهم وإذا كان لا يجوز نفي النسب بعد ثبوته بغير اللعان؛ فإنه لا يجوز أيضا استخدام أي وسيلة قد تدل على انتفاء النسب ونفيه عن صاحبه؛ لأن للوسائل حُكْمَ الغايات، فما كان وسيلة لغاية محرّمة، فإن للوسيلة حُكْمَ الغاية^(٢٥).

أولاً: استدلل القائلون بأن النسب لا ينفي إلا باللعان فقط بما يأتي:

١- قوله تعالى "والذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين* و الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين* و يدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين* و الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين"^(٢٦). ووجه الدلالة أن الآية ذكرت أن الزوج إذا لم يملك الشهادة سوى نفسه فيلجأ حينئذ للعان، وإحداث البصمة بعد الآية اعلاه تزيد على كتاب الله"، ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" ^(٢٧).

٢- ما روي عن عائشة انما قالت كان عتبة عهد إلى أخيه سعد أن ابن وليدة زمعة مني فأقبضه إليك، فلما كان عام الفتح أخذه سعد فقال ابن أخي عهد إلى فيه فقام عبد بن زمعة فقال أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه فتساوقا(تدافعا) إلى النبي ﷺ فقال سعد: يا رسول الله ابن أخي قد كان عهد إليه فيه، فقال عبد بن زمعة أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه، فقال النبي ﷺ هو لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش و للعاهر الحجر ثم لسودة بنت زمعة احتجني منه لما رأى من شبهه بعتبة فما رآها حتى لقي الله^(٢٨)، ووجه الدلالة أن الرسول ﷺ أهدر الشبهه البين وهو الذي يعتمد على الصفات الوراثية و أبقى الحكم الأصلي وهو "الولد للفراش" فلا ينفي النسب إلا باللعان فحسب^(٢٩) - (٣٠).

٢٣- منهم: د.علي محي القره هداغي، د. عبد الستار فتح الله سعيد، د.عمر بن محمد السبيل، د. ناصر الميمان، د.وهب الزحيلي، د. سعيد العنزي، الشيخ عبد الله المنيع. الدكتور نذير حمّادو: أثر البصمة الوراثية في إثبات نسب الولد غير الشرعي(دراسة فقهية، اجتماعية، أخلاقية، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة) <http://www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2b>.

٢٤ - في دورته السادسة عشرة المتعددة بمكة المكرمة في المدة من ٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢هـ الذي يوافق ١٠-١٥/١٠/٢٠٠٢م، في فقرة ثالثا ورابعا منه التي جاء فيهما "ثالثا: لا يجوز شرعا الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب ولا يجوز تقديمها على اللعان. رابعا: لا يجوز استخدام البصمة الوراثية بقصد التأكد من صحة الانساب الثابتة شرعا ويجب على الجهات المختصة منعه وفرض العقوبات الزاجرة، لان في ذلك المنع حماية لأعراض الناس وصوننا لا نساخم.

٢٥- د. عمر بن محمد السبيل، مرجع السابق، ص ٧٢.

٢٦ - يوسف /٢٦٦-٢٨.

٢٧ - د. حسني محمود عبد الدائم، مرجع سابق، ص ٧٩٩.

٢٨ - أخرجه البخاري (٨٥) كتاب الفرائض (١٨) باب الولد للفراش، رقم ٦٧٤٩ و مسلم (١٧) كتاب الرضاع (١٠) باب الولد للفراش و توفي الشبهات رقم ١٤٥٧ و فيه لفظ " فرأى شبهها بينا بعتبة "

٢٩ - د. عمر بن محمد السبيل، البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها استخدامها في النسب والجنابية مرجع سابق، ص ٦٢. عبد الستار فتح الله سعيد، البصمة الوراثية في ضوء الإسلام و مجالات الاستفادة منها في جوانب النسب و الجرائم وتحديد الشخصية، من

٣- ما رواه البخاري ومسلم عن انس بن مالك في قصة الملاعنة وفيها "ان هلال بن اميه قذف امراته بشريك بن سمحاء، قال فلاعنها، فقال الرسول ﷺ " أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خد لِح الساقين فهو لشريك بن سمحاء.... فجاءت به كذلك فقال الرسول ﷺ " لولا ما قضي من كتاب الله لكان لي و لها شأن " (٣١). وقال البعض انه " إذا نفى الزوج ولدا من زوجته ولد على فراشه فلا يلتفت إلى قول القافة ولا تحليل البصمة الوراثية لأن ذلك يعارض حكما شرعيا مقررا و هو إجراء اللعان بين الزوجين، ولذلك ألغى رسول الله ﷺ (دليل الشبهه) بين الزاني و الولد الملاعن عليه... وهذا الدليل يعتمد على الصفات الوراثية فهو أشبهه بالبصمة الوراثية ومع ذلك لم يقوا على معارضة الأصل الذي نزل به القرآن في إجراء اللعان " (٣٢).

٤- إن اللعان هو الطريق الشرعي الوحيد لنفي النسب و لو أن الزوجة أقرت بصدق زوجها فيما رماها به من الفاحشة فإن النسب يلحق الزوج لقوله الرسول ﷺ "الولد للفراش وللعاهر الحجر " ولا ينتفي عنه إلا باللعان، ثم كيف يجوز إلغاء حكم شرعي بناء على نظريات طبية مظنونة (٣٣). فإن المشرع قد جعل اللعان سبيلا للزوج إذا قذف زوجته بالزنا، أو نفى نسب ولدها عنه، وهذا ثابت بالكتاب والسنة، والإجماع، وإثبات نفي النسب عن الزوج بالحقائق العلمية، فيه إبطال لحكم اللعان وهذا باطل؛ فيبطل العمل بتلك الحقائق في نفي النسب (٣٤).

٥- لا نستطيع الركون على البصمة فقط ونقيم حد الزنا على الزوجة، بل لا بد من البينة، فكيف تقدم البصمة على اللعان ولا تقدمها على الحد (٣٥).

ونوقشت الأدلة اعلاه من قبل المحيزين بالمناقشات الاتية:

١- ففيما يخص الدليل الاول فيرد عليه بان المرأة لو رضيت بنتائج البصمة الوراثية في نفي النسب وقبلها القاضي فيمتنع اللعان (٣٦).

٢- فيما يخص الدليل الثاني والثالث فان الاستدلال بالحديثين هو امر بعيد بل هو حجة عليه، لان الرسول ﷺ امر بالاحتجاب من الشبهه (البصمة الوراثية) ولم يلتفت اليه بقوله (واحتجبي عنه يا سوده) (٣٧).

ضمن أعمال وبحوث الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة، المجلد ٣، لعام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣، ص ١٤٨.

٣٠- وقد سائر بعض الباحثين العراقيين هذا الاتجاه ما يتعلق بنفي النسب بطريق اختبارات الخريطة الوراثية على أساس ان الاستعانة بالدليل بالبصمة الوراثية يشكل انتهاكاً للقاعدة الشرعية (الولد للفراش). ينظر: د. صبري محمد خاطر، القانون والحين البشري، مجلة دراسات قانونية، العدد الثالث، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣، ص ٧٩.

٣١- صحيح مسلم، ج ٢، ص ١١٣٣. بلوغ المرام مع سبيل السلام، ج ٣، ص ١١٦، رقم ١٠٣٠.

٣٢- د. عبد الستار فتح الله، مرجع سابق، ص ١٨.

٣٣- د. عمر بن محمد السبيل، مرجع سابق، ص ٣٠.

٣٤- ينظر: ندوة مدى حجية استخدام البصمة، ملخص المناقشات الفقرة السادسة، نقلاً عن الموقع الالكتروني: <http://islamset.com/arabic/abioethics/basma/index.html>

٣٥- د. عبد الرشيد محمد امين بن قاسم، مرجع سابق، ص ٨.

٣٦- د. محمد مختار السلامي: القسم في اللغة وفي القرآن، دار الغرب- بيروت، بدون سنة طبع، ص ٣٤٨.

٣٧- د. عبد الرشيد محمد امين بن قاسم، مرجع سابق، ص ١٠.

٣- فيما يخص الدليل الثالث فانه مع تمام الملاعنة بين الزوجين فان المولود ينسب للزوج صاحب الفراش ولا ينفي عنه لان نسبة النص اليه اقوى بكثير من مجرد التشابه الظاهري الذي اخذ به الرسول ﷺ في اثبات النسب (٣٨).

٤- فيما يخص الدليل الرابع و الخامس فان هناك فرقا بين إثبات النسب أو نفيه و بين إقامة الحد القائم على المبالغة في الاحتياط فالحدود تدرأ بالشبهات بخلاف النسب فهو يثبت مع وجود الشبهة كما في قصة عبد بن زمعة، فلو ادعت المرأة أنها كانت مكروهة أو أنها سقيت شرابا به مادة منومة و زنا بها أحر فحملت منه كان ذلك كافيا في إسقاط الحد عنها، وكذا الرجل لو ادعي أنه أودع منيه في (بنك المني) وأن المرأة أخذت منيه بطريقة أو بأخرى و استدخلته وحملت بطفل و جاءت البصمة الوراثية تؤكد لحقوق الطفل وراثيا بذلك الرجل لم يجد لوجود شبهة، لا لأن البصمة ليست حجة (٣٩).

الفرع الثاني: المفصلون

ذهب جمع من الفقهاء المعاصرين الى السير بمنحى وسط بين البصمة الوراثية واللعان، فهم لم ينحوا منحى الاتجاه الاول والقول بجواز نفي النسب مطلقا بالبصمة الوراثية ولم يسايروا الاتجاه الثاني والقول بعدم جواز نفي النسب مطلقا الا باللعان لا بالبصمة الوراثية، فهم اجازوا اللجوء الى البصمة الوراثية في احوال معينة الا انها لا تقدم على اللعان ولكن تكون مكملة له وما عدا تلك الاحوال فانهم لا يجيزون النفي بالبصمة الوراثية.

الا ان اصحاب هذا الاتجاه، ومن خلال استقراءنا لمجمل الآراء التي امكن الاطلاع عليها، قد انقسموا بهذا الخصوص على ثلاثة فرق:

الاول: يرى ان نسب المولود لا ينفي باللعان متى جاءت تحاليل البصمة الوراثية تؤكد صحة نسبه للزوج ولو لاعن، لكن لو جاءت البصمة الوراثية مؤكدة لقول الزوج فهنا ينتفي النسب باللعان و تعتبر البصمة الوراثية دليلاً تكميلياً. فيقول الدكتور نصر فريد " إذا جاءت البصمة الوراثية وأثبتت نسب الطفل إلى الزوج، فإنه لا ينفي نسب للزوج حتى لو لاعن الزوج، لأن الشارع يتشوق إلى إثبات النسب. وإن نتائج البصمة الوراثية دقيقة ويقينية فقد يكون باعث الزوج الكبير لزوجته (٤٠).

الثاني: يرى انه مع التيقن بالبصمة الوراثية من الحمل او المولود ليس من عند الزوج فينتفي النسب دون حاجة لأجراء اللعان مع احقية الزوجة في طلب اللعان درا للحد عنها لاحتمال ان يكون حملها المنفي عنه النسب كان عن وطء شبهه. فيرى د. سعد الدين هلاي (إن اللعان إنما يدفع الحد عن الزوجة لاحتمال أن يكون حملها بسبب وطء أو شبهة. وينحصر دور اللعان بالنسبة للزوج إذا كان معه، فأن كان معه الزوج فلا وجه للعان أي (ينفي الولد بالبصمة الوراثية) وإن كان ضد الزوج وجب

٣٨ - د. حسني محمود عبد الدائم، مرجع سابق، ص ٨٠٣.

٣٩ - د. عبد الرشيد محمد امين بن قاسم، المرجع سابق، ص ١٠-١١.

٤٠ - د. نصر فريد واصل: مرجع سابق، ص ٣٠.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي) عليه حد القذف ولا يكون اللعان إلا لتندرا الزوجة عن نفسها حد الزنى^(٤١)، وهو اتجاه لجنة الفتوى بوزارة الاوقاف الكويتية في فتاها المرقمة ١٠ هـ ٩٥ في ٢٩ ربيع الاخر ١٤١٦ هـ الموافق ٢٤-٩-١٩٩٥ .

ثالثاً: يميز بين النسب الثابت بطريق شرعي من عدمه، حيث يرى جواز نفي النسب في الحالة الثانية دون الاولى. فيرى د. محمد الاشقر^(٤٢) انه لن يكون مقبولاً شرعاً استخدام الهندسة الوراثية والبصمة الوراثية لأبطال الابوة التي تثبت بطريق شرعي صحيح من الطرق التي تقدم بياها، و لكن مجال العمل بالبصمة الوراثية سيكون في اثبات او نفي ابوة لم تثبت بطريق شرعي صحيح^(٤٣).

بل ان البعض يذهب الى ضرورة الاخذ بالبصمة الوراثية في نفي النسب دون الاستغناء عن اللعان لان الاخير فيه احتياط للأعراض وانه من الاحكام الثابتة في النصوص الشرعية من جهة وان العمل باللعان لنفي النسب فيه صفة تعديده من جهة اخرى خلافاً للبصمة الوراثية التي تقوم على كشف ومعرفة الحقيقة المجردة فحسب^(٤٤).

وهنالك من يرى بأن البصمة الوراثية لها مرتبة دون اللعان في نفي نسب الولد، ولا يجوز لها أن تحل محل اللعان، وإنما يمكن أن تستخدم للتقليل من حالات اللعان إذا أطمأن الزوج لذلك، بحيث تعتبر البصمة الوراثية دليلاً مكماً للعان لأن اللعان حكم شرعي ثابت في الكتاب والسنة والإجماع في حين أن البصمة الوراثية قرينة طبية ومن ثم فلا ترتقي لمرتبة الدليل القطعي^(٤٥).

وهنالك من يرى أنه لا يجوز الاعتماد على تحاليل الحمض النووي في نفي النسب، إلا في حال الأشخاص مجهولي النسب، أو إذا أقيمت الملاعنة من الزوجة، فأرادت تبرئة نفسها بالتحليل الطبي الذي إما أن يثبت أو ينفي النسب^(٤٥).

و لا يفضل البعض اللجوء إلى تحاليل البصمة الوراثية إلا في الحالات النادرة جداً وبأمر القاضي الذي يريد الفصل في قضية التشكيك في النسب، كأن يكون الزوج عقيماً وفوجئ بأن زوجته تنجب، فمن حقه هنا إقامة دعوى قضائية لنفي النسب. وهنا على القاضي اتخاذ الوسائل التي من خلالها يمكن الحكم في القضية، وذلك باللجوء إلى التحاليل الدقيقة^(٤٦).

مع ملاحظة ان اصحاب هذا الاتجاه من كلا الفريقين استندوا بذات الحجج والادلة التي استدلت بها اصحاب الاتجاه القائل بالجواز المطلق والتي نحيله اليه ولا داعي لتكرارها.

٤١ - د. سعد الدين مسعد الهلالي- البصمة الوراثية و علاقتها الشرعية- مكتبة الكويت الوطنية الكويت، ط١، ٢٠٠١، ص

٢٣.

٤٢ - د. محمد سليمان الاشقر: اثبات النسب بالبصمة الوراثية: بحث مقدم الى ندوة الوراثة و الهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني، الكويت - ١٩٩٨، ص٤٥٤.

٤٣ - د. عبده الكحلوي: البصمة الوراثية وحجيتها في الاثبات الجنائي، القاهرة، ٢٠١٠، ص٢٤٦. مصطفى رمضان عبد القادر العقراوي: أحكام الولد المشتبه في نسبه، رسالة ماجستير مقدمه الى جامعة الموصل - كلية الحقوق، ٢٠١٠، ص٦٣-٦٤.

٤٤ - مصطفى رمضان عبد القادر العقراوي، مرجع سابق، ص ٦٤.

٤٥ - وهو رأي د. عبدالحق حميش استاذ الشريعة والقانون في جامعة الشارقة. ينظر: أسباب فقهية تمنع اعتماد «دي. إن. إيه» لنفي النسب: مقال منشور على الموقع الالكتروني: -10-2014 http://www.emaratalyoum.com/local-section/other/12-1.717214.

٤٦ - د. منير جمعة، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.lahamag.com

والذي يبدو للباحث ان هذا الاتجاه هو الاصول والادق ذلك انه لا يمكن الركون الى البصمة الوراثية في نفي النسب مطلقاً ولا يمكن الاستغناء عنها مطلقاً، ذلك ان نتائجها قطعية ولا يمكن تصور خطأ النتائج لكن في ذات الوقت لا يمكن تجاهل قاعدة فراش الزوجية فقد يثبت ان المولود هو من فلان من خلال تحليل البصمة الوراثية الا انه قد يكون من زنا او ولد من طلاق تجاوز اقصى مدة الحمل بعد الفرقه، وعليه يرى الباحث جواز الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب ما دامت نتيجتها قطعية، مع ضرورة توافر شروط الفراش الشرعي، كما يرد دعوى الزوج في نفي النسب إذا أثبتت نتائج البصمة الوراثية القطعية لحق الطفل به، لأن قول الزوج حينئذ مخالف للحس والعقل و ليس ذلك تقدماً للعان، وينبغي للقضاة أن يجلبوا الزوجين قبل إجراء اللعان لفحوص البصمة الوراثية لأن إيقاع اللعان مشروط بعدم وجود الشهود، فإذا كان لأحد الزوجين بينة تشهد له فلا وجه لإجراء اللعان (٤٧). كما أن اللعان مبني على الظن وليس على اليقين، لذلك لا ينبغي أن يحرم ابن من نسبه مدى الحياة بناء على الظن، خاصة و أن الشارع متشوف إلى إثبات النسب المبني على الحقيقة، ثم إن اللعان لم يعد يعول عليه كلية لأنه يحتكم إلى الضمير والوازع الديني في زمن لم تكن هناك وسيلة أخرى توفر العلم و الإثبات اليقينين. أما في عصرنا الحالي، وما يعرفه من فساد كبير للذم وتراجع الوازع الديني لدى الكثير من الناس، فإن المفروض هو تطبيق قاعدة الشك يزول باليقين، ومن ثم تطبيق الخبرة الطبية فهي على الأقل تضمن لهذا الطفل نسبا يدفع عنه المعرة، ذلك انه أقل ما يمكن تقديمه لهذا الطفل الوافد على المجتمع هو ضمان نسبه حتى يتقي في الشرع والقانون والقضاء.

حتى ان بعضاً ممن قالوا بالمنع مطلقاً راوا انه من المستحسن الاستعانة بالبصمة الوراثية كقرينة تحمل الزوج على العدول عن اللعان فيما اذا ثبت من خلال نتائج البصمة الوراثية ان المولود على فراشه هو ابنه الذي تخلق من مائه، كما يرون ضرورة الاخذ بها في اثبات النسب لو طلبته الزوجة او التمييز بين المولودين عند الاختلاف لان ذلك يحقق مصلحة ولا يتعارض من نص وان الاصل في الاشياء الاباحة حتى يدل الدليل على التحريم (٤٨).

ويرى البعض من الفقه ان النسب لا يجب أن يكون حقيقة قانونية فقط وإنما حقيقة واقعية، ويضيف ان المعيار الرئيسي أو الموجه للنسب هو المعيار البيولوجي لان الولد يجب أن يكون قانوناً من صلب الرجل ويرتبط به ارتباطاً حقيقياً لا ارتباطاً قانونياً أو اجتماعياً فقط، وهو ما يفسر وضع المشرع بعض الشروط لاعتبار الزوج أباً للمولود لان الغرض منها التأكد من وجود صلة بيولوجية أو حقيقية بين الزوج والولد وهو ما يفسر أيضاً أحقية الزوج قانوناً إنكار النسب بالرغم من توفر الشروط التي حددها القانون، فهذه الشروط لا تؤكد بالضرورة أن الولد من صلب الزوج وكون الحمل قد حدث أثناء الزوجية لا يعني

٤٧ - وهو نفس رأي: د. عبد الرشيد محمد أمين بن قاسم: مرجع سابق.

٤٨ - د. حسني محمود عبد الدائم، مرجع سابق، ص ٨١٤-٨١٥.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي) ضمناً أن الولد من نطفة الزوج ولذلك أجاز القانون له إنكار نسب الولد الذي جاءت به زوجته في حالة انعدام الرابطة الحقيقية بينهما " (٤٩).

المبحث الثاني: الموقف التشريعي والقضائي نفي النسب بالبصمة الوراثية

ان الموقف التشريعي من مسألة جواز الاستعانة بتقنية البصمة الوراثية في نفي النسب ليست على وتيرة واحدة في كل الانظمة القانونية لمختلف تشريعات الدول محل الدراسة المقارنة^(٥٠)، فوتيرة جواز تكون في اشدها بالنسبة لتشريعات الدول الغربية والتي لا تعير لمسألة الفراش اي اهمية و بين التشريعات العربية التي تستعين بأحكام الشريعة الاسلامية في تنظيم مسائل الاحوال الشخصية ومنها النسب فتتشدد في النفي في اطار النفي بما لا يتعارض مع هذه الاحكام ومنها اللعان. ونفس النتيجة تؤثر على الموقف القضائي مع ملاحظة ان الاجتهادات القضائية قد تغيرت بين الحين والآخر، حتى بالنسبة للدول العربية، نحو التسليم بجواز النفي حتى مع سكوت المشرع الوطني عن تنظيم هذه المسألة.

عليه فأنا سنقسم هذا المبحث على مطلبين: الاول، نتناول فيه الموقف التشريعي من نفي النسب بالبصمة الوراثية، والثاني نتطرق فيه الى الموقف القضائي من نفي النسب بالبصمة الوراثية.

المطلب الاول: الموقف التشريعي من نفي النسب بالبصمة الوراثية

ان الرؤى التشريعية مختلفة بين تشريعات تناولت البصمة الوراثية بالتنظيم واخرى سكتت. عليه ان البحث في الموقف التشريعي يتطلب منا تقسيم هذا المطلب على فرعين: الاول، موقف التشريعات الغربية، والثاني، موقف التشريعات العربية.

الفرع الاول: موقف التشريعات الغربية

بالنسبة إلى القانون الايطالي فأن المشرع الايطالي قد اصدر تشريع المرقم (٥) لسنة ١٩٧٥ الذي عدل فيه احكام القانون المدني الايطالي إذ اجاز فيه الاعتماد على اختبارات الخريطة الوراثية في اثبات او نفي وقائع الابوة او البنوة او الامومة حيث نصت المادة (٣٥) المعدلة على انه " للزوج ان يقدم الدليل على ان لا تطابق في الخصائص البيولوجية او فصيلة الدم بينه وبين الطفل الذي يراد اثبات نسبه اليه وله ايضاً اثبات ذلك بأي وسيلة اخرى تنفي رابطة الابوة"، ومعنى ذلك ان المشرع الايطالي قد اجاز

٤٩ - د. رضا عبد الحليم عبد المجيد، الحماية القانونية للجنين البشري، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، ٢٠٠١، ص ١٤٢.
٥٠ - أن مسألة إثبات النسب تتعلق بما حقوق مشتركة بين عدة أطراف، فهناك حق الله عز وجل أو حق المجتمع، وحق الأم، وحق الأب، وحق الولد، وجميعها حقوق أقرها الشرع والقانون، وأيدها القضاء في أكثر من مناسبة. والواقع أن حق الطفل في النسب، وبأن يكون له أب وأم يعرف بهما من أهم الحقوق ومن هنا يتجه الفكر القانوني المعاصر نحو الاهتمام بهذا الحق، وقد أقرت اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الطفل، الموقعة بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٨٩، والتي أقرتها فرنسا "على أن للطفل الحق في معرفة أبويه قدر الامكان وحماية نسبه وضمان الحاقه بأبيه الحقيقي". ينظر: سلطان الجمال: معصومية الجسد في ضوء القرارات الحديثة، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الحقوق القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٧٤.

الاعتماد على البصمة الوراثية وجعلها من حيث الحجية مقدمة على الحقيقة الشكلية التي تُستمد من مجرد قيام الرابطة الزوجية^(٥١).

وفي فرنسا لم يكن دليل الاثبات او النفي للنسب عن طريق البصمة الوراثية مقبولا في التشريع الفرنسي حتى عام ١٩٩٤، وتؤكد الامر بعدما أصدر المشرع الفرنسي في ٢٢/تموز/١٩٥٥ قانونا يحظر فيه استخدام البصمة الوراثية في كل الأحوال التي تثار فيها مسألة وجود او عدم وجود صلة قرابة بين الأطراف المتنازعة في الدعوى^(٥٢). وامام ما اثير من خلاف فقهي وقضائي بين مجيز ومانع من اللجوء للبصمة الوراثية في قضايا النسب قطع المشرع الفرنسي دابر هذا الخلاف حين اصدر التشريع رقم ٩٤ في ٢٩ يوليو سنة ١٩٩٤ الذي اضاف في م (٥) منة فصل جديد للباب الاول من الكتاب الاول من القانون المدني تحت عنوان (دراسة الخصائص الجينية للشخص و تحديد شخصيته بطريق الفحص بالجينات الوراثية) حيث اضاف المشرع الفرنسي، ثلاث مواد إلى القانون المدني الفرنسي، وهي م ١٦٠١٠ التي نصت، على أن البحث الجيني المحدد لخصائص الشخص، لا يمكن ممارسته إلا لأسباب طبية، أو علمية، ويجب الحصول على موافقة الشخص المعني قبل إجراء التحليلات الجينية عليه، م ١٦٠١١ والتي نصت على أن تحديد هوية الشخص، عن طريق بصمته الجينية، لا يمكن أن يتم، إلا في إطار إجراءات التحقيق، التي تفرضها دعوى قضائية، أو خدمة أهداف طبية، أو علمية في المواد المدنية، فإن هذا التحديد، لا يمكن أن يتم، إلا تنفيذًا للأمر بإجراء بحث، يأمر به القاضي في دعوى تتعلق بالنسب، وشريطة الموافقة المسبقة للمعني بالأمر. و م(١٦٠١٢) ونصت على " أن التحليلات الجينية، لا يمكن أن تتم إلا من جانب أشخاص مقبولين ومسجلين بمجدول الخبراء.

وهذا يعني ان المشرع الفرنسي اجاز نفي النسب عن طريق البصمة الوراثية شريطة ان يتم ذلك بقرار من القاضي وامام دعوى منظورة امامه وبرضا الشخص صاحب العلاقة وان تتم من قبل خبراء يتمتعون بالقبول ومسجلين بمجدول الخبراء. كما اوجب المشرع الفرنسي صراحة أن يصدر الإذن بإجراء التحليل الجيني عن سلطة قضائية، كما حوّل للقاضي أو للمحكمة المتعهدّة الحرّة في قبول طلب إجراء التحليل الجيني أو رفضه.

اما المشرع الاسباني وان كان قد اشار في الفصل (٦٤٢) من قانون الاجراءات المدنية الى أنه " يتعين على القضاء و المحاكم تقويم التقارير التي يقدمها الخبراء ولكنهم لا يسألون عن صحة الاستنتاج الذي

٥١ - ويسجل بخصوص استعمال اختبارات الخريطة الوراثية في إيطاليا مثال عديدة لعل من أهمها: افتقار المؤسسات الصحية القائمة على هذه الاختبارات إلى الرقابة الحكومية ما يجعل النتائج المتحصلة عنها موضع ريب، وبالرغم من أن القضاة الذين يفتقرون إلى الخبرة العلمية في هذا المجال الا أنهم يسلمون بهذه النتائج ويعتمدون عليها بشكل مطلق ما دعى بعض الكتاب ضرورة اعتماد القضاة على مراكز صحية مرموقة واللجوء إلى أكثر من اختبار في أكثر من مركز صحي للتحقق من صحة النتائج. أنظر في تفصيل ذلك: Alberto Grangi, Op.cit. p.153-156.

٥٢ - Jacqueline devichi, identification by genetic testing, (legal aspects, vol. four, - ٥٢ fundacion, BBV, spain, 1997, p88.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي) توصل إليه أولئك الخبراء " ما يعني اعطاء القضاء سلطة تقديرية مطلقة في تقرير صحة ما يستدل به الخبراء من نتائج في تقاريرهم وواضح ان هذا النص عام يشمل الدعاوى المختلفة ومنها دعاوى النسب كما انه مطلق بكافة مسائل الخبرة والتي من بينها اختبارات البصمة الوراثية.

و تخوف البعض منهم من الحجية المطلقة التي تتمتع بها هذه اختبارات البصمة الوراثية وعدّها تقليص كبير للسلطة التقديرية التي منحها قانون الاجراءات الاسبائي للقاضي في تقويم الرأي الفني الذي يعطيه الخبراء، وبخلاف ذلك فأن القضاة يكونوا ملزمين بذكر سبب الرفض في حالة عدم الاعتماد على نتائج هذه الاختبارات وهذا أمر يصعب عليهم في كثير من الأحيان لافتقارهم للخبرة العلمية الكافية في هذا المجال^(٥٣).

لكن بالرجوع الى الفصل(١٢٧) من التقنين المدني الاسبائي نجد نص على انه "في نطاق التحقيقات التي تجرى لأثبات وقائع الابوة او البنوة او الامومة، يجوز استخدام جميع انواع الاختبارات البيولوجية " وهذا يعني ان المشرع الاسبائي اجاز نفي النسب عن طريق البصمة الوراثية فهو نص خاص بينما النص السابق عام مع ملاحظة ان النص الاخير ليس ملزما للقاضي وانما على سبيل الجواز الا ان الامر، برائنا، ليس مزاجيا بل يعتمد على قناعات القاضي وفق المعطيات المقدمة في الدعوى والا كان قرار القاضي في الاستجابة لطلب التحليل ومن ثم نفي النسبي من عدمه عرضة للنقض من المحكمة العليا كما سنرى ذلك لاحقا.

ويرى الفقه القانوني الاسبائي ان ادخال تقنيات البصمة الوراثية في متن القانون المدني يشكل اضافة حقيقية للنظام القانوني الاسبائي تستحق الاشادة بها^(٥٤).

الفرع الثاني: موقف التشريعات العربية

ذكرنا فيما سبق ان اسس التشريع في الدول العربية تختلف عنها في الدول الغربية خاصة في مسائل الاحوال الشخصية حيث ان الاولى تستمد جل احكامها من الشريعة الاسلامية بخلاف الثانية التي تستمدها من العرف والواقع.

وترتب على هذا الاختلاف في الاسس نتائج عديدة ومنها ما يتعلق بنفي النسب، حيث ان حداثة تقنية البصمة الوراثية وقدم التشريعات العربية محل المقارنة كان من بين اهم الاسباب التي يرى الباحث كونها حائلا دون التنظيم القانوني المباشر لهذه التقنيات وان حاول البعض منها تلافي هذا الصقور بالنص على جواز الاستعانة بها لكن من باب العموم لا الخصوص، كما سنرى.

فبالنسبة لتونس فإنّ المتمعّن في أحكام الفصل(٦٨) وما بعده من مجلة الأحوال الشخصية التونسية^(٥٥) يخلص إلى أنّ المشرّع التونسي لم يجعل من (الحقيقة البيولوجية) هي الغاية الاكيدة من أحكام

Luis de Leon, the Human Genome and Identification by Genetic Testing, H.G (legal Aspects) -٥٣
Vol. Four, Fundacion BBv, Spain, 1997, P95 and See Vicent Soriano, op. cit p383
.Enrique Collado, The Human Genome and European Community, H.G.
.Legal Aspects) Vol. four, Fundacion BBV, Spain, 1997., P121)
Vicente Soriano, Op.Cit, 382. Sonia la Bris, Op. Cit, P.1 - ٥٤

النسب، على اعتبار أنّ النسب لا يتأسس على رابطة بيولوجية بين المولود وأبيه فحسب وإنما على رابطة قانونية (شرعية) أيضاً، فالمشرع حاول قولبة الحقيقة الشكلية أو الظاهرة بما يخدم مصلحة المولود والأسرة باعتماده قرينة الفراش بحيث يفترض قانوناً أنّ ولادة الطفل من الزوجة في ظلّ علاقة الزوجية يعدّ قرينة على أنّ هذا الطفل هو ابنا شرعياً للزوج، غير أنّ هذه الحقيقة الشكلية المجسّمة في قرينة الفراش والقائمة على الافتراض القانوني تظلّ عاجزة عن مجابهة الحقيقة البيولوجية التي يمكنها بواسطة التحليل الجيني الحزم قطعاً بثبوت البنوة أو بنفيها.

وإذا كان من الواضح أنّ المشرع التونسي لم يتعرّض إلى تقنية البصمة الوراثية كوسيلة قانونية لإثبات النسب الشرعي في مجلة الأحوال الشخصية التونسية ولا لنفيه الا أنّ توسع القضاء التونسي في تأويل الفصل (٧٥) من المجلة (٥٦) ما يسمح بقبول إدراج الوسائل البيولوجية ضمن الوسائل الجائز اعتمادها لنفي النسب على نحو ما سنذكره لاحقاً.

فيرى البعض (٥٧) ان التحليل الجيني من الممكن اعتماده كوسيلة لنفي النسب الشرعي استناداً لأحكام الفصل (٧٥) من المجلة طالما أنّ المشرع في هذا الفصل لم يعدّد على سبيل الحصر الوسائل الشرعية التي من الممكن اعتمادها لنفي النسب وكانت عبارته عامة و مطلقة بينما اشار في الفصل (٦٨) من المجلة الى أنّ " النسب يثبت بالفراش أو إقرار الأب أو شهادة شاهدين من أهل الثقة " ما يعني أنّ المشرع التونسي قد حصر صور إثبات النسب في إقرار الأب والفراش و شهادة شاهدين فأكثر في هذا الفصل، بدليل أنّه عدّها مستعملاً حرف "الباء" الذي يفيد التخصيص وعلى هذا الأساس لا يمكن التوسّع في تأويل هذا الفصل ولا إضافة وسائل أخرى كالتحاليل البيولوجية عامة والاختبار الجيني خاصة لإثبات النسب لأنّ علاقة النسب وان كانت واقعة قانونية الا ان المشرع أفردّها عن بقيّة الوقائع القانونية الأخرى بعدم خضوعها لمبدأ حرية الإثبات وجعل وسائل إثبات النسب محدّدة على وجه الحصر على خلاف نفيه حسبما يتبيّن من خلال إجراء المقارنة بين أحكام الفصلين (٦٨ و ٧٥) من المجلة، ويضيف أنّ هذا التأويل الضيق لأحكام الفصل ٦٨ من المجلة له ما يبرّره خصوصاً وأنّ رابطة النسب في المجلة مرتبطة أساساً بقرينة الفراش الذي تتأسس عليه وحده رابطة البنوة الشرعية بينما يقتصر التحليل الجيني على إثبات الرابطة الدموية فحسب والتي لا تكفي وحدها لإقامة رابطة نسب شرعي بين الطفل وأبيه إذا كان الفراش مفقوداً، وإنّ المشرع التونسي قد أورد التحليل الجيني كوسيلة مستقلة لإثبات بنوة الأطفال المهملين ومجهولي النسب وأبقى الباب مفتوحاً للفقهاء وفقهاء القضاء للاجتهاد والتساؤل لا في

٥٥ - الصادرة في ١٣ أوت ١٩٥٦ المعدلة و النافذة.

٥٦ - الذي اشار صراحة على أنّه " إذا نفى الزوج حمل زوجته أو الولد اللازم له فلا ينتفي عنه إلا بحكم الحاكم وقبول في هاته الصورة جميع وسائل الإثبات الشرعية."

٥٧ - أنيس سكمة: إثبات النسب بين م أش والقانون عدد ٧٥ لسنة ١٩٩٨. بحث تخرّج من المعهد الأعلى للقضاء في

تونس.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي) خصوص ميدانه ونطاق إجراءاته فحسب وإنما في خصوص الإشكاليات الإجرائية التي يطرحها هذا الاختبار في غياب نصوص قانونية تنظمه من جميع جوانبه (٥٨).

اما بالنسبة للقانون الجزائري فان المشرع الجزائري تأثر بالشرعية الاسلامية عند سنه لقانون الأسرة في ١٩٨٤، إذ لم يعتمد سوى على الطرق الشرعية لإثبات النسب الواردة في م (١/٤٠) من هذا القانون رافضا استعمال الطرق العلمية كوسيلة لذلك.

لكن المشرع الجزائري تدارك هذا القصور بتعديل قانون الأسرة بالأمر ٢/٠٥ المؤرخ في ٢٠٠٥/٠٢/٠٧، حيث بموجب هذا التعديل اجاز اللجوء الى الطرق العلمية كوسيلة لإثبات النسب وذلك في م (٢/٤٠) منه و التي نصت على أنه " يجوز للقاضي اللجوء إلى الطرق العلمية لأثبات النسب "، وهذا يعني انه يجوز للقاضي الجزائري اللجوء إلى الطرق العلمية لإثبات النسب أو نفيه فالأمر يصلح في كلتا الحالتين.

ويعتبر هذا الأمر، بنظر البعض، قفزة هامة قام بها المشرع الجزائري في هذا المجال تماشيا مع التطورات العلمية خاصة تلك المتعلقة بالمجال البيولوجي. فهذا التعديل، بنظر البعض من الفقه القانوني، جاء متماشيا مع التطور العلمي لوسائل الإثبات بعدما كان القضاء يرفض اللجوء إليها على أساس أن قانون الأسرة، قبل التعديل، لم يعتبر الطرق العلمية كوسيلة لإثبات النسب (٥٩). ومع ذلك فان هذه القفزة وهذا الإدماج ورغم أهميته لا يخلو من العيوب و السلبيات والتعقيدات التي أثارَت جدالات عدة في الوسط الفقهي القانوني.

وما يجب توضيحه هنا أن المقصود بالطرق العلمية لإثبات النسب هي الطرق العلمية القاطعة وليس الطرق العلمية الظنية، وان البصمة الوراثية تقف في المقدمة من الطرق العلمية القاطعة هكذا يمكن اعتبار هذا الفحص دليل نفي أو إثبات بطريقة أكيدة في كثير من المجالات ومنها النسب (٦٠).

اما بالنسبة لموقف التشريع العراقي فالأمر مختلف تماما عن ما ذكرناه من التشريعات المقارنة فلا يوجد في العراق تشريعات خاصة بجسم الانسان عامة و البصمة الوراثية خاصة، سواء في الاطار الجنائي او المدني، ومنها مسائل اثبات النسب او نفيه فنصوص القانون المدني وقانون المرافعات وقانون العقوبات النافذة لا تسعفنا هي الاخرى بموضوع الدراسة وهو ما نعتقده قصورا تشريعا لا يصل حد القول بوجود فراغ تشريعي نكون امامه عاجزين عن البت بدعوى نفي النسب بالبصمة الوراثية اذا ما عرضت امام القضاء العراقي.

فلو رجعنا الى قانون الاحوال الشخصية النافذ رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ نجده وان لم يشير الى البصمة الوراثية او الى أي من الطرق العلمية كإحدى طرق اثبات النسب وانما دلل على هذا الاثبات

٥٨ - أنيس سكمة: المرجع سابق.

٥٩ - سلامي دليلة، حماية الطفل في قانون الاسرة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص ٢٤.

٦٠ - ام الخير بوقره: دور البصمة في اثبات النسب، بحث منشور في مجلة الاجتهاد القضائي، العدد (٧)، ص ٨٧.

بالوسائل التقليدية من فراش واقرار وشهادة، ومع ذلك فان هذا القانون احال كل ما لم يشر اليه من مسائل على الفقه الاسلامي وقضاء الدول الاسلامية^(٦١) والتي وجدنا فيها اختلاف في الرؤى على نحو ما فصلناه مسبقاً.

وعليه فان المشرع العراقي وان اشار الى طرق اثبات النسب الثلاثة (الفراش، الاقرار، البينة) فان ذلك لا يعني، براينا، انه اوردها على سبيل الحصر ولا يمكن الركون لغيرها بل ان الذي نراه انه احال بقية الطرق الاخرى على الفقه الاسلامي دون التقييد بمذهب معين مثلما احال مسألة اللعان على الفقه الاسلامي ولم يشر اليها فلا يمكن عد ذلك الغاءً للعان وعدم الاعتداد به.

وكذلك لو رجعنا إلى قانون الإثبات العراقي رقم (١٠٧) لسنة ١٩٧٩، الذي يمثل الاطار العام في مجال الإثبات من الناحية المدنية أو التجارية أو المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية ما لم يوجد نص يقضي بخلاف ذلك^(٦٢)، نجد من خلاله إن المشرع العراقي قد فتح المجال واسعاً أمام القاضي للاستعانة بوسائل الإثبات الحديثة والوسائل العلمية في إثبات الوقائع القانونية المختلفة سواء أكانت وقائع مادية أو تصرفات قانونية إذ أنه يهدف الى ابراز الدور الإيجابي للقاضي المدني في توجيه الدعوى تمهيداً للفصل فيها^(٦٣) وحيث ان نطاق هذا القانون يسري على مسائل الاحوال الشخصية فهذا يعني القول للوهلة الاولى جواز الاستعانة بالبصمة الوراثية في قضايا النسب عموماً ونفيه خصوصاً، كما أن المشرع العراقي في قانون الإثبات النافذ قد جعل الخبرة من بين طرق الإثبات التي يستطيع القاضي أن يركن إليها في إثبات الوقائع القانونية ومن ثم لا يعتبر القاضي المدني قد اوجب طريقاً جديداً من طرق الاثبات في حالة اعتماده على اختبارات الخريطة الوراثية لان قانون الإثبات أجاز للقاضي الاستعانة بالخبرة في الأمور العلمية و الفنية^(٦٤).

ويرى البعض أن الاستعانة بالأدلة المستخلصة من اختبارات البصمة الوراثية ينسجم مع الدور الإيجابي الذي أولاه المشرع اهتماماً خاصاً لممارسة الفصل في الدعوى خاصة إذا ما علمنا أن القيمة الموضوعية للإثبات بطريق الخريطة تبلغ نسبة ٩٩%، وهي نسبة تعجز عن بلوغها أدلة الإثبات الأخرى^(٦٥).

وتبعاً لذلك يكون من الجائز، براينا، الاستعانة باختبارات البصمة الوراثية في تحديد هوية الشخص البيولوجية ومقارنتها بالمعلومات الوراثية لغيره من الأشخاص لتحديد وجود أو انتفاء صلة القرابة بينه

٦١ - حيث نصت م (١) من هذا القانون على ان " ١ - تسرى النصوص التشريعية في هذا القانون على جميع المسائل التي تتناولها هذه النصوص في لفظها أو في فحواها. ٢ - إذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه فيحكم بمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية الأكثر ملائمة لنصوص هذا القانون. ٣ - تسترشد المحاكم في كل ذلك بالأحكام التي أقرها القضاء والفقه الإسلامي في العراق وفي البلاد الإسلامية الأخرى التي تتقارب قوانينها من القوانين العراقية.

٦٢ - ينظر: م (١١) من قانون الإثبات.

٦٣ - ينظر: م (١٠٢) من قانون الإثبات.

٦٤ - ينظر: م (١٣٢) من قانون الإثبات.

٦٥ - ظافر حبيب جبارة الهلالي، مرجع سابق، ص ١٢١.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي) وبينهم لكن هذا الاستنتاج لا يكون مطلقا وانما بما ينسجم والاحكام الشرعية، كما سنرى ذلك في الموقف القضائي العراقي.

المطلب الثاني: الموقف القضائي من نفي النسب بالبصمة الوراثية

ان الموقف القضائي من نفي النسب بالبصمة الوراثية كان متردداً بين الرفض والقبول من دولة لأخرى من جهة وفي ذات البلد من فترة لأخرى من جهة اخرى.

في اسبانيا كانت إحدى المحاكم الدنيا قد رفضت الاعتماد على الدليل البيولوجي في دعوى نفي النسب الا ان المحكمة العليا الإسبانية نقضت هذا القرار على أساس ان المحكمة لم تقدم التبرير المنطقي لهذا الرفض وقضت بانه "من غير المنطقي وغير المقبول عدم إدراك القاضي للحجية المطلقة التي تقدمها الاختبارات البيولوجية ولا سمياً فيما يتعلق بنفي واقعة الابوة" (٦٦).

اما في فرنسا فقد استقر فقه القضاء الفرنسي على أن المحاكم غير ملزمة بالإذن بإجراء التحليل الجيني إلا إذا تعلق الأمر بنفي البنوة أما في بقية دعاوى البنوة فتبقى السلطة القضائية المتعدهة على حريتها في الإذن بهذا الاختبار من عدم ذلك. وبدى ذلك واضحا في الدعوى التي نظرتها محكمة استئناف باريس في عام ١٩٧٥ والتي خلاصتها بان امرأة فرنسية كانت قد أنجبت مولودا ألحقت نسيه من زوجها وبعد ان تطلقت منه وتزوجت من اخر اقامت دعوى امام احدى محكمة استئناف باريس نفي نسب المولود من مطلقها والحاقه بزوجه الثاني فقررت المحكمة في ١١-٩-١٩٧٥ احواله الدعوى على الطب الشرعي وتكليف خبير بالقيام بمهمة اجراء الفحوصات الوراثية للأطراف وفي ٣-٣-١٩٧٦ اودع الخبير تقريره الذي استبعد فيه ابوة الزوج الاول (المطلق) للمولود و اثبت ابوة الزوج الثاني له فأصدرت المحكمة قرارها في ١٦-١٢-١٩٧٦ بنفي نسب المولود من الزوج الاول الذي ولد على فراشه والحاقه بالزوج الثاني (٦٧).

كما اصدرت محكمة النقض تقريرها السنوي عام ١٩٧٦ والذي اجازت فيه صراحة امكانية استخدام الدليل البيولوجي في اثبات وقائع الأبوة والامومة والذي جاء فيه "على المحاكم الا تترد في استخدام التقنيات الحديثة في اثبات الوقائع في قضايا النسب" (٦٨). الا ان التقرير لا يعني القول بالزامية القضاء بالأخذ بالبصمة الوراثية ويؤيد ذلك ما ذهب اليه محكمة النقض الفرنسية في احدى احكامها الصادرة في ١٢/١/١٩٩٤ "أن وسائل الفحص الطبية لأثبات النسب او نفيه، خاصة المسماة التحليل للجينات الوراثية ليست بذاتها وسائل للدفع بعدم قبول الدعوى ولكنها فقط وسيلة دفاع في الموضوع، وكما انها ليست ملزمة للمحكمة بحيث انه يحق لمحكمة ان تقدر بناء على اسباب جديدة ومقبولة ان

٦٦ - انظر قرار المحكمة العليا في اسبانيا الصادر في ٢١/حزيران/١٩٨٨ مشار اليه في: Vicente Seranio, Op. Cit, P.

اجراء الخبرة الطبية الجديدة ليست من شأنها تدعم او تثبت ادعاءات الطاعن، لأنها لا يمكن ان تشكل في صحة النتائج العملية للفحوصات التي تم أجراءها " (٦٩).

الا ان الامر تغير وبات اللجوء للبصمة الوراثية ملزماً للقضاء في دعاوى نفي النسب خصوصا بعد صدور القانون رقم ٩٤ لسنة ١٩٩٤. فقد رفعت زوجه تحمل الجنسية (الفرنسية و المغربية) دعوى ضد زوجها المتمتع بذات الجنسيين امام احدى المحاكم الفرنسية تطلب فيها التفريق عنه من جهة والزامه بالنفقة على بنته منها ثانيا فحكمت المحكمة بالتفريق لكنها لم تحكم بالنفقة لإنكار الزوج بنوتها وطلبه اجراء الفحص الجيني عليها الذي أثبت انعدام الصلة بين البنت والزوج ما دعى المحكمة الحكم بنفي نسب البنت من الزوج المدعى عليه. الا ان هذه الزوجة لم تقتنع بهذا الحكم بل قامت برفع دعوى اثبات نسب البنت من زوجها امام احدى المحاكم الابتدائية المغربية، ودفع الزوج بنفي النسب مدليا بنتائج الخبرة الطبية وانه يستحيل ان يكون ابا لهذه البنت الا ان المحكمة حكمت بأثبات النسب مسببة حكمها بتوافر الوسائل الشرعية للنسب من الفراش وشروطه خاصة مدة الحمل، وقد ايدت محكمتي الاستئناف والمجلس الاعلى لنفس السبب، علما ان القرار الاخير كان موضع انتقاد شديد من القانونين المغاربة (٧٠).

وفي تونس فقد كانت محكمة الاستئناف بسوسة سبأقة للقبول فعليا باللجوء إلى تحليل الدم لنفي الأبوة رغم ما اشرنا اليه من الموقف التشريعي في تونس من خلال إثبات اختلاف الفصائل الدموية بين الابن والأب المزعوم فقد جاء في قرارها المؤرخ في ١٧ جانفي ١٩٧٤ أن " الاعتماد على التحاليل الطبية لنفي النسب لا لإثباته اعتمادا على وسائل إثبات شرعية مادام الطب الحديث في استطاعته اليوم القطع بنفي أبوة شخص لآخر حسب تحاليل خاصة تؤدي إلى نتيجتها دون شك أو جدل ".

كما أكدت محكمة التعقيب (النقض) التونسية من جهتها على هذا الموقف في العديد من المناسبات وجاء بأحد قراراتها " أن أحكام الفصلين ٧٥ و ٧٦ من م أ ش اقتضت إمكانية القيام بطلب نفي النسب استنادا إلى كافة وسائل الإثبات ومنها وسيلة تحليل الدم التي هي حجة قاطعة يمكن الاستناد إليها في طلب نفي النسب ".

كما وايدت محكمة التعقيب ايضا قرار محكمة استئناف سوسة، بمناسبة دعوى نفي نسب رفعت اليها والقاضي بان التحليل الطبي للدم يعتبر وسيله شرعية من بين الوسائل المنصوص عليها بالفصل (٧٥) من مجلة الاحوال الشخصية معللة ذلك بان وسيلة الاثبات التي اخذت بها محكمة الاستئناف بسوسة هي وسيلة شرعية يقرها الشارع و يأخذ بها ويعتمدها كما يعتمد على وسائل الاثبات الاخرى المثبتة كحصول اليقين بعدم التلاقي مطلقاً (٧١).

٦٩ - اشار إليه: د. رضا عبد الحليم عبد المجيد، المرجع السابق، ص ١١٣، ١١٤.
٧٠ - صدر القرار عن المجلس الاعلى في ٢٠٠٤/١٢/٣٠ في الملف الشرعي عدد ٢٠٠٣/١/٢/٥٥٦، و المنشور في العدد السابع من مجلة الملف- في تفاصيل القرار والانتقادات الموجهة اليه ينظر: الموقع الالكتروني <http://www.palmoon.net/2/topic-2122-89.html>
٧١ - القرار التعقيبي المرقم ١١٠٥ في ٢٧-٧-١٩٧٦ اشارت اليه: د. عبلة الكحلوي، مرجع سابق، ص ٢٤٣-٢٤٤.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي) وعليه فقد استقر قضاء محكمة التعقيب التونسية على اعتماد الاختبارات البيولوجية كوسيلة لنفي النسب وأكدت بان النفي لا يعتمد على ما يقدمه الزوج من وسائل الاثبات الشرعية والقانونية ومنها الشهادة لا تعتمد بل يجب الاعتماد على الابحاث والاختبارات الطبية والتي يكون لها تأثير سلبي او ايجابي ومن وسيلة تحليل الدم لكل من الزوج والزوجة والمولود المطالب بنفي نسبه وانه لا شئ يمنع من اعتماد تلك الوسيلة التي تحقق علماء الطب الشرعي من صحتها والتي تعد طريقة علمية قاطعة وهو ما درج عليه فقه قضاء هذه المحكمة^(٧٢).

اما في الجزائر فكان الاجتهاد القضائي يطبق حرفية م (١/٤٠) من قانون الأسرة مارة الذكر مكنتيا بجمود النص القانوني الذي لا يقبل أي تأويل أو اجتهاد، كما أن قضاة المحكمة العليا طبقوا النص الحرفي للمادة (٤٠) اعلاه التي تحدد طرق إثبات النسب قبل تعديلها وكانت تعتبر لجوء القاضي لأي خبرة علمية تستهدف إثبات أو نفي النسب بأي طريقة من الطرق العلمية تجاوزا للسلطة لأنها كانت تعتبر ذلك تشريعا في حد ذاته.

وفي المغرب فان الملاحظ من خلال قراءة قرارات محكمة النقض المغربية (المجلس الأعلى سابقا) أن هذه الأخيرة لم تكن تعتبر الخبرة من الوسائل المقررة شرعا في نفي النسب كما جاء في احدى قراراتها القديمة^(٧٣) والذي جاء فيه " لما قضت المحكمة بلحوق نسب البنت استنادا الى ما ثبت لها من اوراق الملف من ازديادها من الفراش داخل أمد الحمل بعد الطلاق، واعتبرت اقرار الزوجة بكون البنت من غير طليقها لا تأثير له، وردت طلب اجراء الفحص الطبي للتأكد من نسب البنت يكون قرارها معللا بما فيه الكفاية ويبنى على اساس.

الا انها تراجعت نسبيا عن ذلك كما جاء في قرار لها^(٧٤) مضمونه ان " نفي النسب لا يقبل بعد علم الزوج بالحمل بيوم أو يومين أو ثلاثة أيام في الأكثر وسكوته بدون عذر كما هو معمول به فقها وقضاء، ومادام حمل الزوجة قد وقع أثناء فترة عقد الزواج وأمكن الاتصال بين الزوجين وازداد الولد أثناء المدة المعتبرة شرعا فإن المحكمة لم تكن في حاجة إلى إجراء أي بحث أو أي تحليل طبي لأن حل النزاع محسوم فقها وقانونا."

الا ان الامر تغيير من قبل فقه قضاء هذه المحكمة في قرارات لاحقة اجازت الاثبات والنفي بالبصمة الوراثية منها القرار (١٥٠) الصادر بتاريخ ٩ مارس ٢٠٠٥^(٧٥) الذي اقر القاعدة الاتية " لا يوجد نص قطعي يمنع إثبات النسب بالخبرة. وجاء في هذا القرار انه " لعن كان الفراش الشرعي قرينة قاطعة على اثبات النسب، فان ذلك مشروط بان تكون الولادة ثابتة التاريخ ودخل الأمد المعتبر شرعا بشكل لا مراء ولا جدال فيه. و تمسك المطلق بنفي نسب الولد بسبب عدم العلم بوجوده إلا بعد مرور أكثر من

٧٢ - القرار التعقيبي المرقم ٢٧٧٧٧ في ٢٦-١-١٩٩٣، اشارت اليه: د. عبلة الكحلوي، المرجع سابق، ص ٢٤٤.

٧٣ - رقم القرار ٣٠٤ ملف ٢٠١/٢/٢٣٧٤ المؤرخ في ٢٦/٠٦/٢٠٠٣ المنشور بمجلة المحاكم المغربية عدد ١٠٤ ص ٧٦.

٧٤ - رقم القرار: ٧٨٠ المؤرخ في ١٣/١١/٢٠٠٢ ملف شرعي عدد: ٢٠٠٢/١/٢/١٣٢ منشورة بمجلة قضاء المجلس الأعلى

عدد: ٥٩-٦٠ ص: ٢٢٣.

٧٥ - الملف الشرعي ٢٠٠٣/١/٢/٦١٥ المنشور بمجلة المحاكم المغربية عدد ١٠٤، ص ٨٣.

عشر سنوات عن تاريخ ودلاته، واختلاف الزوجين بشأن تاريخ ازدياده، فضلا عن ادعاء العقم، يوجب على المحكمة أن تبحث بوسائل الإثبات المعتمدة شرعا ومنها الخبرة التي لا يوجد نص قانوني صريح بمنعها والاستعانة بها " (٧٦).

وفي العراق، قد ذهبت المحاكم في بعض قراراتها الى الاخذ بنتائج البصمة الوراثية في نفي النسب بالرغم من عدم وجود نص مباشر يقضي بذلك، منها ما ذهبت اليه محكمة الأحوال الشخصية في الكرادة من نفي نسبة طفلة من رجل وامرأة كانت قد سجلت في دائرة الأحوال المدنية على إنها ابنتهما بعد إن تبين للمحكمة بالتقارير الطبية ثبوت عقم الرجل (٧٧).

كما ذهبت محكمة التمييز إلى انه "إذا كان الثابت من تقرير مستشفى الكرامة التعليمي الخاص بنتيجة فحص تطابق الأنسجة لأطراف الدعوى أن الصفات الوراثية للطفل (ز) لا تمت بأي صلة للصفات الوراثية للزوج (م) وزوجته المدعي عليها (ك) وان الصفات الوراثية العائدة للزوج (ن) وزوجته المدعية (س) وان الطفل (ز) لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال أبنا للزوجين (م، ك) فيتعين القضاء باعتبار (ز) ابنا للمدعية (س) وزوجها (ن) وتسليمه إليهما ومنع معارضه المدعى عليهما في ذلك" (٧٨).

كما اكدت محكمة التمييز في أحد أحكامها إلى ضرورة الاستعانة بالفحوصات البيولوجية "إذا ادعت المدعية بأنها ابنة المتوفى وأن المدعى عليه هو خالها وليس أبيها وأن زوجته ليست أمها فينبغي على المحكمة تكليفها بالإثبات وأن تحيل الطرفين على الجهة المختصة لإجراء الفحوص المختبرية للخلايا النسيجية وعوامل الوراثة وصولاً إلى الحكم العادل" (٧٩).

ويلاحظ على ما اشرنا اليه من قرارات قضائية ان دعوى نفي النسب لم ينظرها القضاء العراقي لوحدها بل تكون في مناسبات دعوى نفي النسب وأثباته معاً.

٧٦ - وهذا هو توجه مدونة الأسرة، عندما نصت المادة ١٥٣ منها على ما يلي " يثبت الفراش بما تثبت به الزوجية. يعتبر الفراش بشروطه حجة قاطعة على ثبوت النسب، لا يمكن الطعن فيه إلا من الزوج عن طريق اللعان، أو بواسطة خبرة نقيب القاطع، بشرطين: ١- إدلاء الزوج المعني بدلائل قوية على ادعائه ٢- صدور أمر قضائي بهذه الخبرة. "

٧٧ - وجاء في حيثيات هذا الحكم ما يلي "أدعى المدعيان لدى محكمة الأحوال الشخصية في الكرادة بأنه سبق وأن سجلت الطفلة (د) باسم المفقود (ع م ر) وزوجته المتوفاة (ق س م) وأن الطفلة لا تمت بأي صلة رحم أبوية من والدتها المتوفية المذكورة وزوجها المفقود وحيث أنه عقيم، وإنما من صلة رحم المدعى عليها". فأصدرت المحكمة المذكورة حكماً حضورياً قضت فيه "بنفي نسب البنت (د) من المدعو (ع م ر) وزوجته المتوفاة (ق س م) وإلحاقها بوالديها الحقيقيين(ص م ر) من فراش زوجته(م ج). رقم القرار ١٩/ش/٩٩. تاريخ القرار ١٣/٥/١٩٩٩، مجلة القضاء، العددان الثالث والرابع، السنة السادسة والخمسون، ٢٠٠٠، ص ٢٦٣.

٧٨ - ٩٥/موسعة أولى/٨٦/٨٧ الصادر في ٣٠/٥/١٩٨٩، مشار إليه في: الأستاذ إبراهيم المشاهدي، المبادئ القانونية في قضاء محكمة التمييز، قسم الأحوال الشخصية، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٨٩، ص ٣٦٠.

٧٩ - ٦٣/٩٥/موسعة أولى/٨٧/٨٨ الصادر في ٣٠/٥/١٩٨٨. مشار إليه في: شاكر محمود النجار، أحكام النسب في الشريعة والقانون مع قرارات محكمة التمييز، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص ٢٠.

الفصل الثاني: مدى حجية البصمة الوراثية في نفي النسب

إذا ما كانت مشروعية نفي النسب بالبصمة الوراثية محل خلاف فقهي وتشريعي فان مثل هذا الخلاف يكمن أيضاً في حجية نفي النسب بالبصمة الوراثية، فهل ان النفي بها له حجية مطلقة في الاثبات، سواء توافق مع الادلة الشرعية الاخرى ام اختلاف، وسواء توافق مع اللعان ام تعارض؟ وانعكس هذا الامر على بعض الاشكاليات التي تثار بهذا الخصوص منها اطراف دعوى نفي النسب والاثار المترتبة على ثبوت نفي النسب بالبصمة الوراثية ومدى امكانية الزام الشخص بالخضوع للاختبارات البصمة الوراثية؟ وحكم امتناع الخصم عن اجراء تحليل البصمة الوراثية؟ عليه فأننا سنقسم هذا الفصل على مبحثين: الاول نتناول فيه القيمة الشرعية والقانونية لنفي النسب بالبصمة الوراثية، والثاني نتطرق فيه الى اشكاليات دعوى نفي النسب بالبصمة الوراثية.

المبحث الاول: القيمة الشرعية والقانونية لنفي النسب بالبصمة الوراثية

اشرنا فيما مضى الى وجود اختلاف فقهي بخصوص جواز نفي النسب بالبصمة الوراثية، الا انه ومع التسليم بالجواز، على راي من يقول ذلك، فان ثمة خلاف بخصوص القيمة الشرعية والقانونية لنفي النسب عن طريق البصمة الوراثية، فهل قرينة النفي قطعية؟ ام ظنية؟ ام مرحلة وسط بينهما؟ للإجابة نقول ان هنالك ثلاثة اتجاهات بهذا الخصوص نتناولها في مطالب ثلاثة:

الاول: القائلون بالحجية المطلقة لنفي النسب بالبصمة الوراثية.

الثاني: القائلون بالحجية الظنية لنفي النسب بالبصمة الوراثية.

الثالث: القائلون باعتبار البصمة الوراثية من ادلة الاثبات.

المطلب الاول: القائلون بالحجية المطلقة لنفي النسب بالبصمة الوراثية

ذهب جمع من الفقه^(٨٠) الى اسباغ الحجية المطلقة على الاثبات بالبصمة الوراثية وانها قرينة قطعية على اساس ان نسبة النجاح فيها وصلت فيها إلى ٩٩،٩٩%، ويرون تقديم البصمة الوراثية على بقية الادلة الشرعية الاخرى لأنها تحقق ما تحققه تلك الادلة وزياده عنها، واذا ما كان ثم تعارض بين البصمة الوراثية وتلك الادلة قدمت البصمة الوراثية عليها. ويضيفون إن قوة الدليل في هذه التحاليل تصل إلى

٨٠- وهو قول عامة الفقهاء المعاصرين: منهم: علي محي الدين القره داغي، محمد الأشقر، محمد رأفت عثمان، عبد القادر خياط، وفؤاد عبد المنعم، كذلك: نصر فريد واصل، مرجع سابق، ص ١٢١. إبراهيم عثمان: دور البصمة الوراثية في قضايا إثبات النسب والجرائم، سابق، ص ١٩: تقنيات البصمة الوراثية وعلاقتها بالشرعية الإسلامية، المجلد الرابع (، خياط شمالي. تقنيات الهندسة الوراثية في قضايا النسب وعلاقتها بالشرعية الإسلامية، المجلد الرابع، ص ١٥١٣، غنام: دور البصمة الوراثية في الإثبات، مؤتمر ٧ مايو ٢٠٠٢، المجلد، ص ٤٧٥، مرجع سابق، ص ٢١٢. السويلم: الهندسة الوراثية بين الشرعية والقانون، جامعة الإمارات، مرجع سابق، ص ١٧. فريد واصل: البصمة: البصمة الوراثية وبمجال الاستفاد منها، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد، السنة ١٥، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٣ م، ص ٦٥، سعد الدين هلال: البصمة الوراثية وبمجال الاستفاد منها، من أعمال وبحوث الدورة السادسة عشر لمجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م، المجلد ٣، ص ٦٥، علي محيي الدين القره داغي: البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد ١٦، السنة ١٤، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٥٥. عبد الرشيد محمد أمين قاسم: البصمة الوراثية وحجيتها، مجلة العدل، وزارة العدل السعودية عدد ٢٣، رجب ١٤٢٥ هـ، ص ٦١. وهو ما ذهبت إليه المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في دولة الكويت في دورتها. كذلك: رقية عامر شوكت: وسائل إثبات النسب بالطرق الحديثة، بحث منشور على الموقع الالكتروني: <http://main.islammessage.com/Default.aspx>.

نسب قطعية في النفي أو الإثبات للبنوة والنسب، وإن هذه من التطورات الفنية الحديثة في مجال الفحوص المخبرية تقطع الشك باليقين في كثير من الحالات، والخطأ فيها أصبح مستحيلاً، ونسبة النجاح فيها ما يقارب ١٠٠% (٨١).

ويرى اصحاب هذا الاتجاه أن البصمة الوراثية أقوى بكثير من بقية القرائن بل حتى من الشهادة التي تمثل الصدق والكذب بل وحتى من الإقرار كما أن البصمة الوراثية تصلح أن تكون مانعاً من قبول طرق الإثبات التقليدية دون العكس، ذلك لأنها دليل مادي يعتمد العلم والحس، ويقوم على التسجيل الذي لا يقبل العود والإنكار بخلاف غيرها من الأدلة الأخرى التي تعتمد على الالتماس فهي لا تقبل العود والإنكار (٨٢).

وان رأى البعض منهم بأن البصمة الوراثية هي ذات دلالة علمية قطعية يقينية؛ لإثبات هوية الإنسان، وتعدُّ سبباً شرعياً لحسم نزاع النسب (٨٣). بينما ذهب آخر " فقد أثبتت التجارب العلمية المتكررة أن البصمة الوراثية إذا توفرت شروطها وأكثر عيناها مع ملاحظة الدقة والضبط والتكرار دليل قطعي وأكثر نتائجها ١٠٠% (٨٤).

وقد ذهبت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية من خلال ندوتها الحادية عشرة المتعلقة بالهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني، المقامة في الكويت في الفترة الممتدة بين ٢٣-٢٥ جمادى الثانية ١٤١٩ هـ/ الموافق ١٣-١٥ أكتوبر ١٩٩٨ م إلى أن " البصمة الوراثية من الناحية العلمية، وسيلة لا تكاد تُخطئ في التحقق من الوالدية البيولوجية، والتحقق من الشخصية، ولا سيما في مجال الطب الشرعي، وهي ترقى إلى مستوى القرائن القاطعة التي أخذ بها جمهور الفقهاء في غير قضايا الحدود الشرعية" (٨٥) وقد أيد هذا الموقف المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، شريطة استيفاء شروطها الكاملة؛ حيث جاء في توصياته أن " البصمة الوراثية إذا استوفت الشروط الكاملة، واجتنبت الأخطاء البشرية؛ فإن نتائجها تكاد تكون قطعية في إثبات نسبة الأولاد إلى الوالدين، أو نفيها عنهما، وتصل نتائجها إلى ٩٩,٩% (٨٦).

٨١ - شمالي خياط: تقنيات البصمة الوراثية وعلاقتها بالشريعة الإسلامية، المجلد الرابع (ص ١٤٩٣) مرجع سابق. كذلك: Vicente Soriano, Op. Cit, P. 389. Robert; T. Stephan, Op. Cit, P2/7.

٨٢ - د. إبراهيم أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ١٧.

٨٣ - انظر: فريد واصل: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، بحث منشور في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد ١٧، السنة ١٤٢٥، ١٥ هـ/ ٢٠٠٣ م، ص ٦٥.

٨٤ - انظر: علي محيي الدين القره داغي، البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي، بحث منشور في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد ١٦، السنة ١٤، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، ص ٥٥.

٨٥ - انظر: الحلقة النقاشية حول الهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني، موقع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية: www.islamset.Com.

٨٦ - انظر: تقرير اللجنة العلمية عن البصمة الوراثية، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد ١٦، السنة ١٤، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، ص ٢٩٢. خليفة على الكعبي البصمة الوراثية وآثارها على الأحكام الوراثية - دراسة مقارنة - رسالة ماجستير، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ٢٩٣.

ويخلص البعض الى قول إن الأصل في البصمة الوراثية اليقين والقطعية، إلا أن عامل اليد البشرية والمراحل المعقدة التي يتطلبها التحليل قللت من مصداقيتها، وجعلت نتائجها قريبة من القطع، بمعنى أنها قرينة قطعية من الناحية العلمية، وقرينة ظنية من الناحية العملية^(٨٧).

قد جاء في توصية ندوة الوراثة و الهندسة الوراثية المنبثقة عن المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية "البصمة الوراثية من الناحية العملية وسيلة لا تكاد تخطئ في التحقق من الوالدية البيولوجية والتحقق من الشخصية، ولا سيما في مجال الطب الشرعي، وهي ترقى إلى مستوى القرائن القوية التي يأخذ بها أكثر الفقهاء في غير قضايا الحدود الشرعية، وتمثل تطورا عصريا عظيما في مجال القيافة التي يذهب إليها جمهور الفقهاء في إثبات النسب المتنازع فيه، ولذلك ترى الندوة أن يؤخذ بها في كل ما يؤخذ فيه بالقيافة من باب أولى".

واستدل اصحاب هذا الاتجاه الى الآيتين من سورة يوسف مارة الذكر وكذلك قوله تعالى " ادعوهم لإبائهم هو أقسط عند الله " ^(٨٨) لأنه من خلال البصمة الوراثية يمكن التعرف على الأب الحقيقي وتنفيذ ما أمر الله به فمتى كشفت البصمة الوراثية نسب الولد لأبيه الحقيقي وجب العمل بها ^(٨٩).
إذا كان ما تقدم من تكييف انما ينطبق على اثبات النسب بالبصمة الوراثية فهل ينطبق هذا التكييف على نفي النسب؟

لاشك في ان المميزين مطلقاً لنفي النسب بالبصمة الوراثية يرون الحجية المطلقة للبصمة الوراثية وتقديمها على سائر الأدلة والقرائن الاخرى، والذي يبدو للباحث أن الرأي الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب هذا الاتجاه، من اعتبار البصمة الوراثية قرينة قطعية وذلك لقوة أدلتها، ولكن بشروط وضوابط الحذر من التكنولوجيا المتطورة، بمعنى عدم التسليم المطلق بنتائجها قبل اختبار الموضوعية، والوقوف على طبيعة عدة التقنية ومعناه التأكد من سلامة الأجهزة ودراية الفنيين في تشغيلها واختيار الموضوعية بمعنى وجوب إجراء تحليلين من عينتين مختلفتين لإمكان المقارنة و الاطمئنان لسلامة النتيجة وأن يكون العامل عليها من أهل الاختصاص والخبرة و لا يكون في مرحلة التجريب بل يكون متمرساً وذا خبرة وأن يكون القائمون على إجراء الفحوص والتحليل الخاصة بالبصمة الوراثية عدول ثقة امناء وأن لا تتدخل المصالح الشخصية والأهواء في هذه الفحوصات وكذلك إذا كانت هناك عداوة فلا تقبل نتيجتها ضد الطرف الآخر وكذلك ينبغي مراعاة خبير بالبصمة لصالح أمه او أبيه أو نحو ذلك ويجب أن يخضع الأمر لقواعد المهنة فإنهم أعرف وهو أفضل للتأكد حيث إن التجارب العلمية قد أثبتت ان نسبة النجاح في إثبات الأبوة بواسطة البصمة الوراثية ثم أن هذه التقنية ممكن أن تحاط بمجموعة من الضوابط والقانونية من شأنها أن ترفع الشك في مصداقية نتائجها.

٨٧ - د. نذير حمادو، مرجع سابق.

٨٨ - الاحزاب/٥.

٨٩ - شمالي حياط: تقنيات البصمة الوراثية وعلاقتها بالشرعية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥١٦.

المطلب الثاني: القائلون بالحجية الظنية لنفي النسب بالبصمة الوراثية

يرى اصحاب هذا الاتجاه أن البصمة الوراثية لا ترقى إلى مستوى القرائن القطعية بل قرينة ظنية، لا ترقى إلى مستوى القرائن القطعية لأنها عرضة للخطأ، فهي ليست من البينات المعتبرة شرعاً في إثبات النسب، بل هي قرينة تخضع لتقدير المحكمة^(٩٠).

وهذا يعني استنادا لهذا الرأي إذا اعتبرت البصمة الوراثية قرينة من القرائن فهذا يضعف من دلالتها، وذلك لأنه لا يلجأ إلى القرائن إلا عند انتفاء الأدلة وإذا عارضها دليل يقدم عليها، كالفرش أو الإقرار أو الشهادة، وهذه الأدلة غالباً ما تكون مصاحبة لدعاوى إثبات النسب^(٩١).

واستدل اصحاب هذا الاتجاه في رأيهم الى إن الإثبات بالبصمة الوراثية قرينة واقعية بسيطة، لا ترقى الى ذات القوة الثبوتية التي تتمتع بها سائر وسائل الإثبات ما يعني حرية القاضي في اعتمادها أو رفضها ذلك أن الأصل في البصمة الوراثية القطع غير أن الظروف أهدرت من قيمتها؛ ذلك بأنها تفتقر إلى التأثير في نفسية القاضي، كون أن إجراء التحليل يتم في غيابه، وعدم وقوف القاضي على نوعية القائمين على المختبر، بالإضافة إلى أن الظروف المحيطة والإجراءات المعقدة عند التحليل أهدرت من قيمتها كما إن رفض تحاليل الحمض النووي في قضايا النسب ينطلق من كونه غير معترف به شرعاً حتى أن القائمين على التحاليل ذاتها لم يصلوا فيها إلى درجة اليقين، إضافة الى إن النظريات العلمية الحديثة من طبية أو غيرها مهما بلغت من الدقة والقطع بالصحة، في نظر المختصين، إلا أنها تظل محل شك ونظر^(٩٢).

وإذا كان اصحاب هذا الاتجاه مجمعون على تقلص الإقرار على البصمة الوراثية و ذلك بتوافر الشروط المعتبرة شرعاً إلا أنه هناك من يجيز الاحتكام إلى البصمة الوراثية إذا كدّب المقر له المقر، باعتبار أن النسب حق للولد فينبغي على الأب أن يثبتته بأي دليل و الذي تحل محله البصمة الوراثية في ظل غياب أي دليل آخر بشرط رضی المقر له بالنسب بإجراء البصمة الوراثية^(٩٣).

إذا كان ما تقدم من تكييف انما ينطبق على اثبات النسب بالبصمة الوراثية فهل ينطبق هذا التكييف على نفي النسب؟

٩٠ - من اصحاب هذا الاتجاه: العاكوم: البصمة الوراثية وأثرها في الإثبات، مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، جامعة، الإمارات، ٢٠٠٢، المجلد الثاني، ص٥٤٢. بل نجد ان من الفقهاء المسلمين الأوائل من يتبنى هذه الفكرة، فقد اشار ابن فرحون الى ان من العلماء من يحتج بقوله تعالى " و شهدا شاهد من اهلها " فيرى جواز الحكم بالأمارات والعلامات فيما لا تحضره البينات: ينظر: إبراهيم بن الإمام شمس الدين بن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ج٤، مصر: المطبعة العامرة الشرفية عام ١٣٠١ هـ - ط١ - تصوير بيروت، دار الكتب، ص١٦٧.

٩١ - عائشة إبراهيم أحمد المقادمة، إثبات النسب في ضوء علم الوراثة، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٢، ص٥٦.

٩٢ - العاكوم، مرجع سابق، ص٥٤٢. خليفة على الكعبي، مرجع سابق، ص٢٠٥. السبيل، مرجع سابق، ص٢٩. عائشه، مرجع سابق، ص٥٧. ينظر ايضا: د. عبد الرشيد محمد أمين بن قاسم: البصمة الوراثية، مرجع سابق.

٩٣ - د. وهبة الزحيلي - البصمة الوراثية ودورها في الإثبات، مرجع سابق، ص ١٥.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الإسلامي)
هنالك من يرى أن إثبات النسب أو نفيه بالبصمة الوراثية يجب ألا يُقدّم على القواعد الشرعية ولا وسائل الإثبات الأقوى منه، ولكن يجوز استخدامه في حالات التنازع على مجهولي النسب، أو حالات الاشتباه بين الموالي، أو ضياع الأطفال واختلاطهم، ولا يصح إثبات نسب لمعروف النسب ولا لمولود الزنا^(٩٤).

الذي يبدو للباحث ان هذا الاتجاه غير سليم ويتناسى القيمة القانونية والشرعية للبصمة الوراثية في نفي النسب خصوصاً وأنه يمكن تلافى بعض الاشكاليات في نفي النسب اذا ما روعيت الضوابط الشرعية والقانونية المتقدمة.

المطلب الثالث: القائلون باعتبار البصمة الوراثية من ادلة الاثبات

يرى اصحاب هذا الاتجاه أن البصمة الوراثية تعد بينة مستقلة أو دليل مباشر، يثبت بها الحكم نفياً أو إثباتاً، إذا توفرت الشروط اللازمة^(٩٥)، اي أن البصمة الوراثية تعد دليلاً شرعياً مستقلاً لإثبات النسب إذا توافرت الشروط والضوابط اللازمة، وأنها لا تلغي الأدلة الشرعية، بل تعتبر واحدة منها وبأبها ظهر الحق وجب الأخذ به، ولكن لا يلجأ إليها ابتداءً، بل يلجأ إليها عند حصول التنازع في النسب، ويجب أن يكون ذلك بأمر من القاضي، وفقاً للشروط والضوابط الشرعية و العملية اللازمة فعند ذلك إذا أثبتت نتائج الفحص القاطعة نسب شخص لآخر أو نفيه عنه فلا مجال لإنكار ذلك، بل يجب العمل بمقتضاها، حتى لو تعارضت مع غيرها من الأدلة، وذلك لما فيها من القطعية واليقين^(٩٦).

إذا كان ما تقدم من تكييف انما ينطبق على اثبات النسب بالبصمة الوراثية فهل ينطبق هذا التكييف على نفي النسب؟

ويرى البعض أنه يجدر بالحاكم الشرعي الاستفادة من هذه التقنية الحديثة المتطورة وإجراء الفحوصات المخبرية للبصمة الوراثية للاستعانة بها كقرينة من القرائن التي يستعان بها على التحقق من صحة دعوى الزوج أو عدمها، بغرض الحيلولة دون وقوع اللعان قدر المستطاع لحض الشارع علي درء ذلك ومنعه، وتشوفه لاتصال الأنساب وبقاء الحياة الزوجية^(٩٧).

ويرى البعض ان يتم اللجوء للبصمة الوراثية عند حصول التنازع في النسب، ويجب أن يكون ذلك بأمر من القاضي، وفقاً للشروط والضوابط الشرعية والعملية اللازمة فإذا ما أثبتت نتائج الفحص القاطعة

٩٤ - <http://www.aliftaa.jo/Default.aspx>

٩٥ - وهو قول بعض العلماء المعاصرين منهم إبراهيم عثمان، عبد الرشيد قاسم، وعباس الباز، إبراهيم عثمان: دور البصمة الوراثية في قضايا إثبات النسب والجرائم الجنائية، ص ١٥، مرجع سابق، الباز: بصمات غير الأصابع وحجيتها في الإثبات والقضاء، مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة الوراثية ٧ مايو ٢٠٠٢، المجلد الثاني، ص ٧٨٥، المرزوقي: إثبات النسب - بين الشريعة والقانون، جامعة الإمارات، ص ٢٨٧، قاسم: البصمة الوراثية وإثبات النسب، ص ١٢، مرجع سابق. عائشة إبراهيم أحمد المقادمة، مرجع سابق، ص ٧٤.

٩٦ - عائشة إبراهيم أحمد المقادمة، مرجع سابق، ص ٧٤.

٩٧ - د. أسامة محمد الصلابي: قسم الدراسات الإسلامية - كلية الاداب بجامعة قارونوس - مجلة كلية الآداب - جامعة قارونوس بنغازي- ليبيا، العدد ٣٥-٢٠١١، ص ١٣.

نسب شخص لآخر أو نفيه عنه فلا مجال لإنكار ذلك، بل يجب العمل بمقتضاها، حتى لو تعارضت مع غيرها من الأدلة، وذلك لما فيها من القطعية واليقين^(٩٨).

وجاء في توصية ندوة الوراثة والهندسة الوراثية ما نصه "البصمة الوراثية من الناحية العلمية وسيلة لا تكاد تخطأ للتحقق من الوالدية البيولوجية والتحقق من الشخصية ولا سيما في مجال الطب الشرعي، وعى ترقى إلى مستوى قرائن القوية التي يأخذ بها أكثر الفقهاء، وتمثل تطورا عصبيا عظيماً في مجال القيافة التي يذهب إليها جمهور الفقهاء في إثبات النسب المتنازع عليه، ولذلك ترى الندوة ان يؤخذ بها في كل ما يؤخذ فيه بالقيافة من باب اولي^(٩٩).

كما أنه لا يجوز، بنظر البعض، الاكتفاء بالبصمة الوراثية عن اللعان على اعتبار أن نتائجها عند ذوي الاختصاص بما قطعية أو قريبة من القطعية، وذلك لأن الحكم الشرعي لا يجوز إبطاله وترك العمل به إلا بدليل نصي وهو غير ممكن، غير أن الحاكم يجدر به أن يستفيد من هذه التقنية الحديثة المتطورة وإجراء الفحوصات المخبرية للبصمة الوراثية للاستعانة بها كقرينة من القرائن التي يستعان بها على التحقق من صحة دعوى الزوج أو عدمها، بغرض الحيلولة دون وقوع اللعان قدر المستطاع لحفض الشارع على درء ذلك ومنعه، وتشوفه لاتصال الأنساب وبقاء الحياة الزوجية^(١٠٠).

اما بخصوص موقف التشريعي يلاحظ منه أنه بالرغم من كون موقف المشرع المغربي يعتبر ومتقدما بنصه على الخبرة الطبية صراحة في عدة مواد من مدونة الأسرة مقارنة بباقي التشريعات العربية المتعلقة بالأحوال الشخصية فانه مع ذلك يعتبر متقدما، براينا، لأن المشرع المغربي لم يفصل أحكام وشروط وضوابط العمل بالبصمة الوراثية في مجال إثبات ونفي النسب كما أنه لم يبين مكانة البصمة الوراثية وحجيتها خاصة عند تعارضها مع وسائل الإثبات أو النفي المقررة شرعاً. كما نجد أن قانون الإثبات العراقي قد سمح للقاضي في م (١٠٤) منه بالاستفادة من وسائل التقدم العلمي في استنباط القرائن القضائية، وهذا يعني ان للقاضي أن يستفيد من اختبارات البصمة الوراثية لاستنباط قرائن قضائية في نفي أو إثبات موضوع الدعوى. وانتقد البعض هذا المسلك للمشرع العراقي في قانون الإثبات في عَدّه للدليل البيولوجي المستمدة من البصمة الوراثية مجرد قرينة قضائية، وهذا لا ينسجم مع طبيعة الدليل البيولوجي ولا مع الحجية الموضوعية المطلقة التي يقدمها لان ليس فيه نقل لعبء الإثبات من واقعة مجهولة إلى واقعة معلومة كما هو الحال في القرائن القضائية بل هو إثبات للواقعة محل النزاع ذاتها (الأبوة أو البنوة أو الأمومة) وليس مجرد استدلال على واقعة مجهولة بواقعة معلومة^(١٠١).

واستنادا لقانون الإثبات العراقي فان قيمة اختبارات البصمة الوراثية تخضع لتقدير قاضي الموضوع، اذ أجاز هذا القانون للمحكمة أن تتخذ من تقرير الخبير سبباً لحكمها أو أن تأخذ ببعض ما جاء في تقرير

٩٨ - عائشة إبراهيم أحمد المقادمة، مرجع سابق، ص ٧٤.

٩٩ - ملخص اعمال الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية في اثبات النسب، ص ٤٦.

١٠٠ - نقلاً عن الموقع الالكتروني: http://laaroussi.bl.ee/index_fichiers/Page792.htm

١٠١ - ظافر حبيب جبارة الحلالي، مرجع سابق، ص ١٢٣.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي)
الخبير وتطرح ما بقي منه أو أن لا تأخذ به جملة وتفصيلاً لتحكم بخلاف الرأي الذي أثبتته الخبرة، ومن ثم تكون المحكمة ملزمة بأن تسبب حكمها عند عدم الأخذ برأي الخبير من عدمه^(١٠٢). ويرى البعض الدليل البيولوجي المستمد من اختبار الخريطة الوراثية يضارع في حجيتها الموضوعية في إثبات الوقائع المادية حجية الدليل الكتابي في إثبات التصرفات القانونية ويدعو المشرع العراقي إلى إضفاء حجية مطلقة على الدليل المستمد من هذه الاختبارات والركون إليه حتى لو كانت هو الدليل الوحيد في القضية أو تناقض مع أدلة أخرى في القضية^(١٠٣).

المبحث الثاني: اشكاليات دعوى نفي النسب بالبصمة الوراثية

إذا ما اقيمت دعوى نفي النسب أو كان في النية الشروع في اقامتها فإن ثمة اشكاليات تثار بخصوص هذه الدعوى منها ما يتعلق بأشخاصها أو الآثار المترتبة على ثبوت الادعاء بنفي النسب بالبصمة الوراثية أو مدى امكانية الزام الشخص بالخضوع للاختبارات بالبصمة الوراثية أو امتناع الخصم عن اجراء تحليل البصمة الوراثية فما حكم ذلك كله.
عليه فأنا سنقسم هذا المبحث على اربعة مطالب: الاول، اطراف دعوى نفي النسب، والثاني، الآثار المترتبة على نفي النسب، والثالث مدى امكانية الزام الخصم بالخضوع للاختبارات بالبصمة الوراثية، والرابع، حكم امتناع الخصم عن اجراء تحليل البصمة الوراثية.

المطلب الاول: اطراف دعوى نفي النسب

- لاشك في ان الفرضيات المتصورة في دعوى نفي النسب تختلف باختلاف الشخوص، ومنها:
- ١- قد يكون المدعي هو المولود^(١٠٤) وهنا يقيم الدعوى مخاصماً الاب المزعوم (المراد نفي النسب عنه) والاب الحقيقي (المراد اثبات النسب اليه). ولا شك انه سيخاصم ايضا الام والا ادخلتها المحكمة شخصاً ثالثاً في الدعوى اكماً للخصومة.
 - ٢- قد يكون المدعي هو الاب المزعوم ضد المولود (المراد نفي نسبه منه) والاب الحقيقي وكذلك الام.
 - ٣- قد يكون المدعي هو الاب الحقيقي ضد المولود (المراد نفي نسبه منه) والاب المزعوم وكذلك الام.
 - ٤- وقد تكون المدعية الام تخاصم الاب الحقيقي و المولود والاب المزعوم.
- وإذا ما كان الاطراف في الفرضيات اعلاه جميعهم على قيد الحياة فلا اشكالية ستظهر لا من حيث الخصومة ولا من حيث امكانية اجراء الاختبار الجيني.

١٠٢ - ينظر: م (١٤٠) من قانون الإثبات.

١٠٣ - ظافر حبيب جبارة الهلالي، مرجع سابق، ص ١٢٣-١٢٤.

١٠٤ - سنفترض في المولود بلوغه السن القانوني لاقامة الدعوى اما لو كان قاصراً فسيكون وليه او وصيه او القيم عليه حسب الاحوال هو الخصم القانوني بالنيابة عنه مع القول بجواز الادعاء العام الدخول في هذه الدعوى.

لكن الاشكالية ستظهر في حالة وفاة واحد او أكثر من الاطراف اعلاه، سواء آكانت هذه الاشكالية من حيث الخصومة او من حيث امكانية اجراء الاختبار الجيني.

فمن حيث الخصومة ففي حالة وفاة الاب المزعوم فان الدعوى ترفع على ورثته اضافة للتركة، سواء من قبل المولود او الاب الحقيقي. وكذلك الامر بالنسبة لوفاة الاب الحقيقي فان الدعوى ترفع على ورثته اضافة للتركة، سواء من قبل المولود او الاب المزعوم. ونفس الامر في حالة وفاة الام. لكن الاشكالية ستتعقد أكثر في حالة وفاة المولود فهل من الجائز اقامة الدعوى عليه او له من قبل ورثته او ذوي العلاقة وهل توجد مصلحة في ذلك. اما وفاة الام فلا يعتبر من الاشكاليات ذلك ان التحليل سيجري على ذوي العلاقة وهم (المولود، الاب المزعوم، والاب الحقيقي).

وهناك من يفرق في مسألة طلب نفي النسب بالبصمة الوراثية بين ما اذا كان المدعي (طالب النفي) هو الزوج ام الزوجة (١٠٥) ويرى عدم جواز طلب النفي بالبصمة الوراثية بالنسبة للزوج اذ ليس له الا اللعان ويجوز ذلك بالنسبة للزوجة ويخلص الى ان طلب النفي اما ان يكون من قبل القاضي تلقائياً او بناء على طلب من الزوجة فقط (١٠٦).

اما من حيث امكانية اجراء الاختبار الجيني فالأمر يكون أكثر تعقيداً فكيف يتم التحقق من النسب نفياً او اثباتاً اذا ما كان احد الاطراف متوفى والذي هو محل التحقق من الاختبار وهذا الامر يتحقق في الفرضيتين التاليتين:

١- ما لو اقام الاب الحقيقي الدعوى فان وفاة المولود سيشكل عائقا امام هذه الدعوى أكثر من وفاة الاب المزعوم.

٢- اما لو اقام الاب المزعوم الدعوى فان وفاة المولود او الاب الحقيقي سيشكل عائقا امام هذه الدعوى.

ففي الفرضيتين اعلاه فكيف يتم اجراء تحليل البصمة الوراثية لهم؟ وهل يجوز المباشرة وفتح بورهم واخذ العينات المطلوبة للتحليل، سواء برضاء الورثة ام بدونه؟ ثم ما حكم وجود عينات محفوظة من مني او اعضاء او جينات فهل يجوز الاستعانة عليها لأجراء التحليل؟ ثم ما الحكم لو توفي احد الاطراف اعلاه اثناء الدعوى وقبل اخذ العينات تمهيدا لأجراء التحليل؟ سنحاول الاجابة عن الاسئلة اعلاه في الفروع القادمة.

١٠٥- وقد ذهب غالبية علماء الشريعة الاسلامية على أن الزوج إذا طلب الاحتكام إلى البصمة الوراثية لم يستحب له، لأنه يفوت على المرأة ما يوفره لها اللعان من الستر عليها وعلى ولدها، وهذا الستر مقصود للشارع لما فيه من مصلحتها ومصلحة ولدها. الا انهم اختلفوا فيما إذا طلبت المرأة المقدونة الاحتكام إلى البصمة الوراثية، هل تجاب إلى طلبها أو لا؟ حيث ذهب أكثرهم الى انه لا يجاب طلبها، و يكتفى باللعان، لأنه هو الذي شرعه الله لعلاج مثل هذه الحالة، فيوقف عنده، ويقتصر عليه، ولا تعداه، ومنهم من يرى أن يستجاب للمرأة في هذا الطلب، على أساس أنها لا تفعل ذلك إلا إذا كانت مستيقنه من براءتها، وتطلب اللجوء إلى وسيلة علمية مقطوع بها، تدفع التهمة بما عنها، وتحفظ حقها، ولا تعتدي على حق إنسان آخر. ينظر: البصمة الوراثية، من بين التقارير الدورية التي صدرت عن مركز ابن إدريس الحلبي للدراسات الفقهية، العدد الاول، ٢٠٠٧، ص ١٤.

١٠٦- ام الخير بوقره، مرجع سابق، ص ٨٨-٨٩.

المطلب الثاني: الآثار المترتبة على نفي النسب

يترتب على صدق الادعاء بنفي الانساب الحكم بانتفاء نسب المولود من جهة الاب المزعوم والحاقه بالأب الحقيقي^(١٠٧) مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج واثار تتعلق بجرمة مصاهره او درجة قرابه مع ملاحظة ان الدارج في القضاء احالة من ثبت الغش من جهة على القضاء بتهمة تضليل العدالة^(١٠٨).

لكن التساؤل الذي يثار هنا هل تترتب على تحقق انتفاء النسب تحقق اثار البصمة الوراثية؟ هنالك من ذهب الى أنه لا حاجة إلى إجراء اللعان بين الزوجين بعد التيقن من نسب المولود بواسطة البصمة؛ لأن من شرط إجراء اللعان إمكان أن يكون الولد المراد نفيه من الزوج، أما إذا استحال ذلك انتفى عنه من غير لعان، وهو من نوع النسب الذي ينتفي بنفس النفي ودون الحاجة إلى لعان، ولما في إمضاء اللعان أيضاً من إلقاء أحد الزوجين على الحلف كاذباً^(١٠٩).

إن من الفقهاء المعاصرين^(١١٠) من يقول بإقامة الحد إذا ثبت ذلك بالبصمة الوراثية ولم يدع المتهم شبهة اعتماداً على هذه البينة وأخذاً بما أخذ به بعض الفقهاء المتقدمين كما قال ابن القيم من ان " الرجوع إلى القرائن في الأحكام متفق عليه بين الفقهاء، بل بين المسلمين كلهم، وقد اعتمد الصحابة على القرائن فرجموا بالحلب وجلدوا في الخمر بالقيء والرائحة وأمر النبي باستنكاه المقر بالسكر وهو اعتماد على الرائحة... فالعمل بالقرائن ضروري في الشرع والعقل والعرف"^(١١١). ومنهم من يرى انه إذا قام الزوج بعد إطلاعهم على الحقائق العلمية بقذف زوجته، أو قام بنفي النسب على جهة قذفها؛ فحينئذ يجب عليه ان يلاعن أو يحد القذف. وأما الزوجة فإن اعترفت بالزنا فيكون اعترافها مثبته للحد في حقها، وأما إن أنكرت فادعت الغفلة عن ذلك، أو وطء الشبهة مسقطاً للحد؛ فيسقط عنها الحد، ويكفي في إسقاطه ادعاء الجهل^(١١٢).

١٠٧ - قضت المحكمة الابتدائية في عمان بالأردن بتاريخ ٢٠٠٢ في الدعوى المرقمة ٢١٣ بنفي نسب المدعية (الفتاة) من المدعى عليه الاول "ص" وزوجته "ز" واثباته من المدعى عليه الثاني "ر" وزوجته "ع" على اساس انهما الابوان الحقيقيان لها وبناء على نتائج تحليل البصمة الوراثية، وهو ما أيدته محكمة الاستئناف بعمان حكم المحكمة الابتدائية السابق، في القضية رقم ١٧٥ لسنة ٢٠٠٢ وجاء في حشيات حكمها " وحيث ثبت بشكل حاسم ان المدعى عليه الاول "ص" لا يمكن ان يكون والد البنت ". بنظر في ذلك: خليفه على الكعبي مرجع سابق، ص ٨٣-٨٤.

١٠٨ - تنص م(٢٤٨) من قانون العقوبات العراقي النافذ رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل " يعاقب بالحبس والغرامة أو بأحدى هاتين العقوبتين كل من غير بقصد تضليل القضاء حالة الاشخاص، أو الاماكن أو الاشياء أو احفى ادلة الجريمة أو قدم معلومات كاذبة تتعلق بما وهو يعلم عدم صحتها ".

١٠٩ - ويترتب على اللعان أحكام تتعلق بالزوج، اهمها: سقوط حد القذف عن الزوج بإجرائه اللعان، و انتفاء نسب الولد من الزوج إذا كان اللعان لنفي نسب الولد. وأحكام تتعلق بالزوجة: اهمها: سقوط حد الزنا عن الزوجة ووقوع الحرمة المؤبدة بينها وبين زوجها. واحكام مشتركة بين الزوجين اهمها: سقوط الحد والعقاب (حد القذف، حد الزنا) عن الزوجين، وزوال الفراش وانتهاء العلاقة الزوجية، ووقوع الحرمة المؤبدة بين الزوجين. ينظر: د. محمود سعود ألمعيني، موجبات الأحكام وواقعات الأيام، دون ذكر الطبعة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة الإرشاد، بغداد - العراق، دون ذكر سنة الطبع، ص ٨٠. عز الدين بحر العلوم، الزواج في القرآن والسنة، دون ذكر الطبعة، مطبعة دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، دون ذكر سنة الطبع، ص ٢٣٠.

١١٠ - عمر بن محمد السبيل، مرجع سابق، ص ٧٩-٨٠.

١١١ - ابن القيم الجوزية: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، مطبعة المدني - القاهرة، ١٩٦١، ص ١٤.

١١٢ - د. مازن هنية و د. أحمد شويديح، مرجع سابق، ص ٢١-٢٢.

ولكن الذي نراه انه لا يترتب على تحقق نفي النسب حصول الفرقة الزوجية ذلك ان مثل ذلك يترتب على قيام اللعان بين الزوجين وكذلك اقامة الحد على الزوجة شرعاً او تحريك الشكوى الجزائية بحقها للخيانة الزوجية قانوناً الا اذا اقرت الزوجة بالزنا او بالخيانة فهنا سيكون العقاب ثابت بناء على الاقرار لا البصمة الوراثية وهو خارج نطاق بحثنا.

ويلاحظ على موقف التشريعات المقارنة خلوها من بيان حكم ترتب اثار اللعان على نفي النسب بالبصمة الوراثية، وفي الحقيقة فلو رجعنا للقانون الفرنسي والاطالي والاسباني فنجد انه لا يهتم بهذه المسائل على اساس ان احكامها تستمد من نظام قانون يختلف في جذوره عن التشريعات العربية عموماً ومحل المقارنة خصوصاً حيث تستمد الاخيرة احكامها من الشريعة الاسلامية والتي لا تعتمد طريق للتفريق دون الاستناد الى احدى طرق الفرقة المعتبرة (طلاق، تفريق، خلع، فرقه تلقائيه) وهذا يعني، برائنا، عدم وقوع الفرقة الزوجية بالبصمة دون الاستناد الى الاحوال السابقة ومنها اجراء اللعان بين الزوجين كما نرى ان نفي النسب بالبصمة الوراثية يعطي دليل للزوج على الخيانة الزوجية او الزنا ما يكون سبباً لطلب الزوج التفريق من زوجته للضرر او الشقاق في التشريعات محل المقارنة.

المطلب الثالث: مدى امكانية الزام الشخص بالخضوع لاختبارات البصمة الوراثية

يثار التساؤل عن مدى امكانية الزام الشخص بالخضوع للاختبارات البصمة الوراثية للتعرف للتحقق من صحة واقعة النسب ام نفيه؟ وبعبارة اكثر دقة هل يمكن اجبار الشخص على الخضوع للاختبارات البصمة الوراثية بناء على طلب أجراءها من الطرف الآخر في الدعوى او بناء على امرٍ بذلك من المحكمة؟

برز بهذا الخصوص اتجاهين فقهيين :

الاول: يرى عدم امكانية ازام الشخص لغيره بالخضوع لاختبارات البصمة الوراثية، إذ ان ذلك يمثل خروجاً على مبدئين مهمين من مبادئ قانون الإثبات: الاول عدم امكانية ازام الشخص بتقديم دليل ضد نفسه والثاني أن البنية على المدعى، وأن طلب المدعي إخضاع المدعي عليه لاختبارات البصمة الوراثية اعفاء لنفسه من اثبات الواقعة التي كان يجب عليه تقديم ما يثبتها، حيث ان على المدعي أن يقيم الدليل على واقعة البنوة او الابوة او الامومة ولا يكفي مجرد اعفاء نفسه من أثبات هذه الواقعة وإلقاء عبء إثباتها على الطرف الآخر^(١١٣).

ويرى بعض الفقهاء الفرنسيين حواز اجبار الشخص على الخضوع لأخذ عينه من جسمه لأجراء تحاليل البصمة الوراثية عليها، لتعارضه مع الحرية الشخصية والحق في سلامة الجسد، ويقررون أن استقطاع

Sonia La Bris, Op.Cit, P5.Robert; T. Stephan, Op. Cit, P220- 221. Aida de Carlucci, Op. - ١١٣
Cit, P.167. Jarsin, M – DNA Typing (low and Ethics) – S – publisher, USA, 2006, p. 130

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي) شعره من البدن أو من فروة الرأس، أو قطع جزء من أحد الأطراف، يثير بلا شك المأ بالنسبة لصاحبه المستقطع منه، ويشكل مساساً بجرمه جسده^(١١٤).

ويعتقد بعض الباحثين أن الحل للوصول إلى الحقيقة في كشف النسب، لا يكون في اعتبار رفض الشخص الخضوع للتحليل الجيني، قرينة ضده و دليلاً ملموساً، وإنما الحل يكون في إجبار هذا الشخص على إجراء التحليل الجيني معللاً رايه بان الغالب في الفقه القانون الوضعي، والإسلامي، يتفقون على أن حق الإنسان على جسده، ليس حقاً خالصاً، ففي الشريعة الإسلامية، هو من الحقوق، التي يجتمع فيها حق الله - المجتمع - وحق العبد، وحق الله فيها غالب، أما في فقه القانون الوضعي، فإنه بالرغم، من أن حق الإنسان في السلامة الجسدية، هو حق فردي إلا أن للمجتمع، حق ارتفاق، على ذات الجسد، كما ان الإجبار على فحص المحتوى الوراثي، لا يقتضي في الواقع، مساساً ضاراً بالجسد، ويخلص الى عدم جواز هذا الرفض لأن فيه أسقاط لحق الله^(١١٥).

الثاني: يرى الجواز حيث وهو ما ذهب اليه جانب من الفقه الفرنسي^(١١٦) بالقول من إمكانية أخذ عينة من جسد لشخص كرهاً عنه لأجراء اختبارات البصمة الوراثية عليها لأثبات النسب أو نفيه، بحجة أنها لا تمس حرمة الجسد. وإلى هذا جنحت أيضاً اللجنة الأوروبية لحقوق الانسان، فقررت " أن وجوب الخضوع لأخذ العينات الدموية في اطار دعوى خاصة بأثبات النسب، يعتبر ضرورياً ومناسباً لضعف مساسه بالنزاهة التي يمثلها أخذ عينة من الدم" ^(١١٧). كما ان البعض ممن لم يميزوا اجبار الشخص على الخضوع لتحليل البصمة الوراثية، دعوا الى تجريم ومعاقبة الرفض في حد ذاته، على أساس أن هذه العقوبة، قد تحت الشخص على التعاون والمثول لاختبار، في إطار التعاون مع السلطات القضائية^(١١٨). ويرى البعض إنه لا يثار بخصوص تحليل البصمة الوراثية اية مشكلة فيما يخص المساس بجرمه الجسد أو انتهاك تكامل بنيانه، اذا كان العنصر البيولوجي المطلوب تحليله قد انفصل عن الشخص، سواء بتنازله المفترض عنه أو انفصل عنه بعملية مشروعة، ففي هذه الحالات يصبح من غير السهولة التسليم بوجاهة الحجة بمبدأ حرمة الجسد الإنساني أو انتهاك بنيانه، فيمكن اجراء تحليل البصمات الوراثية اذا أمر بها القاضي دون اعتبار لمعارضة الخصم في ذلك حيث لا يوجد أي اعتداءات على حرمة جسده أو اعتداء على حرته الاساسية. ولعل الذي دفع بهذا الراي باعتقادنا ما جاء في حكم محكمة باريس بخصوص

Jarsin, M Ibid. pp 200-220 - ١١٤

١١٥ - كريمة مغات: إثبات النسب بالبصمة الوراثية بين الحق في السلامة الجسدية والحياة الخاصة، بحث منشور على الموقع الالكتروني: <http://www.marocdroit.com>.

John, M DNA Typing, How to USA, Mc - Graw Hill. London, 2007, p. 10 -100 - ١١٦

Jarsin, M - DNA Typing (low and Ethics) - S - publisher, USA, 2006, p. 130 - ١١٧

١١٨ - جميل عبد الباقي الصغير: جميل عبد الباقي الصغير: أدلة الإثبات الجنائي والتكنولوجيا الحديثة: أجهزة الرادار، الحاسبات الآلية، البصمة الوراثية. النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٦ - ٨٣.

نزاع، عرض عليها^(١١٩) "إن المبدأ الأساسي، وهو حرمة الجسم الانساني، يتعارض مع لجوء القاضي المدني إلى إجراء الضغط والإجبار، حتى ولو كان هذا الإجراء ذا طبيعة مالية، لحمل الشخص على الخضوع، للمساس بجسمه، وحتى ولو كان هذا المساس بسيطاً".

بينما يقف البعض موقفاً وسطاً بين هذين الاتجاهين، فلا يعارض إمكانية إلزام الشخص في الخضوع لاختبارات الخريطة الوراثية لعدم انسجامها مع مبدأ حسن النية وتشكل اساءة لاستعمال الحق في الخصوصية الجينية، ولكن في ذات الوقت لا يمكن الوصول إلى درجة تنفيذ هذا الالتزام جبراً عليه إذ إن مثل هذا الاجبار او القهر لان ذلك يشكل خرقاً لحرية الشخصية وانتهاكاً للمبدأ العام في التنفيذ العيني الجبري، فالالتزام بالقيام بعمل ما يصبح تنفيذه مستحيلًا إذا اقتضى تنفيذه تدخلًا شخصيًا من المدين واصر المدين على الامتناع عن تنفيذه ولم تفلح وسائل الإكراه القانونية في قهره^(١٢٠).

يفرق بعض من الفقه بين ما هو مدني (كنفي النسب) فيستوجب موافقة الشخص وقبوله بتحليل البصمة الوراثية، وما يستثنى منه، وما هو جنائي قد لا يستوجب ذلك^(١٢١)، ويستشهد في ذلك في المجال المدني بما تقضي به م (١٠/١٦-١١) من القانون المدني الفرنسي المعدله في سنة ١٩٩٤ من وجوب الحصول على الموافقة الواضحة من الشخص المعني قبل إخضاعه لتحليل البصمة الوراثية، سواء أكان ذلك التحليل لإثبات النسب أو نفيه، أو الحصول على النفقة أو الإعفاء، أو كان لأغراض البحث العلمي والعلاج.

اما بالنسبة للموقف التشريعي، فقد اشترط اعلان اليونسكو العالمي لحقوق الجينوم البشري الصادر سنة ١٩٩٧ في م (٥) منه على ضرورة وجود الموافقة المسبقة والرضا الحر و المستنير للشخص محل التدخل الجيني. فقد ذهب المشرع الفرنسي في م (١٠/١٦) من القانون المدني الفرنسي الى عدم جواز ممارسة البحث الجيني المحدد لخصائص الشخص إلا لأسباب طبية أو علمية شريطة الحصول على موافقة الشخص المعني قبل إجراء التحليلات الجينية عليه. وأشار في ف (١١) من ذات المادة إلى وجوب الحصول على موافقة مسبقة للشخص الخاضع لفحص بصمته الوراثية كما ويجب أن تكون الموافقة، صادرة عن إرادة حرة وواعية وأن تكون صريحة ومكتوبة^(١٢٢). وللمحكمة أن تستخلص ما تراه من نتائج، في حالة رفض المدعى عليه الإمتثال لأوامرها، وتمسكاً بمبدأ حرمة الجسد، كما أن الخصوم مكلفون بالتعاون وتقديم ما تحت أيديهم للكشف عن الحقيقة، وهو التزام تضعه م (١١) من قانون

١١٩ - وتتلخص الدعوى ان امرأة رفعت دعوى بشأن أثبات بنوة ولدها من زوجها، وقد طلبت من المحكمة، خضوع الأب المدعى عليه، لفحص الدم، للتحقق من نسبه، ولم يعارض الأب المدعى عليه بداية، إلا أنه عاد وغير رأيه ورفض الخضوع لهذا الفحص، الأمر الذي دفع المحكمة لفرض غرامة تهاديدية قدرها ٢٠٠ فرنك في كل مرة، يتمتع فيها عن تلبية طلب الخبير المكلف بهذه المهمة للحضور أمامه.

١٢٠ - ظافر حبيب جبارة الهلائي: النظام القانوني للهندسة الوراثية، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية القانون - جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص.

١٢١ - Aaspollu, Evaluation DNA of typing – willy – 2008, London, p. 1 13 - ١٢١

١٢٢ - Aaspollu, Evaluation DNA of typing – willy – 2008, London, p. 1- 1 13 - ١٢٢

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي) الإجراءات المدنية الفرنسية الجديد موضع التطبيق، حيث تقضي بالزام الأطراف أن يقدموا مساعدتهم في إجراءات التحقيق، وإذا كان بحوزة أحد الأطراف دليل إثبات، جاز للقاضي بناء على طلب الطرف الآخر، أن يلزمه بتقديمه ويظهر من هذا النص ان المشرع استخدم عبارة (دليل إثبات) بالتنكير متغير أن يحدد أو يستبعد دليلاً معيناً، فهل يعنى ذلك أن نطاق الأدلة التي يجوز لأحد الخصوم إجبار خصمه على تقديمها يمتد ليشمل جميع الأدلة بما في ذلك الخضوع لأخذ جزء من خلاياه؟ أو سحب بعض من سائل جسد المتحددة لإجراء التحاليل الطب^(١٢٣).

لكن هل يمكن إلزام الشخص المعني بالخضوع للفحص الجيني للتحقق من النسب وهل يمكن إرغامه قسراً بالخضوع لها وفقاً لإحكام القانون العراقي؟ بموجب أحكام قانون الإثبات العراقي فإن المشرع قد أجاز للقاضي أن يأمر أياً من الخصوم بتقديم دليل الإثبات الذي بحوزته^(١٢٤)، وإلا عُدد متعسفاً في استعمال حقه، الا أن هذه الرخصة التي منحها المشرع للقاضي في إمكانية إلزام الخصم، برأي البعض لا يمكن أن تصل إلى إمكانية إرغامه قسراً في الخضوع لمثل هذه الاختبارات لان في ذلك خروجاً على القواعد العامة في تنفيذ الالتزام، فالالتزام بالقيام بعمل ما يصبح تنفيذه مستحياً إذا اقتضى تدخلاً شخصياً من المدين وأصر المدين على الامتناع ولم تفلح وسائل الإكراه القانوني في قهره^(١٢٥).

ويرى البعض من الباحثين العراقيين جواز أن يأمر القاضي، من تلقاء نفسه أو بناء على طلب أحد طرفي الدعوى، بإجراء اختبارات الخريطة الوراثية ليستخدامها دليلاً في الإثبات فأن أمتنع الشخص المعني عن الخضوع لهذا الإجراء جاز اعتبار امتناعه حجة عليه^(١٢٦). كما ان هنالك من يعدّ إصرار الخصم على عدم الخضوع لإجراء اختبارات البصمة الوراثية إقراراً ضمناً بصحة الوقائع المنسوب إليه تماماً وليس مجرد قرينة قضائية أو قانونية على صحة هذه الوقائع، ويرى انه يتعين على المشرع إقامة نوع من الموازنة بين ما للخريطة الوراثية من قيمة إيجابية وقيمة سلبية في حالة الامتناع عن الخضوع لإجراء الاختبارات إذ يعد هذا الامتناع أو الرفض إقراراً ضمناً بصحة الواقعة^(١٢٧).

المطلب الرابع: حكم امتناع الخصم عن اجراء تحليل البصمة الوراثية

ونظراً للدور الذي تلعبه البصمة الوراثية في إثبات البنية او نفيها فان ثمة صعوبات قد تواجهها مسألة العمل بالبصمة الوراثية وتؤدي الى عرقلتها، ومن هذه العقبات تلك التي يحتج بها الخصم ويحاول الافلات

١٢٣ - انظر في ذلك د. محمد ابو زيد: اصول الفقه الإسلامي دار احياء التراث العربي بيروت، ص٢٦، ط١، بدون تاريخ، ص٢٣١. بوضع فؤاد: البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها في اثبات ونفي النسب، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة منتوري - قسنطينة- كلية الحقوق و العلوم السياسية، ٢٠١١ - ٢٠١٢، ص٨٧.

١٢٤ - م(٩) من قانون الإثبات النافذ.

١٢٥ - د. أحمد محمد إبراهيم، القانون المدني معلقاً على نصوصه بالأعمال التحضيرية وأحكام القضاء وآراء الفقهاء، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٩٥-١٩٦.

١٢٦ - ظافر حبيب جبارة الهلالي، مرجع سابق، ص ١٢١.

١٢٧ - ظافر حبيب جبارة الهلالي، مرجع سابق، ص١٢٢.

بها من الخضوع لتحليل البصمة الوراثية، ان يتمسك الخصم بأن الأخذ بفحص البصمة الوراثية كدليل في نفي البنوة أمر يتعارض مع اللعان أو يزعم أن يتنافى مع الشريعة الإسلامية^(١٢٨)، وكذلك قد يتمسك الخصم بأن الخضوع لهذا الاختبار يتعارض مع قاعدة عدم جواز إجباره على تقديم دليل ضد نفسه، بل قد يحتمى مبدأ معصومية الجسد تحرباً من الكشف عن الحقيقة. عليه فأنا قد نكون امام اشكالية قانونية مفادها امتناع الخصم عن اجراء تحليل البصمة الوراثية فما هي القيمة القانونية لرفض الخضوع لهذه الاختبارات؟ وبعبارة ادق ما هو الموقف القانوني الذي يجب على قاضي الموضوع أن يتخذه إذا ما رفض الشخص المعني أن يجري عليه اختبار البصمة الوراثية؟ وما هي القيمة القانونية لهذا الرفض لدى قاضي الموضوع؟

بدء لا بد من الاشارة الى انعدام النصوص القانونية للتشريعات المقارنة التي تنظم هذه المسألة ما عدا ما سنوضحه من موقف البعض منها، ولكن من خلال استقراء الموقف الفقهي القضائي نجد انه متباين في القيمة القانونية لهذا الرفض، فقد ذهب جانب من الفقه إلى القول بأن رفض الخضوع لاختبارات البصمة الوراثية يشكل قرينة قانونية على صحة الواقعة المراد اثباتها، وقد برر هذا الرأي على أساس انه ليس هناك سبب معقول يدعو الشخص لرفض هذه الاختبارات ولا سيما فيما يتعلق بمسائل الاحوال الشخصية في قضايا البنوة والابوة والامومة^(١٢٩).

كما رأى بعض الفقهاء انه يجب ان تكون لرفض الخضوع للاختبارات البصمة الوراثية قيمة اكبر لإثبات العناصر الواقعية في الدعوى وانه في نطاق دعاوى اثبات النسب فان المصلحة العامة تعلق على المصالح الخاصة للأفراد " (١٣٠).

والذي يبدو للباحث ان الحق في السلامة الجسدية حقاً مطلقاً تحميه القوانين الجزائية و ومنها قانون العقوبات و القضاء الجزائي هو وحده الذي يقرر ما إذا كان ينبغي إكراه الشخص على أخذ عتاد من جسمه، وهو الذي يذكر الحدود و المواضع الحميمة التي لا يجوز المساس بها و هي حدود السلامة الجسمية و حرمة الحياة الخاصة و يبقى دور القاضي المدني محدوداً و في ظل الجواز القانوني.

ويعد المشرع الفرنسي من اوائل المشرعين الذين اتخذوا موقفاً صريحاً وجرئاً حيث قضى في م (١٠) من القانون المدني المعدلة بقانون ٥ يوليو ١٩٧٢ بالزام كل فرد بأن يقدم مساعدته إلى العدالة بمهدف إظهار الحقيقة و يجوز إجباره على التنفيذ عن طريق فرض غرامة تهديدية أو غرامة مدنية^(١٣١)، وهذا يعني أن المشرع الفرنسي يعطي للخصم الحق في أن يجبر خصمه بتقديم ما تحت يده من أدلة تساعد على

١٢٨ - وحيث سبق وان بحثنا في هذه المسألة فلا داعي لتكرارها وان البحث هنا سينصب على المعوقات الاخرى.
١٢٩ - Kimmel Man; j., The Promise and Permits of Criminal DNA Data Banking, Nature, Biotechnology, Vol. 18, 2000, P. 695
١٣٠ - Aida Decarlucchi, Op. Cit., P.169

١٣١ - ويرى البعض أن هنالك تعارضاً بين موقف المشرع الفرنسي في م (١٠/١١) مع ما قضت به م(١٠) من القانون المدني المعدله بالقانون رقم ٦٢٦ لسنة ١٩٧٢ م. ينظر: محمد محمد أبوزيد: دور التقييم البيولوجي في اثبات النسب، مجلة كلية الحقوق، جامعة الكويت السنة العشرين، ١٩٩٦.

مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي)

إظهار الحقيقة، وعليه فإن نطاق الأدلة التي يجوز للخصم إجبار خصمه على تقديمها يمتد ليشمل المساس بجسم الإنسان كما هو الشأن في الحصول على عينة من الدم لفحصها، هذا الذي أدى إلى دراسة صعوبة أخيرة في مبدأ معصومية الجسد. غير أن هذا النص لا يتعلقان إلا بالحالات التي يكون فيها الحكم بالغرامة جائزاً فلا يمتد إلى الحالات التي يؤدي فيها الضغط و الإجبار إلى مخالفة و حرق المبادئ الأساسية كمبدأ حرية الجسد. إلا أن م (١١) من قانون الإجراءات المدنية الفرنسي تميز، في حالة رفض المدعي عليه الامتثال لأوامرها تمسكاً بمبدأ حرية الجسد، للمحكمة أن تستخلص من موقف الأب المدعي عليه برفض الخضوع لتحليل دمه دليلاً على أنه الأب الحقيقي. وع ذلك نجد ان القضاء الفرنسي قد ذهب في بعض قراراته إلى اعتبار رفض الخضوع لاختبارات البصمة الوراثية او الاختبارات البيولوجية الأخرى إقراراً ضمناً بصحة الواقعة المراد اثباتها^(١٣٢). وبدى ذلك واضحاً في حكم لمحكمة استئناف باريس عدت فيه " أن الرفض المتكرر من المرأة وولدها لطلب الخضوع لاختبار فصيلة الدم إنما يعد نفياً لصلة الابوة بين زوج تلك المرأة وطفلها^(١٣٣). وكذلك ما جاء في حيثيات حكم محكمة استئناف ليون الصادر في ٢٩/أكتوبر/١٩٩٢ في قضية تجري السيد جين بييري والسيدة جنيف من " أن محكمة الاستئناف لها الحق وبصفة نهائية في أن تستخلص من رفض الزوج ومطلقاته الخضوع لأجراء فحص الدم لمعرفة الاب الحقيقي للطفل فضلاً عن الدلائل الأخرى والقرائن المسجلة في الحكم، ان البنوة الأقرب للمعقول هي للرجل التي عاشت معه المطلقة في علاقة حرة بعد إعلان الانفصال بينها وبين زوجها".^(١٣٤). يذهب جانب من الفقه الفرنسي إلى اعتبار رفض الشخص لتحليل البصمة الوراثية دليلاً في غير صالحه، وأن للقاضي الحق في ان يستنتج من الرفض دليلاً على التخوف والحشية من الوصول لحقيقة يحاول الراض اخفاءها^(١٣٥).

وكانت المحكمة العليا الإسبانية غير مستقرة في موقفها من هذه المسألة فقد اعتبرت في حكم لها في ١٤/ تموز ١٩٨٨ رفض الخضوع لاختبارات البصمة الوراثية " لا يعد عائقاً يعيق المحكمة عن الفصل في الدعوى فحسب، بل يكون كذلك غشاً في القانون وأساءه للوظيفة الاجتماعية للحق"^(١٣٦)، واعتبرت في حكم آخر بتاريخ ٢/شباط/١٩٩٢ أن رفض الزوج الخضوع إلى اختبارات الخريطة الوراثية، وان لم يشكل قراراً ضمناً بصحة واقعة الابوة، فإنه يعد اماراً ذات قيمة عالية على وجود صلة الابوة بين طرفي الدعوى"^(١٣٧)، وذهبت في حكم آخر بتاريخ ٢/شباط/١٩٩٢ إلى ابعاد من ذلك حين عدت رفض الشخص الخضوع لاختبارات الخريطة الوراثية دليلاً على صحة الواقعة المراد اثباتها.^(١٣٨)

.Aaspollu, Evaluation DNA of typing – willy – 2008, London. Vicente Soriano, Op, cit, P.385- ١٣٢
P.385.

-Aida de Carlucci, Op. Cit, P. 93. - ١٣٣

.Sonia La Bris, Op. Cit, P.6: كذلك: ١٠٢ - ١٠١. مرجع سابق، ص ١٠١ - ١٠٢. ١٣٤ - د. رضا عبد الحميد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ١٠١ - ١٠٢. كذلك: P.6: ١٣٤

.Jarsin, M – DNA Typing (low and Ethics) – S – publisher, USA, 2006, pp 200-220 - ١٣٥

Aida de Carlucci, Op. P.169. - ١٣٦

Vicente Soranio, Op. Cit, P.385. - ١٣٧

.Ibid, P. 385 - ١٣٨

أما الملاحظ، في العمل القضائي المغربي، الركون إلى اعتبار رفض الخضوع، لإجراء تحليل البصمة الوراثية، قرينة، ضد المعني بالأمر، كما جاء في العديد من القرارات القضائية منها ما ذهبت إليه محكمة الإستئناف الدار البيضاء^(١٣٩) من اعتبار عدم أداء أتعاب الخبرة من المدعى عليه و انصرام الأجل المضروب له، يعد بمثابة إقرار ضمني من طرفه، بثبوت نسب الإبن إليه، وبكونه ازداد من صلبه، وعلى فراشه. وفي قرار اخر لذات المحكمة اعتبرت امتناع المستأنفة عن دفع اجور الخبرة الجينية اللازمة للتحقق من انتساب الولد إلى المستأنف عليه، رغم أشعارها بذلك، قرينة فورية تعضد جانب المستأنف عليه، وتجسد عدم جدية منازعتها في انتساب الولد للمستأنف عليه، مما يقتضي رد دفعها المثارة بهذا الشأن.^(١٤٠)

كما ان القضاء المصري اعتبر، رفض الخضوع لإجراء التحليل الجيني في النسب، قرينة ضد المعني بالأمر^(١٤١) وكذلك اعتبر القضاء التونسي أن رفض المدعى عليه الخضوع للتحليل الجيني، المأذون به من قبل المحكمة إقرار من المطلوب، على ثبوت نسب الطفل إليه^(١٤٢).

الخاتمة

من خلال استعراض بحثنا اعلاه امكن التوصل الى النتائج والتوصيات الاتية:

اولا: النتائج

- ١- ان المشرع العراقي في قانون الاحوال الشخصية النافذ وان كما قد اشار الى طرق اثبات النسب الثلاثة (الفراش، الاقرار، البينة) الا ان الراجح لدينا انه اوردها على سبيل الحصر ولا يمكن الركون لغيرها بل انه احال بقية الطرق الاخرى على الفقه الاسلامي دون التقييد بمذهب معين مثلما احال مسألة اللعان على الفقه الاسلامي ولم يشر اليها فلا يمكن عد ذلك الغاء للعان وعدم الاعتداد به.
- ٢- نرى انه من الجائز الاستعانة باختبارات البصمة الوراثية في تحديد هوية الشخص البيولوجية ومقارنتها بالمعلومات الوراثية لغيره من الأشخاص لتحديد وجود أو انتفاء صلة القرابة بينه وبينهم لكن هذا الاستنتاج لا يكون مطلقا وانما بما ينسجم والاحكام و الضوابط الشرعية والقانونية.
- ٣- نرى أن الرأي الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الذي يذهب الى اعتبار البصمة الوراثية قرينة قطعية وذلك لقوة أدلتها، ولكن بشروط وضوابط الحذر من التكنولوجيا المتطورة، بمعنى عدم

١٣٩ - قرار محكمة الإستئناف الدار البيضاء رقم ١١٨٤، بتاريخ ٢٩/٠٥/٢٠٠٦، في الملف رقم ٠٤/٨٠٩ قرار غير منشور، اشارت اليه كريمة مغات: إثبات النسب بالبصمة الوراثية بين الحق في السلامة الجسدية والحياة الخاصة، بحث منشور على الموقع الالكتروني: <http://www.marocdroit.com>.

١٤٠ - في قرارها المرقم ٢٦١٥، في ٢٩/١١/٢٠٠٦، الملف رقم ٠٦/١٧٦٥ غير منشور، اشارت اليه ١٧ - كريمة مغات: مرجع سابق.

١٤١ - ينظر القرار المشار اليه في جريدة الوطن: عدد ٢٦٦٩، الأحد محرم ١٤٢٩هـ، الموافق ٢٠ يناير ٢٠٠٨.

١٤٢ - كريمة مغات: إثبات النسب بالبصمة: مرجع سابق.

التسليم المطلق بنتائجها قبل اختبار الموضوعية، والوقوف على طبيعة عدة التقنية ومعناه التأكد من سلامة الأجهزة ودراية الفنين في تشغيلها واختيار الموضوعية بمعنى وجوب إجراء تحليلين من عينتين مختلفتين لإمكان المقارنة و الاطمئنان لسلامة النتيجة وأن يكون العامل عليها من أهل الاختصاص والخبرة و لا يكون في مرحلة التحريب بل يكون متمرساً وذا خبرة وأن يكون القائمون على إجراء الفحوص والتحليل الخاصة بالبصمة الوراثية عدول ثقة امناء وأن لا تتدخل المصالح الشخصية والأهواء في هذه الفحوصات وكذلك إذا كانت هناك عداوة فلا تقبل نتيجتها ضد الطرف الآخر وكذلك ينبغي مراعاة خبير بالبصمة لصالح أمه او أبيه أو نحو ذلك ويجب أن يخضع الأمر لقواعد المهنة فإنهم أعرف وهو أفضل للتأكد حيث إن التجارب العلمية قد أثبتت ان نسبة النجاح في إثبات الأبوة بواسطة البصمة الوراثية ثم أن هذه التقنية ممكن أن تحاط بمجموعة من الضوابط والقانونية من شأنها أن ترفع الشك في مصداقية نتائجها.

٤- نرى واستناداً لقانون الإثبات العراقي ان قيمة اختبارات البصمة الوراثية تخضع لتقدير قاضي الموضوع، اذ أجاز هذا القانون للمحكمة أن تتخذ من تقرير الخبير سبباً لحكمها أو أن تأخذ ببعض ما جاء في تقرير الخبير وتطرح ما بقي منه أو أن لا تأخذ به جملة وتفصيلاً لتحكم بخلاف الرأي الذي أثبتته الخبرة، ومن ثم تكون المحكمة ملزمة بأن تسبب حكمها عند عدم الأخذ برأي الخبير من عدمه.

٥- تبين لنا من خلال البحث ان المشرع العراقي وبموجب أحكام قانون الإثبات النافذ فأن قد أجاز للقاضي أن يأمر أياً من الخصوم بتقديم دليل الإثبات الذي يجوزته، وإلا عُدَّ متعسفاً في استعمال حقه، الا أن هذه الرخصة التي منحها المشرع للقاضي في إمكانية إلزام الخصم، لا يمكن أن تصل إلى إمكانية إرغامه قسراً في الخضوع لمثل هذه الاختبارات لان في ذلك خروجاً على القواعد العامة في تنفيذ الالتزام، فالالتزام بالقيام بعمل ما يصبح تنفيذه مستحيلاً إذا اقتضى تدخلاً شخصياً من المدين وأصر المدين على الامتناع ولم تفلح وسائل الإكراه القانوني في قهره.

٦- تبين لنا ان البصمة الوراثية اصبحت على قدر عال من الاهمية في مجال اثبات النسب ما ينبغي القول بذلك في مجال نفي النسب.

ثانياً: التوصيات

١- إنشاء مراكز خاصة تشرف عليها الدولة بصورة مباشرة وتدار من قبل أطباء أكفاء و اختصاصيين في علم البيولوجي لإنشاء قاعدة معلومات وراثية لكل الافراد تتمتع بالسرية ولا يجوز كشفها وأطلاع الغير عليها الا في حالة التحقيقات الجزائية او مسائل الاثبات في القضايا المدنية وبأمر من المحكمة المختصة.

٢- ضرورة اعتماد القضاء العراقي في المسائل المدنية و الجزائية على اختبارات البصمة الوراثية لما تتمتع به من مصداقية عالية في اثبات وقائع النسب (الابوة و الامومة و البنوة) و تكون وسيلة لتقريب الحقيقة العلمية البيولوجية من الحقيقة القضائية. وكذلك اعتماد الجهات القضائية والقانونية للحقائق العلمية المعاصرة في نفي النسب.

٣- تكوين لجنة خاصة بالبصمة الوراثية في العراق تتالف من الاداريين والاطباء والمختصين في جوانب تقنية البصمة الوراثية والقانونيين وفقهاء الشريعة تكون مهمتها اعداد قانو خاص ينظم مسالة انشاء مراكز خاصة لتحليل البصمة الوراثية وكذلك مسالة الاثبات بالبصمة الوراثية وترتبط بوزارة الصحة ويكون مقرها بغداد.

٤- نظرا لما يمثله تحليل البصمة الوراثية من أهمية بالغة في اثبات أو نفي نسب شخص معين نوصي بعدم اللجوء اليها إلا اذا توافرت مجموعة من الشروط و الضوابط نذكر منها:
أ- عدم استخدام البصمة الوراثية بديل عن الوسائل الشرعية لاثبات ونفي النسب إلا اذا انتفت وسائل اثباته أو نفيه الشرعية.

ب - عدم استخدام البصمة الوراثية في التاكّد من نسب ثابت.

ج- عدم اجراء تحاليل إلا باذن أو اشراف من اجهات الرسمية المختصة.

د- توافر جميع الضمانات المصرفية و المخبرية المختصة حتى تكون النتائج دقيقة و يقينة مع مراعات سريتها التامة.

٥- نوصي بعقد الدورات العلمية والفقهيّة المعاصرة للعاملين والمختصين في القضاء والمحاماة والمجالات القانونية.

٦- نوصي بتشكيل لجان متخصصة تضم الخبراء وعلماء الشريعة الإسلامية لوضع الضوابط الأخلاقية في مجال بحوث علوم الأحياء البيولوجيا لاعتمادها في الدول الإسلامية.

مصادر البحث

بعد القران الكريم

اولا: الكتب والمؤلفات القانونية

١- د. أحمد محمد إبراهيم، القانون المدني معلقاً على نصوصه بالأعمال التحضيرية وأحكام القضاء وآراء الفقهاء، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٠.

٢- جميل عبد الباقي الصغير: أدلة الإثبات الجنائي والتكنولوجيا الحديثة: أجهزة الرادار، الحاسبات الآلية، البصمة الوراثية. النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣- د. حسني محمود عبد الدايم: البصمة الوراثية ومدى حجيتها في الاثبات، ط٢، دار الفكر الجامعي - الاسكندرية، ٢٠٠٦.

٤- خياط وشمالى تقنيات الهندسة الوراثية في قضايا النسب وعلاقتها بالشريعة الإسلامية، المجلد الرابع.

٥- د. رضا عبد الحليم عبد المجيد ، الحماية القانونية للجين البشري ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، ٢٠٠١.

- مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الاسلامي)
- ٦- د. سعد الدين الهلالي - البصمة الوراثية و علاقتها الشرعية-مكتبة الكويت الوطنية الكويت، ط ١، ٢٠٠١
- ٧- شاكور محمود النجار، أحكام النسب في الشريعة والقانون مع قرارات محكمة التمييز، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤
- ٨- د. عبد الرحمن احمد الرفاعي: البصمة الوراثية واحكامها في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي،دراسة فقهية مقارنة،اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الشريعة والقانون - جامعة الازهر، ٢٠٠٥
- ٩- د. عبد الرشيد محمد امين بن قاسم،البصمة الوراثية وإثبات النسب، مجلة العدل - وزارة العدل السعودية، العدد (٢٣)، رجب ١٤٢٥ هـ، السنّة السادسة.
- ١٠- د.عبله الكحلأوي:البصمة الوراثية وحجيتها في الاثبات الجنائي،القاهرة، ٢٠١٠
- ١١- عز الدين بحر العلوم، الزواج في القرآن والسنة، دون ذكر الطبعة، مطبعة دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، دون ذكر سنة الطبع.
- ١٢- عمر بن محمد السبيل، البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجنانية، ط ١، دار الفضيلة -الرياض، ٢٠٠٢
- ١٣- محمد سليمان الأشقر،الحياة الاجتهادية في الفقه الطي واثبات النسب بالبصمة الوراثية - بحث مقدم لندوة الوراثة و الهندسة الوراثية، الإمارات، ٢٠٠٢
- ١٤- د. محمد مختار السلامي:القسم في اللغة وفي القرآن،دار الغرب- بيروت.
- ١٥- د. محمود سعود ألمعيني، موجبات الأحكام وواقعات الأيام، دون ذكر الطبعة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة الإرشاد، بغداد - العراق، دون ذكر سنة الطبع.
- ١٦- المرزوقي: إثبات النسب - بين الشريعة والقانون، جامعة الإمارات،.
- ١٧- د. ناصر عبد الميمان - البصمة الوراثية وحكم استخدامها في مجال الطب الشرعي و النسب - مجلة القانون والشريعة - مجلس النشر العلمي - جامعة الامارات العربية المتحدة - العدد ١٨ يناير ٢٠٠٢
- ١٨- د. وهبة الزحيلي ،البصمة الوراثية ودورها في الاثبات، ج ٢، دار البيان دمشق، ١٩٩٤.
- ثانيا: كتب ومؤلفات الفقه الاسلامي**
- ١- البخاري،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ.
- ٢- إبراهيم بن الإمام شمس الدين بن فرحون،تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، مصر: المطبعة العامرة الشرفية عام ١٣٠١ هـ - ط١- تصوير بيروت، دار الكتب.
- ٣- الجوزية، ابن قيم:الطرق الحكميه في السياسة الشرعية،مطبعة المدني - القاهرة، ١٩٦١
- ٤- الخرشي:دار صادر -بيروت،بدون سنة نشر، ج٤، ص١٢٦-١٣٣.الشافعي،الام دار الفكر -بيروت،لبنان، ط١، بدون سنة نشر.

- ٥- الشريبي شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة المنهاج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.
- ٦- الصنعاني، محمد بن اسماعيل الأمير البمني، سبل السلام شرح بلوغ المرام، ط ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، دار الجليل - بيروت.
- ٧- الكاساني، علاء الدين بن مسعود - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٣، دار الكتب، العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٨- د. محمد ابو زيد، اصول الفقه الإسلامي دار احياء التراث العربي بيروت، ط ١، بدون تاريخ.
- ٩- المقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، المغني، دار الفكر، بيروت، الطبعة، الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٠- النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم، دار طيبة، الرياض، بدون سنة طبع.

ثالثاً: الاطاريح والرسائل الجامعية

- ١- بو صبع فؤاد: البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها في اثبات ونفي النسب، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة منتوري - قسنطينة - كلية الحقوق و العلوم السياسية، - ٢٠١١ - ٢٠١٢، ص ٨٧.
- ٢- خليفة علي الكعبي،: البصمة الوراثية وأثرها رسالة ماجستير منشورة، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر- ٢٠٠٤ م، ص ٢٠٥.
- ٣- سلامي دليلة، حماية الطفل في قانون الاسرة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص ٢٤.
- ٤- ظافر حبيب جبارة الهلالي: النّظام القانوني للهندسة الوراثية - دراسة قانونية مقارنة - اطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية القانون - جامعة بغداد، ٢٠٠٦.
- ٥- عائشة إبراهيم أحمد المقادمة، اثبات النسب في ضوء علم الوراثة، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٢.
- ٦- مصطفى رمضان عبد القادر العقراوي: أحكام الولد المشتبه في نسبه، رسالة ماجستير مقدمه الى جامعة الموصل - كلية الحقوق، ٢٠١٠.

رابعاً: البحوث

- ١- د. ابراهيم احمد عثمان " دور البصمة الوراثية في قضايا اثبات النسب والجرائم الجنائية "، بحث مقدم الى المؤتمر العربي الاول لعلوم الادلة الجنائية والطب الشرعي المنعقد في الرياض للفترة من ١٤-١١/١١/٢٠٠٧.
- ٢- د. أسامة محمد الصلابي: قسم الدراسات الإسلامية - كلية الاداب بجامعة قارونس - مجلة كلية الآداب - جامعة قارونس بنغازي- ليبيا، العدد ٣٥-٢٠١١.

- مدى مشروعية البصمة الوراثية وحجيتها في نفي النسب (دراسة قانونية مقارنة مع الفقه الإسلامي)
- ٣- ام الخير بوقره: دور البصمة في اثبات النسب، بحث منشور في مجلة الاجتهاد القضائي، العدد (٧).
- ٤- أنيس سكمة: إثبات النسب بين م أش والقانون عدد ٧٥ لسنة ١٩٩٨. بحث تخرّج من المعهد الأعلى للقضاء في تونس.
- ٥- الباز: بصمات غير الأصابع وحجيتها في الإثبات والقضاء، مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة الوراثية ٧ مايو ٢٠٠٢، المجلد الثاني.
- ٦- بندر بن فهد السويلم، القضاء بالبصمة الوراثية في النسب، بحث مقدم لندوة القضاء الشرعي في العصر الحاضر الواقع والمأمول، ٢٠٠٦-١٤٢٧ هـ.
- ٧- سعد الدين الهالالي: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، من أعمال وبحوث الدورة السادسة عشر لمجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م، المجلد ٣.
- ٨- د. صبري حمد خاطر، القانون والجين البشري، مجلة دراسات قانونية، العدد الثالث، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣.
- ٩- العاكوم: البصمة الوراثية وأثرها في الإثبات، مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، جامعة الإمارات، ٢٠٠٢، المجلد الثاني.
- ١٠- عبد الستار فتح الله سعيد، البصمة الوراثية في ضوء الإسلام و مجالات الاستفادة منها في جوانب النسب والجرائم وتحديد الشخصية. أعمال وبحوث الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة، المجلد ٣، لعام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣.
- ١١- علي محيي الدين القره داغي، البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد ١٦، السنة ١٤، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ١٢- غنام: دور البصمة الوراثية في الإثبات، مؤتمر ٧ مايو ٢٠٠٢، المجلد الثاني.
- ١٣- كريمة مغات: إثبات النسب بالبصمة الوراثية بين الحق في السلامة الجسدية والحياة الخاصة، بحث منشور على الموقع الإلكتروني: <http://www.marocdroit.com>
- ١٤- مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد ١٦، السنة ١٤، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ١٥- محمد محمد أبوزيد: دور التقييم البيولوجي في إثبات النسب، مجلة كلية الحقوق، جامعة الكويت السنة العشرون، ١٩٩٦.
- ١٦- د. محمد المختار السلامي، مفتي مصر السابق، أثبات النسب بالبصمة الوراثية، المنشور بحث منشور من ضمن البحوث المقدمة للندوة الفقهية الحادية عشر ضمن أعمال المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ١٤١٣ هـ.
- ١٧- محمد المختار السلامي، التحليل البيولوجي للجينات البشرية وحجيتها في الإثبات، بحث ضمن أعمال مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون جامعة الإمارات العربية المتحدة، في ٢٢- ٢٤ صفر ١٤٢٣ هـ الموافق ٥-٧ مايو ٢٠٠٢، المجلد ١،

- ١٨- مركز ابن إدريس الحلبي للدراسات الفقهية، العدد الاول، ٢٠٠٧،
- ١٩- ملخص اعمال الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية في اثبات النسب.
- ٢٠- د. مازن إسماعيل هنية و د. أحمد ذياب شويح نفي النسب في الفقه الإسلامي ودور الحقائق العلمية المعاصرة فيه، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، ٢٥ يونيه، ٢٠٠٨، ص ٢١
- ٢١- د. نصر فريد واصل: البصمة الوراثية و مجالات الاستفادة منها، أعمال و بحوث الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة، المجلد ٣،
- ٢٢- نذير حمادو، البصمة الوراثية وأثرها في إثبات نسب الولد الغير شرعي/دراسة فقهية، اليوم الدراسي المنظم من قبل مجلس قضاء سوليف ومنظمة في ١٠ أبريل ٢٠٠٨ م، حول "البصمة الوراثية DNA في الإثبات"، جامعة الأمير عبد القادر- الجزائر.

خامسا: المواقع الالكترونية

- ١- الموقع الالكتروني <http://www.palmoon.net/2/topic-2122-89.html>
- ٢- الموقع الالكتروني <http://www.islamic-fatwa.com/index.j...lang=ar&type=>
- ٣- <http://main.islammmessage.com/Default.aspx>
- ٤- موقع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية: www.islamset.com

سادسا: القرارات القضائية

- ١- مجلة المحاكم المغربية عدد، ١٠٤
- ٢- مجلة قضاء المجلس الأعلى عدد: ٥٩-، ٦٠،
- ٣- مجلة القضاء، العددان الثالث والرابع، السنة السادسة والخمسون، ٢٠٠٠، ص ٢٦٣
- ٤- جريدة الوطن: عدد ٢٦٦٩، الأحد محرم ١٤٢٩هـ، الموافق ٢٠ يناير ٢٠٠٨،
- ٥- إبراهيم المشاهدي، المبادئ القانونية في قضاء محكمة التمييز، قسم الأحوال الشخصية، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٨٩، ص ٣٦٠.

سابعا: القوانين المقارنة

- ١- القانون المدني الفرنسي لسنة ١٨٠٤ المعدل.
- ٢- قانون الاحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩.
- ٣- قانون المرافعات المدنية رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩.
- ٤- قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩.
- ٥- قانون الإثبات النافذ رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٩.
- ٦- مجلة الاحوال الشخصية التونسية رقم ١٣ لسنة ١٩٥٦ المعدلة والنافذة.

- ٧- قانون الاسرة الجزائري رقم ١١-٨٤ لسنة ١٩٨٤ المعدل بالقانون(٠٥-٠٢) في ٢٧ فبراير ٢٠٠٥,
- ٨- المرسوم المصري رقم ٢٥ لسنة ٢٩ الخاص ببعض احكام الاحوال الشخصية المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥

ثامنا:المصادر الفرنسية

1. Aaspollu, Evaluation DNA of typing – willy – 2008, London
 2. Aida de Carlucci, Op. Cit, P.167. Jarsin, M – DNA Typing (low and Ethics) – S – publisher, USA, 2006..
 3. Enrique Collado, The Human Genome and European Community, H.G .
 4. (Legal Aspects) Vol. four, Fundacion BBV, Spain, 1997 ‘
 5. Jacqueline devichi ,identification by genetic testing,(legal aspects), vol. four, fundacion,BBV,spain,1997.
 6. John, M DNA Typing, How to USA, Mc – Graw Hill. London, 2007 .
 7. .
 8. Luis de Leon, the Human Genome and Identification by Genetic Testing, H.G (legal Aspects) Vol. Four, Fundacion BBv, Spain, 1997, P95
 9. Kimmel Man; j., The Promise and Permits of Criminal DNA Data Banking, Nature Biotechnology, Vol. 18, 2000..
 10. Spitaiaira ,G-DNA typing and Martinity – Gene , V:11,USA, 2007 ‘
- Stephan Chapman, statutes on the law of Tort butter worth, London, 1962, –
.Vicent Soriano, op. cit p383

القداسة والتقديس عند محمد أركون

Sanctity and Sanctification by Mohammad Argon

أ.م.د سامي شهيد مشكور^(١) Asst.Prof. Sami Shaheed Mashkoor

م.م جاسم علك شهاب^(٢) M.A. Jassim ILak Shahab

المخلص

جمع كثير من المفكرين كل الأبحاث الفلسفية ذات الصلة بالدين وراحوا يدرسونها على اعتبارها فلسفة دين، وفق منهج التفسير العقلاني النقدي للدين عبر الفحص الحر للأديان، والكشف عن طبيعة الدين من حيث هو دين، أي عن الدين بشكل عام من حيث هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمر مقدسة، ومن حيث هو نمط للتفكير في قضايا الوجود، وامتحان العقائد والتصورات الدينية للإلوهية والكون والإنسان، والبحث في الطبيعة الكلية للقيم والنظم والممارسات الدينية، ونمط تطور الفكر الديني في التاريخ، وتحديد العلاقة بين التفكير الديني وأنماط التفكير الأخرى؛ بغرض الوصول لتفسير كلي للدين، والتي تكشف عن بعض منابعه في العقل والنفس والطبيعة، وأسسها التي يقوم عليها، وطبيعة تصوره للعلاقة بين المتناهي واللامتناهي، والمنطق الذي يحكم نشأته وتطوره واضمحلاله.

و يُعدُّ الدكتور محمد أركون أحد المفكرين المعاصرين ذو الاتجاه العلماني فيما كتبه وطرحه في الساحة الثقافية، قدم مشروعاً نقدياً تفكيكياً كبيراً في عدة موضوعات ومسائل أهمها ما يخص الدين والتفكير الديني، وإنقاذ النزعة الإنسانية في الدين وأحيائها، والذي يهدف من خلاله إلى بيان تكوين وبنية النص الديني عبر الفحص الحر للأديان، والكشف عن تاريخية النص الديني، والطرق الموصلة الى كيفية إحداث

١ - جامعة الكوفة- كلية الآداب- قسم الفلسفة.

٢ - جامعة كربلاء- كلية العلوم الإسلامية - قسم الدراسات القرآنية.

التغيرات في طبيعة الفكر الديني، ولكي يحقق أركون غايته حاول أن يوظف الفلسفة ومناهجها وعلوم الإنسان والمجتمع وجهازها المفهومي من اجل كتابة وتأليف نسق فلسفي حول مفهوم الدين والتفكير الديني.

Abstract

Can be classified as research in the Department of philosophical inquiry about religion reason with humanitarian actor influential in understanding the religion the starting point of the belief that the Koran is empowered to draw the borders of religion and the areas of intervention in human life and enjoyed by the religion of the prestige and influence on the course of human life, the fact that religion instinctive trait in human nature and its long history since the emergence of humans and offspring. The place occupied by religion in Islamic societies have made a thinker and a philosopher Frenchman of Algerian origindramatize of this stature he says to the place occupied by religion in the Islamic and Arab societies is a contemporary of horror and magnitude to the degree that we can be seen as the first issue and the core should be educated to take care of them.

Find Arkoun, Mohamed and sees the role of the humanities in relation to the framework provided by the formation and deepen the understanding of religion and how to employ the results of cognitive convergence towards religious determine the function of religion the function of religions fall under one Religions of philosophical inquiry about religion.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد المهادي الأمين، وعلى
اله الطيبين الطاهرين أجمعين، وبعد

الفلسفة حقل للبحث والتفكير يسعى إلى فهم غوامض الوجود والواقع، كما يحاول أن يكتشف ماهية الحقيقة والمعرفة، وأن يدرك ماله قيمة أساسية وأهمية عظيمة في الحياة، كذلك تنظر الفلسفة في العلاقات القائمة بين الإنسان والطبيعة، وبين الفرد والمجتمع، والفلسفة نابعة من التعجب وحب الاستطلاع والرغبة في المعرفة والفهم، بل هي عملية تشمل التحليل والنقد والتفسير والتأمل، لذا قد تختلف آراء الفلاسفة حول طبيعتها ومناهجها ومجالها، أما كلمة فلسفة في حد ذاتها فأصلها من الكلمة اليونانية " فيلاسوفيا " التي تعني حب الحكمة، بناءً على ذلك فالحكمة تتمثل في الاستخدام الإيجابي للذكاء، وليست شيئاً سلبياً قد يمتلكه الإنسان.

عاش رواد الفلسفة الأوائل، في اليونان القديمة في مطلع السنوات الخمسمائة الأولى ق.م. وقد حاول هؤلاء الفلاسفة الأوائل أن يكتشفوا التركيب الأساس للأشياء، وكذا طبيعة العالم والواقع، بينما كان

الناس في استفسارهم عن مثل هذه المسائل، يعتمدون إلى حد كبير على السحر والخرافات، لكن فلاسفة اليونان اعتبروا هذه المصادر من المعرفة غير موثوقة، وعضواً عن ذلك التمسوا الأجوبة عن تلك المسائل بالتفكير العقلي ودراسة الطبيعة، الا ان الفكر الفلسفي قد دخل كل جزء وفرع من العلوم بعد ان كانت تنطوي تحتها قبل استقلالها، لذا يمكن القول إنها جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان.

وفلسفة الدين هي اذن إحدى فروع الفلسفة، وقد لقيت رواجاً واسعاً في الدراسات المعاصرة والتي تنبني على غير قواعد الدين وعلم الكلام، بل بمنظار معرفي يحاكي الإنسان في إنسانيته والواقع بمقتضياته، وقد فهم دور الدين في حياة الإنسان فكرياً وسلوكياً، وتأكيداً لذلك ان لكل من الدين والفلسفة حركة فكرية تحاول، كلاً على حد وعلى طريقتها الخاصة، الوصول إلى الحقيقة، فالدين ساعد الإنسان على فهم معضلات الحياة وتعقيداتها وبعض ما يكتنفها من أسرار، أما الفلسفة فتقوم عادة بفتح الطريق أمام الإنسان الواعي لبدء رحلة البحث عن الحقيقة مستخدماً إمكانياته العقلية وما توصل إليه الإنسان من أدوات تحليل علمية على مدى العصور، ويتميز الفلاسفة عن غيرهم بالتأمل العقلي والتفكير الكلي الشامل لظواهر الوجود فهو يفسر الظاهرة في ضوء ارتباطها ببقية الظواهر الأخرى في الوجود كله حيث يرجع الظاهرة إلى عللها البعيدة وأسبابها غير المباشرة ولكل فيلسوف نسق عقلي خاص به يستخدمه في تفسير الوجود، لذا عُد ما تطمح فلسفة الدين إلى تحقيقه يتحدد في جوهره بالتطلعات العميقة للفلسفة. فحيث ان الفلسفة علم عقلي انساني، فهي لا تركز سوى على بديهيات العقل وأوليياته الأمر المشترك ما بين البشر كافة، اما الدين فالتصديقات فيه أمر مسلّم، ومنها المفاهيم الدينية الموجودة في النصوص الدينية المقدسة التي تنطوي عليها التجربة الدينية لدى كل إنسان والتي اتسمت بطابع النمو المطرد، الأمر الذي جعلها تخلق لنفسها عبر الزمن مظاهر تبدي فيها ذاتها من خلال تكامل البعد العقلائي وتكامل الدين الذي يكمن في غناه المفهومي، ومظاهر القداسة فيها على نحو أتم وأكمل، بل حتى أضحي الاهتمام بمظاهر القداسة في الطبيعة انطلاقاً من التركيز على عنصر التعالي في الحياة الدينية، ومنها جاء دافع هذا البحث حول القداسة والتقديس في فكر محمد أركون كباحث في الفكر الحدائوي حاول ان يقيم مسافة نقدية بين العقائد كونها تمثل تجارب دينية بنظره أكثر رسوخاً وتجذراً، وبين العقائد المستبطنة يعمق من قبل الذات الإنسانية في مختلف الثقافات البشرية، كالاتمام بالبعد الديني للوجود التاريخي للبشر في كل العصور أو الفئات الاجتماعية بالبحث والتحليل. ومثل هذا الاهتمام بالبعد الديني متمثلاً بالقداسة والتقديس عند أركون هو مدار بحثنا.

تعميد

ظاهرة القداسة والتقديس قديمة وجدت مع الإنسان، وحديثة حيث لا زالت تستحوذ على مساحة واسعة من مخيلة ومشاعر البشر على اختلاف ألوانهم وثقافتهم، كما أنها تزداد شدة وضعفاً تبعاً للزمان والمكان ومستوى ثقافة الأمم والمجتمعات التي تتأصل فيها هذه الظاهرة، وحيث ان فلسفة الدين تتضمن البحث الفلسفي حول الدين بتبيين المفاهيم ونقد الأدلة والبراهين التي تبناها العقائد والتجارب

الدينية، وان إحدى مباحثها دراسة أثر هذا الموضوع الذي يعد جزءاً من وعي الإنسان وتقدمه الحضاري، وكون هذه الظاهرة تشكل مشكلة من المشاكل الفلسفية شيئاً واضحاً يتضح من خلال اتساع مساحة المقدس في حياة الإنسان تارةً وإغائها تارةً أخرى، وما يترتب على ذلك من آثار سلبية أو إيجابية على المستوى الفلسفي والفكري والمعرفي والسلوكي، كونها تستبطن الاعتقاد بكمال ذاك المقدس أو تمييزه على من سواه من دون الاستناد الى دليل عقلي، ومن ثم كبل المدائح وخلع الصفات والألقاب والمبالغة في بعض القصص المنسوبة اليه والتي تضيي نوعاً من القداسة على هذا أو ذاك من الأشياء والغيبيات، وغالباً ما تكون هذه القصص والتبجيل ليس لها واقع موضوعي، بل ان للخيال دور كبير في صنع تلك القدسية والتبجيلية، لذا فأن من مباحث (فلسفة الدين بما تحويه من سؤال الدين عن طبيعته وسلوكه وتقاليد،) انما تعيد هيبه الإنسان الذي ضاع في الميثوس، أساطير قديمة وعصرانية لا حد لجريان انسكابها في الواقع المعاش، في كل هذا يراد ان نستعيد معنى كينونتنا بالسؤال. السؤال الذي يعني إمكانيةنا على التفكير في قبال ما هو ممنوع.. ما هو مقدس، بأدوات المرغوب والمباح والمدنس^(٣)، ولفهم هذه الظاهرة المستمدة من مختلف التجارب في شتى الثقافات الإنسانية، وكونها ظاهرة كونية الشيع، حيث تتم معرفة المقدس عبر الإنسان الذي يعبر عنه، ويعبر عنه بمفاهيم وأساطير ورموز، ومن الجلي انه لا يتيسر لنا الإلمام بتجربة الإنسان الدينية إلا عبر ما يتجلى بواسطة منظومات تعبير نظرية، سواء كانت مفاهيمية، او طقوسية، او رمزية فكرية باعتبارها مظهرات للغات الإنسان، التي عبر عنها بواسطتها عن علاقاته بالمقدس، والساعي لربط فعله بها، بل ان فهم وتحليل المقدس من طرف الإنسان وإدراكه كواقعة موضوعية متعالية، عبر تجربة عقلانية، او عاطفية، شعرية، رمزية، من خلال مجموع العلاقات الحميمة التي تصل الإنسان بما يتبدى لديه من واقع متعال عبر تأريخه، كذلك متابعة أسباب تلك العلاقات ومؤثراتها على السلوك الإنساني^(٤). ومن ثم (بإمكاننا فهم ماهية المقدس بعد اختزاله في الشعائر والطقوس التي هي ذكرى المقدس)^(٥)، وقد يتضمن هذا المقدس درجة عالية من التقدير والاحترام؛ قد يكون فكراً او اعتقادياً او تنزيهياً مثلاً "التسبيح" هكذا يلاحظ الباحث دون التوسع في ضرب الأمثلة في الرؤية الإسلامية واننا نجد في مفردات الراغب الاصفهاني ان مصطلح "قدس" يأتي بمعنى: (التقدیس التطهير الإلهي المذكور في قوله {ويطهركم تطهيراً}^(٦) دون التطهير الذي هو إزالة النجاسة المحسوسة، وقوله: {ونحن نسيح بحمدك ونقدس لك}^(٧) أي نطهر الأشياء ارتساماً لك وقيل نقدسك أي نصلفك

٣ - الحمداوي، د.علي عبود، وآخرون، فلسفة الدين مقول المقدس بين الايديولوجيا والبيوتوبيا وسؤال التعددية، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص ٨.

٤ - ينظر، مسلان، ميشال، علم الأديان مساهمة في التأسيس، ترجمة عز الدين عناية، ط١، كلمة والمركز الثقافي العربي، ابو ظبي - بيروت - الدار البيضاء، ٢٠٠٩م، ص ١٤.

٥ - الحمداوي، د.علي عبود، وآخرون، فلسفة الدين مقول المقدس بين الايديولوجيا والبيوتوبيا وسؤال التعددية، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، بحث مهانة، د.إسماعيل، نحو لاهوت بلا اله؛ المقدس والدين في فكر هيدغر، ص ٢٣٧.

٦ - سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٧ - سورة البقرة، الآية: ٣٠.

بالتقديس. وقوله: {قل نزله روح القدس} (٨) يعني به جبريل من حيث إنه ينزل بالقدس من الله أي بما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الإلهي، و"البيت المقدس" هو المطهر من النجاسة أي من الشرك، وكذلك الأرض المقدسة، قال تعالى: {يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم} (٩)، وحظيرة القدس قيل هي الجنة وقيل هي الشريعة وكلاهما صحيح فالشريعة حظيرة منها يستفاد القدس أي الطهارة (١٠)، و(مُقَدَّسِي بوزن محمدي، وكان سيبويه يقول؛ "قُدوس" و"سُبوح") (١١)، فكل هذه المصطلحات التي يتناولها القرآن الكريم تستدعي الدراسة الدينية والفلسفية لنرى موقف محمد أركون منها وقبل ذلك لا بد اعطاء فكرة عن حياته وفلسفته لها.

المطلب الأول: نبذة من حياة الدكتور محمد أركون

كثيرا ما نجد ان السيرة الذاتية لمحمد أركون تتداخل مع السيرة العلمية، أو بالأحرى فإنه يعتمد الى الإحالة والكشف عن السيرة الذاتية من خلال مؤلفاته ومحاوراته، الى درجة انه يصعب الفصل بينهما، كما ان أركون في نصوصه نادرا ما يتحدث عن السيرة الذاتية، حيث توجد مقالة وحيدة يتحدث فيها عن السيرة الشخصية، وقد ظهرت أول مرة في كتاب جماعي بعنوان؛ "الأدب والظاهرة الشفهية في المغرب الكبير تحية الى مولود معمري" ومعمري شخصية معاصرة لاركون في فترة الشباب، يُذكر فيها محمد أركون انه ولد سنة ١٩٢٨ بقرية "توريرت ميمون"، وهي قرية معلقة على سفح جبل جرجرة في منطقة القبائل الكبرى بدولة الجزائر، وهو من أسرة بسيطة تقطن في أسفل القرية، ويذكر أركون انه ظل لا يعرف إلا اللغة الفرنسية واللغة الامازيغية، ولم يتعلم العربية إلا بعد خروجه من منطقة القبائل والتحاقه بالمدرسة الثانوية في "وهران" من جهة غرب الجزائر، حيث انتقل بين ثانويتين وهما "ارديون ولاموسير" وفيهما أمضى دراسته الثانوية (١٢)، ثم التحق محمد أركون بجامعة الجزائر، حيث حصل سنة ١٩٥٢ على شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي، كما حصل على دبلوم الدراسات العليا حول "الجانب الإصلاحي في أعمال طه حسين"، كما اشتغل في تلك الفترة بالتدريس بثانوية "الحراش" بالجزائر، لقد أثرت شخصية "هنري بيريس" في أركون لعشرات السنين بتكوينها رؤية خاصة للدراسات العربية والإسلامية ونمط من السلطة الأكاديمية للاستشراق ولم تتغير هذه الرؤية إلا بعد ذهابه الى باريس واكتشافه لـ "مدرسة الحوليات" فلقد عاش أركون أيام الاستعمار ضمن مناخ من القهر والكبت والصمت، ذلك الوضع الذي عاشه في جامعة الجزائر، حيث لم يكن يقدر على التصريح بأي شيء،

٨ - سورة النحل، الآية: ١٠٢.

٩ - سورة المائدة، الآية: ٢١.

١٠ - الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، سليمان زاده، طليعة النور مكتبة ذوي القربى - إيران - قم، ط١، ١٤٢٧هـ، ص ٦٥٠، وينظر أيضا، الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، بلا ط، ١٩٨١م، كلمة "قدس"، ص ٥٢٤.

١١ - الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، مصدر سابق، ص ٥٢٥.

١٢ - ينظر، هالير، رون، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في المغرب؛ الجهود الفلسفية عند محمد أركون ترجمة جمال شحيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، ط١، عام ٢٠٠١، ص ١٦٧.

ويصف الوضع قائلاً (كان هذا الاستعمار موجوداً بقوة داخل الجامعة، وكنا خمسة أو ستة طلاب فقط من أصل جزائري يدرسون اللغة العربية والآداب العربية، وأما الفرنسيون الذين يدرسون في بقية الكليات الأخرى فكان عددهم بالألوف، بالطبع كانوا يأفنون من دراسة اللغة العربية ويحاولون منعها والتضييق عليها إلى أكبر حد ممكن)^(١٣).

ويشير أركون في تلك الفترة إلى شخصيتين كان لهما أثر في شخصيته ويقارن نفسه بهما غير شخصية "هنري بيريس" وهما:

١- "ابن خلدون ١٣٣٢م - ١٤٠٦م"^(١٤) الذي ولد في وسط عربي وعندما بدأ "ابن خلدون" التعلم وجد أمامه مكتبة عربية غنية جداً، يقول أركون واصفاً حاله (فقد نشأت في الجزائر أبان الأربعينات والخمسينات، ولم احظ بمثل تلك المكتبة { يقصد ما وجدته ابن خلدون في أسرته }، لقد درست في ثانوية فرنسية علمانية أثناء حكم الجمهورية الفرنسية الثالثة وكنت بعيداً عن كل مكتبة عربية لقد اختلف الأمر، كان علي أن أقاتل وحدي)^(١٥). أما عن جهة التأثير فيذكر بأنه وجد في كتابات ابن خلدون عناصر مهمة في دراسة المجتمع، وتفسير أسباب التغييرات الاجتماعية، والقوى التي تحرك حياة الناس وأصل الدولة والقانون والسياسة، وما يدرس الآن في علم السوسولوجية؛ العلم الذي يرد كل شيء إلى المجتمع، واستكشاف التحولات في حياة الإنسان^(١٦).

٢- "مولود معمري" ابن قريته وينتمي إلى عائلة لها مكانة مرموقة في "توريرت ميمون"، ويذكر أركون (ان شباب القرية كانوا معجبين بشخصية مولود معمري، الذي كان ما بين ١٩٤٥م - ١٩٥٢م م المثقف اللامع والأنيق والمحبوب في القرية، وكان له الحظ انه درس في باريس وحصل على شهادة ليسانس في الآداب الكلاسيكية، وكان أبوه هو أمين القرية ويمثل الذاكرة الجماعية للقرية ويحظى بمكانة كبيرة في دوار بني بني)^(١٧).

وبعد انتقال أركون إلى فرنسا وفي سنة (١٩٧٥ م) سجل بحثاً ميدانياً " لدراسة الممارسة الدينية في منطقة القبائل" ولكن اندلاع الثورة والعمليات العسكرية بمنطقة جرجرة نسفت هذا المشروع فنصحه

١٣ - أركون ، محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقى، ط٢، ٢٠١٢م، ص ٢٦٤.

١٤ - عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون ٧٣٢هـ - ٨٠٨هـ ؛ من عائلة اشبيلية هاجرت إلى تونس درس اللغة والفقه والقرآن على والده، عاش حياة صاحبة وتقلب مع العهود وأولياء العهد منتصباً ومنقلباً على الضعيف حتى حط به الرحال أخيراً في القاهرة حيث تولى التدريس في الأزهر، من مؤلفاته ؛ كتاب العبرة ومن ضمنها "مقدمته"، وديوان المبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، وتعد مقدمته دائرة معارف عقلية وفنية وتاريخية ولغوية وفلسفية (ينظر، الفا، روي ايلي، موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب، تقديم شارل حلو، مراجعة د. جورج نخل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ١٩-٢٠).

١٥ - هالير، رون، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في المغرب، مصدر سابق، ص ١٦٨.

١٦ - ينظر، أركون، د. محمد، لوي غارديه، الإسلام بين الأمس والغد، ترجمة علي المقلد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦م، ص ١٩٠.

١٧ - أركون، محمد، الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، كانون الثاني (يناير) ٢٠١٠ ص ٨، ص ٢٨٥.

المستشرق الفرنسي "ريجيس بلاشير"^(١٨) في السوربون بتسجيل مشروع بحث حول "نزعة الأنسنة في الفكر العربي" وهو البحث الذي نال به شهادة الدكتوراه^(١٩) ويذكر أركون ان استماعه الى دروس هذا المستشرق كان السبب الذي جعله يصمم على تركيز أبحاثه على ما كان قد دعاه (بـ) "الحدث القرآني" تمييزاً له عن "الحدث الإسلامي"، وقد نتج من ذلك أول كتاب لي بعد أطروحتي عن الانسية العربية، وكان بعنوان "قراءات في القرآن" (١٩٨٢ م)^(٢٠).

وبعد ذلك انتسب أركون الى الجامعة الفرنسية وهي جامعة السوربون في باريس كأستاذ لتأريخ الفكر عموماً والفكر الإسلامي خصوصاً منذ حصوله على درجة الدكتوراه من الجامعة ذاتها سنة ١٩٦٨ م، ثم أستاذ زائر في العديد من الجامعات الأوروبية والأمريكية المختلفة، عمل باحثاً مرافقاً في برلين سنة ١٩٨٦ - ١٩٨٨ م، ومنذ عام ١٩٩٣ م شغل منصب عضو مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن^(٢١)، ثم تقاعد وتوفي في سنة ٢٠١٠ م ودفن في الدار البيضاء في "مقبرة الشهداء" وعلى مسافة قريبة من مثوى المفكر "محمد عابد الجابري". انه شخصية مزدوج الثقافات متعددة اللغات، وانه كان يرصد كل جديد في مجال الفكر الفلسفي والتاريخي والديني في الغرب، وأنجز كثير من الأعمال الفلسفية والفكرية والتاريخية باللغات الفرنسية والانكليزية والعربية، و ما نلاحظه حول مؤلفاته هو أن كتبه تضم جملة من الأبحاث ذات طابع مختلف حيث يطرح عدة إشكاليات في مجال الدين والتاريخ، والفلسفة، والسياسة، وأغلبها باللغة الفرنسية، وبشكل عام فإن كتبه هي عبارة عن مجموعة من الأبحاث والدراسات تدور حول إشكاليات ونقد عقلي فلسفي وديني، وهي إشكالية دراسة الفكر الديني دراسة نقدية عقلية فلسفية وتاريخية وبمناهج غربية حديثة من أجل التعرف على التيارات الإنسانية والعقلانية في التراث الديني والعربي، يقول أركون (نحن بحاجة الى إعادة استكشاف لتلك الحقبة المبدعة من تاريخنا من أجل التعرف على التيارات الإنسانية والعقلانية في تراثنا، فتراثنا ليس كله أصوليات مترممة أو ظاهريات فكرية متحجرة كما تزعم وسائل الإعلام الغربية أو قسم كبير منها، تراثنا كان منارة للبشرية في فترة من الفترات، وحضارتنا كانت أعظم الحضارات لعدة قرون، وأنا أفتخر بان أسلافي هم أشخاص من نوع المأمون والنظام وأبي العلاء المعري وابن المقفع وحنين بن اسحاق وجابر بن حيان وأبي بكر الرازي وابن الطفيل

١٨ - ريجيس بلاشير ١٩٠٠م - ١٩٧٣م؛ مستشرق قضى دراسته الثانوية في مدرسة فرنسية في الدار البيضاء وفي عام ١٩٣٦ م حصل على دكتوراه الدولة من جامعة باريس برسالتين؛ الأولى عن شاعر عربي من القرن الرابع الهجري وهو "أبو الطيب المتنبي"، والثانية ترجمة فرنسية لكتاب "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسي، شغل منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية الملحق بجامعة باريس ١٩٥٦ م، ومن كتبه؛ تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن ١٥ هـ ثلاثة أجزاء، ترجمة القرآن {الكريم} الى الفرنسية، مع مقدمة طويلة وتفسير قصير، وقد رتب القرآن الكريم وفقاً لما ظنه انه ترتيب نزول السور والآيات، وفي طبعة أخرى واسعة الانتشار عاد الى الترتيب الأصلي الوارد في المصحف عام ١٩٥٦ م وفي ١٢٣٩ صفحة، وصنف كتاباً صغيراً لخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة النبي (ينظر، بدوي، د. عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، تموز "يونيو" ١٩٩٣ م، ص ١٢٧).

١٩ - ينظر، هالبير، رون، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في المغرب، مصدر سابق، ص ٧.

٢٠ - أركون، محمد، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط ١، بيروت، ٢٠١١ م، ص ٢٠٤.

٢١ - ينظر، هالبير، رون، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في المغرب، مصدر سابق، ص ٧.

وابن باجة والتوحيدي وابن سينا وابن عربي وعشرات الآخرين، وبالتالي فتراثنا تراثنا او وجهان ككل التراثات البشرية؛ وجه مشرق ووجه معتم، وجه أصولي ووجه تنويري. ولكن المشكلة هي إننا لا نحتفي الا بالوجه المعتم وننسى الآخر المضيئ حتى كأنه ليس منا. لقد تنكرنا له وطمسناه الى درجة أنه اختفى كليا عن الأنظار والى درجة ان الإسلام ككل أصبح متطابقا مع التيار السلفي فقط. وهذا أكبر دليل على مدى انحطاطنا الحالي وتدهورنا. ولذلك نقول نعم ينبغي تدريس نصوص الفارابي وابن سينا والمعتزلة وابن رشد وسواهم في مدارسنا الثانوية وجامعاتنا ولكن مع إضافة نصوص ديكرات وسبينوزا^(٢٢) وكانط وهيجل الخ.. وهكذا نجتمع بين التنوير العربي والتنوير الأوروبي الذي لحقه مباشرة وتجاوزة وأضاف إليه الكثير بعد ان استوعب أهم إنجازاته^(٢٣).

المطلب الثاني: التقديس عند محمد أركون

لاشك أن التقديس ينطوي على موقف " نظري " فكري، وهو الاعتقاد بكمال ذات، كشخص او شيء وكعقيدة او رأي او مذهب او قول او نص " خطاب " بحيث لا يتطرق الى الذهن وقوع أي نقص او عيب او خلل فيه، فهو موقف لفظي وهو التعبير باللسان عن ذلك الموقف الفكري بمعنى التطهير او التبعيد، أي تبعيد المقدس عن النقص والعيوب والدنس ومثله التسييح "تنزيه"، ووفق لهذا التصور فأن مفهوم التقديس يتسع ليشمل كل صيغة لفظية تستبطن الإعتقاد بكمال ذاك المقدس او تمييزه على من سواه من دون الاستناد الى دليل عقلي او شرعي، وأوضح درجات التقديس هو الموقف العملي من المقدس، الذي يتمظهر بمظاهر عديدة منها؛ العبادة، والطاعة، والخوف، والحب والولاء والإلتباع والاحترام والتوقير والنصرة والتبرك والتعظيم وغيرها^(٢٤).

إذن لا يستغني الإنسان عن المقدس، وان تجليات هذا المقدس تتنوع بتنوع المجتمعات والأديان، ويتغلغل في مجالات الحياة المختلفة، ولكن عادة ما يتعرض المقدس للتلاعب من قبل البشر، ويجري توظيفه في المعارك، ويستخدم كقناع وذريعة في الصراع الإجتماعي وغير ذلك.

كل هذا أدى الى ان يخضع هذا الموضوع لمختلف أنواع التفسيرات والتأويلات والقراءات، المنبثقة عن الفضاء البشري الحاضر له، مما يؤيد ذلك ما ورد عن الدكتور محمد أركون مثلا الى أنّ عدم وجود تطابق بين خطاب المستشرقين والحقيقة المعاشة في المجتمعات العربية والإسلامية وان يدل بشكل واضح على

٢٢ - باروخ سبينوزا ١٦٣٢م-١٦٧٧م؛ فيلسوف هولندي قضى معظم حياته في الدرس والتأمل، تمرد على طائفته اليهودية حتى اتهم بالمروق، وفلسفته تنحو نحو وحدة الوجود، من مؤلفاته؛ رسالة في اللاهوت والسياسة، وكتاب الاخلاق، ومبادئ الفلسفة الديكارتية، رسالة وجيزة في الله والإنسان، إصلاح العقل (ينظر، الفاضل، روني ايلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، مصدر سابق، ص ٥٤٨).

٢٣ - أركون، محمد، فيلسوف النزعة الإنسانية في الإسلام، نيسان "أبريل" ٢٠١١ م، حوار مع هاشم صالح، نشر على الانترنت في مقال بعنوان هل أركون فيلسوف؟ وبأي معنى؟ <http://www.philo.8m.com/arkou.htm>.

٢٤ - ينظر، الطهمازي، الشيخ عبد الهادي، ظاهرة التقديس في الثقافة العربية والإسلامية، مجلة المبين، العراق - النجف الاشرف، العدد الثاني، تموز، ٢٠٠٥م، ص ٦٥.

إهمال المستشرقين للجمهور الإسلامي، إذ قدم المستشرقون راديكالية النقد الفلولوجي والتأريخي^(٢٥) للعرب والمسلمين بمجرد حصول الوعي الخجول لبعض المثقفين المسلمين (بتاريخية الإسلام بين عامي ١٨٥٠-١٩٥٠م.... وعندما أحس الوعي الجماعي بالحاجة إلى إعادة الصلة مع الإسلام بوصفه منهجاً للحياة وغذاءً روحياً، راح {المستشرقون} ينزعون الشرعية والقدسية عنه... وعندما استخدم المسلمون الإسلام من أجل شن ثورة اجتماعية وسياسية راح الإستشراق يسهب في الحديث عن تزمّت الإسلام وتعصبه)^(٢٦).

لذا يعيب أركون على قوى التنوير أو الحداثة الغربية إنها لا تهتم بمسألة الروح وإنما تهتم فقط بالأشياء المادية الاستهلاكية ذات المردود الاقتصادي، وان عقلانيتها عقلانية ذرائعية أكثر مما هي إنسانية أو فلسفية، وبالتالي فلا تطرح مسألة معنى الوجود، أو الغاية منه، وبقية الأسئلة الميتافيزيقية والروحية، ومن المعلوم ان العقل الوضعي "ورث عقل الأنوار" قد احتقر كل ما هو روحي أو ميتافيزيقي^(٢٧). أي أن مشروع أركون يندرج في سياق القراءات الحديثة للنص المقدس، ولا بد من الإشارة هنا انما هو ينقد سلبيات الحداثة الغربية وليس ايجابياتها. يقول أركون: (إن وجودي في فرنسا قد علّمني أشياء كثيرة، إيجابية وسلبية، عن تجربة العلمنة أو طريقة ممارستها و عيشها. وقد انتهى بي الأمر، أخيراً، إلى تلك الممارسة وتلك الفناعة الفكرية التي تقول بان العلمنة هي، أولاً، وقبل كل شيء، إحدى مكتسبات وفتوحات الروح البشرية. وهي مكتسب كان قد افتتح في اوساط مختلفة وتجارب ثقافية متعددة بما فيها المجال العربي الإسلامي... ولكن يبقى صحيحاً القول أن هذا الفتحة قد ذهب أبعد ما يكون في المجتمعات المسيحية للغرب، مع كل التوترات والصراعات التي رافقت هذا الفتحة الظافر والمكتسب الاكيد)^(٢٨). لما يدعوه (بالعقل الاستطلاعي المستقبلي المنبثق حديثاً)^(٢٩) او عبر هذا المفهوم "العقل المنبثق حديثاً". وهذا العقل الذي يدعو اليه أركون يرفض ان يدعوه بمرحلة ما بعد الحداثة، او بعقل ما بعد الحداثة، كما يفعل كثير من فلاسفة أوربا وأمريكا، وإنما يخترع له اسماً هو "العقل الاستطلاعي الجديد" وهو عقل يشتمل على عقل الحداثة ويتجاوزها في ان معاً بمعنى انه ينقد الحداثة ويغريها لكي يطرح سلبيتها ولا يبقى الا على ايجابيتها، ثم يشكل عقلانية أكثر اتساعاً ورحابة، وهي عقلانية تتجاوز عقل التنوير بعد ان تستوعب

٢٥ - يقصد أركون بالنقد الراديكالي هو النقد الجذري لكنه هنا يستند الى المنهج الفلولوجي والتأريخي وهو المنهج الذي حصر كل همه بدراسة الفكر المركزي اللغوي او المركزي المنطقي "كعلم اللاهوت، والفقه، والفلسفة" بمعنى أنه يدرس كبريات النصوص النظرية القديمة ويهمل ما عداها وحتى هذه الدراسة بقيت تجريدية تمارس داخل المنظور المثالي لتأريخ الأفكار التقليدية. فالإسلام هنا يدرس ضمن منظور تجريدي وكأنه يقف فوق الزمان وفوق المكان وفوق المجتمع وفوق التأريخ. فالإسلام يؤثر عليهما دون أن يتأثر بهما. إنه يخترع التأريخ والعصور دون أي تطور أو تغيير. (ينظر، صالح، هاشم، مدخل الى فكر محمد أركون، www.nizwa.com، ص ٢٦ - أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي، ط ٣، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٦م، ص ٢٥٢. ٢٧ - ينظر، أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقى، ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٩٩م، ص ٢٥. ٢٨ - ينظر، أركون، محمد، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط ٢، عام ١٩٩٦، ص ٩٧. ٢٩ - أركون، محمد، العلمنة والدين؛ الإسلام المسيحية الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، ط ٣، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٩-١٠.

مكتسباته الأكثر رسوخا، انما عقلانية لا تحتقر الجانب الروحي أو الرمزي من الإنسان كما كانت تفعل العقلانية الوضعية منذ القرن التاسع عشر والتي سيطرت على الغرب حتى امد قريب^(٣٠) (بغرض الاعتراف بالأسطورة كأسطورة وتمييزها عن التاريخ الواقعي المحسوس يشكل إحدى الفتوحات الأساسية للفكر الحديث، بمعنى ان القدماء كانوا يخلطون بينهما بشكل اجباري، وما كان بإمكان الأمور ان تكون الا كذلك، وهذا التمييز الحاصل لأول مرة في التاريخ هو الذي يتيح لنا إمكانية إعادة قراءة النصوص الكبرى بل وضرورة قراءتها، اقصد النصوص الكبرى القديمة التي كتبت في فضاء عقل تختلط فيه الأسطورة بالعقل " او في فضاء عقلي كان العقل مضطرا فيه الى استخدام لغة الوعي الأسطوري وبعض مجرباته لكي يستطيع ان يتشكل وينتق، فمن رحم الأسطورة - وضد الأسطورة - انبثق العقل لأول مرة^(٣١) ويضرب أركون لذلك مثلا في دراسته للخطاب القرآني يرى ان هذا الخطاب عندما يتعرض لذكر واقعة او حادثة فانه يطمس معالمها وإحداثياتها الزمكانية لكي يخلع عليها صفة التعالي(او المتعالي هو المفارق الذي ليس فوقه شيء فالله تعالى، هو المتعالي، والعالي، والأعلى، وذو العلاء الذي ليس فوقه شيء، اما فلسفة التعالي فهي القول ان نسبة الله الى العالم كنسبة المخترع الى آتته... او القول ان وراء الظواهر الحسية المتغيرة جواهر ثابتة، او حقائق مطلقة، قائمة بذاتها^(٣٢)، والتسامي فتصبح وكأن لا علاقة لها بأي زمان او مكان محدد، فتصبح شيئا رمزيا يتجاوز التأريخ ويعلو عليه^(٣٣). وهنا يبدو التناقض واضحا في كلام أركون؛ اذ أشار من قبل الى ان النص القرآني نفسه يتضمن هذا الوعي بقوله:(والأدوات العقلية التي ادخلها الخطاب القرآني من أجل تأسيس إنسان جديد مضاد بكل وضوح للإنسان القديم: أي إنسان الجاهلية)^(٣٤) واعتبرها "قراءة إيمانية او تقليدية" لا تعباً إطلاقا بمعطيات التاريخ والجغرافية والواقع، ومن جهة ثانية يعدّه هو الذي طمس معالم التاريخية، بإضافة التقديس وخلعه على الواقع. وقد ذكر هذا في معرض بيانه فيما تضمنته الآيات من سورة التوبة (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْضَرُوهُمْ وَأَقِمْوهُمْ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٣٥)، وعلق على هذا الدكتور "هاشم صالح" مترجم أغلب كتبه بقوله(هكذا نجد ان أركون يلح على القراءة التاريخية للقران {الكرام} لكي يحجم من تأثير القراءة الإيمانية او التقليدية التي لا تعباً بمعطيات التاريخ والجغرافية والواقع، ولا ريب ان القراءة التاريخية سوف تؤدي الى نتائج تحريرية هائلة

- ٣٠ - أركون، محمد، القران من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، دار الطليعة للطباعة والنشر، ترجمة وتعليق هاشم صالح، ط١، بيروت - لبنان، ٢٠٠١ م، هامش المترجم، ص ١٥.
 ٣١ - ينظر، المصدر نفسه، هامش المترجم، ص ١٥ - ١٦.
 ٣٢ - أركون، محمد، نزعة الانسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، ط١، بيروت - لبنان، ١٩٩٧ م، ص ٦٣٥ - ٦٣٦.
 ٣٣ - صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ذو القرنى، إيران - قم، ط١، ١٣٨٥ هـ، ج١، ص ٢٩٧.
 ٣٤ - أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص ٢٠٤.
 ٣٥ - سورة التوبة، الآية ٥.

إذا ما أحسننا القيام بها، دون ان يعني ذلك إضعاف الإيمان او إضعاف قيمة القرآن {الكريم} على العكس، سوف يصبح الإيمان أكثر استنارة وبصيرة من قبل^(٣٦).

كما نجد ان التاريخية عرفت بما يوحى باستمرار هذه الجدلية بينها وبين الوحي حول الحقيقة مثل تعريف عزيز العظمة الذي قال انها (ما يحرر النص من الأسطورة، ويعيده الى نصابه من الواقع ويشكل مفتاح التعامل الحدائي معه)^(٣٧)، وهذا التعريف يجعل من "التاريخية" مقولة حدائية، وشرط من شروط التعامل مع النص الديني؛ لأنه كان ينظر الى هذا النص على انه ليس مقدسا في ذاته، وإنما تقديس في التأريخ، وفيه ولد^(٣٨)، وهذا الكلام يجعلنا نفهم ان قداسة النصوص أضيفت لها في التأريخ، (لان أي موضوع له جوانب عدة تبدو كالشبكة، ومن ثم فلا جدوى من القول ان هذا حقيقي وهذا زائف، والجدوى تكمن فقط في الوظيفة التي يقوم بها التعريف في إبراز منظور ما، وإهمال منظور آخر، فكما ان كل تعريف يُظهر، فهو يخفي أيضا، وهذه اشكاليته)^(٣٩). ويتفق هذا القول مع أركون على النحو الذي سبق من كلامه، كما نجد باحثا آخر وهو الدكتور نصر حامد أبو زيد يعتبر "التاريخية" لا تقضي على قدسية النص القرآني ولا إنكاره على إنه من عند الله سبحانه وتعالى، معتبرا من يقول بذلك جاهلا^(٤٠).

وقد كشف أركون بعض مناحي المقدس سواء في حياتنا المعاصرة، او في التأريخ عبر الانتقال من العملي الى النظري ومن النظري الى العملي، كجزء من منظومة ثقافية، لان المقدس عند أركون ليس الديني فقط " وان كانت جذوره دينية " انما (يكمن حتى في عاداتنا اليومية واعتقاداتنا، في تفاعلنا وتشاؤمنا، في النظم التي تحكمنا، والطرق التي نُحْكَم بها، وفي البديهيات والمسلمات والحكايا)^(٤١).

هذا الخلط بين الإلهي والبشري وعدم التمييز بين الوحي وفهم الإنسان للوحي وبين الإسلام والتمثيلات الاجتماعية له أدى الى اتساع مساحة المقدس واستوعب هذا المقدس بالإضافة الى النص والفهم البشري لهذا النص واستيعاب (التجارب التاريخية للمسلمين بكافة تلويناتها كما استوعب أيضا الصراعات التي ظهرت في التجربة الإسلامية، ومجمل هذه التجارب لا تخلو في الواقع من اكرهات سياسية وثقافية، ولا تخلو من تعصب عقائدي ونفي للآخر. ما هو السبيل لصياغة فهم للإسلام يحرره من تلك التعصب والاكراهات ويعود بنا الى جوهر الدين ومقاصده الإنسانية من اجل ان يشيع مناخا رحبا

٣٦ - أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، هامش المترجم ص ٢٠٥.

٣٧ - العظمة، عزيز، دنيا الدين في حاضر العرب، دار الطليعة للطباعة، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٩٤.

٣٨ - ينظر، المصدر نفسه، ص ٩٤.

٣٩ - عبد الرحمن، د. عبد الهادي، عرش المقدس؛ الدين في الثقافة والثقافة في الدين، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت - بيروت، ايار " مايو " ٢٠٠٠م، ص ٧.

٤٠ - ينظر، أبو زيد، نصر حامد، النص والسلطة والحقيقة؛ إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، ط ٥، الدار البيضاء- المغرب، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦ م، ص ٧٥.

٤١ - عبد الرحمن، د. عبد الهادي، عرش المقدس؛ الدين في الثقافة والثقافة في الدين، مصدر سابق، ص ١٢ عن مقالة لكارين ارمسترونغ Karen Armstrong, where has God gone, newsweek, jule 12, 1999, pp54 وهو مؤلف كتاب تأريخ الله A History of God، يؤكد ان حالة المقدس تمتد الى مجالات غير دينية في الأساس.

للعقلانية والمعنوية ولا يُسلب الدين من بعده الفني الجمالي ويحيله إلى مسخ مشوه؟^(٤٢) في سياق التمييز بين الدين وفهمنا للدين، أو عدم التمييز بين الوحي وفهم الإنسان للوحي، وبين الإسلام وبين التمثلات الاجتماعية له، والذي أدى إلى اتساع مساحة المقدس، وإلى مثل هذا عدّ الفيلسوف رودولف أوتو (١٨٦٩ م - ١٩٣٧ م) ما يسميه "القدسي" عنصراً مكوناً للدين وتناوله بالتحليل من زاوية القيمة هذه، ولكنه رأى فيه أنه يتضمن عنصراً غير عقلائي، يسمو على العنصر العقلائي، لا يملك الفيلسوف أن يفسر، بل أن يقف أمامه برهبة^(٤٣)، هكذا (الفكر ما بعد الحدائثي يضم قراءات مختلفة، واستراتيجيات متضاربة للخيال كالقراءة التفكيكية، التاويلية والنبوية والوجودية والظاهرية، فما يميز الفكر ما بعد الحدائثي هو إنه فكر متشظي هامشي يأبى الانتماء إلى حالة معينة ويجرّص على التشكيك في كل قناعة أو معتقد أو معرفة تحبس أنفاسه بل يتحين كل فرصة ليعلن عن موت كل البدايات والمبادئ الراسخة التي أنبتت عليها فلسفات الحدائث وما قبل الحدائث كموت الإله والإنسان والعقل والأخلاق والتأريخ والحضارة الخ.)^(٤٤).

وفي مسعى لاستجلاء أطر الفهم الإنساني وشروطه وظروفه وحدوده، وذلك بغض النظر عن المنهج المستخدم حيث (ان العلوم الأدبية واللغوية والاجتماعية والنفسية الحديثة ابتكرت عدداً من مناهج تحليل النصوص)^(٤٥) التي يمكن استخراجها مثلاً من التحليل الفلسفي الهرمينوطيقي في عملية التأويل^(٤٦)، ويجدر بنا عدم الخلط عند إبراز النتائج بالنسبة إلى عملية الفهم كمسعى فلسفي مستند إلى العقل وما يستتبع ذلك من إنفا (لا تعترف مسبقاً بوجود فرق بين فهم النصوص الدينية، وفهم النصوص الزمنية، بكلمات أخرى، هي لا تقيم في عمارتها وزناً للألوان الإلهية "المقدس" التي تجمع الأديان على إنفا قد تنزل على المفسر فتكشف له أبعاداً معنوية في النص)^(٤٧)، هذا النسق من الكتابات حاول إظهار خصوصيته وتميزاته الفكرية والمنهجية، ووضع حداً فاصلاً تقطع بينه وبين الأنساق التقليدية، التي غالباً ما توصف

- ٤٢ - المرزوقي، أبو يعرب، التسامح ومنابع اللاتسامح، ندوة سنوية في مكة المكرمة، ٢ شباط ٢٠٠٤ م - ١٢ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد ٢٧، ربيع ٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ، ص ١٢١.
- ٤٣ - ينظر، البولسي، جورج خوام، القدسي والظاهرة الدينية عند رودولف أوتو، مجلة المحجة، العدد ٢٠، بيروت، شتاء - ربيع ٢٠١٠ م، ص ٢١١.
- ٤٤ - المصباحي، د. محمد، دلالات وإشكالات دراسات في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ١٧٧، وينظر أيضاً، سبيلا، د. محمد، التحولات الفكرية الكبرى للحدائث مساراتها الإستيمولوجية ودلالاتها الفلسفية، <http://www.minculture.gov>.
- ٤٥ - قطان، أسعد، الهرمينوطيقا الحديثة وفهم النص، ضمن كتاب التاويل والهرمينوطيقا دراسات في آليات القراءة والتفسير، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط ١، بيروت - لبنان، ٢٠١١ م، ص ٥٧.
- ٤٦ - التاويل في الفكر الغربي ارتبط في حقبة زمنية بالكتاب المقدس، فلما انفرط عقد الكتاب المقدس، انفرط عقد التاويل، فأصبح لوئاً من التسلية أو التفكير الذي لا يرتبط بالنص، كل فكرة جديدة أصبح من الممكن ربطها بالكتاب المقدس مهما كانت مخالفة لتعاليمه؛ وذلك حتى لا تغضب الكنيسة، وحتى تروج دينياً وتلقى قبولاً ما، وطبعاً لم يكن ذلك موفقاً دائماً، فكان أغلب المؤلفين حازتهم الكنيسة تحت اسم (الهرطقة)، فالهرمينوطيقا هي التاويل المنفلت، والذي اعتبرته الكنيسة هرطقة وتجديفاً (ينظر، نظرية النص؛ ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد ٣، ١٩٨٨، ص ٣٧، وينظر أيضاً، نظرية التاويل، النادي الأدبي الثقافي، جدة - السعودية، ط ١، ٢٠٠٠ م - ١٤٢٦ هـ، ص ٤٥).
- ٤٧ - قطان، أسعد، الهرمينوطيقا الحديثة وفهم النص، مصدر سابق، ص ٥٨.

حسب هذه الكتابات بالجمود والانغلاق والتثبث بالماضي^(٤٨)، وان محاولة تأسيس فكر نقدي يوظف الأداة الاستيمولوجية والاركيولوجية والتفكيكية في قراءة الوحي وفي قراءة الموروث الإسلامي الذي بقي حاضرا في عقل المسلم، كمرجعية لا يمكن تجاوزها فكانت هذه الانتقادات ان أدت الى تكوين رؤى كثيرة إزاء الموروث الإسلامي وقبل ذلك إزاء نصوص الوحي تحديدا وبعدها الجانب المقدس في الإسلام فكان القول بتاريخية النص الديني الإسلامي والتاريخية من أهم مضامين الخطاب الحدائثي ومحاولات تأسيسها من أهم أهداف هذا الخطاب^(٤٩) عند أركون مثلاً.

و أركون يعرف ذلك جيداً عندما نجده يحدثنا عن إنسية عربية في القرن الرابع الهجري ويرى أنها كانت لحظة ثورية (تتيح للحقل الديني الصرف التساؤلات الفكرية والمواقف المنفتحة)^(٥٠) لها وعي إنساني متقدم بالإنسان، وهو يرى إن الأجدى ان نتحدث عن لحظة نقدية أكثر ثورية من اللحظة الغربية الحديثة، ويعني بها اللحظة اللسانية في التراث، ولذلك يدعو الى ضرورة تحديث تلك المرجعية النقدية تحديثاً معرفياً، فتبقى عندئذ علاقتنا بالنقد العالمي علاقة استفادة لا علاقة استلاب، وبذلك نكون قد تعاملنا مع التراث، لا كمرجع مقدس يصعب تجاوزه بل كمنطلق لهم فكري مستقبلي يتشكل ويوسع من مجالات المعرفة وأطرها^(٥١)، فقد (قام الفلاسفة بدور حاسم في تدشين الموقف النموذجي للتيار الذي أدى في الغرب الأوربي الى انبثاق ما ندعوه بالمتقف او ظهوره، نقصد بالمتقف هنا ذلك الرجل الذي يتحلى بروح مستقلة، محبة للاستكشاف والتحري، وذات نزعة نقدية واحتجاجية تشتغل باسم حقوق الروح والفكر فقط " الفلاسفة الكلاسيكيون كانوا يقولون باسم حقوق القوة العاقلة او التعقل " ويمكننا تسمية نماذج كبرى من المثقفين الذين مارسوا مثل هذا الموقف الحر والمستقل: فمثلاً الجاحظ والتوحيدي يعتبران من أكثرهم جرأة " وحدائثه "، وهناك أيضاً الكندي والفارابي، وابن سينا وابن رشد، لكيلا نستشهد إلا بالأسماء الكبرى للفلاسفة الذين مارسوا أيضاً البحث الفلسفي الذي لا يهدف الفكر الديني وإنما يهضمه ويتمثله)^(٥٢)، لهذا السبب الخ محمد أركون كثيراً على تحريك الفكر وإحداث ما يحتاج إليه من تجديد وتحول وإبداع وإطلاع على آفاق بديعة من المعرفة، لم يخطر وجودها او إمكان اكتشافها ببال المفكرين المسلمين القدماء و" ما لم يفكر " ^(٥٣) فيه بعد في الفكر الإسلامي، اما لان الفكر الإسلامي تنحصر مرحلته الإبداعية كلها في الأطر الفكرية الخاصة بالقرون الوسطى " أي المنظومة المعرفية الخاصة

٤٨ - ينظر، الميلاد، زكي، المسألة الحضارية؛ كيف نتكر مستقبلنا في عالم متغير؟، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، ص ٢٠.

٤٩ - ينظر، العمري، مرزوق، إشكالية تاريخية النص الديني؛ في الخطاب الحدائثي العربي المعاصر، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص ١٢.

٥٠ - أركون، محمد، الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص ١١.

٥١ - ينظر، الفجاري د. مختار، نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٦٢.

٥٢ - أركون، محمد، الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص ١١.

٥٣ - ينظر، أركون، محمد، تاريخية الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص ٩.

بهدة الفترة " وإما بسبب ما سيطر عليه بحسب أركون من ضغوط إيدولوجية في صورة أرثوذكسيات دينية (٥٤).

وبرأيه لن تتم الفائدة إلا إذا تنبه القارئ العربي الى مشكلة المشاكل في كل لغة بشرية وخاصة في الخطاب الديني باللغة العربية، ألا وهي مشكلة ما سماه " منظومة الدلالات الحافة او المحيطة le systeme de connotation " (٥٥)، ويشدد ويترجى أركون هكذا (لا يحق لأحد، وخاصة إذا كان عالماً راسخاً في العلوم الدينية على الطريقة المستقيمة السائدة في كل مذهب من المذاهب الأرثوذكسية المعروفة، ان يتدخل في تعقيب او مناقشة ناهيك عن إن يكفر الآخرين كما فعل الغزالي في " فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة "، أقول لا يحق له ان يفعل ذلك اذا لم يُحط علماً بما يقصده علماء الالسنيات المحدثون بمفهوم "منظومات الدلالات الحافة أو المحيطة او الثانوية"، أقول هذا بخصوص مفهومات أساسية ك" أسطورة وتاريخية " (٥٦).

المطلب الثالث: نقد الجهل المقدس والجهل المؤسس عند محمد أركون

مما دفع أركون الى أن يذكر في أحد هوامشه انه تردد كثيرا عندما استعمل مفهوم العقل الإسلامي بل ان مسألة المفاهيم عموماً إشكالية تقض مضجعه، ولذلك كان يكثر من وضع هذه المفاهيم بين مزدوجين لما يشعر به من مرونة في المعاني واشترك في الدلالة، وهو اذ يفعل ذلك بمصطلح " عقل " فانه واع تماماً بما يثيره هذا الاستعمال وهذه العلاقة بين العقل والإسلام من مشاكل، يقول (كان كريستيان سوريو قد قرأ نصي بعناية واقترح عليّ إزالة الأقواس الصغيرة التي استعملها كثيرا لتوضيح المفاهيم المكتنزة كثيرا بالمعاني الحافة الجدالية والمعايير الفكرانية والتي أحاول ان أعيد النظر فيها ضمن منظور المراجعة النقدية لكل الجهاز العقلي للفكر الإسلامي التقليدي. انه لمن الصحيح ان يشكل الإستعمال المكتنف للأقواس الصغيرة إزعاجا للقارئ ولهذا السبب فقد عدلت عنها ولكن أرجو من القارئ ان لا يغيب عنه ان صفة الإسلامي الملحقة بالعقل إي "العقل الإسلامي" تتعلق بزعم المسلمين انهم يشكلون " عقلا " متفوقا على كل تلك العقول التي تشكلت ومارست عملها او لا تزال تمارسه خارج كل مرجعية لكلام الله المحفوظ في القرآن إن مزعماً كهذا يبقى بطبيعة الحال إشكاليا ان لم يكن غير مقبول من الناحية

٥٤ - اللا مفكر فيه ؛ يعني به كل ما لم يتح للفكر العربي الإسلامي ان يفكر فيه معتبراً، ان (ما لم يفكر فيه الفكر الإسلامي أهم واحل شأناً مما كان قد فكر فيه، ومهمته اليوم كمحدد للفكر الإسلامي ان يفتتح تلك القارة الواسعة من اللامفكر فيه، والتي بقيت مغلقة زمناً طويلاً ان اللامفكر فيه، ليس الا تراكماً للمستحيل التفكير فيه في عدة مراحل متعاقبة من التأريخ وذلك لأسباب دينية او اجتماعية او سياسية او غيرها (ينظر، أركون، محمد، الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص ١٨).

٥٥ - منظومة الدلالات الحافة او المحيطة ؛ يقصد أركون بالدلالات الحافة والمعاني المحيطة ما يدعي في اللغة الفرنسية بالـ Connotation. فكل كلمة او مصطلح له معنى حرثي مباشر أي قاموسي ومعنى مجازي والواقع ان العرب الكلاسيكيين كانوا يتحدثون عن ظلال المعاني بالمعنى نفسه (ينظر، أبي نادر، د. نائلة، التراث والمنهج بين أركون والجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ١٠، حزيران - يونيو ٢٠٠٨م، ص ٥٦٤، وينظر أيضاً، أركون، محمد، تاريخية الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص ٩ - ١٠).

٥٦ - أركون، محمد، تاريخية الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص ٩.

الفلسفية)^(٥٧)، وان أركون ينهج في جزء كبير من مشروعه وينحو منحى جديدا في دراسة الفكر الإسلامي في حضارته وتراثه نَحج "جوزيف فان ايس" Joseph van ess المستشرق الألماني في دراسته الموسوعية والمعقدة حول اللاهوت والمجتمع "تأريخ الفكر الديني في بدايات الإسلام" في القرنين الثاني والثالث للهجرة بأجزائه الستة والصادر بين ١٩٩١م - ١٩٩٥م باللغة الألمانية في برلين^(٥٨)، فمثلا القراء (عندما يقرؤون ترجمة جملة كهذه "le coran est un discours de structure mythique" أي " القرآن خطاب أسطوري البنية" كما جاء في ترجمة الدكتور عادل العوا، فأنتهم يصرخون ويدينون.. في الواقع، ان الترجمة صحيحة وسليمة لغويا، الا إن مفهومات "خطاب" و"أسطورة" و"بنية" لم يفكر فيها بعد كما ينبغي في الفكر العربي المعاصر)^(٥٩). وبحسب رأي أركون ان مناقشة من هذا النوع لا تؤدي الى أي نتيجة صالحة اذا تمسك أصحاب فقه اللغة التقليدي والتأريخ الروائي بإحكامهم مع استخدام القرآن الكريم لمفهوم الأسطورة، لذا يرجو أركون كل الرجاء ان يُحسن القارئ ظنه بالمؤلف والمترجم، وأنهم قصدوا أحياء الإجهاد في الفكر الإسلامي المعاصر، ومحاولات عمل مقدمات للوصول الى ما يرام من نتائج في جميع الميادين الخاصة بالفكر، لكي تفتح آفاقا وتفتح طرقا وبرامج عمل، وأنجازها على أدق الأساليب والمناهج الفكرية والعلمية^(٦٠). ولا يخفي أركون ما في نفسه من صدمة الجهل والتجاهل المتبادل والإستنكار من جهة المستعمر المغرور والمسلمين من جهة أخرى من ظاهرة سوء فهم للإسلام وللقران الكريم، والآنكى من ذلك ان هذا حصل في المجال الأكثر قداسة برأي أركون؛ مجال الأحوال الشخصية، فالمستعمر يرى (عقلية المسلمين هي عقلية سحرية خرافية مغلقة ترفض معطيات او منحزات حضارة التقدم)^(٦١)، بينما يرى أركون عند المسلمين ظاهرة الانتعاش الديني ليست تعبيراً عن هويات ثقافية تقليدية، وإنما هي نتيجة لازمة الثقافة، سببها "الجهل المقدس"^(٦٢)، (والان غرقنا في بحر الجهل، جهل مؤسسي يأتي من المؤسسات بقوة)^(٦٣)، وهو الاعتقاد "بالديني المحض" الذي يبني خارج الثقافات، هذا الجهل يحرك الأصوليات الحديثة المتنافسة في سوق للأديان ويفاقم اختلافاتها ويوحد أنماط ممارستها،

٥٧ - أركون، محمد، نحو نقد العقل الإسلامي، ترجمة وتقدم هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٩ م، ص ٦٥.

٥٨ - ينظر، أركون، محمد، نزعة الانسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، مصدر سابق ص ٦-٧.

٥٩ - أركون، محمد، تاريخية الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص ١٠.

٦٠ - ينظر، المصدر نفسه، ص ١٠.

٦١ - أركون، محمد، نحو نقد العقل الإسلامي، مصدر سابق ص ٥١-٥٢.

٦٢ - يذكر أركون هناك نوعان من الجهل؛ الأول سماه احد زملائه بفرنسا "اوليفية روا" وخصص كتابا له بعنوان "الجهل المقدس"، وكيف يمكننا ان نقدر الجهل، والآخر أقترحه منذ خمسين عاما انطلقا مما يجري في النظام التربوي في المجتمعات الغربية منذ الاستقلال، فقد اكتشف أركون ان هناك " جهل مؤسس" لان البرامج التي يعتمد عليها الأساتذة لا تفتح حقول المعرفة، ويعتقد أركون ان مفتاح الفهم في إعادة النظر فيهما لانهما مفتاح الفهم (ينظر، مقابلة مع محمد أركون، المحطة الفضائية www.youtube . Com \user\ liberal Mode، وينظر ايضا، الرفاعي، عبد الجبار، مجلة قضايا إسلامية معاصرة؛ العدد ٤٥ - ٤٦، مصدر سابق، ص ٣٨).

٦٣ - الرفاعي، عبد الجبار، حوار مع محمد اركون، مجلة قضايا إسلامية معاصرة؛ العدد ٤٥ - ٤٦، مصدر سابق، ص ٣٨.

فالجهل" هو العنصر الأساس لسوء الفهم بين المسلمين والغرب (وكل هذا أدى أخيراً إلى مأساة ۱۱ أيلول - سبتمبر ۲۰۰۱م وتوابعها التي كانت أشد خطورة من المحن والصدمات)^(٦٤).

ومن هذه الصدمات ما يذكره أركون إلى ان كل مجتمع يفترض وجود أساس للشيء المقدس الذي بالرغم من غموضه يحدد مجال الأفكار المسكوت عنها، فما كان الا ان اتهم بالأصولية عند الغرب بسبب تعليقه على كتاب "الآيات الشيطانية" لسلمان رشدي في مقابلة له بتاريخ ۱۵-۳-۱۹۸۹م بقوله (نحن أمام رواية وينبغي اولاً على النقد الأدبي ان يبت في الأمر. ولكن هذا الكتاب يتصدى لهذا الجانب من المقدس، وهو جانب أساسي لكل وجود انساني لأنه يبيّن المجتمع، لا اعرف مجتمعاً - قديماً او حديثاً - لم يؤسس واقع حياته على شيء آخر غير المقدس، علماً بان المقدس هو بالضرورة غامض ومتغير وكتيم، ولكنه دائماً فعال)^(٦٥) ويختتم أركون بهذا القول (ارفض القبلية السهلة والمختزلة القائلة بأن الحق للكاتب أن يقول كل شيء ويكتب كل شيء. لقد اقرت "سلمان رشدي" أكثر من عمل طائش، ان شخص النبي مقدس لدى المسلمين، ويجب احترامه لذلك، حتى في الأعمال الأدبية المتخيلة وحتى عندما يعبر الكاتب عن وضع سياسي معين، ان هذا الكتاب مرتبط في كثير من جوانبه بالمصير السياسي للمسلمين وأرفض أن تستعمل الرموز والصور التي لا تخص فقط التأريخ المحدد لهوية مجموعة بشرية ما، وإنما ترتبط بالأحداث المؤسسة للإسلام وبأنماط الوجود البشري، ولان النبي نمط من أنماط الوجود البشري، أراني أدرك ردة فعل بعض الكاثوليك واليهود المؤيدة للمسلمين، ذلك إن الوظيفة النبوية موجودة في جميع أشكال اللاهوت الناجمة عن الوحي)^(٦٦).

حتى المقدس اليهودي استُخدم من أجل ارتكاب العنف او تبريره تماماً كالمقدس الإسلامي او المسيحي أبان الحروب الصليبية، (كفانا بالتالي تنديداً بالأصولية الإسلامية ونسيان الأصوليات الأخرى، هذا موقف غير متوازن ويعني الكيل بمكيالين)^(٦٧) وهذا ما حفز أركون على التركيز على " نقد العقل الإسلامي " وعلى العلاقة الكائنة بين ثلاثة أشياء؛ الحقيقة والمقدس والعنف. جميع الأديان ارتكبت العنف في لحظة ما من تأريخها بأسم المقدس)^(٦٨).

ويرجع أركون نشأة ما سماه "الجهل المقدس" إلى المجتمع والفاعلين الاجتماعيين لأنهما يعملان على تقدس "الجهل" من خلال الخطاب الغالب والجاري في المجتمع الذي يكرر عقائد دوغمائية دون ان يخضعها إلى تحليل تأريخي (لان العقيدة تأتي نتيجة الفاعلين الاجتماعيين، والعقائد لم تنزل من السماء بل اننا نعتني بنصوص لدينا كالنص القرآني، يفسره الفاعلون الاجتماعيون وهم مختلفون في عدد الوسائل التي تمكنهم من أن يقرأوا النص القرآني ويفسرونه كما ينبغي، احدهم يفسره بوسائل منهجية، وآخر

٦٤ - أركون، محمد، نحو نقد العقل الإسلامي، مصدر سابق، ص ٥٦.

٦٥ - هالبر، رون، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب؛ الجهود الفلسفية عند محمد أركون، مصدر سابق،

ص ١١.

٦٦ - المصدر نفسه، ص ١٢.

٦٧ - أركون، محمد، نحو تاريخ مقارن للديان التوحيدية، مصدر سابق، ص ٦٧.

٦٨ - ينظر المصدر نفسه، ص ٦٧.

يفسره تفسيراً عفويًا وتنتشر مثل هذه التفسيرات وتصبح عقائد أرثوذكسية تفرض على جميع المؤمنين ان يتقيدوا بها، وهكذا تغلب على المجتمعات كلها، وهذا عام في العالم^(٦٩).

إذن مما تقدم يجد الباحث نتيجة للتحليل والتفكيك ننتهي دائما الى نواة في التعبيرات والتجارب الدينية، وهي الأصل الجذري للتعبيرات الأسطورية التي قد يتيسر إدراكها موضوعيا، فتظهر لنا في تعددية المعتقدات والطقوس، وتظهر ايضا على شكل "المقدس"، الذي يحاول ان يفهمه الإنسان والانفتاح عليه لإعطاء تفسير شامل له، إذ ليس هناك بحسب رأي أركون أي "دين" قابل للتحليل الفلسفي والعلمي إلا عبر مختلف الخبرات الدينية للإنسان، وان الدين واحد وتحليلاته متنوعة، وما التفكير العقلاني النقدي فيه إلا تفكيك للعقل الديني مع مراعاة الأحاسيس حتى تساعد الناس على الانتماء الهادئ لأنفسهم، لا بسبب الضغط وتحاشيا للضحيج ليميزوا بين الذاتي والجمالي والجلالي في مقدساتهم.

النتائج

يرى الباحث ضرورة فهم الدين بشكل نقدي حر، كما تقدمها فلسفة الدين كونها تتضمن البحث الفلسفي حول الدين بتبيين المفاهيم ونقد الأدلة والبراهين التي تتبناها العقائد والتجارب الدينية، مع اتخاذ مسافة من عقائدنا الأكثر عقلانية وسماحة، أي تتحاشى التعصب والإكراه في الدين، كما ينبغي علينا ان نفهم الدين بشكل وسطي، عقلائي، لا يخلو من النزعة الإنسانية والرحمة والمحبة، وهذا أفضل علاج ضد الأصوليات المغلقة، أركون يدعو الى النظر في هذه القراءة النقدية للتراث، وتلك الدعوات، عوض الاكتفاء برمي أصحابها بالضلال والكفر، فذلك لا يجدي شيئا، خصوصا أن كثيرا من النخب المثقفة والجاهلة بأمر الوحي وبأمر دينها يستهويها مثل هذه الأطروحات، كما يرى أركون عند المسلمين ظاهرة الانتعاش الديني ليست تعبيراً عن هويات ثقافية تقليدية، وإنما هي نتيجة لازمة الثقافة، سببها "الجهل المقدس"، فموضوع النص الديني يحتل موضع الصدارة والاهتمام منذ بدايات النهضة في الفكر العربي والإسلامي، وأصبح التساؤل النهضوي في الفلسفة المعاصرة حول هذا النص وكيفية التعامل معه، حتى كأن معرفة المقدس عبر الإنسان الذي يعبر عنه بمفاهيم، لن يتيسر الإمام بها إلا عبر ما يتجلى من منظومات تعبير نظرية، سواء كانت مفاهيمية، او طقوسية، او رمزية فكرية، التي عبر بواسطتها عن علاقاته بالمقدس، والساعي لربط فعله بها، بل ان فهم وتحليل المقدس من طرف الإنسان وإدراكه كواقعة موضوعية متعالية، عبر تجربة عقلانية، او عاطفية، شعرية، رمزية، ومن خلال مجموع العلاقات الحميمة التي تصل الإنسان بما يتبدى لديه من واقع، كذلك متابعة أسباب تلك العلاقات ومؤثراتها على السلوك الإنساني، ومن ثم فهم واستيعاب ماهية المقدس، كونه يتضمن درجة عالية من التقدير والاحترام؛ قد يكون فكريا أو اعتقاديا او تنزيها تساؤلا مشروعا.

المصادر

- القرآن الكريم.
- أبو زيد، نصر حامد، النص والسلطة والحقيقة؛ إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، ط ٥، الدار البيضاء- المغرب، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦ م.
- أبي نادر، د. نايلة، التراث والمنهج بين أركون والجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، حزيران - يونيو ٢٠٠٨ م.
- أركون، محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقى، ط ٦، ٢٠١٢ م
- أركون، محمد، الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، كانون الثاني (يناير) ٢٠١٠ م.
- أركون، محمد، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، ط ١، بيروت، ٢٠١١ م.
- أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي، ط ٣، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٦ م.
- أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقى، ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٩٩ م.
- أركون، محمد، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٦ م.
- أركون، محمد، نحو نقد العقل الإسلامي، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٩ م.
- أركون، محمد، نزعة الانسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٩٧ م.
- أركون، محمد، العلمنة والدين؛ الإسلام المسيحية الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، ط ٣، بيروت، ١٩٩٦ م.
- أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، دار الطليعة للطباعة والنشر، ترجمة وتعليق هاشم صالح، ط ١، بيروت - لبنان، ٢٠٠١ م، هامش المترجم، ص ١٥.
- أركون، محمد، نزعة الانسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٩٧ م، ص ٦٣٥ - ٦٣٦.
- أركون، د. محمد، لوي غارديه، الإسلام بين الأمس والغد، ترجمة علي المقلد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦ م.

- بدوي، د. عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، تموز "يونيو" ١٩٩٣ م.
- البولسي، جورج حوام، القدسي والظاهرة الدينية عند رودلف اوتو، مجلة المحجة، العدد ٢٠، بيروت، شتاء - ربيع ٢٠١٠ م.
- الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، بلا ط، ١٩٨١ م.
- الرفاعي، عبد الجبار، حوار مع محمد أركون، مجلة قضايا إسلامية معاصرة؛ العدد ٤٥ - ٤٦، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، شتاء - ربيع ٢٠١١ - ١٤٣٢.
- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، سليمان زاده، طليعة النور مكتبة ذوي القرى - إيران - قم، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ذو القرى، إيران - قم، ط ١، ١٣٨٥ هـ ش، ج ١، ص ٢٩٧.
- الطهمازي، الشيخ عبد الهادي، ظاهرة التقديس في الثقافة العربية والإسلامية، مجلة المبين، العراق - النجف الاشرف، العدد الثاني، تموز، ٢٠٠٥ م.
- عبد الرحمن، د. عبد الهادي، عرش المقدس؛ الدين في الثقافة والثقافة في الدين، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، بيروت - بيروت، ايار " مايو " ٢٠٠٠ م.
- العظمة، عزيز، دنيا الدين في حاضر العرب، دار الطليعة للطباعة، ط ١، بيروت، ١٩٩٦ م.
- العمري، مرزوق، إشكالية تاريخية النص الديني؛ في الخطاب الحدائثي العربي المعاصر، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- الفاء، روني ايلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، تقدم شارل حللو، مراجعة د. جورج نخل، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- الفجاري د. مختار، نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- قطان، أسعد، الهرمونيوطيقا الحديثة وفهم النص، ضمن كتاب التاويل والهرمونيوطيقا دراسات في آليات القراءة والتفسير، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط ١، بيروت - لبنان، ٢٠١١ م.
- المحمداوي، د. علي عبود، وآخرون، فلسفة الدين مقول المقدس بين الايديولوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- المرزوقي، أبو يعرب، التسامح ومنايع اللاتسامح، ندوة سنوية في مكة المكرمة، ٢ شباط ٢٠٠٤ م - ١٢ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد ٢٧، ربيع ٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ.
- مسلان، ميشال، علم الأديان مساهمة في التأسيس، ترجمة عز الدين عناية، ط ١، كلمة والمركز الثقافي العربي، ابو ظبي - بيروت - الدار البيضاء، ٢٠٠٩ م.
- المصباحي، د. محمد، دلالات وإشكالات دراسات في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م.

- الميلا د ، زكي، المسألة الحضارية؛ كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط ١، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨ م.

- هاليبر، رون، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في المغرب؛ الجهود الفلسفية عند محمد أركون ترجمة جمال شحيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، ط ١، عام ٢٠٠١.

المواقع الإلكترونية:

- أركون ، محمد ، فيلسوف النزعة الإنسانية في الإسلام، نيسان "أبريل" ٢٠١١ م، حوار مع هاشم صالح، نشر على الانترنت في مقال بعنوان هل أركون فيلسوف؟ وبأي معنى؟.

<http://www.philo.8m.com/arkou.htm>

- سيلا، د. محمد، التحولات الفكرية الكبرى للحدثة مساراتها الإستيمولوجية ودلالاتها

<http://www.minculture.gov>، الفلسفية،

- صالح، هاشم، مدخل الى فكر محمد أركون، www.nizwa.com

- مقابلة مع محمد أركون، المحطة الفضائية liberal Mode \user\ Com \youtube .

التلوث البيئي من منظور اسلامي (المواد الكيماوية) انموذجا

Environmental pollution from an Islamic perspective (chemicals) a model

Inst.Dr. Nahida Jaleel AL-Ghalibi

Inst.Dr. Dhurgham Kareem Kadhim

م. د ناهدة جليل الغالبي^١

م. د ضرغام كريم كاظم^٢

ملخص البحث باللغة العربية

اصبحت قضايا البيئة تحتل المرتبة الاولى من اهتمام المجتمعات الحديثة نظرا للدراسات التي تشير يوما بعد يوم الى علاقة مظاهر التلوث البيئي بظهور الامراض عند الانسان، وتدهور الأحياء البحرية والبرية على كوكب الارض، ومع تطور الحياة والتقدم الصناعي والتكنولوجي اصبحت البيئة بكافة عناصرها الماء، والهواء، والتربة تتعرض للملوثات جديدة لم تكن معروفة سابقا.

ولما حرص الاسلام على انشاء تصور خاص بنظام خاص ومجتمع خاص تكون بيده القيادة البشرية، تتشكل بنموذج وفق قواعد ثابتة لا تتغير مع تغير المكان والزمان، وفقا لما تفرضه كل الثوابت من الاستقرار الديني والفكري والسلوكي والاجتماعي، وغير ذلك من مستلزمات التنمية المستدامة الشاملة في المجتمع المنشود.

فكل قواعد الاسلام وقوانينه تستطيع من خلالها تكوين صورة واقعية للبيئة الاسلامية التي تعبر عنها المبادئ والاحكام الشرعية في الكتاب والسنة الشريفة للعلماء المسلمين في مختلف انواع العلوم والممارسات للدولة الاسلامية.

١ - جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية / قسم الدراسات القرآنية.

٢ - جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية / قسم الدراسات القرآنية.

فالرسالة الاسلامية التي هي خاتمة الرسالات السماوية الى البشرية اهتمت بالبيئة اهتماما كبيراً، لان الله تعالى قد خلق البيئة وسخرها لخدمة الانسان، فمن المؤكد ان يشرع القوانين ويضع النواميس التي تكفل حفظ التوازن البيئي، وترشد الانسان الى طريقة حماية البيئة، وكيفية التعاطي مع انظمتها وقوانينها. فالغرض الاساس من المحافظة على البيئة هو المحافظة على الانسان وسعادته ورفاهيته في هذه الدنيا، ولهذا نجد ان جميعا لاديان تدعو الى اتخاذ خطوات فعالة في هذا المجال. وكما ان الاخلال بالنسق الكوني الذي خلقه الله للسموات والارض يؤثر سلبا على الحياة الدنيا وعلى ما فيها من عناصر الماء والهواء والارض التي تخدم الانسان وتحقق له سعادته.

Abstract

Environmental issues have become occupies first place of interest in modern societies due to studies that indicate the day to do with aspects of environmental pollution, the emergence of diseases in humans, and deterioration of the marine life and wildlife on the planet, and with the evolution of life and progress industrial and technological environment has become all the elements of water, air, soil and exposed to new pollutants were not previously known.

Since Islam is keen to establish a perception of a special system of special and private community be hand leadership of mankind, forming a model according to fixed rules do not change with the change of time and place, according to impose all the constants of stability, religious, intellectual, behavioral, social, and other Accessories overall sustainable development in the community desired.

All the rules and laws of Islam through which you can configure a realistic picture of the environment expressed by the Islamic principles and legal provisions in the book and the Sunnah of the Association of Muslim Scholars in different kinds of science and practice of the Islamic state.

The message, which is the finale of the Islamic divine messages to the human environment focused considerable attention, because God has created the environment and marshalled to serve man, it is certain that the prescribed laws and puts the norms that ensure keeping the ecological balance, and to guide the human way of protecting the environment, and how to deal with regulations and laws.

The purpose of the foundation is the preservation of the environment and preservation of human happiness and well-being in this world, and for this, we find that all religions calls to take effective steps in this area. As the cosmic breach format which God created the heavens and the earth

adversely affect the life of the world and what the elements of water, air and land that serve man and bring him happiness

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وكماله وسلطانه واحسانه، فاطر السماوات، موجد المخلوقات، ومسير الموجودات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات وأطهر الموجودات، النبي الاكرم وآله الاطياب الميامين، ينابيع المعرفة ومصابيح الهدى وسفينة النجاة، وعلى صحبه الأخيار المنتجبين وعلى من والاهم الى يوم الدين.

وبعد :-

اتخذت البيئة وعلومها مكانا مهما بين اهتمامات الباحثين والمؤسسات والانظمة، فكانت مجالا رحباً للنظر والاهتمام لقضايا البيئة، من التفاعلات والتأثيرات الناتجة عن المشاكل والأخطار التي تهدد العالم بأسره.

ويوجد عشرات الالاف من المواد الكيماوية التي تستخدم في الصناعة والزراعة والمنازل والمستشفيات والمدابع والمزارع الحيوانية والمسابك وغيرها، ويقدر عدد المواد الكيماوية العضوية التي تستخدم في الدول النامية بحوالي ٥٠٠٠٠ مركب والاف المبيدات التي تستخدم لإبادة الاعشاب والحشرات مما يزيد الامر صعوبة في تناول موضوع الملوثات الكيماوية من ناحية البحث او المعالجة هو طبيعة هذه المواد.

فهذه المواد لا تقع ضمن ما يتناوله العلماء بالدراسة من حيث احوال المادة المختلفة ودرجة تفاعلها مع غيرها ونواتج تحللها وتأثيرها على الكائنات بصورة مستفيضة، وبالرغم من ان هذه المركبات لها صفات عضوية الا انه لا يمكن تحليلها بالأنزيمات مثلا، لأن معظمها مركبات عضوية الاصل تم احوال ذرات الهيدروجين فيها بمجموعات كيماوية، وبالتالي فقدت خاصية المواد العضوية الأصلية ان كان اصلها سكريات أو أحماض امينية وغيرها، ولهذا لا ينطبق عليها قوانين المواد العضوية المعروفة من حيث التفاعل والتحلل وغيرها.

فلذلك اصبحت قضايا البيئة تحتل المرتبة الاولى من اهتمام المجتمعات الحديثة نظرا للدراسات التي تشير يوما بعد يوم الى علاقة مظاهر التلوث البيئي ظهور الامراض عند الانسان، وتدهور الأحياء البحرية والبرية على كوكب الارض، ومع تطور الحياة والتقدم الصناعي والتكنولوجي اصبحت البيئة بكافة عناصرها الماء، والهواء، والتربة تتعرض للملوثات جديدة لم تكن معروفة سابقا.

ولما حرص الاسلام على انشاء تصور خاص بنظام خاص ومجتمع خاص تكون بيده القيادة البشرية، تتشكل بنموذج وفق قواعد ثابتة لا تتغير مع تغير المكان والزمان، وفقا لما تفرضه كل الثوابت من الاستقرار الديني والفكري والسلوكي والاجتماعي، وغير ذلك من مستلزمات التنمية المستدامة الشاملة في المجتمع المنشود.

فكل قواعد الاسلام وقوانينه تستطيع من خلالها تكوين صورة واقعية للبيئة الاسلامية التي تعد عنها المبادئ والاحكام الشرعية في الكتاب والسنة الشريفة للعلماء المسلمين في مختلف انواع العلوم والممارسات للدولة الاسلامية.

فالرسالة الاسلامية التي هي خاتمة الرسالات السماوية الى البشرية اهتمت بالبيئة اهتماما كبيراً، لان الله تعالى قد خلق البيئة وسخرها لخدمة الانسان، فمن المؤكد ان يشرع القوانين ويضع النواميس التي تكفل حفظ التوازن البيئي، وترشد الانسان الى طريقة حماية البيئة، وكيفية التعاطي مع انظمتها وقوانينها. فقد حافظ الإسلام على البيئة بالنهي عن الإضرار بها، والأمر بالمحافظة عليها، ومن الأمور التي نهي الله عنها لحفظ البيئة، الإفساد في الأرض عموماً، كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف/٥٦)، ونهى عن إهلاك الحرث والنسل بدم من فعل ذلك، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة/٢٠٥).

فالغرض الاساس من المحافظة على البيئة هو المحافظة على الانسان وسعادته ورفاهيته في هذه الدنيا، ولهذا نجد ان جميع الاديان تدعو الى اتخاذ خطوات فعالة في هذا المجال. وكما ان الاخلال بالنسق الكوني الذي خلقه الله للسموات والارض يؤثر سلبي على الحياة الدنيا وعلى ما فيها من عناصر الماء والهواء والارض التي تخدم الانسان وتحقق له سعاده.

الفصل الاول : مفهوم البيئة واسباب التلوث

المبحث الاول : البيئة لغة

جاءت كلمة البيئة من باء يبيء ومصدرها بَيَّءٌ، وبَيَّءٌ بتضعيف الواو من باب التفعيل بمعنى سدد، ولذا يقولون بَيَّءَ الرمح اي سدده نحو هدفه، ويقال تَبَيَّءَ بمعنى نزل واقام، وهو فعل لازم ويتعدى بحرف الخبر، واستعمل في القرآن واللغة العربية متعدياً، لقوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَيَّأَ لِقَوْمِكَمَا يَمَصَّرُ يُبَيَّأُ﴾ (٣) اي اتخذوا بيوتاً^(٤). وقد يستعمل بباب الافعال من آباءه منزلاً، اي هيء له وانزله فيه لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَيَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ.....﴾ (٥) اي الذين سكنوا في المدينة واستقرت قلوبهم على الايمان بالله، فالدار منزل مادي والايمان منزل معنوي^(٦).

واستعملت ايضاً في جملة من الاحاديث، فعن الرسول الاعظم ﷺ (من كذَّب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار)^(٧)، أما الراغب الاصفهاني فيذكر ان اصل البواء مساواة الأجزاء في المكان، فيقال

٣- يونس / ٨٧.

٤- ابن منظور، لسان العرب ١ / ٣٦، دار صادر، بيروت.

٥- الحشر / ٩

٦- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١ / ٣١٤، مكتبة الاعلام الاسلامي.

٧- الكليني/ الكافي، ج ١، ص ٦٢.

مكان بواء اذا لم يكن نابيا بنازله، وبوّأت له مكانا: سويته فتيبوا، لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾^(٨)، وبوّأت الرمح : هيأت له مكانا^(٩).

وأصله الرجوع، منبأ اذا رجع، وسمي المنزل (مباءة) لكون صاحبه يرجع اليه اذا خرج منه^(١٠)، والمباءة تأتي بمعنى النكاح وسمي بالمباءة لان الرجل يتبوا من اهله، اي يتمكن من اهله كما يتبوا من داره لحديث الرسول ﷺ (من استطاع منكم المباءة فليتزوج)^(١١).
والمباءة : معطف القوم للابل حيث تناخ، ومباءة الغنم : منزلها الذي تأوي اليه، والمباءة من الرحم المكان الذي يكون فيه الجنين^(١٢).

ومن خلال ما مر لتعريفات البيئة لغة نلاحظ انها تأتي بالمعاني الاتية : النزول، والحلول في المكان، ويمكن ان تطلق مجازا على المكان الذي يتخذ الانسان لنزوله وحلوله اي على (المنزل، الموطن، الموضوع الذي يرجع اليه الانسان فيتخذ فيه منزله ومبيته)^(١٣). وقد وضعت مفردات بجميع الفاظ البيئة اللغوية في الموسوعات منها (الوسيط، المحيط، المكان، الظروف المحيطة او الحالات المؤثرة)^(١٤).

وان الاشتقاق اللغوي لهذه الكلمة يذكره الزبيدي في شرح تاج العروس حول معنى كلمة (باء) التي اشتق منها كلمة البيئة، فيقال : باء اليه، رجع ومنه قوله تعالى ﴿وَبَأَوْؤُاْ بِعَضْبٍ مِّنَ اللّٰهِ﴾ اي رجعوا وصار عليهم او انقطع. والباء، بحذف الهاء والباهة يبدال الهمزة هاء والباء بالألف والهاء فهذه اربع لغات بمعنى النكاح. ولغة من المباءة ومن باء فهو بيوء بوا اذا أقرّ به، وقال غيره باء بذنبه اي أحتمله أو اعترف به، لقوله تعالى ﴿وَبَأَوْؤُاْ بِعَضْبٍ مِّنَ اللّٰهِ﴾ اي احتملوا. وبؤأه منزلا نزل به الى سند جبل، وبؤأه له بمعنى هيأه له وأنزله ومكّن له فيه، وبؤأ الروح نحوه اي قابله به، وبؤأ المكان حله وأقام به والبيئة بالكسر والمباءة : بليت النمل في الجبل، والمباءة متبوا الولد من الرحم، والبيئة بالكسر : الحالة، يقال أنه لحسن البيئة^(١٥). وهذا مجمل ما ورد في كتب اللغة حول كلمة البيئة.

المبحث الثاني : البيئة في الاصطلاح

تعددت تعريفات البيئة من حيث الاصطلاح العلمي لها فكانت ضمن حدود هذا العلم واستيعابه لقضايا البيئة والمسائل التي ظهرت حولها، فكان من موسع لهذه التعريفات ومنهم من جعلها ضمن اطار معين وسنورد بعض هذه التعريفات :-

- ٨- ال عمران / ١٢١.
- ٩- المفردات في غريب القرآن ، ص ٦٩ ، قم ، دفتر نشر الكتاب ، مادة (بؤأ).
- ١٠- فخر الدين الطريحي ، مجمع البحرين ، مادة (بوء) ، ط ٢ ، قم ، نشر الثقافة الاسلامية ، ١٤١٨ هـ.
- ١١- محمد باقر المجلسي، بحار الانوار ، ج ١٠٣ ، ص ٢٢٠.
- ١٢- ابن منظور ، ١ / ٣٦-٣٩ مادة (بؤأ).
- ١٣- ظ احمد عبدة ، قضايا البيئة ، ص ١٧.
- ١٤- ظ رجاء وحيد دويدري ، البيئة مفهومها العلمي المعاصر وعمقها التراثي ص ٢٤ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٢٥ هـ.
- ١٥- ظ ، الزبيدي (محي الدين ابي الفيض الحسيني الواسطي) ، شرح تاج العروس من جواهر القاموس ، ص ٤٦-٤٧ ، ط ١ دار احياء التراث العربي ، مصر ، الخيرية ، ١٣٠٦ هـ.

(البيئة هي الاطار الذي يعيش فيه الانسان ويؤثر فيه ويتأثر به، وتمثل البيئة يحيط بالإنسان من هواء وماء وتربة وضوء الشمس والمعادن في باطن الارض والنبات والحيوان على سطحها وفي بحارها ومحيطاتها وأنهارها) (١٦).

الملاحظ على هذا التعريف انه شامل لكل الموارد الطبيعية الموجودة على سطح الارض وباطنها ويشمل ايضا كل الكائنات الحية عليها بما فيها الانسان.

وعرفت ايضا : (الاطار الذي يعيش فيه الانسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع اقرانه من بين البشر) (١٧). ومنهم من عرفها : (هي الارض بما فيها من مختلف الابعاد، والتي قدّر لها أن يعيش فيها مع غيره من كائنات ودواب وجماد)، أو (هي مجموعة العوامل البيولوجية والكيميائية والطبيعية والجغرافية والمناخية المحيطة بالإنسان والمحيطة بالمساحة التي يقطنها والتي تحدد نشاط الانسان واتجاهاته وتؤثر في سلوكه ونظام حياته) (١٨).

وربما يكون التعريف الاول هو الاقرب إلى محل البحث، فإن المعنى المبحوث عنه للبيئة يشمل كل الموجودات التي تحيط بالإنسان من ماء وهواء وتراب وحيوانات ونبات، وهي بهذا المعنى الشمولي شديدة الإلتصاق بالإنسان يؤثر فيها ويتأثر بها مباشرة ويستمد منها عناصر السلامة لبقائه وإستمراره.

ونلاحظ على هذه التعريفات ان الوسط البيئي الطبيعي هو مجموعة من عناصر متنوعة تربطهم عوامل لها علاقة بين الانسان والمحيط الذي يعيش فيه تبعا لقدرته ومستواه الاقتصادي ومكوناته الشخصية وفق النظام الذي يعيشه.

وهي (المحيط او المكان الذي تعيش فيه الكائنات الحية، والذي يتضمن بمعناه الواسع العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية والانسانية التي تؤثر على افراد وجماعات الكائنات الحية، وتحدد شكلها وعلاقتها وبقائها) (١٩). ومما جاء في تعريف البيئة وهو اقل التعريفات عبارة وأكثر شمولاً هي (كل شيء يحيط بالإنسان) (٢٠).

فالبيئة بالمعنى العام عبارة عن مجموعة الظروف والمؤثرات الخارجية والداخلية، فالبيئة المحيطة بأي كائن من انسان أو حيوان أو نبات تشمل الظروف السلبية وتشمل الأثار الطبيعية والكيميائية والصحراوية والبحرية والجوية والنباتية والاجتماعية (٢١).

فالبيئة كمفهوم عام هي الاطار او الظروف المحيطة التي تؤثر في حياة الكائنات الحية ونموها وتحصل منها على المقومات الاساسية لحياتها. ويأتي الانسان على رأس هذه الكائنات الحية، كما تشمل ايضا علاقة الانسان بالإنسان التي تنظمها المؤسسات الاجتماعية والعادات والاخلاق والقيم والأديان (٢٢).

- ١٦- يحيى وزيري ، العمارة الاسلامية والبيئة (عالم المعرفة عدد ٩٧٠٤) ، ص٧
- ١٧- احمد ابراهيم شبلي ، البيئة والمناهج المدرسية ، ص٦ ، الرياض ، مؤسسة الخليج العربي ، ١٩٨٤م.
- ١٨- ممدوح حامد عطية ، اثم يقتلون البيئة ، ص١٧.
- ١٩- سلطان ابوعرابي ، البيئة المدرسية والتلوث ، ص٢٠ ، الاردن ، مركز التطوير التربوي ، ١٩٨٨م.
- ٢٠- مجلة (عالم الفكر) الكويتية ، العدد ٣ ، المجلد ٣٢ ، سنة ٢٠٠٤م.
- ٢١- ظ محمد الحسيني الشيرازي ، الفقه البيئية ، ص١٣ ، بيروت ، مؤسسة الوعي الاسلامي ط١.

وعلى ضوء التعريفات المتقدمة للبيئة وتحديد المعنى المراد منها يمكن القول بأنه اذا كان الغرض من دراسة البيئة تسخير امكانيات الطبيعة ومقدراتها لبني البشر، وكل المقدرات الموجودة فيها لأجل حماية الانسان وحفظه من العوامل والمؤثرات الضارة بحياته فان مفهوم البيئة يحدد بناءً على ذلك في كونها الوسط الذي يعيش فيه الانسان يتأثر ويؤثر فيه من خلال التفاعل بينهما، فما يحيط بالإنسان من ظاهرات حية وغير حية يتأثر بها الانسان، وفي نفس الوقت يمكن للإنسان ان يؤثر في مكونات البيئة فيطوعها ويشغلها كيفما يشاء^(٢٣).

فالبيئة اذن هي وحدة متكاملة تتجمع فيها كثير من العلوم التي اكتشفها الانسان من سياسة واجتماع واقتصاد وغير ذلك^(٢٤).

ولما كانت البيئة تدل على جميع الاشياء التي تحيط بالكائنات الحية في هذا العالم، فلا تحصر بشكل كامل ودقيق، ونظرا لأهمية هذه العوامل وتأثيراتها المختلفة على الاحياء جميعا وفي مقدمتها الانسان، فقد اصبحت الحاجة ماسة الى دراستها ومن هنا نشأ لذلك ما يعرف بعلم البيئة (Ecology)، ويُعد هذا العلم أحد أقسام العلوم الاحيائية الرئيسية، حيث يختص بدراسة العلاقات والتفاعلات المشتركة التي تحدث بين الكائنات الحية بعضها ببعض، وبينها وبين مختلف ظروف البيئة المحيطة بها^(٢٥).

وقد نشأ هذا العلم نشأة متواضعة تمثلت في تلك الملاحظات الدقيقة التي تمكن رواد التاريخ الطبيعي من التوصل اليها بالنسبة لسلوك الحيوان وتصرفاته تجاه عوامل البيئة التي يقطنها، وقد مرّ هذا العلم بسلسلة من التغيرات والتطورات، لم تقتصر فقط على اسسه ومبادئه بل تعدت ذلك الى اسمه الاصطلاحي^(٢٦).

ولاشك ان علم البيئة وان لم يكن له هذه البحوث والتعريفات في القرون الماضية لكن لا بد من القول بأن الاهتمام بالبيئة المحيطة بالبشر قدم قدم الانسان نفسه، فالإنسان لا ينفك عن الاحتياج الى بيئته والتفاعل معها.

والحفاظ على البيئة وتوازنها بالاستخلاف والعمارة وميزان مقاصد الشريعة من الشواغل المهمة في الفقه الاسلامي، ولهذا فصّلت الأحكام الشرعية تقييدا لسلطة الانسان وحركته باطار الخلافة لله وأمانه الإصلاح في الأرض وعمارتها، وهكذا دخلت علاقة الانسان بالبيئة في مراتب الضروريات والحاجيات والتحسينات في مقاصد الشرع من حفظ للدين والنفس والعقل والمال والعرض^(٢٧).

٢٢- ظ خليل رزق ، الاسلام والبيئة ص٣٢ ، دار الهادي ، بيروت.

٢٣- م.ن

٢٤- الفقه البيئية ص١٤ ، مصدر سابق.

٢٥- ظ عبد الحكم العميدي ، البيئة في الفكر الانساني والواقع الانساني ص١٧ ، القاهرة ، الدار المصرية ، ط٢.

٢٦- م.ن.

٢٧- ظ خليل رزق ، الاسلام والبيئة ص٣٦.

المبحث الثالث : البيئة والاسلام :

لاشك ان الاسلام ينظم علاقة الانسان بخالقه وينظم علاقته بالمجتمع والطبيعة من حوله، والقرآن الكريم والسنة الشريفة وضعنا الاسس والقواعد وارسيا ركائزها، فأنهما وضعا قواعد التشريع وتفصيله، بحيث لا يبقى مجال لأي فراغ تشريعي، فكل واقعة الا والله فيها حكم، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فلايد ان يستجيب لكل القضايا المستحدثة ويضع لها الحلول بما يمتلكه من قواعد مرنة، ومبادئ يمكنه التكيف مع تطور الزمن، وتقدم الحياة، ولكن ذلك رهن بقدرة الفقيه على استنتاج النصوص، ومدى فهمه لدور الدين في الحياة وإمساهه بآليات الاجتهاد كقوة محركة للإسلام تجعله دائما مواكبا للأحداث والتطورات.

وعندما برز الاسلام في الجزيرة العربية لم يكن بمنأى عن هذا الواقع اذ ان الثقافة والحضارة التي انتجها الدين الاسلامي ابرزت مجموعة من العلماء والباحثين الذين استقوا معارفهم وعلومهم من الاسلام وساهموا في علم البيئة من خلال استفادتهم من ترجمة علوم اليونان والهند والفرس وغيرهم في ميدان علم النبات والحيوان وطوّروا كثير من النظريات والآراء العلمية، وكان عصر الحضارة الاسلامية مشرقا في علم الحيوان والنبات والبيئة وسائر العلوم الاخرى^(٢٨).

ومن العلماء الذين تناولوا المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة هو ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) في كتابه (العقد الفريد) في القرن الثالث الهجري، الذي يعد اقدم من تناول هذه الكلمة اي الاشارة الى الوسط الطبيعي الجغرافي، المكاني والاحيائي في كتابه (الحكمة) وكذلك الاصمعي (٧٤٠هـ) الذي درس بعض اصناف الحيوانات البرية والبحرية والمتوحشة. أما الجاحظ فهو اول من تحدث عن اسس المكافحة الحيوية في كتابه (الحيوان). أما ابو حنيفة الدينوري (ت ٨٩٤م) فقد صنف النباتات وشرح بيئتها وأماكن وجودها وقدر قيمتها الاقتصادية في كتابه (النبات)، وصولا الى ابن سينا (١٤٩م) في كتابه (الشفاء) الحيوانات المائية والبرمائية^(٢٩).

لم ترد كلمة (بيئة) في القرآن الكريم او السنة المطهرة، وانما أخذ مفهومها من خلال الكلمات التي وردت في القرآن الكريم لما لها علاقة بالبيئة، فالأرض وما تضمنته من مظاهر على سطحها من جبال وسهول ووديان وباطنها من صخور ومعادن وتربة وموارد مياه، ومكونات حية ممثلة في النباتات والحيوانات برية النشأة سواء كانت على اليابسة او في الماء وما يحيط بالأرض من عناصر اساسية لوجود الحياة على سطح الارض^(٣٠)، وقد وردت في هذا المفهوم (الأرض ومن عليها وما حولها) في آيات من القرآن الكريم بما يقارب (١٩٩) اية في سور مختلفة.

٢٨- الاسلام والبيئة ، ص ٣٨ مصدر سابق،

٢٩- بركات محمد مراد ، الإسلام والبيئة، رؤية إسلامية حضارية، ص ٣٤ القاهرة: ٢٠٠٣.

٣٠- يوسف الفضل، الإنسان والبيئة بين الحضارة الغربية والإسلام، بيروت: ٢٠٠٤. البيئة من منظور اسلامي

والعقيدة الإسلامية تحدد بدقة علاقة الإنسان بالكون، فالإنسان خليفة الله في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: من الآية ٣٠). وهذه الخلافة تقتضي إقامة الحق والعدل وعدم اتباع الهوى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص/ ٢٦)، وهذه الخلافة تستلزم التعامل مع البيئة باعتبارها نعمة من الله تعالى، سخرها للإنسان ليستخدمها فيما خلقت له، ويستمتع بها في حدود حاجته من غير إسراف ولا تقتير: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: من الآية ٢٠).

فالإيمان بهذه العقيدة يحرر الإنسان من الخوف من الظواهر الطبيعية، وقد ضل قوم حين عبدوا الشمس أو القمر أو الكواكب، وعندما قربوا القرابين للأنهار أو الرياح أو البرق والرعد، كما ضل قوم ظنوا أنهم سادوا الكون وقهروا الطبيعة، فجاء الإسلام يكشف للناس أن عناصر الكون وظواهر الطبيعة من آيات الله سخرها لنفع البشر، وجعلها دليلاً على قدرته ومادة للتذكر والتدبر والتفكير: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٢-١٣).

العقيدة الإسلامية -إذن- تفرض على المسلم أن يتعامل مع عناصر البيئة ومكوناتها بحب وتعاون وتمازج، فيحافظ عليها وينميها ويحذر من إفسادها حتى لا يتعرض لسخط الله و غضبه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦).

ان مفهوم البيئة في التصور الاسلامي يعني جملة الاشياء التي تحيط بالإنسان، بدءاً من الارض التي نقله، وصعوداً الى السماء التي تضله، وما بينهما من العوامل والمؤثرات المختلفة، كما انها تتعمق داخل النفس البشرية تضبط مافيهها، مستعلية على غرائز الشر، وساعية الى تهذيبها، وذلك لأن شريعة التوحيد لاتقف بالإنسان عند حدود الماديات وشكلها، وانما تجعلها وسيلة لبلوغ الهدف الأسمى، والمقصد الأسنى، ألا وهو تزكية النفس وتطهيرها، واعادة صياغتها على نحو خال من العقد والانفصامات، وهو ما تنفرد به الحنيفية السمحة عما سواها من شرائع البشر وقوانينهم الوضعية^(٣١).

ولأن الرسالة الاسلامية كونها خاتمة الرسالات السماوية الى البشرية كافة اهتمت بالبيئة اهتماما كبيرا من منطلق انها ميراث الاجيال المتلاحقة حيث اودع الله فيها كل مقومات الحياة للإنسان المستخلف فيها كما ارسى الاسلام الاسس والقواعد والمبادئ التي تضبط وتقن الانسان ببيئته لتحقيق من خلالها العلاقة السوية والمتوازنة التي تصون البيئة من ناحية، وتساعد على اداء دورها المحدد من قبل الخالق العليم في اعمال الحياة من ناحية اخرى^(٣٢).

٣١- البيئة في الفكر الانساني والواقع الاعمالي ص ١٠١. خالد محمود عبداللطيف، البيئة والتلوغثمن منظور اسلامي، ص ٩٦، القاهرة:

١٩٩٣.

٣٢- خليل رزق، الاسلام والبيئة، ص ٤٦، م.س.

ولعل نقطة الانطلاق نحو فهم طبيعة الدين الاسلامي في تعامله مع الانظمة البيئية تتمثل في النظرية القرآنية لهذه الانظمة التي يعتبرها القرآن الكريم والروايات الشريفة انما مسخرة للإنسان من جهود، وانما من صنع الله لقه وتدييره من جهة اخرى.

فالشريعة الاسلامية هي حاكمة على جميع افعال العباد، بحيث لا يخلو فعل من الافعال عن حكم من هذه الاحكام الشرعية، سواء على مستوى تنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوقين، او تنظيم علاقة الانسان بنفسه، وعلاقة الانسان بأسرته ومجتمعه التكليفية الخمسة وهي: الوجوب، والاستحباب، والحرمة، والكراهة، والاباحة.

وان القوانين الاسلامية كفيلة بحماية البيئة من التلوث وحفظ التوازن البيئي اكثر مما تساهم القوانين الوضعية، لا لأن القانون الشرعي، ينتهي في نهاية المطاف الى الله سبحانه ن وهو المشرع الأعلّم بما يصلح عباده، لا لذلك فحسب، بل لأن الدين ايضا يزود ويشفع قوانينه بعدة حوافر تساهم في عملية تطبيقها وتنفيذها الى حد كبير، وهو ما يفتقده القانون الوضعي، ومن اهم هذه الحوافر احساس المتدين برقابة الله سبحانه وشعوره بانه عندما يراعي القوانين البيئية لا ينطلق في ذلك من مجرد الخوف من العقوبة الجزائية الدنيوية التي يجعلها ويقدرها المقنن لمن يخالف قوانينه، بل انه قبل ذلك يستشعر الرقابة الالهية التي تمنعه من مخالفة القوانين البيئية، خوفا من الله تعالى ولهذا لا يجراً على هذه المخالفة^(٣٣).

لذا عالج القرآن الكريم بناء الانسان بما يتفق مع طبيعة هذا الكون ونواميسه الالهية حتى لا يعدم الانسان بطبيعة هذا الكون من حوله بل يتعرف عليه ويكتشف اسراره ويستخدم نواميسه لخدمته.

المبحث الرابع : اسباب التلوث البيئي

تعرض البيئة التي يعيش فيها الانسان الى مخاطر جمة لا تخفى على أحد ولا نحتاج الى تخصص مختبرات لاكتشافها، بل تراها العين المجردة ونعيشها لأنها كثيرة وواضحة وقد ملئت اصقاع الارض. مما دفع عشرات المؤسسات العلمية والبحثية والجمعيات الكثيرة ومؤسسات المجتمع المدني الى التحذير من هذه الكوارث وايجاد العلاج لها منها بغير النسان والحيوان والنبات والمياه وغيرها.

ومن أهم هذه المخاطر^(٣٤) -

١. خطر التلوث البيئي وما يتركه من اضرار تظهر بصماتها على كل الكائنات والمخلوقات، وفي شتى انحاء العالم ولو بنسب متفاوتة.
٢. خطر استنزاف موارد الطبيعة وكنوزها وطاقتها، بحيث اصبح الخبراء يخافون من يوم لا تعود فيه هذه الموارد كافية لبني البشر، نتيجة لسوء تصرف الانسان واسرافه الزائد لها ن هذا من جهة، ومن جهة اخرى نتيجة افساده واعتدائه المستمر على الطبيعة من خلال الحرائق المتعمدة أو الاسلحة الفتاكة التي تحرق الأخضر واليابس ولا تبقى للحياة عينا ولا أثراً.

٣٣- حسين الخشن، الاسلام والبيئة خطوات نحو فقه بيئي، ص ١٨، بيروت دار الهادي، ط ١.

٣٤- ط الاسلام والبيئة خطوات نحو فقه بيئي، ص ١٣.

ويرجح بعض الباحثين الى ان اسباب التلوث الى عاملين رئيسيين أحدهما : عامل التقدم والتطور الصناعي، فان الحياة المعاصرة وما افرزته وسائلها الصناعية والتقنية من آثار سلبية ضارة، كالإشعاعات الذرية والمؤثرات الكيماوية ونفايات المصانع وإجخرة السيارات والآلات الأخرى مما لها الأثر البالغ في التلوث البيئي. وثانيهما العامل الاجتماعي، وهو ما تعانيه كثير من المجتمعات من الفقر والمرض والجهل، مما يعد أهم المعوقات التي تعترض حماية البيئة وحفظها من التلوث^(٣٥).

ويقسم الخبراء اسباب التلوث البيئي الى قسمين^(٣٦):-

١. الاسباب البيئية التقليدية.

٢. السباب البيئية الحديثة.

وما تضمنته الأسباب التقليدية عدم وجود المياه الصالحة للشرب والأواني وكذلك انعدام الصرف الصحي في المساكن والمجتمعات، وتلوث الهواء داخل البيوت، واستعمال المخضبات ومبيدات الحشرات، والكوارث الطبيعية من فيضانات وجفاف واعاصير وانتشار الجراد والتصحر ونواقل الجراثيم والطفيليات والفيروسات، المسببة للأمراض السارية، والاطعمة الملوثة.

وهذه كلها مخاطر ما عدا الكوارث الطبيعية، فالفقر والتخلف هما اساسا قيام هذه المخاطر البيئية وفي اساس مكافحتها والحد من آثارها الضارة.

أما الأسباب الحديثة : تتعلق بالتنمية السريعة وفقدان الضوابط الحافظة لصحة البيئة والحفاظة على سلامتها ومنها تلوث المياه من الازدحام السكاني والصناعة والزراعة، تلوث الهواء من محطات الطاقة والمصانع والآلات، النفايات الصلبة المتجمعة، المخاطر الكيماوية، والأمراض السارية القديمة والحديثة، تدهور التربة وتغير المناخ والطقس ونقص الأوزون حول الارض وغيرها^(٣٧).

وبملاحظة اسباب التلوث البيئي ندرك ان أخطرها واشدها فتكا بالبيئة والانسان ولا علاقة لها بالتطور والتقدم، فان تطور الحياة لا يتوقف على صنع اسلحة الدمار الشامل التي تهلك الحرث والنسل، وتذر الرياح بلاقع، كما ان بعض الاسباب ناشئة عن سوء التنظيم وسوء الاستفادة والاستعمال، فتقدم الحياة لا يفرض على اصحاب السيارات استعمال المحروقات الرديئة التي تبعث على التلوث الخطير، لان هناك بدائل اقل ضررا وخطرا وان كان تطور الحياة يفرض وجود المصانع لكنه لا يجتم انشاء هذه المصانع في المناطق السكنية وغيرها التي بالإمكان وضع البدائل التي ترفع من خطر التلوث البيئي^(٣٨).

٣٥- م.ن ، البيئة والتلوث محليا وعالميا ص٤٩ .

٣٦- البيئة والتلوث محليا وعالميا ، ص٥٠

٣٧- البيئة والتلوث محليا وعالميا، ص٥٠ .

٣٨- الاسلام والبيئة ، ص١٦

الفصل الثاني : التلوث بالمواد الكيميائية

رغم ما تقدمه الصناعات الكيميائية من خدمات جليلة للبشرية تتمثل في انتاج العديد من المواد المختلفة كيميائيا، والضرورية لحياة الانسان، وانتاج بعض الكيماويات التي تستخدم في المعالجة، الا ان التأثيرات السلبية التي بدأت تظهر نتيجة لاستخدام المواد الكيميائية، جعلت الباحثين يحدون من الأضرار الواقعة والمتوقعة للمواد الكيميائية. وسوف نتناول ثلاثة انواع من الملوثات الكيميائية لدراستها لما لها تأثير على حياة الانسان والبيئة.

المبحث الاول :- التلوث الكيماوي في الغذاء.

منذ ان اكتشف الانسان التفاعل الكيماوي، وعرف كيفية حدوثه وتكوين الروابط بين العناصر الكيماوية المختلفة، وهو يحاول ان يستفيد من تلك التفاعلات ويستخدمها في حياته في نواح مختلفة. ولما كان الانسان في بداية تعامله مع المواد الكيميائية لا يدرك السلبات المحتواة في تلك المواد، لكنه عندما استمر في استخدام هذه المواد لفترة زمنية طويلة لاحظ ظهور بعض الجوانب السيئة الناتجة عن استخدامها، ومع التقدم العلمي في علوم الكيمياء، بدأ الانسان يعد تفسيرات عديدة لحدوث الآثار السيئة لاستخدام المواد الكيميائية، وقد قادته تلك التفسيرات الى الحقيقة العلمية التي لا جدال فيها^(٣٩). وان هناك عددا كبيرا من الاسباب التي تسهم في تفاقم مشكلة التلوث الكيماوي للغذاء مثل استخدام المبيدات الحشرية على نطاق واسع لقتل الحشرات او التي تستخدم في الزراعة وكذلك الخضروات، وقد تظل هذه المبيدات عالقة بالتربة الزراعية فترة من الزمن قد تصل الى (١٥) سنة^(٤٠).

والتلوث الغذائي عبارة عن احتواء المواد الغذائية على جراثيم مسببة للأمراض او مواد كيميائية او طبيعية او مشعة، تؤدي الى حالات تسمم غذائي بسبب الامراض الحادة الخاصة بالمعدة والامعاء. وان التلوث الكيماوي للغذاء يكون بالتراكم والتكاثر في الخلايا الحية حيث يزداد تركيز الملوثات الكيميائية خلال مرورها عبر السلاسل الغذائية وذلك يسبب حدوث اصابات بأنواع شتى من مرض السرطان نتيجة تناول الانسان مواد غذائية ملوثة بالكيماويات وغيرها^(٤١).

وفي كثير من المواد تضيف الشركات مواد كيميائية للطعام والشراب من اجل اعطائه نكهة جيدة او لونا جيدا او رائحة طيبة، بينما ضرر هذه المواد الغذائية أكثر من نفعها.

فمثلا مادة (السايكلاميت) التي تستعمل لتحلية المواد الغذائية والحماير منعت نتيجة لاحتوائها على السموم. ومادة (السكرارين) التي تستعمل للتحلية منعت ايضا لاحتوائها على سموم سرطانية، ومادة (الاستروجين) التركيبي الذي استعمل كمشجع للنمو في الاغنام والماشية ثبت انه أحد المسرطنات

٣٩- ظ عبد الباسط الجمل، الهندسة الوراثية ابحاث البيئية، ص٢٥٦، القاهرة، دار الرشاد.
٤٠- ظ وفاء محروس عامر، المعالجة الحيوية للملوثات البيئية، مجلة اسيوط العدد (٢١) ص٤٣.
٤١- الفقه البيئية، ص١٤٣.

البشرية. وكذا مادة (الاسيس) التي تستعمل في مجففات الشعر، وكذا مادة (الفورمالديهايد) التي تستعمل في بعض المواد المنزلية العازلة ثبت أنها مواد مسرطنة ايضا^(٤٢).

أما المواد الكيماوية الحافظة، وهي المواد المستعملة في صناعة التعليب تكاد تكون اشد خطرا على الغذاء عندما تتجاوز الحد المطلوب.

فعلى سبيل المثال، صبغة النعناع الاخضر الصناعية شديدة الخطورة وكذلك بالنسبة لأصبغ الرمان والفواكه الاخرى الصناعية والصبغات المستعملة في صبغ بعض انواع الحلوى السكرية، وصبغات رقائق البطاطس، والحساء المحتوي على عصير الطماطم الذي اضيف اليه لون صناعي^(٤٣).

المبحث الثاني: التلوث بالأدوية:

من المشاكل التي يواجهها الانسان في هذا العصر ن هي مشكلة التلوث بالأدوية الكيماوية التي لها مضاعفات وآثار جانبية خطيرة. ويؤدي الاسراف في تناول المواد الكيماوية الدوائية بإجهاد الكبد والكلى على سبيل المثال، مما يؤثر على العمليات الحيوية التي تتدخل الجسم بعد ذلك. قال الطبيب العربي ابو بكر الرازي : (اذا قدرت ان تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية، واذا قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب)^(٤٤).

وقد كثرت اسباب التلوث التي تصيب الانسان بالأذى فلم تعج تقتصر على ما يستنشق من هواء، أو ما يشرب من ماء، وما يتناول من غذاء وانما امتدت لتشمل حتى ما يتعاطى من دواء. والتلوث هو دخول شيء في غيره بما من شأنه الاضرار به، وذلك كدخول المخدرات الى جسم الانسان بسبب الادمان على تعاطيها، مما يترتب عليه اتلاف الجهاز العصبي أو الكبد او غيرهما من اجهزة الجسم^(٤٥).

أما الدواء أو العقار فهو مادة مؤثرة في الخلايا الحية، تستخدم في تشخيص الامراض او علاجها او الوقاية منها، وذلك سواء تمثلت هذه المادة في مركب كيماوي كالسلفا، ام في هرمون حيوي كالأنسولين، أن في كائنات دقيقة كاللقاحات، أم في مواد مخدرة كالأفيون - الى غير ذلك من صنوف الدواء^(٤٦).

وهناك ثلاثة انواع من الطب العلاجي وهي :-

١. طب العقاقير: فيقوم اساساً على استخدام الكيماويات والمواد المصنعة في علاج الأمراض وهو الطب السائد الان رغم مأخذه.
٢. طب الأعشاب: ويعتمد على التداوي على الاعشاب والنباتات الطبية وهو أقل ضرراً من المواد الكيماوية، وهو اليوم له رواجاً واسعاً في كثير من الدول.

٤٢ - ظ خالد عنانزة ، متبقيات الادوية والمستحضرات الصيدلانية (نت).

٤٣ - م.ن.

٤٤ - الرازي ، الحاوي ، ص ١٢٠.

٤٥ - ظ ماجد راغب الحلو ، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ، ص ٤٠٥ ، مصر ، دار الجامعة.

٤٦ - م.ن .

٣. الطب الطبيعي أو البديل ويقوم على استعمال الغذاء والرياضة.

وقد تؤدي الزيادة المفرطة في تناول المواد الكيماوية الدوائية الى سرطنة بعض الخلايا، فالأفراط في تناول الأدوية المعالجة لمرض (هودجكين) يؤدي الى الاصابة بسرطان (ايبيضاض الدم)، وتناول ادوية المناعة لفترات طويلة، دون الرجوع الى الطبيب يؤدي للإصابة بسرطان الخلايا اللمفية، مما يدمر الجهاز المناعي، ويترك الجسم فريسة للغزو الميكروبي^(٤٧). والأمثلة كثيرة على ذلك في المجال الدوائي، فاستخدام بعض المسكنات يقلل من عدد كريات الدم البيضاء، ويضعف من مقاومة الجسم للكائنات الدقيقة المسببة للأمراض، فيسهل تمكنها منه، وايضا تعاطي بعض المهدئات كالفاليوم يتبع الاصابة بالاكتئاب والرغبة في الانتحار، فضلا عن زيادة احتمال الاصابة بالسرطان، وخلق نوع من الإدمان يشبه ادمان المخدرات او يزيد سوء^(٤٨). وان المصابين بإدمان العقاقير المهدئة تكون حالاتهم اصعب في علاجها من مدمني المخدرات.

وأصبح سوء استخدام العقاقير الطبية في العصر الحديث خطرا يهدد صحة الانسان بل وحياته بدلا من الحفاظ عليهما، وذلك سواء تمثل سوء الاستخدام في الاسراف في الكم أم في التهاون في الكيف. فالإسراف في كمية الدواء التي يتعاطاها المريض حالة خطيرة قد تفتك به او يكون ضررها اكبر كثيرا من نفعها. وقد يترتب على هذا الاستخدام من حيث المقدار او النوع وفاة المريض او اصابته بمر... اشد خطورة من ذلك الذي اراد التخلص منه، كحالة الاصابة بقرحة المعدة نتيجة لتعاطي عقار (الفولتارين) كمسكن لبعض الآلام^(٤٩).

ويرجع هذا الاسراف في استخدام الدواء أو العقاقير الى القصور التعليمي وقلة التقوى لدى كثير من الأطباء، والدعاية المضللة وغير النزبهة التي يمارسها منتجو الأدوية وتجارها لتحقيق مزيد من الربح، وكذلك انخفاض وعي المستهلكي الأدوية لمجرد شعورهم بألم خفيف يتناول الدواء الخطير للتخلص منه وهو استخدام عشوائي دون استشارة اصحاب الاختصاص، واستخدام بعض العقاقير بدلا من المخدرات لرخص اسعارها نسبياً، كبعض ادوية السعال أو الصداع وقد تؤخذ هذه الأدوية عن طريق الحقن واستخدام الإبر الملوثة، وأخيرا قصور القوانين الطبية نصاً وتطبيقاً، والنص هو السماح بشراء اغلب الأدوية من الصيدليات بغير اذن طبي، أما التطبيق فهي تمكن عصابات العقاقير من تهريب الكثير من الأدوية المحظورة وبيعها بأغلى الأسعار^(٥٠).

وينبغي ان يكون واضحاً الآن ان مقيمي الأخطار لا يعلمون كيف يرسمون خطأ فاصلاً ما بين التعرضات مأمونة العاقبة وغير المأمونة بالنسبة لأية مادة كيماوية^(٥١). وقد حث الإسلام الناس على

٤٧ - الهندسة الوراثية وابتحاح البيئة ، ص ١٢٥ م.س.

٤٨ - قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ، ص ٤٠٨ ، م.س.

٤٩ - م.ن.

٥٠ - ظ قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ، ص ٤١٠

٥١ - ظ جوزيف.ف رودريكس ، الاخطار المحسوبة ، ص ٣٠٤.

الاعتدال في تناول الطعام والشراب، لقوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٥٢) وللحديث النبوي الشريف (ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، يحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) (٥٣). وحث ايضاً على مزاوله انواع الرياضة وترك الكسل لقوله (ع) (علموا اولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل) (٥٤).

ومن أمثلة الأغذية التي استخدمها الأطباء العرب كعلاج عسل النحل الذي قال تعالى بشأنه ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥٥)، وقد ثبت أخيراً أنه مفيد حتى في علاج الحروق والجروح المستعصية. كما استخدموا زيت الخروع والتين كملينات طبيعية للأعضاء، وايضا من الأدوية العشبية التي استخدمها وتأكدت فعاليتها حبة البركة التي قال فيها الرسول ﷺ (الحبة السوداء علاج لكل داء) وقيل انها تتعامل مع جهاز المناعة في الجسم فتقويه وتزيد من مقاومته لمختلف الأمراض. كما استخدموا نبات البقدونس في علاج الكلى والزعتري في علاج الجهاز الهضمي، وغيرها. (٥٦)

المبحث الثالث: التلوث بالمبيدات الحشرية

المبيدات الحشرية هي عبارة عن مواد كيميائية مخلقة لقتل الآفات التي تصيب النباتات كمركب (D.D.T) والذي ثبت تماما انه من المسببات السرطانية الخطيرة. تؤثر المبيدات الحشرية على النباتات كما تؤثر على الحشرات، ويمثل ذلك مشكلة كبيرة للنظام البيئي، وبخاصة في المنظومة الحيوية (الكائنات الحية) التي تعيش في البيئة. وتستخدم هذه المبيدات الكيماوية لمقاومة الآفات والحشرات التي تصيب النباتات، وتسبب خسارة كبيرة للمحاصيل، كما تستخدم بعضها في مقاومة الحشرات المنزلية. (٥٧)

ورغم ان استخدام المبيدات الحشرية يخلصنا من العديد من الحشرات الضارة، الا انه يسبب اضراراً للمنظومة الحياتية لا تقل خطورة عن الاضرار التي تسببها المبيدات الحشرية وأكثر هذه المبيدات تؤثر على معدل النمو الخلوي، وعلى كفاءة سير العمليات الحيوية داخل الجسم، مما قد يدي في النهاية الى تدمير البنية الحيوية للعديد من الكائنات الحية. (٥٨)

وتختلف المبيدات الحشرية في تركيبها الكيماوي وفي تأثيراتها السامة، كما تختلف في شدة تلويثها للبيئة، بالإضافة الى تباينها في الخصائص المميزة لها مثل ميلها للدوبان في الماء او قابليتها للتبخر او التطاير او مقاومتها لعمليات التحلل الكيماوي المختلفة أو الصورة العامة التي تكون عليها اذ يمكن ان

٥٢- الاعراف / ٣١.

٥٣- ظ النووي - رياض الصالحين ، ص٣٢٨.

٥٤- م. ن .

٥٥- النحل / ٦٩.

٥٦- قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ص٤٠٧.

٥٧- ظ الهندسة الوراثية وابحاث البيئة ص١٢٨ م.س.

٥٨- م. ن .

تكون بصورة مسحوق او بصورة حبيبات او بصورة محلول او بصورة بخرة او بسائر الصور الاخرى. وهناك عدة مشتقات لـ (D.D.T) تؤدي نفس المفعول وهي تتصف بثباتها الشديد وبطأ تحللها في التربة، الى غير ذلك من المبيدات المختلفة، والتي لها اثار جانبية بالنسبة الى الانسان والحيوان والنبات بل والتربة ايضاً. (٥٩)

والمبيدات لها أقسام منها : المبيدات العشبية والمبيدات الحشرية والمبيدات الكيميائية. فالعشبية منها تستعمل لإزالة الاعشاب الضارة التي تنمو في المزروعات المختلفة، أما المبيدات الحشرية فتعد المنفذ الفعال في الآفات الحشرية ولها نتائج خطيرة خاصة وان تحللها يتم بشكل بطيء. أما المبيدات الكيميائية تسبب في قتل كثير من الاحياء الدقيقة التي تستوطن التربة، والتي تسهم في تحلل المواد العضوية والمخلفات النباتية التي ينتج عنها العناصر الحية المكونة للتربة الزراعية. (٦٠)

ومن الواضح ان استعمال بعض المبيدات يؤدي الى حدوث اضرار في النباتات الخضراء وبخاصة للمحاصيل الحساسة والضعيفة النمو. واذا ما استخدمت المبيدات بتركيز عال من العناصر المشابهة لها او بتوقيت غير مناسب ادى ذلك الى حدوث اضرار كبيرة جداً، والتي منها حروق للأوراق او حدوث تحوّر في اشكالها مما يؤدي الى جفافها ثم سقوطها ثم موت النبات في نهاية الأمر. (٦١)

وتتجه الدول المتقدمة اليوم الى تقليل استخدام المبيدات الكيميائية، منعا لحدوث الاثار الخطيرة التي تقع على النباتات. فمن البدائل الجيدة والمقترحة للاستخدام على نطاق واسع استخدام الاعداء الحيوية للآفات والحشرات، والتي تتمثل في استخدام ميكروبات مدمرة للآفات والحشرات الضارة، أو من الممكن استخدام كائنات حية غير الميكروبات (الفيروسات، البكتيريا، الاوليات الحيوانية) ومن امثلة ذلك : الحشرات، القواقع، الطيور، والنيماطودا (لمهاجمة بعض افراد النيماطودا).

تمثل الميكروبات احد أهم الاسلحة التقنية لاستخدام الاعداء الحيوية لمكافحة انتشار الآفات الضارة، ومن احدث الوسائل للاستعاضة عن استخدام المبيدات الكيميائية استخدام وسائل التحويل الجيني للأطعم الوراثية، حيث تكمن قدرة الخلايا الحية على مقاومة الآفات التي تغزوها - بهدف تدمير الانسجة والخلايا - اي وجود جينات معينة في جينوم الخلايا يؤدي تعبيرها الوراثي لتكوين مواد معينة تدمر خلايا وانسجة الآفات. (٦٢)

علاج التلوث البيئي في الاسلام

لقد اهتم الاسلام بالمحافظة على مكونات البيئة، لان الله خلق الكون وسخر للإنسان كل ما في الكون من ارض وسماء وماء وحيوان ونبات وانهار وثروات وغيرها من النعم، وهذا التسخير يشمل

٥٩ - الفقه البيئية ص ١٦٦-١٦٨ .

٦٠ - الفقه البيئية ص ١٧٢ .

٦١ - الفقه البيئية ص ١٧٢ .

٦٢ - ظ الهندسة الوراثية والبحث البيئية ، ص ١٢٨ .

مكونات البيئة التي امرنا بالإفادة منها بما يتفق ومنهج الله سبحانه وتعالى ونهى عن افساد البيئة حتى تتحقق رسالة الاستخلاف على هذه الارض.

وقد حث الاسلام على النظافة (الجسم والثياب) وتطهيرها ليكون الانسان في اجمل وانقى صورة، واهتم بالمكان، فأمر النبي ﷺ بتنظيف البيوت والساحات، ونهى عن القاء النفايات والقاذورات في الطرقات، ودعا الى ازالة الاذى عنها فقال: (الايمان بضع وسبعون او بضع وستون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الايمان).

وقد حذر النبي ﷺ من مسببات انتقال الامراض، ونهى عن تلويث المياه وارشدنا النبي ﷺ الى قواعد صحية في الشرب حيث قال: (اذا شرب احدكم فلا يتنفس في الاناء)، ودعا ايضا الى تغطية انية الطعام والشراب وحفظهما وأمر بتطهير الانية من الملوثات حتى لا تكون سبب للعدوى فقال ﷺ (ظهوروا اناء احدكم اذا ولغ به كلب، ان يغسله سبع مرات اولهن بالتراب) (٦٣).

وقد عد الاسلام اي اخلال بمكونات البيئة ضرر ينبغي ازالته واتخاذ الوسائل الوقائية التي تمنع وقوعه، او تخفيف آثاره كمخلفات المصانع والآلات والسيارات او الغازات التي تنبعث منها.

وان اهتمام الاسلام بالبيئة ينطلق من اهتمامه بصحة الانسان وراحته وسعيه الى اسعاده وابعاده عن كل ما يؤثر على استقراره الجسدي والروحي، وذلك انسجاما مع المبدأ القرآني الذي يجعل الانسان محور الخلق وخليفة الله على الارض وحامل الأمانة الذي سخرت له السماوات والارض.

والاحكام التي وردت بهذا الموضوع كثيرة جدا واستقصائها يحتاج الى كتاب موسع، وانما نؤكد على الاهمية البالغة التي يوليها الاسلام لصحة الانسان، ويمكن اعتبار كل تصرف سلبى في البيئة يؤثر سلبا على صحة الانسان.

الفصل الثالث: القواعد الفقهية المستفادة في حماية البيئة

يتحرك الفقه الإسلامي في دائرة فعل المكلف لتحديده واجبه تجاه الله تعالى والإنسان والابتعاد عن نواهيه، فهو يستوعب جميع القضايا والمسائل الطارئة على الإنسان في كل زمان ومكان فقد وردت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأحاديث اهل البيت ﷺ من قواعد كلية واحكام تفصيلية في كل المسائل للمجتمع ومن ضمنها مشاكل البيئة التي يواجهها المكلف اليوم وان لم تكن...موردت لأبحاث الفقهاء المتقدمين باعتبار عدم وجودها امامهم كوقائع تحتاج الة فتاوى وتشريعات. (٦٤) اضيف الى ذلك تولية الاسلام لجميع الاحكام ومنها احكام البيئة ومجالات الرعاية والحماية.

٦٣- مستدرك الوسائل من ابواب المائدة؛ البيئة في الاسلام ص١٣٥.

٦٤- ظ الاسلام والبيئة، ص١٣٤.

أولا :قاعدة لا ضرر ولا ضرار في الإسلام

هذه القاعدة من القواعد المهمة التي يمكن من خلالها الاستدلال على أهمية حماية البيئة و المحافظة عليها في النظام الفقهي و التشريعي للإسلام .هذه القاعدة اخذت الحديث الشريف (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام)^(٦٥) وهي من الأحاديث التي يدور على ها الإسلام و شاعة استدلال الفقهاء بها في كل المذاهب الإسلامية ومضمون القاعدة يدل على حرمة الأضرار بالنفس او الغير وتوضيح دائرة البحث الفقهي و شموليته لحرمة الضرر البيئي .

وعلى وفق هذه القاعدة حرمت كثير من التشريعات التي ترتب عليها ضرر للإنسان وان كانت في ذاتها واجبة.فاذا كان التشريع الإسلامي قد الغى بعض الواجبات الدينية في حال ترتب الضرر عليها. الا يمكن ان نستدل ونستكشف من ذلك ان الاسلام يحرم كثير من القضايا التي يترتب على فعلها ضرر كبير بالمجتمع وبالعالم العام للامة.^(٦٦) والمراد من هذه القاعدة امرين هما : ان كل حكم شرعي في الاسلام ثابت ما دام لا يلزم من ثبوته ضرر على المكلف او ان المقصود هو النهي عن الأضرار بالآخرين وتحريم ذلك.^(٦٧)

وقاعدة عدم الضرر هي وضع الشيء في غير محله، والضرر ان يدخل شخص او اشخاص ضررا على غيره، وهذه القاعدة تسهم في ارساء مفاهيم بيئية سليمة من خلال مدى معالجتها للقضايا والمشاكل في الحياة، سواء بتصرف الانسان مع نفسه او مع غيره، ويلحق بذلك ما ذكره العلماء في الوقت الحاضر مثل غبار الكسارات والمناشير والادخنة المتولدة عن الافران والمصانع بأنواعها المختلفة، والديدان المتولدة في الازبال المتراكمة مع الروائح الكريهة المنبثقة من مزارع الاغنام والابقار والدواجن ومكبات النفايات السائلة والصلبة ومصبات مياه المجاري في البحار او التكرير وغيرها.^(٦٨)

ومن الفقهاء من استعمل هذه القاعدة وطبقها على موارد في البيئة هو الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، حيث قال (كل أحد له حق التعلّي على حائط ملكه وبناء ما يريد، وليس لجاره منعه) والضابطة العامة في تصرف الانسان بملكه ان كل واحد له ان يتصرف كيف ما شاء بملكه بشرطين : ان لا يكون ملكه متعلق حق الغير، وان لا يكون موجبا لضرر الغير ن وعدا ذلك فجميع تصرفاته مباحة له، ويذكر ايضا في موضع آخر فيقول : ولهذا لا يجوز رفع صوت الراديو او التلفاز في منزله بما يزعج الآخرين ويقلق راحتهم ويسلبهم نعمة الراحة والنوم وان لم يكن قاصدا لذلك، ولا ان يلقي النفايات السامة في الأنهار او الينابيع، وان لم يكن قاصدا للإيذاء احد ولا ان يترك كنيفه بدون اصلاح رغم انبعاث الروائح الكريهة منه التي تضر جيرانه، وربما نشرت الامراض بينهم، ولو كان غير قاصد للإضرار بهم، ولا يتردد اهل العرف في القول لمثل هذا الانسان انك رجل مضر.^(٦٩)

٦٥ - وسائل الشيعة ج١٧ ، ص٣٤١ باب ١٢ من ابواب احياء الموات .

٦٦ - الاسلام والبيئة ص١٤٨ .

٦٧ - محمد باقر الايرواني ، دروس تمهيدية في القواعد الفقهية ١/٨٩ ، قم ، مؤسسة الفقه للنشر ط ١ ، ١٤١٧ هـ .

٦٨ - ظ يونس ابراهيم مزيد ، البيئة في الاسلام ص١٢٦ ، دار الحامد ط١ .

٦٩ - تحرير المجلة ٢/٢٤٢ مكتبة النجاح ، طهران .

وهذه القاعدة تفرض على الدولة او الجهة صاحبة الاختصاص منع التدخين في الاماكن العامة وفي وسائل النقل العام والاسواق ونقلها الى اماكن مخصصة بذلك، حتى لا ينتقل الضرر الى الغير قسراً من غير ارادة الطرفين.

ثانياً :- قاعدة النهي عن الفساد

حرصت الشريعة الاسلامية على تحقيق الخير، وذلك لكون المصلحة مأخوذة من الصلاح الذي هو سلوك طريق الاستقامة على ما يدعو اليه العقل والشرع والصلاح العام بالمحافظة على حقوق الله تعالى. وقد اتفق العلماء على ان المصالح ما تؤدي الى اقامة الحياة والى ربح الحياة الاخرى، والمصالح انما تعتبر من حيث تقام الحياة وتبنى لا من حيث الهدم والخراب، وقد خصت الشريعة الاسلامية عقل الانسان وعمله وطلبت صلاح ما بين يديه من مقومات الحياة الدنيا ويمكن بعد هذه المقدمة القول ان الاسلام جاء لينظم شئون الناس جميعهم فاهتم بتنظيم علاقة الانسان بالله سبحانه وتعالى، ونظم علاقة الانسان بالكون من حوله، ودعا الى استغلال الامثل للموارد البيئية والمحافظة عليها والابتعاد عن افسادها. (٧٠)

ومن الآية الكريمة ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (٧١) يلاحظ ان الكون وما فيه بعد هذا التسخير يصبح امانة في يد الانسان، وهو من النعم الالهية الكبرى التي وضعها الله تعالى في خدمة هذا المخلوق، وهذا ما يفرض عليه واجبا ومسؤولية كبيرة وهي التعمير والصلاح وهو ما عبر عنه الاسلام في الجانب السلبي بالنهي عن الفساد والافساد لان الفساد بمعناه الشامل ضد التعمير والصلاح. (٧٢)

والفساد هو كل سلوك بشري يفسد نعم الله ويحيلها من مصدر منفعة وحياة الى مصدر ضرر وخطورة على الحياة فالفساد اذن سلوك بشري على غير ما امر به الله سبحانه وتعالى وعلى مقدار تمرد الانسان على حركة الحياة يحدث الفساد والافساد ومن ثم فقد نهى الاسلام عن الفساد والافساد لما فيهما من ضرر كبير. (٧٣)

وقوله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. (٧٤) والفساد المذكور في هذه الآية ليس الفساد المعنوي من المنكرات وعمل السيئات، انما هو النتيجة والثمرة السيئة كما كسبت ايدي الناس من المعاصي والمفاسد الاخلاقية ولهذا فسروا الفساد في (البر والبحر) المذكور في الآية الكريمة هو الجذب وكثرة الحرق والغرق، واخفاق الصيادين ومحقق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة، وكثرة المضار، والفساد في البر يكون بفقدان منافعه وحدوث مضار،

٧٠- البيعة في الاسلام ص ١٣٠ م.س.

٧١- لقمان / ٢٠.

٧٢- الاسلام والبيعة ص ١٣٦ م.س.

٧٣- البيعة من منظور اسلامي (نت)

٧٤- الروم / ٤١.

مثل حبس الأقوات من الزرع والثمار والكأ، وفساد البحر هو تعطيل منافعه من قلة الحيتان واللؤلؤ والمرجان، وكثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر ونضوب مياه الأنهار وانحباس فيضائها الذي يسقي به الناس. (٧٥)

والفساد هو اي شيء يسيء الى التطبيق السليم للأنظمة (الطبيعية) في الحياة الدنيا بصرف النظر عما اذا كانت الاساءة مبنية او غير مبنية على اساس خيار جماعة من الناس، والفساد يؤدي الى اختلال في حياة البشر الهانئة، وفكرة الفساد لا ترتبط بزمان او لذلك فهي شاملة ودائمة. (٧٦)

فالنهي من الفساد من القواعد والانظمة التي اتفقت على تحريمها كل الشرائع من اجل توفير الحماية والأمن للبيئة والحفاظة على فطرتها، ونفائها ووجودها، ونموها، وللاتنفاع بها دون اضرار او افساد لمظاهرها وخصائها وتنوعها والاسلام جعل الانسان هو المسؤول الاول عن الامن البيئي عند الحديث عن استخلافه في الارض وأمره له بالاهتداء بأوامر الله ونواهيه. (٧٧)

ثالثا :- قاعدة النهي عن الاسراف

وهي من القواعد الكلية التي يمكن تطبيقها في مجالات متعددة وتنطبق على حماية البيئة والحفاظة عليها وتسمى ايضا قاعدة (حرمة الاسراف).

فقد حرم الاسلام في منظومته الفقهية الاسراف بكل انواعه، وهناك كثير من النماذج والمسائل التي نهي القرآن الكريم والسنة الشريفة في احاديث كثيرة ومتواترة حول النهي عن الاسراف.

والسرف مأخوذ من السرفة وهي دويبة تأكل الورق، وسميت بذلك لتصور معنى الاسراف منه، وقد ذكرت موارد كثيرة للإسراف في كتب اهل اللغة ومنهم ابن منظور فيذكر من اسرف في ماله : عَجَل من غير قصد، وأما السَّرْف الذي نهي الله عنه، فهو ما أنفق في غير طاعة الله، قليلا كان او كثيرا. والاسراف في النفقة : التبذير، وأسرف في الكلام وفي القتل : أفرط، وسرفُ الماء : ما ذهب منه في لا غير سقي ولا نفع، يقال : اروت البئر النخيل وذهب بقية الماء سرفاً. والسرف : الخطأ. وسرف الشيء، بالكسر، سرفا : أغفله وأخطأه وجهله. (٧٨)

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ان الاسراف هو الوجه الاخر للفساد لقوله تعالى ﴿... كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين﴾ (٧٩) وفي هذه الآية دلالة واضحة في ان الاسراف هو تجاوز الحد في موضوع الاكل والشرب، وقال تعالى ﴿والذين اذا انفقوا ليسرفوا ولم يقتروا..﴾ (٨٠) ن فيها دلالة على ان الاسراف

٧٥- الالوسي ، روح المعاني ٤٧/١٢ بيروت ، دار احياء التراث.

٧٦- ظ محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تقسيم القرآن ١٦/١٩٥ ، قم منشورات جماعة المدرسين.

٧٧- الاسلام والبيئة ص ١٤١ م.س.

٧٨- لسان العرب ، ١٤٨٩ ، مادة (سرف)

٧٩- الاعراف / ٣١.

٨٠- الفرقان / ٦٧.

هنا هو تجاوز الحد في انفاق المال. وتأتي حرمة الاسراف واضحة في الآية الكريمة (... وان المسرفين هم اصحاب النار) (٨١).

وما ورد في القرآن الكريم حول المصدر الاساسي الذي يحتاج اليه البشر في حياتهم اليومية هو (الماء) وهو من اهم الموارد الطبيعية التي شدد على اهميتها وضرورتها للحياة. هو وكونها من المصادر التي يمكن انتزيع بواسطة الانسان فقد نص القرآن الكريم بان مصادر المياه ثابتة ومحدودة وهي بالتالي معرضة للزوال ولتندوم الى مالا نهاية. (٨٢)

ومن الاحاديث الشريفة الدالة على ذلك هي روي عنه صلى الله عليه وآله انه مرّ بسعد وهو يتوضأ فقال (ما هذا السرف ياسعد؟ قال افي الوضوء سرف؟ قال : نعم وان كنت على نحر جار). (٨٣) وايضا في حديث آخر قال : (خيار امتي يتوضؤون بالماء اليسير). (٨٤)

اذن ينبغي ان نعتبر ان تحريم الاسلام للإسراف بكل انواع ومظاهره من القواعد والانظمة التي تدخل في اطار الحفاظ على البيئة.

رابعا: قاعدة الاتلاف

وهي من القواعد الفقهية التي تعد في مضمونها ودلالاتها بالأمر الأول ذات مساس في قضايا البيئة، ومعناها هو استهلاك مال المسلم بدون الاذن والرضا، وهذا اعم من ان يكون عن عمد او عن خطأ، ومفادها (الضمان على من يتلف مال الغير) وبعبارة اخرى (من اتلف مال الغير فهو له ضامن) وهذا ما ذكر في كتب المتقدمين والمتأخرين منهم. فاذا تحقق اتلاف مال الغير بدون اذنه ورضاه يكون المتلف هو الضامن حتى يؤدي ما اتلفه الى مالكة قيمة او مثلا.

والتعدي على عناصر البيئة ومكوناتها والاعتداء عليها واتلافها من ابرز موارد ومصاريف اتلاف مال الغير، بل هو اشد من ذلك لأنه ليس اتلافا يتعلق بفرد بل هو اتلاف لموارد هي ملك لعموم المسلمين، لذا يمكن اعتباره اشد حرمة، لأن الاتلاف اذا كان يتعلق بمال شخص محدد يمكن تعويضه ودرؤه، اما اذا كان يتعلق بمال الامة ومواردها فكيف يمكن تعويضه. (٨٥)

وقد وردت آيات قرآنية كثيرة في الاستدلال على هذه القاعدة منها «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم..» (البقرة-١٩٤) واخرى «وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به» (النحل/١٢٦). اما الروايات الواردة فيها منها : صحيحة الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : (سألته عن

٨١- غافر / ٤٣.

٨٢- الاسلام والبيئة ص ١٤٤ ، م.س.

٨٣- سنن الترمذي ٨٤/١ ، دار الفكر ت ٤٣.

٨٤- النوري ، مستدرک الوسائل ٣٤٨/١ ، قم ، مؤسسة ال البيت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ.

٨٥- الاسلام والبيئة ص ١٥٩.

شيء يوضع على الطريق فتمر الدابة فتنفر بصاحبها فتعقره، فقال : كل شيء يضر بطريق المسلمين فصاحبه ضامن لما يصيبه).^(٨٦) وروايات اخرى كثيرة وردت في هذا الباب .

وللفقهاء اراء في هذه المسألة قال الشيخ الطوسي : (الماشية اذا أفسدت زرعاً لقوم فان كانت يد صاحبها عليها فعليه ضمان ما أتلّف لأن جنايتها كجنايته، وفعّلها كفعله).^(٨٧)

ويذكر العلامة الحلي بهذا الموضوع (اذا كان لرجل كلب عقور فلم يحفظه فأتلّف شيئاً كان عليه ضماناً لأنه مفترط في حفظه)^(٨٨) ولا شك ان هذه القاعدة لها مصاديق منها وجوب الضمان على من اتلف اي مورد من موارد البيئة العامة، كأن يحرق زرعاً أو يتلفه أو يتعدى على الطرقات، أو يقوم بعمل يلوث الهواء أو الماء وغيرها مما يتعلق بالبيئة أو ابقاء ميتة الحيوانات يسبب في فساد البيئة وتدهور الصحة العامة.^(٨٩)

خامساً: قواعد اخرى

هناك قواعد اخرى سوف نجملها بالذكر لما لها خصوصية لموضوع البيئة في بعض مصاديقها منها :-

- قاعدة احترام مال المسلم وعمله : والمقصود بهذه القاعدة احترام مال المسلم عن التصرف فيه والتعدي عليه، بمعنى ان مال المسلم محترم لا يجوز الاعتداء والتجاوز عليه وكذلك كان عمل العامل المسلم محترماً ومأجوراً فليؤد اجرتة. ولا يخفى ان الموارد البيئية هي موارد عامة يملكها المسلمون على سبيل الاجتماع ن وتدخل في اطار المنافع العامة التي يستفيد منها كل افراد المجتمع، فالهواء النظيف حق للجميع ولا يحق لاحد تلويثه، والماء حق للجميع ولا يحق تلويثه او الغصب منه وأخذ اكثر من حاجته وكذلك الحال بالنسبة للمزروعات والاشجار والحدائق العامة والشوارع والغابات لا يجوز لاحد التصرف او العبث فيها أو قطعها.^(٩٠) وتدل على ذلك موثقة ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سباب المؤمن فسوق... الى ان قال وحرمة ماله كحرمة دمه)^(٩١)، فهذه الرواية دلت على ان مال المسلم محترم، وبالتشبيه بينه وبين دم المسلم وهي في غاية الاهمية. وهي ضرورة احترام العناصر البيئية لأي مجتمع واضح وصريح لكون هذه العناصر هي اموال عموم المسلمين فيجب احترامها ولا يجوز التعدي عليها.

- قاعدة الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع : ويستفاد من هذه القاعدة من القول المشهور لدى الفقهاء (كل ما حكم به العقل حكم به الشرع)، فاذا حكم العقل بوجوب شيء مثلاً حكماً قطعياً مستقلاً لايد من حكم الشرع به ايضاً، لعدم الانفكاك بين الحكمين، وبحسب الحقيقة حكم العقل الذي كان مورد اتفاق العقلاء بما هم عقلاء نفس حكم الشرع بلا فعل، وعليه يكون وجوب

٨٦- وسائل الشيعة ١٩/١٨١ ب٩ من ابواب الضمان.

٨٧- المبسوط ٨/٧٢ كتاب المدافع عن النفس.

٨٨- التذكرة ٢/٣٧٤.

٨٩- ما وراء الفقه ١٠/٤٧.

٩٠- ظ الاسلام والبيئة ص ١٦٣.

٩١- اصول الكافي ٢/٢٦٨ باب سباب المؤمن ح ٢.

اطاعة المولى، الذي هو من المستقلات العقلية، هو الوجوب الشرعي بعينه والامر به قوله تعالى ﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾. (٩٢) يحمل على الارشاد لتامة البعث عقلاً. وذكرت هذه القاعدة في عدة مجالات منها علم الكلام لإتيان عدالة الله، وفي اصول الفقه لبحث الملازمات وفي الفقه لإثبات الحكم الشرعي، ومورد تطبيقها على البيئة، فان من اوضح وأهم الاحكام العقلية ضرورة حفظ العناصر البيئية لان عدم ذلك ينتج عنه اضرار خطيرة يحكم العقلاء بقبوحها (٩٣).

ويذكر السيد الصدر ان المراد من حكم العقل هذا هو كشفه عن الحكم البشري لا استثناء الحكم، كما قال : (ودور العقل بالنسبة اليه دور المدرك لا دور المنشئ والحاكم). (٩٤) وبناء على ماتقدم فان الملازمة بين حكم العقل القاضي بوجوب دفع الضرر عن البيئة ومكوناتها وعناصرها لأنه ضرر يتعلق بالنفوس والاموال والاعراض، وبين حكم الشرع ينبغي ان يكون من الاحكام التي يتسالم عليها اهل الشرع والعرف وكل العقلاء. فالعقل هو الحاكم اولا واخراً بوجوب حفظ البيئة من الضرر ولا شك بان ذلك يتوافق مع احكام الشريعة ومقاصدها.

• قاعدة وجوب دفع الضرر المحتمل : اي انه اذا احتمل الضرر في عمل من الاعمال يجب دفعه (بحصول المؤمن) ن والواضح ان الضرر الناتج من تلوث البيئة الذي يشكل في عالمنا المعاصر أحد أهم وابرز الأخطار التي تهدد المجتمع البشري ن وكما ذكر في قاعدة الملازمة فان العقل يحكم بوجوب دفع هذا الضرر والخطر الكبير الذي يهدد المجتمعات البشرية.

لاشك ان هذه القواعد الفقهية التي تقول بانها (لاضرر ولاضرار) وان درء المفسد مقدم على جلب المصالح والنهي عن الاسراف والتبذير وعدم الاتلاف والمحافظة على الاموال العامة والخاصة والضمان لها واحترام مال المسلم وعدم التعدي عليه وحكم العقلاء بعدم الضرر على كل مايتعلق بالأمر الحياتية في المجتمع هي من اهم القواعد التي تدي الى المحافظة على البيئة والموارد الطبيعية ولما تفاقمت قضايا البيئة واصبحت الشغل الشاغل للعالم في الوقت الحاضر فان ذلك يستدعي ضرورة ممارسة التربية البيئية في نفوس النشء والشباب ليشبوا عليها، وقد اصبحت لديهم سلوكا معتادا، يحسون بالبيئة ومشاكلها، ويحافظون عليها، ويتحملون مسؤولياتهم الشخصية تجاهها.

الخاتمة واهم النتائج

ان الاهتمام بالبيئة يهدف الى حماية الانسان والمحافظة عليه، ودفع كل اشكال الخطر عنه، ومن هنا نشأت الحاجة الى وضع اسس وركائز لعلم البيئة ورسم اطار عام لتحديد العلاقة والتفاعل والتأثير بين الانسان وكل المخلوقات الحية مع محيطها الذي تعيش فيه.

٩٢- النساء / ٥٩.

٩٣- الاسلام والبيئة ص ١٦٦

٩٤- محمد باقر الصدر ، دروس في علم الاصول ١/٤٢٨.

ولذلك اهتمت الشريعة الاسلامية اهتماما كبيرا بالبيئة لأنها المحيط الذي يعيش فيه الانسان، ولان الاسلام تكفل بالحفاظ عليه وحمايته من الاضرار الناتجة من مخالفة قوانين الشريعة وعدم الالتزام بها بما يسبب الضرر البيئي له، وصولا الى رسم وتحديد اهم المعالم التي تكفل بإيجاد مجتمع بيئي سليم ومعافى. ويتمتع الاسلام بنظرة اعمق واوسع للبيئة، حيث طالب الانسان ان يتعامل مع البيئة من منطلق انها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود، فكانت دعوة الاسلام الى طهارة الروح وتهذيب النفس اولى المنطلقات التي تدفع الانسان الى تطهير وتنظيف كل ما هو حوله في الطبيعة.

فاذا كان الله تعالى قد خلق البيئة وسخرها للإنسان فلا بد ان يشرع القوانين والضوابط والسلوكيات التي تتكفل بحفظها وتوازنها وكيفية التعاطي معها لان الارض هي البقعة المستخلفة له. وظهرت اثار التلوث في كل عناصر البيئة من ماء وهواء وتربة وغذاء، فاصبح الانسان مهددا في امته وصحته وراحته في انحاء الارض، فشرعت قوانين حماية البيئة في الربع الاخير من القرن العشرين كضرورة من الضرورات الاساسية للحفاظ على البيئة التي يعيش فيها الانسان مع غيره من الكائنات الحية في توازن محكم.

واهم الضوابط التي وضعها الاسلام لحماية البيئة هي :-

١. تكثيف العمل الاجتهادي لاستنباط وسن القوانين البيئية بوحى من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويعد تطبيقها من اطاعة الله ورسوله.
٢. حماية البيئة عملية متعددة الابعاد تحتاج الى تشخيص المخاطر البيئية والى ضم الجهود التشريعية والتوعية الى الجهود التنفيذية والاجراءات العملية، وبتكاثف الجهود وتعاضدها يمكننا الوصول الى بيئة افضل وحياة اسلم وأسعد.
٣. ان القوانين الاسلامية والقواعد الفقهية الاسلامية كفيلة بتأسيس فقه بيئي، لكن المشكلة في عدم بذل الجهد الكافي لاستخراج هذه القوانين من الكتاب والسنة وتحويلها الى مادة قانونية مسؤولة عن تطبيقها الدولة.
٤. نهى الاسلام عن الاسراف في استغلال مكونات البيئة، ونهى ايضا عن الفساد فلا يجوز للإنسان تكوين مكونات البيئة او اتلافها من غير سبب مشروع، والاهتمام بمصادر المياه لأنها عصب الحياة وهو وسيلة للنظافة والطهارة.
٥. اهتم الاسلام بالحفاظ على المخلوقات بأنواعها المختلفة لأنها تؤثر في التوازن البيئي، فلا يطغى نوع على آخر لان كل المخلوقات له دوره بقدره الله تعالى، لثمر الحياة وفق انظمة الاسلام.
٦. توجيه سلوك الافراد نحو الاستغلال الجيد لمكونات البيئة وتتضمن عدم الاسراف وعدم التبذير، والبعد عن الترف، والاعتدال والتوازن في كل شيء
٧. العودة الى الطبيعة في طريقة الغذاء وكذلك في مصادر الدواء لان الطبيعة فيها مجالات كثيرة للغذاء الصحي للإنسان وكذلك كثير من الاعشاب والنبات التي بإمكان الانسان الاعتماد عليها في علاجه ودوائه وبعدم الاثار الجانبية لها، من منطلق الوقاية خير من العلاج، ومعظم الامراض هي

قابلة للتوقي بمجرد معرفة كل انسان التزاماته الصحيحة وما يجب عليه اتجاه أسرته واتجاه جسده. وحماية التربة والنباتات والاشجار من اخطار المواد الكيماوية المتداخلة معها او استخدام الاقل ضررا بالنسبة لها.

٨. اصدار تشريعات الضبط بما يتفق ومواجهة أخطار التلوث ويقوم على التوجيهات العلمية الحديثة ذا الفعالية في حماية البيئة، ويجب الحزم في تطبيق هذه التشريعات تطبيقاً فعلياً، فلا تظل معطلة لكثير من قواعد الضبط في كل الدول، مثل قاعدة منع التدخين في الاماكن العامة او المغلقة، وحظر القاء القاذورات في المياه العامة او في الطرقات.
٩. النهي عن الاتجار بالسلع الملوثة والمواد الغذائية التي انتهت صلاحياتها او فيها مواد مخلقة كيميائياً مؤثرة على الانسان وضبط تراخيص المحلات والصيدالة وتكون وفق الضوابط والشروط الصحية العامة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مكتبة الاعلام الاسلامي.
٣. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٤. احمد ابراهيم شبلي، البيئة والمناهج المدرسية، ص٦، الرياض، مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٤م.
٥. احمد عبدة، قضايا البيئة.
٦. الاسلام والبيئة خطوات نحو فقه بيئي.
٧. اصول الكافي: الكليني : محمد يعقوب: باب سباب الممن ح٢.
٨. الالوسي، روح المعاني ١٢/٤٧ بيروت، دار احياء التراث.
٩. بركات محمد مراد ، الإسلام والبيئة، رؤية إسلامية حضارية، ص٣٤ القاهرة: ٢٠٠٣.
١٠. البيئة في الفكر الانساني والواقع الایماني.
١١. البيئة والتلوث محليا وعالميا.
١٢. تحرير المجلة ٢/٢٤٢ مكتبة النجاح، طهران.
١٣. التذكرة: العلامة الحلي /٣٧٤.
١٤. جوزيف. ف رودريكس، الاخطار المحسوبة،.
١٥. حسين الخشن، الاسلام والبيئة خطوات نحو فقه بيئي، ص١٨، بيروت دار الهادي، ط ١.
١٦. خالد عنانزة، متبقيات الادوية والمستحضرات الصيدلانية (نت).
١٧. خالد محمود عبداللطيف، البيئة والتلوث من منظور اسلامي، ص٩٦، القاهرة: ١٩٩٣.
١٨. خليل رزق، الاسلام والبيئة ص٣٢، دار الهادي، بيروت.
١٩. دروس في علم الاصول: محمد باقر الصدر، ١/٤٢٨.

٢٠. الرازي، الحاوي.
٢١. رجاء وحيد دويدري، البيئة مفهومها العلمي المعاصر وعمقها التراثي ص ٢٤، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٥هـ.
٢٢. الزبيدي (محي الدين ابي الفيض الحسيني الواسطي)، شرح تاج العروس من جواهر القاموس، ط ١ دار احياء التراث العربي، مصر، الخيرية، ١٣٠٦ هـ.
٢٣. سلطان ابو عرابي، البيئة المدرسية والتلوث، ص ٢٠، الاردن، مركز التطوير التربوي، ١٩٨٨ م.
٢٤. سنن الترمذي ١/٨٤، دار الفكر ت ٤٣.
٢٥. ظ النووي - رياض الصالحين.
٢٦. عبد الباسط الجمل، الهندسة الوراثية ابحاث البيئة، ص ٢٥٦، القاهرة، دار الرشد.
٢٧. عبد الحكم العميدي، البيئة في الفكر الانساني والواقع الايماني ص ١٧، القاهرة، الدار المصرية، ط ٢.
٢٨. فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، مادة (بوء)، ط ٢، قم، نشر الثقافة الاسلامية، ١٤١٨ هـ.
٢٩. الفقه البيئية : السيد محمد الحسيني الشيرازي.
٣٠. قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ،
٣١. ما وراء الفقه : محمد صادق الصدر .
٣٢. ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، ص ٤٠٥، مصر، دار الجامعة.
٣٣. الميسوط ٧٢/٨ كتاب المدافع عن النفس.
٣٤. مجلة (عالم الفكر) الكويتية، العدد ٣، المجلد ٣٢، سنة ٢٠٠٤ م.
٣٥. محمد الحسيني الشيرازي، الفقه البيئية، ص ١٣، بيروت، مؤسسة الوعي الاسلامي ط ١.
٣٦. محمد باقر الايرواني، دروس تمهيدية في القواعد الفقهية ١/٨٩، قم، مؤسسة الفقه للنشر ط ١، ١٤١٧هـ.
٣٧. محمد باقر المجلسي، بحار الانوار.
٣٨. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تقسيم القرآن ١٦/١٩٥، قم منشورات جماعة المدرسين.
٣٩. مستدرك الوسائل: النوري: من ابواب المائة ؛ البيئة في الاسلام ص ١٣٥.
٤٠. المفردات في غريب القرآن، ص ٦٩، قم، دفتر نشر الكتاب، مادة (بؤ).
٤١. ممدوح حامد عطية، اثم يقتلون البيئة، ص ١٧.
٤٢. الهندسة الوراثية وابحاث البيئة، ص ١٢٥.
٤٣. وسائل الشريعة : الحر العاملي : ج ١٧، ص ٣٤١ باب ١٢ من ابواب احياء الموات .
٤٤. وفاء محروس عامر، المعالجة الحيوية للملوثات البيئية، مجلة اسبوط العدد (٢١) ص ٤٣.
٤٥. ونس ابراهيم مزيد، البيئة في الاسلام ص ١٢٦، دار الحامد ط ١.
٤٦. يحيى وزيري، العمارة الاسلامية والبيئة (عالم المعرفة عدد ٩٧٠٤).

يوسف الفضل، الإنسان والبيئة بين الحضارة الغربية والإسلام، بيروت: ٢٠٠٤. البيئة من منظور إسلامي (www.islamset.com).

الزعامة الدينية للسيد الخوئي لأسبابها آثارها

The religious leadership of AL-Khooie : reasons and effects

م.د. محمد حسين عبود^(١) Inst.Dr. Mohammad Hossein Abood

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد وآله الطيبين الطاهرين
لقد منّ المولى سبحانه وتعالى على الناس، أن بعث فيهم الأنبياء مبشرين ومنذرين، وجعل لهم أوصياء
مستحفظين، يقون دين الله بدمائهم، حتى إذا مضوا أورث شريعته علماء أمة نبيه المصطفى ﷺ، الذين
قال فيهم سيد الكائنات ﷺ ((علماء أمتي كأنياء بني إسرائيل))^(٢)، وورد في الحديث أنه ((إذا كان يوم
القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد ، ووضعت الموازين ، فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح
مداد العلماء على دماء الشهداء))^(٣)، فإذا ثبت لدينا ذلك علمنا بمقام العلماء ومكانتهم، ودورهم في
حفظ نسيج الأمم وتقدمها، ولعل هذا ما دفع الباحث الى الوقوف على أحد الأمثلة، والترجمان العملي
للأحاديث آنفاً، وأعني به السيد الخوئي ﷺ، الذي حضني بما لم يحض به العلماء السابقين عليه
واللاحقين له إذ تسنم زعامة الحوزة العلمية باستحقاق وجدارة، واستطاع أين يدير دفتها في ظروف
سياسية معقدة، كان فيها أعداء الدين والمذهب والمجتمع من طواغيت البعث المقبور، يتحينون الفرص
ويتنظرون الهفوات، من أجل الإنقضاض على الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وتحقيق ماآرب أسيادهم
في إنهاء وجودها بالكامل، كونها تمثل الصرح الأقدّر على تجسيد الأطروحة الإسلامية الصادقة، في وقت

١ - جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية / قسم الدراسات القرآنية.

٢ - المجلسي: بحار الأنوار ٢/٢٣٠.

٣ - السيوطي: الجامع الصغير ٢/٧٦٣.

أضحت فيه الساحة الإسلامية، مركزاً من مراكز تصدير النماذج الممسوحة والمشوهة من علماء البلاط وفقهاء السلطة، فضلاً عن النظريات الفكرية المتطرفة التي تبنتها المؤسسات المشبوهة التي سعت إلى نشرها في أنحاء العالم الإسلامي.

إن السيد الخوئي من الأعلام الذين قلما يجود الزمان بمثلهم، ومن أجل الإمام بأطراف البحث، وبما يتناسب وعنوانه فقد اقتضى البحث أن يكون في مباحث ثلاثة، تضمن المبحث الأول خمسة مطالب تحدثت عن السيرة الذاتية للسيد الخوئي بكل أبعادها، فيما كان المبحث الثاني بمطالب ثلاثة أبرزت أسباب الزعامة العلمية للسيد الخوئي، أما المبحث الأخير فقد كان في الآثار المترتبة على الزعامة العلمية، ثم النتائج التي تمخضت عن البحث، فالمصادر المعتمدة من قبل الباحث.

وختام الكلام مسك الختام بأجزل الشكر للعزيز العلام وأفضل التحايا والسلام على سيد الأنام وآله الكرام.

Abstract

Praise be to Allah and the best prayer and delivery Muhammad and The God of the good and virtuous.

I have from God the Almighty to the people, that sent them prophets, evangelists and, warning, and make them guardians Msthefan, Icon religion of Allah with their blood, even if they went bequeathed his law nation scientists Nabih Mustafa (peace be upon him), who said, including the master objects (God bless him and his family): ((my scientists Kanbea Children of Israel)) (*), and mentioned in the talk that he ((if the Day of Resurrection Allah gather people in one hand, and put the scales, Viozn blood of the martyrs with outrigger scientists, are likely outrigger scientists on the blood of the martyrs)) (1), if that we have it taught us a vendor scientists and their status, and their role in keeping Nations and provided the fabric, and perhaps this is why the researcher to stand on one of the examples, and practical Torgoman to talk above, and I mean by Mr. al-Khoei (may), which DAI including not exhorts its predecessors scientists and subsequent to this assumption by the leadership of the Hawza worthily and well-deserved, and was able Where manages rudderless in a complex political circumstances, where the enemies of religion and creed and community of tyrants Baath buried, waiting for opportunities and Atnzeron lapses, in order to pounce on the Hawza in Najaf, and achieve ends masters in the end the entire existence, it represents the edifice best able to embody the thesis Islamic sincere, at a time when becoming the Islamic arena, a center of export distorted and deformed tiles scientists and scholars power models centers, as well as extreme intellectual theories

adopted by the suspicious institutions that sought to publish in throughout the Muslim world.

المبحث الأول: حياة السيد الخوئي رحمته الله

المطلب الأول: ولادته ونشأته:

السيد الخوئي هو السيد أبو القاسم ابن آية الله السيد علي أكبر الخوئي بن السيد هاشم بن السيد علي أصغر ينتهي نسبه الى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.^(٤) والواقع إن من يروم أن يقف على أعتاب هذا العلم العيلم نشأة ونسباً، لا يحتاج لكثير عناء، أو عظيم جهد، إذ يكفيه أن يتصفح سفره الجليل (معجم رجال الحديث) في الجزء الثالث والعشرين، ليأخذ بيده السيد الخوئي نفسه، ليحدثه عن نفسه، بعد أن يصل في فهرس المعجم المذكور الى اسمه فيقول: ((ولدت في بلدة (خوى) من بلاد أذربيجان في الليلة الخامسة عشر من شهر رجب سنة (١٣١٧هـ)، وبها نشأت مع والدي وأخوتي، وأتقنت القراءة والكتابة وبعض المبادئ، حتى حدث الاختلاف الشديد بين الأمة، لأجل حادثة المشروطة، فهاجر المرحوم والدي من اجلها الى النجف الأشرف سنة (١٣٢٨هـ)، والتحققت به في سنة (١٣٣٠هـ) برفقة أخي الأكبر المرحوم السيد عبد الله الخوئي، وبقية أفراد عائلتنا))^(٥).

وحين وصل السيد الى النجف الاشرف، وحل في عرين جده أمير المؤمنين عليه السلام، ابتدأ رحلته العلمية بقراءة العلوم الأدبية والمنطق.

المطلب الثاني: أساتذته.

قرأ السيد الخوئي الكتب الفقهية والأصولية لدى طائفة واسعة من أعلام حوزة النجف الاشرف العلمية. على رأسهم والده العلامة رحمته الله، وحضر الدروس العليا (المبحث الخارج) عام (١٣٣٨هـ) على أكابر علماء زمانه آنذاك وهم^(٦):

١. آية الله فتح الله المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني (ت ١٣٣٩هـ).
٢. آية الله الشيخ مهدي المازندراني (ت ١٣٨٥هـ).
٣. آية الله الشيخ ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١هـ).
٤. آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت ١٣٦١هـ).
٥. آية الله الشيخ محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥هـ).
٦. آية الله السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ).

٤ - ظ: مجلة الموسم \ أكاديمية الكوفة \ المركز الوثائقي لتراث أهل البيت عليهم السلام - هولند \ عدد خاص عن الإمام الخوئي المرجع الشيعي الأكبر \ ٢٥٣.

٥ - السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ): معجم رجال الحديث \ الطبعة الخامسة (١٤١٣هـ) \ ٢٣ \ ٢٠.

٦ - ظ: م. ن. ٢٣ \ ٢٠ + الشاهرودي: نور الدين: المرجعية الدينية ومراجع الامامية \ طهران - إيران (١٤٤٦هـ) \ ١٥٣.

وغيرهم من جهابذة الفقه، وكان قد تتلمذ على الأصفيهاني و النائي في الفقه والأصول، أكثر من غيرهما، إذ حضر على كل منهما دورة كاملة في الأصول، وعدة كتب في الفقه.

كما انه قرر بحث كل منهما، وقد بزغ نجم السيد الخوئي في سماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف، فحاز في الرواية - بعدة طرق - إجازة جملة من الفقهاء العظام، ومن تلك الطرق، ما رواه عن شيخه النائيني عن شيخه النوري بطريقة المحررة في كتابه (مستدرك الوسائل) المعروفة بـ (مواقع النجوم)، المنتهية الى أهل البيت عليه السلام.

تميز بحثه بالبلاغة والبيان، والمقدرة العالية على إيصال أفكاره الى طلابه^(٧)، وبلغ من المكانة العلمية السامية ما جعله المرجع العام، وزعيم الحوزة العلمية في النجف الاشرف. والشيعية في أنحاء العالم. فتأتى له بذلك ما لم يتأت للسابقين له والمتأخرين عنه ((بوصفه الأستاذ الأكبر والمرجع الديني الأكثر))^(٨) تقليداً في العالم الإسلامي.

المطلب الثالث: تلامذته:

لعل مما يميز السيد الخوئي هو كثرة تدرسه في الحوزة العلمية، وألقى محاضراته في الفقه (البحث الخارج)، وأتم دورتين كاملتين لمكاسب الشيخ الأنصاري رحمته الله^(٩) (ت ١٢٨١هـ)، كما درّس جملة من الكتب الأخرى، ودورتين كاملتين لكتاب الصلاة، وشرع في ٢٧ ربيع الأول عام (١٣٧٧هـ) في تدريس فروع (العروة الوثقى) للسيد اليزدي (ت ١٣٣٧ هـ) فبدأ بكتاب الصلاة^(١٠).

إن من أهم الصفات العلمية للسيد هو انفراده عن غيره من المراجع، وانصرافه الى تدريس تفسير الفران الكريم، وقد استمر على ذلك برهة من الزمن، غير أن ظروفًا حالت دون تحقيق رغبته في إتمامه^(١١)، وقد أثمر تدرسه في الحوزة عن بروز جمع غفير من طلبة العلوم الدينية،^(١٢) أضحوا فيما بعد ما بين مجتهد ومرجع، انتشروا في أصقاع الأرض، لنشر فقه المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، والدعوة الى الخير والفضيلة، لعل من أبرزهم:

١. آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله (ت ١٤٠٢هـ)
٢. آية الله العظمى السيد على السيستاني (معاصر).
٣. آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (معاصر).
٤. آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفيض (معاصر).
٥. آية الله الشيخ باقر الايرواني (معاصر).

٧ - ظ: الغروي : محمد (معاصر): مع علماء النجف الأشرف/ ط١ (١٤٢٠هـ) الثقلين بيروت - لبنان ٥١٩/٢.
 ٨ - الشاهودي : المرجعية الدينية ومراجع الإمامية / ١٥٤.
 ٩ - ظ: السيد الخوئي : معجم رجال الحديث ٢٢٣\٢٢٢.
 ١٠ - ظ: م. ن. ٢٢\٢٣.
 ١١ - ظ: م. ن. ٢٢\٢٣.
 ١٢ - بلغ تلامذة السيد الخوئي أكثر من (ستمائة) تلميذ ظ: مجلة الموسم \ ٢٧٧.

٦. السيد الشهيد عبد الصاحب الحكيم بن محسن الحكيم.
٧. السيد عبد العزيز الطباطبائي.
٨. الشيخ عبد الهادي آل راضي النحفي (معاصر).
٩. السيد عبد الكريم الاردبيلي الموسوي (معاصر).
١٠. الشيخ ميرزا جواد التبريزي (معاصر).
١١. الشيخ احمد البهادلي (معاصر).
١٢. السيد علاء الدين بحر العلوم.
١٣. الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر).

وغيرهم مما قد يطول المقام بذكرهم، وقد انبرى جمع كبير من تلامذته لتقرير أبحاثه، والتعليق على فتاواه كالشيخ الفياض^(١٣)، والميرزا جواد التبريزي^(١٤) والسيد محمد الروماني^(١٥)، والسيد علي الشاهرودي^(١٦)، والسيد علاء الدين بحر العلوم^(١٧)، وسواهم.

المطلب الرابع: مؤلفاته وآثاره:

ترك السيد الخوئي إرثاً علمياً ثراً تقاسمته علوم الفقه والأصول والتفسير والرجال، وغيرها، تحكيه المصنفات والمؤلفات المتناثرة في القضايا المعرفية المتنوعة، لعل من أبرزها^(١٨):

١. البيان في تفسير القرآن.
٢. أجود التقريرات^(١٩) (تقرير بحث أستاذه النائيني).
٣. تكملة منهاج الصالحين.
٤. مباني تكملة منهاج الصالحين.
٥. تهذيب وتتميم منهاج الصالحين.
٦. المسائل المنتخبة.
٧. تعليقة على العروة الوثقى^(٢٠).
٨. رسالة في اللباس المشكوك.
٩. نفحات الإعجاز.

١٣ - ظ: الشيخ الفياض: محمد اسحاق: محاضرات أصول الفقه (تقرير بحث الخوئي) / مطبعة النجف (١٣٨٢).

١٤ - في كتابه صراط النجاة.

١٥ - ظ: تعليقاته على مناسك الحج للسيد الخوئي.

١٦ - ظ: علي الشاهرودي: دراسات في أصول الفقه (تقرير بحث الخوئي).

١٧ - ظ: السيد الخوئي: مصباح الأصول (تقرير بحث الخوئي) للسيد علاء الدين بحر العلوم.

١٨ - تطرق السيد الخوئي للذكرها في معجمه، ظ: المعجم ٢٣/٢٤ + الغروي: مع علماء النجف الأشرف ١٩/٢، وغيره.

١٩ - يشتمل على مباحث أصولية معمقة فيها عصاره الفكر الأصولي للسيد الخوئي والشيخ النائيني، ويعد أول أثر للسيد الخوئي. ظ: الحسيني اللوساني: حسن (ت. ١٤٠٠هـ): نور الأفهام في علم الكلام / تحقيق ابراهيم اللوساني / مؤسسة النشر الإسلامية ط ١ (١٤٢٥هـ) ١/٣٥.

٢٠ - يتضمن آراء السيد الخوئي وفتاواه وتعليقاته على كتاب العروة الوثقى للسيد البيزدي.

١٠. منتخب الرسائل.
 ١١. منتخب توضيح المسائل.
 ١٢. تعليقة على المسائل الفقهية.
 ١٣. مناسك الحج (عربي).
 ١٤. مناسك الحج (فارسي).
 ١٥. تعليقة المنهج لأحكام الحج.
- وغيرها من المؤلفات التي جاد بها فكر السيد الخوئي رحمته الله.

المطلب الخامس: وفاته:

مع كل ما الم به من الضعف والهزال وهو في مرض الموت، غير أنه لم يكن لينقطع عن الإفتاء والبحث، وكان ألقه العلمي وهمنه لاتفارقاه، حتى أيامه الأخيرة، التي أصيب فيها بنكسة في قلبه، وكان ذلك في أوائل عام (١٩٩٣م)، ونقل على أثرها إلى مستشفى ابن النفيس في بغداد، ولم يعيش بعدها طويلاً، فرحل الى الرفيق الأعلى في صفر من نفس العام، ودفن بجوار جده أمير المؤمنين عليه السلام، وأرخت وفاته بأبيات للأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير كتبت على واجهة قبره وهي :

لما اصطفينا للهدى مرجعاً
ومن علي قد دنا موقِعاً
وأصبح الخوئي فيه دفين
وهكذا عاقبة المتقين
نودي فاهتز لها مسمِعاً
إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً^(٢١)

المبحث الثاني: أسباب الزعامة الدينية للسيد الخوئي.

لا بد قبل الخوض في أسباب الزعامة، من التطرق الى معنى الزعامة، فقد ورد في كتب الصحاح، بان المراد منها هو السيادة، فرعيم القوم : سيدهم ورأسهم الذي يتكلم عنهم، وزعم يزعم زعامة ، أي : صار لهم زعيماً سيداً^(٢٢)

تميز عصر السيد الخوئي رحمته الله بميزة يمكن عدّها من أهم الأسباب التي منحته الانفراد عن سائر الأعصار التي مرت بها حوزة النجف الأشرف العلمية، وهي توليه زعامة الحوزة العلمية، على نحو لم يكن لغيره، ممن سبقه، أو خلفه من المراجع، فقد كان زعيم الشيعة في العالم، ودان له أبناء المذهب في كل أصقاع المعمورة بالولاء والطاعة. من هنا فان زعامته في . الواقع . ظاهرة تستدعي الإعجاب والتأمل والبحث، وهذا مادعى الباحث لغور أسرارها، وسبر أغوارها، واستظهار الأسباب الكامنة وراءها، والتي تتبلور في تقدير الباحث في أبعاد ثلاث تناثرت في مطالب ثلاثة هي:

٢١ - ظ: محمد حسين الصغير: فقه الحضارة / ٤٣.

٢٢ - ظ: الفراهيدي: كتاب العين ١/ ٣٦٤.

المطلب الأول: البعد العلمي :

فمكانة السيد الخوئي العلمية ونشاطه الحوزوي والدؤوب طيلة توليه - على كبر سنه - لمنصب الزعامة الدينية يكشفان عن جانب مهم من جوانب شخصية، التي أهلتها لهذه المكانة، ولكي نلم بجوانب هذه البعد ينبغي التعرض له ضمن الجهات الآتية:

الأولى: اجتهاده:

انتقل السيد الخوئي من اذربايجان الى النجف الاشرف وله من العمر ثلاث عشر سنة وانخرط في السلك الحوزوي متقلداً بين دروس البحث الخارج وهو لما نزل شاباً يافعاً، فكان لذلك أثراً بالغاً في نبوغه العلمي في وقت مبكر قياساً لأقرانه، وكان لتعدد المناهج الأصولية - آنذاك - في حوزة النجف مدخلة كبيرة في صقل هذا النبوغ، فقد أفاد السيد الخوئي من مدارس ثلاث^(٢٣).

كان أربابها من أساتذة السيد الخوئي، تباينت الرؤى الأصولية فيما بينها، فمدرسة الأصفهاني كانت متأثرة بالمنهج الفلسفي، لأنها تعكس توجه الشيخ الأصفهاني، الذي اشتهر بالفلسفة والحكمة، وقد كان متألماً كما يعبر عنه البعض.

أما مدرسة اقا ضياء العراقي فرمما كانت على خلاف مدرسة الأصفهاني، إذ أنه كانت تعتمد المنهج العلمي الخالص دون الآراء الفلسفية، فيما كانت مدرسة الشيخ النائيني جامعة للمنهجين؛ لذا فقد غطت مدرسة النائيني على مدرسة العراقي والأصفهاني،

والحق أن وجود المدارس الثلاث في الساحة العلمية لحوزة النجف الأشرف، كان له أثر بالغ في تهيئة الظروف للسيد الخوئي لأن يجمع بين هذه المدارس الثلاث، ويبلورها في مدرسة خاصة، عرفت فيما بعد بمدرسة السيد الخوئي^(٢٤)، واستطاع ببراعة أن يبيّن أساس آراء الأصفهاني ويحل طلاسم أفكاره، مع ما يكتنفها من عمق فلسفي، واستطاع أن يجمع بين دقة الفيلسوف، وعرفيات الفقيه، من دون أن تشعر بتفاوت في مستوى الأداء^(٢٥).

ولعل في قوله الذي ينقله عنه تلميذه وخليفته السيد السيستاني، ما يكشف عن احتوائه وهضمه لأفكار أساتذته، إذ يقول: ((لكل شي علة مادية وعلّة صورية، والعلّة المادية لأصولنا أفكار الشيخ الأصفهاني الكمباني، والعلّة الصورية له أفكار المحقق النائيني))^(٢٦).

من هنا أصبحت آراؤه تذكر الى جانب آراء أساتذته، وقد ساعده على ذلك قربه من أستاذه النائيني، وربما ذهب بعض الباحثين الى أن المدرسة الأصولية بدأت بالشيخ المفيد وانتهت بالسيد الخوئي^(٢٧).

٢٣ - ظ: مجلة الموسم / ١٤٠.

٢٤ - ظ: مجلة الموسم / ١٤٠.

٢٥ - ظ: الشيخ الاصفهاني (ت ١٣٦١هـ): حاشية المكاسب/ تحقيق عباس محمد السباع / ط ١٤١٨هـ / مطبعة العلمية / المقدمة ص ٨.

٢٦ - ظ: م. ن. ١٧٦٦.

٢٧ - الشاهرودي: المرجعية الدينية ومراجع الامامية ١٥٨

وبعبارة أخرى إن زمام التجديد الأصولي، لم يحسن أن يمسك به من المتأخرين، مثل ما برع به السيد الخوئي، وإن التجديد في أصول الفقه بعده، لا يعدو أن يكون تجديداً في العرض والأسلوب والتبويب إن لم يكن تكرار واجتراراً، ولم يكن بالمستوى الذي يرقى لان ينعت أصحابه بأنهم أصحاب مدرسة كالسيد الخوئي رحمته.

من ثم تتضح لنا الجوانب العلمية لهذه الشخصية. التي كان من شأنها أن ترتفع بصاحبها الى مستوى زعامة الحوزة العلمية في النجف الاشرف من جهة، والمحافظة على أسبابها من جهة أخرى.

الثانية: أعلميته:

قد يتراعى للبعض انه لا فرق بين علمية المرجع واجتهاده، وأنهما يفضيان الى معنى واحد، بيد أن الواقع يكشف خلاف ذلك، فقد يكون العالم مجتهداً أحياناً، ولا يكون الأعلام، وقد يكون مجتهداً؛ لأنه الأعلام بين أقرانه، وهذا ما حظي به السيد الخوئي بمجدارة واستحقاق، تُعرب عن ذلك الإشراقات العلمية المتميزة في تأريخه، مضافاً لإبداعه الأصولي والفقهية اللذان تقاسمهما مع غيره من المجتهدين. لعل من أبرز تلك الإشراقات، إبداعاته في الحقل الرجالي، فقد كان بحق رجالياً بارعاً، ومتتبعا ضليعاً بأحوال الرجال، تكشف عن ذلك موسوعته الرجالية المعروفة (معجم رجال الحديث)، التي تُعد من احداث ما كُتبت في الرجال ومن أكثرها شمولاً، ومن خصائص هذه الموسوعة ومزاياها ((انه قد ذكر في ترجمة كل شخص جميع روايته، ومن روى عنهم في الكتب الأربعة، وقد يذكر ما في غيرها أيضاً، ولاسيما رجال الكشي، فقد ذكر أكثر ما فيه من الرواة، والمروي عنهم))^(٢٨).

والحق إن معجم رجال الحديث للسيد رحمته ينبى عن مقدرة عالية، وإحاطة تامة بأدوات علم الرجال، أنتجت هذا العطاء، حتى أصبحت أراؤه في الرجال، من أهم ما يرجع إليه المحققون. وربما كان الداعي في ذلك أن السيد من أكثر الرجاليين تشدداً في مسائل الجرح والتعديل^(٢٩)، باعتبار أن السند من أهم ما تنكئ عليه الرواية المستقاة من المعصوم عليه السلام، هذا أولاً، وثانياً ما ابتنى عليه منهج السيد الرجالي من موضوعية، فلم يكن انتسابه العقائدي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام عائقاً أو مانعاً من إبداء آرائه العلمية، ولم يدفعه الى المحاباة أو الجاملية، إذ يصرح بأنه ((لم تثبت صحة جميع روايات الكافي... بل إن بعضها يطمأن بعدم صدورها من المعصوم عليه السلام))^(٣٠).

هذا في مقابل مدرسة الجمهور الحديثية، التي ترى إن كل ما ورد في صحيح البخاري صحيح، لأنه اصح كتاب بعد كتاب الله^(٣١).

٢٨ - السبحاني(معاصر): كليات في علم الرجال/ ط٣(١٤١٤هـ)/ مؤسسة النشر الإسلامي/ ١٤٦.
٢٩ - ظ: الصغير: جلال الدين(معاصر): من عنده علم الكتاب/ ط١(١٤١٩هـ)/ دار الأعراف للدراسات/ ١١٤.
٣٠ - معجم رجال الحديث ١/ ٨٦.
٣١ - ظ: ابن حبان(ت٣٥٤هـ): صحيح ابن حبان/ تحقيق شعيب الأرنؤوط/ ط٢(١٤١٤هـ)/ مؤسسة الرسالة/ المقدمة ص٢٣.

ومن الجدير بالذكر انه نظراً لأهمية كتاب معجم رجال الحديث، انبرى بعض العلماء الى تلخيصه بكتاب اسمه (المفيد من معجم رجال الحديث)^(٣٢).

أما جهود السيد في مجال التفسير، فإنها لا تقل عن نظيرتها في علم الرجال، فقد ألف كتابه المعروف (البيان في تفسير القرآن)، الذي يُعد واحداً من الجواهر النفيسة التي نهل منها الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ).

والحق إن السيد قد أضاف بتلك الخطوة - حوض غمار التفسير - منهجا جديدا لم يكن مألوفا في الحوزة العلمية، كون جهودها تركزت بالاتجاه الفقهي والأصولي المعني بدراسة أدوات وآليات استنباط الحكم الشرعي من خلال روايات المعصومين عليهم السلام.

وكيفما يكن الأمر فقد كان السيد الخوئي يدرّس التفسير جنباً الى جنب مع الفقه والأصول، مستغلاً أيام التعطيل في ذلك، ودأب على ذلك لفترة طويلة^(٣٣).

مؤكداً على أن المفسر ينبغي عليه ((أن يجري مع الآية، حيث تجري، ويكشف عن معناها حيث تشير، ويوضح دلالتها حيث تدل، وعليه أن يكون حكيماً حيث تشمل الآية على الحكمة، وخلقياً حيث ترشد الآية الى الأخلاق، وفقهياً حيث تتعرض للفقه، واجتماعياً تبحث في الاجتماع، وشيئاً آخر حين ينظر في أشياء أخرى))^(٣٤)، وقد دافع في بيانه عن شبهة التحريف التي تثار من قبل المستشرقين من جهة، أو من قبل بعض فرق المسلمين الذين يتهمون الشيعة بتحريف القرآن من جهة أخرى، فيقول - داحضاً مزاعم الجانين - بعد أن يستعرض الشبه، ويفندها شبهة شبهة: ((إن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخیال، لا يقول به، إلا من ضعف عقله))^(٣٥)، كما اثبت تهافت الروايات القائلة بنزول القرآن على سبعة أحرف، متشهداً بحديث الإمام الباقر عليه السلام ((إن القرآن واحد نزل من عند واحد))^(٣٦)، كما انه تصدى لحمالات الغزو الثقافي الغربي التي سعت باتجاه النيل من سلامة القرآن، حين قامت إحدى المطابع الانكليزية الأمريكية في بولاق بمصر عام (١٩١٢م) بتأليف كتاب تحت عنوان (حسن الإيجاز في بطلان الإعجاز)، فألف السيد - رداً على هذا التوجه - كتاباً بعنوان (نفحات الإعجاز)^(٣٧).

ولعل مسك الختام في هذا الشاهد الذي يكشف عن المقام العلمي للسيد الخوئي، ما نقله الشيخ هاشم الأملي وهو من تلامذة المحقق آقا ضياء العراقي (ت ١٣٦١هـ)، وممن كتب تقريراته، في كتابه (بدائع الأفكار)، انه سُئل لماذا لا تحضر بحث المحقق النائيني؟ فأجاب: لأنه محاط بأسود ينقضون كل إشكال يورد على المحقق وهو السيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ حسين الحلبي عليه السلام^(٣٨).

٣٢ - ظ: الجواهري: محمد(معاصر): المفيد من معجم رجال الحديث/٢(١٤٢٤هـ)/ مكتبة الخلّاتي قم - ايران.

٣٣ - ظ: مجلة الموسم /١٧٧.

٣٤ - السيد الخوئي: البيان في تفسير القرآن/ ١٢.

٣٥ - م. ن /١٧٧.

٣٦ - الكليني: محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ): الكافي/ تحقيق علي أكبر غفاري/ ط٤/ دار الكتب الاسلامية - طهران ١٣٦٢.

٣٧ - ظ: معجم رجال الحديث ٢٣/٢٤+ البيان في تفسير القرآن/ هامش ٥٨، إذ أشار السيد لهذا الكتاب في هذين

المصدرين.

٣٨ - ظ: مجلة الموسم /١٠٧-١٦٦.

الثالثة: مرجعيته:

تولى السيد محسن الحكيم زعامة الحوزة - بعد وفاة السيد أبي الحسن الأصفهاني عليه السلام (ت ١٣٦٥هـ)، في زمن كادت أن تهيمن فيه أفكار الإلحاد عبر التوجهات الشيوعية، التي بدأت تتسع شيئاً فشيئاً، غير أن فتاوى السيد الحكيم، التي مثلت الثورة الثقافية آنذاك كانت بالمرصاد، فحالت دون انتشاره، كما أنه سعى الى جمع كلمة الشعب العراقي، حين أفتى - وبكل جرأة وشجاعة - بجرمة مقاتلة الأكراد، حتى إذا شاءت يد القدرة الإلهية بمفارقة هذا الزعيم، استلم السيد الخوئي بعده زعامة الحوزة العلمية، واتسعت قاعدة تقليده شيئاً فشيئاً، وتوسعت معها زعامته، ليكون زعيم الحوزات العلمية المتناثرة في أرجاء المعمورة بأسرها^(٣٩)، وقد شهدت مرجعيته ثلاثة أجيال من تلامذته الذين بلغوا رتبة الاجتهاد^(٤٠)، فلا غرو إذن أن يستحوذ السيد الخوئي على منبر البحث الخارج لأكثر من سبعين عاماً^(٤١). ومن الجدير بالذكر إن السيد الخوئي - حسب ما ينقل احد تلامذته وهو آية الله الشيخ باقر الايرواني - نال لقب زعيم الحوزة العلمية، حتى في حياة السيد الحكيم

ولعل من أسباب ذلك، كما يذكر الشيخ الايرواني، هو كثرة طلابه، الذين اعتادوا حضور درسه حتى أيام التعطيل، يجذبهم لذلك اشتماله على العمق الأصولي، وسحر البيان، ووضوح المطلب، وجلاء الفكرة، وغيرها من الدواعي، التي من شأنها شد أوساط الطلبة إلى درسه وبجته.

المطلب الثاني: البعد الإداري

إن المراد بهذا البعد هو انصراف السيد واهتمامه بإدارة الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وسائر الحوزات الأخرى في العالم الإسلامي، لذا اقتضى البحث في هذا البعد أن يكون على صنفين:

الصنف الأول: إدارته للحوزة العلمية في النجف الاشرف :

تميز نظام الحوزة الاقتصادي والسياسي والإداري عبر تاريخها الطويل بالاستقلال عن سياسة الحكومات المتعاقبة، فالمرجعية هي المسؤولة عن إدارة الحوزة، ومتابعة شؤون طلابها، ولم يكن من اليسير بمكان، أن تدار الحوزة العلمية في النجف الاشرف، تلك المؤسسة الدينية الكبرى، من قبل شخصية واحدة، ما لم تكن واحدة لمؤهلات عالية، ومقدرة فريدة، تتكفل بأعباء همة منها: إلقاء دروس البحث الخارج، والإجابة على الاستفتاءات، والتفريغ للتأليف والتصنيف، والانشغال بالعبادة والأوراد والأذكار، وقضاء حاجات الناس والمحتاجين، وغيرها من المهام، و مع كل هذه المسؤوليات الجسام، وما رافقتها من التحديات السياسية الخطيرة من قبل جهاز البعث الحاكم، فقد برع السيد في حسن إدارة الحوزة، وحمايتها، إذ كان يتعهد طلبة الحوزات العلمية في النجف، وسائر أنحاء العالم بالرواتب والمساعدات المالية والمعنوية لكي يتفرغ الأساتذة والطلاب للبحث والدرس، واعتمد في سد متطلبات كل ذلك على

٣٩ - ظ: مجلة الموسم / ١٠٨.

٤٠ - ظ: م.ن / ١٧٦، نقلا عن ولده السيد عبد المجيد الخوئي.

٤١ - ظ: م.ن / ٢٨٨، نقلا عن آية الله الشيخ باقر الأيرواني.

((المقدرة التامة، والإمكانات المالية اللازمة لذلك، بسبب الوجوه والأموال الشرعية الهائلة التي كانت تتدفق عليه من مختلف البلدان))^(٤٢).

خلاصة القول إن السيد الخوئي رحمته الله، أدار الحوزة العلمية طيلة عقدين ونيف من الزمان، على أفضل الوجوه وأكملها، وواجه الأوضاع السياسية المعقدة بعزم وقوة، أنبأت عن سمات جليلة، وقدرات عالية، كان لها الأثر في حفظ كيان الحوزة ومقامها.

الصنف الثاني: اهتمامه بالعمل المؤسساتي:

يمكن القول أن الإرهاصات الأولى للعمل المؤسساتي كانت في زمن المرجعية الدينية للسيد محمد مهدي بحر العلوم رحمته الله (ت ١٢١٢ هـ)، حين قسّم المهام العلمية والإدارية والدينية وسواها بين تلامذته ومريديه، حيث كلّف الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٧ هـ) بمشؤلية لتقليد والفتوى، وأناط بالشيخ حسين نجف (ت ١٢٥٢ هـ) مهمة الإمامة في الصلاة، فيما كان الشيخ شريف محي الدين مفرغاً للقضاء والخصومات، واضطلع هو بأعباء الدرس والزعامة الكبرى، وإدارة شؤون الحوزة العامة والخاصة^(٤٣).

وقد كان السيد الخوئي، أول مرجع معاصر ((اهتم بالعمل المؤسساتي تأسيساً ودعماً))^(٤٤)، بعد أن كانت مهام المرجعية السابقة على مرجعيته، مقتصرة على رعاية شؤون طلاب الحوزة في النجف الأشرف، دون الاهتمام بالعمل الجماعي أو المؤسساتي.

ولعل من أبرز الأسباب والدواعي، التي دفعت السيد الخوئي الى ايلاء هذا الجانب عناية خاصة، هو اتساع رقعة التقليد بالنسبة له، إذ لم يتفق أن حضني مرجعاً من مراجع الشيعة من انتشار جغرافي واسع التقليد، كما حضني به السيد الخوئي.

والواقع يمكن القول أن السيد نجح بشكل لافت في أن يتخطى برقعة تقليده الحدود القومية والجغرافية والعرقية، ليحظ بمكانة مهيبه لدى القاضي والداني.

من هنا فقد انصرف السيد الى تشييد المدارس العلمية والدينية والمساجد والمؤسسات الخيرية في مختلف البلدان الإسلامية^(٤٥)، فشمخت حوزات شتى في بقاع مختلفة من العالم كالهند وباكستان وتايلند ودول اوربا ودول افريقيا، وغيرها.

ولأجل تفعيل التواصل وترسيخه بين المرجعية، وأبناء المذهب في أنحاء العالم المترامية، أمر بتأسيس مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، التي قامت - وبفترة قصيرة - بمشاريع دينية واجتماعية وثقافية ضخمة، وفي عدة دول، أوضحت بسببها مؤسسة عالمية^(٤٦)، كما انه اهتم بتأمين مرتبات طلاب العلوم في الحوزات المختلفة، فضلاً عن رعايته للمؤتمرات والمهرجانات الكبرى كرعايته للمؤتمر العالمي الذي انعقد في

٤٢ - الشاهرودي: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية/١٥٤.

٤٣ - ظ: بحر العلوم(ت ١٢١٢ هـ): الفوائد الرجالية/تحقيق محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم/ ط١/مكتبة الصادق - طهران ٤١/١.

٤٤ - ظ: مجلة الموسم/١٠١.

٤٥ - ظ: م.ن/١٧٦.

٤٦ - ظ: الشاهرودي: المرجعية الدينية ومراجع الامامية/١٥٤.

لندن من ١٨ - ٢٠ من ذي الحجة الحرام عام (١٤١٠ هـ) بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على يوم الغدير^(٤٧).

خاتمة القول إن التشيع إذا أُريد له الإقصاء والتهميش في داخل العراق أيام زعامة السيد الخوئي، فقد قُدِّر له أن ينتشر خارج العراق بشكل كبير، كان السيد الخوئي سبباً مباشراً في هذا الانتشار.

المطلب الثالث: البعد السياسي:

ويتجسد في الوضع السياسي الذي رافق مرجعية السيد الخوئي^{عليه السلام}، إذ وافق تولي السيد الخوئي لزعامة الحوزة العلمية، مع استلام حزب البعث لمقائيد الحكم في العراق اثر انقلاب اسود، وقد كشف نظام الحكم، ومنذ أيام حكمة الأولى عن نيته المبيتة في إنهاء التيار الإسلامي المتمثل بالحوزة العلمية، وتصفية رموزه.

والحق إن السيد أدرك أيام زعامته للحوزة أكثر من عقدين، من حكم حزب البعث المقبور، الذي قام خلال العقد الأول منهما، واعني به سبعينات القرن المنصرم بإقصاء قيادات الحركات الإسلامية، وطلبة الحوزة العلمية، فيما سعى في بداية العقد الثامن وما بعده، الى تصفية الرموز الدينية، وشن الحملات المريعة في الاعتقال والقتل والتعذيب، ابتداءً باعتقال تلميذ السيد الخوئي آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر^{عليه السلام} (ت ١٤٠٢ هـ) وأخته العلوية الطاهرة بنت الهدى، وإعدامهما فيما بعد، ونشر الرعب والفرع في أوساط الشعب العراقي، من خلال الإعدامات العشوائية الهائلة، من غير جرم، أو ذنب.

من هنا كان العقد الثامن من القرن المنصرم، من أحلك الظروف والفترات التي مر بها العراق، وقد كانت الحوزة العلمية عرين العلماء ومأوى الفقهاء، المستهدف الأول لدى نظام الحكم، فهي تشكل الخطر الأكبر الذي يهدد الوجود البعثي؛ لان الفكر الحوزوي كشف في وقت مبكر أبعاد المخطط، الذي رام من ورائه حزب البعث القضاء على الجذوة الإسلامية في العراق، وقد راح ضحية هذا الوضع الحرج الآف الشهداء والمعتقلين من علماء الحوزة، ومراجعها وفضلائها وطلابها، بل إن حملات التصفية الجسدية لم تستثن حتى الأطفال، كما حصل مع أنجال وأحفاد السيد محسن الحكيم^{عليه السلام} (٤٨)، وقد نالت عائلة السيد الخوئي^{عليه السلام} حظاً وافراً من هذا الظلم والجبروت، إذ اغتال النظام ولده السيد محمد تقي الخوئي، فيما هاجر من بقي من ولده الى خارج العراق، وحينما ثار الشعب في انتفاضته الشعبانية العارمة عام (١٩٩١ م) التي كان للسيد دوره الثوري فيها، اعتقل النظام الحاكم السيد السيستاني والشيخ البروجردي والشيخ الغروي، وقد توزع سجنهم بين فندق دار الاسلام ومعسكر الرزاة ومعتقل الرضوانية^(٤٩)، وكان الموت طال بهم في كل ذلك.

٤٧ - ظ: الشاكري: ربع قرن مع العلامة الأميني/ ٣٠٤.

٤٨ - ظ: الحكيم: عبد الصاحب: منتقى الأصول (تقرير بحث الروحاني)/ ط٢ (١٤١٦ هـ)/ مطبعة الهادي/ المقدمة ١٦.

٤٩ - بحر العلوم: محمد صادق محمد باقر: الامام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة/ النجف الاشرف/ ٤٤.

وقد واجه السيد الخوئي رحمته الله هذا الوضع المعقد بكل أدواره بحكمة وأناة وصبر، حفظ بها كيان الحوزة من كيد النظام الحاكم، مع كل ما يعاني من الضغط النفسي الكبير والتضييق الخانق، من قبل مخبرات النظام، وقد ألجأ هذا الظرف القاهرة طائفة من فضلاء الحوزة العلمية في النجف الاشرف، الى مغادرة العراق، كما دفع السيد رحمته الله الى توظيف النصيب الأكبر من القدرات المالية، والأنشطة العلمية للحوزة خارج حدودها هذا من جانب، من جانب آخر فان الظرف السياسي الصعب التي كانت تمر به الحوزة أبان زعامة السيد الخوئي، وبقائها شاخصاً علمياً ومعلماً معرفياً جليلاً، رغم التحديات التي تحيط بها. كان من شأنه أن يبعث على إعجاب الشيعة وإكبارهم في أنحاء المعمورة، وان تنجذب إليها العقول والقلوب، مما سينعكس، ويصب بالتالي، باتجاه تأكيد الكفاءة والاستحقاق للسيد الخوئي، وعلى كافة الأصعدة في تولي زعامة حوزة النجف العلمية.

المبحث الثالث: آثار الزعامة الدينية:

لاشك إن زعامة السيد الخوئي للحوزة العلمية في النجف الاشرف لأكثر من عقدين من الزمان وفي تلك الفترة الصعبة من تاريخ الحوزة - كما مر - تركت آثاراً يمكن حصرها بالنقاط الآتية.

أولاً- انتشار الحوزات العلمية في أرجاء العالم الإسلامي، بعد ما كانت مقتصرة على حوزة النجف الاشرف، وقم المقدسة، فقد أنشئت حوزات علمية كثيرة في بلاد الخليج، وأوربا، وبلاد اسيا وأفريقيا، وغيرها، كانت تلقى رعايتها وعنايتها من السيد الخوئي رحمته الله.

ثانياً - في الوقت الذي كان فيه التيار الإسلامي مُحارباً في العراق، فقد لقي رواجاً وانتشاراً واسعاً وكبيراً خارج العراق متمثلاً بالمراكز الإسلامية، والمؤسسات الثقافية، التي أخذت على عاتقها الدعوة الى الفكر الإسلامي، ونشر الإسلام المحمدي الأصيل، وقد كان لها دوراً كبيراً في جذب تعاطف أبناء الديانات الأخرى معها، فكان من آثارها دخول طائفة واسعة منهم في الدين الإسلامي، وانخرطهم في مذهب أهل البيت عليهم السلام لعل منها: المؤسسة الثقافية في بريطانيا، مركز الإمام الخوئي في نيويورك، ومدينة العلم في قم المقدسة، والمدينة الجامعية في بومباي -الهند، والمراكز الدينية في إسلام آباد- باكستان، فضلاً عن المدارس والمساجد الموزعة في بلدان العالم.

ثالثاً- يمكن القول إن من أجلى آثار السيد الخوئي رحمته الله للحوزة العلمية في النجف الاشرف، وأظهرها هو الانتقال بالصوت العراقي المكبوت، وتجاوز الحدود الجغرافية التي أراد نظام البعث الحاكم حبسه في إطارها وإيصاله الى بقاع مختلفة من العالم، وكان من أهم نتائج ذلك هو كسر حاجز التعقيم الإسلامي، والعزل التام الذي كان يعيشه أبناء الشعب العراقي، ونقل مظلوميته الى كل أنحاء العالم، وكشف الصورة الحقيقية للنظام الحاكم، وما عقب ذلك من إقامة المؤتمرات العالمية والندوات لأقطاب المعارضة العراقية التي كان لها دوراً واسعاً في إسقاط نظام الطاغية.

نتائج البحث

١. يُعد السيد الخوئي واحداً من المراجع المعاصرين الذين سعوا الى بث روح التجديد في البحث الأصولي، وقد بذل عمره وأفنى دهره في هذا الاتجاه، وقد كان ذلك من أول الأسباب التي منحته الأهلية في الزعامة المطلقة للوجود الشيعي.
٢. يمكن أن نعد السيد ظاهرة قل نظيرها في التاريخ الامامي، لأنه حضى بالمقام العلمي المحمود، والسمات الشخصية التي أهلته لزعامة الحوزات العلمية في العالم.
٣. تبلورت جملة من الأسباب التي كان لها الأثر البارز في استلام منصب الزعامة، تباينت بين أسباب علمية وإدارية وسياسية، كشفت بجملتها عن كفاءات علمية، وقدرات نفسية وهبت السيد الخوئي الاستحقاق التام لزعامة الحوزة.
٤. أخيراً فقد تمحضت عن تزعم السيد عليه السلام لحوزة النجف الاشرف، عدة آثار منها: انتشار رقعة المذهب الامامي، والوعي الإسلامي، وبث الروح في الحركة الإسلامية، التي أصابها الشلل التام في العراق، في الفترة التي استلم فيها حزب البعث زمام السلطة فيه، بعد حملات الإرهاب السياسي والدموي، الذي أريد من ورائها، إقصاء الفكر الإسلامي والقضاء عليه.

مصادر البحث

- ١- الأصفهاني (ت ١٣٦١هـ): حاشية المكاسب \ تحقيق عباس محمد السباع القطيفي \ مطبعة العلمية \ الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).
- ٢- بحر العلوم: محمد مهدي (ت ١٢١٢هـ): الفوائد الرجالية \ تحقيق محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم \ مكتبة الصادق - طهران \ الطبعة الأولى.
- ٣- جلال الدين الصغير (معاصر): من عنده علم الكتاب \ دار الأعراف للدراسات \ الطبعة الأولى (١٤١٩هـ)
- ٤- الجواهري: محمد (معاصر): المفيد من معجم رجال الحديث \ مكتبة المحلّاتي قم - إيران \ الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ).
- ٥- ابن حبان (ت ٣٥٤هـ): صحيح ابن حبان \ تحقيق شعيب الارنؤوط \ مؤسسة الرسالة \ الطبعة الثانية (١٤١٤هـ).
- ٦- الحسيني اللوساتي: حسن (ت ١٤٠٠هـ): نور الافهام في علم الكلام \ تحقيق إبراهيم اللوساتي \ مؤسسة النشر الإسلامية \ الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).
- ٧- الحكيم: عبد الصاحب: منتقى الأصول (تقرير بحث الروماني) \ مطبعة الهادي \ الطبعة الثانية (١٤١٦هـ)
- ٨- الحلبي: الحسين بن سليمان ت ٨٣٠هـ: مختصر البصائر \ تحقيق مشتاق المظفر.
- ٩- الخوئي: أبو القاسم (ت ١٤١٣هـ): معجم رجال الحديث \ الطبعة الخامسة (١٤١٣هـ).

- ١٠- مصباح الأصول (تقرير بحث الخوئي) للسيد علاء الدين بحر العلوم.
- ١١- السبحاني: جعفر (معاصر): كليات في علم الرجال \ مؤسسة النشر الإسلامي \ الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).
- ١٢- السيوطي: جلال الدين (ت ٩١١هـ): الجامع الصغير / ط (١٤٠١هـ) / نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- ١٣- الشاكري: حسين (معاصر): موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام \ نشر الهادي قم - إيران \ الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).
- ١٤- ربع قرن مع العلامة الاميني \ مطبعة ستارة \ الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).
- ١٥- الشاهرودي: نور الدين: المرجعية الدينية ومراجع الامامية \ طهران - إيران (١٤٦هـ).
- ١٦- الشاهرودي: علي: دراسات في أصول الفقه (تقرير بحث الخوئي).
- ١٧- شمس الدين: محمد مهدي: أنصار الحسين عليه السلام \ الدار الإسلامية \ الطبعة الثانية (١٤٠١هـ)
- ١٨- الصغير: محمد حسين (معاصر): فقه الحضارة / دار المؤرخ العربي بيروت - لبنان.
- ١٨- الغروي: محمد (معاصر): مع علماء النجف الاشرف \ دار الثققلين بيروت - لبنان \ الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).
- ١٩- الفراهيدي: أحمد بن خليل (ت ١٧٥هـ): كتاب العين / تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي / ط (١٤٠٩هـ) / نشر مؤسسة دار الهجرة - إيران - قم.
- ٢٠- الفياض: محمد إسحاق: محاضرات في أصول الفقه (تقرير بحث الخوئي) \ مطبعة النجف (١٣٨٢هـ).
- ٢١- الكليني: محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ): الكافي \ تحقيق علي أكبر غفاري \ دار الكتب الإسلامية - طهران \ الطبعة الرابعة.
- ٢٢- المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ): بحار الأنوار / ط (١٣٠٣هـ) / نشر مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
- ٢٣- محمد صادق محمد باقر بحر العلوم: الإمام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة النجف الاشرف ٤٤١.
- ٢٤- مجلة الموسم \ أكاديمية الكوفة \ المركز الوثائقي لتراث أهل البيت عليهم السلام - هولندا \ عدد خاص عن الإمام الخوئي المرجع الشيعي الأكبر.
- ٢٥- محاضرات في أصول الفقه (تقرير بحث الخوئي) \ مطبعة النجف (١٣٨٢هـ).

الطبيعة القانونية لحق حل البرلمان

The legal nature of the right of the Parliament disbanding

م.د. علي سعد عمران القيسي^(١) Inst.Dr. Ali Sa'ad Umran AL-Qaisi

المستخلص

مما لا شك فيه إن دستور الدولة هو أعلى قانون موجود فيها، ويجب على جميع السلطات الالتزام بأحكامه، ومن أجل الحفاظ على مبدأ علو الدستور، فإن الدستور ذاته ينص على مجموعة من الجزاءات التي تحقق ذلك العلو الدستوري.

على إن هذه الجزاءات قد تتمزج فيها الطبيعة القانونية و الطبيعة السياسية. بسبب إن قواعد الدستور ذاتها تتضمن هذه الطبيعة المزدوجة، والتي كانت محل اختلاف الفقه الدستوري. ومن هذه الجزاءات المتناسبة وطبيعة الموضوعات التي ينظمها الدستور، نجد حل البرلمان، هذا الحل الذي قد يكون جزاء يفرض بالإرادة الشعبية أو وفقا للإرادة الحكومية أو قد يكون مفروضا بإرادة السلطة التأسيسية التي تضع الدستور. وهو الأمر الذي حاولنا استقصاؤه في دستور العراق لعام ٢٠٠٥، لمعرفة طبيعة هذا الجزاء الذي حاول أن يشنّه الدستور انسجاما وكون النظام السياسي في العراق هو النظام البرلماني.

Abstract :

There is no doubt that the state constitution is the Supreme law of the present, and all authorities must abide by its provisions, in order to

preserve the principle of altitude Constitution, the Constitution itself provides for a range of sanctions to achieve this constitutional Supreme.

That these sanctions and the legal nature of the political nature may blend. Because of the rules of the constitution itself contains this dual nature, which were the subject of differing constitutional jurisprudence. One of these sanctions and disproportionate nature of the issues regulated by the Constitution, we find the dissolution of parliament, this dissolution may be a penalty imposed or the popular will, according to government will or may be imposed by the will of the constituent authority that sets the Constitution. Which we tried, investigated in Iraq's 2005 constitution, to know the nature of the penalty box, who tried to establish it Constitution in line and the fact that the political system in Iraq is a parliamentary system.

مقدمة عامة

فكرة موضوع البحث :

يعد حل البرلمان واحدا من الإجراءات التي تتضمنها الوثيقة الدستورية لدولة ما، فحل البرلمان ماهو الا اجراء دستوري يعمل على تقصير المدة القانونية لنيابة البرلمان أو أحد مجلسيه، والذي يكون مصحوبا بالدعوة لا جراء انتخابات نيابية جديدة^(١). ويروم المشرع الدستوري من وراء تضمين حل البرلمان في الدستور الى تحقيق جملة أهداف أو غايات يستهدف الوصول إليها، والتي قد تؤدي بمحملها إلى حسن سير العمل الدستوري والسياسي في داخل الدولة، وبذلك يكون لحل البرلمان أهمية بالغة في سير المؤسسات الدستورية وبما يحقق المصلحة العليا للدولة ذلك لان الدستور في الدولة يستهدف إيجاد تنظيم الدولة ومؤسساتها بما يحقق ديمومتها بل إن حل البرلمان يعد في بعض الدول، كالمملكة المتحدة البريطانية، وسيلة للتعرف على اتجاهات الرأي العام لما للأخير من سلطة سياسية قوية في تغيير وتعديل اتجاهات الأحزاب ذات الأغلبية الحاكمة، وبالتالي تأثير ذلك يكون واضحا على السياسات التي قد تتبعها أيا من السلطتين التشريعية والتنفيذية. وبذلك يكون الشعب هو فعلا صاحب السيادة في الدولة. وإذا كانت الغايات التي يحققها الحل متعددة فلعلم هذا يفرض علينا البحث في الطبيعة القانونية للحل بوصفه تنظيما دستوريا ذي أهمية في حياة الدولة.

نطاق البحث :

من الاهمية بمكان أن نشير الى ان بحثنا هذا لا يتعرض الى إيجاد تكييف قانوني للأداة القانونية التي يحل بموجبها البرلمان، أي لن نبحث في طبيعة القرار الذي يحل البرلمان، بل ان بحثنا يتحدد نطاقه في بيان الطبيعة القانونية لنظام الحل ذاته كتنظيم دستوري.

٢- للوقوف على التعاريف الفقهية لحل البرلمان ينظر : علي سعد عمران : حدود حل البرلمان، اطروحة دكتوراه، جامعة بابل - كلية القانون، ٢٠١٤، ص ٢٤ وما بعدها.

اشكاليات موضوع البحث :

البحث في الطبيعة القانونية لحل البرلمان يثير اشكاليات متعددة تظهر من خلال التساؤلات التي قد يثيرها موضوع حل البرلمان من ناحية الفلسفة الدستورية لتنظيم الحل، والتي تتعلق بمعرفة ما إذا كان حل البرلمان يعد بذلك جزءاً دستوري من الممكن فرضه على السلطة التشريعية إذا حادت عن التمثيل الحقيقي للشعب ولاسيما في ظل الدستور العراقي الحالي لعام ٢٠٠٥ ؟ وماهي طبيعة هذا الجزء هل هو جزء قانوني أم سياسي أم ذي طبيعة مختلطة ؟ هذه التساؤلات الأساسية في الموضوع تتعلق بأخرى تسبقها والتي تظهر من خلال الحاجة إلى معرفة الطبيعة القانونية للقواعد الدستورية ذاتها، والتي كانت محلاً لاختلاف الآراء الفقهية التي تركزت في أغلب الأحوال حول عنصر الجزء الذي يفترض أن تقتزن به القاعدة القانونية.

منهجية البحث :

سنستع في بحثنا هذا المنهج التحليلي لآراء الفقهاء والنصوص الدستورية، وكذلك المنهج المقارن ما بين دستور العراق لعام ٢٠٠٥ وبعض نظائره العربية والاجنبية ومنها الدستور الاسترالي لعام ١٩٠٠، الدستور النمساوي لعام ١٩٢٩، الدستور التركي لعام ١٩٨٢، الدستور البلجيكي لعام ١٩٩٣، الدستور اليمني لعام ٢٠٠١ والدستور المصري لعام ٢٠١٢.

خطة البحث :

سوف نبحث الموضوع في مبحثين وذلك وفقاً للخطة الآتية :
المبحث الأول : طبيعة القواعد الدستورية المتضمنة حل البرلمان.
المبحث الثاني : الطبيعة المختلطة لحل البرلمان بوصفه جزءاً منظم دستورياً.
ثم ننتهي بعد ذلك إلى خاتمة نثبت فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث والتوصيات التي نراها.

المبحث الأول: طبيعة القواعد الدستورية المتضمنة حل البرلمان

تعرف القواعد الدستورية بأنها مجموعة القواعد التي تبين نظام الحكم في الدولة فيما إذا كان ملكياً أم جمهورياً وتحدد شكل الدولة فيما إذا كانت بسيطة أم اتحادية، وسلطاتها العامة واختصاصاتها وعلاقتها ببعضها كما تحدد هذه القواعد حقوق الأفراد وحررياتهم وضمانياتها^(٣). كما وتقرر الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للدولة^(٤).

ولقد اختلف الفقه القانوني حول طبيعة القواعد الدستورية، وبغض النظر عن الموضوعات التي تعالجها ومن بينها تلك المتعلقة بحل البرلمان، وذهبوا في ذلك إلى عدة آراء، فمنهم من أنكر الطبيعة القانونية

٣- د. ماجد راغب الحلو : النظم السياسية والقانون الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥، ص ٤٢٣.

٤- د. إبراهيم عبد العزيز شيحا : المبادئ الدستورية العامة، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٦، ص ٣٢-٣٣.

للقواعد الدستورية، ومنهم من اضفى عليها الطبيعة القانونية، وذهب فريق ثالث الى القول بأنها ذات طبيعة مركبة فهي قانونية سياسية. وسنعرض لهذه الآراء في المطالب الثلاثة الاتية.

المطلب الأول: إنكار الطبيعة القانونية للقواعد الدستورية

ذهب جانب من الفقه إلى إنكار الطبيعة القانونية على القواعد الدستورية، وذلك بسبب افتقار هذه القواعد إلى عنصر الجزاء، حيث لا توجد هناك سلطة توقع الجزاء على مخالفة أحكام القانون الدستوري، فلا يتصور قيام السلطة العامة في الدولة بمعاقبة نفسها حين تصدر عنها مخالفة دستورية فالقواعد الدستورية ما هي إلا توجيهات ذات قيمة أدبية^(٤). وذلك لأن الجزاء هو الأذى الذي يوقع بمن يعصي ذلك الأمر^(٥)، ولما كان الحكماء هم الذين يضعون القواعد القانونية فهذا يعني إنها تجرد أساسها في إرادتهم، وإذا كان الأمر كذلك فمن الصعب أن يتقيد الحكماء بالقانون وان تقيدوا بشيء منه، فانه تقيد ذاتي بحيث يمكنهم التخلي عنه متى وكيف ماشاءوا^(٦). عليه إذا قام الحاكم بعمل مخالف للدستور فيكون عمله غير دستوري ولكن لا يجوز نعته بأنه غير قانوني^(٧)، وذلك بسبب افتقاره إلى عقوبة مادية تفرض كجزاء على هذه المخالفة^(٨).

ومن أنصار هذا الاتجاه الدكتور منذر الشاوي الذي يرى في القواعد الدستورية بأنها قواعد سياسية تنظم العلاقة بين القابضين على السلطة، ومن ثم فهي ليست مصدر قانونية القواعد الأخرى في الدولة، لأنها قواعد توازن سياسي^(٩).

غير إن الدكتور الشاوي يركن في اتجاهه هذا إلى تحليل عنصرَي القاعدة القانونية - وليس إلى عنصر الجزاء - وهما :

- ١ - صدور القاعدة من سلطة عامة تستطيع أن تفرض إرادتها على الجميع ولو بالإرغام، وهذا متحقق للقاعدة الدستورية لصدورها عن القابضين على السلطة.
- ٢ - أن تتضمن أمراً موجهاً للآخرين للقيام بعمل أو الامتناع عن عمل شيء ما. وهذا ما لا يتوافر في القاعدة الدستورية، ذلك لأن الحكماء الذين يضعون القواعد الدستورية، لا يمكن أن يوجهوا لأنفسهم أمراً. وبالتالي لن تختلف صفة من يضع القاعدة ومن توجه إليه، وهو شرط - بحسب الدكتور الشاوي - لا بد منه لوجود القاعدة القانونية^(١٠).

٥- د. بكر القباني : دراسة في القانون الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع، ص ٩٨-٩٩.

٦- د. إسماعيل مرزة : مبادئ القانون الدستوري والعلم السياسي، ط ٣، بغداد، دار الملاك، ٢٠٠٤، ص ٩-١٠.

٧- د. منذر الشاوي : فلسفة القانون، عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ص ٤٧.

٨- د. محمد السناري : القانون الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، بدون سنة طبع، ص ١٠.

٩- هنري باتيفول : فلسفة القانون، ترجمة د. سمويح فوق العادة، ط ٢، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٨٠، ص ١٧-١٨.

١٠- ينظر مؤلفه : القانون الدستوري - نظرية الدستور، بغداد، منشورات مركز البحوث القانونية، ١٩٨١، ص ١٢٤-١٢٥.

١١- ينظر في تفاصيل ذلك المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٨.

المتعلق بعدم تجديد انتخاب الشعب لمن خالف القواعد الدستورية من الحكام وإنهاء ثقتهم به^(٢٠). والنص على حق التقاضي بوصفه مبدأ دستوري عام، من خلاله يمكن للأفراد وقف انتهاك السلطات العامة لمبادئ الدستور، إلى جانب هذه الجزاءات المنظمة هناك جزاءات أخرى قد تكون غير منظمة في الدستور ولكنها مقررّة لحماية القواعد الدستورية من الانتهاك والمتمثلة برقابة الرأي العام والحق في مقاومة الطغيان^(٢١).

وعلى ذلك يتضح إن حل البرلمان ما هو إلا واحداً من تلك الجزاءات التي تنظمها الوثائق الدستورية. على أنه تجدر الإشارة بأن القول بسياسية القواعد الدستورية استناداً إلى عدم تغير صفة من يضع القاعدة ومن توجه إليه، الذي ذهب إليه الدكتور منذر الشاوي، فهو قول محل نظر وتأمّل فيما نعتقد وآية ذلك، انه لو صح هذا الادعاء للزم إسقاط الصفة القانونية عن جملة من القواعد الأخرى المنظمة لسلك معين سواء كانت صادرة عن السلطة التشريعية أو التنفيذية بوصفها الإدارة عن طريق التشريع الفرعي^(٢٢).

فمثلاً لو صدر قانون ينظم أحوال استبدال العضوية البرلمانية لأي سبب كان^(٢٣)، فهذا يعني إن هذا التنظيم لا يعد قانوناً لوحدة من اصدر هذا القانون ومن وجه إليه، والحكم ذاته فيما يتعلق بالنظام الداخلي، الذي يضعه المجلس النيابي لتنظيم سير العمل فيه ويفرض عقوبات انضباطية تجاه الأعضاء المخلين بعملهم البرلماني، وهذا مما يتعارض مع الحقائق القانونية التي تتضمنها التشريعات بذاتها^(٢٤).

أما بالنسبة لسلطة الإدارة في التشريع الفرعي، فحيث تصدر الإدارة قرارات تنظيمية وكانت متعلقة بتنفيذ قانون ما، فأتمها وفقاً للرأي المذكور ستسقط عنها الصفة القانونية إذا أريد تطبيقها على الجهة الإدارية ذاتها التي أصدرتها. في حين إنها ستطبق على كل من يشملها حكمها بمن فيهم من قام بإصدارها. فمثلاً نجد إن تعليمات تسهيل تنفيذ قانون التضمن العراقي رقم ٣ لسنة ٢٠٠٧ الصادرة عن

كلية الحقوق، ١٩٨٢، ص ٧٨ - وما بعدها. د. رمزي طه الشاعر: النظرية العامة للقانون الدستوري، ط ٥، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥، ص ٥٠٣ - وما بعدها.

٢٠ - د. بكر القباني: المصدر السابق، ص ١٠١.

٢١ - للتفاصيل ينظر زياد محمد هادي: جزاء مخالفة القاعدة الدستورية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد - كلية القانون، ٢٠٠١، ص ١٣٦-١٣٧، ١٦١ - وما بعدها. د. محمد السناري: المصدر السابق، ص ١٣-١٦، ليون دكي: المصدر السابق، ص ١٤٠ - وما بعدها.

٢٢ - التشريع الفرعي ما هو إلا القرارات الإدارية التنظيمية التي تضع بموجها الإدارة قواعد قانونية جديدة مجردة وعمامة تطبيق على عدد غير محدود من الحالات والأفراد. ينظر د. محسن خليل: القضاء الإداري اللبناني ورقابته لأعمال الإدارة، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢، ص ٢٨ - وما بعدها.

٢٣ - لقد صدر العراق في قانون استبدال أعضاء مجلس النواب بالرقم ٦ لسنة ٢٠٠٦ ونشر في جريدة الوقائع العراقية بالعدد ٤٠٢٤ في ١٩/٧/٢٠٠٦، وحدد في المادة (٢) منه أسباب استبدال العضوية في المجلس وهي (الوفاة، العجز، فقدان أحد شروط الترشيح، الاستقالة، الإقالة، سقوط العضوية بصدور حكم جنائي وتقلد منصب حكومي).

٢٤ - نشر النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي بجريدة الوقائع العراقية بالعدد ٤٠٣٢ بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٥. ونص في المادة (٤) بأن يلتزم أعضاء مجلس النواب في مناقشاتهم وما يتخذونه من قرارات بأحكام الدستور وهذا النظام) ثم بينت المواد (١٨ / ثانياً - ثالثاً ١٣٩ - ١٤٠) مجموعة من الإجراءات التي تتخذ بحق العضو المتغيب والعضو المخالف للنظام.

وزير المالية^(٢٥)، قد نصت في المادة الأولى منها على أن (تسري أحكام هذه التعليمات على الموظف والمكلف بخدمة عامة... الذي يتسبب في إحداث الضرر بالمال العام) ووفقاً لحكم المادة (١٩) من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل فإن من فئات المكلفين بخدمة عامة نجد "الوزراء".
لذا لامناص من عدم قبول الرأي المتقدم، ذلك لأن القانون الدستوري يفترض أن الأحكام هم أشخاص اعتياديون يخضعون للقانون كباقي الأفراد وهو ما عليه الحال في الدول الديمقراطية، كما أن الأخذ بالرأي السالف ينطوي على تسويغ للسلطة المطلقة للحكام، لأنها لا تضع عليهم التزاماً قانونياً باحترام الواجبات الدستورية الملقاة على عاتقهم لسياسية هذه النصوص، وهو ما تسير عليه الدول التسلطية^(٢٦).

المطلب الثالث: الإقرار بالطبيعة المختلطة للقواعد الدستورية

ذهب جانب من الفقه الدستوري - ونحن نؤيدهم في ذلك - إلى التأكيد على أن للقواعد الدستورية طبيعة مزدوجة، فهي ذات طبيعة قانونية وسياسية^(٢٧). فانطلاقاً من أن القانون الدستوري لا يوجد إلا حين ينهض التمييز بين الحاكم والمحكوم لذا فإن قواعد هذا القانون ما هي إلا أداة توازن قانونية وسياسية تحاول أن توجد توازن بين ضرورة الاستقرار والتي ستؤمن بواسطة السلطة السياسية وبين الحاجة الطبيعية للحرية^(٢٨). ذلك لأن من فلسفة القانون الدستوري تحقيق التوازن بين السلطة والحرية^(٢٩).
عليه يكون الدستور مجموعة من القواعد القانونية والسياسية، فهو عملية صياغة قانونية لفكرة سياسية استطاعت أن تؤكد انتصارها بوصولها إلى السلطة وفرض فلسفتها واتجاهاتها كقواعد قانونية ملزمة. فالدستور حينما يتبنى النظام القانوني لسلطة الدولة، يؤكد كذلك سيطرة القوى السياسية القائمة كما يُرسي الأسس اللازمة لكفالة شرعيتها. لذا يكون الدستور هو الوثيقة القانونية الأسمى التي توضع في لحظة معينة لتحديد طبيعة النظام السياسي وهوية المجتمع والدولة، ولتعكس ميزان القوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية المؤثرة في تلك اللحظة^(٣٠). لذا فقد عُرف القانون الدستوري عند أصحاب هذا الاتجاه بأنه إدخال الظواهر السياسية في إطارات قانونية^(٣١).

- ٢٥- لقد صدر قانون التضمنين بالرقم ١٢ لسنة ٢٠٠٦ ونشر في الوقائع العراقية بالعدد ٤٠٢٨ بتاريخ ١٣/١١/٢٠٠٦، ونشرت التعليمات أعلاه في جريدة الوقائع العراقية بالعدد ٤٠٧٨ بتاريخ ٦/٩/٢٠٠٨.
٢٦- موريس دوفرجه: المصادر السابق، ص ١١-١٢.
٢٧- د. نوري لطيف، د. علي غالب العاني: القانون الدستوري، بغداد، بلا سنة طبع، ص ١٥٨، د. كمال الغالي: مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، دمشق، مطبعة الداودي، ١٩٨٥-١٩٨٦، ص ٩.
٢٨- Zerari Fathi: Le Naissance du Droit Constitutionnel, Journal of law, No3, Vol 33, university of Kuwat, 2009, p.14-15.
٢٩- د. إبراهيم أبو خزام: الوسيط في القانون الدستوري، ك ١، ط ٢، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٢، ص ٣٤٠٣٠.
٣٠- د. محمد المجذوب: القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان، ط ٤، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، ٢٠٠٢، ص ٦-٨.
٣١- د. سعاد الشراوي: القانون الدستوري والنظام السياسي المصري، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠١، ص ٤٠.

وهذه الطبيعة المزدوجة للقواعد الدستورية، تشترك فيها القوانين أيضاً ولكنها تبرز في الدستور برونياً استثنائياً، فالدستور قانون سياسي، ولما كانت له هذه الطبيعة المزدوجة فقد أصبح له موقفاً متميزاً بين القوانين الأخرى^(٣٢). ذلك لأن تعظيم العلاقات السياسية ووضعها في إطار قانونية ليس بالأمر السهل اليسير^(٣٣).

فإذا تم الخروج عن مقتضى القواعد الدستورية في التطبيق العملي فلا محل للبحث في قانونية القاعدة الدستورية وإنما فاعليتها^(٣٤). فالقواعد الدستورية وإن كانت تمتاز بهذه الطبيعة المزدوجة فإن غلبة أيها من الطبيعتين القانونية والسياسية وبالتالي تأثير عنصر الجزاء في الأخذ بهذه القواعد سلباً أو إيجاباً إنما يتحدد بعنصرين أساسيين الأول يتمثل بقوة الرأي العام والثاني هو مدى الوعي السياسي للحكام أنفسهم^(٣٥). لذا قيل بأن الدستور هو روح وممارسة ومؤسسات^(٣٦).

المبحث الثاني: الطبيعة المختلطة لحل البرلمان بوصفه جزءاً منظم دستورياً

كما اتضح لنا سلفاً فإن حل البرلمان هو أحد الجزاءات المنظمة دستورياً، والذي قد يعطي الاختصاص بممارسته للسلطة التنفيذية فتلجأ إليه لتحقيق التوازن فيما بينها والسلطة التشريعية، أو من أجل تحقيق الاستقرار للنظام السياسي واستمراره، كما أن الحل كجزاء منظم قد يختص الشعب بإيقاعه، وذلك حينما يشعر الشعب بأن هناك هوة بين تطلعاته وآماله وبين نوابه، فيضار إلى حل المجلس القائم والإتيان بآخر جديد يكون أكثر تمثيلاً لأفراد الشعب وتطلعاتهم^(٣٧). كما أنه كجزاء قد يكون مقررًا من قبل السلطة التأسيسية الأصلية فيضحي حلاً بحول الدستور وقوته.

وعلى ذلك فإن الحل بوصفه جزءاً منظم قد يكون في ميدان :

١ - علاقة السلطة التنفيذية بالسلطة التشريعية.

٢ - علاقة السلطة التشريعية بالشعب.

٣ - جزاء مفروض من السلطة التأسيسية.

ولأجل إيضاح ما تقدم فالحال يستدعي تقسيم هذا المبحث على ثلاثة مطالب ثم نعقد مطلباً رابعاً لبيان موقف الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ من طبيعة الحل المتبني فيه.

٣٢- فائز عزيز أسعد : مبدأ علو الدستور، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد - كلية القانون، ١٩٨٠، ص ١٧.

٣٣- د. سعاد الشراوي : المصدر السابق، ص ٥٢.

34- Zerari Fathi : op.cit.p.15

٣٥- د. حسان محمد شفيق العاني : الأنظمة السياسية والدستورية المقارنة، بغداد، المكتبة القانونية، ٢٠٠٧، ص ٧٦.

36- Zerari Fathi : op.cit.p.15 .

٣٧- زياد محمد هادي : المصدر السابق، ص ١٤٧-١٤٨.

المطلب الأول: حل البرلمان بوصفه جزءاً في ميدان العلاقة بين السلطتين

أن الحل المتأتي من السلطة التنفيذية إنما هو من أهم وسائل تحقيق التوازن بين السلطتين، وهو الحق الذي من خلاله تضمن السلطة التنفيذية استقلالها تجاه السلطة التشريعية حيث إن الأولى لا تعد مجرد منفذة لرغبات الثانية أو خاضعة لها (٣٨)، ولأجل هذا وجد الحل، إذ من خلاله تتمكن السلطة التنفيذية من منع السلطة التشريعية من الإخلال بوظائفها الدستورية (٣٩)، أو أن تضع حداً موحجبه لإساءة النواب استخدام حقوقهم الدستورية (٤٠).

فبالنسبة للحل الرئاسي يكون لرئيس الدولة اللجوء إلى حل البرلمان كجزء يفرضه في حال محاولة أي من البرلمان أو الوزارة الافتئات على اختصاصاته الدستورية.

وإذا كان رئيس الدولة يمثل همزة الوصل بين الشعب من جانب والحكومة والبرلمان من جانب آخر، ويراقب احترام كل منهما للصالح العام، ويقدم النصح والمشورة للسلطتين معاً وفي حال مخالفتها لوظائفهما الدستورية وبالتالي عدم تحقيقهما لمصلحة الأمة (٤١)، كان له أن يلجأ إلى حل البرلمان ويقيل الوزارة، غير أنه مقيد بأن يكون تصرفه هذا متفقاً مع توجهات الرأي العام (٤٢).

أما بالنسبة للحل الوزاري فإن المبادرة به تأتي من الوزارة وذلك بسبب خلافها مع البرلمان حول موضوع ما يتعلق بالسياسة العامة للدولة - وذلك في أغلب الأحيان - فهنا يكون الحل كجزء بإمكان الوزارة أن تفرضه على تعسف هؤلاء النواب في استخدام صلاحياتهم الدستورية.

وذلك لأن السياسة العامة للدولة يختص برسمها وتنفيذها رئيس السلطة التنفيذية بالاشتراك مع الوزراء، وهو من الاختصاصات الأصيلة لمجلس الوزراء وان لم ينص على ذلك في الدستور، فتنفيذ هذه السياسة يكون من اختصاص الوزارة برمتها، وكل وزير يتولى رسم سياسة وزارته في ضوء السياسة العامة للدولة، ويشمل مصطلح السياسة العامة للدولة كل ما يتعلق بالمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية، وبالتالي يكون تنفيذ هذه السياسة عن طريق استصدار القوانين أو إصدار السلطة التنفيذية للمراسيم والقرارات الإدارية الأخرى - التنظيمية والفردية - (٤٣). فالوزارة تحتاج إذن إلى استصدار قوانين من البرلمان لتنفيذ سياستها العامة، وبالتالي يمكن أن يظهر النزاع في حالة رفض البرلمان لمثل هكذا مشاريع قوانين، أو رفض إقرار معاهدة تروم الوزارة إنفاذها في النظام القانوني للدولة (٤٤).

38- G. Burdeau : Manuel Droit Constitutionnel, 21 ed, L.G.D.J. Paris, 1988, P.139.

٣٩- زياد محمد هادي : المصدر السابق، ص ١٤٨.

٤٠- د. محمد عبد الحميد أبو زيد : حل المجلس النيابي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٨، ص ١٥٦.

٤١- د. رافع خضر شبر : فصل السلطتين التنفيذية والتشريعية في النظام البرلماني في العراق، بغداد، مكتبة السنهوري، ٢٠١٢، ص ٤٨.

٤٢- أحمد عبد اللطيف إبراهيم : رئيس الدولة في النظام البرلماني، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس - كلية الحقوق، ١٩٩٦، ص ٣٠٦-٣٠٧.

٤٣- د. إسماعيل إبراهيم البديوي : اختصاصات السلطة التنفيذية في الدولة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٣، ص ٢٢٥-٢٢٧.

٤٤- د. مصطفى أبو زيد فهمي : مبادئ الأنظمة السياسية، ط ١٠، الإسكندرية، دار الهدى للمطبوعات، ٢٠٠٧، ص ١٦٤.

ولكن يجب التنبيه بأن ليس كل خلاف يقع بين الوزارة والبرلمان تلجأ فيه الوزارة إلى الحل، فالخلاف أمر لا بد منه، بل أنه محبذ حتى تتبلور الاتجاهات العامة وتنتضح الحقيقة من خلال المناقشات وإبراز وجهات النظر المختلفة^(٤٥). كما أن للوزارة في حالة خلافها مع البرلمان حول موضوع معين أما أن تخضع لرأي البرلمان أو أن تستقيل^(٤٦).

لذا فلا بد من قيام نزاع حدي فيما بينها والبرلمان، تعجز فيه عن استمالتها أو إقناعه بوجهة نظرها، ورأت أن هذا المجلس يكون بذلك قد انصرف عن أداء وظيفته ولم يعد ممثلاً حقيقياً لمصلحة البلاد، فتلجأ إلى حله، ولتضع بذلك حداً لإساءة استخدام النواب لحقوقهم الدستورية^(٤٧). ولعل من الصور التي يظهر فيها النزاع جدياً بين الوزارة والبرلمان صورة ما إذا عرضت الوزارة صراحة مسألة الثقة بما أما المجلس النيابي عند تصويته حول مشروع قانون ما تروم الوزارة استصداره منه^(٤٨). كما أن الوزارة قد تلجأ إلى حل البرلمان إذا بدأ الأخير بإجراءات سحب الثقة منها، ولاحظت أن الأغلبية البرلمانية متعسفة في ذلك لذا تطلب من رئيس الدولة حل البرلمان لتضع حداً لإسراف النواب باستخدام حقوقهم الدستورية^(٤٩).

كما إن حل البرلمان من الوزارة لقرب انتهاء ولايته التشريعية يكون للوزارة من خلاله إيقاف ومنع أعضاء البرلمان من إصدار قوانين مستعجلة لأهداف انتخابية، فهذا تستطيع الوزارة تحقيق شيء من حماية المصلحة العامة^(٥٠).

ولما كانت القواعد الدستورية ذات طبيعة مزدوجة قانونية وسياسية، فبالتالي يكون الحل ذاته ذا طبيعة مختلطة أيضاً فتعرف حقيقة طبيعته بمعرفة الأسباب الحقيقية لاستعماله^(٥١)، وهذه الأسباب على اختلافها وتعددتها قد يكون منصوفاً عليها في صلب الوثيقة الدستورية وقد يوجدتها التطبيق السياسي للدستور وهي حينذاك تتعلق بالسلطة التقديرية للسلطة التنفيذية^(٥٢).

لذا فالحل المتأني من السلطة التنفيذية قد يعد سلاحاً ذا حدين فهو من ناحية يعمل كأداة توازن بين السلطات ووفق التنظيم الدستوري، ومن ناحية ثانية يعد أداة خطيرة بيد رئيس السلطة التنفيذية يستطيع من خلاله شل عمل البرلمان إذا تم اللجوء إليه باستمرار، وقد يتخذ وسيلة للوصول إلى أغلبية متفقة مع

٤٥- د. عبد الله ناصف : مدى توازن السلطة السياسية مع المسؤولية في الدولة الحديثة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨١، ص١١٣.

٤٦- د. عبد الحميد متولي : القانون الدستوري والأنظمة السياسية مع المقارنة بالمبادئ الدستورية في الشريعة الإسلامية، ط٦، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٩، ص٣٢٠.

٤٧- د. محمد عبد الحميد أبو زيد : المصدر السابق، ١٥٧.

٤٨- د. مصطفى أبو زيد فهمي : المصدر السابق، ص١٦٤-١٦٥.

٤٩- د. محمد عبد الحميد أبو زيد : المصدر السابق، ١٥٦-١٥٧.

50- M.EZ.Gorden: Histoire Du regime Parlementaire Anglais, Revue AL Qanoun wal Igtisad, 1xeme Annee, No1, 1939 p.159.

٥١- ينظر بمحاذاة المعنى زياد محمد هادي : المصدر السابق، ص١٤٨.

٥٢- د. بشير محمد باز : حق حل المجلس النيابي في الدساتير المعاصرة، الإسكندرية، دار الجمعية الجديدة للنشر، ٢٠٠٤، ص٦٦.

ميوله ورغباته سواء بتكرار استعماله أو باستعماله في وقت يعتقد مناسبتة لأغراضه^(٥٣). وهنا قد يطغى الجانب السياسي على الجانب القانوني، بخلاف الحالة الأولى التي يطغى فيها الجانب القانوني على الجانب السياسي.

المطلب الثاني: حل البرلمان بوصفه جزءاً في ميدان علاقة السلطة التشريعية بالشعب

حل البرلمان قد تأتي المبادرة به من قبل الشعب سواء عن طريق الحل الذاتي أو عن طريق الحل الشعبي^(٥٤)، فعن طريق الحل الذاتي يكون التعبير عن الإرادة الشعبية عن طريق النواب أنفسهم، فيلجأون إلى إنهاء عضويتهم إذا استشعروا بوجود عقبات تعيقهم عن أداء وظائفهم الدستورية وعدم صحة تمثيلهم للشعب ولأجل تفعيل هذه الصورة من الحل فهي تحتاج بالتأكيد إلى العنصرين الذين تحتاجهما القاعدة الدستورية ذاتها لتحقيق فاعليتها في المجتمع وبالتالي يكون عنصر الجزاء متحققاً إلا وهما درجة قوة الرأي العام والوعي السياسي من قبل الحكام أنفسهم^(٥٥). غير ان نظام الحل الذاتي يتيح الفرصة لاستبداد المجلس النيابي ذاته اذ لن تتمكن اية سلطة قانونية من منعه من التعسف في استخدام صلاحياته الدستورية، لتجردها من اية وسيلة دستورية تجاه المجلس فضلاً عن تغييره التام لدور الشعب التحكيمي في الادلاء برأيه في الانتخابات التي تعقب الحل حول سبب حل المجلس^(٥٦)، وبذلك سيبتعد الحل تماماً عن فكرة الجزاء الدستوري. وانطلاقاً من هذه الحقيقة رفض الفقه الدستوري الانجليزي تبني الحل الذاتي في النظام البريطاني بعد ان قدم به مقترحا من حكومة السيد "براون"، ولم يتم اقراره في مجلس العموم البريطاني، كذلك رفض هذا النظام في المانيا على الرغم من طلب تعديل الدستور اكثر من مرة لتبنيه^(٥٧).

غير ان قيام افراد الشعب بحل البرلمان أي نظام الحل الشعبي قد يعد كجزاء أفضل من سابقه. ذلك ان تصرفات السلطة التشريعية تكون مشروعة طالما كانت مقيدة بمحدود النصوص الدستورية ذاتها وهي بذلك ستكون متفقة مع الفكرة القانونية السائدة^(٥٨).

والفكرة القانونية السائدة بين أفراد المجتمع السياسي هي التي يتحدد في ضوئها الإطار الفكري والمبادئ التي يركز عليها النظام القانوني في الدولة، فهي الفكرة التي لها الغلبة بين الأفراد فيما يتعلق بطبيعة نظام الحكم وتنظيم اختصاصات السلطات وحقوق الأفراد وحرياتهم وهي فكرة غير ثابتة بل

٥٣- د. السيد صبري : مبادئ القانون الدستوري، ط٣، القاهرة، مكتبة عبد الله وهبة، ١٩٤٦، ص٥٨٦.

٥٤- لتفاصيل أوفى حول الحل الذاتي والحل الشعبي وتطبيقهما ينظر : علي سعد عمران : المصدر السابق، ص ٥٤ وما بعدها.

٥٥- د. حسان محمد شفيق العاني : المصدر السابق، ص٧٦.

٥٦- د. محسن العبودي : المبادئ الدستورية العامة وتطور الأنظمة الدستورية المصرية، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٦، ص

٦٢٣ هامش (١).

٥٧- لتفاصيل أوفى ينظر علي سعد عمران : المصدر السابق، ص ٥٧ - ٦٠.

٥٨- د. إحسان حميد المرعجي وآخرون : المصدر السابق، ص٢٣٩.

متغيرة ومتطورة، غير إنها فكرة تتسم بالرضائية فلا يمكن فرضها من جهة أعلى^(٥٩). وهذا الرضا يمثل التسوية السياسي للسلطة^(٦٠). وعليه فإن السلطة التشريعية إذا قامت بتصرفات أو مارست وظائفها بشكل لا يتفق والفكرة القانونية السائدة، يكون الحل خير جزاء يوقع عليها. والحل الشعبي بذلك يمثل هيمنة الإرادة الشعبية على إرادة نوابه فيكون بذلك الضامن لتنفيذ الدستور في الدولة ويقوم بذلك بمهمة الحكم وصيانة أحكام الدستور^(٦١). إذ يحق لعدد من الناخبين يحدده الدستور طلب عزل أعضاء الهيئة النيابية بأجمعهم، وذلك إذا شعر هؤلاء الناخبين أن هذه الهيئة لم تعد معبرة عن رأي الشعب، فإذا جاءت النتيجة مع طلب الحل وبالأغلبية الموصوفة في الدستور فإن البرلمان يعد منحلاً، وعلى العكس إن لم تتحقق تلك الأغلبية اللازمة للحل فإن طلب الحل يسقط ويستمر البرلمان قائماً ويعد ذلك تجديداً للثقة به^(٦٢).

وأخيراً لا بد لنا من التمييز بين الحل الشعبي بالمفهوم المتقدم، وبين حل البرلمان الذي تقوم به السلطة التنفيذية بعد عرض الأمر على الاستفتاء الشعبي طبقاً لنصوص الدستور التي توجب ذلك، كما هو الحال في الدستور اليمني لعام ٢٠٠١ في المادة (١٠١/أ) التي نصت على أن (لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس النواب إلا عند الضرورة وبعد استفتاء الشعب) وكذلك ما ورد في الدستور المصري لعام ٢٠١٢، المعدل بموجب الاستفتاء الذي تم في عام ٢٠١٣^(٦٣)، في المادة (١٣٧) من أن (لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس النواب إلا عند الضرورة وبقرار مسبب وبعد استفتاء الشعب). فالحل الوارد في الدستورين المذكورين لا يصح وصفه انه حلاً شعبياً لأن فكرة الحل لم تنبع أصلاً من إرادة الشعب، وإنما برغبة رئيس الجمهورية، فلا يعدو أن يكون دور الشعب هنا هو مجرد إبداء الرأي في قرار رئيس الجمهورية بالحل، وهو من الحدود الدستورية لحل البرلمان. ليس إلا^(٦٤).

المطلب الثالث: حل البرلمان بوصفه جزءاً تأسيسي

هناك سلطة تضع الدستور في الدولة هي السلطة التأسيسية الأصلية، هذه السلطة دائماً ما تتمثل بالقابضين الحقيقيين على السلطة^(٦٥)، والسلطة التأسيسية تعد ذات حرية مطلقة في تضمين الدستور ما تشاء من نصوص ما خلا التزامها بتحقيق الفكرة القانونية التي هي أساس وجودها^(٦٦).

- ٥٩- د. عصمت عبد الله الشيخ: الدستور بين مقتضيات الثبات وموجبات التغيير، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢، ص ٦٨-٥٦.
- ٦٠- د. سعد الشراوي: النظم السياسية في العالم المعاصر، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢، ص ٥٢.
- ٦١- د. محمد أنس قاسم جعفر: المصدر السابق، ص ٣٨٩.
- ٦٢- لتفاصيل أوفى ينظر د. محمد كامل ليلة: النظم السياسية، القاهرة، دار الفكر العربي، بلا سنة طبع، ص ٥١٤.
- ٦٣- لقد تم تعديل الدستور المصري لعام ٢٠١٢ بموجب الاستفتاء الذي تم في ١٤-١٥/١/٢٠١٤. وذلك إعمالاً لنصوص المواد (٢٨-٣٠) من الإعلان الدستوري الصادر في ٨/٧/٢٠١٣، والمادة (٢٤٦) من الوثيقة الدستورية المعدلة لدستور ٢٠١٢.
- ٦٤- د. علاء عبد المتعال: حل البرلمان في الأنظمة الدستورية المقارنة، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٤، ص ١٠٨.
- ٦٥- د. منذر الشاوي: النظرية العامة في القانون الدستوري، عمان، دار ورد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧، ص ٢٦٩.
- ٦٦- د. إسماعيل مرزة: المصدر السابق، ص ٧٩.

هذه الفكرة القانونية التي ستترجمها السلطة التأسيسية الأصلية قد تكون مجموعة أفكار الطبقة الحاكمة، أو أفكار الفئات المحافظة في المجتمع والتي لها مصلحة في المحافظة على الوضع القائم، كما إنها قد تكون أفكار الشعب^(٦٧).

وعلى أية حال فإن هذه السلطة التأسيسية ستعبر عن إرادة معينة تمثل الفكرة القانونية السائدة في مجتمع ما، وبالتالي فأما ستأخذ بالحل بوصفه جزءاً يفرض مباشرة عند حدوث حالة معينة مذكورة في الدستور، وبذلك فإن الحل هنا كجزء سيبتعد عن فكرته وطبيعته السياسية ليقترّب جداً من طبيعته القانونية حيث أنه لا يفرض إلا بتحقيق حالات بعينها. وهذه الحالات التي يفرض فيها جزء الحل تلقائياً بالتأكيد تؤثر في سير المؤسسات الدستورية تأثيراً واضحاً لذا يأتي الجزء ليضع حداً لانتهاك نصوص الدستور من قبل أعضاء البرلمان.

ولعل من أهم تطبيقات هذا الجزء ما تضمنه الدستور الاسترالي لعام ١٩٠٠ في المادة (٥٧) التي تنص على أن (إذا أجاز مجلس النواب مقترح قانون وكان مجلس الشيوخ يرفض أن يجيزه أو لم يستطع أن يجيزه، أو إذا أجازته بتعديلات لا يوافق عليها مجلس النواب. وإذا أجاز مجلس النواب مرة أخرى، في الدورة نفسها أو في الدورة التالية، القانون بأي تعديلات ادخلها أو اقترحها أو وافق عليها مجلس الشيوخ أو بدون أي تعديلات من هذا القبيل، وكان مجلس الشيوخ يرفض أن يجيزه أو لم يستطع أن يجيزه، أو أجازته مع تعديلات لا يوافق عليها مجلس النواب. يجوز للحاكم العام أن يحل مجلس الشيوخ ومجلس النواب معاً...).

وقد يطبق هذا الجزء على البرلمان في حالة رفض الشعب عزل رئيس الجمهورية، وذلك بعد أن يتقدم البرلمان بمثل هكذا مقترح، وعرض هذا الاقتراح على مجموعة الناخبين ليقولوا كلمتهم بهذا الصدد. وهو ما تضمنه دستور النمسا لعام ١٩٢٩ في المادة (٦/٦٠) التي تنص على أن (قبل نهاية مدة ولايته، الرئيس الفيدرالي، يمكن أن يعزل بالاستفتاء. يجب إجراء الاستفتاء إذا طلبت ذلك الجمعية الفيدرالية التي يجب أن تدعى للانعقاد بواسطة المجلس الوطني الفيدرالي.... التصويت في الجمعية الفيدرالية يجب أن يتم بحضور نصف الأعضاء على الأقل وبأغلبية ثلثي الأعضاء. رفض العزل بالاستفتاء يستدعي حل المجلس الوطني وإجراء انتخابات جديدة...) وحل البرلمان هنا يعني ان البرلمان قد أساء استخدام سلطته الرقابية فكان الحل جزءاً لذلك.

وما جاء في الدستور الإسباني لعام ١٩٧٨ وذلك في المادة (٩٩) التي أوضحت بأن الملك هو الذي يسمي المرشح لرئاسة الحكومة، فإن لم يحصل على الأغلبية المطلقة، يصار إلى عقد جلسة ثانية فإن لم يحصل فيها المرشح على الأغلبية البسيطة بينت الفقرة (٥) من المادة نفسها بأن يأمر الملك بحل المجلس وإجراء انتخابات جديدة.

٦٧- د. عصمت عبد الله الشيخ : المصدر السابق، ص ٦-٧.

بل ان حل البرلمان قد تشترطه السلطة التأسيسية قبل كل تعديل للدستور، ومن ذلك ما أشار اليه الدستور البلجيكي لعام ١٩٩٣ في المادة (١٩٥) التي تقضي بان (١) - يحق للسلطة التشريعية اعلان مراجعة أمور معينة في الدستور... ٢- بعد اعلان هذه المراجعة يتم حل مجلسي الشيوخ والنواب. (٦٨).

وإذا كانت صور تحقق الجزاء واضحة في الدساتير المذكورة في اعلاه، فهي قد أوردتها المشرع التأسيسي حينما يجيد البرلمان عن ممارسة وظائفه الدستورية، فان التساؤل يظهر عن مدى تحقق فكرة الجزاء في حل البرلمان بعد تقريره الحاجة لتعديل الدستور؟

وفي معرض الإجابة نقول إن نتيجة الانتخابات النيابية التي ستجرى بعد الحل هي التي ستحقق فكرة الجزاء من عدمها، فإذا جاءت بالأغلبية ذاتها التي قررت الحاجة إلى التعديل، كان معنى ذلك إن هذه الأغلبية كانت على اتفاق تام مع الفكرة القانونية السائدة في المجتمع أما إذا لم تأت بهذه الأغلبية فمعنى ذلك أن الأغلبية لم تكن في تقريرها الحاجة إلى تعديل الدستور متفقة مع الفكرة القانونية السائدة، وهنا يأتي الحل كجزء على النواب نتيجة لإخلالهم بوظيفتهم الدستورية الأساسية والمتمثلة بضرورة تمثيلهم للإرادة العامة، وبذلك تتحقق فكرة الجزاء. ومن المعروف في القانون العام إن الجزاء لا يوقع إلا بعد الإخلال بواجب قانوني.

المطلب الرابع: مدى امكانية عد تنظيم حل البرلمان جزءاً من نظام الدستور العراقي

عام ٢٠٠٥

لقد بين الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ في مادته الأولى بأن (جمهورية العراق دولة اتحادية... نظام الحكم فيها جمهوري نيابي (برلماني)...).

وبذلك يكون الدستور قد تبني النظام البرلماني من بين الأنظمة النيابية الأخرى، لذا فلا بد من توافر دعائم أساسية لقيام هذا النظام ومنها تقرير وسائل فاعلة للتأثير المتبادل بين السلطات وتحقيق التوازن السياسي^(٦٩). غير إن الاختصاصات التي منحت للسلطة التشريعية^(٧٠) الاتحادية ممثلة بمجلس النواب^(٧١)، تتعارض وخصائص النظام النيابي البرلماني ويظهر أثر ذلك واضحاً في تقوية المركز الدستوري لمجلس

٦٨- وهو النص ذاته الذي كان واردا في الدستور البلجيكي لعام ١٨٣١ في المادة (١٣١) التي تضمنت الحل الاجباري للمجلسين بمجرد الاعلان عن تعديل الدستور. ينظر في ذلك :

R. Fusilier : Les Monarchies Parlementaires, Les ed ouvries, Paris,1968, P.454.

٦٩- ينظر د. رافع حضر شبر : المصدر السابق، ص٣٩.

٧٠- حول كثرة هذه الاختصاصات تنظر المواد (٥٥، ٦٠ /ثانياً، ٦١، ٦٢، ٧٠، ٧٦ / رابعاً، ١٢٦ /أولاً، ١٣٨، ١٤٢)

٧١- تتكون السلطة التشريعية الاتحادية في العراق من مجلسين هما مجلس النواب ومجلس الاتحاد، وفق نص المادة (٤٨) من الدستور، غير ان الدستور قد أجل العمل بأحكام المواد الخاصة بمجلس الاتحاد الى حين صدور قرار من مجلس النواب بأغلبية الثلثين وبدورته الثانية التي يعقدها بعد نفاذ الدستور ذاته وذلك وفق نص المادة (١٣٧)، ومجلس الاتحاد هذا يضم ممثلين عن الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة بإقليم. واعتقد ان التنظيم المتقدم قد جانبه الصواب، حيث كان من الأولى على المشرع الدستوري أن ينظم مجلس الاتحاد في صلب الدستور ذاته لا بقرار يصدر من مجلس النواب وذلك لأهمية هذا المجلس لكونه يمثل المصالح المتميزة للأقاليم هذا من ناحية ومن ناحية ثانية أهمية المهام التي ستناط به من تشريعية ورقابية، ومن ناحية ثالثة سيكون ذلك أكثر اتفاناً مع ما هو سائد في دساتير الدول الاتحادية الأخرى التي تنظم كلا المجلسين في صلبها مباشرة - كالدستور الأمريكي لعام ١٧٨٧ والمانني لعام ١٩٤٩ والسويسري لعام ٢٠٠٠ - . وأحال ان السبب وراء هذا الخلل في التنظيم الدستوري مرده الى قيام المشرع الدستوري العراقي بإعطاء النتائج دون المرور بالمقدمات الصحيحة، فهو قد أقر بوجود دولة اتحادية في نصوصه دون أن تكون قائمة على ارض الواقع

النواب على حساب السلطة التنفيذية، وهو بالتالي لم يأخذ بالمبدأ الجوهري الذي يقوم عليه النظام البرلماني إلا وهو التوازن بين السلطات^(٧٢). وهذا الاختلال في التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، ظهرت آثاره واضحة عند تنظيم الدستور لموضوع حل البرلمان. حيث جاء في نص المادة (٦٤) ما يلي (أولاً - يجلس النواب، بالأغلبية المطلقة لعدد أعضائه، بناءً على طلب من ثلث أعضائه^(٧٣)، أو طلب من رئيس مجلس الوزراء وبموافقة رئيس الجمهورية...).

فابتداءً لا بد لنا من ملاحظة أن الدستور قد أخذ بطريقة الحل الذاتي لمجلس النواب، حينما سمح لثلث أعضائه تقديم طلب يتضمن حله^(٧٤). ثم اتجه الدستور إلى الأخذ بالحل الوزاري عندما أجاز لرئيس مجلس الوزراء اقتراح حل مجلس النواب بشرط موافقة رئيس الجمهورية على الطلب، فان تحصلت هذه الموافقة يحال الطلب بعد ذلك على مجلس النواب للتصويت عليه، واشترط الدستور أن يحصل على موافقة الأغلبية المطلقة لمجلس النواب^(٧٥).

ويتضح من ذلك إن حل مجلس النواب الذي نظمته الدستور إنما يتحقق في حالة واحدة وهي أن يوافق المجلس على حل نفسه أي هو حل ذاتي، وهي فرضية نادرة التحقق^(٧٦). وذلك لصعوبة تصور موافقة المجلس على حل نفسه اياً كانت الجهة التي تقدمت باقتراح الحل، ذلك لأن المجلس سيكون في الوقت عينه خصماً وحكماً، ولذا فإن هذا النص سيقى معطلاً من الناحية العملية وهو ما سيرتب عليه جملة من الآثار ومنها :

١ - افتقار السلطة التنفيذية (رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء) لأية وسيلة عملية فاعلة من شأنها التأثير على مجلس النواب.

٢ - رجحان كفة مجلس النواب على كفة مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية وبالتالي اختلال التوازن السياسي بين المؤسسات الدستورية^(٧٧).

فإذا كانت تلك الآثار التي ستترتب على آلية تنظيم حل البرلمان مع لحاظ الاختصاصات الممنوحة لمجلس النواب، فإن طبيعة نظام الحكم ستتغير بالتأكيد، وهنا سنتساءل ماذا ستكون ؟

(سوى إقليم واحد في العراق) ولعل هذا ما جعله يقحم المحافظات غير المنتظمة في إقليم - التي تدار بأسلوب اللامركزية الإدارية بنص الدستور ذاته ولا علاقة لها باللامركزية السياسية التي يفترض توافرها في الدولة الاتحادية "الفيدرالية" - في مجلس الاتحاد.

٧٢- د. حميد حنون خالد : مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق، بغداد، مكتبة السنهوري، ٢٠١٢، ص ٣٣٩. وكذلك د. أحمد أحمد الموافي : رؤية حول الفيدرالية في العراق، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٨، ص ٤١. د. فائز عزيز أسعد : دراسة ناقدة لدستور جمهورية العراق، بغداد، دار البستان للنشر، ٢٠٠٥، ص ٣٤.

٧٣- الأولى أن يكون النص (بناءً على اقتراح) وليس طلب. د. فائز عزيز أسعد : المصدر نفسه، ص ٣٥.

٧٤- د. حميد حنون خالد : المصدر السابق، ص ٣٩٢.

٧٥- ينظر د. رافع خضر شبر : المصدر السابق، ص ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣.

٧٦- د. حسين عذاب السكيني : الموضوعات الخلافية في الدستور العراقي - النظام البرلماني / السلطة التنفيذية -، البصرة، الغدير للطباعة، ٢٠٠٩، ص ٨٦.

٧٧- ينظر في عرض هذه الآثار د. رافع خضر شبر : المصدر السابق، ص ١٧٦.

ذهب رأي إلى القول بأن الأركان الأساسية للنظام البرلماني قائمة في النظام البرلماني العراقي بل جميعها متحققة فيه، لذا فهو نموذج للنظام البرلماني التقليدي^(٧٨).

ويذهب رأي ثاني في الفقه الدستوري العراقي - ونحن نؤيده - إلى أن النظام الموجود في الدستور العراقي ما هو إلا نظام مختلط أساسه النظام البرلماني ولكنه ممزوج بقواعد الأنظمة الأخرى^(٧٩)، فهو نظام برلماني بيمينته مجلسيه وهو نظام هجين ويؤدي في التطبيق العملي إلى نشوء الاختلاف حول الاختصاصات وتداخلها وقد يصيب عمل المؤسسات السياسية بالشلل^(٨٠).

وهنا نتساءل عن فاعلية الحل بوصفه جزءاً منظماً يفرض بالإرادة الشعبية غير المباشرة في ظل التنظيم الدستوري والواقع السياسي العراقي جزءاً لإحلال النواب بوظائفهم الدستورية؟

إن الإجابة عن ذلك تتطلب معرفة مدى شعور النواب بمسؤوليتهم الدستورية تجاه ناخبهم، وبالتالي مدى تحسبهم لآمال الشعب وتطلعاته، ففي حال شعورهم بانحرافهم عن وظيفتهم الدستورية الأساسية وهي تمثيل الشعب كما ورد النص عليها في الدستور^(٨١)، فسيلجأون بالتأكيد إلى إنهاء عضويتهم مباشرة، سواء قدم هذا الطلب من ثلث النواب أو من رئيس مجلس الوزراء.

ولعل هذا تصور مستبعد طبقاً للظروف السياسية السائدة، إذ أن النواب، مكونات وأحزاب وأفراد، يتصارعون من أجل المحافظة على مكسباتهم، فلا يتصور تخليهم عنها بإرادتهم الذاتية والعودة إلى حوض انتخابات جديدة فرصة النجاح فيها غير مضمونة، فضلاً عن ما تتطلبه الحملات الانتخابية من جهد ومال^(٨٢). ولعل هذه الحقيقة هي التي دفعت بجانب من الفقه الدستوري العراقي إلى القول بان نص المادة (٦٤/أولاً) سيبقى معطلاً من الناحية العملية^(٨٣).

ولا يمكن أن يعترض أحد فيقول أن هذه الصورة من صور الحل موجودة في دساتير أخرى غير الدستور العراقي، فلم لا يمكن الأخذ بها؟ فمثل هكذا قول مردود للأسباب الآتية:

١. الحل الذاتي لم يكن مقبولاً - كما لاحظنا سلفاً - في أوساط الفقه الدستوري بصورة ملحوظة، كما انه لم يكن مقبولاً لدى مجموعة من الدول التي يمكن عدّها ذات تجربة ديمقراطية اسبق من العراق، وبالتالي نوابها أكثر شعوراً بالمسؤولية تجاه ناخبهم.
٢. أخذت استونيا بصورة الحل الذاتي في دستورها الصادر عام ١٩٢٠، ولكن حينما أظهرت هذه الصورة عدم فاعليتها واستبداد البرلمان، تم تعديل الدستور واستبدل بصورة الحل الرئاسي^(٨٤). والمفروض أن نعتبر من التجارب الدستورية للدول الأخرى.

٧٨- د. علي يوسف الشكري: انتهاء ولاية الرئيس، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص ٢٣-٢٤.

٧٩- د. رافع خضر شير: المصدر السابق، ص ١٨٥-١٨٦.

٨٠- د. فائز عزيز اسعد: دراسة ناقدة، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.

٨١- نصت المادة (٤٩/أولاً) على ان (يتكون مجلس النواب من عدد من الأعضاء... يمثلون الشعب العراقي بأكمله...).

٨٢- د. حسين عذاب السكيني: المصدر السابق، ص ٨٦.

٨٣- د. رافع خضر شير: المصدر السابق، ص ١٧٦.

٨٤- د. حسن سيف أبو السعود: القانون الدستوري، بغداد، مطبعة الجزيرة، ١٩٣٨ ص ٢٧٩.

٣. إن الدساتير التي أخذت بالحل الذاتي كالدستور النمساوي لعام ١٩٢٩ والدستور التركي لعام ١٩٨٢، نجدها قد أخذت بصور أخرى للحل إلى جانب الحل الذاتي، وبذلك تكون قد خففت من مساوئ الحل الذاتي. فالدستور النمساوي اخذ بصورة الحل الرئاسي وذلك في المادة (٢٩/١) التي بينت إن للرئيس الفيدرالي حل المجلس الوطني. وكما اخذ بالحل التلقائي للمجلس الوطني كجزء يفرض عليه في حال عدم موافقة الشعب بالاستفتاء على مقترح عزل رئيس الجمهورية المقدم من المجلس، وذلك وفقا للفقرة (٦) من المادة (٦٠). والحال ذاته بالنسبة للدستور التركي، إذ نجد إن المادة (٧٧) بعد أن بينت إن للجمعية الوطنية الكبرى حل نفسها بتقرير إجراء انتخابات جديدة قبل انتهاء مدة ولايتها، أعطت الحق في النص ذاته إلى رئيس الجمهورية اتخاذ قرار بإجراء انتخابات جديدة. وهذا يعني إن الدستور التركي قد تبنى صوري الحل الذاتي والحل الرئاسي في النص ذاته. ولذا نعتقد إن التنظيم الدستوري لحل البرلمان بموجب أحكام دستور ٢٠٠٥ مع طبيعة الواقع السياسي يتعارض مع فكرة كون الحل جزء يفرض على السلطة التشريعية عند إخلالها بواجباتها الدستورية، بل هو سيمهد الطريق لاستبداد المجلس النيابي الذي لن يجد أية سلطة في الدولة تمنعه من التعسف، لتجرد باقي السلطات من أية وسيلة دستورية تجاهه.

الخاتمة

بعد أن فرغنا من بيان موضوع بحثنا حق علينا أن نثبت أهم النتائج المستخلصة من البحث والتوصيات التي نراها وذلك في الفقرتين الآتيتين :

أولا : النتائج :

١. إن القواعد الدستورية من حيث طبيعتها لمي محل خلاف فيما بين فقهاء القانون الدستوري، فمنهم من يرى إنها ذات طبيعة سياسية، ومنهم من يسبغ عليها الصفة القانونية البحتة، وثالث يرى فيها إنها ذات طبيعة مختلطة وهو مانراه صحيحا. ذلك لان تكييف قواعد الدستور بأنها سياسية سيهدم القوة الإلزامية لها وللقوانين التي ستصدر في ظلها.
٢. يتأثر إجراء حل البرلمان من حيث تكييفه القانوني وفقا لتأثره بالطبيعة القانونية للقواعد الدستورية ذلك لان هذه القواعد هي التي تنظم هذا الإجراء بين ثناياها.
٣. إن تحديدنا لطبيعة القواعد الدستورية بأنها ذات طبيعة قانونية - سياسية، له فائدة هامة تتضح معالمها في خصوص موضوع البحث، إذ ان هذا التكييف سيستوعب الغاية التي يحاول المشرع الدستوري ابتداء من الوصول إليها.
٤. بما أن حل البرلمان يعد جزءا منظما دستوريا فان ايقاع هذا الجزاء يتم وفقا لأسباب استعماله وبما يحقق فلسفة وجوده، لذلك نجد ان حل البرلمان قد يعد كجزاء تفرضه السلطة التنفيذية على نظيرتها التشريعية، أو يفرضه الشعب ذاته على نوابه ان هم ابتعدوا عن فكرة تمثيله بصورة صحيحة، أو

يفرض بقوة القانون حينما تتجه الى تقريره السلطة التأسيسية ابتداء في الحالات التي قد يتعد نواب الشعب عن تحقيقهم المصلحة العامة.

٥. إن دستور عام ٢٠٠٥ تبنى صورة الحل الذاتي لمجلس النواب، وان كانت هذه الصورة لا تتسق مع كون نظام الحكم برلماني قائم على أساس التوازن بين السلطات، حينما أخذ المشرع الدستوري العراقي في عام ٢٠٠٥ بالحل الذاتي فانه لم يكن موفقا في هذا التنظيم الدستوري، ذلك لان هذه الصورة من الحل - فضلا عما سبق ذكره - تؤدي إلى إحداث الآثار الآتية :

أ- الإخلال بفكرة التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لصالح الأولى مع ما يترتب ذلك من إضعاف مركز الثانية.

ب- تغيير طبيعة النظام السياسي المتبنى في المادة الأولى من الدستور، حيث يتحول من نظام برلماني إلى نظام حكومة الجمعية، وهو نظام لا يتفق والنظام السياسي الحالي.

ت- يمنح الحل المتبنى في دستورنا الفرصة لظهور دكتاتورية واستبداد المجلس النيابي ذاته لانعدام التأثير المتبادل بينه والسلطة التنفيذية.

وبذلك لم يعد من السهل تحقيق اية فائدة علمية أو عملية من مثل هكذا تنظيم دستوري للحل.

ثانياً : التوصيات :

نوصي المشرع الدستوري العراقي بضرورة تعديل النصوص التي تتعلق بموضوع بحثنا وكالاتي :

١. لا بد للمشرع الدستوري العراقي ابتداء تنظيم الأحكام الخاصة بمجلس الاتحاد بوصفه المجلس الثاني المكون للسلطة التشريعية الاتحادية بحسب المادة (٤٨) من الدستور، وعدم ترك تنظيمه للقانون الذي يصدره مجلس النواب. لان في ذلك بدعة دستورية لا سند لها من المبادئ الدستورية في دول العالم ولاسيما الاتحادية منها.

٢. قيام المشرع الدستوري بإلغاء الحل الذاتي لمجلس النواب، حيث نرى ضرورة حذف نص المادة (٦٤) /أولاً)، وبقراً النص المتقدم كالأتي :

(أولاً- لرئيس مجلس الوزراء، بعد المداولة في مجلس الوزراء، أن يحل مجلس النواب. ويصدر رئيس الجمهورية مرسوماً بذلك على أن يكون مسبباً.

ثانياً- لرئيس الجمهورية، وعند الضرورة، أن يحل مجلس النواب بمرسوم جمهوري مسبب يوقع عليه رئيس مجلس الوزراء والوزراء.

٣. ثالثاً- لا يجوز حل مجلس النواب خلال فترة الاقتراع على الثقة برئيس مجلس الوزراء). وبذلك فأن النص المقترح من الممكن أن يحقق نوعاً من التوازن بين السلطتين، كما أنه يضمن الدور التحكيمي لرئيس الجمهورية. فضلاً عن انه سيحقق للحل فكرة الجزاء المنظم دستورياً.

٤. خشية أن تسرف السلطة التنفيذية في ايقاع الجزاء المتمثل بالحل على نظيرتها التشريعية فإننا نرى أن يضاف إلى نص المادة (٦١ /سادساً) فقرة جديدة تقرأ كالأتي (ج- لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس النواب في مدة مسألتها عن إحدى الحالات المتقدمة). وحالات مسألة رئيس الجمهورية

حسب الدستور هي : الحنث في اليمين الدستورية، انتهاك الدستور، الخيانة العظمى. وبذلك سوجد نوع من الحماية للبرلمان حينما يمارس دوره الرقابي على السلطة التنفيذية مع لحاظ مقترحنا بخصوص المادة (٦٣/ثالثا) اعلاه.

٥. الأخذ بصورة الحل التلقائي لمجلس النواب في الأحوال الآتية :

أ. يضاف إلى نص المادة (٧٠) بندا (ثالثا) نصه الآتي (ثالثا- إذا لم يتسن انتخاب رئيس الجمهورية في الاقتراع الثاني، يحل مجلس النواب، وتجري الانتخابات في مدة لا تتجاوز ثلاثين يوما. يجتمع المجلس الجديد خلال مدة عشرة أيام من تاريخ إعلان النتائج النهائية للانتخابات).

ب. يضاف إلى نص المادة (٧٦) بندا (سادسا) ينص على الآتي (سادسا- إذا لم يتسن مجلس النواب منح الثقة لمجلس الوزراء والمنهاج الوزاري خلال المدد المنصوص عليها فيما تقدم، يحل مجلس النواب، وتجري الانتخابات خلال مدة لا تتجاوز ثلاثين يوما. يجتمع المجلس الجديد خلال مدة عشرة أيام من تاريخ إعلان النتائج النهائية للانتخابات).

المصادر

أولا : الكتب

- ١-د. إبراهيم أبو خزام : الوسيط في القانون الدستوري، ك١، ط٢، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٢.
- ٢-د. إبراهيم عبد العزيز شيحا : المبادئ الدستورية العامة، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٦.
- ٣-د. إحسان المفرجي. د. كطران زغير نعمة. د. رعد ناجي الجدة : النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، ط٤، بغداد، المكتبة القانونية، ٢٠٠٧.
- ٤-د. أحمد أحمد الموائي : رؤية حول الفيدرالية في العراق، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٨.
- ٥-د. إسماعيل إبراهيم البدوي : اختصاصات السلطة التنفيذية في الدولة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٣.
- ٦-د. إسماعيل مرزه : مبادئ القانون الدستوري والعلم السياسي، ط٣، بغداد، دار الملاك، ٢٠٠٤.
- ٧-د. السيد صبري : مبادئ القانون الدستوري، ط٣، القاهرة، مكتبة عبد الله وهبة، ١٩٤٦.
- ٨-د. بشير علي محمد باز : حق حل المجلس النيابي في الدساتير المعاصرة، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٤.
- ٩-د. بكر القباني : دراسة في القانون الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع.
- ١٠-د. حسان محمد شفيق العاني : الأنظمة السياسية والدستورية المقارنة، بغداد، المكتبة القانونية، ٢٠٠٧.
- ١١-د. حسن سيف أبو السعود : القانون الدستوري، بغداد، مطبعة الجزيرة، ١٩٣٨.

- ١٢-د. حسين عذاب السكيني : الموضوعات الخلافية في الدستور العراقي - النظام البرلماني / السلطة التنفيذية -، البصرة، الغدير للطباعة، ٢٠٠٩.
- ١٣-د. حميد حنون خالد : مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق، بغداد، مكتبة السنهوري، ٢٠١٢.
- ١٤-د. رافع خضر شبر : فصل السلطتين التنفيذية والتشريعية في النظام البرلماني في العراق، بغداد، مكتبة السنهوري، ٢٠١٢.
- ١٥-د. رمزي طه الشاعر : النظرية العامة للقانون الدستوري، ط٥، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥.
- ١٦-د. سامي جمال الدين : القانون الدستوري والشرعية الدستورية، ط٢، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٥.
- ١٧-د. سعاد الشرقاوي : القانون الدستوري والنظام السياسي المصري، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠١.
- ١٨-د. سعاد الشرقاوي : النظم السياسية في العالم المعاصر، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢.
- ١٩-د. صالح جواد الكاظم، د. علي غالب العاني : الأنظمة السياسية، بغداد، دار الحكمة، ١٩٩١.
- ٢٠-د. عبد الحميد متولي : القانون الدستوري والأنظمة السياسية مع المقارنة بالمبادئ الدستورية في الشريعة الإسلامية، ط٦، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٩.
- ٢١-د. عبد الغني بسيوني عبد الله : القانون الدستوري، بيروت، الدار الجامعية، ١٩٨٧.
- ٢٢-د. عبد الله ناصف : مدى توازن السلطة السياسية مع المسؤولية في الدولة الحديثة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨١.
- ٢٣-د. عصمت عبد الله الشيخ : الدستور بين مقتضيات الثبات وموجبات التغيير، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢.
- ٢٤-د. علاء عبد المتعال : حل البرلمان في الأنظمة الدستورية المقارنة، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٤.
- ٢٥-د. علي يوسف الشكري : انتهاء ولاية الرئيس، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.
- ٢٦-د. فائز عزيز أسعد : انحراف النظام البرلماني في العراق، بغداد، مطبعة السندباد، ١٩٨٤.
- ٢٧-د. فائز عزيز أسعد : دراسة ناقدة لدستور جمهورية العراق، بغداد، دار البستان للنشر، ٢٠٠٥.
- ٢٨-د. كمال الغالي : مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، دمشق، مطبعة الداودي، ١٩٨٥، -١٩٨٦

- ٢٩- د. ماجد راغب الحلو : النظم السياسية والقانون الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥.
- ٣٠- د. محسن العبودي : المبادئ الدستورية العامة وتطور الأنظمة الدستورية المصرية، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٦، ١٩٧٢،
- ٣١- د. محسن خليل : القضاء الإداري اللبناني ورقابته لأعمال الإدارة، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٩.
- ٣٢- د. محمد انس قاسم جعفر : النظم السياسية والقانون الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٩.
- ٣٣- د. محمد السناري : القانون الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع.
- ٣٤- د. محمد المجذوب : القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان، ط ٤، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، ٢٠٠٢.
- ٣٥- د. محمد عبد الحميد أبو زيد : حل المجلس النيابي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٨.
- ٣٦- د. محمد كامل ليلة : النظم السياسية، القاهرة، دار الفكر العربي، بلا سنة طبع.
- ٣٧- د. مصطفى أبو زيد فهمي : مبادئ الأنظمة السياسية، ط ١٠، الإسكندرية، دار الهدى للطبوعات، ٢٠٠٧.
- ٣٨- د. منذر الشاوي : النظرية العامة في القانون الدستوري، عمان، دار ورد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
- ٣٩- د. منذر الشاوي : فلسفة القانون، عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.
- ٤٠- د. منذر الشاوي : القانون الدستوري - نظرية الدستور، بغداد، منشورات مركز البحوث القانونية، ١٩٨١.
- ٤١- د. نوري لطيف، د. علي غالب العاني : القانون الدستوري، بغداد، ١٩٨١.

ثانيا : الرسائل والاطاريح الجامعية

- ١- أحمد عبد اللطيف إبراهيم : رئيس الدولة في النظام البرلماني، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس - كلية الحقوق، ١٩٩٦.
- ٢- زياد محمد هادي : جزاء مخالفة القاعدة الدستورية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد - كلية القانون، ٢٠٠١.
- ٣- فائز عزيز أسعد : مبدأ علو الدستور، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد - كلية القانون، ١٩٨٠.
- ٤- فتحي عبد النبي الوحيددي : ضمانات نفاذ القواعد الدستورية، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة - كلية الحقوق، ١٩٨٢.
- ٥- علي سعد عمران : حدود حل البرلمان، اطروحة دكتوراه، جامعة بابل - كلية القانون، ٢٠١٤.

ثالثا : المصادر المترجمة

- ١-موريس دوفرجيه : المؤسسات السياسية والقانون الدستوري، ترجمة د. جورج سعد، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢ .
- ٢-هنري باتيفول : فلسفة القانون، ترجمة د. سمويح فوق العادة، ط٢، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٨٠،
- ٣-ليون ذكي : دروس في القانون العام، ترجمة د. رشدي خالد، بغداد، مركز البحوث القانونية، ١٩٨١ .

رابعا : الدساتير

- ١-الدستور الاسترالي لعام ١٩٠٠ .
- ٢-الدستور النمساوي لعام ١٩٢٩ .
- ٣-الدستور التركي لعام ١٩٨٢ .
- ٤-الدستور البلجيكي لعام ١٩٩٣ .
- ٥-الدستور اليمني لعام ٢٠٠١ .
- ٦-الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ .
- ٧-الدستور المصري لعام ٢٠١٢ .

خامسا : المصادر الفرنسية

A – Les livres :

- G. Burdeau : Manuel Droit Constitutionnel, 21 ed,L.G.D.J. Paris, 1988.1-
- 2-R. Fusilier : Les Monarchies Parlementaires, Les ed ouvries, Paris,1968.

B – Articles :

1. M.EZ.Gorden: Histoire Du regime Parlementaire Anglais, Revue AL Qanoun wal Igtisad, 1xeme Annee, No1, 1939
2. Zerari Fathi:Le Naissance du Droit Constitutionnel,Journal of law,No3,Vol 33,university of Kuwat,2009

تمثلات المرايا في التكوينات الهندسية للروضة الكاظميه

Representations mirrors in engineering configurations to kindergarten Kazimiyah

Dr. Athmar Hamid Cream

د. أثمار حميد كريم^(١)

ملخص البحث:

١. تعتمد الزخارف الهندسية في الدرجة الاساس على بناء الشبكة الاساسية في ضوء الفضاء المتاح ووفق تنوعات التكرار والانسجام والتوازن في رسم الوحدات والمفردات الزخرفية او توزيع مراكز تولد المفردة الزخرفية في مركز التصميم او على جانبية، أن البعد الروحي في صميم الزخارف الإسلامية يمثل الاستجابة لشعور خفي (باطني) يتجه إلى الغيب او المطلق وقد لا يمكن أن يلمسه المتلقي في تجاربنا الزخرفية للواقع المحسوس الذي يأتي متناغما مع فطرة الإنسان وميوله الغريزية بالجمال.
٢. التنوعات الشكلية الهندسية في التكوينات الزخرفية العمارية تعتمد على عنصرين اساسيين من الوحدات والمفلاذات الهندسية شكل المربع وشكل الدائرة أن الأنظمة البنائية فائقة الدقة للنماذج الزخرفية الإسلامية جاءت بهدف خلق وحدة ذات تعبير وظيفي ومدلول روحي عقائدي وفق منهج جمالي أحاذ يلزم بصر المتلقي في ان يتأمل ويتخيل للوصول إلى الروحي والوظيفي.
٣. اخذت الزخارف الهندسية الإسلامية مجالاتها العمارية والفنية الى حد مذهل ساعد الى تطورها كبنية رمزية بوحدها الشكلية الهندسية او تجريدية غاية في التحرر.

١ - جامعة بابل/كلية الفنون الجميلة/ قسم التربية الفنية.

٤. الزخرفة الهندسية والعمارية لها بنية رياضية وتعتبر الرياضيات نظام ونسق منطقي في تكوينات الزخارف الهندسية في العمارة الاسلامية اذا ان الزخرفة هي شكل مكتمل للفكر الرياضي.
٥. عنصر الرياضيات كان الرابط المشترك الاساس في مبدأ تنظيم الزخرفة الهندسية للهندسة والعدد كانت مرتبط بجوهر رسالة الوجدانية والرقم واحد هو الرمز الفكري لأصل الكون.
٦. الاشكال الزخرفية الهندسية في العمارة الاسلامية تعطي اشارة تنعكس من خلال ثلاثة جوانب منها العناصر الشكلية ذاتها والثاني يرتبط بترتيب العناصر الشكلية وتركيبها في التكوين الزخرفي والثالث المعنى ومدى تأثير التكوين الزخرفي على مستوى الكل.
٧. العمل الفني الزخرفي لتنوع الاشكال الهندسية لم يكن شيئاً في ذاته وانما ما يضيف عليه من معنى كما انها ليس محددة بتغطية السطوح وانما ايضاً تساعد في تحويل الفضاء.

المقدمة:

(الروضة الكاظمية) تقع في مدينة بغداد ويقع بالقرب منها مرقد (الشريف المرتضى)^(١) وتحتوي الروضة الشريفة على الجسد الطاهر للامام موسى بن جعفر عليه السلام المولود في ٧ صفر سنة (١٢٨ هـ / ٧٠٧م) في قرية الابواء^(٢) وأمه يقال لها "حميدة" بنت صاعد "المغربية" وقيل "الاندلسية" وكان يلقب بـ (الكاظم) ويكنى بابي الحسن، استشهد في ٢٥ من رجب سنة (١٨٣ هـ / ٧٦٢م) وله من العمر الشريف (٥٤ سنة).^(٤) كما تضم الجسد الطاهر للامام محمد بن علي عليه السلام المولود في ١٠ من رجب سنة (١٩٥ هـ / ٧٧٤م) وأمه الخيزران من أسرة "مارية القبطية" زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقب بالجواد ويكنى بابي جعفر، استشهد في ٦ من ذي الحجة سنة ٢٠ هـ وله من العمر الشريف (٢٥ سنة).^(٥)

قد بنيت الروضة الكاظمية على يد اسماعيل الصفوي ويبدو أن حب الصفويين لآل البيت عليهم السلام وحرصهم على اظهار اماكنهم المقدسة بالمظهر اللائق جعل المكان يظهر بمظهر جميلاً ورائعاً سار العثمانيون على هذا النهج بعناية اذ امر السلطان سليم العثماني في بناء أربع مآذن فضلاً عن المآذن الأربعة التي شيّدت بأمر من اسماعيل الصفوي عام (١٠٤٥ هـ / ١٦٢٤م)^(٦). في حين كسيت المقرنصات

٢- الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام الملقب بـ(الشريف المرتضى) وهو عالم في علم الكلام والأدب والشعر ولد في سنة (٣٥٥ هـ / ٩٣٤م) وترك من المؤلفات العلمية ما يقارب ثمانين الف مجلد من مفرداته ومصنفاته ومخطوطاته توفي سنة (٤٣٦ هـ / ١٠١٥م) ودفن في داره حيث مرقدة آلان في مدينة الكاظمية. للمزيد مراجعت: الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة العراقية، قسم الكاظمين، ج: ١، دار التعارف، بغداد، ١٩٦٥ ص: ٣٦

٣- الابواء: قرية تقع قرب المدينة المنورة فيها قبر آمنة أم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مهدي آيت الله، مع المعصومين، ت: كمال السيد، ج: ١١، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ايران، ٢٠٠١ ص: ٤

٤- المصدر السابق، ص: ٣

٥- المصدر السابق، ص: ٤

٦- آل ياسين، محمد، مقابر قريش، مجلة الأقاليم، ج: ٣، ١٩٦٨ ص: ٦٨

العنقودية وبعض التشكيلات الزخرفية بقطع المرايا سنة (١٢٣٠هـ/١٨٠٩م)^(٧) ومن الواضح أن الروضة الكاظمية تتكون من السور الخارجي والمدخل وبعدها الاواوين والصحن والحرم حتى الوصول إلى الضريح. أن الصحن الشريف على شكل حرف (U) بالمقلوب فيبلغ طوله (٣٧٠ متر) وعرضه (١٥٠ متر) وينفذ إلى الصحن عبر مداخل عشرة أبواب موزعة على الأركان الأربعة ويحيط به من الجهات الأربع رواق (٥ أمتار)^(٨).

فالضريح يقع في احد جوانب الصحن المكشوف وتبلغ أبعاده (١٤٠×١٣٥م)^(٩) ويضم الضريح القبرين الشريفين اللذين يغطيهما الصندوق وهو من الخشب وخارجه مشبك من الفضة، وحواشيه مزانة بالذهب كما تعلو القبرين قبتان ذات الشكل البصلي مكسوتان بالذهب عام (١٢١١هـ، ١٧٩٠م)^(١٠) تقوم كل منهما على رقية طويلة ومطلية مع رقيتها بالذهب ومزينة من الداخل بالنقوش والمرايا الرائعة. في حين الاواوين زينت بمادة البلاط والأجر المزجج اذ شغل كل إيوان عناصر زخرفية كتابية تتضمن إليه من الذكر المجيد وبعض من الأدعية بخطوط نصية من الذكر الحكيم وبعض الأدعية وهناك حُجر داخل كل إيوان فضلاً عن الحجر التي تجاور كل مدخل من مداخل الروضة الكاظمية والإيوان يتضمن ابواباً متمثلة بباب القبلة وباب المراد وباب المغفرة وباب قريش.

وتميزت الروضة الكاظمية بالعناصر الزخرفية المتنوعة منها النباتية والهندسية فضلاً عن الأشكال العمرارية والحيوانية والاشطرة الخطية التي نفذت بمادة الكاشي الكريلائي والأجر المزجج والمرايا.

نبذة تاريخية عن المرايا:

من خلال الملاحظة للروضة الكاظمية نجد بان نسبة ٠/٠٦٠ من الزخارف المنفذة في الروضة المطهرة هي زخارف منفذة بالمرايا في العديد من الأماكن سواء فوق الضريح الشريف او في الممرات الداخلية وكذلك الجزء العلوي من الجدران مما اكسب الروضة منظراً جميلاً ولما للمرايا من خواص عاكسة لا يتمتع بها باقي الخامات.

نرى من الضروري التطرق لوظيفة المرايا وكذلك تاريخ نشوءها، المرآة miroir سطح مستو صقيل يعكس صورةً للأجسام الواقعة أمامه.^(١١) المرآة المائية أو صفحة الماء كانت أقدم مرآة عرفها الإنسان في التاريخ، ومن اشهر المرايا قديماً مرآة بابل اسم بابل يعني (بوابة الإله) وهي مدينة عراقية تقع على نهر الفرات وكانت عاصمة البابليين حيث كانوا يحكمون وسط وجنوب العراق واستطاع سلالة البابليين الأولى في ظل حكم حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠) قبل الميلاد من الإستيلاء على معظم اجزاء العراق أصبحت

٧- عيسى سلمان ومجلة العزي وهناء عبد الخالق ونجاة يونس، العمارة العربية الاسلامية في العراق، وزارة الثقافة والاعلام، العراق ج: ٢٠١٩، ص ١٨٥

٨- ال ياسين، المصدر السابق، ص ٦٧

٩- دليل السياحة الدينية في العراق، وزارة الثقافة والأعلام بغداد ٢٠٠٩، ص ٣٨

١٠- المصدر السابق، ص ٣٩

١١- هشام طارق، المنجد الفيزيائي، جامعة الرياض، السعودية، ٢٠٠٧، ص ١٥

بابل عاصمتهم التي اشتهرت بحضارتها. ويروى ان في بابل القديمة ٧ مدن تتميز كل منها بميزة سحرية، فالمدينة الرابعة كان فيها مرآة من حديد، فإذا غاب رجل عن أهله وأرادوا ان يعرفوا عن حاله التي هو فيها أتوا بالمرآة ووضعوا أمامها اسمه ونظروا فيها فأروه على الحالة التي هو فيها. فلقد كان اهل بابل يستخدمون المرآة السحرية لمعرفة احوال الغائبين عن أهلهم فكانوا يذكرون اسم احبائهم او اسم احد افراد العائلة فيستحضر صاحب الاسم وينظر إليه اهله في مرآة بابل العجيبة^(١٢).

تعتبر المرايا التي ظهرت كأدوات من صنع البشر حديثة العهد إذ بدأ استخدامها كمرايا نحاسية في بلاد الرافدين^(١٣)، وكان لها أشكال وتصميمات مختلفة ومنها المرآة ذات المقبض الذي يصنع من عدة مواد كالبرونز أو العاج أو الخشب وكانت تحفظ في علب بغرض حمايتها، وقد عثر على عدة مرايا بقرص نحاسي مصقول.

أما المرآة الزجاجية فقد ظهرت لأول مرة في القرن الـ ١٦ في مدينة فينيسيا (البندقية) الإيطالية، وكانت آنذاك أعجوبة سحرية افتتن بها سائر الناس وانتشرت بينهم حتى أنها أصبحت موضوعاً استوحى منه الفنانون أعمالهم، وكانت تُصنع بكميات قليلة قياساً في الوقت الحاضر، وكان الوجه الخلفي للزجاج يُغطى بطبقة رقيقة من القصدير ممزوجاً مع الزئبق، وبعد عام ١٨٤٠ استبدلت بهذه الطبقة طبقة من الفضة. وقد تطورت صناعة المرايا الزجاجية إلى استخدام مرايا ثابتة كبيرة جزءاً من أثاث المنازل. كما استخدمت مرايا مفضضة صغيرة بكثرة في الشرق لتزيين الملابس وللديكور. بعد ذلك استخدم الألمنيوم مادةً عاكسة؛ لأنه عاكس جيد مثل الفضة تقريباً، ولكنه أكثر مقاومةً للأكسدة.

اما بخصوص انواعها توجد ثلاثة أنواع شائعة من المرايا؛ وهي المرايا المستوية التي يكون سطحها مستوياً، والمرايا المقعرة، والمرايا المحدبة التي يكون سطحها جزءاً من سطح كروي.

Introduction:

Kindergarten (Kazimiyah) located in the city of Baghdad and is located near the shrine of (Sharif al-Murtaza) () and contain Rawdah the pure body of Imam Musa bin Ja'far (peace be upon him) was born on 7 Safar (128 AH / 707 AD) in the village of Aloboa () and his mother said her "benign" girl bullish "Moroccan" and was told "Andalusian" and was nicknamed (Kazim) and nicknamed Papi Hassan, cited in 25 of Rajab (183 AH / 762 AD) with the age-Sharif (54 years). () also includes the body Tahrellamam Mohammed Ben Ali (peace be upon him) was born in 10 of Rajab (195 AH / 774 AD) and his mother bamboo from the family of "Maria Coptic" wife of the Prophet (Allah bless him and his family) nicknamed Paljoad and

١٢ - جبار، طارق، الصناعات القديمة، دار المامون للطباعة والنشر، ١٩٨٨، ص ٢٩
١٣ - كحة جي، صباح، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، المطبعة الوطنية، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٧١.

nicknamed Papi Jaafar, cited in 6 of the argument the year 20 AH with the age-Sharif (25) years.()

Kindergarten Kadhimiya has been established by Ismail I seem to love the Safavid family of the house and are keen to show their holy places in the proper manner to make the place look like a beautiful and wonderful and delightful Ottomans this approach carefully as it ordered the Ottoman Sultan Selim in the construction of four minarets as well as the four minarets constructed by order of Ismail I year (1045 AH / 1624 AD) (). While covered with stalactites and cluster configurations cut some decorative mirrors the year (1230 AH / 1809 AD) () It is clear that K consists of Kadhimiya shrine and saucers Alawaoan.

Valdharieh is located in the center of the dish and the dimensions (140 m × 135 m) () and includes the shrine graves Mosques who covered under the fund which is made of wood and outside the buckle of silver, and the fringes decorated with gold as above the graves with two domes shaped onion Maxōtan gold a year (1211 AH 0.1790 m) () is each of them on a long neck free from windows and coated with gold and decorated her neck from inside the magnificent carvings and mirrors.

The holy shrine stands at length (370 meters) and width (150 meters) and included ten sections spread over the four corners and surrounded by four sides gallery (5 meters).

While Alawaoan decorated textured tiles and wage glazed as filled every Ewan Bouktoota text from the Holy Quran and some prayers and there stone within each Ewan as well as the stone which adjoin every entrance kindergarten Alkazemih.owalioan includes doors, represented by the door of the kiss and the door to be the door of forgiveness and the door of the Quraysh.

And characterized kindergarten Kazimiyah diverse, including decorations and plant engineering as well as Ammaria and animal shapes and linear tapes carried Kashi Karbalai textured and glazed tiles and mirrors.

A brief history of mirrors:

Through observation of kindergarten Kadhimiya, we find that the 060/0 ratio of executing in kindergarten cleared motifs are motifs executed mirrors in many places both above the shrine Sharif or in inland waterways as well as the upper part of the walls, which earn kindergarten a beautiful

sight and what the mirrors of the properties of reflective does not enjoy the rest of the raw materials.

Find researcher necessary to function mirrors, as well as the date of emergence addressed, mirror miroir flat surface satin reflects the image of the objects located in front of him. ((Water mirror page or water was the oldest mirror known to man in history and already the animals ever known before, and months mirrors old woman Babylon name Babylon means (gate of God), an Iraqi town on the Euphrates River and was the capital of the State of the Babylonians, where they rule the regions between the two rivers (Euphrates and Tigris) and was able to breed the first Babylonians under the rule of Hammurabi (1792-1750 BC) of the seizure of most of the provinces between rivers of Babylon became the capital known for its civilization. the story goes that in ancient Babylon 7 cities each of which is characterized by the advantage of the magic, the city is the fourth in the mirror of iron, Vamagab man from his family and wanted to know about the situation that is where they came from women and put in front of her name and looked where Frooh on the situation that is there. the people of Babylon have used the magic mirror to see the conditions of absentees from their parents and they mention the name of their loved ones or family member name Visthoudr his name and seen his family in a strange mirror of Babylon) .)

Considered mirrors that have emerged as tools of recent man-made as it began to be used copper Kamraaa in Mesopotamia (), and have had different shapes and designs, including those with the handle mirror which is made of several materials Kalprunz or ivory or wood, were kept in boxes in order to protect them, have been found several mirrors disk brass polished, the glass mirror has emerged for the first time in the 16th century in the city of Venice Italian, and was then magically marvel fascinated by other people and spread them until they became the subject inspired the artists, their work, and were manufactured in small quantities measured in At present, the rear face of the glass covered with a thin layer of tin mixed with mercury, and then in 1840 replaced this layer of silver layer. Mirrors, glass industry has evolved to use a large part of the fixed mirrors homes furniture. Mirrors Mvddh small as frequently used in the Middle to decorate clothing and decor. I then used the aluminum reflective material; for it is a good reflector almost like silver, but it is more resistant to oxidation.

As for the types There are three common types of mirrors; they are flat mirrors which have flat surface, and concave mirrors, convex mirrors, which is part of the surface of a spherical surface.

فلسفة شكل المرايا الهندسية في الزخرفة الإسلامية:

العناصر المفاهيمية لهيئة أي شكل هندسي تكون غير مرئية للعيان ولكنها مدركة في الذهن فهناك نقطة ما عند زاوية الشكل وخط ما يحدد شكله وسطح ما يحيط به وكتلته تشغل فضاء^(١٤) وحينما النقاط والخطوط والسطوح والكتل لهيئات الأشكال تتحول عملياً وذلك بتجسيدها بصرياً وملمسياً تصبح عناصر لها مدلولات مرئية واقعية فيتكون عنصر النقطة لبداية ونهاية خط او تقاطع او تلاقي خطوط في الشكل الهندسي أما عنصر الخط يكون مسار اتجاهياً من تحرك النقطة له موقع معين في هيئة الشكل، ومن مسارات الخطوط يتكون سطح الشكل وهذا السطح المتكون له موقع واتجاه ضمن هيئة الشكل الذي به تحدد نهايات كتلة الشكل ومن تشكل مسارات الأسطح تتكون كتلته والتي تتحدد بعدد أسطح الشكل وان لكل سطح(مستو) موقعا في الفضاء ففي تصميم البعدين للأشكال الهندسية تدرك كتلتها بادراك العمق البصري أي إيهاما، وفي تصاميم الابعاد الثلاثة تجسد وتجسم بطبيعة مادية أي يصبح لها شكل وحجم ولون وملمس فالعناصر البصرية لهيئة أي شكل هندسي تتحدد في الأتي:

١. عنصر الشكل المرايا: الذي يحدد هوية المظهر للشكل .
٢. عنصر الحجم المرايا: يوضح القياس الطبيعي والنسبي لهيئة الشكل .
٣. عنصر اللون (والمقصود به شدة لمعان المرايا): الصفة المميزة للشكل عن محيطه .
٤. عنصر الملمس(المتحقق من قطع المرايا وترصفتها المقرنص): إظهار السمات السطحية للأشكال وقد تكون سطوحاً مستوية او زخرفيه او بارزة بقدر ما^(١٥)

فهيئة الشكل الهندسي ليست فقط شكلا مرئيا وإنما هي شكل محدد بالحجم واللون والملمس، لقد استطاع الفنان المسلم من خلال استخدام المرايا تحقيق بعدا جماليا فالشكل عنده متحقق بشكل متجسم من خلال الارتفاع وعكسة المناطق العميقة الحاصلة من القطع الفني لاجزاء المرايا، وكذلك توصل الى غاية في الروعة والجمال من خلال فلسفة استخدام المرايا ومالها من عكس لألوان بكم هائل وحصوله على ملابس مختلفة نتيجة الانكسارات الناتجة من قطع المرايا كما هو مبين في طريقة العمل في الشكل المرفق:

14 – Wong, W, principles of two Dimen sional Design, new york, 1972.ص٧

١٥ - نعيم، عنايات، الزخرفة الهندسية، جامعة حلوان، مصر، ٢٠٠٨، ص٢٦-٢٧



الأشكال الزخرفية تعطي إشارة تنعكس من خلال ثلاثة جوانب الأول منها هو العناصر ذاتها والثاني يرتبط بترتيب العناصر وتركيبها والثالث هو المعنى ومدى تأثير الشكل للرائي^(١٦).

وان معظم الأشكال الزخرفية الهندسية للمرايا الإسلامية تبنى على أساس حسابي وان جميع هذه الأشكال تحتفظ بدلالاتها الخاصة^(١٧) فالشكل الزخرفي الهندسي المبني بناء رياضيا يتطلب نشاطا عقليا يكشف عن أسرارها ويمسك بثراه وتعقيده فقدرته الفنان المسلم على الموازنة بين الأشكال الهندسية ذات بنية خطوط مستقيمة وذات بنية خطوط منحنية، فالخط الهندسي بنوعيه المستقيم والمنحني كليهما له جمال رياضي يستشعره العقل والمزاوجة بين تنوع خطوط الأشكال الهندسية يعطي محصلة جمالية رائعة^(١٨). ويمثل الشكل المرايا الهندسية كذلك الهيئة الزخرفية الهندسية العمارة التي يأخذها للتعبير عن المحتوى اذ يكون الشكل في الهيئة الزخرفية في علاقة تبادلية مع المادة والأسلوب الفني الذي يستخدمه المزخرف المعماري وأسلوبه الشخصي في استغلال واستخدام المواد والوسائل والأدوات في إنجازها للهيئة الزخرفية العمارة بحيث يجعل الشكل الهندسي جامعا للجانب الرمزي والجانب العملي وتكون الوظيفة الفعلية لموضوع الزخرفة الهندسية بالإمكان إشباعها بمدى واسع من الأشكال الهندسية والهيئات الزخرفية العمارة كالأشكال الهندسية الأساسية للزخارف العمارة مثل الدائرة، والمربع، والمضلع، والمثلث التي تعد مصدر إنتاج الكثير من الهيئات والموضوعات الزخرفية الهندسية العمارة أما باقي الأشكال فهي محتواة في هذه الهيئات ومشتقة منها^(١٩) لذلك تتخذ الأشكال في الفن الزخرفي الإسلامي أهمية فلسفية كبيرة.

١٦- الفندي، محمد ثابت: فلسفة الرياضة، دار النهضة العربية ٠ بيروت، ١٩٦٩م، ص٧٤
 ١٧- رايسر، دولف: بين الفن والعلم، ترجمة: د. سلمان الواسطي، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٦م، ص٧٤
 ١٨- الفندي، محمد ثابت، مصدر سبق ذكره، ص٨٢
 ١٩- عفيفي، بهنسي: الفن الحديث في البلاد العربية، دار الجنوب للنشر، اليونسكو، ١٩٨٠م، ص٧٧

ان استخدام المرايا العاكسة لعدد غير متناهي من الاشكال ينحى منحى فلسفي في التوصل الى علاقة لانتهائية تشد المتلقي الى طريق سرمدي ليس له نهاية انظر الشكل المرفق:



فن هندسة المرايا من الفنون الزخرفية ذات الطابع الهندسي التي استخدمت في الروضة الكاظمية والتي وظفها الفنان المسلم ليس فقط للزينة بل لغايات وظيفية اخرى بالاضافة الى الناحية الجمالية، وان تقطيع المرايا ولصقها بالشكل الرائع تقوم بعكس الضوء وينتج عن ذلك (زيادة مصدر الانارة) في الروضة. (٢٠) محققة بذلك بعدا روحية ووظيفيا، فضلا عن تحقيق التجسيم (البعد الثالث) الذي يعطي استلاما بصريا ذات ثراء جمالي.

وبقيت هذه المهنة في ازدهار واكتسبت أهمية كبيرة، ثم أدخلت عليها تقنيات حديثة في صناعة الزجاج كأشكال بديلة عن النفخ التقليدي، لارتباطها ارتباطاً وثيقاً مع منتجات الديكور والإكسسوارات.

لم يكن هناك معمل لانتاج الزجاج في العراق حتى تم افتتاح معمل كبير للمرايا عام ١٩٣٥ لصناعة المرايا وحفر الزجاج وعمل الجداريات الفنية من قطع المرايا الصغيرة المقطعة بأشكال هندسية التي كان تزين بها المراقد والاماكن المهمة. (٢١)

لتضيف المهالة المعنوية للزخارف الممتدة في فواصل مرقد الامامين الجوادين عليها السلام بشكل مثير للانتباه ويؤسس ناتجا جماليا مبتغاة.

٢٠- بن شاکر، بنو موسى، الخليل، مكتبة المعارف بمصر، ١٩٥٨، ص ١٠٩.
٢١- كحة جي، صباح، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٤.

الجانب العملي:

عينة رقم (١)



اسم العمل: زخرفة منفذة بالمرايا.

الخامة: قطع المرايا.

النوع: زخارف مركبة بالمرايا مقعرة.

قطر الدائرة: ١٢ م.

مكان العمل: داخلي.

اولاً: الوصف العام:

ان هذا الجزء الزخرفي يمثل تغليف اسفل قبة الامام موسى الكاظم عليه السلام أي جزء من التصميم الداخلي للحرم الشريف، والشكل هو يمثل مقطع مقعر نفذ بقطع المرايا الهندسية وتوجد فيه بالاضافة الى الاشكال الهندسية للمرايا المستوية، كلمات تمثل (اسماء ائمة اهل البيت عليهم السلام) نفذن بخط الثلث باللون

الاسود، كما يحتوي التصميم الزخرفي الهندسي على خطوط منحنية كاسية تلتف عند الاسماء السابق ذكرها وتلتقي مع بعضها عند قمة كل اسم نقطة التقاء تنتهي بجزء كاسي.

ان الشكل المقعر تتمركز فيه زخرفة المرايا الهندسية بشكل شعاعي يتكون من خلاله اثنا عشر راسا بين كل راس واخر يوجد اسم لأحد الأئمة (اهل البيت عليهم السلام)^(٢٢) وكذلك يخرج من هذا التصميم الشعاعي، اثنا عشر شكلا كاسيا زخرفيا، ان رقبه القبة شغلت ايضا بالمرايا وتخللها اثنا عشر نافذة تكون امتداد للثاني عشر شكلا كاسيا زخرفيا التي تحمل الاسماء الشريفة.

كما تخرج من مركز القبة من الداخل (سلسلة حديدية ضخمة) تحمل ثريا كبيرة من الكرستال العاكس للضوء والتي تشع منها انارة قوية تبهر الأبصار قطرها عريض يبلغ ٢م تزين اعلى القبر الشريف.

ثانياً: التحليل والمناقشة:

ان فكرة العمل الفني الزخرفي هي فكرة تجسد العقيدة الاسلامية من خلال الزخارف الهندسية التي تعكس جوانب روحية عميقة لها جذور تاريخية ترجع بالمتلقي للاشكال التي ابتكرها الفنان الرافديني بالكتابة الصورية والمسمارية، ان للاشكال الهندسية دلالات روحية بمفاهيم قد تكون في بعض الاحيان سحرية، مع وجود عناصر من الزخرفة النباتية الكاسية بالاضافة الى اسماء ائمة اهل البيت عليهم السلام وما لها من اهمية كبيرة لدى المسلمين وهذه الاسماء تمثل: اسم علي بن ابي طالب امير المؤمنين واخ الرسول وباب علما وأبنية الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة ومن ثم التسعة المعصومين من ذرية الحسين آل البيت عليهم السلام الذين استكملت فيهم الصفات الإنسانية، وبلغوا ذروة الكمال المطلق، وأقاموا منار هذا الدين، ورفعوا شعار الحق والعدل في الأرض، وتبنوا القضايا المصيرية للإسلام، وعانوا في سبيله جميع ألوان الخطوب، ولاقوا كل جهد وضيق من جبابرة عصورهم وطغاة أزمانهم.

اما بخصوص عناصر التكوين الزخرفية لهذا العمل الفني وما تعكسه من آثار روحية لتحقيق جوانب وظيفية جمالية، نبدأ بالخط فقد احتوى هذا العمل الفني الزخرفي الخطوط المستقيمة التي ابدعت الزخارف الهندسية بالاضافة للخطوط المنحنية (الخط الطايش) تحديدا الذي التف هنا وهناك حول الاسماء الطاهرة التي تمثل قمم لكل المعاني الانسانية العالية التي هي نفحة من روح الرسول محمد الطاهرة عليه السلام، تبدأ ب: (علي) وليد الكعبة الذي شاء عز وجل أن يُولد في الكعبة مصباح يستمد وقوده من معين النبوة، ثم اقتضت حكمته جل وعلا ان يقترن إمام المتقين بسيدة نساء العالمين، في يوم سجل فيه التاريخ أسمى تكريم لهما بلسان سيد الرسل، وهو ممسك بيد كل منهما قائلاً: (مرحبا ببحرين يلتقيان ونجمين يقتربان، اللهم اجمع شملهما، وألف بين قلوبهما واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم وارزقهما ذرية طاهرة)^(٢٣)

٢٢- ان المقصود باهل البيت عليهم السلام (علي ابن ابي طالب، الحسن ابن علي، الحسين ابن علي، علي بن الحسين السجاد، محمد بن علي الباقر، جعفر بن محمد الصادق، موسى بن جعفر الكاظم، علي بن موسى الرضا، محمد بن علي الجواد، علي بن محمد الهادي، الحسن بن علي العسكري وأخيرا الحجة المنتظر عجل الله فرجه) صلوات الله عليهم اجمعين.

٢٣- زفروق، محمد حمدي، العقيدة الدينية، دار الازهر الاسلامية، مصر، ١٤١٥. ص ١١.

فسلام على النسل المطهر الذي أنحدر من مشكاة هذين النورين، لتبقى الفضيلة امتداداً حياً لدعوة خاتم الأنبياء صلوات الله عليه واله وسلم الذي توغل نظره الشريف في أعماق الآتي من الزمان، تنتهي هذه الاسماء الطاهرة ب(الامام الحجة) صاحب العصر والزمان فتكون من خلال هذا التكرار الدائري حلقة دائرية تعكس جوانب روحية لما للدائرة من معان روحية تتمثل بدوران المسلمين حول الكعبة وكذلك دوران الزائرين حول قبرين الشريفين، اذن نجد ان العلاقة الجدلية بين الدين والفن عند الفنان المسلم، كانت ومازالت علاقة جذرية قديمة، كلاهما يلامس الروح، ينبثق منها ويؤدي اليها ويسعى في كل مرة الى تهذيبها والارتقاء بها الى مديات روحية.

ان امتداد القبة أي الرقبة تحتوي اثني عشر شبكاً، ان وجود هذه المنافذ في الرقبة لها جوانب روحية لكونها منفذ لدخول الضوء الإلهي الذي يمثل ضوء الهداية والارشاد الى الطريق المستقيم وهي فكرة عقائدية مستواة من فحو القرآن الكريم قال تعالى: (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)^(٢٤) (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ)^(٢٥)، وجوانب وظيفية من حيث التهوية ومصدر طبيعي للإنارة، فحقق بذلك جوانب روحية ووظيفية في نفس الوقت، ان اظهار الناتج المقعر لنموذج عينة الدراسة اظهر انبهاراً بنايياً اضافة سمات جمالية متعددة رافقتها بعدها الروحي المتمثل بالاجزاء التي تضمته الأشكال السائدة والفرعية الأخرى.

اما بخصوص الشكل فقد استخدم الفنان المسلم الأشكال المجردة الهندسية والمتمثلة للاطباق النجمية التي استخدمها بكثرة في الروضة الكاظمية المطهرة لما لها من تاويلات تعكس معاني روحية سامية فكل نوع من الاطباق النجمية لها تفسير روحي خاص، يشعرانا الطبق النجمي وكأنه روح الأشياء، أو أنها تكونت نتيجة لتجليه، من خلال ما تقدم نستطيع أن نقف على حقيقة مفادها أن استخدام الفنان المخزرف للأشكال النجمية كان يرمي من وراء ذلك أن تحيلنا أشكاله إلى هذه المديات من المعاني الروحية وإن النجم لديه تختلف دلالاته بحسب أشكاله وأطباقه النجمية فالنجمة ذات الرؤوس (الاثني عشر) تمثل لديه رمز الهداية وقودتهم وهكذا تتوالى الأهميات بحسب طبيعة وشكل الطبق النجمي المستخدم في النسيج الزخرفي حتى يصل الحال أن تكون النجمة ممثلة للقلب، أو للعقل وصولاً إلى ما يمثل الحس لدى الإنسان كالنجمة الخماسية مثلاً التي تمثل الحواس الخمس.

إن الخطوط الخارجة من الأشكال النجمية والتي يتكون منها، أو جزائها أشكال هندسية فإنها تشير إلى ضرورة الإرتباط ومد الجسور بينها وبين النجم، وكأنما الحق أراد لها أن تبحث وتتعرف من خلال أي خيط على هذا النجم لأنه وسيلة الحق تعالى في تطبيق مقتضيات الرحمة الإلهية، يقول تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^(٢٦) لذلك فإن الفنان المسلم مثل كل واحد منهم مثل النجم الثاقب في كل زمان ولذلك أطلقت عليهم تسمية الأحاد، إن الاطباق النجمية من خلال هذا الفهم تفصح عن معانٍ روحية.

٢٤- سورة الفاتحة اية ٤ .

٢٥- سورة الاحزاب، اية ٣ .

٢٦- سورة الانبياء اية ١٠٧ .

ان الاتجاه في هذا العمل الزخرفي هو اتجاه مائل بسبب الشكل المقعر، أي اتجاه مائل نحو مركز في الجزء المقعر الكروي اما الملمس فهو ملمس متكسر ناتج من ترصيف قطع المرايا المتجمعة بشكل بارز وغائر لتكون الاشكال الزخرفية الهندسية، ان العمل الزخرفي يمتلك قيمة ضوئية عالية لان المرايا لها قابلية عكس الضوء الساقط عليها بشكل يجعل المكان يشع ضياء هذا الضياء له صفة البرود او الراحة بعكس الذهب الذي يكون ضيائه ذو صفة الحرارة فبذلك نستطيع تصنيف المرايا و الفضة بالضياء البارد مثل ضياء القمر اما الذهب فضيائه حار مثل الشمس، ان ماسبق ذكره يعني ان المرايا تحمل صفة اللون الباردة، ان حجم العمل الزخرفي يمتاز بالحجم الكبير اما اجزائه الزخرفية فهي اجزاء صغيرة.

اما التضاد فهو تضاد ناتج من انعكاس الضوء فقطع المرايا المرتفعة يختلف ضيائها عن قطع المرايا العميقة او الغائرة، ان التصميم الزخرفي بشكلا العام يحمل صفة التناسب في كل العناصر التكوينية الزخرفية السابقة، مما ادى الى تحقيق بعد روحي بالاضافة لخدمة جوانب وظيفية في نفس الوقت.

اما التوازن الناتج في هذا العمل الزخرفي فهو توازن اشعاعي يجمع مفردات الشكل المقعر الدائري، ان التصميم الزخرفي بشكل يتمتع بالانسجام في كل عناصره التكوينية، اما التكرار فهو تكرر منتظم نحو المركز، اما السيادة فهي سيادة للاشكال الزخرفية الحاملة الاسماء (اسماء الاثني عشر معصوما)، اما الوحدة فقد تحققت من خلال الشكل الدائري الذي يرمز الى التعبير عن الكلية واللاانتهائية، ووحدة المتضادات، ووحدة العالم الحسي الشخصي الزائل مع العالم الروحي السرمدي.

إن الفن الإسلامي بشكل عام، والزخرفة بشكل خاص لا يمكن الدخول إلى عالمها ما لم تكن هناك دراية بطبيعة الفكر السائد وبالأخص ذلك الفكر الذي لا يسعى إلى قبوله الخطاب الإلهي، إن قول الحق تعالى أراد له ان يكون سهلاً ممتعاً، سهلاً بمعطياته التي تطور حركة المجتمع بشكل إيجابي، وهذا الحال يتطلب من العمل الفني الزخرفي قابليات تأويلية تتناسب معه إنه قد تجرد من الرحمة، أو إنه من روح العصر، أو إنه يجب أن يستبدل ببديل أكثر إيجابية فخطاب الحق أريد له أن يكون أكثر النصوص قابلية لإحتضان الإنسان ووضعه على طريق العدل والحرية والسلام والرحمة.

فإذا أدرك الفنان المسلم هذه الروحية من خلال إطلاعهم على الخطاب الديني يستطيع بسهولة إن يفك طلاسم الفن الإسلامي وبالأخص زخرفته، ذلك لأن الفنان المزخرف المسلم استطاع أن يقول ما صمت عنه الكثير ولكن عن طريق الأشكال الزخرفية الشاحصة في الروضة الكاظمية المطهرة.

ان التقنية المستخدمة في هذا العمل الزخرفي الفني هي (تقنية المرايا) ان تقنية المرايا المتراصفة التي تأسس منها هذا النموذج اضاف رؤى جمالية من تشكيل اجزاء المرايا هذه الاشكال هندسية ونجمية تظهر بانها محذبة (مجسمة) محققة عمقا فضائيا، ان المرايا هي أداة لها القابلية على عكس الضوء أو الصوت بطريقة تحافظ على الكثير من صفاتها الأصلية قبل ملامسة سطح المرآة. وتعمل بعض المرايا على ترشيح بعض الأطوال الموجية، بينما تحافظ على أطوال موجية أخرى عند الانعكاس، وهذا يختلف عن الأدوات الأخرى العاكسة للضوء، والتي لا تحافظ على الكثير من خواص الموجة الأصلية عدا اللون، وتعمل على تشتيت الضوء المعكوس. وقد صنعت كذلك مرايا من النحاس المصقول في بلاد الرافدين

حوالي ٤٠٠٠ قبل الميلاد، تمتاز المرايا فإذا نظر شخص ما إلى المرآة فإن صورته ستنعكس في المرآة مثلاً؛ إذا رفع الناظر إلى المرآة يده اليمنى فإنه سيبدو في المرآة وكأنه قد رفع يده اليسرى.

اما بخصوص هذه التقنية فترجع الى زمن بعيد الى القرن الرابع الهجري حيث استطاع العرب التعرف اكثر على فنون الزجاج والمرايا بسبب الفتوحات الاسلامية الا انها شهدت قمتها في القرن الرابع عشر الهجري حيث تم ادخالها في فنون التزيين والعمارة في بادئ الامر استخدمت في القصور الاموية والعباسية بشكل اما مرايا مستوية او مرايا بشكل زخارف هندسية في السقوف ورياسة الجدران هناك امثلة لما سبق ذكرة كثيرة منها ما تم استخدام في سقوف وجدران قبة الصخرة الشريفة.

ان الزخرفة على الزجاج فن منفرد بذاته حيث يجمع بين جمال الالوان وانعكاس الضوء على سطح المرايا لكي تضيف إلى المكان بريقاً ناعماً يعطي الشعور بالبهجة والسرور. ويمكن وضعه في أى جزء من أجزاء المباني، ويفضل أن يكون معرضاً للشمس لإبراز جمال ألوان الزجاج وخصوصاً عند انعكاس تفاصيل التصاميم على الجدران والأرضيات وكذلك لتخفيف حدة أشعة الشمس. كما يمكن استخدامه في القواطع الداخلية بغرض حجب الرؤية وإعطاء خصوصية واستقلالية للمكان. ومن أجزاء المبنى التي يمكن استخدام المرايا فيها ما يلي :

- القبة والمناور السماوية المفتوحة؛ وهي فتحات سقفية إما دائرية الشكل أو مربعة أو مستطيلة أو سداسية أو ثمانية الأضلاع أو بشكل قبة محدبة للخارج أو مقعرة للدخل أو هرمي أو مسطح منبسط .
- نوافذ القبة والمناور السماوية الخرسانية وهي نوافذ بأشكال هندسية مختلفة وقد تكون منحنية أو مستقيمة الشكل .

ان صفة الانعكاس في المرايا تعطي بعدا روحيا ووظيفيا لكون المرايا تزين من قوة انارة المكان، اما بخصوص البعد الروحي فان صفة انعكاس الاشكال في المرايا تعطي اجزاء روحية الى ان هناك من يرى كل ما يجري (لايحيطون بشيء من علما الا بما شاء)^(٢٧) كما ان المرايا شغلت تفكير المتصوفة وهذا ابن عربي يقول (انت مراتي وانت بيتي وانت مسكني وخزانة غيبي ومستقر علمي لولاك ما علمت ولا عبدت ولا شكرت ولا كفرت)^(٢٨)

اما بخصوص خطوات العمل بهذه التقنية تكون قائمة على اساس قطع المرايا الى قطع هندسية مثلثة او مربعة او شبه مربع او معينة ومن ثم جمعها باضافة المادة الاصقة وهناك نوع من المواد الاصقة خاصة تستخدم في العمارة تتمتع بالكثافة لكي يحق البعد الجسم المرتفع الذي نشدة الفنان او الاسطى المسلم الذي يقوم بتنفيذ هذا العمل الفني ان هذه الكثافة بالمادة البنائية تقوم بعمل طبقة سميكة على الجدار او السقوف تكون الغاية منها اعطاء القوة والتماسك للبناء المعماري فبدلك تحقق بعدها الوظيفي بالاضافة الى الروحي والجمالي.

٢٧- سورة البقرة اية ١٢٧.

٢٨- المصباحي، محمد، نعم ولا ابن عربي والفكر المنفتح، منشورات ما بعد الحدائث، فاس، ٢٠٠٦. ص ١٢٢.



اسم العمل: زخرفة منفذة على المرايا.

الخامة: مرايا.

النوع: زخارف مقعرة مجسمة.

القياس: متران × متر واحد.

مكان العمل: داخلي.

اولاً: الوصف العام:

ان هذا المقرنص هو واحد من اربع مقرنصات موجودة تحت قبة الامام موسى الكاظم عليه السلام، هذه القبة التي ظاهرها ذهب وداخلها زخرفة هندسية منفذة بالمرايا، يبداء باربع نطف رئيسية واثنيتين في كل صوب واحدة يمينا ويسارا صغيرة ومن ثم تتجه الى الاعلى مكونة مقرنص.

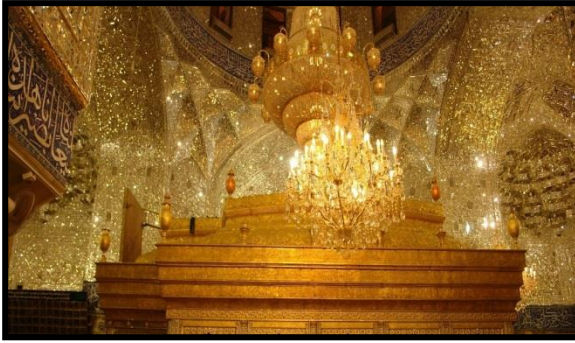
ثانياً: التحليل والمناقشة:

ان فكرة المقرنص المصنوع من المرايا هي فكرة اسلامية مجتة بالرغم من ان استعمال المقرنصات كعامل إنشائي كان للتدرج من السطح المربع الى السطح الدائري الذي يراد إقامة القباب عليه، هي فكرة قديمة

لكن الفنان المسلم طور كل الافكار القديمة الى ان توصل الى فكرة استخدام المرايا لما لها من خصائص تكوينية ومعمارية في نفس الوقت والانتقال من المربع الى المثلث لبناء القباب عن طريق المقرنصات المتكونة من المرايا وحسب الشكل المطلوب.

لقد رتب المعمار المسلم مقرنصاته على المساحات المسطحة في صفوف يتألف كل منها في تكرار مقرنص واحد عدة مرات بحيث يكون شكله مختلفاً عن أشكال المقرنصات الأخرى في الصفوف التالية، الأمر الذي خلق توصالاً تدريجياً ينتج عنه تتابع ترتيبي جعلها تتجلى دائماً أمام الناظر في مجموعات مكثفة ومتزاحمة تشبه خلايا النحل، وتقوم هذه المجموعات علاوة على وظيفتها الإنشائية والزخرفية بوظيفة دينية ترتبط في غالب الظن بفلسفة الظاهر والباطن ان كل ماسبق ذكره جاء بسبب ظاهرة الانعكاس التي تمتلكها المرايا التي خلق ايها بصري بوجود سماء ثانية، سماء بعيدة عن العالم الحسي سماء روحية مرتبطة بمكان وجودها شكلت الاسلوبية التي اعتمدها الفنان المسلم في تصميم وتنفيذ المقرنصات على مادة المرايا قيمة جمالية اكسبها روح التفاؤل والبهاء الناتجان من روعة البناء التكويني الذي اضاف لها ابعاداً فنية تتسم بالوظيفية والجمالية والتعبيرية.

فالمقرنص دخل هنا جنباً الى جنب مع الزخرفة باعتبار أن تكوينه ينسجم مع التكوينات الزخرفية لأنه من جسدها فضلاً عن وظيفته المعمارية من كونه يسهم في تأسيس قاعدة يتركز عليها السقف المقوس، أو القبة، وكما في الشكل (أ)



شكل (أ)

وهو بهذا يكون قد ساهم مع الجدران في امتصاص ثقل القبة، وبالنتيجة يكون الفنان المسلم قد حقق معادلة يجتمع فيها الجميل المفيد، أو الزينة الوظيفية فكان من خلال هذا الوصف خير مطبق لقوله تعالى الذي يجمع بين الزينة والوظيفة كما جاء في قوله تعالى (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ) (٢٩)

فالزينة جاءت هنا غير مجردة عن الوظيفة، أو الفائدة، بل جاءت تحمل خاصيتين الأولى جمالية مرتبطة بالوظيفة والثانية رجم الشياطين روحية، والفنان المزخرف لم يستبعد هذه الخاصية من مقرنصاته

الزخرفية المنفذة بالمرايا، يتضح ذلك من خلال الانعكاس، التأمل والإحالة، فإن الذي يتأمل المكان ومقرنصاته المرايا الزخرفية فانه حتماً يجال إلى الخطابين حسي وروحي في نفس الوقت.

اما بخصوص العناصر التكوينية للعمل الفني فالخطوط هي مستقيمة حيث ان قطع المرايا تم تشكيلها وذلك بقصها على اشكال هندسية مثلثات ومربعات ومستطيل ومعيني وكل هذه الاشكال هي اشكال هندسية مجردة، ان الاشكال الهندسية تعطي بعدا روحيا لأنها غاية التجريد التي هي غاية الفنان المسلم، ان اللون في هذا المقرنص هو لون المرايا الفضي الذي يعد من الالوان الباردة، لكن صفة الانعكاس وما تعطيه من الوان نتيجة انعكاس الضوء تعطي حالة من التغير فاللون في مقرنص المرايا يختلف عن باقي الحالات التي تم ذكرها بالتفصيل فهو متغير وليس له صفة الثبات كالتى نفذت بالكاشي الكريلائي والذهب.

اما الاتجاهة فهو الى الاعلى صوب مركز المقرنص الذي يؤدي الى ربة القبة ومن ثم القبة الى قمة القبة وهي ذروة الولوج الروحي للمتلقي، اما الملمس فهو متكسر ناتج من صفة المرايا ذاتها، ان هذا المقرنص يتمتع بقيمة ضوئية عالية، اما الحجم فهي حجوم صغيرة تأتي من قطع المرايا التي قصت بشكل صغير، ان هذه العناصر التكوينية لتصميم المقرنص منجمعة تعطي بعدا روحيا عاليا.

وبخصوص العلاقات التي تربط بين العناصر التكوينية للعمل الفني فان التضاد، التناسب والانسجام متحققة في كل العناصر التكوينية التي سبق ذكرها، في حين التوازن فهو توازن متمائل بين نصفى المقرنص يمينا ويسارا، في حين التكرار كان بشكل متناظر منتظم لتوزيع البروزات (النطف) من قاعدة المقرنص الى اعلى قمة فية أي الى ربة القبة، بحيث يوظف في عملية (التشديد Exentuate) التي يراد منها إضفاء جمالا وتميزا بصريا و هيبية، ولفتنا للإنتباه. وهذه غاية معمارية بحد ذاتها، لها أبعاد سايكولوجية، تستغل خلالها الوسيلة البصرية من أحل غايات الجذب والإستدعاء وترغيب الولوج الى العالم الغيب الالهي الروحي البعيد عن كل ماهو حسي فاني.

ان السيادة كانت سيادة شكلية ولونية في نفس الوقت فشكلية لشكل المقرنص كله اما لونية لما يعكسه من الوان غاية في الجمال تخلق عالم ثالث متصور فقط ليس محسوس قد يكون عالم البرزخ الذي تسكن فيه الارواح.

اما التسابع فهو لاشك تتابع جامع ما بين اثاره انتباه المتلقي و الجاذبية المتحققة بسبب ظاهرة الانعكاس في المرايا، ان كل ماتم ذكره يحقق جانب روحي وجمالي هو غاية الفنان الكريلائي في الوصول الى عالم ازلي بعيد عن كل ماهو دوني ورخيص عالم الشهادة والبطولة والرفعة عن الارض الى السماء.

لقد تمتع الفنان المسلم بالقدرة على اكتشاف اسرار وخفايا التقنيات (الخامات) المتعددة التي استخدمها في زخرفة الاسلامية والتي من ضمنها تقنية (المرايا) انموذج الدراسة الحالية، ان المقرنصات التي عولجت بها بطن قباب الروضة الحسينية، بما توحىه من محاكاة للسموات الدائرة، ولاسيما عندما يلعب ضوء النهار الدوار لعبته في حركة الظل الأخاذة المنتقلة الموحية بثبوت المكان وحركة الكون من حوله، ان هذا النوع من المقرنصات المرايا يكون في الزوايا الأربع التي تقع تحت القباب في البناءات

المربعة الشكل، ان المقرنصات المنفذة بالمرايا ينم عن إبداع رفيع يأخذ بالألباب من جراء إنعكاس الضوء من مجموعة المرايا تلك.

في عام ١٩٥٣ م جرى تجديد مرايا سقف الحرم المطهر والأروقة بأكملها فقد كانت في بادئ الامر زخارف هنا وهناك فعل القائمون في الروضة الكاظمية على انشاء ورشة الزجاج والمرايا وهى من الورش المهمة ووظيفتها الأساسية صيانة وتنظيف واستبدال المرايا والتزجيج الخاص بسقوف وقبب بالحرم الشريف (عند الحاجة) بالإضافة إلى استبدال وعمل زجاج النوافذ وعمل السقوف الثانوية وتغليف الجدران بمواد الديكور المختلفة، وتضم هذه الورشة ٨ حرفيين. ويمكن تلخيص بعض اهم الاعمال التي قامت بها هذه الورشة: عمل مرايا جديدة للجدران ما فوق الممرم وللسقوف في المنحرف الشريف بعد أعمال استبدال ممرم الجدران فيه واستخدام نقوش جديدة رائعة التصميم تدل على الذوق الرفيع الأصيل وبما يتلاءم مع المكان المقدس وتم لأول مرة استخدام المرايا الحمراء اللون(في المذبح الشريف فقط) في العمل والتي تتوافق مع الفاجعة الأليمة التي يتصف بها هذا المكان. استبدال المرايا الخاصة بسقوف أبواب الذهب القديمة والجديدة والخاصة بمدخل الحرم الشريف واستخدام المرايا الملونة لأول مرة في العتبة الكاظمية وقد أضفت رونقا وشكلا أحيانا يلفت الانتباه. عمل صيانة وتنظيف دوري لكل المرايا الموجودة بالجدران والسقوف الخاصة بالحرم لكي تبقى في حالة بريق دائم وبما يليق بصاحب المكان المقدس ولكي تكون بأبهى صورة أمام الزائرين الكرام من داخل الوطن ومن خارجه.

لقد حاول الفنان المسلم في نموذجة هذا الى الكمال الفني والذي يعد الجمال احدى اركانها ومقوماتها فالتكوين الزخرفي المتحقق من المرايا قد امتثل للقوى الروحية الباطنة ضمن تجرته الصوفية الطقوسية ليكون جزءها الاساس شكلا هندسيا (المثلث) الذي يحمل دلالات ومضامين فكرية حاملة التواصل الوثيق مع النفس البشرية كقوة مقدسة تمثلت بالتلاؤلؤ اللوني الذي يعتمد الاشراف الفني المثير للانتباه.

المصادر:

القران الكريم.

١. آل ياسين، محمد، مقابر قریش، مجلة الأقلام، ج:٣، ١٩٦٨.
٢. بن شاکر، بنو موسى، الحیل، مكتبة المعارف بمصر، ١٩٥٨، ص ١٠٩.
٣. جبار، طارق، الصناعات القديمة، دار المأمون للطباعة والنشر، ١٩٨٨.
٤. الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة العراقية، قسم الكاظمين، ج: ١، دار التعارف، بغداد، ١٩٦٥.
٥. دليل السياحة الدينية في العراق، وزارة الثقافة والأعلام بغداد ٢٠٠٩.
٦. رايسر، دولف: بين الفن والعلم، ترجمة: د. سلمان الواسطي، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٦م.
٧. زقروق، محمد حمدي، العقيدة الدينية، دار الازهر الاسلامية، مصر، ١٤١٥.
٨. عفيفي، بهنسي: الفن الحديث في البلاد العربية، دار الجنوب للنشر، اليونسكو، ١٩٨٠م.

٩. عيسى سلمان ونجدة العزي وهناء عبد الخالق ونجاة يونس، العمارة العربية الاسلامية في العراق، وزارة الثقافة والاعلام، العراق ج: ١٩٨٢.
١٠. الفندي، محمد ثابت: فلسفة الرياضة، دار النهضة العربية . بيروت، ١٩٦٩م.
١١. كجة جي، صباح، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، المطبعة الوطنية، بغداد، ٢٠٠٢.
١٢. المصباحي، محمد، نعم ولا ابن عربي والفكر المنفتح، منشورات ما بعد الحدائه، فاس، ٢٠٠٦.
١٣. مهدي آيت الله، مع المعصومين، ت: كمال السيد، ج: ١١، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ايران، ٢٠٠١.
١٤. نعيم، عنايات، الزخرفة الهندسية، جامعة حلوان، مصر، ٢٠٠٨.
١٥. هاشم، طارق، المنجد الفيزيائي، جامعة الرياض، السعودية، ٢٠٠٧.
16. Wong, W, principles of two Dimen sional Dessign, new york 1972.

جذور حرية النشر والتعبير عن الرأي في صحافة بغداد ١٩٠٨-١٩٣٢

The roots of free publishing and free opinion in the journalism of Baghdad 1908-1932

Dr. Ali Khamkhi Jabor

د.علي شمخي جبر^(١)

مفهوم الحريات العامة:

ليس هناك اتفاق على تسمية واحدة لهذه المادة، كما انه لا يوجد حتى الان تعريف مرضي لها بصورة متكاملة، فالبعض يستعمل التعبير «الحريات العامة» والبعض يستعمل تعبير «الحقوق الأساسية للفرد» أو «الحريات الفردية الأساسية» والبعض الاخر يستعمل تعبير «حقوق الانسان» هذا الواقع يدفع إلى البحث عن تعريف يتم الاعتماد عليه بغض النظر عن التسمية التي يمكن ان يطلقها هذا المؤلف أو ذاك. الحرية - هي السلطة وامكانية السيطرة على الذات، بموجبها يختار الانسان بنفسه تصرفاته الشخصية ويمارس نشاطات دون عوائق او اكراه.

اما الحريات العامة فهي ذلك النوع من الحريات الذي لا يظهر إلى الوجود القانوني إلا بتفرعاته ووجوهه العملية^(٢).

فإذا كانت وثائق وقوانين العالم تؤكد ابتداء من الإعلان العالمي لحقوق الانسان وحتى القوانين الوضعية في كل بلد ودولة ونظام على ان «لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير... الخ» و«ان

١ - جامعة اهل البيت/كلية الاداب/ قسم الصحافة.

٢- مجذوب، محمد سعيد، الحريات العامة وحقوق الانسان، ط١، جروس برس، لبنان، ١٩٨٦، ص٨.

لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق اعتناق الآراء دون أي تدخل واستثناء الأبناء والأفكار وتلقيها وإذاعتها باية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية»^(٣).

فان الحريات العامة مجموعة من الحقوق والامكانيات المعطاة للفرد والأمر يتعلق بحريات تظهر بالجمع وليس بالفرد وإذا بهذه الحريات «عامة» لأنها تفترض تدخل «السلطات العامة» فتعبير العام «Public» هو تعبير شائع في اللغة حيث يقال «القانون العام» او «المرفق العام» او «القطاع العام» للدلالة على دور الدولة في كل هذه المجالات^(٤).

ومفهوم الحريات العامة يتضمن مجموعة محددة من الحريات التي اعترف بها القانون ونظمها ضمنها اما مفهوم «حقوق الانسان» فانه يتعدى كثيراً هذا الاطار الضيق ليلا مس كل ما تحتاجه الطبيعة الانسانية ويمكن تقسيم الحريات العامة إلى الفئات التالية:

الحريات البدنية - الحريات الفكرية - الحريات السياسية - الحريات الاقتصادية - الحريات والحقوق الاجتماعية.

الحريات الفكرية وتتضمن حرية المعتقد وحرية الشعائر الدينية.

حرية الرأي والتعبير، حرية التعليم وتتضمن الحريات السياسية حرية المعارضة السياسية عن طريق الممارسة الديمقراطية وحق المواطن في المساهمة في الشؤون العامة وحرية التجمع وتأليف الجمعيات والأحزاب اما الحريات الاقتصادية فتتضمن حق الملكية الفردية وحرية التجارة والصناعة وفي موضوع الحريات والحقوق الاجتماعية فأن الأمر يتعلق بالحق بالامن الاقتصادي والحق بالامن السياسي - الحرية النقابية- حق الأحزاب^(٥).

ان حرية التفكير والتعبير والرأي تشكل اساساً ومطلباً وضرورة تاريخية وحياتية، وإذا كانت حرية التعبير والفكر هي وجه من وجوه الحرية، فان الصحافة الحرة هي الاداة اللازمة لا يصال الصوت الحر إلى الرأي العام بل إلى كافة ارجاء المعمورة^(٦).

ان حرية الصحافة هي في الحقيقة كحرية الرأي لها اعتبارات عديدة سواء كان ذلك بالنسبة للمحرر والمتكلم أو للقارئ أو المستمع أو لجميع افراد المجتمع كما ان اشتراط اجازة النشر والصحافة ظهر باشكال متعددة خلال سجل التاريخ فالافكار الخطرة يجب تحريمها عادة في نظر جميع الديكتاتوريين^(٧).

ان الرقابة والنشر والصحافة كانت احدى الطرق التاريخية للقمع وكان فرض الضرائب على الصحافة طريقاً آخر كما ان من اهم متطلبات الديمقراطية ان يكون كل مواطن مطلعاً على ما يحدث قدر

٣- الجزائري، محمد، مداخلة حول مفهوم الحرية والصحافة، بغداد، ١٩٧٢، ص ١.

٤- مجذوب، المصدر السابق، ص ٨.

٥- مجذوب، المصدر السابق، ص ٩.

٦- الجزائري، المصدر السابق، ص ٢.

٧- السيد، احمد لطفي، مشكلة الحريات في العالم العربي، الجهاد، بيروت، ١٩٥٩، ص ٢٧.

الامكان، وان الصحافة الحرة من العوامل المهمة التي تجعل المواطنين مطلعين اذ ان الجرائد والمجلات الحرة تنشر عادة جميع الحقائق بما يسهم في تثقيف وتنوير الرأي العام^(٨).

ومن المهم التأكيد ان حرية التعليم هي اهم غرض من اغراض حرية الرأي والتعبير وهي في الحقيقة احد الاعتبارات السامية والقيم المهمة للمجتمع الحر ومن الناحية الاخرى فان حرية التجمع لها علاقة وثيقة بحرية الرأي أو التعبير اذ ليس لحرية الرأي اي قيمة أو اهمية إذا لم يسمح للناس بالتجمع لسماع المتكلم أو الخطيب فحرية التعبير وحرية التجمع هما في الحقيقة مرتبطان بحيث لا يمكن فصم عراهما^(٩).

ان الانسان خاضع للرقابة في كل مكان وزمان، والرقابة على الصحف مظهر تطبيقي من مظاهر الضبط والتنظيم في المجال الثقافي يهدف إلى الحرص على مقومات الدولة والبناء والرأي العام من الوهن والتفكك وفي الرقابة على الصحف رأبان: الرأي الأول ينطلق من اعتبار الصحافة السلطة الرابعة فيدعو إلى حرية الصحابة ويشجب كل نوع من انواع الرقابة عليها والرأي الثاني: ينطلق من اعتبار الصحافة جهازاً اعلامياً وتنظيماً في نفس الوقت^(١٠).

ان الشعوب التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وما قبله والشعوب الشرقية بصورة عامة كانت خاضعة للتقاليد الاجتماعية المستمدة من مفاهيم حق الملوك الالهي في الحكم، لذلك قاومت لفترة طويلة مؤثرات النهضة وخصوصاً على الصعيد الفكري^(١١).

كما ان الصحافة وسيلة مهمة من وسائل الشعب للتعبير عن مطالبه واهتماماته، فمما تسطره من مقالات نستطيع تلمس اراء الناس ومشكلاتهم واتجاهاتهم وسلبيات واقعهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ان الصحافة العراقية منذ نشأتها عكست ذلك ففي هذا المجال قدمت جريدة الزوراء التي صدر عددها الأول في ١٥ حزيران ١٨٦٩ صورة صادقة لمشروع مدحت باشا في مجال تحديث العراق وشارت في اعدادها الأولى إلى ان صدورهما يأتي استجابة لرغبة الوالي في الاصلاح وان هدفها تنبيه الشعب إلى حقوقه^(١٢).

وبقدر تعلق الامر بالعراق وقبل تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١ تمت الاشارة الى حرية التعبير عن الرأي في القوانين العثمانية ففي ملحق القانون الاساسي العثماني الصادر في ٢٤ كانون الاول ١٨٧٦ في ممالك الدولة العثمانية وتحت بند في حقوق تبعة الدولة العثمانية العمومية جاء في المادة التاسعة «العثمانيون بأجمعهم يملكون حريتهم الشخصية ومكلفون بأن لا يتسلطوا على حقوق حرية الاخرين»^(١٣).

٨- المصدر نفسه، ص ٣٠.

٩- وليم أو. دوكلاس، الحرية في ظل القانون، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤، ص ٢٦.

١٠- البصري، عبد الجبار داود، الصحافة والرقابة، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩، ص ٣.

١١- الملاح، عبد الغني، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥، ص ٧.

١٢- العلاف، ابراهيم، تحليل <http://www.kululiraq.com>.

١٣- جبر، شمخي، الضمانات الدستورية لحرية الرأي والتعبير في الدساتير العراقية. <http://www.ahewar.org>.

وفي مجلة تنوير الأفكار التي صدرت في بغداد ١٩١٠ لصاحبها عبد الهادي الاعظمي وجدت ثمة إشارات إلى المطالبة بحرية النشر والتعبير فقد كتبت مقال في احد أعدادها تحت عنوان «لأنظار ولاة الامور» تقول فيه «قانون الصحافة يأمر الصحافي بتقديم كل صحيفة برزت إلى عالم المطبوعات بأية لغة كانت لحاكم سياسة ذلك المحل، ولكن هل لجمعها ووضعها في زوايا الازهال ام لان يتصفحها صحيفة صحيفة؟ متأملاً رموزها وإشاراتها معتبراً أنها المرآة التي تنعكس عليها صورة مطالب الأمة^(١٤).

وكثيراً ما كانت تتخذ هذه المجلة المدح للوالي «ناظم باشا» وسيلة لغاية تريد تحقيقها وهي اصلاح حال العراقيين واعادة مجدهم التليد من ذلك قصيدة الشاعر عبد الرزاق الكرخي^(١٥):

عرج لبغداد وانزل في مغانيها	فحيها بلداً رقت حواشيها
اما ترى العدل قد شيدت دعائمه	فيها «وناظم باشا» اليوم واليها
يا ايها الناظم المجري عدالته	بين الانام ورب الخلق يرعيها
فالكرخ يشكو ضياع العلم من جهل	كما الرصافة تشكو الجهل واليها
استهض القوم من ضيم وليس ارى	فيهم خبيراً فيعطي النفوس باربها

وبالرغم من ان عمر التعددية والحرية الصحفية في العراق لا يتجاوز القرن، فقد استطاعت الصحافة العراقية ان تأخذ بواقعها المتقدم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفي مختلف جوانب الحياة الأخرى، كما لعبت دوراً مؤثراً في الدفاع عن حقوق العراقيين، وفي شحذ الهمم لخوض النضال للمطالبة بحقوقهم وتحسين أوضاع العراق خلال فترة الحرية التي عمت الدولة العثمانية منذ الانقلاب الدستوري عام ١٩٠٨^(١٦).

وفي نفس العام الذي أعلن فيه الدستور ظهرت في بغداد صحف شعبية كما مر بنا مثل بغداد لصاحبها مراد سليمان والرقيب لصاحبها عبد اللطيف ثيان وصدى بابل للمعلم دواد صليوة ألغى الوالي التركي «نجم الدين ملا» القسم العربي في الزوراء بحجة وجود صحف عربية بينما كان الواقع هو منع نشر الرسائل والمطالب الشعبية على صفحات الزوراء الجريدة الرسمية واكتفى الوالي المذكور بالقسم التركي مما سبب احتجاج فريق الاهلين من ذوي النزعة القومية الذين طالبوا بعودة القسم العربي وعادت الزوراء تنشر باللغتين العربية والتركية اعتباراً من عددها ٢٤١٨ الموافق يوم السبت ١٢ تموز ١٩١٣ في عهد الوالي محمد زكي باشا^(١٧). ومع قيام الانقلاب الدستوري الذي قاده جمعية الاتحاد والترقي استطاع العديد من رجال الفكر والادب الحصول على امتياز صحف سياسية وفكرية ودخلت الصحافة العراقية مرحلة جديدة من تطورها عن طريق الامتياز الفردي الخاص وتعددت الصحف حتى بلغت أكثر من

١٤- تنوير الافكار، مجلة، بغداد، العدد الأول، ص٢٩، ١٩١٠.

١٥- تنوير الافكار، مجلة، بغداد، العدد الثاني، ص٧٦، ١٩١٠.

١٦- عليوي، هادي حسن، الحرية الصحفية في العراق جدلية التحويل، الصباح، جريدة، بغداد، ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٧.

١٧- النعيمي، هاشم، كيف صدرت جريدة الزوراء، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩، ص٦.

خمسين صحيفة خلال عام واحد في مختلف ميادين السياسة والعلم والادب والهزل وعلى عموم العراق^(١٨).

لقد كان تأثير المراكز الثقافية العربية في مصر والشام واضحاً على العراق حيث كان يصل صدى آثارها عبر الاتصال المباشر أو من خلال الصحف والمجلات والكتب التي تصل إلى العراق^(١٩). وكانت السمة الطاغية التي ميزت النخبة المتعلمة العراقية قد ارتبطت بالجانب العسكري، وهذا يعود للتوجهات التي طبعت مسار الدولة العثمانية نحو التنظيم والاصلاح في مؤسساتها العسكرية باعتبار التحديات التي كانت تواجهها وحالة إقبال الشباب العراقي على سلك الجندية بما يمثله من فروسية ورجولة، حتى شكل الطلبة العراقيون النسبة الأعلى من مجموع الطلبة العرب الدارسين في المعاهد التي تستوعبها العاصمة العثمانية^(٢٠).

وقد ساهمت الحياة الدستورية في ابراز جو من النقاشات المفتوحة حول المزيد من القضايا حتى شهدت المساجد وحلقات الدرس الديني نقاشات تعرضت لمواضيع جديدة لم تكن مطروقة في السابق^(٢١).

لقد برزت المزيد من الدعوات المنادية بأهمية ترسيخ مبدأ الاصلاح لاسيما في الجانب التعليمي مع السعي الحثيث نحو الربط الصارم بين التعليم واهمية الاستفادة من الحرية التي أتاحتها الحياة الدستورية^(٢٢). اما على صعيد التطورات فقد برزت النزعة العنصرية الطورانية والتي كان لها الأثر المباشر في تطلع المثقف العراقي للنادي بأهمية التأكيد على الهوية العربية الإسلامية حتى كان توجه ابرز المثقفين للكتابة في جريدة صدى الإسلام التي تم تأسيسها عام ١٩١٥ تلك الفترة التي شهدت تعاظم القسوة والبطش الذي ميز توجهات الاتحاديين حتى كانت كتابات جميل صدقي الزهاوي، محمد مهدي البصير، عبد الرحمن البناء، عطا الخطيب، خيرى الهنداوي، وابراهيم حلمي العمر^(٢٣). وقد ارتكزت هذه الكتابات إلى اهمية الوحدة الإسلامية بوصفها الحصن الذي يتم من خلاله حماية البلاد ازاء الاطماع الخارجية الغربية والتي باتت تمس البلاد لاسيما وان قوات الغزو البريطاني راحت توسع رقعة نفوذها خلال احداث الحرب العالمية الأولى.

وقد مثلت المرحلة الدستورية حالة من التغير الواضح في اسلوب وطرائق تفكير المثقف العراقي، الذي نال فسحة واسعة للتأمل واستقراء الأوضاع المحيطة وان جو الحرية الذي توفر خلال السنين الأولى من عمر الحياة الدستورية كان لها الأثر المباشر في توجه المثقف نحو طرق موضوعات جديدة تختلف في بروز النقد الاجتماعي والسياسي في اعقاب غياب الرقيب العثماني^(٢٤).

١٨- هادي حسن عليوي، المصدر السابق.

١٩- الرقيب، جريدة، بغداد، العدد ٩١، ١٩١٠.

٢٠- الرقيب، جريدة، بغداد، العدد ١٤٠، ١٩١٠.

٢١- الرقيب، جريدة، بغداد، العدد ١١١، ١٩١٠.

٢٢- نظمي، وميض، شيعة العراق وقضية القومية العربية من كتاب دراسات في القومية العربية والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٦٣.

٢٣- سعيد، امين، الثورة العربية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٤، ص ٢٤.

٢٤- الجميل، سيار، اتلجنسيا العراق التكوين والاستنارة القومية، مجلة آفاق عربية، ايلول، ١٩٩١، ص ٣٧.

ونشط دور مجلة لغة العرب لمؤسسها الاب انستاس مار الكرملي^(٢٥) الذي حشد الجهود من اجل النهوض بواقع اللغة العربية والعمل على احياء روح البحث والتقصي من خلال استقطابه للمزيد من الباحثين الذين كانت لهم مساهماتهم في علوم العربية^(٢٥). ولم يغب دور الترجمة والذي تكشف بشكل لافت حتى كانت الترجمات للقصة والمسرح والرواية والعديد من المجالات العلمية ونشطت حركة بيع الكتب وتم افتتاح العديد من المكتبات فيما راحت الصحف تعلن عن مسرحيات تقوم بأدائها لبعض من المدارس^(٢٦).

كان امتحان الحرية بمثابة المواجهة الكبيرة التي وجد المثقف العراقي نفسه في لجتها حتى ان البعض من المثقفين راح يعتمد هذه الحرية كوسيلة لتصفية الحسابات مع اطراف نزاع مباشر وشخصي فيما راح آخرون يسعون نحو التعبير الصارخ والفتح^(٢٧) والواقع ان الاوضاع العامة افرزت بروز تيارين واضحين متقابلين تمثلا في: تيار الرابطة الإسلامية الساعي نحو الربط الصارم بتوجهات الدولة العثمانية بوصفها الزعيم الروحي للعالم الإسلامي إزاء التيار الآخر الذي راح ينادي باللامركزي، حتى كانت المواجهة الصاخبة بين الطرفين وتوجيه الاتهامات حتى كانت الصحف وغدت الوسيلة التي يتم من خلالها تجهيز الحملات المتقابلة بين الطرفين^(٢٨).

ان جهود المثقف العراقي لم تتوقف عند حدود الصراع الثنائي أو السقوط في دوامة انقسامات مباشرة بقدر ما برز الاتجاه الواضح نحو القراءة الواعية لسير الاحداث، حتى كان الكشف عن نوايا الاتحاديين قد تم في فترة مبكرة وهذا ما تناوله الكاتب عبد اللطيف ثنيان الذي رفع قضية الوطن وراح يعتمد للمحاضرة بالكشف عن التناقضات المريعة التي وقع بها الاتحاديون مذكراً اياهم بالاستبداد الحميدي، حتى كان مصيره المطاردة ليتوجه إلى بلاد الشام هرباً من سطوة الاتحاديين^(٢٩).

ولم تغب جهود داود صليوة من التركيز على قضية اللغة العربية واهمية جعلها اللغة الرسمية في البلاد أو الاتجاه القومي العربي الذي عبر عنه ابراهيم حلمي العمر، حيث راح يعمل مع العديد من المثقفين العراقيين من امثال محمد رضا الشبيبي، وتحسين العسكري، وبهجت زينل في الدعوة الراسخة نحو اعادة مجد العرب^(٣٠).

* - اديب عراقي معروف ولد في بغداد عام ١٨٦٦ من اب لبناني الاصل وام بغدادية تعلم دروسه الابتدائية في مدرسة الابهاء الكرمليين ببغداد واتم دراسته الثانوية في مدرسة - الاتفاق الكاثوليكي - وتخرج فيها عام ١٨٨٢م ثم عين معلماً للغة العربية في مدرسة الابهاء الكرمليين وقد احب الادب واللغة وله مقالات كثيرة في مجلات العراق ولبنان وسوريا ومصر وغيرها، وقد بقي دؤوباً في خدمة العربية وآدابها حتى توفاه الله عام ١٩٤٧. للمزيد انظر: كوركيس عواد، الاب انستاس ماري الكرملي - حياته ومؤلفاته، بغداد، ١٩٦٦، ص٧-١٠.

٢٥ - النصيري، عبد الرزاق، موقف المثقفين العراقيين من التغلغل الاستعماري، ١٩١٤، مجلة آفاق عربية، تشرين الأول ١٩٩١، ص٤٠.

٢٦ - العطية، محمود، معروف الرصافي حياته وآثاره ومواقفه، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢، ص١٥.

٢٧ - احمد، ابراهيم خليل، تطور التعليم الوطني في العراق، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٢، ص٤٨.

٢٨ - الرقيب، جريدة، بغداد، العدد ٩١، ١٩١٠.

٢٩ - الهلايلي، عبد الرزاق، تاريخ... المصدر السابق، ص١٧.

٣٠ - نظمي، وميض، المصدر السابق، ص١٦٨.

وقد كافح هذا الكاتب في العهد العثماني، وصارح الولاية في كل ما يعملون ويقولون على صفحات جريدته بجرأة لا حدود لها، متغنياً بجرية ابناء قومه المسلوقة، وبلغتهم المنسية مما حدا به ان يصرح على صفحات جريدته مخاطباً الاتراك «ان الحكومة التركية» ان اصرت على استعمال اللغة التركية في الدوائر الرسمية فانها تقيم قائمة أولاد العرب عليها^(٣١). وقد كلفته هذه الجرأة ثمناً غالياً، اذ سجن عدة مرات^(٣٢). كما ان جريدته نشرت أكثر من خبر محلي في اعدادها ما بين الأول والخامس عشر تشير إلى وصول لجان من استنبول تفتش في اراضي تصلح لاستيطان اليهود^(٣٣).

وفي ذات الاتجاه كانت جريدة النهضة الناطقة باسم النادي العلمي الوطني ببغداد التي أسسها مزاحم الباجه جي وصدرت في الثالث من تشرين الأول عام ١٩١٣ وحررها الصحافي ابراهيم حلمي العمر، فلم تتحمل الحكومة العثمانية مقالاتها اللاذعة والصريحة فأغلقتها بعد صدور عددها الحادي عشر وطاردت كتابها فغادر مؤسسها متخفياً مع ابراهيم العمر إلى البصرة بحماية طالب النقيب^(٣٤).

لقد لعبت الصحافة العراقية دوراً معيناً في نشر افكار الحكم الذاتي والاستقلال وكان لكل من هذه الجرائد لساناً لهذه أو تلك من المجموعات السياسي التي تشكلت في العراق في ذلك الوقت وقام الكثير منها بالدعاية للجامعة الاسلامية كما انعكست فيها افكار الجامعة العربية والجامعة التركية^(٣٥).

وعندما اعلنت الحرب العالمية الأولى اصدرت وزارة الداخلية امراً بتعطيل جميع الصحف في بغداد والبصرة، ولم تكف الحكومة بتعطيل الصحف، بل شردت اصحابها، فنفت عبد الحسين الازري وداود صليوه صاحب جريدة «صدى بابل» والاب انستاس الكرملي صاحب مجلة «لغة العرب» إلى قيسرى، ونفت ابراهيم صالح شكر وعبد اللطيف ثنيان إلى الموصل، وفر سليمان الدخيل إلى نجد ولجأ الكاتبان السيد رشيد الهاشمي والشيخ كاظم الدجيلي إلى البصرة^(٣٦).

عقب إعلان الحرب بين تركيا وبريطانيا، عطلت السلطات العثمانية الصحف القليلة التي كانت تصدر في بغداد، ولم يبق منها سوى الزوراء الجريدة الرسمية للحكومة وقد خصصت لنشر البلاغات والنظم والتعليمات إضافة إلى شيء من أخبار السلطنة، ذات طابع اداري - اجرائي، ولم تكن يومئذ تصدر يومية^(٣٧).

وعندما صدرت «صدى الاسلام» في ١٠ تموز ١٩١٥ كان الغرض من إصدارها الدعوة للعثمانيين والحض على تدعيم مواقفهم وتأييد سياستهم ضد بريطانيا والحلفاء وهكذا اصطبغت الدعاية التركية

٣١- صدى بابل، جريدة، بغداد، العدد ١٧، السنة الأولى، ١٩٠٩.

٣٢- التكريتي، منير بكر، الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية، بغداد، الارشاد، ١٩٦٩، ص ١٨٨.

٣٣- الملاح، عبد الغني، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، المصدر السابق، ص ١٠.

٣٤- عليوي، هادي حسن، المصدر السابق.

٣٥- منتشا شغيلي، أ.م، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة د. هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨،

ص ١١٤.

٣٦- سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، ط ٣، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي، دار الساقى، بيروت، لبنان،

١٩٩٨، ص ٩٢.

٣٧- طعمة، هادي، الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٣١.

بالصبغة الدينية وكان الخداع والمبالغة سمة ملحوظة في جريدة صدى الاسلام فلقد قالت بالنص «دوت كلمة امير المؤمنين بإعلان الجهاد، فدوت لها ارجاء الكون، واهتزت منها العروش والتيحان، لبها المسلمون في اقطار الكرة الارضية شيوخاً وشباباً، رجلاً ونساءً، ولبتها الاطفال في مهودها والاجنة في اصلاحتها، كما يلبسها الرابضون في اجداتهم»^(٣٨).

وفي سبيل التخويف عمدت إلى نشر «فضائع الانكليز ومظالمهم» في المناطق المحتلة من العراق^(٣٩). احتلت القوات البريطانية البصرة في ١ كانون الأول عام ١٩١٤ وتولت امر الصحافة الخاصة والعامه، وشرعت فوراً سلطات الاحتلال العسكري بإصدار نشرات يومية باللغتين العربية والتركية متضمنة أخبار الحرب وانتصارات الحلفاء، وعندما احتلت القوات البريطانية بغداد ١١ آذار عام ١٩١٧ انتقلت حكومة الاحتلال المركزية إلى بغداد واسست جريدة بصفحتين تظهر بين يوم وآخر صدر منها العدد الأول في ٤ تموز عام ١٩١٧ باسم «العرب» كان الهدف من صدورها محاولة فرض الرأي السياسي لسلطات الاحتلال على جماهير الناس^(٤٠).

وصدرت جريدة «العراق» في بغداد في الأول من حزيران عام ١٩٢٠ وجريدة «الشرق» في ٣٠ آب من العام المذكور وجريدة «الاستقلال» في ٢٨ ايلول.

وقد اثبتت جريدة العراق في الاعداد القليلة التي اعقبت صدور وليدها انها اختطت لنفسها سياسة مستقلة دونت خلال سطورها التاريخ السياسي القومي الاجتماعي ولكنها في نفس الوقت لم تكن تمثل القطاع الوطني التحرري الصاعد بالرغم من وجود بعض الكتاب المتحررين من الشباب القومي والوطني الذين لم يجدوا غير «العراق» طريقاً للتعبير عن افكارهم رغم ان سياستها لم تكن معارضة لسلطات الاحتلال بصورة حدية ومن كتابها الاوائل شكري الفضلي وحسن غصيبة وعطى امين ورفائيل بطي «وهو محررها الأول» ومحمد عبد الحسين «الصحفي المعروف والكااتب في ثورة العشرين»^(٤١).

وإذا اردنا الرجوع إلى الصحافة للتعرف على الافكار الدستورية في العراق في أول العهد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فلا نجد صحيفة غير رسمية قد صدرت في العراق قبل أول حزيران سنة ١٩٢٠، وفي هذا التاريخ صدرت جريدة العراق ثم صدرت بعدها جريدة الفلاح في ٢٠ حزيران ١٩٢٠ ولسان العرب في ٢٣ حزيران ١٩٢٠ ودجلة في ٢٥ حزيران ١٩٢٠ وجريدة الشرق في ٣٠ آب ١٩٢٠ والاستقلال في ٢٦ ايلول ١٩٢٠^(٤٢). وبالرجوع إلى هذه الصحف نجد فيها الكثير من الكلام في الدعوة إلى الحياة الدستورية والمفاهيم الديمقراطية والمطالبة بحقوق الشعب، واقامة المؤسسات المنبثقة من ارادة الأمة ومنها ماكانوا يسمونه حينذاك «المؤتمر الوطني» ويقصدون به «الجمعية التأسيسية» لسن دستور للبلاد ثم اقامة

٣٨- صدى الاسلام، جريدة، بغداد، العدد، ١٠ تموز ١٩١٥.

٣٩- صدى الاسلام، جريدة، بغداد، العدد، ٧، تموز ١٩١٥.

٤٠- بطي، فائق، صحافة العراق، بغداد، الاديب، ١٩٦٨، ص ٣٠.

٤١- بطي، فائق، المصدر نفسه، ص ٣٧.

٤٢- شعبان، عبد الحسين، جذور التيار الديمقراطي في العراق، ط ١، بيسان، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧، ص ١٧٤.

«مجلس النواب» حتى لتكاد تكون هذه المواضيع ومستقبل نظام الحكم في العراق الموضوع الرئيسي في تلك الصحف، وبعضها جعل الدعوة إلى الحياة الدستورية غرضاً من الاغراض التي تصدر من اجلها ومنها جريدة الفلاح لصاحبها عبد اللطيف الفلاحي التي نشرت في عددها الأول انها تستهدف العمل أولاً من اجل استقلال البلاد استقلالاً تاماً، وثانياً تشكيل حكومة دستورية نيابية يكون الحكم فيها من الشعب وللشعب وبالشعب، وجريدة دجلة لصاحبها داود السعدي التي قالت في تقديمها لنفسها إلى الجمهور ان غايتها استقلال البلاد وتأسيس حكومة دستورية ذات ملك مقيد بقوانين وانظمة توفق روح البلاد وتلائم مصلحة الشعب وتألّف مجلس تشريعي له سلطة واسعة^(٤٣).

وعندما اندلعت ثورة العشرين في حزيران ١٩٢٠ نجح الثوار في فرض ارادة الشعب بانتزاع صحافة رأي من السلطات البريطانية تعبر عن اهداف وخطط الثوار وترسم طريق ثورتهم وتقود الرأي العام إلى التآلف والاتحاد من اجل نيل الاستقلال الناجز^(٤٤).

وصدرت في اعقاب تلك الفترة صحف ومجلات عديدة واستقطب بعضها الأرقام الحرة الشابة^(٤٥). وفي ٢٨ ايلول ١٩٢٠ صدرت في بغداد جريدة الاستقلال لصاحبها عبد الغفور البدري وتعرضت للتعطيل في ٩ شباط ١٩٢١ ثم عاودت الصدور وتعرضت عدة مرات للتعطيل الاداري والالغاء وكان أول تعطيل اداري لها على اثر نشر عدد خاص بمناسبة عودة المنفيين الوطنيين إلى بغداد حيث كتبت في صدر صفحتها تقول^(٤٦) «نهني الأمة العراقية بقدوم منفيينا الكرام، ونطلب ارجاع جميع المنفيين بلا استثناء، كما اننا نواصل الطلب في تنفيذ سائر المواد السبع وهي:

١. اطلاق حرية الصحافة وتطبيق قانون المطبوعات العثماني إلى ان يسن غيره وفقاً لنظام الاحتلال.
٢. اطلاق حرية الاجتماعات وتشكيل اندية سياسية رسمية.
٣. إصدار العفو العام الخالي من كل قيد وشرط عن جميع المجرمين السياسيين واطلاق سراح المسجونين.
٤. ارجاع المبعدين والمنفيين والسماح للمشتتين بالرجوع إلى اوطانهم.
٥. رفع الادارة العرفية العسكرية والاحكام الكيفية التي اتاحت على الشعب العراقي منذ الاحتلال حتى الان لتمتكن الأمة من التفاهم مع السلطات بكل حرية واطمئنان.
٦. رفع المحاكم العسكرية والقضاة العسكريين والقوانين التي رتبت احياناً وتطبيق القوانين الجزائية والحقوقية السابقة «مقتضى الاحتلال أيضاً».
٧. الاسراع في الانتخاب الحر وتشكيل المؤتمر العام من دون مداخلة رجال الاحتلال وبدون اي تضيق على افكار الاهالي بخصوص الانتخابات، هذا ما طلبه الشعب العراقي».

٤٣ - الفلاح، جريدة، بغداد، العدد ١، ٢٠ حزيران ١٩٢١. دجلة، جريدة، بغداد، العدد ١، ٢٥ حزيران، ١٩٢١.

٤٤ - بطي، فائق، صحافة العراق، المصدر السابق، ص ٤١.

٤٥ - الاستقلال، جريدة، بغداد، العدد ٥٧، ٩ شباط ١٩٢١.

٤٦ - المصدر نفسه

وعلى اثر تعطيلها لمدة سنة حكم على صاحبها بالسجن سنة واحدة، وعلى رئيس تحريرها قاسم العلوي ستة اشهر ومحررها الأول محمد مهدي البصير تسعة أشهر^(٤٧).

وبتتويج فيصل ملكاً على العراق بدأت صفحة جديدة من تاريخ العراق الحديث وقد بدأ العهد الفيصلي والعراق مشحون بالمشاعر المعادية للانكليز ونشطت المطالبة الوطنية في بداية عهد فيصل لتأسيس الأحزاب السياسية مما اضطره «فيصل» إلى إصدار قانون الجمعيات في ٢ تموز ١٩٢٢ الذي احيز بموجبه ثلاثة احزاب هي الحزب الوطني العراقي برئاسة محمد جعفر ابو التمن وحزب النهضة العراقية بزعامة امين الجرجفي والحزب الحر العراقي بزعامة محمود النقيب^(٤٨).

وكان الحزب الحر العراقي المؤسس في ايلول عام ١٩٢٢ اسرع الأحزاب السياسية انذاك إلى إصدار جريدة ناطقة بلسانه واصدر جريدة «العاصمة» في ٥ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ وكانت موالية للسياسة البريطانية^(٤٩).

وشهدت صحافة بغداد مساجلات واتهامات بين الصحف المؤيدة لبريطانيا والمطالبة باستقلال العراق، ونورد في مقالة الشاعر معروف الرصافي صاحب جريدة «الامل» الصادرة في تشرين الأول عام ١٩٢٣ مثلاً على مضمون المقالات التي كانت سائدة انذاك حيث ردّ الرصافي على مقال نشرته جريدة «العراق» بتوقيع «الكاتب المطلق» بمقال تحت عنوان «صاحب جريدة العراق» «في بغداد آدمي يقال له «رزوق غنام» يستحق ان يسمى بأبي العجب، كانت في بغداد فترة قبل انشاء حكومتنا العربية- لا كانت من فترة- صار فيها الوضع شريفاً والخامل نبيهاً والجاهل معلماً والخادم حاكماً والصعلوك ثرياً وكان هذا الادمي من الذين اثروا بفضل تلك الفترة فصار صاحب ثروة بعد ان كان ما كان، ان هذا لعجيب ولكن الاعجب منه انه نال تلك الثروة بصيرورته شيخاً للصحافة العربية في بغداد واعجب من هذا وذلك انه لا يعرف ان يجمع بين كلمتين من اللغة العربية فما وجوده اليوم إلا اثر من آثار تلك الفترة المشؤومة - يقصد فترة الاحتلال التي ابقت لطحنة سوداء في جبين الصحافة العربية، ان المقال الذي نشرته صحيفته النكراء في عددها بتوقيع الكاتب المطلق لن يكون منه وانما هو من كاتب مقيد بالاجرة فكيف يكون مطلقاً وهو الخادم الذي يخدم بطعام بطن، لا ندري ما الذي حمل «رزوقاً» على ان يبصق في وجه الشرف من قبل ان يدنو منه ولعله مثل ذلك لعلم انه إذا جاء الشرف اندكت الجسنة وتدهورت في مهاوي الخسران لأنها لا تستطيع ان تنازعه البقاء على اننا نعلم من هم الذين اغروا صاحب العراق بنا فسوف نوجه سهامنا إلى مغريه ونعرض عنه جريماً على عادة العرب القديمة «كالثور يضرب لما عافت البقرة...»^(٥٠).

٤٧- بطي، فائق، الموسوعة، المصدر السابق، ص ٥٣.

٤٨- العمر، فاروق، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، بغداد، مطبعة الارشاد، ص ٧٩.

٤٩- بطي، فائق، صحافة العراق، المصدر السابق، ص ١٩.

٥٠- الامل، جريدة، بغداد، العدد ٢، ٢ تشرين الاول، ١٩٢٣ م.

وفي يوم ٢٠ آب ١٩٢٢ وقبل حلول الذكرى الأولى للتبويب بثلاثة أيام اجتمعت اللجنتان التنفيذيتان للحزبين المعارضين «الحزب الوطني وحزب النهضة» في جلسة مشتركة تقرر فيها ان يقدم كل من الحزبين مذكرة سياسية إلى الملك في يوم ذكرى التبويب^(٥١) ونشر حزب النهضة بياناً سياسياً جاء فيه «ان الشعب يقف اليوم بعد مرور سنة كاملة «على التبويب» لم ير خلالها فرقاً بين سياسة الحكومة الحاضرة وبين سياسة الحكومة الاحتلالية»^(٥٢).

وفي ٢١ آذار سنة ١٩٢٥ نشر الدستور في الجريدة الرسمية وبدأ نفاذه من هذا اليوم، وقبل نشره بدأ الاعداد لأجراء أول انتخاب لأول مجلس نيابي للعراق^(٥٣).

تميز نظام الحكم في العراق خلال الحقبة الملكية بأزدواجية الحكم فقد كان هناك ملك ورئيس وزارة وإلى جانب ذلك كان مندوب سام ومستشارون يرسمون سياسة كل وزير ويتدخلون في كل شيء وبارادتهم ومشورتهم تدار سياسة البلاد الداخلية والخارجية وتوضع القوانين والانظمة^(٥٤). انظر الملحق رقم «١٤».

ومن الجوانب المضئبة في تاريخ الصحافة العراقية يمكن الاشارة إلى كتابات الصحفي العراقي «ابراهيم صالح شكر» في جريدته «الناشئة الجديدة» حيث تبث اسلوباً جديداً في الصحافة العراقية عندما تناول عدد من سياسي ذلك العهد في كتاباته الصحفية لم ترض السلطة له بالاستمرار فتعرض لمضايقة ولاحقه التعطيل وكان أول تعطيل لجريدته بعد صدور العدد الرابع في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٣ واستمر لمدة ١٢٥ يوماً وبعد التعطيل الثاني «١٥ حزيران ١٩٢٣» كتب ابراهيم صالح شكر في افتتاحية العدد التاسع في ٢٦ تشرين الأول عام ١٩٢٣ «سوف تبقى «الناشئة الجديدة» واقفة بالمرصاد لأولئك الذين يتصيدون على «البسطاء» و«السوقة» و«السذج» باسم الادب ونصرة «الوطن» وخدمة «الاستقلال» اذ ان السكوت عن هؤلاء المتطفلين على الوطن في خدمته والمستثمرين نهضة الأمة للمتاجرة باسمها جريمة، وان عدم تمزيق ثوب الرياء ليكشف عما تحته مشاركة لهم في تلك الجريمة»^(٥٥). انظر الملحق رقم «٧».

وفي أثناء انعقاد المجلس التأسيسي ومصادقته على معاهدة ١٩٢٢ برزت على مسرح السياسة العراقية قضية الدستور ومشكلة الموصل^(٥٦).. وشهدت الصحافة البغدادية سلسلة من المقالات الجريئة التي طالبت بالحرية والاستقلال ومن المقالات التي اثارَت دار المعتمد السامي وهزت البلاط الملكي المقال الافتتاحي الذي نشره عبد الغفور البدري صاحب جريدة الاستقلال تحت عنوان «الاستقلال يؤخذ ولا يعطى» وقد جاء هذا المقال في وقت كان الرأي العام كله يطالب فيه بالاستقلال الناجز وينادي بضرورة

٥١- العراق، جريدة، بغداد، العدد ٣٧٢، ١٣ ايلول ١٩٢١.

٥٢- المفيد، جريدة، بغداد، العدد ١٨٥٨، ٢٣ تموز ١٩٢١.

٥٣- العراق، جريدة، بغداد، ٩ حزيران ١٩٢٥.

٥٤- الياسري، قيس، عبد الحسين، صحافة الاحزاب العراقية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٤٧.

٥٥- شكر، مليمح ابراهيم صالح، ابراهيم صالح شكر شخصية في تاريخ الصحافة العراقية، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩،

ص ١٠.

٥٦- بطي، فائق، صحافة العراق، المصدر السابق، ص ٢٢.

رفع يد المندوب السامي بيرسي كوكس من التحكم المفرط في سياسة الدولة الداخلية والخارجية خاصة بعد عقد الملحق الجديد للمعاهدة العراقية البريطانية في ٣ مايس ١٩٢٣^(٥٧).

كما تناولت بعض الصحف البغدادية مقاطعة الانتخابات من قبل بعض فئات الشعب العراقي بمقالات عبرت عن حرية النشر والتعبير عن الرأي^(٥٨) حيث كتب معروف الرصافي في جريدة «الامل» في العدد الأول في ١ تشرين أول ١٩٢٣ مقالاً بعنوان «الأكثرية الشيعية في العراق» جاء فيه «ان الشيعة الذين شيدهوا هذا الملك العزيز فوق جماجمهم وعظام ابطالمهم وكرامهم يجب ان ينالوا كأكثرية نصيبهم من الحكم والادارة»^(٥٩).

لقد تركت ثورة العشرين مشاعر راسخة العداء لبريطانيا في العراق، لذلك حرصت الأحزاب الوطنية في هذه الفترة ان تتعهد في مستهل برامجها السياسية بالسعي «لاستقلال العراق التام»^(٦٠) ومن هذا المنطلق سعت صحافة الأحزاب إلى محاربة الوجود البريطاني في العراق وسياسة المعاهدات التي دأبت على انتهاجها الفئة الحاكمة، وكان أول ما واجهته صحافة الأحزاب في هذا المجال هو معاهدة ١٩٢٦ التي اعترفت بتبعية الموصل للعراق مع تمديد اجل الوجود البريطاني ولم تكن هذه المعاهدة سوى استمرار لمعاهدة ١٩٢٢ وفي هذه الفترة لم تكن هناك صحف حزبية عدا جريدة نداء الشعب لسان حال حزب الشعب الذي عرف بمعارضته الشديدة للمعاهدة ولوزارة حزب التقدم^(٦١).

ومن المقالات المهمة التي ظهرت على صفحات جريدة في تلك الفترة ما كتبه فهمي المدرس بتوقيعه وبتواقيع مستعارة منها «ف وكاتب عراقي معروف، والكاتب العراقي الكبير المعروف»^(٦٢) وأدت بعض هذه المقالات إلى تعطيل الصحيفة ونفي فهمي المدرس ومدير الجريدة المسؤول خارج بغداد وتطبيق قانون العشائر بمقتهما^(٦٣) وكذلك ما كتبه باقر الشبيبي في الإخاء الوطني وما كتبه في صحافة هذا الحزب ياسين

- ٥٧- عزمي، خالص، من تاريخ الصحافة العراقية، مقالات بارزة للرعييل الأول، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩، ص ٨.
- ٥٨- الامل، جريدة، بغداد، العدد ١، تشرين أول، ١٩٢٣.
- ٥٩- الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق، ط ١، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥، ص ٢٧٩.
- ٦٠- النظام السياسي للحزب الوطني العراقي مادة (٣) وحزب النهضة العراقية مادة (٢) وحزب الامة مادة (٢) وحزب الاستقلال العراقي مادة (٣) فقرة (١١) وحزب التقدم مادة (٢) وحزب الشعب مادة (٣) وحزب الاخاء الوطني مادة (٣).
- ٦١- نداء الشعب، جريدة العدد ٣٦٧، ٥ كانون الثاني ١٩٢٦.
- ٦٢- صدی الوطن، جريدة، بغداد ٢٥، ٤ كانون الثاني ١٩٣١ ونداء الشعب ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٨ والأخبار ٢٥٢ ١١ شباط ١٩٣٢.

٦٣- في ٢٦ تشرين الاول ١٩٣٠ نشرت جريدة الزمان التي كان مديرها المسؤول ورئيس تحريرها رفائيل بطي مقال بعنوان « الاستفتاء ومصيره » سيق من اجله رفائيل بطي الى المحكمة وحكم عليه فقتضى في السجن ٢٩ يوماً وخرج بعدها اثر عدم مصادقة محكمة التمييز على القرار بعد ان بين فيه الكاتب فهمي المدرس ان مقاله ليس فيه طعن بالذات الملكية. يورد الباحث احدي مقاطعه: «ولا ندرى كيف تصبح المفاوضات مع اعظم دولة في العالم وهي محتلة هذه البلاد وقباضة عليها بيد من فولاذ والمفاوض العراقي ضعيف لم يستند الى اكثرية برلمانية ولم يفسح المجال للرأي العام واختير اكثر المنتخبين الثانويين من بين موظفي الدولة ويريد بعد هذا وذاك ان يعرض معاهدة خطيرة لا أمد لها على جماعة تعاهد معهم على الابرام كما شاع واذا ما شك في واحد، غير وبدل وان التصرف في قوائم النواب مستمر على عدد الدقائق والساعات». انظر نص المقال: جريدة الزمان، ٢٦ تشرين الاول ١٩٣٠ ونشرت جريدة الاخبار في عددها الصادر في ١٣ آذار ١٩٣٢ موضوعاً عن هذه المحكمة.

المهاشمي وكامل الجادرجي و ابراهيم صالح شكر وادى إلى تعطيل أو انذار صحافة هذا الحزب مرات عديدة^(٦٤).

ومن المظاهر الاخرى لحرية النشر والتعبير عن الرأي العام ما كتبه ابراهيم صالح شكر في جريدة الزمان حيث دافع عن فكرة التجنيد الاجباري وهاجم حزب النهضة الذي يعارض هذه الفكرة كما كتب مؤيداً لمظاهرات الطلبة احتجاجاً على زيارة «الفريد موند»^(٦٥) الصهيوني وهاجم وزارة عبد المحسن السعدون لاتخاذها قرارات بفصل وابعاد الطلبة المتظاهرين، كما نادى بشدة بضرورة ابعاد غير العراقيين من مناصبهم واحلال العراقيين محلهم^(٦٥).

ولا يمكن اغفال الدور الذي اضطلعت فيه صحيفة الأهالي في الدعوة إلى نحو الأمية في العراق واصلاح الاوضاع الاجتماعية والسياسية واطلقت «الأهالي» مشروعاً لمكافحة الأمية لاقى استحابة واسعة في المدن العراقية ووقفت الحكومة إزاءه صامته لا تستجيب ولا بتحاوب، بينما الجماعة يطالبونها بموقف صريح^(٦٦). وبهذا الصدد قالت «الاهالي»: «ان العراق لم يتغير منذ مئات السنين الجامد المحافظ.. الذي لم يزل كما كان في أعظم شؤون الحياة خطراً وأهمية لم يصر الى مصيره هذا عبثاً، بل لأسباب عميقة تعتبر «الامية» من مقدمتها»^(٦٧).

وتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٣٢ وجهت الحكومة أول انذار لصحيفة «الاهالي» وذلك عندما نشرت مقالها الافتتاحي «انعقاد مهزلة الفاشستية مرة أخرى، ماذا يتبغي الدعاة من ورائها» الذي سخرت فيه من بعض الداعين إلى تأليف جماعة فاشستية لها نظم وقوانين جمعيات ذوي القمصان السود في ايطاليا^(٦٨).

وكانت «المصباح» الجريدة اليهودية العلنية الوحيدة في العراق التي استمرت عدة سنوات وتمثل الفكر والوجود اليهودي وتدعو للصهيونية وبعد تأسيس الحكم الملكي في العراق عام ١٩٢١ ظهرت عدة صحف ومجلات اصدرها اليهود منها الدليل والبرهان والنشرة الاقتصادية والحاصد والعصبة^(٦٩).

وتابعت الصحف البغدادية التظاهرات التي جرت في بغداد عام ١٩٢٨ احتجاجاً على زيارة الفريد موند حيث وصفت جريدة «العالم العربي» «عدد ١٠ شباط ١٩٢٨» صمود المتظاهرين فقالت «كان المتظاهرون واتباعهم كالبناء المرصوص بل كتلة واحدة متينة رصينة»^(٧٠).

٦٤- نداء الشعب، جريدة، بغداد، ١١ تشرين الثاني ١٩٣٠.

*- الفريد موند (١٨٩٨ - ١٩٣٠) سياسي بريطاني وزعيم صهيوني في بريطانيا ينتمي إلى اسرة صناعية معروفة وبدأ اهتمامه بالصهيونية ١٩١٧ ليصبح من المقرين لحاييم وايزمن في عام ١٩٢٨ اختير رئيساً للهدروست الصهيونية في بريطانيا ثم عين رئيساً للادارة الصهيونية في فلسطين وكان قد حصل عام ١٩٢٨ على لقب لورد. ينظر. المعاضيدي، عصام جمعة احمد، الصحافة اليهودية في العراق، رسالة ماجستير، بغداد، ١٩٩٥.

٦٥- مليح، صالح شكر، ابراهيم صالح شكر، المصدر السابق، ص ١٢.

٦٦- الوكيل، فؤاد حسين، جماعة الاهالي في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص ١٢٤.

٦٧- الاهالي، جريدة، بغداد، العدد ٩٤، ٥ أيار، ١٩٣٢.

٦٨- المصدر نفسه، ص ٢٨١.

٦٩- المعاضيدي، عصام جمعة احمد، الصحافة اليهودية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٩٥، ص ٥٤-٧١.

٧٠- جميل، حسين، العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ - ١٩٣٠، دار السلام، لندن، ١٩٨٧، ص ٢٠٩.

كما تابعت جريدة العراق في عددها ١٠ شباط ١٩٢٨ زيارة طه الهاشمي مدير المعارف العام للمدرسة الثانوية التي تظاهر منها الطلبة وكانت الصحف المحلية كلها باستثناء جريدة «الاقوات العراقية» موالية لحركة احتجاج الطلبة المتظاهرين ومؤيد لها ومتعاطفة مع القائمين بها^(٧١).

ولم ينشر ويطلع اليهود العراقيون الصحف السرية قبل العقد الثالث من القرن العشرين ويعود السبب في ذلك إلى ان اليهود كانوا يتمتعون بحرية النشر العلني للصحف سواء في العهد العثماني أو البريطاني أو الملكي في فترته الأولى، كما ان اليهود أصدروا صحف باللغتين العربية والعبرية إضافة إلى ان جو التسامح الديني وعدم التمييز بين الطوائف كان هو السائد في تلك الحقبة الزمنية^(٧٢).

ويعود ظهور أول مجلة عبرية في بغداد إلى نهاية عهد الاحتلال البريطاني المباشر وذلك في ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ وكانت تدعى «يشرون» وقد اصدرتها الجمعية الادبية الاسرائيلية وهي مجلة أدبية أسبوعية نصفها بالعبرية والنصف الآخر باللغة العربية ولكن باحرف عبرية وكان مدير ادارتها «الياهو ناحوم» وعهد بتحريرها إلى «صهيون اذريعي» و«يعقوب صهيون»^(٧٣).

لقد جرت خلال الاشهر الثلاثة «آب - ايلول - تشرين الأول» من عام ١٩٢٧ مساجلات عنيفة ودارت مناقشات حامية على صفحات «النهضة» و«الزمان» و«الاستقلال» تناولت طبيعة الوضع القائم في البلاد ودخول الوزارة باب المفاوضات مع حكومة لندن حول معاهدة «١٩٢٧» وقضية التحديد الاجباري، والتعرض لبعض الشخصيات الحكومة وراء عامة أخرى كثيرة^(٧٤).

وقد كانت «Baghdad Times» تعبر عن اراء دار الاعتماد البريطاني، وتدافع عن فكرة الانتداب و«النهضة» تعبر عن اراء حزب «النهضة» المناهض لخطة عمل الوزارة العسكرية القائمة بينما كانت «الزمان» و«الاستقلال» تقفان موقفاً مضاداً لهما، وقد اضطرت الحكومة ازاء هذا الوضع لإصدار بيان في ٢ ايلول ١٩٢٧ طلبت فيه من الصحف عامة الكف عن المكاتبات التي قد تقضي إلى نتائج غير محموددة وان تتبعد عن كل ما يشتم منه رائحة التفرقة أو يمس كرامة الاشخاص^(٧٥). وعلى الرغم من هذا البيان فقد استمرت الصحف في مساجلاتها بل وحمى وطيسها في اوائل تشرين الأول ١٩٢٧ اثر اعادة ثلاثة من المدرسين السوريين الذي كانوا قد استغني عن خدماتهم في تظاهرات الطلبة في كانون الثاني ١٩٢٧^(٧٦). انظر الملحق رقم «٨».

وحين رأى مجلس الوزراء ذلك اتخذ قراراً في ٢١ تشرين الأول ١٩٢٧ يقضي بتعطيل صحيفة «النهضة» و«الزمان» مؤقتاً لان الأولى اسندت إلى الحكومة اعمالاً لا أساس لها من الصحة وقامت

٧١- المصدر نفسه، ص ٢١٠.

٧٢- المعاضدي، المصدر السابق، ص ٧٩.

٧٣- الحسيني، عبد الرزاق، تاريخ الصحافة العراقية، ط ٣، العرفان، صيدا، ١٩٧١، ص ٣٨.

٧٤- حاتم، صالح محمد، صحيفة الاستقلال في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد

البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢١١.

٧٥- الزمان، جريدة، بغداد، العدد ١٤، ١٢ ايلول ١٩٢٧.

٧٦- حاتم، صالح محمد، المصدر السابق، ص ٢١١.

بدعايات مضرّة تدعو إلى التفرقة، الأمر الذي حدث من جرائه بعض الأحوال المخلة بالأمن العام، ولان الثانية نشرت مقالات من شأنها ان تخل بالأمن العام^(٧٧).

وحفل العدد الأول من جريدة «الاماني القومية» الذي صدر صباح الجمعة الموافق ٣٠ تشرين الأول ١٩٣١ بافتتاحية تحت عنوان «حفنة تراب على مرقد الباجه جي مزاحم الامين» توزع على مساحة الصفحة الأولى وجزء من الصفحة الثاني مع ملئ اعمدة الصفحات الاخرى بمحوم عنيف على تصرفات «الباجه جي» عندما كان وزيراً للداخلية ضمن هذه الفترة، وقد راجت الجريدة رواجاً ليس له مثيل سابق الأمر الذي حدا بالحكومة إلى تعطيل الجريدة لمدة اربعة اشهر بسبب دور الباجه جي في صدور قانون مرسوم البلديات الذي نشرته «الوقائع العراقية» في ١٤ حزيران ١٩٣١ وتحت رقم «٨٦» لسنة ١٩٣١ ومن ثم تضرر اصحاب المصانع من هذا القانون واضرابهم عن العمل^(٧٨).

وكان للصحافة الساخرة في العراق اهتمام بالانجهاات السياسية وتأثرت مواقف الصحف وطرحها بعاملين أولهما الظروف السياسية وطبيعة التيارات الفكرية التي سادت الحياة السياسية في العراق خلال تلك الفترة، وثانيهما الانتماء والتعاطف الفكري لاصحاب تلك الصحف. وتعرضت هذه الصحف الى الانذار أكثر من مرة بسبب جرأتها في نقد الاوضاع السياسية والاجتماعية. انظر الملحق رقم «٩» وملحق رقم «٣»^(٧٩).

وفي عام ١٩٣٠ احيل صحفيون عديدون إلى القضاء لتعرضهم لبعض الشخصيات السياسية بالقذف حيث حكم على السيد راجي العسكري المدير المسؤول لجريدة «الكرخ» لصاحبها الملا عبود الكرخي بغرامة قدرها «١٠٠ روبية» ودفع تعويض «١٥٠» روبية للمستر «كوبر» مدير كمارك البصرة عن الذهاب والاياب بين البصرة وبغداد حيث هجاه الملا عبود الكرخي بقصيدة شعبية وحكم على الملا عبود الكرخي بغرامة قدرها «٣٠» روبية بسبب هجائه المقذع للشاعر محمد مهدي الجواهري وتعويض المشتكي الجواهري بثلاثين روبية أخرى^(٨٠).

وفي العدد ١٥٢١ في ٢١ تموز ١٩٣٠ نشر المحامي علي محمود الشيخ علي المدير المسؤول لجريدة «صوت العراق» مقالاً بعنوان «المعاهدة الجديدة وثيقة استعبادية» وجرت محاكمته حول المصطلحات التي اوردها في المقال واتهامه رئيس الوزراء انذاك بالضعف وظلت المسألة عائمة حيث لم يصدر حكم قضائي تجاه المحامي علي محمود الشيخ وكان الهدف من تحريك هذه الدعوى هو الضغط على حرية الصحافة والتنكيل بخيرة الصحفيين^(٨١).

كما نشر الكاتب نفسه «المحامي» مقالاً آخر في جريدة الزمان كان له وقع كبير في الاوساط الصحفية.

٧٧- الاستقلال، جريدة، بغداد، العدد ١١٨٧، ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٧.

٧٨- الداغري، فاخر، من ملفات اشهر المحاكمات الصحفية في العراق، <http://almadapaper.net>.

٧٩- سعد، حمدان حضير سالم، الصحافة الساخرة في العراق ١٩٠٩ - ١٩٣٩، رسالة ماجستير، بغداد، ١٩٩٠، ص ١١١.

٨٠- الداغري، فاخر، من ملفات اشهر المحاكمات الصحفية في العراق. <http://almadapaper.net>.

٨١- الداغري، فاخر، من ملفات اشهر المحاكمات الصحفية في العراق. <http://almadapaper.net>.

ويورد الباحث مقطعاً من هذا المقال الذي جاء تحت عنوان «تشتبهون»:

«لئن بكيت فأنما بكيت وطناً أضع قبضته الحقبة رجال أنغمست في حمأة التفريق، وشعباً جزته يد أجنبية وفرقته طوائف وأحزاباً نزعاً أجنبية وعقول أجنبية، ولئن نذبت فأنما نذبت شهداء صرعتهم الحراب الاستعمارية وهم يذودون عن الكرامات، ودماء زكية طاهرة سالت في سهول العراق وجزونه في سبيل الوحدة ولاجل الحرية والاستقلال، ولئن نعتت فأنما نعتت اشباه رجال يعملون للأجنبي من حيث لا يشعرون ويسددون سهام الذل والاستعباد الى وطنهم وهم لا يفقهون»^(٨٢).

وخلال عام ١٩٣٥ اعتبرت حادثة اطلاق الرصاص على الصحفي العراقي والكاتب الهزلي المرحوم «ميخائيل تيسي» صاحب جريدة «كناس الشوارع» أول محاولة لاغتيال صحفي في العراق، فبينما كان جالساً في صيدلية «كرخي» براس القرية إذا بمجهول يتقدم نحوه ويطلق عليه عدة عبارات نارية للاجهاز عليه، لكن لم يصب إلا بجروح وقد منعه اهله ومعارفه من مزأولة الصحافة بد ان فسروا محاولة اغتياله بتحريض من بعض الذين اصابهم رشاش قلمه^(٨٣).

وكان لجريدة «حزبوز» الساخرة.. حملات منظمة تميزت بنقدها اللاذع للسلطات الحكومية في قضية الرقابة على المطبوعات والمطالبة بحرية النشر والتعبير واتخذت الجريدة، لنفسها لوناً من ألوان الفنون الصحفية يعتمد على الحوار الساخر بين من اسمته الجريدة «الكرخي» و«حزبوز».

«الكرخي - هل اليوم وزنة الشعر شتسوه؟

حزبوز - أغاني ليش ما نسترخص!.. يعني قابل ناوي تسدلي الجريدة؟

الكرخي - هسه دخيلك حزبوز ! شنو مناسبة الشعر والسياسة؟

حزبوز- هذا شني واضح كالشمس في وقت الظهر! لان الشعر علف الخيل والخيل يريد لها

«سايس» وكلمة «سايس» مأخوذة من السياسة!

الكرخي- هسه حرنا وياك! بس شنسوي؟^(٨٤)

وفي هذا الحوار تشير الجريدة الى الرقابة الشديدة المفروضة على الناس والصحف والى تكميم الافواه. كما كان للرسوم الكاريكاتورية التي كانت تنشرها «الجريدة» الاثر الكبير في تحفيز الرأي العام نحو الكثير من القضايا الوطنية مما دعى الحكومة الى توجيه الانذارات المتتالية لها.

ومن خلال اطلاع الباحث على بعض الوثائق الحكومية الصادرة في ذلك الوقت تبين ان قرارات التعطيل والانذار الصادرة بحق الصحف خلال العهد الملكي استندت على اتهامات موحدة تحت باب «الطعن» بالذات الملكية او «الطعن» بموظفي الحكومة او «الاضرار» بسياسة البلاد الخارجية او «تهيج

٨٢- انظر نص المقال في جريدة الزمان (يشتهون) لعلي محمود المحامي، العدد ٤٤، بتاريخ ٢٣ آب ١٩٢٧.

٨٣- كوريا، يعقوب يوسف، حكايات عن الصحافة في العراق، بغداد، بلا تاريخ.

٨٤- حزبوز، جريدة، بغداد، العدد ٣، ١٣ أيلول ١٩٣١.

الرأي العام» او «الاخلال بالامن الداخلي والخارجي» و «ما يخالف الحقيقة ويضر بالمصلحة العامة» انظر الملاحق رقم «١٠» ورقم «١١» ورقم «١٢» ورقم «١٣».

المراجع والمصادر

١. مجذوب، محمد سعيد، الحريات العامة وحقوق الانسان، ط١، جروس برس، لبنان، ١٩٨٦، ص٨.
٢. الجزائري، محمد، مداخلة حول مفهوم الحرية والصحافة، بغداد، ١٩٧٢، ص١.
٣. السيد، احمد لطفي، مشكلة الحريات في العالم العربي، الجهاد، بيروت، ١٩٥٩.
٤. وليم أو. دوكلاس، الحرية في ظل القانون، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤، ص٢٦.
٥. البصري، عبد الجبار داود، الصحافة والرقابة، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩، ص٣.
٦. الملاح، عبد الغني، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥، ص٧.
٧. العلاف، ابراهيم، خليل <http://www.kululiraq.com>.
٨. جبر، شمشي، الضمانات الدستورية لحرية الرأي والتعبير في الدساتير العراقية. <http://www.ahewar.org>.
٩. تنوير الافكار، مجلة، بغداد، العدد الأول، ص٢٩، ١٩١٠.
١٠. تنوير الافكار، مجلة، بغداد، العدد الثاني، ص٧٦، ١٩١٠.
١١. عليوي، هادي حسن، الحرية الصحفية في العراق جدلية التحويل، الصباح، جريدة، بغداد، ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٧.
١٢. النعيمي، هاشم، كيف صدرت جريدة الزوراء، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩، ص٦.
١٣. هادي حسن عليوي، المصدر السابق.
١٤. الرقيب، جريدة، بغداد، العدد ٩١، ١٩١٠.
١٥. الرقيب، جريدة، بغداد، العدد ١٤٠، ١٩١٠.
١٦. الرقيب، جريدة، بغداد، العدد ١١١، ١٩١٠.
١٧. نظمي، وميض، شيعة العراق وقضية القومية العربية من كتاب دراسات في القومية العربية والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص١٦٣.
١٨. سعيد، امين، الثورة العربية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٤، ص٢٤.
١٩. الجميل، سيار، انتلجنسيا العراق التكوين والاستنارة القومية، مجلة آفاق عربية، ايلول، ١٩٩١، ص٣٧.
٢٠. النصيري، عبد الرزاق، موقف المثقفين العراقيين من التغلغل الاستعماري، ١٩١٤، مجلة آفاق عربية، تشرين الأول ١٩٩١، ص٤٠.
٢١. العطية، محمود، معروف الرصافي حياته وآثاره ومواقفه، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢، ص١٥.

٢٢. احمد، ابراهيم خليل، تطور التعليم الوطني في العراق، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٢، ص ٤٨.
٢٣. الرقيب، جريدة، بغداد، العدد ٩١، ١٩١٠.
٢٤. الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ... المصدر السابق، ص ١٧.
٢٥. نظمي، وميض، المصدر السابق، ص ١٦٨.
٢٦. صدی بابل، جريدة، بغداد، العدد ١٧، السنة الأولى، ١٩٠٩.
٢٧. التكريتي، منير بكر، الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية، بغداد، الارشاد، ١٩٦٩، ص ١٨٨.
٢٨. منتشا شغيلي، أ.م، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة د. هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص ١١٤.
٢٩. سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، ط ٣، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي، دار الساقى، بيروت، لبنان، ١٩٩٨، ص ٩٢.
٣٠. طعمة، هادي، الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٣١.
٣١. صدی الاسلام، جريدة، بغداد، العدد ١٠، تموز ١٩١٥.
٣٢. شعبان، عبد الحسين، جذور التيار الديمقراطي في العراق، ط ١، بيسان، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧، ص ١٧٤.
٣٣. بطي، فائق، صحافة العراق، بغداد، الاديب، ١٩٦٨، ص ٣٠.
٣٤. الفلاح، جريدة، بغداد، العدد ١، ٢٠ حزيران ١٩٢١. دجلة، جريدة، بغداد، العدد ١، ٢٥ حزيران، ١٩٢١.
٣٥. بطي، فائق، صحافة العراق، المصدر السابق، ص ٤١.
٣٦. الاستقلال، جريدة، بغداد، العدد ٥٧، ٩ شباط ١٩٢١.
٣٧. العمر، فاروق، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، بغداد، مطبعة الارشاد، ص ٧٩.
٣٨. الامل، جريدة، بغداد، العدد ٢، ٢ تشرين الاول، ١٩٢٣ م.
٣٩. العراق، جريدة، بغداد، العدد ٣٧٢، ١٣ ايلول ١٩٢١.
٤٠. المفيد، جريدة، بغداد، العدد ١٨٥٨، ٢٣ تموز ١٩٢١.
٤١. العراق، جريدة، بغداد، ١٨٥٨ ع ٩ حزيران ١٩٢٥.
٤٢. عزمي، خالص، من تاريخ الصحافة العراقية، مقالات بارزة للرعييل الأول، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩، ص ٨.
٤٣. الامل، جريدة، بغداد، العدد ١، ١ تشرين اول، ١٩٢٣.
٤٤. الياسري، قيس، عبد الحسين، صحافة الاحزاب العراقية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٤٧.

٤٥. شكر، مليح ابراهيم صالح، ابراهيم صالح شكر شخصية في تاريخ الصحافة العراقية، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩، ص ١٠.
٤٦. الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق، ط ١، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥، ص ٢٧٩.
٤٧. النظام السياسي للحزب الوطني العراقي مادة (٣) وحزب النهضة العراقية مادة (٢) وحزب الامة مادة (٢) وحزب الاستقلال العراقي مادة (٣) فقرة (١١) وحزب التقدم مادة (٢) وحزب الشعب مادة (٣) وحزب الاخاء الوطني مادة (٣).
٤٨. نداء الشعب، جريدة العدد ٣٦٧، ٥ كانون الثاني ١٩٢٦.
٤٩. صدى الوطن، جريدة، بغداد ٤، ٢٥ كانون الثاني ١٩٣١ ونداء الشعب ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٨ والأخبار ٢٥٢ ١١ شباط ١٩٣٢.
٥٠. نداء الشعب، جريدة، بغداد، ١١ تشرين الثاني ١٩٣٠.
٥١. الوكيل، فؤاد حسين، جماعة الاهالي في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص ١٢٤.
٥٢. الاهالي، جريدة، بغداد، العدد ٩٤، ٥ آيار، ١٩٣٢.
٥٣. المصدر نفسه، ص ٢٨١.
٥٤. المعاضيدي، عصام جمعة احمد، الصحافة اليهودية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٩٥، ص ٥٤-٧١.
٥٥. جميل، حسين، العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ - ١٩٣٠، دار السلام، لندن، ١٩٨٧، ص ٢٠٩.
٥٦. الحسيني، عبد الرزاق، تاريخ الصحافة العراقية، ط ٣، العرفان، صيدا، ١٩٧١، ص ٣٨.
٥٧. حاتم، صالح محمد، صحيفة الاستقلال في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢١١.
٥٨. الزمان، جريدة، بغداد، العدد ١٤، ١٢ ايلول ١٩٢٧.
٥٩. الاستقلال، جريدة، بغداد، العدد ١١٨٧، ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٧.
٦٠. الداغري، فاخر، من ملفات اشهر المحاكمات الصحفية في العراق، <http://almadapaper.net>.
٦١. سعد، حمدان خضير سالم، الصحافة الساخرة في العراق ١٩٠٩ - ١٩٣٩، رسالة ماجستير، بغداد، ١٩٩٠، ص ١١١.
٦٢. الداغري، فاخر، من ملفات اشهر المحاكمات الصحفية في العراق. <http://almadapaper.net>.
٦٣. كوربا، يعقوب يوسف، حكايات عن الصحافة في العراق، بغداد، بلا تاريخ.
٦٤. حبزوز، جريدة، بغداد، العدد ٣، ١٣ أيلول ١٩٣١.

نظرة تحليلية على قصيدة "لامية الكرد" لعبد الحميد العرفان

السندجي

Analytical approach to the ode of "Lamyeh Alkurd"
Abdul Hamid Erfan Sanandaji.

Dr. Adnan Tahmaseb

د. عدنان طهماسبى^(١)

Dr. Hosamaldin

د. حسام الدين خاكپور^(٢)

Khakpoor

الملخص:

من الروائع الادبية التي تركت صدئاً واسعاً وأثراكبيراً في من أنشد بالعربية من سائر الشعوب، هي قصيدة "لامية العرب" للشنفرى حيث نُسجت على غرارها لاميات عدّة كـ«لامية العجم»، ولامية الهنود، ولامية المماليك، ولامية الترك ولامية الكرد التي هي محطة اهتمام هذا البحث. و من خلال بحثنا عن لاميات الكرد ظهرت أمامنا أربع لاميات وأشهرها لامية عبدالحميد العرفان السندجي التي نظمها في مدح "أمير نظام گروسي". نستهدف في هذه الورقة دراسة القصيدة من حيث المضمون و الأسلوب معتمدين على المنهج الوصفي- التحليلي في إشارة الى ما فيها من مضامين وخصائصها الأسلوبية في مستوياتها الثلاث: الإيقاعي، و الدلالي، و التركيبي. فمن حصاد هذه الورقة ينكشف أمام القارئ ما للشاعر من براعة فائقة في نظم الشعر و ميزان تأثيره على المتلقي من خلال مكوناته فهو

١ - أستاذ مشارك في فرع اللغة العربية و آدابها، إيران، جامعة طهران.

٢ - طالب الدكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها، إيران، جامعة طهران. (البريد الإلكتروني للكاتب المسؤول: h. khakpoor@ut.ac.ir) الرقم: 09183767360

يستخدم الموسيقى الداخلية و الخارجية بأفانينها الرائعة التي تلعب دورها، ناهيك عن تجسيد الدلالة الشعرية و ضروب الصور البلاغية المتموجة التي تطفو على شعره. كل هذا لم يدفع بالشاعر أن يهمل الجانب النحوي لقصيدته متداركا ألا تغيب عن باله جمالية النص.

Abstract:

The reflection of a broad and significant impact on the Arabic literary masterpieces that had a chorus of other nations, is an ode to Lamyeh Alarab Shnfara. Lamyeh onthe same frequency so that it was written as Lamyeh Alajam, Lamyeh Alhnud, LamyAlmamalyk, Lamyeh Al-Turki and Lamyeh Alkrud. This poem is the concern of thisresearch. During their research, the authors have found that most Alkurd Lameyhknown four odes which the most important of them is Abdul-Hamid Erfan Sanandajilamyeh Alkurd that has written in praise of Amir Nezam Garousi. In this paper, weattempt to study this ode with analytical _descriptive method in terms of theme andstyle in three levels: musical, reasoning and compounding. Among many findingsduring this research, it can be said that the owner of the ode of Lamyeh Alkurd hasthe prominent ability of poetry in Arabic language so that with the use of beautifulmusic in both internal and external levels,and proper recruitment of vocabulary reasoning level denoting the array of literary terms such as simile,metaphor,irony,metonymy,...and their impact oaudiences. All this has notprevented the poet by the way (mix) lyrics to trash it and serve it as text itselfis beautiful.

المقدّمة

لما اعتنق الأكراد دين الإسلام جعلوا خدمة الثقافة الإسلاميّة و حضارتها نصب أعينهم، ومن مظاهرها جهودهم التي بذلوها للغة العربية و آدابها. فأسهّموا بدورهم في تطور اللغة العربية و إغنائها و قد أحرزوا قصب السبق في بعض المجالات من الآخرين. لذلك تظهر على مرّ العصور أسماء ذائعة الصيت و رفيعة المنزلة ازدهرت في سماء العلم و الأدب، منهم ابن الحاجب النحوي الشهير، وابن خلكان، وابن الأثير، و ملاّ أبوبكر المصنّف، و الشيخ المعروف النودهي و العلامة البيهوشيّ و غيرهم ممن يصعب علينا عدّهم فضلا عن الشعراء و الأدباء الذين طغت العربية عندهم على الكردية غير أنّهم يشيرون إلى نسبهم الكردي ، فمنهم أمير الشعراء أحمد الشوقي حيث يقول:

سمعتُ بأذني من أبي و هو قاتل من الكرد أصلي جئتُ في العُرب ناشئاً

(خورشا، 1388ش: 77)

وهذا هو عباس محمود العقاد في معرض ردّه على مراسل صحيفة "روز اليوسف" حيث سأله عن مسقط رأسه؟ فيجيب قائلاً: لسْتُ مصرياً، انا الكردي و أبي من منطقة ديار بكر لكردستان تركية حالياً

فهاجرنا إلى القاهرة و أصبحنا كاتباً عربياً (نيشاني، 7: 1361). دون أدنى شك أنجبت الأمة الكردية المئات من الكبار و المشاهير في ميادين السياسية و الفكر و العلم و الأدب، منهم قاسم أمين قائد الحركة النسوية، و محمد تيمور رائد القصة القصيرة، و جميل صدقي الزهاوي، و معروف الرصافي و آخرون... (الصويريكي، 2005م: 3) هنا تجدر الإشارة الى أنّ المتعلمين من الأكراد قد نشأوا على العربية بفضل المراكز الدينية و المساجد و الحجرات (الحجرة) فقد درسوا و تعلموا في الحلقات العلمية التقليدية المتبعة فيها الأدب العربي و روائعه كالمعلقات السبعة، و أطواق الذهب، و نوح البلاغة، و المقامات و قصائد لامية العرب و لامية العجم و البردة للبوصيري، فضلاً عن مادة الصرف و النحو و البلاغة. و قد برز و ازدهر في هذه المعاهد التي أقيمت بجانب المساجد، شخصيات عديدة أمثال "الأستاذ بديع الزمان كردستاني" و "الأستاذ أحمد ترجاني زاده" شارح المعلقة باللغة الفارسية و الأستاذ بجامعة تبريز و "آية الله مردوخ الكردستاني" و كثير من كانت لهم قريحة شعرية في نظم الأشعار بالعربية. و الحديث عن الآثار و المكتوبات و الأشعار التي تركها الأكراد يحتاج الى مصنفات عديدة و من كل هذا الغيض وقع اختيارنا على قصيدة لامية الكرد لعبد الحميد العرفان. و تهدف الدراسة هذه إلى الكشف عن هذه المخبوءة و تعريفها الى هواة الأدب العربي ضمن الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. كم هو عدد اللاميات الكردية و من هم ناظموها؟
٢. ما مضمون قصيدة لامية الكرد لعبد الحميد العرفان؟
٣. ما أهم السمات الأسلوبية في المستوى الإيقاعي و الدلالي و التركيبي "لامية الكرد".

خلفية البحث

فيما يتعلق بهذا البحث حسب معرفتنا لم تُكتب عنها حتى الآن دراسة كاملة علمية مستقلة و هذا لا تغيب عنا دراسات جاءت حول من أنشد بالعربية من الأكراد:

١. خاكپور، حسام الدين، في رسالة للماجستير (جامعة طهران، 1392ش) بعنوان «عربي سرايان معاصر كرد» و فيها قُمتُ بجمع أشعارهم و شرحها و ترجمتها.
٢. رسول نژاد، عبدالله في رسالته (1381ش، جامعة طهران) تحت عنوان «بررسی احوال و آثار دو اديب بزرگ بيتوشي و نودهي» قام بدراسة آثارها و أشعارها العربية.
٣. قرني، أهني في رسالته المقدّمة (للجامعة الحرة في تبريز، 1388ش) بعنوان «عربي سرايان كرد در سه قرن اخير» بحث عن الأشعار العربية للبيتوشي و النودهي و مولانا خالد الشهرزوري و بديع الزمان السنندجي. لذلك لم يوجد البحث العلمي في قصيدة "لامية الكرد" و هذا هو الذي نحن بصددته في مقالتنا هذه.

شعراء العربية من الأكراد

كما أشرنا آنفاً قد ظهر في كردستان شعراء و أدباء كثيرون خلّفوا أعمالاً أدبية باللغة العربية فضلاً عن الآثار و الأشعار التي دوّنها بالكردية في ظلال بيتهم العلمية، من هؤلاء صاحب لامية الكرد.

عبد الحميد عرفان_ و شيخ سليم التختي المعروف بامرئ القيس كردستان و بديع الزمان السندي. عندما نمن النظر في معطياتهم العربية نرى هذه المميزات في آثارهم:

- إنهم ألفوا آثاراً كثيرة في علوم الصرف و النحو و البلاغة نظماً و نثراً، على نحو ما نرى عن العلامة البيتوشي حيث له منظومات علمية رائعة في علم الصرف و النحو فمنها "كفاية المعاني في حروف المعاني" في 674 بيتاً و زيتها بشواهد و أمثلة تغزلية جميلة و له "مثلثات الأسماء و الأفعال" في 78 بيتاً و له "الموائد المبسوطة في الفوائد الملقوطة" في 150 بيتاً حول موضوعات متباعدة في الصرف و النحو و غيرهم من الأدباء كشيخ المعروف النودهي و له منظومات و مؤلفات منها "ترصيف المياني في نظم تصريف الزنجاني" في 470 بيتاً و "الإغراب في نظم قواعد الإعراب" في 800 بيتاً و "كفاية الطالب في نظم كافية ابن الحاجب" في 1770 بيتاً و "غيث الربيع في علم البديع" نظمها في علم البديع (رسول نژاد، سرباز، عبدالله، حسن، 1388ش: صص 24 و 25).

- فقد نظم معظم هؤلاء الشعراء أشعارهم و قصائدهم على منوال روائع الادب العربي كلامية العرب و بانت سعاد و بردة البوصيري ... هذا هو ملا عبدالصمد الجوانرودي نسج قصيدة على وزن "بانت سعاد" لكعب بن زهير في البحر البسيط « مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن » و فيها يشتكى عن ألم فراق المحبوب و هي بعض أبياتها:

و القلب مُلْتَهَب و الرُّوح طَّيار
و العقل في خبل و الجسم منهار
بِحَمْلِهَا لا و لا فلك و أقمار
هوى حديثه عهد هجرها النار
لا غرور إن حديثه العهد غدار

بانت حُميراء و دمعي اليوم مداراً
بانت و نار الهوى في القلب تشتعل
على من مخن لم يستطع أحد
أدمى حشاي و أضناني و أدنفى
و كلما عاهدت بالوصل قد غدرت

.....
متى حديث جوى الهجران ديار

.....
أضحت حُميراء بأرض لا يُبلغها

(روحاني، 1366: ج 2، 85)

كما يقول كعب:

أمست سعاد بأرض لا يُبلغها إلا العتاق النجيات المراسيلُ

(خاكيور، 1392: 147)

و هذا هو جمال الدين محمد مردوخ المعروف بـ "آية الله مردوخ" فقد حذى في مديحته الشهيرة حذو الامام البوصيري في برده، و جابت صيت تلك المديحة الآفاق الي درجة أن الأكراد كانوا يعيّنونها تغنية: ما أطرب الناس من شاب و من هرم ما للهوى نازه في قلبنا اضطرمت أفاع ربح الصبا من نحو كاظمة أم آية الوجود من عرش الهوى نزلت خير الخلايق من إنس و من ملك نور الهداية، مصباح الدراية مي

(مردوخ، د.ت: 33)

هناك قصائد متعدّدة في الادب الكردي العربي^٣ تُسجّ على منهج روائع الادب العربي فمنها لاميات الكرد و سنتطرق اليهاو إلى لامية الكرد لعبد الحميد عرفان على وجه الخصوص .
- و أغراضهم الشعرية هي الاغراض التقليدية نفسها كالمدح والثناء، والوصف، والتعزّل و... إلا في المواضع المعدودة التي لها الصبغة الرومانسيّة أو الإجماعية... (خاكيور، 1392ش: 184)
- ثمة ملمعات في أشعارهم التي شطر منها باللغة العربيّة و الآخر بالكردية أو الفارسية، منها ملمع لباقي الموصلّي الكردي و هو تخميس في نحاية الروع و الجمال على غزل للحافظ الشيرازي بهذا المطع:
حمامات اللوى ناحت فقمم بالتّوح ساجلها وعالج في كئوس الرّاح أرواحاً و عاجلها
وسلّسل دورها صرفاً و للجمامات جاملها ألا يا ايّها السّاقى أدركأساً و ناولها
و ما بيّن التّدامي من أهالي العشق داؤلها

(المصدر نفسه، 173)

لاميات الكرد

قبل أن نتطرق الى أشهر اللاميات الكرديّة و هي لامية عبدالحميد العرفان لابدّ من وقفة قصيرة على لاميات الكرد، فهناك مجموعة متميّزة من القصائد في الادب الكردي العربي تُعرف بلاميات الكرد التي سنقوم بجمعها و تعريفها في دراساتنا الآتية و هي من نفيس الشعر و فاحره. لنا الفضل في تقديمها و تحليلها علمياً و المقصود منها قصائد مُختَم بروي اللام و ناظمها شخص كرديّ نظمها على غرار لامية العرب أو لامية العجم غالباً فنشير إليها بصورة موجزة فيما يلي و سنمهد الطريق للباحثين و الهواة للخوض في هذا المجال.

لامية الكرد لبديع الزمان السنديجي

بديع الزمان مهّي السنديجي من أذاذ العلماء و الأدباء وُلد في سنة 1324هـ.ق بمدينة سنديج، ترعرع و انشغل في تعلّم اللغة العربيّة في المدارس و الحوزات الدينيّة و تتلمذ عند أساتذة عظماء و نال إجازة التدريس و الإفتاء من جانب أستاذ حبيب الله مدرّس الكاشتري، ثمّ وُظّف في وزارة التعليم و بعد سنواتٍ أُنتقل إلى طهران فأصبح أستاذ الأدب العربي بدعوة أستاذ "فروزانفر" زعيم كلية الآداب بجامعة طهران. سُمّي بديع الزمان لكناه و نبوغه المفرط. خلّف آثاراً قيّمة في اللغة العربيّة و آدابها فين أهمّها
١- نور النبراس بجمع أسماء الهرماس ٢- كتاب قيد الأوابد ٣- مجموعة قصيرة من القصائد بالعربيّة ٤- بدايع الفوايده- مخزن الأدب في أشعار العجم والعرب و... (مدرّس ، 1369: صص 515 و 516) منها قصيدة رائعة بعنوان لامية الكرد إلا أن هذه القصيدة و مع شديد الأسف لاتزال مخطوطة و لم تطبع

٣- المقصود من الأدب الكردي العربي، الأدب المنسوب إلى الأكراد باللغة العربية نظماً ونثراً.

بعده، و لم نعرف أن أحدا تمكن من الحصول عليها ولكننا نأمل أن نحصل عليها في القريب العاجل إن شاء الله... فمطلعها كما تأتي:

سقى الحيا أربعا في كورة الجبل
ومربعا لأثحا كالوشم والخليل

(مرادى، 1382:23)

لامية الكرد لزين العابدين البرزنجي

من خلال دراساتنا وجدنا كتابا كان قد جمعه الكاتب الفاضل _محمد على القرداغي_ بعض الآثار المخطوطة التي خلفها الأكراد و الكاتب قام بطبعها و شرحها. يقول في قسم من كتابه « واجهتُ قصيدة لامية الكرد بين المخطوطات كُتبت تحته من "زين العابدين أفندي الكوراني" و لنا في الادب الكردي شخصان باسم زين العابدين، أحدهما زين العابدين جعفر البرزنجي و هو المعروف بابن الفارض لعصره و الثاني زين العابدين المشهور ب"كوراني زاده" الذي كان مفتيا بعداد سنة 1065هـ»(قرداغي، 2002م، 206) و أغلب الظن أنّ هذه القصيدة لزين العابدين البرزنجي، حيث نظمها على وزن لامية

العمم في البحر البسيط "مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن" و هذا هو بعض من أبياتها الاولى:
بِرَاعَةِ الْفَضْلِ سَاقِئِنِّي عَلَى الْمُقْبَلِ
أَضْحَى الْعُلَى بِكَمَا لِيُنَاصِبَ الْعِلْمُ
ظَلَّ الْهُدَى بِكَلَامِي رَابِحَ الْعَمَلِ
نَاهِيكَ مِنْ أَلَمٍ فِي مَسْرَحِ الْأَمَلِ
و هِمَّةُ التَّضَلُّ شَاقِئَتْنِي إِلَى التَّقْبَلِ
و التَّيْلُ مُنْبَعَثٌ عَنِ قِسْمَةِ الْأَزَلِ

(المصدر نفسه، صص 168 إلى 170)

لامية الكرد للشيخ سليم السندي

وُلد الشيخ سليم السندي سنة 1274 (هـ.ق) في سنديج و ترعرع في بيت عفاف و صلاح و علم، فحتم القرآن و شرع بقراءة الكتب الأدبية و العلمية. و كان له قريحة شعرية فريدة عالية بالغة الرُوع في نظم الأشعار العربية لذلك سُمي عند العلماء و الأدباء بامري القيس الأكراد(مدرس، 1369: 165). و من جملة أشعاره العربية التي تتميز بجمالها و طلاوتها هي التي نظمها الشاعر في مدح مرشده و مراده "الشيخ نجم الدين بن شيخ ضياء الدين" و ابتداء على غرار القدماء بأبيات تغزية ثم تخلّص في صلب موضوعه إلى مدح الشيخ نجم الدين و بيان خصاله الأخلاقية و يتضمّن بذكر الألقاب الفاخرة لأب الممدوح و جدّه المكرّم. من غير شك أن من يعن في أبيات هذه اللامية يرى أنّها معارضة جميلة رائعة لمعلّقة "قفا نبك" لامري القيس في نفس الوزن والقافية على البحر الطويل "فعلون مفاعيلن فعولن مفاعيلن" كما اقتبس من أبيات قصيدة "قفا نبك" بعض الأبيات، هذا هو الشيخ سليم السندي و هو يتغزّل بممدوحه:

إذا قام قامت من قيام قيامتي
و يبعثني من ذاك ربّا قرنفل

و جاء في معلّقة إمري القيس:
إذا قامتا تصوّع المسك منهما
نيسم الصّبا جاءت برّبّا قرنفل

(حاكبور، 1392، 44)

و هذه هي الأبيات الأولى من القصيدة:
فَتِنْتُ بِفَتَانِي فَتَى ذِي تَدَلِّ
سَبَى الْقَلْبَ مِنِّي بَعْدَ مَا سَبَى الْحَجِي
و أوثقني بعد إنطلاقي سائراً
و مهما مشى هوناً مشى بمشاعري
تولّى إذا ولي سروري و أقبلت
إذا اهتز بان القدّ منه يهزني
إذا قام قامت من قيام قيامتي
إذا صدّ عني سدّ عني مداهبي

أَعَنَّ غَضِيضَ الطَّرْفِ أَعَيْنَ أَكْحَلِ
بَطَّرْفِ خَفِيٍّ أَوْ بِجِيدٍ مُعْطَلِ
على أحرف الدنيا بقيد مُسَلْسَلِ
و إن آب أوباً آب نحوي تَعْقَلِي
إِلَيَّ مَسْرَاتِي إِذَا كَانَ مُقْبَلِي
تَمَائِلُهُ مِثْلُ الْقَبَا الْمُتَزَلِّزِ
و يبعثني من ذاك ريباً قَرْنُقَلِ
و إن يَلْتَفَتَ لِي أَنُحْ مِنْ كُلِّ مُعْضَلِ

(مدرس، ، 1385:صص 544 الى 545)

عبد الحميد العرفان السندي و قصيدة لامية الكرد

العالم الفريد "حاج شيخ عبد الحميد" المتخلص ب"عرفان" ابن شيخ عبدالكريم ابن شيخ أحمد من الطائفة المعروفة ب"كانيمشكاني"، وُلد في رمضان المبارك بسنة (1273هـ.ق) في سنندج. فبدأ دراساته الابتدائية عند أبيه و أخيه الشيخ معتمد الإسلام ثم واصل دراساته إلى مدينة "بينجوين" في خدمة ملا عبدالرحمن البينجويني. فنال إجازة التدريس و الإفتاء ببغداد عند العلامة حسين الصبري في مدرسة أعظمية لبغداد. ثم ذهب إلى حجاز فرجع الى سنندج و اشتغل بتدريس و تعليم الطلاب إلى نهاية حياته في المسجد و المدرسة "رشيد قلعه بيگي". كان عبد الحميد فقيهاً متفرداً و أديباً لائقاً و شاعراً حسن القريحة في نظم العربية و نثره فنظم بالفارسية و العربية و الكردية. كان له براعة كاملة في أيام شبابه في الفروسية و الرماية و لذلك نستطيع أن نلقبه بربّ السيف و القلم في الأدب الكردي العربي كما لُقّب محمود سامي البارودي بهذا اللقب في الأدب العربي المعاصر. (روحاني، ج2:صص 131 و 132). له آثار و أشعار و تأليفات و حواشي كثيرة و لم يبق منها إلا قليلاً. تُوفي بسنة (1334هـ.ق) بقرية "رزاو" بمنطقة أورامان. من أشعاره العربية قصيدتان إحداهما قصيدة في مدح شيخ حسن البرزنجي الذي وقف بوجه هجمات و غارات الروس و ما يلي عدد من تلك الأبيات:

حَبِذَا فَيَلْقُ وَ حَبَّ اللِّوَاءِ
رَايَةً كَالْعُقَابِ يَخْفِقُ مِنْ هَيْرَ
فَيَلْقُ كَاللِّيُوثِ يَوْمَ نَزَالِ
رُجِبَتِ الْأَرْضُ مِنْ سَيُولِ خِيُولِ
حَزْبٌ حَقٌّ يَهَابُهُ الْأَعْدَاءُ
تَهَ التَّسْرُ فِي السَّمَاءِ وَ السَّمَاءُ
أَسْدُ غَابَ فَرِيْسُهَا الرُّؤْسَاءُ
ضَاقَ عَنْهَا الْفَلَا وَضَاقَ الْفَضَاءُ

(المصدر نفسه، ص132)

و أخيراً يمدح القائد شيخ محمود البرزنجي و القصيدة الأخرى المسماة بلامية الكرد.

مضمون قصيدة لامية الكرد

تمّ دفع الشاعر لنظم هذه القصيدة أنّه أُثِرت الإضطرابات و الفتن و الفوضى حوالي سنة 1313 و 1314هـ في كردستان و خاصة في سنديج و ساد القلق و الإضطراب في المنطقة فبعثت الحكومة آن ذاك شخصاً باسم "حسن علي خان امير نظام گروسي" الذي كان مدبراً فاضلاً حسن القصد محيطاً بأوضاع كردستان لإخماد نيران الفتن التي قد أشتعلت بمنطقة كردستان. فأحلّ الأمن و النظم في مدة عاجلة فنظم الشاعر هذه القصيدة تكريماً لخدماته الى الأكراد حامداً مكانته العلمية و الأدبية. لما تُعن النظر في مضمون هذه القصيدة الرائعة نرى ضمن الموضوع الرئيسي و هو المدح لأمير نظام بعض الموضوعات الأخرى كما أنّ الشاعر إبتدأ القصيدة بالمقدمة شبه الطللية القصيرة بذكر بعض المصطلحات الطللية و فيها يشير إلى أنّ خلف الجذب و القحط سترت سحائب الخير و البركة السهل و الجبل و الأمكنة بأجمعها و يُشبهه أيام الفتن و الإضطرابات إلى الجذب و القحط كما يشبه دخول الحاكم بسحائب الخير التي استوعبت بقاع المنطقة كلها. ثم يشير إلى المصائب التي أحدثها المفسدون و المشاغبون و قد أوجدت هذه النوائب صعوبات و أخطار كالفرقة في الدين و ضياع الصبر و اشتعال النار في القلب و البكاء على الفتن...

و خَلَفَ جَدْبٌ تَرَوَى السَّهْلُ و الْجِبَلُ
مِنْ طَلَّهَا ابْتَلَّ دِمْنِ الْحَيِّ و الطَّلُّ
سَعَلَاةٌ يَبْدُ هَوَاهَا الْخَتْلُ و الْخَبْلُ
طَوَّالَهَا مِثْلُ إِبْهَامِ الْقَطَا مَثَلُ
و فِتْنَةٌ أَحَجَبَتْ نَاراً بِهَا تُكَلُّ
و الْقَلْبُ مُضْطَرِّمٌ و الدَّمْعُ مِنْهَمِلُ

أَهْلًا بِرَبِّعٍ سَقَّاهُ الْوَابِلُ الْهَطْلُ
سَحَائِبُ الْخَيْرِ أَعْشَتْ كُلَّ مُتَبَجِّعٍ
كَادَتْ تُدَاوِلُهُ أَيْدِي التَّوَابِ مِنْ
تُزَاوِلُ الْفِتْنَةَ الدَّهْوَاءَ مِنْ هَمِّ
مُلِمَّةٌ هُجِّجَتْ يَا بَيْسَمَا حَدَثَتْ
السَّيْنُ مِثْلَ لَيْلٍ و الصَّبْرُ مُنْصَرِّمٌ

ثم يذكر الشاعر أن الله تعالى باقتضاء سنّته و تدييره أحدث اليسر بعد العسر بدخول الحاكم في المنطقة و يُشبهه الممدوح بأية الرحمة التي استوعبت نعمه و سوابغها كلّ الناس و يُشبهه بالنبي موسى (ع) لما رجع إلى قومه و أحلّ السلم و الأمان بينهم و يستطرد في مدحه بأنّه استقرّ نظام العدالة و أنّه من العظماء و رئيس الروساء و أنّه معروف النسب أيضاً...

و آمَنَ النَّاسُ مِنْ خَوْفٍ إِذَا وُجِلُوا
ظَلَّتْ تُظَلُّ بِذَيْلِ الْعَفْوِ يَنْسَدِلُ
كَعَفْوِ مُوسَى عَلَى قَوْمِ لَهُمْ رَجُلُ
رَكِبَ الْكِرَامِ لِإِنَادِي عِزَّةٍ إِرْتَحَلُوا
صَدْرُ الصَّدُورِ إِلَيْهِ يَنْتَهِي الْأَمَلُ
فِي جَنْبِ رَفْعَتِهِ يُسْتَخَفُّ زُحُلُ

فَأَحْدَثَ اللَّهُ يُسْرًا بَعْدَ مَا عُسِرِ
و آيَةُ الرَّحْمَةِ إِمْتَدَّتْ سَوَابِغُهَا
عَادَ الْأَمِيرُ بِبِاسٍ لَا مَرَدَّ لَهُ
هُوَ الْأَمِيرُ نِظَامُ الْعَدْلِ لِلْمَلِكِ
وَجْهَ الْوُجُوهِ و سَيْفُ الْمُلُوكِ و ابْنِ جَلَا
نُورُ الْإِمَارَةِ مِنْ سِيْمَاهُ يَلْتَبِعُ

و يستطرد في ما أنجز الممدوح لإحلال الأمان في تعذيب الأشرار فأصبحوا صماً بكماً عمياً، كما هو قُرب و خصّص الأبرار بالعزّة و الإحسان و أصفى القلوب من الحزن و... في الأبيات التالية:

أثَارَهَا الْعَمْرُ وَالْجُهَالُ وَالسَّفَلُ
سَجْمَاءَ جَوْدِهِ نَهَالاً بَعْدَهُ عَلَلُ
عَادَ الْخَرِيفُ رِيْعاً جَوْهُ خَضِيلُ
تَسَامَرَتْ بِمَزَايَاهِ الْعُلَى الدُّوَلُ
صَمّاً وَبُكْمًا وَ عُمِيّاً مَا لَهُمْ شُغْلُ
عَزّاً وَقَرِيّاً وَبَرّاً مَا لَهُ خَطْلُ
تَصَيَّقَلْتُ بَعْدَ مَا لَمْ تَبْدُ تُنْصَقِلُ
أَيْدِي النَّسَامِ وَ نَارُ الْبُؤْسِ تَشْتَعِلُ
فَحِشَاءُ كَذَا عَمَرَ الْأَدْيَانَ وَالْمَلَلُ
آيَاتُ بَغْيٍ وَ عُدْوَانٍ إِذَا اقْتَسَلُوا

فَسَكَنَ الْفِتْنَةَ اللَّأَوَاءَ ذَاتَ لِطْيِ
وَاحْضَرَتْ السَّنَةَ الشَّهْبَاءُ مِنْ دِيمِ
كَانَ الرِّبْعُ خَرِيفاً إِذْ قَضَى الْمَلِكُ
أَوْى مَعَايِشَ كَرْدِسْتَانَ فِي دَعَاةِ
أَذَى الشَّرَارِ فَاتُوا فِي مَكَانِهِمْ
دَانَ الْخِيَارِ كَمَا دَانُوا وَ خَصَّصَهُمْ
كَمْ مِنْ صُدُورِ كُمُودٍ فِي غِشَا صَدَا
كَمْ أَصْلَحَ التَّلَمُّ اللَّاتِي تَوَاطَبُهَا
كَمْ خُرَّتْ مِنْهُ عِمْرَانُ الْفَوَاحِشِ وَالِ
وَ كَمْ لَهُ آيَةٌ مِنْ سَطْوَةٍ نَسَخَتْ

ثم يذكر الشاعر المحامد الأخرى لمدوحه و يصفه بأن لا يستطيع أئ لسنٍ مدح علوه و أنّ جوده ضعف ما يطلب السائل و أنّه ملجأ الكرام و سبب استتصال الطاغيات و يستطرد في وصفه بأن ارسطو كان مغترباً من عين علمه و يكفي له أن يجبه الأبرار و العلماء و يبغضه الجهال و الأشرار و يذكر الخصال الممدوحة الأخرى التي يصفها الشاعر و يختتم القصيدة بالدعاء لشأن المدوح في قوله:

و بَذَلَهُ ضِعْفُ مَا يَهْوَاهُ مُبْتَدِلُ
إِنَّ الْأَصِيلَ لَهُ التَّعْمَاءُ وَالْجَدُلُ
مِنْ حَاءِ جَلِمِهِ حَرْفُ الْقَافِ مُنْعَزِلُ
أَجْرًا كَبُغْضِهِمُ الْأَجْلَافُ وَالسَّفَلُ
وَ بَأْسُهُ لِلْعُدَى يَوْمَ الْوَعْيِ الْأَجَلُ
آيَاتُ بَرْمَكٍ مِنْ آيَاتِهِ خَطْلُ
لَيْتَ هَضُورٌ هَزْرُتٌ بِاسَلٍ بَطْلُ
فِنَاءُ بَابِكِ رَكْبُ الْكُمَلِ نَزْلُوا
يَسَدُ الْأَنَامِ فَمَا زَالُوا إِذْ اِسْتَعَلُوا
إِلَيْكَ تُرْفَعُ حَاجَاتُ لَهَا ثَقِيلُ
يُسَاعِدُ الْجَدُّ وَالْإِقْبَالُ وَالْجَدَلُ
تَبّاً لِشَانِيكَ وَ الرَّمْسُ لَهُ نُزْلُ
مَا شَبَبَ الصَّبُّ بِالْغَزَلَانِ وَالْغَزَلُ

عَلِيَّاهُ فَوْقَ مَا يَرْقِي لَهُ لَسِينُ
يُؤْوِي الْكِرَامَ وَ يَلْوِي كَلَّ طَاغِيَةَ
مِنْ عَيْنِ عِلْمِهِ رَسْطَالِيْسُ مُغْتَرِفُ
بِحَسْبِهِ حَبُّهُ الْأَخْيَارُ وَالْعُلَمَاءُ
نَوَالُهُ لِلْوَرَى يَوْمَ النَّدَى السُّحْبُ
وَ النَّاسُ فِي رَاحَةٍ مِنْ بَسْطِ رَاحِيهِ
يَوْمَ الْكَرْيَهَةِ لِلْبَاغِيْنَ حِينَ لُقُوا
يَا كَعْبَةَ الْحَاجِ وَالْأَمَالِ وَ الْأَرْبِ
أَوْجِبْتَ شُكْرًا عَلَى نِعْمَاكَ إِذْ تَرَبَّتْ
دُمُ يَا عَزِيْزُ بِمَصْرِ الْعِزِّ وَ اسْتَقِمَّ
وَإِبْشُرْ بِخَيْرٍ وَ إِسْعَافٍ وَ نَيْلٍ مُنِيَّ
بُعْدًا لِعَادِيكَ وَ الْمَثْوَى لَهُ جَدَّتْ
لَا زِلْتُ نَاعِمٌ عَيْشٍ فِي ذُرَى رَتَبِ

هناك تساؤلات و إبهامات حول مضمون القصيدة، منها هل كان الشاعر صادقاً في مدحه؟ هل الأمير جدير لهذا المدح بما فيه من ذكر المحاسن و الخصال الحميدة بشأنه، يعني هل الباحث في حياة المدوح يرى هذه الخصائص و المحاسن في شخصية المدوح؟ و البعض من التساؤلات الأخرى تحتاج إلى دراسة ليست لما نحن فيه و سُرّجها إلى مقالة أخرى.

التحليل الأسلوبي للقصيدة

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الأسلوبية فذهبوا مذاهب عدّة، منهم يعرف الأسلوبية بقوله: «فأسلوبية اليوم هي دراسة للغة و هي أيضا دراسة للكائن المتحول باللغة و هي كذلك دراسة للعمل

الإبداعى». (بومصران، 2011م، 8) و منهم من يقول: «مدرسة لغوية تعالج النص الأدبى من خلال عناصره ومقوماته الفنيّة وأدواته الإبداعية، متخذة من اللغة و البلاغة جسراً تصف به النص الأدبى و قد تقوم أحيانا بتقييمه من خلال منهجها القائم على الإختيار و التوزيع مراعية في ذلك الجانب النفسى و الإجتماعى للمرسل و المتلقى». (ابوالعبدوس، 2010م، 51) و منهم من يقول أن الأسلوبية « نوع من الحوار الدائم بين القاري و الكاتب من خلال نصّ معين». (مطلوب، 2002م، 126)

إذن نشاهد أنّ الباحثين مختلفون فى فهمهم عن الأسلوب و لكنّهم أجمعوا على أنّه طريقة التعبير الخاصة للأديب و المنهج الأسلوبى يعنى دراسة الموضوع ضمن مستويات التحليل الأسلوبى و هي: المستوى الإيقاعى، و المستوى الدلالي أو البلاغىّ و المستوى التركيبى أو النحوي. هذا و بعد تلك الاضاءات نقوم بتحليل القصيدة في المستويات الثلاثة المذكورة.

المستوى الإيقاعى

يُعَدّ الإيقاع من المفاهيم التي استعصت على التعريف النهائي و لكن المقصود منه في هذا المجال، الموسيقى الخارجية و الموسيقى الداخلية.

الموسيقى الخارجية:

و يُقصد بها الموسيقى المتأتية من نظام الوزن العروضى و التي يخضع إطرادها لتنوّع منتظم في آخر كل بيت و يحكمه العروض وحده متمثلاً في مستويين إيقاعيين هما: الأوزان و القوافي. (الطرابلسي، 1981م: 15)

أنشدت هذه القصيدة في البحر البسيط على وزن لامية العجم و التفاعيل كاملة و الأبيات تامّة و الوزن متناسب للمضمون المدحى:

أهلاً بِرَبِّعٍ سَقَاهُ الْوَابِلُ الْهَطْلُ وَخَلَفَ جَذْبٌ تَرَوَى السَّهْلُ وَالْجَبْلُ

-UU -U-- -U- -U-- -UU -U-- -U- -U--

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

و لكن فيها بعض الزخافات جاءت في الحشو و العروض و الضرب ليخرجها من الرتابة و التكرار الممل، على غرار ما نلاحظ في البيت التالى:

سَحَابٌ الْخَيْرِ أَغْشَتْ كُلَّ مَنْتَجِعٍ مِنْ طَلْهَا ابْتَلَّ دَمْنُ الْحَيِّ وَ الطَّلْلُ

الحشو=مستفعلن ← زحاف الحين و مفاعلن، العروض ← زحاف الحين فاعلن

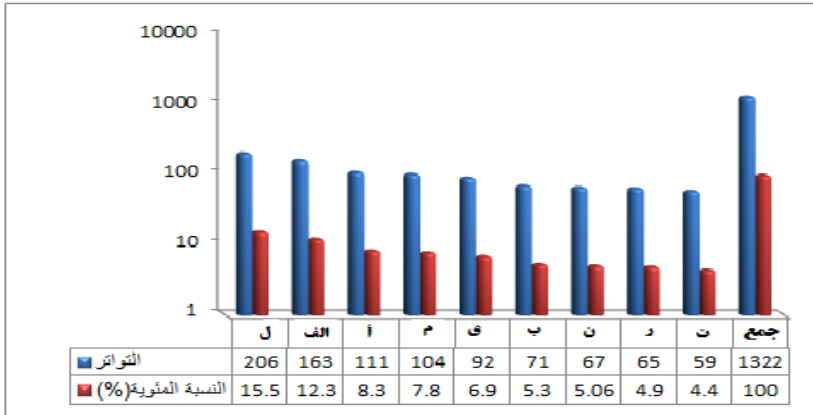
و أما بالنسبة إلى قافية اللّام فهي من القوافي الشائعة الإستعمال و حرف اللام من الحروف المجهورة و من الحروف المسماة في فن القافية ب"الدّلول" أي التي يكثُر ركوب الشعراء لقافيتها نظراً لكثرة ألفاظ المعجم التي تصلح القوافي لها و هي عكس القوافي "الحرون" كالضاد و الظاء و الغين و الخاء و هي

قوافٍ يتحاشى ركبها الشعراء فلذلك حرف اللّام من القوافى المناسبة لنظم القصائد الطويلة فيها. (الريداوى، د.ت: 90).

و الملفت للنظر في هذه القصيدة هو تكرار حرف اللام في كافة اجزاء القصيدة و حضورها المكرور، وهي كما قد وقعت في حرف الروي لها أكثر تواترا في القصيدة كلّها بالنسبة إلى الحروف الأخرى كما نرى في هذا الجدول تواتر الحروف التي لها التكرار الكثير:

الجدول ١: تواتر الحروف التي لها التكرار أكثر من خمسين

الرقم	الحروف	التواتر	النسبة المئوية (%)
١	ل	٢٠٦	١٥,٥
٢	الف	١٦٣	١٢,٣
٣	أ	١١١	٨,٣
٤	م	١٠٤	٧,٨
٥	ى	٩٢	٦,٩
٦	ب	٧١	٥,٣
٧	ن	٦٧	٥,٠٦
٨	ر	٦٥	٤,٩
٩	ت	٥٩	٤,٤
١٠	مجموع حروف	١٣٢٢	١٠٠



عيوب القافية:

لم نشاهد من عيوب القافية شيئاً في القصيدة و هذا يدلّ على أنّ الشاعر محيط بدقائق العروض و القافية و زواياها الغامضة. الموسيقى الداخلية

تحكمه قيم صوتية و المادة الصوتية الموظفة في النصوص الشعرية توظيفا متنوعا تحدث من خلال تكرار الحروف و المفردات و الطباق و الجناس و توازن الجمل و توازيها و تلك الحروف و المفردات تنتج من حسن اختيار المنشئ لألفاظه و جودة ترتيبه لها داخل العبارات بما يتلائم مع المعاني لرفع قيمتها التعبيرية و التأثيرية في آن واحد. (الحسيني، 2004م: 29)

التكرار:

من خلال قراءة القصيدة نلاحظ التالي:

اعتمد الشاعر على تكرار المصوتات في عدة أبيات من القصيدة فهذا التكرار أضفى على القصيدة روعة و جمالا كما نشاهد في المطلع تكرار مصوت الفتحة (ـ) و مصوت الكسرة (ـ) مما البس علي القصيدة لباس الفرح و الانفراج و الارتياح:

أهلاً برُبِّ سَقاه الوَإِيلُ الهَطْلُ وَخَلْفَ جَدْبٍ تَرَوَى السَّهْلُ والجَلُّ

- كما وظّف الشاعر تكرار الحروف في غير واحد من أبيات قصيدته:

على شاكلة ما نرى عن تكرار حرف «الصاد» في البيت ١٩ منح القصيدة جمالا بالغا و نُحِسُّ منه أنّ الشاعر كان يعاني من الحزن و القلق الذين يثقلان عليه و لكن بعد مجيء الحاكم انجلي الهم و القلق عن قلبه و أحسن بالراحة و التيام آلامه:

كَمِ مِنْ صُدُورٍ كُمُودٍ فِي غِشَا صَدَاٍ تَصَيَّقَلْتُ بَعْدَ مَا لَمْ تَبْدُ تَنْصَعِلُ

أشرنا إلى تكرار حرف اللام في مواضع عديدة من القصيدة كما جاء في بيت المطلع و البيت ٢٠ بصورة واضحة:

كَمِ أَصْلِحِ التُّلْمِ اللَّاتِي تُوَاظِبُهَا أَيْدِي اللَّيَامِ وَ نَارِ البُؤْسِ تَشْتَعِلُ

وتكرار حروف الحلق في البيت ٢٥ أعطى القصيدة روعة و نوعا من الثقل، كما يخطر ببالنا لعب الشاعر بالحروف لاستخدام التورية و هذا نوع من التكلف و التصنع:

مِنْ عَيْنِ عِلْمِهِ رَسْطَالِيْسٍ مُعْتَرِفٍ مِنْ حَاءِ جِلْمِهِ حَرْفُ القِافِ مُنْعَرِلٍ

و من الطريف تكرار حرف الكاف و الباء في هذا البيت:

يَا كَعْبَةَ الحَاجِ وَ الآمَالِ وَ الأَرْبِ فِنَاءَ بَابِكِ رَكْبُ الكَمَلِ نَرَلُوا

-تكرار الكلمة و التركيبات:

نرى تكرار الكلمات في بعض المواضع من القصيدة كما جاء في هذا البيت:

دَانَ النِّخَارِ كَمَا دَانُوا وَ حَصَّصَهُمْ عَزّاً وَ قُرْباً وَ بَرّاً مَا لَه خَطْلُ

و الإتيان ببعض التركيبات الإضافية المتتابعة منحت القصيدة إيقاعاً جميلاً في البيت ١١:

وَجْهَ الوجوهِ وَ سَيْفِ المُلُوكِ وَابِنِ جَلَا صَدْرُ الصَّدُورِ إِلَيْهِ يَنْتَهِي الأَمَلُ

-الجناس

هناك بعض أنواع الجناس في قصيدتنا هذه كما يلاحظ في الأبيات التالية جناس الإشتقاق بين

كلمتي (ظَلَّتْ وَ تَظَلَّتْ)، و(عُمِرَ وَ عَمِرَانِ) و(الغزلانِ وَ الغزلِ):

و آية الرَّحمةِ إِمْتَدَّتْ سِوَابُعُهَا
كَمْ خُرِّبَتْ مِنْهُ عِمْرَانُ الْفِوَاحِشِ وَالِ
لَا زِلْتُ نَاعِمٌ عَيْشٍ فِي ذُرَى رُتَبِ
ظَلَّتْ تُظَلُّ بِذَبِيلِ الْعَفْوِ يَسْدِلُ
فَحِشَاءُ كَذَا عُمَرَ الْأَدِيَانُ وَالْمَلِئُ
مَا شَبَبَ الصَّبُّ بِالْغَزَلَانِ وَالْغَزَلُ

و الجنس التام في البيت ٢٨ بين كلمتي (راحة - راحته) و الراحة الأولى هي الرغد و الرفاهية و الثانية هي كف اليد:

و النَّاسُ فِي رَاحَةٍ مِنْ بَسْطِ رَاحَتِهِ
آيَاتُ بَرْمَكٍ مِنْ آيَاتِهِ خَطَلُ

و يُشَاهِدُ الْجِنَاسَ الْلاحِقَ فِي كَلِمَتِي (يُؤْوِي - يُلْوِي) و (يسر - عسر):
يُؤْوِي الْكِرَامَ و يُلْوِي كَلَّ طَاطِيَةً
فَأَحَدَتْ اللَّهُ يُسْرًا بَعْدَ مَا عُسِرَ
و آمَنَ النَّاسُ مِنْ خَوْفٍ إِذَا وُجِلُوا

-الطباق-

نلاحظ طباق الإيجاب في البيت ٧ و ٢٠ و ٢٤ و ٢٨:

فَأَحَدَتْ اللَّهُ يُسْرًا بَعْدَ مَا عُسِرَ
كَمْ خُرِّبَتْ مِنْهُ عِمْرَانُ الْفِوَاحِشِ وَالِ
بِحَسْبِهِ حَبُّهُ الْأَخْيَارِ وَالْعُلَمَاءِ
يُؤْوِي الْكِرَامَ و يُلْوِي كَلَّ طَاطِيَةً
و آمَنَ النَّاسُ مِنْ خَوْفٍ إِذَا وُجِلُوا
فَحِشَاءُ كَذَا عُمَرَ الْأَدِيَانُ وَالْمَلِئُ
أَجْرًا كَبُغْضِهِمُ الْأَجْلَافُ و السَّقَلُ
إِنَّ الْأَصِيلَ لَهُ التَّعْمَاءُ و الْجَدَلُ

و هناك محسنات لفظية أخرى في القصيدة يمكننا أن نندرجها ضمن المستوى الإيقاعي و هي كالعكس والموازنة والسجع و التسميط كما نرى في قوله على الترتيب:

كَانَ الرَّيْبُ خَرِيفًا إِذْ قَضَى الْمُلْكُ
وَجْهَ الْوَجْهِ و سَيْفَ الْمُلِكِ و ابْنَ جَلَا
كَادَتْ تُدَاوِلُهُ أَيْدِي التَّوَابِ مِنْ
السِّدِّينِ مُنْتَلِيمٌ و الصَّبْرُ مُنْصَرِمٌ
عَادَ الْخَرِيفُ رَيْبَعًا جَوْهُ خَصِلُ
صَدْرُ الصَّدُورِ إِلَيْهِ يَنْتَهَى الْأَمَلُ
سَعْلَاةٌ بِيَدِ هَوَاهَا الْخَيْتِلُ و الْخَبْلُ
و الْقَلْبُ مُضْطَرِمٌ و الدَّمْعُ مِنْهَمِلُ

و في النهاية نذكر الإيقاع الحاصل من الترصيع الجميل في البيت الذي نرى الألفاظ كلها في الشطر

الناظر لها التوازن مع ألفاظ الشطر الأول حيث يتساوى المصراعان مبني و معنى.
بُعْدًا لِعَادِيكَ و الْمَوْسَى لَهُ جَدَّتْ
تَبًّا لِشَانِيكَ و الرَّمْسُ لَهُ نُزُلُ

المستوى الدلالي (البلاغي):

هناك علاقات وطيدة بين البلاغة و الأسلوب حيث تتقلص الأسلوبية أحيانا حتى لا تعدو أن تكون جزءاً من نموذج التواصل البلاغي و تنفصل أحيانا عن هذا النموذج و تتسع حتى لتكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها "بلاغة مختزلة" و يصدق مثل هذا القول على العلاقة بين البلاغة و الأسلوبية الشعرية من جهة أخرى. (بليت، 1999م: 19) فالصورة هي أساس البناء الشعري و الأدبي و عماده الذي يقوم عليه و الخيال هو المنبع الذي يستمد منه الشاعر صورته بكل أبعاده و هو الذي يهب الشاعر على الإنزياح من التصوير المؤلف إلى تصوير في. (محمود، 1984م: 105) من هذا المنطلق نسعى في

هذا القسم إلى البحث عن الدلالة الكامنة وراء النص بوصفه العنصر الرئيس من عناصر العملية الإتصالية والأهم لنا دراسة المحسنات البيانية و المحسنات المعنوية لدورها في بيان مقصود الشاعر مشيرين إلى بعض المواصفات الأخرى.

و قبل أن نسري في ثنايا تلك الصور البيانية في القصيدة نذكرها على وجه الاجمال و الاقتضاب في الجدول التالي:

الجدول 2، تواتر الصور البيانية في القصيدة

النسبة المئوية	عدد التواتر	الصور البلاغية
. / ١٦	٤	التشبيه
. / ٥٦	١٤	الإستعارة
. / ٨	٢	الكناية
. / ٢٠	٥	المجاز
. / ١٠٠	٢٥	المجموع

- التشبيه

أستخدم التشبيه أربع مرّات أثناء القصيدة كما نشاهد في البيت الأول حيث يشبه الشاعر همه الأشرار بإهتام القطا في القصر و هو من نوع التشبيه المفرد، والمرسل و المجمل و إهتام القطا مثل في القصر في اللغة العربية و يشبهون الأشياء القصيرة به كما شبه رجوع الأمير بشدة و شجاعة لنجاة الناس برجوع النبي موسى ﷺ إلى قومه في التشبيه المركب، والمرسل و المجمل في البيت التاسع. هناك في البيت ٢٧ تشبيه جود الممدوح بالسحب المطيرة و غضبه بالأجل العاجل للعدى في صورة التشبيه القريب المبتذل.

- الإستعارة

الإستعارة أبلغ من التشبيه و أشدّ وقعاً في نفس المخاطب لذلك استفاد الشاعر من الإستعارة أكثر من الصور البيانية الأخرى. استخدم الإستعارة المكنية أكثر من الإستعارة المصروفة (المكنية ١٠ مرّة و المصروفة ٤ مرات) و أما المصروفة توجد في البيت الأول حيث حُذِفَ المشبه و هو الممدوح و ما يتعلّق به و ذُكِرَ المشبه به و هو الواابل الهطل كما حُذِفَ المشبه و هو أوضاع منطقة كردستان قبل مجيء الأمير و ذُكِرَ المشبه به و هو الجذب و في البيت ٣٠ شبه الشاعر الممدوح إلى الكعبة و المشبه محذوف و في البيت ٣٢ المشبه محذوف و هو الأمير الممدوح و المشبه به مذكور و هو "عزيز" (ملوك مصر القديمة) أما بالنسبة إلى الإستعارة المكنية فالشاعر وظّف الإستعارة المكنية في صورة التركيب الإضافي في التركيبات التالية، نكتفي بذكرها و عدّها على وجه الإجمال و هي: سحائب الخير، أيدي التّوائب، ذيل العفو، نور الإمارة، سحماء جوده، نار البؤس، عمران الفواحش، عين علمه، مصر العز. وإنّ الشاعر فقد

وظّف الاستعارات المستخدمة في الادب العربي طبقاً لنظرية تأثير الثقافات على استخدام نوع الاستعارات في الادب، بحيث لانرى صبغة من الثقافة الكردية في استعاراته كما في شعراء الكرد الآخرين.

-الكناية-

ما استخدم الكناية في القصيدة الا مرتين، المرة الأولى هي في البيت ١٧ و هي قوله: صما بكما عميا مما يكنى به عن السكوت و عدم الفهم و المرة الثانية هي في بيت ٣١ و هي قوله: تربت يد الانام مما يكنى به عن الفقر و المعوزة.

-المجاز-

هناك المجاز في عدّة مواضع من القصيدة و هي في قوله "دمن الحى" و المجاز في كلمة "دمن" حيث ذُكر الجزء و أُريد منه الكلّ و في البيت ١٦ في قوله "تسامرت بمزاياه العلى الدّول" و المجاز فى كلمة "الدّول" بعلاقة المحليّة حيث ذُكر المحل و أُريد منه الحال و هناك مجاز عقلي في الشطر الثاني من البيت ٣٣ حيث أُسند الجدل و... الى غير ما هو له.

المحسنات المعنوية

استخدم الشاعر بعض المحسنات المعنوية كالتقابل و مراعاة النظير و التورية بصورة رائعة فى مواضع من القصيدة و هي كالآتي:

التقابل موجود في البيت ٢٦ و ٢٧ بين الكلمات التي تحتها خط:
 بحسبِهِ حَبُّهُ الْأَخْيَارَ وَالْعُلَمَاءِ أَجْرًا كَبُغْضِهِمُ الْأَجْلَافُ وَالسَّفَلُ
 نَوَالِهِ لِلرُّورَى يَوْمَ التَّدْبَالِ سُحْبُ وَ بِأَسْهُ لِلْعَدَى يَوْمَ الْوَعَى الْأَجَلُ

هناك مراعاة النظير في كلمات (الربع/الجدب/السهل/الجليل)فى البيت الأول و فى (الدمن/الحى/الطلل) و فى (السحائب/طلّ/ابتلّ) في البيت الثاني، و فى البيت ٣٠ بين كلمات (الحاج/ الآمال /الأرب). تمّ استخدام التورية في البيت ٢٥ فى كلمة (عين) و العين لها معنيان، الأول الحرف الهجائي و هو المعنى القريب و الثاني الينبوع و هو المعنى البعيد المراد.

مِن عَيْنِ عِلْمِهِ رَسَطَالِيسُ مُغْتَرِفٍ مِّن حَاءِ حَلِيمِهِ حَرْفُ الْقَافِ مُنْعَزِلُ

إنّ المتعمق في هذا البيت يستنبط جانبين مختلفين من شعره، من جانب يرى الشاعر بارعاً في استخدام المحسنات المعنوية بشكلٍ مثيرٍ للإعجاب و يتساءل القارىء كيف استطاع هذا الشاعر الكردي أن يخلق شعراً مملوءاً من الصور البلاغية و ليست اللغة العربية لغته الأم؟ و من جانب آخر يخطر بباله أمثال أشعار شعراء العصر التركي و ما في أشعارهم من الصور البلاغية كالتورية و نوعاً من التصنّع فى اللعب بالشعر كصنع الألفاظ و ما إلى ذلك من الخصائص التي نراها فى أشعار الشعراء الكرد كصاحب لاميات الكرد.

أما بالنسبة إلى استخدامه التركيبات فنلاحظ أنّ الشاعر استفاد من التركيب الإضافي ٦٥ مرة بينما وظّف التركيب الوصفي ٦ مرة و لم يوظّف التركيب المزجي و الإسنادي.

المستوى التركيبي (النحوي)

المستوى التركيبي يستنبط من خلال الجملة المنطوقة أو المكتوبة على المستوى التحليلي أو التركيبي و يطلق على هذا النوع من الدلالة الوظائف النحوية أو المعاني النحوية. (حسان، 1998م: 178) و جانب آخر من المستوى يمكن أن يستنبط من المعاني العامة للجمل و الأساليب الدالة على الخبر أو الإنشاء، و الإثبات أو النفي و التأكيد و الطلب كالأستفهام و الأمر و النهي و العرض و التخصيص و التمني و الترجي و النداء و الشرط باستخدام الأدوات الدالة على هذه الأساليب (عوض حيدر، 1419ق: 43).

دراسة الجمل:

الجملة هي عنصر الكلام الأساسي، إذ يحصل بواسطتها الفهم و الإفهام بين مختلف المتفاعلين باللغة و يُحوّل المتفاعل مادة فكره إلى كلام معبر بواسطة الجمل و يتكلم و يتواصل بواسطتها كذلك و اعتبر علماء الألسنية الجملة، الصورة الصغرى للكلام المقيّد أى الكلام الذي يخضع لمتطلبات اللغة و نواميسها (الحسيني، 2004: 195) فالناظر في نظام الجملات لهذه القصيدة يرى أنّ تواتر الجملة الفعلية أكثر من الإسمية و الشاعر استخدم كلا النوعين ليعبّر عمّا في نفسه تجاه الممدوح.

الجدول ٣، تواتر الجملة الإسميّة و الفعلية

النسبة المئوية	عدد التواتر	الجملة
٠.٦٠	٤٨	الفعلية
٠.٤٠	٣٢	الإسمية
٠.١٠٠	٨٠	المجموع

تدل الجملة الفعلية على التجدد و الحدوث و الشاعر قد وظّف الجملة الفعلية ليفيد التجدد في صفات ممدوح الحسنة، غير أن الجملة الاسمية اذا كانت في مقام المدح أو الذم لأفاد التجدد، و الملاحظ في نظام الجملات يرى أن قسما كبيرا من الجمل الاسمية في هذه القصيدة ليس إلا لافادة التجدد إذ أنّها في مقام المدح، على نحو ما نرى في هذا البيت و غيره من الأبيات:

نواله للورى يوم الندى السحب و بأسه للعدى يوم الوغى الأجل

و اما الجملة الاسمية التي تفيد الثبوت قوله:

الدين منظم و الصبر منصرم و القلب مضطرم و الدمع منهمل

و اعتمد الشاعر على الفعل الماضي ٣٥ مرة و على المضارع ١٤ مرة و على الأمر ٣ مرّات و في بعض الأحيان خرجت الأفعال عن مدلولها الأصلي كما جاء في البيت الآخر و الفعل الماضي جاء ليدلّ على الدعاء:

لازلت ناعم عيش في ذرى رتب ما شيب الصب بالغلزان و الغزل

التوكيد: إن المراد من التأكيد ترسيخ الأمر في ذهن السامع، وإزالة الشك و توضيح المقصود و للتأكيد أدوات و تراكيب إلا أننا لا نرى شيئاً من تلك المؤكدات إلا يسيراً مما قد يدل على أن الشاعر كان على علم من مخاطبيه و عدم مرتبهم في مدح هذا الممدوح الكريم:

يُؤْوِي الْكِرَامَ و يَلْوِي كَلَّ طَاغِيَةً
إِنَّ الْأَصِيلَ لَهُ النَّعْمَاءُ و الْجَدَلُ

الشرط الثاني توكيد للمصرع الأول و فيه إطناب من نوع التذييل و صار البيت الثاني جارٍ مجرى المثل. و للتكرار أيضاً نوع من التأكيد كما نرى في أوائل الشطر ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩ و هو تكرار كلمة "كم" ليؤكد المعنى و يستقرّه في ذهن السامع.

التقديم و التأخير

يمثل التقديم و التأخير واحداً من أبرز مظاهر العدول في التركيب اللغوي و هو يحقق غرضاً نفسياً دلاليّاً، و يقوم بوظيفة جماليةً باعتباره ملمحاً أسلوبياً خاصاً، و يتم عن طريق كسر العلاقات الطبيعية المألوفة بين المسند و المسند إليه في الجملة ليضعها في سياق جديد و علاقة متميّزة. (المصدر نفسه، ٢٣٣) نشاهد التقديم و التأخير في القصيدة لأغراض عدّة، نشير إلى بعض منها حيث يقول:

كَمْ خُرِّبَتْ مِنْهُ عِمْرَانُ الْفَوَاحِشِ و ال
فَحِشَاءُ كَذَا عِمْرَانَ الْأَدْيَانَ و الْمَلَلُ

قُدِّمَ "منه" لإفادة الحصر في الممدوح و لا غيره، كما نرى تقديم ما حقه التأخير ليفيد الحصر في الأبيات ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و قُدِّمَ "له" في البيت ٢٤ للإحتفاظ على وزن الشعر و الفصل بين المبتدأ و الخبر المعرفتين:

يُؤْوِي الْكِرَامَ و يَلْوِي كَلَّ طَاغِيَةً
إِنَّ الْأَصِيلَ لَهُ النَّعْمَاءُ و الْجَدَلُ

و المتعمّق في هذه القصيدة يلاحظ فيها موضوعات أخرى مرتبطة بعلم المعاني كظاهرة الحذف حيث جاء في البيت ٣١ في الكلمة "إذ اشتغلوا" حيث حُذف الجار و المجرور و هو كلمة "بالشكر" بقرينته السابقة و الإحتفاظ على وزن الشعر و أيضاً حُذف المسند إليه "هو" من صدر البيت ١١ لتعيّنه:

وَجْهَ الْوَجُوهِ و سَيْفُ الْمُلْكِ و ابْنُ جَلَا
صَدْرُ الصَّدُورِ إِلَيْهِ يَنْتَهِي الْأَمَلُ

استخدم الشاعر الإيجاز و الإطناب و تنكير المسند إليه و... فنُكّر المسند إليه مثلاً في البيت الخامس و المسوّغ لذلك كونه موصوفاً و التنوين للتفخيم و التهويل:

مُلِمَّةٌ هَيِّجَتْ يَا بَسْمًا حَدَثَتْ
و فِتْنَةٌ أَحْجَبَتْ نَاراً بِهَا تُكَلُّ

أشرنا إلى بعض مواصفات المستوى النحوي بإيجاز و لكن فيها جماليات نحوية أخرى نغض الطرف عنها اختصاراً للمقال و إتقاء للاطالة.

التنصص

تُلاحظ ظاهرة التنصص بأنماطه المختلفة من التنصص الديني، و التنصص الأدبي، و التنصص التاريخي في مواضع من القصيدة:

— التناص الديني: و المقصود من التناص الديني هو حضور النص القرآني و الحديث النبوي في نصّ آخر، فاستخدم الشاعر التناص الديني في قوله:
أذى الشرارَ فباتوا في مكانهم
صُماً و بُكماً و عُمياً ما لهم شُغلُ

و في هذا الشطر تناص مع الآية "...صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون" (البقرة/١٨). كما اقتبس من هاتين الآيتين " إنَّ مع العسر يُسر" (الإسراع/٥) " الذي أطعمهم من جوعٍ و آمنهم من خوفٍ" (قريش/٤) في قوله:

فأحدث الله يُسرأ بعد ما عسر
و آمنَ النَّاسُ مِنْ خَوْفٍ إذا وُجلوا

— التناص الأدبي: يندر أن يجد الباحث شاعراً من شعراء العربية للأكراد لم يتصل على نحو من الأنحاء بشاعر من شعراء التراث العربي أو يتقاطع معه أو مع أحد من نصوصه أو بعض أبياته تقاطعا مضمونياً أو لغوياً أو إيقاعياً، أو كل ذلك في بعض حالات الأحتذاء أو المعارضات الشعرية. هذا و هو الشاعر في البيت التالي:

وجهُ الوجوه و سيفُ الملِكِ وابنِ جلا
صدرُ الصّدورِ إليه يَنْتهى الأملُ

و في قوله "ابن جلا" التناص مع هذا البيت لِسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيِّ و هو يقول:
أنا ابنُ جلا و طلائعُ الثَّنابِ
متى أضغالُ العمامةِ تعرفونني

— التناص التاريخي: يتخذ التناص مع التاريخ أشكالاً عدّة منها؛ استدعاء الشخصية (رمزاً أو قناعاً أو مرآة) أو معادلاً موضوعياً و في هذه القصيدة نرى الشاعر يستدعي بعض الشخصيات كالنبيّ "موسى" و "عزير مصر" و "رسطاليس" أو "الأسرك" آل برمك" أو... ليعبّر عمّا في نفسه بالنسبة إلى شخصية الممدوح.

حصاد البحث

ففي ختام البحث ندوّن أبرز النتائج التي أسفر عنها البحث و من أهمّها:

١. كان للامية العرب و لامية العجم أثر بالغ في شعراء العربية من الأكراد بحيث نرى الشعراء الكرد الكثيرين الذين نظموا لاميات على منوال هاتين القصيدتين كلامية الكرد لعبد الحميد العرفان السندي و هي من أشهر لاميات الكرد.

٢. نظم عبد الحميد العرفان هذه القصيدة في مدح "أمير نظام غروسي" الذي انقذ مدينة سنج من الفتن المحيطة بها.

٣. الباحث في الأشعار العربية للأكراد يرى الميزات المشتركة بينها و بين أشعار شعراء العصر التركي، كاستخدام الصور البيانية بكثرة و التورية و مادة التاريخ و الألغاز الشعرية و... كما شاهدنا بعض هذه الخصائص في قصيدة لامية الكرد.

٤. يكون المستوى الإيقاعي لهذه القصيدة في درجة عالية لأن الشاعر استفاد من الخصائص الإيقاعية كالترداد الصوتي، و الجناس، و الطباق، و السجع، و الموازنة و...

٥. بالنسبة إلى المستوى الدلالي و استخدام الشاعر للصور البلاغية كالتشبيه و الإستعارة و المجاز و الكناية و التورية... فنرى فيها جماليات كثيرة غير أنه فى بعض الأحيان يخطر ببالنا نوع من التصنع و التكلف كما أشير إليه ضمن المقالة.
٦. نشاهد براعة الشاعر فى المستوى التركيبى بحسن الإستخدام للجمل، و التقديم و التأخير، و الحذف و التنكير و التعريف للمسند إليه و... .
٧. أيضا هناك إقتراحات بالنسبة إلى مثل هذا الموضوع الذى فتحنا بابه، منها: بإمكان الباحثين دراسة تحليلية أخرى فى مجموعة لاميات الأمم، علاوة على دراسة و تحليل فى اللاميات الكردية المنسوبة إلى شعراء العربية من الأكراد، أيضا يمكننا دراسة تطبيقية بين اللاميات المختلفة و... .

المصادر و المراجع

- أبو العبدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية و التطبيق، عمان، دار السيرة، 2007م.
- بليت، هنريش، البلاغة و الأسلوبية نحو نماذج سيميائية لتحليل النص، المترجم محمد العمري، بيروت، الدار البيضاء، 1999م.
- بومصران، نبيل، بنيات الأسلوبى قصيدة مآتم و أعراس لعبد الله البردونى، الجزائر، جامعة قاصدى مرياح، ورقلة، 2001م.
- حسان، تمام، اللغة العربية معناها و مبناها، القاهرة، عالم الكتاب، ط ٢، 1998م.
- الحسينى، راشد بن حمد بن هاشل، البنى الأسلوبية، فى النص الشعرى، لندن، دار الحكمة، الطبعة الأولى، 2004م.
- خاكپور، حسام الدين، عربى سرايان معاصر كرد(مضامين و درونمايهها)، دانشگاه تهران، 1392ش.
- خورشى، صادق، المدارس الاديبه، تهران، سمت، چاپ اول، 1388ش.
- الريدواى، محمود، مجلة التراث العربى، العدد ٨٣-٨٤، دمشق، د.ت.
- رسول نژاد، سرباز، عبدالله، حسن، طرح پژوهشى با عنوان نقش كردها در پيشرفت زبان وادبيات عربى در دورهى عثمانى، دانشگاه كردستان، 1388ش.
- روحانى، بابا مردوخ، تاريخ مشاهير كُرد، تهران، سروش، چاپ اول، 1366ش.
- الصوبيريكى، محمد على، معجم أعلام الكرد فى التاريخ الاسلامى والعصر الحديث فى كردستان وخارجها، سليمانيه، بنكهى ژين، چاپ اول، 2005م.
- الطرابلسى، محمد الهادى، خصائص الأسلوب فى الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1981م.
- عوض الحيدر، فريد، علم الدلالة دراسة نظرية و تطبيقية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط ٢، 1419ق.

- القرداغى، محمد على، ورود الكرد فى حديقة الورد، اربيل، آراس، الطبعة الاولى، 2002م.
- محمود، الخالق، شعر ابن فارس فى ضوء النقد الأدبى الحديث، القاهرة، دار المعارف، ط 3، 1984م.
- مدرس، عبدالكريم، يادى مه ردان، سنديج، انتشارات كردستان، چاپ اول، 1385.
- مدرس، عبدالكريم، دانشمندان كرد در خدمت علم ودين، ترجمه احمد حواری نسب، تهران، مؤسسه اطلاعات، چاپ اول، 1369ش.
- مرادى، محمد رؤف، زندگى نامه وخدمات علمى و فرهنگى عبد الحميد بدیع الزمانى كردستانى، تهران، انجمن آثار ومفاخر فرهنگى، چاپ اول، 1382ش.
- مردوخ كردستانى، آيه الله، نسخه خطى از ديوان اشعار ايشان، در كتابخانهى شخصى سيّد صباح حسيني.
- مطلوب، أحمد، فى المصطلح النقدى، بغداد، منشورات الجمع العلمى، 2002م.

معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشحات العاملين

في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي

*The meaning of life in the human existence on the part of
the male and female supervisors*

م.د. عبد عون عبود جعفر المسعودي^(١)

Dr. Abed Un Abood Ja'afar AL-Masoudi

مستخلص البحث

أهداف البحث:

١. تعرف مستوى معنى الحياة في الوجود البشري للمرشدين والمرشحات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي.
٢. تعرف مستوى معنى الحياة في الوجود البشري للمرشدين والمرشحات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي على وفق متغير الجنس (ذكور - اناث).

حدود البحث:

اقتصرت البحث الحالي على المرشدين والمرشحات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي ضمن مديرية تربية كربلاء المقدسة للعام الدراسي ٢٠١٣ - ٢٠١٤. ولفترتي الدوام الصباحي والمسائي.

١ - وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة/ فرع كربلاء.

إجراءات البحث:

قام الباحث ببناء أداة (مقياس) وفقاً لمفاهيم الوجودية اذ وضع (٢٠) فقرة بخمس بدائل وفقاً لطريقة ليكرت، وقد بلغ عدد مجتمع البحث (١٨٩) مرشداً ومرشدة أختيرت منه عينة قوامها (١٠٠) مرشداً ومرشدة لاغراض التحليل الاحصائي. وتم استخراج الصدق بين المجموعتين المتطرفتين وكذلك ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس إضافة للصدق الظاهري. وكذلك تم استخراج الثبات بطريقتين هما أسلوب التجزئة النصفية وأسلوب إعادة الاختبار. وأخيراً تم تطبيق المقياس على (٦٠) مرشد ومرشدة فقط وذلك لصغر حجم مجتمع البحث.

وقد استخدم الباحث عدة وسائل إحصائية لمعالجة البيانات (معامل ارتباط بيرسون). (معادلة سييرمان براون) والاختبار التائي لعينة واحدة).

نتائج البحث:

أظهرت النتائج:

١. تمتع عينة البحث بمستوى عالٍ من معنى الحياة في الوجود البشري.
٢. توجد فروق ذات دلالة إحصائية لمستوى معنى الحياة في الوجود البشري ولصالح الذكور.

Abstract

Aims of the study:

This paper aims at

1. Determining the level of the meaning of life of the counselors working in the field of physiological counseling and educational and the level of meaning of life of the counselors working in the field of psychological counseling and educational guidance.
2. Determining the level of the meaning of life of the counselors working in the field of physiological counseling and educational and the level of meaning of life of the counselors working in the field of psychological counseling and educational guidance in Iraqi schools according to gender variable (male – female).

Limits of the study:

This paper is limited to investigate the meaning of life of the counselors working in the field of psychological counseling and educational guidance in the academic year 2013 -2014 and for both morning and evening studies.

Methodology:

The researcher builds a scale according to the existence concept consists of (20) items and puts extractors for answering according to Likert Scale. The sample of the study consists of (189) male and female counselors. (100) counselor is chosen for the purpose of statistical analysis. Validity is obtained between the two groups. Also relevance of the item with the total results of the scale is obtained as well as face validity.

Reliability is gained through two methods, the spilt – half method and test – retest method. The scale is conducted on (60) counselors (male and female). The researcher uses many statistical means to analyse results such as person formula, spearman – Brown formula, and T-test.

Results:

The following results are obtained

1- Counselors (male and female) have a very high level of existential anxiety.

2- There is a statistical difference in the level of meaning of life according to gender variable for the sake of male.

Some recommendation and suggestions are mentioned at the end of the study.

الفصل الأول: التعريف بالبحث

أهمية البحث والحاجة اليه:

يعد مفهوم معنى الحياة من بين تلك المفاهيم الوجودية التي يسعى الانسان الى تحقيقها، والتي بدورها حولت مسارات علم النفس الى أن تجعل منه مهتماً بحياة الناس وتوجههم الى إشاعة الحب والعدالة الاجتماعية بدلاً من التركيز على حالات الشذوذ والامراض، كما وأن علم النفس الإنساني ومن بينه علم النفس الوجودي يشدد على ضرورة أن تكون حياة الانسان أكثر عمقاً وتوافقاً وتكيفاً مما يجعله قادراً على التعامل السليم والصحيح مع ظروف الحياة المحيطة به (زيعور، 1984:26).

ويعتقد (Ennons 1986) ان المعنى يتحقق بمجرد وضع الفرد لأهداف قيمة ترتبط بالارتياح والقناعة خاصةً إذا كانت تلك الأهداف تتلائم مع مواردهم وامكانياتهم (Diener 1982 p. 89).

وتوصلت دراسة شانتال (Shantall 1999) عن طريق مقابلات مع الناجين من معسكرات الاعتقال (معسكرات الموت) وعن طريق تحليل مذكرات سجناء معروفين أيام النازية الى أن بإمكان المعنى أن ييسر تحمل المعاناة القاسية والنظر اليها كتحدٍ يجب إنجازه والخروج بأدنى مقدار من الخسائر والاضرار النفسية والبدنية. (Shantall. 1982 p. 118).

معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشدين العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي ويعتقد فرانكل (Frankl 1969) ان الفراغ الوجودي لا يعد مرضاً بالمعنى الطبي لكنه حالة فقدان المعنى تجعل الحياة ليست ذات جدوى وتجعل الوجود البشري (الانسان) يشعر بالوحدة وانعدام معنى الحياة (Frankl 1969 p.142).

وأشارت دراسة اليبس (Ellis 1980) إن الافراد يحققون المعنى في حياتهم لأنهم يمتلكون أهداف ويفتخرون بتحقيقها، كون الافراد القادرين على الفعل والانجاز يشعرون بالاحساس بالرضا عن حياتهم والسعادة (Ellis, 1990, p.490)

ويعتقد الوجوديون أنه أكبر التحديات التي واجهها الوجود البشري في القرن العشرين هو شعورهم المتزايد بفقدان المعنى. (الشمري، 2002، ص400)

بينما فرانكل أن للوجود البشري كثير من الدوافع ويبقى الدافع الأهم والاساسي هو تحقيق المعنى في حياته من خلال تمسكه بالقيم المبدعة وإنجازات في تحقيق المطالب (باترسون، 1990، ص460).
فيرى د بشر 1995 ان العلاقة الزوجية الإيجابية أو تلك العلاقة الزوجية القائمة على التفاهم يكون لها ارتباط عالٍ بمعنى الحياة والرضا عنها.

ويعتقد الباحث أن مفهوم معنى الحياة هو الدافع الأساسي للوجود البشري من هنا ينتج عن قيام الوجود البشري بوضع اهداف قريبة وبعيدة المدى لحياته وما تتطلبه تلك الأهداف من فعل وتحمل للمسؤولية وقدرة على الانجاز وفي عكس ذلك سوف يواجه مصيره بفقدان المعنى الذي يجعل منه يعيش حياةً زائفة أو هامشية تجره الى الاضطراب النفسي.

وهنا جاءت فكرة البحث الحالي الذي يعد محاولة للتعرف على معنى الحياة لدى المرشدين والمرشيدات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي في المدارس والذين تقع على عاتقهم مسؤولية زرع هذا المفهوم في نفوس طلبتهم (المسترشدين).

أهداف البحث:

يهدف البحث الى ما يلي:

1. تعرف مستوى معنى الحياة للمرشدين والمرشيدات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي.
2. تعرف مستوى معنى الحياة للمرشدين والمرشيدات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي على وفق متغير الجنس (ذكور - اناث).

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على المرشدين والمرشيدات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي لمدارس المتوسطة والاعدادية والثانوية ضمن حدود المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة وللعام الدراسي ٢٠١٣ - ٢٠١٤ وللدوامين الصباحي والمسائي.

تحديد المصطلحات:

مفهوم معنى الحياة: - عرّفه

١. فرانكل: Frankl 1964

((هو قدرة الفرد على أن يكشف وبشكل مسؤول المعاني الحياتية المتأصلة في سلوكه وفي مواقفه
(Frankl, 1964, p.132))

٢. راف: Ryff 1989

((هي التأكيد على الاستيعاب الواضح لغرض الحياة والاحساس بالاتجاه والقصديّة بوصفها مؤشرات
للشعور بأن الحياة ذات هدف)) (Ryff, 1989, p.107)

٣. ولمان: Wilman 1973

((تقليل حالة التوتر من خلال اشباع الغرائز والدوافع وأنها من الخير والرفاه وحسن الاختيار))
(حافظ، 2006، ص21)

التعريف النظري للباحث:

هو شعور الفرد بالرضا عن نفسه وعن حياته وأهدافه التي يطمح من خلالها تحقيق غاياته كأنسان
فاعل وقادر على الإنجاز.

التعريف الاجرائي:

هو الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب من خلال اجابته على فقرات المقياس.

الفصل الثاني: الاطار النظري

مفهوم معنى الحياة:

ان علم النفس بنظرياته القديمة والحديثة جاءت لدراسة سلوك الموجود البشري (الانسان) وتتضح
الأساليب والمناهج التي تمكنه من تحقيق معنى لحياته باعتباره هدف أساسي يصل اليه وسوف نعلم في
هذا البحث الأسلوب الوجودي كاتاراً نظرياً الذي هو جزء من الكتلة الثالثة في علم النفس المؤلفة من
نظرية الحاجات (ماسلو) ونظرية الذات (لروجرز). والأسلوب الوجودي الذي لا يمكن أن نسميه بنظرية
كونه أسلوب فلسفي اشتق من مفاهيم من الفلسفة الوجودية لمؤسسها (كريكجارد).

الأسلوب الوجودي:

أن من أهم التأثيرات التي مارستها الوجودية على فروع المعرفة هو تأثيرها على علم النفس وتطبيقاته
في مجال الارشاد والعلاج النفسي إذ يعتقد فرانكل Frankl:
١. أن الشخص له كينونته الخاصة ووجوده المتميز عن الآخرين والذي يعكس اتجاهاته وقيمه الخاصة.

- معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشدين العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي
٢. الانسان ليس حالة تابعة لحالات أخرى بل يجب النظر اليه على انه نتاج قدرته في تطوره ونموه الذاتي.
 ٣. يواجه الفرد خلال حياته ما يقوم به المجتمع من محو لشخصيته الذي يصل الى مرحلة الاغتراب والشعور بالذنب والوحدة والقلق (ماكوري، 1982، ص48).
- ويشير الدباغ الى أن الوجودية قدمت جملة من نقاط الانطلاق لعلم النفس.
١. ان الطبيعة الإنسانية تمنح الموجود البشري (الفرد) الحرية في اختيار ما له وما عليه.
 ٢. ان الانفعال ليس فكرة بل هو جزء من وجود الفرد وهو دائم الإحساس بما.
 ٣. يرفض الوجوديون فكرة العوامل البيولوجية عند فرويد باعتبارها فقرة محفزة للسلوك بل أن السلوك يخضع لشعورهم بالقلق والحرية (النواب، 1998، ص203).
- والوجودية تشير الى ان الشخصية لها وجهان الأول هو الشخصية الاصلية والثانية هو الشخصية الزائفة.
- ويذكر Park: أن مفهوم الاصاله تمتد جذوره الى بداية تاريخ ظهور علم النفس الوجودي أو الوجودية نفسها (Park, 2001, p.60)
- ويشير أيضاً الى أن الوجود الأصيل يتطلب من الفرد أن يصنع خططاً لوجوده ويطور أهدافاً لحياته ثم يجربها من قبله لكي لا يقع في الوجود الزائف الذي يفرض عليه أن يستسلم لليأس وبالتالي يفقد معنى لحياته (Park, 2001, p.28)
- ويعتقد فرانكل ان مفهوم المعنى الذي اسماه (ارادة المعنى) ويعني به سعي الموجود البشري لإيجاد معنى في حياته والذي يعمل بوصفه دافع للسلوك ويعتقد ان المعنى له مستويين.
١. معنى الحياة في اللحظة الراهنة والحاضرة (الآن)
 ٢. معنى الحياة الجوهرية.
- وفي هذا يقول فرانكل ((إذا كان من المستحيل تحديد معنى الحياة بطريقة عامة فالحياة لا تعني شيئاً غامضاً كونها تعني شيئاً حقيقياً ومحدداً للغاية مثلما تكون. مهام الحياة ايضاً حقيقتها ومحددة للغاية فهذه المهام تشكل مصير الشخص فكل شخص كائن انساني مختلف ومتفرد ومتميز ولا يمكن مقارنة انسان بأنسان آخر ولا مصير انسان بمصير انسان آخر. أن كل موقف يتميز بتفرده ومع ذلك توجد دائماً إجابة صحيحة واحدة فقط للمشكلة التي يفرضها الموقف الراهن (Frankl 1982 p.109).
- ومعنى الحياة عند فرانكل يعد اكتشاف العالم بوصفه عالماً ذي معنى إذ لا يمكن افتراض وجود المعاني وكأنها خلق ذاتية بل أن مهمة الانسان تكمن في البحث عن المعنى واكتشافها، وهذه المهمة تتحقق من خلال ثلاث طرق مختلفة:
١. القيم الابداعية Creative Values من خلال ما يمنحهم الفرد للعالم من منجزات إبداعية ذات فائدة وقيمة من مختلف المجالات.

٢. القيم الموقفية attitudinal من خلال مواجهة الموجود البشري (الانسان) لمأزقه الوجودي وتأقلمه مع الظروف السليمة والخبرات الصعبة المؤثرة التي لا يمكن تفاديها مثل الامراض المزمنة والكوارث الطبيعية.
٣. قيم الخبرة Experiential وتأتي من خلال ما يحصل عليه الموجود البشري (الانسان) من خبرات إيجابية في مجال الجمال والعلاقات الإنسانية، إذ أن الوجودية اذا لم يستطيع الفرد أن يبلغ المعنى فإنه قد يعاني الخواء الوجودي Existent Vacuum أو اللامعنى Meaning lessness وتحت ظروف مستديمة فأن خبرة اللامعنى يمكن تؤدي الى العصاب الوجودي الذي يستدعي علاجه بأسلوب العلاج بالمعنى (Frankl, 1982 p.136)

مصادر معنى الحياة:

- حدد كرومباخ و موليش Crumbangh mohalich 1969 أربعة مصادر يجد الانسان فيها لما يحقق له معنى حياته وهي:
١. الفناعة في الحياة
 ٢. القدرة على وضع أهداف محددة وإنجازها
 ٣. ان يكون الفرد لديه قدرة على السيطرة على حياته.
 ٤. الاستثارة والحماس والجد في الحياة.

الحرية ومفهوم معنى الحياة

من المفاهيم التي تناولتها الوجودية هو الحرية باعتبارها خاصية مهمة للموجود البشري. إذ يعد الموجود البشري هو الجوهر الذي يقرر ويختار بفضل الحرية التي تعني مواجهة الغرائز أو النزعة الموروثة والاجتماعية والتي منها العلاقة بالآخر.

ويقول في هذا (Lebon 2001) (لقد وجدت أربع معطيات للوجود هي على نحو خاص ذات علاقة بالعلاج والإرشاد النفسي في قضية الموت لكل منا ولأولئك الذين نجبهم والحرية لصنع حياتنا كما نريد وتفردنا النهائي ومعنى الحياة (Lebon 2001 p.1).

ويعتقد الباحث بأن الحرية هي احدى المفردات الحياتية التي تقود الموجود البشري الى الشعور بمعنى الحياة، فلا معنى للحياة بدون الحرية التي تمنع الموجود البشري القدرة على الاختيار والقرار من أجل تحقيق الأهداف.

الحب ومعنى الحياة:

يُعد معنى الحياة دافعاً أساسياً يدفع الموجود البشري نحو الحب ويقول فرانكل (الانسان يستطيع أن يعطي معنى لحياته بالتمسك بالقيم المبدعة وإنجاز المطالب ومعنى أن تخبر انساناً واحداً متفرداً هو أن تحبه، والحب هو أقصى أو أعلى هدف للكائنات البشرية وأن حياة الانسان إنما تكون من خلال الحب وفي أن يحب) (باترسون، 1990، ص460)

معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشحات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي ويعتقد الباحث ان معنى الحياة يتحقق للموجود البشري من خلال تحقيق غايته أو أهدافه التي يعد الحب أكثرها تأثيراً، فالحب نمتلك معنى لحياتنا.

القيم ومعنى الحياة:

يميز Rokeach بين نوعين من القيم:

أولاً: القيم الغائية Terminal Values: وهي القيم التي تشير الى أهداف وغايات الوجود البشري وتتضمن بدورها:

أ- القيم الشخصية: مثل احترام الذات، الرغبة، معنى الحياة.

ب- القيم الاجتماعية: مثل المساواة، والسلام، الحب.

ثانياً: القيم الوسيالية Instrument Values: والتي تشير الى أساليب السلوك المؤثر في الحصول على النتائج وتعديلها وتحقق بالقيم المتعلقة:

أ- الكفاءة Competence مثل التمكّن والطموح والشجاعة وسعة الخيال.

ب- الاخلاق Morality مثل تحمل المسؤولية والتسامح لتوفير معنى الحياة. (خليفة، 1992، ص68)

ويعتقد ريكر 2000 Reker أن القيم تمثل حجر الأساس لمصادر الحياة ومعناها. (Reker, 2000, p.51)

ويعتقد الباحث أن قيم الموجود البشري الشخصية التي يتبناها في حياته وهو متفرد في الايمان بها ومتحمل مسؤولية تفردة سوف تقوده الى الشعور بمعنى لحياته.

الدراسات السابقة:

الدراسات العربية

ت	عنوان الدراسة	اسم الباحث	أهم الأهداف	العينة	الأداة	ابرز النتائج
١	العلاقة الزوجية وعلاقتها بالسعادة والرضا بالحياة	بشير 1995	تعرف العلاقة بين العلاقة الزوجية وعلاقتها بالسعادة والرضا بالحياة	مجموعة من المتزوجين		ان العلاقة الزوجية الإيجابية مرتبطة بالسعادة والرضا بالحياة

الدراسات الاجنبية

ت	عنوان الدراسة	اسم الباحث	أهم الأهداف	العينة	الأداة	ابرز النتائج
١	الشعور بمعنى	Kinner	تعرف العلاقة بين	مراهقين	مقابلات	ان تدني الشعور

بمعنى الحياة يشكل _____ نفسياً يدفع المراهقين الى تعاطي المخدرات			تدني الشعور بمعنى الحياة وتعاطي المخدرات	1994	الحياة وعلاقته بتعاطي المخدرات لدى المراهقين	
ان الإحساس بالمعنى عند بعض العوائل دفعها للأكل بأفراط والذي قاد لزيادة في الوزن	مقابلات	مجموعة من العائلات	هل هناك علاقة بين معنى الحياة والافراط في زيادة الوزن	Lants 1994	فقدان معنى الحياة وعلاقته بزيادة الوزن	٢

الفصل الثالث: منهج البحث واجراءاته

إجراءات البحث:

يتضمن هذا الفصل وصفاً لمجتمع البحث وعيناته والإجراءات التي يتبعها الباحث لتحقيق أهداف بحثه وأسلوب اختيار العينة والأدوات المستعملة لجميع البيانات وأهم الوسائل الإحصائية لمعالجتها وتحليلها.

مجتمع البحث Population of Research:

تكون مجتمع البحث الحالي من المرشدين والمرشدات العاملين ضمن مديرية تربية كربلاء المقدسة في مدارس المتوسطة والاعدادية والثانوية للعام الدراسي ٢٠١٣ - ٢٠١٤ إذ بلغ العدد الكلي (189) مرشداً ومرشدة منهم (106) ذكور و (83) اناث. موزعين على بعض مدارس كربلاء.

إجراءات بناء الأداة (المقياس):

يتطلب البحث بناء أداة لقياس مفهوم معنى الحياة لدى المرشدين والمرشدات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي في مدارس كربلاء. وقد اعتمد الباحث الأسس الآتية في بناء الأداة وهي:

١. نوع القياس
٢. أسلوب القياس
٣. طريقة القياس

معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشدين العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي

١- نوع القياس:

اعتمد الباحث في بحثه الحالي على القياس السيكومتري Psychometry الذي يقوم على مقارنة درجة المستجيب بدرجات المتوسط العام للآخرين.

٢- أسلوب القياس:

استعمل الباحث أسلوب التقرير الذاتي self-report بكونه يبعد الباحث عن الذاتية في الحصول على البيانات فضلاً عن سهولة التصحيح وتقليل الجهد (الكبيسي، 1987، ص143).

٣- طريقة القياس:

اعتمد الباحث طريقة ليكرت Likert في القياس

خطوات بناء الأداة (المقياس):

أن بناء الأدوات او المقاييس يتطلب الاطلاع على الدراسات السابقة والمقاييس ذات العلاقة بمفهوم البحث ؛ إذ اطلع الباحث على المقاييس الاتية:

١. اختبار الغرض من الحياة (pil) The purpose in life.
٢. قائمة تقدير الحياة (LRI) Life Regard Index.

صياغة الفقرات:

بعد اطلاع الباحث على الدراسات السابقة والمقاييس قام بما يأتي:

- صياغة ٢٣ فقرة بشكل أولي وبما يغطي جميع مجالات

صلاحية الفقرات:

يشير Allen الى ان صلاحية الفقرات وصدقها يتحقق بفحص المقياس من قبل الخبراء (Allen, 1979, p.96)

ولتحقيق ذلك قام الباحث بعرض الفقرات على الخبراء والمحكمين ذو الخبرة في هذا المجال لبيان آرائهم في صلاحية الفقرات والمجالات التي هي:

- أ) الحياة الاسرية ب) الحياة المهنية (في المدرسة) ج) الحياة البيئية العامة
- أ) الحياة الاسرية:

هي شعور المرشد أو المرشدة بالسعادة والرضا عن عائلته لما يتلقاه منهم من معاملة وعلاقة يسودها الحب والاحترام والتعاون.

ب) الحياة داخل المدرسة:

هي شعور المرشد أو المرشدة بالسعادة والرضا عن عمله داخل المدرسة من خلال ما يقدم للطلبة والإدارة والهيئة التدريسية ورضاهم عنه.

ج) الحياة في البيئة العامة:

هي شعور المرشد أو المرشدة بالرضا والسعادة عن البيئة العامة كالمحلة أو الجيران والأصدقاء والاقارب وما تربطه بهم من علاقات اجتماعية صميمية.

وكذلك الحكم على بدائل الإجابة وهي:

تنطبق عليّ كثيراً جداً، تنطبق عليّ كثيراً، تنطبق عليّ بدرجة متوسطة، تنطبق عليّ قليلاً، لا تنطبق وتم الإبقاء على (٢٠) فقرة وحذفت (٣) فقرات بأتفاق أكثر من 80%.

أسلوب تصحيح الأداة (المقياس):

ان الأداة تم صياغة فقراتها باتجاهين (إيجابي - وسلي) بخمس بدائل أعطيت أوزان تراوحت بين (1 - 5) حسب تسلسل الإجابة بالنسبة للفقرات الإيجابية وأيضاً أعطيت أوزان تراوحت بين (1 - 5) للفقرات السلبية.

عينة التجربة الاستطلاعية:

تهدف هذه التجربة التحقق من وضوح تعليمات الإجابة ووضوح الفقرات والزمن الذي تستغرقه للإجابة وتألقت العينة من (١٠) مرشد ومرشدة وتبين ان التعليمات واضحة والفقرات واضحة والزمن هو (15) دقيقة.

عينة التجربة الأساسية:

بلغ افراد العينة الأساسية (١٠٠) مرشد ومرشدة وفقاً لما يشير اليه Nunnally الى ان نسبة عدد افراد العينة الى فقرات المقياس يجب ان يكون أو لا يقل عن نسبة (5 : 1) وذلك لتقليل وقوع الصدفة (Nunnally, 1978, p.262).

مؤشرات الصدق:

١- الصدق الظاهري:

يشير ايبيل 1979 Ebel الى ان افضل وسيلة لاستخراج الصدق الظاهري هي قيام عدد من الخبراء والمحكمين بتقدير مدى تمثيل فقرات المقياس للظاهرة المراد قياسها (Ebel 1979 p.79). وقد تحقق هذا النوع من الصدق في فقرة صلاحية الفقرات. أنظر ص ١٦.

٢- صدق البناء:

أولاً: أسلوب المجموعتين المتطرفتين:

لغرض استخراج القوة التمييزية بهذا الأسلوب اتبع الباحث الخطوات التالية:

- أ- رتب الدرجات الكلية ترتيباً تنازلياً من اعلى درجة الى ادنى درجة في المقياس.
- ب- تم اختيار اعلى (27%) من الدرجات أطلق عليها (المجموعة العليا) وأدنى (27%) من الدرجات وأطلق عليها (المجموعة الدنيا).

معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشحات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي
 ت- استخدام الاختبار التائي Te-Test ليثبت مستقلين لمعرفة دلالة الفروق واتضح ان جميع فقرات
 المقياس مميزة عند مستوى دلالة (0.05) والجدول رقم (١) يوضح ذلك

جدول رقم (١)

مستوى الدلالي	القيمة التائية	المجموعة الدنيا		المجموعة العليا		الفقرة
		الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	
*	5.390	0.7730	1.6538	0.8214	2.2500	١
*	3.366	0.5213	1.2596	0.7729	1.5673	٢
*	4.052	0.3922	1.0385	0.6956	1.3558	٣
*	7.872	0.4034	1.0481	0.9113	1.8173	٤
*	2.413	0.6086	1.3077	0.7623	1.5385	٥
*	8.986	0.5153	1.2115	0.8486	2.0865	٦
*	7.441	0.8648	1.5962	0.8116	2.4615	٧
*	4.929	0.5305	1.2404	0.8414	1.7212	٨
*	8.202	0.4043	1.1442	0.8535	1.9038	٩
*	9.111	0.4645	1.1635	0.8744	2.0481	١٠
*	6.117	0.4572	1.1827	0.7911	1.7308	١١
*	2.691	0.4338	1.0769	0.6303	1.2788	١٢
*	9.148	0.5257	1.2308	0.8596	2.1346	١٣
*	4.006	0.6691	1.3654	0.8439	1.7885	١٤
*	5.197	0.5001	1.2981	0.8000	1.7788	١٥
*	7.971	0.6501	1.4327	0.8503	2.2622	١٦
*	10.375	0.3445	1.0865	0.9105	2.0769	١٧
*	7.679	0.6181	1.2115	0.7482	1.9423	١٨
*	5.819	0.6379	1.4712	0.8275	2.0673	١٩
*	10.564	0.5023	1.2596	0.8243	2.2596	٢٠

ثانياً: أسلوب علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس

يقوم هذا الأسلوب على ارتباط درجة كل فقرة من فقرات المقياس بالدرجة الكلية للمقياس نفسه
 (عبد الرحمن، 1983، ص184)

جدول (٢) يوضح ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس معنى الحياة

ت	درجة الارتباط	الدلالة
١	0.32	*
٢	0.33	*
٣	0.27	*
٤	0.37	*
٥	0.47	*
٦	0.41	*
٧	0.45	*
٨	0.22	*
٩	0.24	*
١٠	0.39	*
١١	0.26	*
١٢	0.39	*
١٣	0.35	*
١٤	0.19	*
١٥	0.24	*
١٦	0.26	*
١٧	0.36	*
١٨	0.27	*
١٩	0.47	*
٢٠	0.31	*

* دالة عند مستوى 0.05

النتائج:

يعد الثبات ضرورة على الرغم من ان مقياس الصدق هو مقياساً ثابتاً (فرج، 1980، ص232) وقام الباحث بإجراء نوعين من الثبات هما.

١- أسلوب التجزئة النصفية:

قسم الباحث فقرات المقياس الى نصفين بطريقة (فردى - زوجى) بعد أن تأكد الباحث من عدم وجود تباين دال احصائياً بين نصفى المقياس إذ بلغت القيمة التائية (0.71) وهي أقل من الجدولية

معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشدة العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي (1.98) وأظهرت النتائج أن معاملات الارتباط كانت (0.76) ولما كانت الدرجة المستخرجة هي نصف المقياس فقد تم تعديله بأستعمال معادلة سبيرمان - براون Sperman - Brown (ثورندايك و هيجن، 1989، ص3 - 78)

فبلغت قيمة الارتباط (83%) وهي قيمة ثبات عالية اذا ما قورنت بقيم الثبات للمقاييس الأخرى (الغريب، 1977، ص659)

٢- أسلوب إعادة الاختبار:

يعد هذا الأسلوب من أكثر الأساليب استعمالاً في حساب الثبات (Anastasi, 1971, p.116) ولتحقيق ذلك قام الباحث وبعد مرور أسبوعين على تطبيق (عينة التحليل الاحصائي) بإعادة التطبيق لمقياس مرة أخرى على عينة بلغ عددها (١٥) مرشد ومرشدة العاملين ضمن مدارس كربلاء المقدسة. ثم حسب معامل ارتباط (بيرسون) بين درجات العينة في التطبيق الأول وبين درجاتهم في التطبيق الثاني فبلغت قيمة الارتباط (81.5%).

التطبيق النهائي:

قام الباحث بتطبيق المقياس على عينة بلغت (50) مرشد ومرشدة فقط وذلك لصغر حجم مجتمع البحث البالغ (189) مرشداً ومرشدة كان منها (32) مرشداً و (18) مرشدة.

الوسائل الإحصائية:

ثم استخدام الوسائل الإحصائية الآتية لغرض معالجة البيانات احصائياً لتحقيق اهداف البحث.

- الاختبار التائي T - test لفئتين مستقلتين.
- معامل ارتباط بيرسون Person Correlation coefficient
- معامل سبيرمان - براون Spearman - Brown Formulas
- الاختبار التائي لبعده واحد T- test one sample case
- معادلة الفاكروبناخ للإنسان الداخلي Cronbach Alpha
- تحليل التباين التائي Tow-way Variance analysis

الفصل الرابع: النتائج وتفسيرها

عرض النتائج وتفسيرها:

سوف يتم في هذا الفصل عرض النتائج وتفسيرها وفقاً لأهداف البحث في الفصل الأول. بعد إن تم بناء أداة البحث (المقياس) تم تطبيقها على عينة بلغت (50) مرشداً ومرشدة. ظهرت النتائج التالية:

الهدف الأول:

تعرف مستوى معنى الحياة في الوجود البشري لدى العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي.

ولتحقيق هذا الهدف قام الباحث باستعمال الحاسب الالى

- أ- حساب المتوسط الحسابي للدرجات الكلية على مقياس مفهوم معنى الحياة المكون من (20) فقرة ولجميع افراد العينة الحالية البالغ (50) مرشداً ومرشدة ويبلغ (75.63) وانحراف معياري (26.10).
- ب- حساب المتوسط النظري لمقياس مفهوم معنى الحياة فبلغ (60) بانحراف معياري بلغ (صفر) (الغريب، 1977، ص50).
- ت- ولغرض إيجاد دلالة الفرق احصائياً تم استعمال الاختبار التائي T- test لعينة واحدة (فركسون، 1991، ص202 وجدول رقم (3)) يوضح ذلك

جدول (3)

عدد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط النظري	القيمة التائية		مستوى الدلالة	الدلالة
				الجدولية	المحسوبة		
50	75.63	27.10	60	15.61	1.96	0.05	دالة

يتبين من خلال الجدول رقم (3) ومن خلال مقارنة المتوسط الحسابي لدرجات العينة على فقرات معنى الحياة والبالغ (75.63) بانحراف معياري (27.10) إن المتوسط الحسابي أعلى من المتوسط النظري البالغ (60) وإن الفرق دال إذ بلغت اليه القيمة التائية المحسوبة (15.61) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية (1.96) عند مستوى 5% وهذا يعني ان عينة البحث الحالي تتمتع بالشعور العالي بمعنى الحياة وهذه النتيجة مؤشر إيجابي يدعو الى التفاؤل والاطمئنان على سلامة شخصية المرشد والمرشدة.

الهدف الثاني:

تعرف مستوى معنى الحياة في الوجود البشري وفقاً لمتغير الجنس (ذكور - اناث) ولغرض تحقيق ذلك تم استعمال الاختبار التائي T- test لعينتين مستقلتين والجدول رقم (4) يوضح ذلك

جدول (4)

الجنس	عدد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة الجدولية		مستوى الدلالة	الدلالة
				الجدولية	المحسوبة		
ذكور	65	76.31	26.6	15.41	1.46	0.05	دالة
اناث	25	74.32	27.46				

يتبين من الجدول أعلاه ان المتوسط الحسابي للذكور والبالغ (76.31) بانحراف معياري (26.6) هو اعلى من المتوسط الحسابي للإناث والبالغ (74.32) بانحراف معياري (27.76) كما بلغت القيمة التائية

معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشدين العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي المحسوبة (15.41) وعند مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (1.96) ظهر انها دالة عند مستوى (0.05) وهذا يعني ان الذكور يتمتعون بمستوى اعلى من الاناث في معنى الحياة والباحث يفسر هذا الفرق لصالح الذكور بأنه نتيجة طبيعية لما يتمتع به الرجل في المجتمع العراقي من حرية في اشباع حاجاته ولما تتعرض له المرأة العراقية من كبت وكبح لحاجاتها وحرمتها بفعل التقاليد والعادات الاجتماعية. إذ من واجبهما زرع المعنى في نفوس المسترشدين، وهذا يدل على قوة الشخصية العراقية رغم ما يمر بها من ظروف صعبة في الوقت الحاضر.

الاستنتاجات:

١. أن (المرشد والمرشدة) العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي في مدارس كربلاء المقدسة يتمتعون بمستوى عالٍ من معنى الحياة في الوجود البشري.
٢. توجد فروق دالة احصائياً لمستوى معنى الحياة في الوجود البشري وفقاً لمتغير الجنس ولصالح الذكور.

التوصيات:

١. الاهتمام بالبحوث التي تجري على (المرشد والمرشدة) العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي والاعتماد بتوصيات تلك البحوث كمنطلقات أساسية الى قرارات تكفل تطوير شخصياتهم والتعرف على مشكلاتهم وحلها.
٢. إقامة دورات تطويرية (للمرشد والمرشدة) لتطوير مهاراتهم في التعامل مع الآخرين بالأسلوب العلمي ليكونوا على دراية كافية بكيفية عدم التأثير بما يواجهونه من مشكلات قد تنشأ على شخصياتهم وتسبب لهم فقدان المعنى لحياتهم مستقبلاً.
٣. ويوصي الباحث وزارة التربية الاهتمام (بالمُرشد والمرشدة) من خلال الوقوف على معوقات عملهم وتجنّبهم الوقوع في مشكلات مهنية واجتماعية مستقبلاً.

المقترحات:

١. اجراء دراسات أخرى تهدف الى إيجاد العلاقة بين معنى الحياة ومتغيرات أخرى نفسية.
٢. اجراء دراسات أخرى تناول متغيرات أخرى في شخصية المرشد والمرشدة العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي.

المصادر

المصادر العربية:

١. القرآن الكريم.
٢. زيعور، علي (1984)، مذاهب علم النفس، دار الاندلس، بيروت، ط ٥.
٣. الشمري، أحمد علي ذياب (2002)، الإرهاب لدى فاقددي الوالدين في دور الدولة واقراهم من غير فاقددي الوالدين في مدينة بغداد كلية التربية، الجامعة المستنصرية، (رسالة ماجستير غير منشورة).

٤. باترسون سي-هـ 1990 نظريات الارشاد والعلاج النفسي، ترجمة حامد عبد العزيز الفقي، ط ١، دار العلم للنشر، الكويت.
٥. النواب، ناجي محمود (1998) الأسس النظرية والمنهجية للعلاج النصي الوجودي، مجلة علوم تربية نفسية، العدد 2.
٦. عبد الرحمن، سعد جلال 1983 القياس النفسي، مكتبة الفلاح، بيروت.
٧. ثورندايك، روبرت، والزايث هيجن (1989) القياس والتقويم في علم النفس والتربية، ترجمة عبد الله الكيلاني، وعبد الرحمن عدس، مركز الكتب الأردني.
٨. فرج، صفوت (1980) القياس النفسي، دار الفكر العربي، القاهرة.
٩. الغريب، رمزية (1977) التقويم والقياس النفسي والتربوي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
١٠. فركوس، جورج (1991) التحليل الاحصائي في التربية وعلم النفس، ترجمة هذا العكيلي، وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، بغداد.
١١. فرانكل، فكتور (1982) الانسان يبحث عن المعنى، ترجمة د. طلعت المصري، القاهرة.
١٢. الهابط، محمد السيد 1978 دعائم الصحة النفسية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
١٣. الشرفاوي، مصطفى خليل 1983 علم الصحة النفسية، دار النهضة العربية، بيروت.
١٤. الكبيسي، وهيب مجيد 1987 طرق البحث في العلوم السلوكية، ج ٢، مطبعة التعليم العالي.
١٥. ماكوري، جون (1982) الوجودية، ترجمة: امام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

المصادر الاجنبية:

1. Shantall (1982) relationship of spirituality to cognitive and moral development and purpose in lice. An exploratory in vestigation counseling and values.
2. Lebon (2001) Existential psychotherapy
3. Frank L. V.E. (1964). Man's search for meaning: An Introduction to Logotherapy. London: Hodder and Stoughton.
4. Frank L. V. (1969) The will to meaning: Foundation and applications of Logotherapy. New York Penguin In: wons (1999). Living with Dignity and Palliative counseling.
5. Frank L. V. E (1986) The Doctor and the Souli from Psychotherapyt. logotherapy. New York: Vintage Books.
6. Crumbangh, J. C, and Maholick, L.T. (1969) A experimental stady in existentialism: The psychometric approach to Frankl's concep of noogennic neurosis Journal of clinical Psychology 20, 200, 207.
7. Crumbangh, J. C, and Maholich, L.T (1969). Manual of Instruction for the Purpose in life test. Muster. Psyehometric Affiliates.
8. Allen M. J. and Yen, W. N. 1979, Measurement theory. California.

- معنى الحياة في الوجود البشري لدى المرشدين والمرشحات العاملين في مجال الارشاد النفسي والتوجيه التربوي
9. Diener, E. D. and Fujita, F(1992) Extraversion and subjective well – being in U.S, National sample U.S.A.
 10. Ellis (1980) the principle and Paractice crational comotive Theroapy, London. studies.
 11. Nunnally, J. C (1978) Psychometric theory Ms Graw Hill, New York.
 12. Ryff, C. D. (1989) Happiness is every thing is it exploration on the meaing of psychochological well being Journal of personality and social psychology vol. 57.
 13. Park, James (2001) our Existential Perdicament, Lone lines. Depression, Anxiety and Death.
 14. Reker, G.T. (2000). Theoretical perspective, dimsmensions, and measurement of existential meaning. In G. T. Reker and K. chamberlain (Eds), Explorins existential meaning: Optimizing human development a cress the life span (pp. 39 – 55) Thousand Oaks, (A: sage).
 15. Lebon, T (2001): Existential Psychotherapy, <http://www.members.com>.

الملاحق

مقياس معنى الحياة بصيغته النهائية:

لا تنطبق	تنطبق على				الفقرات	ت
	قليلاً	بدرجة متوسطة	كثيراً	كثيراً جداً		
					أجد صعوبة في التعامل مع المسترشدين	١
					أكره عملي لكثرة سماعي لمشاكل المسترشدين	٢
					تلموني إدارة المدرسة على التقاعس في عملي	٣
					اشعر بالفخر عندما انجح في حل مشكلة للمسترشد	٤
					اعتقد ان مهنة الارشاد مملة	٥
					حصلت على احترام وتقدير المسؤولين	٦
					اشعر بالثقة بالنفس عندما أتعامل مع المسترشدين	٧

					٨ اشعر ان شخصيتي مقبولة من قبل المسترشدين
					٩ اشعر بالفخر لانتمائي لعائلي
					١٠ اعتقد أن حياتي العائلية مهددة بالانهيار
					١١ أتمنى لو كنت في عائلة أخرى
					١٢ افكر بالانتحار للخلاص من حياتي
					١٣ اجد صعوبة في كسب الأصدقاء
					١٤ اشعر بالانسجام مع قيم مجتمعي
					١٥ اشعر ان أصدقائي يحبوني
					١٦ أتمنى لو اعود طفلاً
					١٧ اشعر بالسعادة مع عائلي
					١٨ اشعر ان عائلي متعاونة معي
					١٩ اشعر ان الحياة ممتعة
					٢٠ اعتقد ان للناس وجهين

أسماء الخبراء والمحكمين:

ت	الاسم	مكان العمل
١	أ. م. د. أحمد عبد الحسين الازيرجاوي	جامعة كربلاء - كلية التربية
٢	م. د. إيمان نعمة كاظم	الكلية التربوية المفتوحة - كربلاء
٣	أ. م. د. أزهار محمود الربيعي	الجامعة المستنصرية - كلية التربية
٤	أ. م. د. زينب عبد الكاظم غانم	معهد المعلمات - بغداد

م. د. مسلم كاظم العيساوي	الكلية التربوية المفتوحة – كربلاء	٥
--------------------------	-----------------------------------	---

علويوا الاناضول (تاريخهم و عقائدهم)

Alawites of Anatolea (Their history and Ideologies)

Dr. Mahdi Jamali Far

Dr. Mehri Idreesi

د. مهدي جمالي فر^(١)

د. مهري ادريسي^(٢)

الملخص

تعدّ الطائفة العلوية - البكتاشية احدى أهم الطوائف العقائدية في تركيا. وقد قدرت بعض الاحصائيات اعداد هذه الطائفة بـ ١٥ مليون نسمة^(*)، لهذا عدت من الاقليات الكبيرة، إذا ما وضعت في مواجهة الطائفة السننية الغالبة في تركيا. و لأرتباط هذه الطائفة بالتشيع بوصفها علوية الجذور فقد أثارت جدلا لدى الباحثين تمخض عنه تساؤلات عدة لعل أهمها، ماهية جذورها التاريخية؟ و ما هي أهم التحولات التاريخية التي رافقت نشأتها و تطورها، و ما هي مراحل تكوينها العقائدي؟

المقدمة

تطلق تسمية العلوي بصورة عامة نسبة الى علي بن ابي طالب عليه السلام و على كل من ناصرته و آمن بخلافته بوصفه وصيا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغض النظر عن ما إذا كان عاصر الامام علي أم لم يعاصره.

١ - طالب دكتوراة جامعة بيام نور/ ايران.

٢ - عضو الهيئة العلمية/ جامعة بيام نور/ إيران.

(*) الظروف الوطنية و المذهبية في تركيا ادت الى التعمد على الابهال حول نسمة الحقيقية للعلويين، فهناك اختلاف شاسع حول الاحصاء الذي يتم اعلانه من الحكومة التركية و ما يعلنه العلويون لأنفسهم. فقد اعلن العلويون في عام ١٩٨٩م أنهم ٢٠ مليون نسمة لكن قد اعلن بعض المحققين أن هذه النسمة لا تتجاوز ٥ ملايين. لكن حسب بعض الشواهد الموجودة و بعيدا عن الافراط و التفریط بإمكاننا أن نقول يعيش اليوم أكثر من ١٥ مليون علوي في تركيا.

(Yaman, ali, Alevilik Bektaşilik nedir? In: www.Alevibektaşli.org)

لمزيد من التفاصيل حول الاحصائيات المختلفة حول العلويون راجع:

tüzüm, İlyas, Günümüz Aleviliği, İstanbul, Tü rkiyede diyanet vakfi, 2000, s 20

فالإيمان بإمامته تضع المسلم في خانة التشيع و من شايع بالمبايعة له. لكن من قرن التاسع العشر و حتى الان استعمل محققوا الترك و الغربيين للمجمعات الدينية - العرفانية في أناضول و منطقة البلقان. و في البداية الامر كان يطلق عليهم قزلباش، تخته جي، ايشيق، ابدال، تورلاق، حروفي و في مفهوم اعم قلندري و بكتاشي. و استعمال عنوان العلويون يعني أنهم يغالون بالنسبة للإمام علي عليه السلام. و اليوم لفظ العلوي في تركيا، يُطلق على أقلية خاصة، ولهذه الطائفة في الثقافة التركية أسماء مختلفة، من أهمها (البكتاشية) وهم أتباع طريقة الحاج بكتاش ولي الخراساني.^(٣)

شكلت الهجرات التي انطلقت من ايران و آسيا الوسطى بعد الاجتياح المغولي لهذه المناطق تيارين مختلفين في المنطقة فمنهم من فضل العيش في المدن و منهم من واصل حياته القبلية البدوية في التنقل و الرحال بين الصحاري و الارياف، الأمر الذي أدى الى أختلاف الاجواء السياسية و العقائدية بين الريف و المدينة و مما ساعد على استفحال أمر الطريقة الصوفية البكتاشية أهمل الحكام (سلاجقة الروم) لحقوق البدويين في الدولة.^(٤)

أما زعماء و قادة العشائر الذين لبسوا اهاب البايوات في آسيا الصغرى، في الحقيقة هم استمراراً للطريقة الشامانية في آسيا الوسطى التي كانت تجب العشائر طاعتهم. و ما "الحركة البابتية"^(٥) إلا هتضة احتجاجية ضد الظلم و الجور حيث تأسست بقيادة احد هؤلاء البايوات في القرن السابع، الذي كان يسعى الى انهاء الظلم على البدو الرخل المهاجرين الى الأناضول. و بعد فشلها، إلتف بقايا هذه الحركة حول الحاج بكتاش ولي (أحد خلفاء قائد الحركة البابتية) و من هنا تأسست "الطريقة البكتاشية"^(٦). إنقسم أتباع هذه الطريقة الى قسمين: البكتاشية القروية، و البكتاشية المدنية. وعندما بدأت الدعوة الصوفية في الأناضول إنضم البكتاشيون القرويون اليهم، و كانوا من معارضي الحكومة، ويسمون بـ "القزلباش". و لم يكن هناك تعريف دقيق للقزلباش. ففي الوثائق العثمانية كانوا يسمون بـ: الزنديق، و الرافضي، و الشيعي، و الملحد، إلا أنهم اشتهروا فيما بعد بـ"العلويين". لكن بقي القزلباش اسماً تأريخياً لهم و يعني ذوي الرؤوس الحمراء لأنهم كانوا يرتدون قبعات حمراء ذات اثني عشر شقة. و بما أن القزلباش في الوثائق العثمانية كانت تعني المرتد و المتمرد، فان قزلباش استبدلت بالعلويين و صاروا جزءاً من الجماعات

٣ - Kutlu, Sönmez, Aleviliğin Dinî Statüsü: Din, Mezhep, Tarikat, Heterodoksi, Ortodoksi veya Metadoksi. İslâmiyât, C. VI, S, 2003, 3: 32.

٤ - Ethem ruhi fiğlali, Türkiyede Alevilik ve Bektaşilik, İstanbul, selçuk yayinlari, 4-BA SKI, 1996, s118.

٥ - الحركة البابتية: اسم حركة دينية - اجتماعية تركمانية في آسيا الصغرى قامت على غياث الدين كيكسرو السلجوقي في القرن السابع الهجري. لمزيد من المعلومات راجع: ابن بي بي، تاريخ سلاجقه ي روم، به اهتمام دكتور محمد جواد مشكور، انتشارات تيريز، الطبعة الاولى، ١٣٥٠ هجري شمسي، ص229، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه اب انطوان صالحاني اليسوعي، بيروت، المطبعة الكاتوليكية، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م، ص251، الشبي، كامل مصطفى، الفكر الشيعي و النزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، بار الانلس، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣٣٢

Ethem ruhi fiğlali, op.cil.p.9. - ٦

الملحدة في تركيا.^(٧) وبسبب الفروق الموجودة بين البكتاشية القروية والمدنية، فقد سماها البكتاشية القروية بـ"العلويين" و بكتاشية المدنية بـ"البكتاشية".^(٨) أما اليوم فان كلمتي "العلوية - البكتاشية" تُستخدم معا في تركيا، وقد تُطلق تسامحاً على جميع (العلويين والبكتاشيين) بكلمة العلويين.

الحاج بكتاش ولي

صوفي معروف بإسم الحاج بكتاش ولي و هو الزعيم المشترك للبكتاشية و العلويين (القرلباش) و يعتقد ألوان جلبي، حفيد بابا الياس (و هو من زعماء الحركة البابائية)، إن الحاج بكتاش كان احد مريدي جده بابا الياس.^(٩) أيد هذا الرأي المؤرخ العثماني عاشق باشازاده (مؤرخ القرن التاسع الهجري) في كتاب (تواريخ آل عثمان)^(١٠) و الافلاكي مؤرخ القرن الثامن في (مناقب العارفين) حيث وصفه بالخليفة الخاص للبابا رسول الذي ظهر في ملك الروم و سماه البعض بابا رسول الله.^(١١)

وُلِد الحاج بكتاش في نيسابور. والده ابراهيم الثاني، واهه "حاتم" بنت الشيخ احمد، من علماء نيسابور. اسمه محمد ولقبه البكتاش (بمعنى: المساوي، النظير، العزيز).^(١٢) ويذكر عاشق باشازاده أن مولده كان في خراسان، و جاء من خراسان الى سيواس، وبعد استشهاد اخيه منتش (الذي كان في الحركة البابائية) انتقل الى آماسيه وقير شهر^(١٣). وقد تكررت عبارة "جاء من خراسان" في اغلب كتب التاريخ والسير القديمة، وهي تدل على الهجرة. ففي نهاية القرن ١١م / ٥ هـ بدأت هجرة القبائل التركمانية الى الأناضول. و اشتدت هذه الهجرة في القرن ١٢م / ٦ هـ ولاسيما في ١٣م / ٧ هـ هربا من هجوم المغول. وكانت تبدأ عادة من آسيا الوسطى، من خلال خراسان و سواحل بحر قزوين، وتستمر الى آذربايجان الايرانية. و اتخذ هذا الطريق للابتعاد من صحاري ايران. ولعل الحاج بكتاش ولي كان يبحث عن ملجأ مع الخوارزم شاهيان المهزومة فحاء الى الأناضول.^(١٤)

Irene Melikoff, Bektashi/ kizilbash, Historical Bipartition and Its consequence, in: Tord olsson, - ٧ Elisabeth ozdalg, cathrina Raudvere (eds) alevi Identity, (istanbul: Swedish Research institute, 1998), p.2.

Ethem ruhi figlali, op.cil.p.9. - ٨

DR Mertol tulum, "Menakibul-kudsiyye üzerinde Bir Deneme", Istanbul, Deniz kitabevi, - ٩ 2000, s. 352.

Irene Melikoff, op.cil.p.2. - ١٠

١١ - افلاكي، احمد، مناقب العارفين، تصحيح وحواشي، تحسين يازنجي، ج ١، دنياي كتاب، طهران، ١٣٦٢، ص ٣٨١. الشبيبي، كامل مصطفى، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، نار الانلس، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٢م ص ٣٣٧.

Ethem ruhi figlali, op.cil.p.137. - ١٢

١٣ - سبحاني، توفيق، انصاري، قاسم، حاجي بكتاش ولي و بكتاشيه، نشره دانشكدهي ادبيات وعلوم انساني، دانشگاه تبريز، سنة ٢٨، العدد المسلسل ١٢٠، الشتاء ١٣٥٦ هجري شمسي، ص ٥٠٨.

Irene Melikoff, op.cil.p.2. - ١٤

ويظهر من مخطوطات البكتاشية، وكتاب "ولاية نامه"^(١٥) ومن القصائد البكتاشية، أن الحاج بكتاش كان هاشمياً.^(١٦) و هو «الحاج بكتاش بن ابراهيم الثاني بن موسى بن اسحاق بن محمد بن ابراهيم بن حسن بن ابراهيم بن مهدي بن محمد الثاني بن حسن بن ابراهيم المكرم المحاب بن الامام موسى الكاظم عليه السلام». ^(١٧) كما ذكر له نسب آخر و هو: «الحاج بكتاش بن محمد الخراساني بن السيد علي الهادي الخراساني النيسابوري بن جعفر الطيار بن ابراهيم الثاني بن موسى الثاني بن ابراهيم المكرم المحاب بن الامام موسى الكاظم عليه السلام» ^(١٨) ولكن مثل هذا الانتساب نظرا بالفاصلة الزمنية بين الحاج بكتاش والامام الكاظم عليه السلام غير صحيحا.

وهناك تناقضات كثيرة في كتب ولاية نامه المكتوبة بيد مريدي الحاج بكتاش. فعلى سبيل المثال: في (ولاية نامه) الذي كتبه حاجيم سلطان ذكر أن الحاج بكتاش هو خليفة احمد يسوي. بينما تذكر النسخة المطبوعة من (ولاية نامه حاجي بكتاش) وايضا الجزء الخامس من «كنه الأخبار» أن الحاج بكتاش كان مريد الشيخ لقمان برنده. ويوصلون نسب الشيخ لقمان الى الخواجه احمد يسوي، وفي بعض الروايات الضعيفة يوصلونه الى محمد الحنفية بن الامام علي عليه السلام. ^(١٩)

وعلى أن وفاة احمد يسوي كانت في عام ١١٥٠م/٦٠٥-٥٤٥ هـ فاعتباره معلماً للحاج بكتاش غير صحيح، لكن اتفقت المصادر على أنه تعلم من اجاق يسوي وكان لقمان برنده واسطة هذه التعليم. ^(٢٠) و شارك الحاج بكتاش في الحركة البابائية ضد سلاجقة الروم، لكنه لم يشترك في المرحلة الأخيرة من الحركة المذكورة التي ادت الى مذبحه كبيرة وواسعة في سهل مالايا. ^(٢١)

ظهر الحاج بكتاش بعد سنوات من الاختفاء في قرية "كارايول" أو "صولوجا كارا اويوك". وكانت قبيلة آغوز الصينية تسكن هناك آنذاك. ورغم انه لم ينتمي الى هذه القبيلة لكن احتضنه احدى العوائل السبع في تلك القرية، اي "كادينجيك آنا" وزوجها "ادريس". ^(٢٢) وباعتقاد عاشق باشازاده لم يكن طريقة لحاج بكتاش في زمن حياته، وما نُسب اليه هو بعد مماته و هو من صنع امرأة تُدعى (كادينجيك آنا). وهي - حسب المؤرخين- ربيبة الحاج بكتاش، و على نقل

١٥ - مؤلف هذا الكتاب مجهول و قد تم تأليفه بعد مرور مائة عام على وفاة الحاج بكتاش. "مناقب نامه" و "ولاية نامه" عنوانان لكتب يذكر فيه كرامات و حرق عادات للعرفاء كبار المتصوفة. و قد كتب في اناضول كتب عديدة باسم "ولاية نامه" في ترجمة الشيوخ و اوليائهم.

١٦ - صبحي الانطاكى، بسيم، علويوا الاناضول، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣م، ص ٩.

١٧ - المصدر نفسه، و الصفحة نفسها.

١٨ - المصدر نفسه، و الصفحة نفسها.

١٩ - كوبرلي، فؤاد، ريشه هاي افسانه هاي مربوط به حاجي بكتاش ولي بنيانكذار طريقت بكتاشيه، ترجمة محمد تقي امامي، كستره تاريخ وادبيات ايران، طهران، ١٣٦٤ هجري شمسي، ص ١٢٨.

Ethem ruhi figlali, op.cil.p.14 - ٢٠

Irene Melikoff, op.cil.p.2. - ٢١

Ibid, op.cil.p.2 - ٢٢

كتب (ولاية نامه) انها زوجته المعنوية. وقد اسست كادينجيك آنا هذه الطريقة بمساعدة مريدها ابدال موسى. (٢٣)

اما عن تاريخ وفاة الحاج بكتاش، نظرا بأن الكاتب أفلاكي كسائر المؤرخين كان يذكر تاريخ الوفاة، فان وفاته قبل سنة ١٣١٨م/٧١٨هـ و هي السنة الاولى من تأليف الكتاب. و بذلك يظهر أن سنة ١٣٣٧م/٧٣٨هـ التي نقلت كتاريخ وفاة حاج بكتاش انما هو تاريخ موضوع للحروفية لكي يساوي كلمة "بكتاشية" على حساب الجمل. (٢٤)

وعلى ما نُقل في إحدى نسخ (ولاية نامه) المحفوظة في مكتبة خلق في مدينة لحاج بكتاش، ان الحاج بكتاش عاش ٦٣ عاماً، وكانت ولادته في سنة ١٢٠٩م/٦٠٦هـ ووفاته في سنة ١٢٧١م/٦٦٩هـ. (٢٥) وهناك شواهد اخرى تنسجم مع هذه التواريخ، فان التواريخ المذكورة الأخيرة هي أصح من غيرها.

و الكرامات المذكورة لحاج بكتاش حول علاقته مع اول سلطان عثماني، و كمرشد و عون في ايجاد فكرة "بني حري" [الجيش الجديد/ الانكشارية]، كلها من موضوعات القرن ١٥م - ٩هـ وليس لها أية حقيقة تاريخية. والرواية التي تحكي أنه قد تنبأ وبشّر باستيلاء العثمانيين على السلطة، وانه الذي قلّد السيف لعثمان غازي وقام بتتويجه، كلها وضعت في اواسط القرن التاسع الهجري عندما حظيت البكتاشية بالقوة في الامبراطورية. (٢٦)

احتوت طريقة الحاج بكتاش في البداية على شعائر بسيطة كإشعال الشموع في المراسيم، ووجبة دينية، ومجلس سماع، وحلق الرأس، ولبس قبة (الفي)، والتكبير في مراسيم استقبال المنتمين الجدد. ولكن هذه الشعائر تطورت في القرون التالية لتتسع وتنسجم بشكل أكبر. (٢٧) ويعتقد الحاج بكتاش أن الخوف لا يقود الانسان الى الله تعالى، و العشق هو طريق الوصول دون غيره. (٢٨) وقد ذُكرت المراتب العرفانية في

٢٣ - Ibid, op.cil.p.2.

٢٤ - سبحاني، توفيق، انصاري، قاسم، المصر السابق، ص ٥٠٩.

٢٥ - birage, The Bektashi order of dervishes, London, Luzac, 1937.p. 41. J.King
ومن وفاته و بعض وقائع حياة الحاج بكتاش و حتي تاريخ و عقائد البكتاشية خطأ خاصة في اللغة العربية. و على سبيل المثال سجل سليمان المدني في كتابه "موسوعة الصوفية" ولادته في سنة ٦٤٦هـ هذا يعني أنه كان معاصرا لسلطان اورخاني عثماني. (سليمان المدني، الموسوعة الصوفية، الحكمة - دمشق، الطبعة الاولى، ١٤٢٨ ق، ص٥٦) او احمد سرى بابا الذي كان من الباباوات البكتاشية في مصر سجل هذا التاريخ في ٦٤٥ ق و وفاته في عام ٧٣٨ق. و ذكر أنه كان معاصرا لسلطان اورخان العثماني و أنه كان حاضرا في تاسيس بني حري(الانكشارية) وهو الذي انتخب هذا الاسم.(احمد سرى بابا، الرسالة الاحمدية في تاريخ طريقة العلية البكتاشية بمصر المحروسه، مطبعة الشرق، ١٩٣٩م، ص ٦ و ٩.)

٢٦ - سبحاني، توفيق، انصاري، قاسم، المصر السابق، ص ٥٠٩، محمد عبدالعال، بديعة، الفكر الباطني في الاناضول الامام علي في معتقد البكتاشية - نموذجاً، البارثلقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠١٠م، ص ٣١.

٢٧ - لاجوردي، فاطمه، بكتاشيه، دايرة المعارف بزرک اسلامي، ج ١٢، ص ٣٩٧.

٢٨ - صبحي الانطاكي، بسيم، المصدر السابق، ص ١١.

كتاب المقالات (المنسوب للحاج بكتاش) تحت عنوان "الابواب الاربعة" وكل باب يتكون من عشرة مقامات، حيث يكون الجميع اربعين مقاما، ويعدّ هذا من عقائد التصوف الاسلامي. (٢٩)

إن الجمع بين مختلف الاقوال حول الحاج بكتاش عسير جدا، حيث تصطف الحقائق التاريخية في جهة، وتقف الاساطير المختلفة عنها في جهة أخرى. ولكن المهم أنّ افكاره كانت قائمة على المداراة و التسامح، وانه يدعو الى الاسلام في إطار العرف وآداب وتقاليده الأتراك. (٣٠)

هل تزوج الحاج بكتاش ولى في حياته ام لا؟ هذا هو موضوع نقاش يختلف فيه البكتاشيون بعد موته. فيرى البعض انه تزوج من فاطمة نورية، بنت خواجه ادريس وكادينجيك أنا، ورزق منها ولدا. (٣١) و يعتقد أن سيد علي سلطان (خضر لاله أو تيمورتاش) هو ابن الحاج بكتاش، و قد خلفه بعد وفاته، و قد خلف نفسه إبنه رسول بالي ومرسل بالي. و حسب روايات التاريخ العثماني إنّ تكية حاج بكتاش ولي اتبعت بعدهما خليفتي بالي جلبي (باليم سلطان) وقلندر جلبي. ولهذا سميت خلفاء الطائفة العلوية - البكتاشية التي تنتمي بالحاج بكتاش نسبا بإسم (جلبي). (٣٢)

كما يعتقد البعض أن الحاج بكتاش لم يتزوج، وأنّ الخواجه ادريس رُزق بالأولاد من اكادينجيك أنا، وسيد علي سلطان (خضر لاله) هو واحد منهم، وهو ليس من صلب حاج بكتاش، بل يعدّ ابنه المعنوي. وأنّ الحاج بكتاش توفي دون أن يكون له ولد. هذا الفريق يُدعى بـ "البابالر". (٣٣)

وعلى أي حال كان سيد علي سلطان (١٤٠٢ - ١٣١٠م / ٨٠٥ - ٧١٠هـ) أول خليفة لحاج بكتاش، و عاش في عهد اورخان بيك العثماني (ابن عثمان بيك ومؤسس الدولة العثمانية)، و كان مع سليمان باشا بن اورخان والحيش العثماني في دخولهم الى الروملي من الأناضول، و اسس تكية (أحد المعابد عند الصوفية) في ديمه توكا (في أقصى شمال غرب اليونان). وقد توفي هناك ومرقده اليوم هو مزار للبكتاشية والعلوية. (٣٤) وبعد وفاة سيد علي سلطان تولى إبنه رسول بالي ومرسل بالي الاشراف على تكايا "ديمه توكا" و"صولوجا كارا ايوك". وبعد وفاة مرسل بالي، استخلفه بالي جلبي (باليم سلطان) الذي يعرف بـ (بير ثاني) او الشيخ الثاني (مجدد الطريقة البكتاشية) وذلك في عهد حكم بايزيد الثاني العثماني. (٣٥)

واختلفت الروايات البكتاشية حول باليم سلطان كثيرا. وحسب ما كتب على قبره هو ابن رسول بالي. إلا أنّ رسول بالي توفي عام ١٤٤١م / ٨٤٥هـ بينما كان ميلاد باليم سلطان حسب ما نُقل في

Yaman, Mehmet, Alevilik İnanç Edeb Erkân, 4. b, İstanbul: yb,1995, S. 236. - ٢٩

Ayhan aydın, Akademisyenlerle alevilik bektâşilik söyleşileri, İstanbul, horasan - ٣٠ yayınları,1.baskı,2006,s 126

Şener, Alevilik olayı (Toplumsal Bir Baskaldirinin kısa Tarihiçesi), İstanbul, kurtiş Cemal - ٣١ matbaasi, 4- Baskı, 1989, s 106.

Ethem ruhi fiğlali, op.cil.p.194. - ٣٢

Şener, op.cil.p.106. Cemal - ٣٣

٣٤ - صبحي الانطاكي، بسيم، المصدر السابق، ص ١٣.

٣٥ - المصدر نفسه، ص ١٤.

١٤٧٨م / ٨٨٣هـ. إذن فان هذا الإنتساب خاطئ تاريخياً.^(٣٦) ويُحتمل أنه كان ابن مرسل بالي، الذي استخلفه بعد وفاته. وتبدأ الدورة الثانية للبكتاشية مع باليم سلطان. إن هذه الشخصية المهمة، الذي تعده البكتاشية المؤسس الثاني لطريقتهم، قام بإدخال بعض الابداعات في تقاليد وشعائر هذه الطريقة، وأضفى على النظام الداخلي للخانقاهات تنظيمات كثيرة.^(٣٧) و كما فصل الجماعات المشتبهة بالطريقة الذين ظهروا في إهاب الطوائف الدينية حول القرى والارياف، و جعلهم حلقات درويشية مجردة. و كان هؤلاء يعيشون في الخانقاهات عُزَّابًا، وكانوا يعلّقون الحلقات الحديدية في آذانهم اشارة الى عزوفهم عن الزواج.^(٣٨) و اضافةً الى العزوبة التي كانت في مقدمة الاصول البكتاشية، ارتداء بالهنك (وهي حجارة كانت تلتصق فوق الحزام في محاذة المعدة) واحترام للائمة الاثنى عشر، و [التثليث] الحق ومحمد وعلي، هي من الشعائر التي وُضعت في عهد باليم سلطان.^(٣٩)

ويبدو أنّ باليم سلطان عزز الاصول الشيعية والحروفية التي دخلت بعد القرن ٩هـ / ١٥ م شيئاً فشيئاً في البكتاشية، في إطار خاص بعيداً عن التأثير من الإعلام المذهبي السياسي الصفوي.^(٤٠) وبسبب عزوبة باليم سلطان استخلفه اخوه قلندر. وقد أثار قلندر احتجاجات كبيرة في وجه الحكومة العثمانية، الى أن هزمه ابراهيم باشا (الصدر الاعظم لسليمان قانوني) في سنة ١٥٢٦م / ٩٣٣هـ وقُتِل في نهاية المطاف.^(٤١) وبعد ذلك وحتى عام ١٥٥١م / ٩٥٨هـ استولت فترة من الحمود على تكية الحاج بكتاش. وفي هذه السنة حضر سرسم علي بابا^(٤٢) في التكية و نشط فرع البكتاشية العُزَّاب. ومنذ هذه الفترة فصاعداً، تم استحداث مقام "دده بابا" و"الاب البكتاشي الاعزب" اضافة الى الجلبيين.^(٤٣) و لكن بقيت الاوقاف بيد الجلي، الا أن أعلى مقام في الطريقة كانت بيد "دده بابا".^(٤٤)

رغم انفصال القزلباش عن البكتاشية، لكن لا يمكن فصلهما اليوم من الناحية التاريخية والاجتماعية و اعتبارهما جماعتين مستقلتين. فعقائد العلويين والبكتاشيين هي واحدة. و لا يوجد اختلاف اساسي في ادبياتهم وعقائدهم، وحتى أنّ أصولهم هي مشتركة أيضاً. إنّ إختلافهم الاساسي هو إختلاف إجتماعي،

٣٦ - Ethem ruhi fiğlali, op.cil.p.196-7.

٣٧ - سبحاني، توفيق، انصاري، قاسم، المصدر السابق، ص ٥١٥.

٣٨ - المصدر نفسه، و الصفحة انفسها. محمد عبدالعال، بدعيه، المصدر السابق، ص ٣٧.

٣٩ - علي أكبر ديانت، باليم سلطان، دائرة المعارف بزرگ اسلامي، ج ١١، ص ٢٦٥.

٤٠ - احمد ياشار احاق، باليم سلطان، دانشنامه ي جهان اسلام، ج ٢، ص ٥٢.

٤١ - Aabdulbak gölpinarli, kizilbaş, Lydenin tabi esas,tutularak, islam Ansiklopeeisi telif, tadir, ikmal ve tercüme süretile, Istanbul, milli eđiti matbasi evi, 1967, cit 6,s 794.

٤٢ - ولادته في اواخر القرن ٩ هـ / ١٥ م، و قد تولى الصدارة (الصدر الاعظم) في حكومة سلطان سليمان قانوني، و لكن تخلى عنها لكي يكون خادماً للتكية (نوع من الخانقاه). و وصل الى "حكيم اكبر" يعني رئيس الطريقة البكتاشية. و كان وفاته في عام ٩٧٧هـ / ١٥١٦م.

(Şevki koca, Bektaşilik ve Bektaşî dergahları, Ankara, cem vakfi yayınları, 2002, s139)

Aabdulbak gölpinarli, op.cil.p.794. - ٤٣

Aabdulbak gölpinarli, op.cil.p.794. - ٤٤

ذلك أن أكثر البكتاشية كانوا يعيشون في المدينة، بينما العلوية كانت تعيش حياة البدوية الرحالة.^(٤٥) ومن هنا فان بعض الباحثين يقبلون العلويين بالبكتاشيين القرويين^(٤٦) فان البكتاشية هي مجموعة منظمة، بينما العلويون الذين يعيشون في القرى غير منظمين الى حد ما. كما أن العلويين تؤمن بخرافات اختلطت فيها الاساطير من الثقافة المحلية.^(٤٧) كما إن الانتماء للطريقة البكتاشية كان مفتوحا للجميع، بينما العلويون مجتمع مغلق ولا يقبلون انتماء غير العلوي اليهم. وبعبارة اخرى ان العلوية وراثية والذي لا يولد علويوا لا يستطيع أن يكون علويوا. اما البكتاشية فهي اكتسابية، والجميع بإمكانهم أن ينتموا الى البكتاشية.^(٤٨)

رغم أن الزواج و الاسرة امرأ مقدساً ومهماً عند القزلباش الاناضوليين، و انهم كانوا يرفضوا تقليد عزوبة باليم سلطان، لكنهم كانوا يُعدّون من الجلبيين، اي أنهم كانوا أتباع أبناء الحاج بكتاش الصليبيين. بينما البكتاشية كانوا يعدّون الفرع المذكور أبناءه المعنويين، وكانوا يعتقدون أنهم من صلب الخواجه ادريس (زوج كادينجيك آنا)^(٤٩)

لقد نجحت الحكومة العثمانية (من عهد السلطان سليم فصاعدا) أن تقسم البكتاشية الى قسمين: القسم الاول البكتاشية المدعومة من قبل الحكومة وكانت نشاطهم مباحة. والقسم الثاني هم القزلباش الذين كانت تلاحقهم الحكومة، وكانت تقتل قياداتهم وأتباعهم، وتنفي أقباءهم وعشائرتهم.^(٥٠) وفي الحقيقة فان الفرق بين العلوية والبكتاشية هو سياسي قبل أن يكون عقائدي. فانضمام البكتاشية البدوية الرحل الأناضوليين الى الدعوة الصفوية ونصرتهم أدى الى انفصالهم عن المجتمع العثماني حيث سميت بـ القزلباش. والوثائق العثمانية اتهمت قزلباش أناضول بنصرة الصفويين وجمع المساعدات المالية والتجسس لهم.^(٥١)

كان هؤلاء يرسلون حلي زوجاتهم لمساعدة الصفوية في ايران.^(٥٢) وكانوا يوالون الصفوية كثيراً، وبما أن الطائفة العلوية التركية هي مجتمع مغلق، وأن زيجاتهم داخلية فيما بينهم، لذلك فهم بقايا القزلباش الذين كانوا في يومٍ ما يوالون الصفوية، وكانوا بسبب هذا الولاء يُرهبون الدولة العثمانية. وهم اليوم يكونون محبة خاصة لشاه اسماعيل، و يقيمون مراسيم التكريم له بين حين وآخر. و كان يقرء اشعار شاه اسماعيل في

Irene melikoff, op.cil.p.5-6 - ٤٥

J. K. birage, op.cil.p.19/ Bedri noyan, "Bektaşılık, Alevilik nedir?" Istanbul, ANT/ CAN, - ٤٦

1995, S.13

Abdülbaki gölpınarlı, op.cil.p.791. - ٤٧

Irene melikoff, op.cil.p.6. - ٤٨

Abdülbaki gölpınarlı, op.cil.p.794. - ٤٩

٥٠ - صبحي الانطليكي، بسيم، المصدر السابق، ص ١٠٧.

Savaş, Saim, XVI ASIRDA ANADOLUDA ALEVİLİK, ANKARA VADİ YAYINLARI, - ٥١

birinci baskı, 2002, s 62.

Savaş, Saim, op.cil.p.62. - ٥٢

الآداب العبادية للعلويين و في عام ٢٠١٣ م و سمّت حكومة اردوغان جسر مضيق بسفر بـ "سلطان سليم" اعترض العلويون اعتراضا شديدا و طلبوا تسميته بـ "شاه اسماعيل".^(٥٣)

تاريخ العلويين من سلطنة بايزيد الثاني الى اليوم

أدى عدم إهتمام الدولة العثمانية بالترکمان المهاجرين الى الأناضول، الى استقطابهم وتنظيم امورهم من قبل الصفوية. و رغم إلحاق الأناضول بالاراضي العثمانية على يد السلطان محمد الفاتح، إلا أنّ أهالي الأناضول ظلوا محرومين من حقوقهم. وكانوا يعيشون حياة شاقة بين الجبال محافظين فيها على عقيدتهم. ولهذا قرر السلطان بايزيد الثاني أن يتسلط عليهم باظهار المحبة لباليم سلطان والتقرب الى البكتاشية و اظهار الودّ لهم.^(٥٤) ولم يتوانى عن مساعدتهم إذ دفع لهم ستة الى سبعة آلاف (آقجه) الى خليفه حسن وابنه شاه قلي، اللدّين كانا من خلفاء الشيخ حيدر والشاه اسماعيل الصفوي في منطقة أنتاليا. ولقد استغل شاه قلي هذه الفرصة و قاد تحضة خطيرة ضد العثمانيين.^(٥٥)

فجر القزلباش في الأناضول تحضات مختلفة ضد العثمانيين، منها تحضات: نور علي خليفة، و جلال في عهد حكومة السلطان سليم، وأيضا الى سوغلون (سلكون) قوجه، شاه ولي، بابا ذوالنون، دموزاوغلان، بينجه بيك، ولي خليفة، قلندر جلي، و... التي حدثت فيما بين ١٥٢٧-١٥٢٩م/ ٩٣٣-٩٣٥هـ وفي اوائل حكومة السلطان سليمان القانوني.^(٥٦)

اندلعت في عهد السلطان سليمان القانوني صراعات عدة بين الصفويين والعثمانيين، وخلال هذه المدة هجم السلطان سليمان الاراضي الايرانية ثلاث مرات.^(٥٧) وفي النهاية جنح الطرفان للسلم، فعقدا بينهما معاهدة الصلح في ٢٩ مايس ١٥٥٥م/ رجب ٩٦٢هـ م في آماسيه دون مواجهة اية عقبة حقيقية. وبعد فترة من هذا الصلح أصدر خضر باشا - وهو من وزراء الدولة العثمانية - حكما بإعدام بير سلطان ابدال (قوجه حيدر) في مدينة سواسية، وهو من أبرز الشعراء البكتاشية، والذي كان يتعنى مجيء الصفويين الى الأناضول واستيلاءهم على الحكم، وقد شارك في تحضات مختلفة، كنهضة ذوالنون و قلندر جلي.^(٥٨) اغضب هذا الاعدام القزلباش في الأناضول، إلا أنه بسبب الأجواء الخائفة الحاكمة فيها، لم

Kasım 2014, 24 bogaz koprusunun adi sah ismail olsun in: <http://www.zaman.com.tr/politika> - ٥٣

Pazartesi.

لمزيد من المعلومات حول مكانة شاه اسماعيل فيما بين العلويين في تركيا راجع:

Arsalanoglu, Ibrahim. "Şah İsmail Hatayı ve Anadolu Hatayileri." Der Yayinlari Istanbul (1992)./
Gündüz, Tufan. Son Kızılbaş: Şah İsmail, Vol, 110, Yeditepe, 2010.

٥٤ - صبحي الانطاكي، بسيم، المصدر السابق، ص ١٠٧.

٥٥ - المصدر نفسه، ص ٦-١٢٥.

٥٦ - للاطلاع على تحضة قزلباش الاناضول راجع: صبحي الانطاكي، بسيم، المصدر السابق، ص ١٢٠ الى ١٤٠.

٥٧ - راجع: روملو، حسن، احسن التواريخ، به سعي و تصحيح چارلس نارمن سيدن، انتشارات كتابخانه صدر، طهران،

بي تا. (سنة ٩٣٠هـ و ما بعد)

٥٨ - امامي، محمد تقى، معرني يك شاعر بزرگ علوي بكتاشي اهل آناطولي، بزوهشنامه ي دانشكده ي ادبيات و علوم انساني

دانشگاه شهيد بهشتي، رقم ١٦-١٥، الربيع و الصيف ١٣٧٣ هجري شمسي، ص ١١٧.

يحدث اي اعتراض. وبعد هذا الصلح المذكور انفصل قزلباش الأناضول عسكرياً، وسياسياً واعتقادياً من إيران، واضطروا بالعيش في أرياف بعيدة، و اضطروا على التقية و الانطواء الداخلي محافظة على عقائدهم و اعرفهم.^(٥٩)

وخلال القرنين الحادى عشر و الثانى عشر الهجرى لم يحدث اي تحرك ملحوظ من قبل قزلباش الأناضول. ويبدو أن توجه الحكومة الصفوية نحو التشيع الفقهي، وضعف الصفويين التدريجي، وتشدد التدابير العثمانية ضد حماة الصفويين، وبالتالي إستيلاء نادر شاه افشار على السلطة في إيران، أدى الى يأس العلويين من الحكومة الايرانية بشكل كامل.^(٦٠)

إنّ اهم حادثة شهدتها الطائفة العلوية التركية في النصف الاول من القرن ١٣ الهجري هي ماسميت بواقعة الخيرية. وذلك في عام ١٨٢٦م/ ١٢٤٢هـ عندما قرر السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٨- ١٨٣٩م/ ١٢٢٣-١٢٥٥هـ)، وضمن اصلاحاته الجديدة، بانحلال فرقة يني جري العسكرية (الانكشارية) التي كانت تتعلق معنوياً بالبيكناشية.^(٦١)

بعد انحلال فرقة يني جري تم منع نشاط الطريقة البيكناشية ايضاً، ذلك لأن الدولة العثمانية كانت تعتقد ان البيكناشين هم الذين ساندوا تمرد فرقة يني جري، حيث امر السلطان محمود الثاني بتخريب جميع التكايا الصغيرة للبيكناشية، ومصادرة اموالهم او اعطائها للفقراء، وتبديل التكايا ذات البنايات المفيدة الى ما يفيد (عباد المسلمين) مثل جوامع، او مساجد محلية، او مكاتب، او مدارس. وهكذا بدأت عملية تخريب تكايا البيكناشية اثر ذلك الامر. وسميت هذه الواقعة في الوثائق التاريخية بواقعة الخيرية.^(٦٢) وكانت هذه الواقعة سببا للتقارب بين العلويين والبيكناشين، و ادى الى امتزاجهما بشكل كبير، و قيل بإتحادهما.^(٦٣)

بعد إلغاء البيكناشية تم تعيين شيوخ النقشبندية على الخانقاهات القديمة للبيكناشية. ولكن البيكناشين اضافوا الطربوش على قبعاتهم، وحصلوا على اجازات من شيوخ النقشبندية، و سلكوا أسهل الطرق للمشيخة في الخانقاهات.^(٦٤)

و نسي قرار الالغاء بعد محمود الثاني بشكل كامل. وقام جمال الدين الحلبي (١٨٢٦-١٩٢٠م/ ١٢٤٩-١٣٣٩هـ) (الذي تدهورت علاقته مع البابوات) بارسال ممثلين الى أبعد مناطق الأناضول،

David zidan, "THE ALEVI OF ANATOLIA", in, www. AleviBektasi.org - ٥٩

٦٠ - في اواخر حكم الشاه اسماعيل وفي نتيجة هجرة بعض العلماء الاصوليين من جبل عامل والبحرين الى ايران ودخولهم للقصر الصفوي، تعزز الاتجاه الفقهي وضعفت التوجهات الصوفية.

٦١ - جي شاو، استانفورد، تاريخ امبراطوري عثماني، ترجمه محمود رمضان زاده، ج ٢، آستان قدس رضوي، مشهد، الطبعة الاولى، ١٣٧٠ هجري شمسي، ص ٢١. للاطلاع على العلاقات الوثيقة بين البيكناشية والانكشارية راجع: عبدالعزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها، ج ١، مطبعة جامعه القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٤٨٠ و٤٨١.

٦٢ - ارول قليچ، محمود، تصوّف در آسياي صغير وبالكان، دانشنامه ي جهان اسلام، زير نظر غلامعلي حداد عادل، ج ٧، بنياد دايرة المعارف اسلامي، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٨٢ هجري شمسي، ص ٤٢٦.

٦٣ - Hülya, küçük, bekaşilik ve aleviliğin sufi ve esoterik boyutu karşıştırmalı kavram analizi, islamiyat, cilt6, say3, (temmuz-eylül 2003), s151.

٦٤ - سبحاني، توفيق، انصاري، قاسم، المصدر السابق، ص ٥٢٣.

لاستقطاب العلويين وتعزيز نفوذه فيهم. وقد أعلن أن اجاق الحاج بكتاش مصدرا واعتبر كل (دده) لا يكون معه منحرفاً.^(٦٥)

واستطاع أن يستقطب تلك المجموعة من ال (دده) الذين لم يعتنوا بالجلبية، وأن يضاعف نفوذه بهذه الطريقة. وفي المرحلة الثانية للمشروطة (١٩٠٨م / ١٣٢٦هـ) عادت حياة جديدة الى البكتاشية، ونشط فرع "باباغان" بعد استقطاب ثقة عبد الحميد الثاني العثماني. وقيمت التكايا مرة اخرى، ودبت الحياة فيهم تحت ظل الملامتية رغم توتر العلاقات مع العثمانيين، وقد قام جمال الدين الجلبي - خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤م) - بجمع الكثير من [العلويين] البكتاشيين، وارساهم الى الحرب متطوعين.^(٦٦) كما أن مصطفى كمال (أتاتورك) - الذي كان بكتاشيا - دعا أهل الطريقة ولا سيما العلويين البكتاشيين للمشاركة في حروب الاستقلال (١٩٢٣ - ١٩١٨م). و طلب منهم المساعدة، فاستجابوا دعوته و وقفوا معه حتى نهاية الحروب، لأنهم كانوا يكرهون السلاطين العثمانيين، و يدعمو تيارات المعارضة للعثمانيين دائما.^(٦٧)

و في نيسان [ابريل] عام ١٩٢٠م و بعد افتتاح البرلمان التركي، صار جمال الدين الجلبي نائباً عن مدينة قير شهر، وارتقى فيه الى منصب نائب رئيس البرلمان. وفي عام ١٩٢١م و بعد وفاته، استخلفه أخوه وليّ الدين الجلبي، واستمر بدعم أتاتورك أيضاً.^(٦٨) وأخيراً وفي عام ١٩٢٢م أعلن مصطفى كمال إلغاء السلطة العثمانية و قام بإعلان الجمهورية. وفي عام ١٩٢٤م إلغيت الخلافة و تم خلع والسلطان عبد الحميد الثاني آخر سلطان عثماني^(٦٩) و سقطت الخلافة العثمانية على يد أتاتورك ما ادى الى ازدياد شعبيته بين العلويين، وأنشد الشعراء القصائد في مدحه، بل ولقّبهُ البعض ب"المهدي" الذي ظهر، لأنهم كانوا بانتظار من يحيي آمالهم مرة اخرى.^(٧٠)

كان ارتياح العلويين لأتاتورك كثيراً جدا، حيث إنهم استمروا بمساندته رغم إغائه جميع الطرق الصوفية والجماعات الدينية. إن فضل السياسة عن الدين (العلمانية) رفع الكثير من القيود والتهديدات التي كانت تحيط بالعلويين آنذاك. هجرة العلويين الكبيرة الى المدن الكبرى ادى الى تفرغ قراهم من السكان، فقد هاجروا الى المدن الكبرى كأنتقرة واسطنبول، وبعد الهجرة انخرطوا للعمل في المعامل والدوائر الحكومية.^(٧١)

٦٥ - Abdalbaki gölpinarli, op.cil.p.794

٦٦ - Ethem ruhi figlaliy, op.cil.p.209

٦٧ - baki öz ; "kurtuluş savaşında alevi beктаşiler" ; Istanbul ; canyayınları; 3-baski; 199 ; s.1-4

٦٨ - Ethem ruhi figlali, op.cil.p.209

٦٩ - كليفورد باسورث، ادموند، سلسله‌های اسلامى جديد، ترجمه فريدون بدره‌ای، مركز بازشناسى اسلام و ايران، طهران،

الطبعة الاولى، ١٣٨١ هجري شمسي، ص ٤٦٤.

٧٠ - baki öz, op.cil.p.78

٧١ - لى، نور، جى، مارتين، جهره جديد امنيت در خاورميانه، ترجمه قدير نصرى، پژوهشكده‌ى مطالعات راهبردى، طهران،

١٣٨٣ هجري شمسي، ص ٨-٢٠٧.

وكانت نتيجة هذه الهجرة عدم استطاعة شيوخ الطريقة (دد) بأداء واجباتهم التقليدية، فمنذ حقبة الستينات فصاعدا ابتعدوا عن شعائرهم وتقاليدهم الانادراً، و ترى الاولاد في البيئة الجديدة حيث جهلوا أصول الطريقة العلوية تماما، فلماذا تلقت الشعائر والتقاليد العلوية ضربات مؤلمة.^(٧٢)

وبتصاعد وتيرة الهجرة في السبعينات، عاش العلويون في ضواحي المدن الكبيرة و في الاكواخ. ونظراً للأوضاع المعيشية المتخلفة لجذب الجيل العلوي المثقف الى شعارات الاشتراكية في العدالة والمساواة. فإن أغلبية أعضاء المنظمات اليسارية المسلحة وغير المسلحة كانت من العلويين او من أولادهم، بحيث صارت الرموز العلوية (الشارب الطويل والانشودات العلوية) رمزاً للإتجاهات الثورية واليسارية.^(٧٣) كما اخذت رواياتهم العقائدية صبغة سياسية، فأصبح الامام علي عليه السلام نصير المستضعفين والفقراء، وإبنه الحسن والحسين شهداء الدفاع عن المظلومين. إن إتجاه العلويين الى الاحزاب اليسارية يبدو واضحاً بشكل جلي من مقارنة آراء الاحزاب.^(٧٤) وخلال فترة الاستقطاب بين اليمين واليسار في تركيا في حقبة السبعينات أصبحت كلمتا (العلوي) و(الشيوعي) تُذكران كمفهومين مترادفين. وفي سنة ١٩٧٨م [وبذريعة اتحاد العلويين بالشيوعيين] قام الحزب اليميني المتطرف "الحركة القومية" بقيادة القومي المتطرف ألب ارسلان توركيش بمذبحة سياسية في مدينة قهرمان ماراش [في جنوب تركيا] قتل فيه اكثر من ١٠٠ علوي.^(٧٥) مهّدت هذه الحادثة أرضية الانقلاب العسكري في عام ١٩٨٠م حيث كشف عن مخاوف الجيش من الاحزاب اليسارية. فقام بالإنقلاب العسكري في هذه السنة لانه كان يعتقد أن الاحزاب اليسارية هي أكبر تهديد للجمهورية. و كان تعبير العلويين عن هذا الانقلاب بتطهير الطائفة العلوية.^(٧٦)

بعد الوقائع المذكورة هاجر الكثير من العلويين الى اوربا، بحيث أن ٣٠% من الأتراك في ألمانيا كانوا من العلويين.^(٧٧) وشكل العلويون إتحادات في كل من بلجيكا، وبريطانيا، وسويسرا، وفرنسا وحتى في استراليا. [وفي عام ٢٠٠٠م] شارك ٣٠ الف عضو منهم في الاتحاد الاوربي للجمعيات العلوية.^(٧٨) وباتخاذ الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي في عام ١٩٩١م بل وحتى قبل ذلك اصيب المثقفون العلويون بخيبة أمل تجاه الشيوعية، وتبلورت لدى العلويين فكرة العودة الى هويتهم، لأنهم استنتجوا أن الفكر العلوي أكثر مطابفة للعدالة والمساواة والحرية من الاشتراكية، وهكذا ظهرت ايديولوجية جديدة منها^(٧٩) وبظهور الاسلام السياسي السني في تركيا، وانطلاق نشاطات الاسلاميين السنة فيها، شعر العلويون

٧٢ - David zidan, "THE ALEVI OF ANATOLIA", in, www. AleviBektasi.org.

٧٣ - قاسمي، محمد علي، كزارش بزوهشي، تأثير علويان بر سياست تركيهى معاصر، بزوهشكدهى مطالعات راهبردى، طهران، ١٣٨٢ هجري شمسي، ص ٨.

٧٤ - المصدر نفسه، و الصفحة نفسها.

٧٥ - الجهماني، يوسف، العلويون فى تركيا، دارالكنوز الاديبه، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣ م، ص ٩٢.

٧٦ - المصدر نفسه، و الصفحة نفسها.

٧٧ - المصدر نفسه، ص ٩٢.

٧٨ - مصاحبه باكل جيحك، رئيس انجمن هاى علويان در اوربا، علويت يك فلسفه ويك راه زندكى، ترجمه ابوالحسن خلیج

منفرد، مجموعه مقالات فرهنگى، بى جا، ١٣٨٢ هجري شمسي، ص ٦١.

٧٩ - قاسمي، محمد علي، المصدر السابق، ص ٨.

بالخطر وبادروا بتأسيس وتوسيع المنظمات الاسلامية العلوية. وأصبح الدفاع العلوي تجاه النهضة الاسلامية السنوية عاملاً لايجاد وحدة سياسية فيما بينهم.^(٨٠)

إن الخشية من انتماء الشباب الى المذهب السني، دفعت العلويين للبحث عن أساليب وامكانيات التي تساعد على إعادة العلاقة بتقاليدهم العقائدية. ومنذ أواسط الثمانينات وما بعدها، قامت الحكومة - رغم مخالفة الأهالي - ببناء المساجد في القرى العلوية وارسال أئمة جماعات حنفية لها.^(٨١) وبسبب عجز شيوخ الطريقة العلوية عن الإجابة على تساؤلات الشباب، وانعدام المصادر المكتوبة صار التعليم العقائدي أمراً شاقاً، فتحمل المثقفون العلويون مسؤولية التوعية. ومنذ عام ١٩٨٨م ازداد انتشار كتب العلويين بشكل كبير جداً.^(٨٢)

و في عام ١٩٨٩م، ولأول مرة في التاريخ المعاصر، تجرأ العلويون على قبول هويتهم المكبوتة، وأعلنوا للحكومة بكل صراحة عن مصالحهم الجمعية، مطالبين بالمساواة مع الأغلبية السنوية.

وتضمن بيان آذار (مارس) ١٩٨٩م، المعروف ببيان العلويين، أكثر مطالبهم كالتالي:

- ١- اعتبار العلوية من المذاهب الاسلامية.
- ٢- يعيش ٢٠ مليون علوي في تركيا.
- ٣- المسلمون السُنَّة في تركيا لا يعرفون شيئاً عن العلويين، بل يكررون الاشائعات المنتشرة عنهم منذ العهد العثمانيين. ولا يليق في العصر الراهن البقاء على التصورات العثمانية المعادية عنهم.
- ٤- إن إدارة الامور الدينية (منظمة الشؤون الدينية) لا تمثل غير أهل السنة، بينما العلويون هم ثلث سكان تركيا، والحكومة تتجاهلهم وتعلن تركيا بأنها دولة سُنِّيَّة.
- ٥- رغم انتهاء الضغوط [الحكومية] على العلويين بعد إعلان الجمهورية، الا أنّ الضغوط الشخصية، والسياسية، والاجتماعية لا تزال مستمرة، وهم لا يتمتعون بحرية الفكر والانتماء الديني. هذا بينما تنص المادة ٢٤ من الدستور التركي على مثل هذا الحق.
- ٦- لا تهتم وسائل الاعلام العامة بنشر معلومات عن عقائد وثقافات وآداب وأعياد وأشعار وموسيقى والآداب الشعبية للعلويين.
- ٧- على الحكومة أن تمنح منظمة الشؤون الدينية من بناء المساجد وإرسال الأئمة الى قرى العلويين.
- ٨- هناك اعلام مضاد للعلويين في المدارس. يطالب العلويون بالغاء التعليم الديني الاجباري في المدارس، ذلك لأنه يخالف مبدأ علمانية الدولة.

Reha Çamuroğlu, "Alevi Revivalism in Turkey", in: Tord olsson,...(eds) Alevi identity, - ٨٠

Istanbul, Swedish research institute, 1998, P. 80

٨١ - كهل بودروكي، كريستينا، بازيباي فرقهى علوى در تركيه، مجموعه مقالات جانب غربى (دفر دوم) انتخاب وتدوين:

فريدزاده، محمدجواد، دفر بزوهش هاى فرهنگى، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٧٢هجري شمسي، ص ٣٥.

٨٢ - المصدر نفسه، ص ٢٤.

٩- إنّ الأجواء المعادية للعلويين تركت تأثيرها السلبي على أعضاء الحكومة والبرلمان، بحيث أصبحوا يخشون حتى من كلمة العلوي.

١٠- تسعى الحكومة لترويج أنّ (فكر) العلويين هو نفس الفكر الشيعي في إيران اليوم، وهذا مخالف للواقع، فليس هناك أيّ شبه بين علويي الأناضول والشيعية في إيران.^(٨٣)
إنّ التأثير الشامل للدين على الحياة العامة في التسعينات، والهجوم على الفندق المعد لإقامة ضيوف مؤتمر تكريم بير سلطان ابدال، من كبار شعراء العلويين، وقتل ٣٧ شخصا منهم. [كان هذا الحادث بسبب كلمة عزيز نسين، الكاتب التركي، حول القرآن] وحوادث أخرى كاغتتيال اثنين من العلويين في مارس ١٩٩٥م، وموت ١٥ علوي اثر الرصاص في تظاهرات احتجاجية ضد الاغتيال المذكور، وتحقير كلمة قزلباش واعتباره امرا غير أخلاقي في أحد البرامج التلفزيونية، و... كل ذلك زاد توتر علاقة العلويين مع أهل السنة، وأدى الى تراجع العلويين عن مواقفهم اليسارية منذ انتخابات عام ١٩٩٥م فيما بعد، والإدلاء بأرائهم المشتتة لمصلحة أحزاب مختلفة. كما أنّ الحوادث المذكورة أدت الى مطالبة العلويين بتشكيل حزب سياسي جديد للوقوف في وجه الاحزاب الاسلامية السنية الحاكمة.^(٨٤) وهذا الهدف لم يتحقق حتى الآن، وذلك لمغايرته مع القانون التركي من جهة، واختلاف وتمزّق العلويين من جهة أخرى.^(٨٥)

يعد إنضمام تركيا الى الاتحاد الاوروي فرصة هامة للعلويين، ذلك لأنه يتكفل بالحفاظ على حقوقهم. لأنه يستلزم رعاية معايير كوبنهاغن واعطاء الحرية القومية والدينية بناءً على ذلك. و هذه المسألة أدت الى بروز بعض الاختلافات، وذلك بسبب معارضة أكثرية اهل السنة وحزب العدالة والتنمية الاسلامي. ورغم عدم وجود أية مشكلة خاصة حتى الآن، لكن يحتمل أن تكون مسألة الحرية وقضايا العلويين - في المستقبل - في قائمة مطالبات الاتحاد الاوروي من تركيا.^(٨٦)

عقائد العلويين

تكمن الارضية المساعدة في تكوين و تطوير عقائد العلويين الى إن العقائد العلوية شأنها شأن الكثير من العقائد الدينية الاخرى تكونت في مرحلة تاريخية معينة، ومن ثم شهدت تحولات مختلفة في طول حياتها. ويظهر من دراسة العقائد العلوية أن ماهية هذه العقائد هي تركيب من معتقدات مختلفة. ومن أبرز عناصر الماهيات التي جعلت من العلويين فرقة إنتقائية هي: الشامانية، والتصوف، والتشيع، وتأثيرات الارضية العقائدية المحلية لمنطقة الأناضول.

٨٣ - الجهماني، يوسف، المصدر السابق، ص ٧-٩٥.

٨٤ - David zidan, "THE ALEVI OF ANATOLIA", in, www. AleviBektasi.org.

٨٥ - David shankland,, The Alevis in turkey, the emergence of a secular Islamic tradition, London - and Newyork, Rontledge curzon, 2003, p. 80.

٨٦ - قاسمي، محمدعلي، المصدر السابق، ص ٨.

الشامانية

كان للأتراك قبل اعتناقهم للإسلام بعض العقائد الشامانية.^(*) وبما أن بعض العقائد الإسلامية كالإيمان بقاء الروح، والحياة الآخروية، والجنة والنار، والاضحية لله، و... قريبة من عقائدهم، فتوجهوا إلى الإسلام بسهولة. لكن يبدو أن أكثر تأثيراً هو استخدام مسمى (الشيخ) و(الولي) في الإسلام بدلاً من (كام) أو (شمن) في العقائد التركية، ذلك لأن للشيخ والأولياء كرامات أيضاً، وهم تماماً مثل الشمن يستطيعون الإخبار عن الغيب وشفاء المرضى.^(٨٧)

عندما دخل الآغوزيون إلى الإسلام وعبروا من إيران إلى الأناضول، كان العالم الإسلامي يمر بمخاضات عدة في التيارات الصوفية. بحيث كان ظهور شيوخ الصوفية، وكراماتهم، ومناقبتهم في القرن العاشر الميلادي - الرابع الهجري مشهوداً، ليس في بخارا وفرغانة فحسب، بل حتى في المناطق التركية المختلفة. وكان هذا الأمر ظاهراً بشكل كبير بين الأتراك المهاجرين، لأنهم كانوا يؤمنون في معتقداتهم السابقة بأمثال الشيخ والكاهن الذي يستطيع أن يستجيب لحاجتهم الروحية.^(٨٨) ولم يكن إسلام الأتراك الرُّخْل إسلاماً فقهياً، بل كانوا يتعلمون الإسلام من الدراويش (البابوات والدددهات). وكان الدراويش بدورهم يشرحون الإسلام بلغة بسيطة وعلى قدر عقول الأتراك الرُّخْل وشبه الرُّخْل مع التساهل والتسامح.^(٨٩)

التصوف

إنّ بنية العقيدة العلوية، واستخدام المصطلحات الصوفية، كالمرشد، والمريد، والطريقة، والحقيقة، والفتوة، و... يعطي الدليل الكافي على العلاقة بالتصوف.^(٩٠) كما إنّ امتزاج الطرق الصوفية ببعض، ظاهرة مشهودة في تاريخ التصوف. ومن بين الطرق الصوفية كان لثلاث طرق التأثير الأكبر على البكتاشية، هي الملامتية، والقنندرية، والحروفية.

ظهرت الملامتية^(*) ردة فعل على نخب الصوفية للأوقاف، وبرز ذلك في إنفصالهم عن الناس بملابس ومظاهر خاصة والتظاهر بالزهد. كان الملامتية يؤكدون على كدّ اليمين، وكانوا يتظاهرون بأنهم من أوضاع

(*) للاطلاع على الشامانية راجع:

Eliade, Mircea, "Shamanism: Archaic Techniques of Ecstasy, New York, 1964.

Ethem ruhi fiğlali, op.cil.p. 84 - ٨٧

Ibid. op.cil.p.100 - ٨٨

Ibid. op.cil.p.103 - ٨٩

Hülya, küçük, op.cil.p.15. - ٩٠

(*) لقد كان الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (ت ١٢٤٠م/٦٣٨هـ) يعترض على اسم «الملامتية»، و يرى أن هذه النسبة لغة ضعيفة، ويسميه «الملامية». (ابن العربي، محيي الدين، الفتوحات المكية، قرأه و قسم له نواف الجراحي، المجلد الثالث، دارصادر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ص ٢١) ومن قبل كان المحجوري علي بن عثمان الجلابي (ت ١٠٧٢م/٤٦٥هـ) قد عقد في كتابه «كشف المحجوب» باباً لبيان الملامية، ثم سَمَّى أصحابها في الكلام عن فرق الصوفية الفرقة «القصارية» نسبة إلى شيخهم الأول أبي صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار (ت ٨٨٤م/٢٧١هـ). (هجوري، علي بن عثمان، كشف المحجوب، تصحيح و- زوكوفسكي، با مقدمه قاسم انصاري، كتابخانه طهورى، الطبعة السادسة، طهران، ١٣٧٨ هجري شمسي.) و جاء في كتاب أبي سعد

الناس. واشتهر الملامتية الذين ظهوروا منذ القرن الثالث الهجري فصاعداً في خراسان، بـ (الخراسانيين) و(اهل خراسان) وبعد ذلك بـ (رجال خراسان) و (واصلني خراسان).^(٩١) وكانت هذه الطريقة عاملاً مهماً وأساسياً لظهور واتساع بعض الطرق التركيبية، سواء الباطنية أو أتباع الشريعة، ولهذا السبب فإن جميع أهالي الأناضول تقريباً، وخاصة القزلباش والبكتاشيون، يؤمنون بأن كل ولي تركي هو قادم من خراسان، ويسمونه بـ (واصلني خراسان). الشعائر الباطنية المستقاة من شعائر وأركان الملامتية، خاصة ملامتية خراسان، كانت مقبولة عند الحاج بكتاش^(٩٢).

وبانضمام البكتاشية باللامتية، دخل الكثير من طرق أخرى، ولا سيما الباطنية، الى الملامتية. ذلك لأن الابدال، والقنلدريّة، والحيدريّة، والجامية، والادهمية، والشمسية كانت تشبه البكتاشية الى حد كبير، سواء من جهة الاعتقاد أو من جهة العرف والظاهر، بحيث ورثت البكتاشية معتقدات جميع الطوائف المذكورة عن هذا الطريق.^(٩٣)

و فيما يتعلق بالطريقة القنلدريّة التي كانت المؤثرة على البكتاشية، نقول انها كانت متداخلة مع الملامتية بشكل لا يمكن التمييز بينهما بالمعنى الحقيقي. وقد ذكرت المصادر أن فرقة القنلدريّة هي الطريقة المتكاملة للملامتية. وفي الحقيقة يمكن القول بأن الملامتية هي منشأ القنلدريّة. وكانت القنلدريّة من أشد رد فعل اجتماعي التي نمت ونضجت في ايران في مواجهة الغزو المغولي، ومن ثمّ في وجه تشكيل الحكم الايلخاني.^(٩٤)

إنّ الشخصيات العلوية المعروفة، من امثال كايقوسوز ابدال، غميك لي بابا، سلطان شجاع الدين، وسيد علي سلطان، و... كلهم يُعدون من القنلدريّة. وكان سلوك الدولة العثمانية تجاه القنلدريّة مقبولاً

عبد الملك بن محمد الحركوشي "باب في ذكر الملامتية و صفاتهم و شعارهم و الفرق بين الصوفية و بينهم في الأقوال و الأفعال و الأحوال و ما قيل فيهم" (الحركوشي، ابو سعد عبد الملك بن محمد، تهذيب الاسرار في اصول التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٧ ق، ص ٢٤) يقول أبو عبد الرحمن السلمي (من كبار المتصوفة في قرن الرابع الهجري): « طريق الملامتية: هو ترك الشهوة فيما يقع فيه التمييز من الخلق في اللباس والمشى والجلوس والسكون معهم على ظاهر الأحكام، والتفرد عنهم بحسن المراقبة، ولا يخالف ظاهره ظاهرهم بحيث يتميز منهم، ولا يوافق باطنه باطنهم، فيساعدهم على ما هم عليه من العادات والطباع، ولا يخالف ظاهرهم بحيث يتميز» (عفيفي، أبو العلا، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، ط دار إحياء الكتب العربية. القاهرة، ١٩٤٥ م، ص ١٠٣) ٩١ - كولبينارلي، عبدالباقي، مولويه پس از مولانا، ترجمه دكتور توفيق سبحاني، انتشارات روزبه، الطبعة الاولى، طهران، ١٣٧٨ هجري شمسي، ص ٣٢.

٩٢ - توفيق سبحاني قاسم انصاري، المصدر السابق، ص ٥٢٣.

٩٣ - المصدر نفسه، والصفحة انفسها.

٩٤ - بياني، شيرين، فرقه‌ی قلندريه در عهد ايلخاني، مجموعه مقالات اولين سمينار تاريخي هجوم مغول به ايران، دانشگاه شهيد بهشتي، مركز جاب وانتشارات، طهران، ١٣٧٩ هجري شمسي، ص ٩-٣٠٨. شهاب الدين ابو حفص السهروردي (من كبار المتصوفة في القرن السابع الهجري) في بيان الفرق بين الملامتي والقنلدري يقول: «اللامتية يعمل في كتم العبادات، والقنلدري يعمل في تحزيب العادات، واللامتية يتمسك بكل أبواب البر والخير و يرى الفضل فيه، و لكن يجفّي الأعمال و الأحوال، و يوقف نفسه موقف العوام في هيئته و ملبوسه و حركاته و أموره، سترًا للحال لئلا يفتن له، و هو مع ذلك متطلع إلى طلب المزيد، باذل مجهوده في كل ما يتقرب به العبيد. و القنلدري لا يتقيد بجميعة، و لا يبالي بما يعرف من حاله و ما لا يعرف، و لا ينعطف إلا على طيبة القلوب و هو رأس ماله. و الصوفي يضع الأشياء مواضعها، و يدبر الأوقات و الأحوال كلها بالعلم، يقيم الخلق مقامها، و يقيم أمر الحق مقامه، و يستمر ما ينبغي أن يستمر و يظهر ما ينبغي أن يظهر، و يأتي بالأمر في مواضعها بحضور عقل، و صحة توحيد، و كمال معرفة، و رعاية صدق و إخلاص.» (شهاب الدين ابو حفص السهروردي، عوارف المعارف، ج ١، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤٢٧ ق، ص ٨٩).

الى سلطنة بايزيد الثاني. لكن بعد محاولة اغتيال السلطان بواسطة أحد القلندرية، تم القاء القبض عليهم و ارسالهم الى الأناضول. وبعد عشر سنوات من اخراج القلندرية من المناطق الغربية والمركزية للدولة العثمانية، أدرك رجال الدولة أنهم كانوا مخطئين في هذه السياسة. كانت هذه السياسة في الحقيقة سبباً لتجمّع الصوفيين في منطقة خاصة، وقد اصبح تجمّع الصوفيين في المنطقة الشرقية للدولة العثمانية منطلقاً للنشاط السياسي لمصلحة الدولة الصفوية.^(٩٥)

وإذا كان قطب الدين حيدر الذي يذكره الكثير من البكتاشية هو نفس قطب الدين حيدري الذي أسس إحدى فرق الطريقة القلندرية (الحيدرية) والذي توفي في سنة ١٢٢١م / ٦١٨هـ، يتضح لنا مدى العلاقة بين البكتاشية والقلندرية. كانت هذه العلاقة متماسكة جدا حيث مترادفة في الفترات اللاحقة.^(٩٦)

وأما عن تأثير الحروفية^(٩٧) على عقائد البكتاشية والعلوية، نقول بعد إعدام شيخ فضل الله الحروي، وقمع نهضة بنت الشيخ، لجأ اغلب الحروفيين الى سوريا ومصر والأناضول، وسافر آخرون الى الروملي (أو بلاد الروم) والتحقوا هناك ببعض الطرق الصوفية، وقاموا بنشر عقائدهم سراً. ولا شك في أن الدور الأكبر في ترويح الحروفية في الأناضول هو ما قام به شريف مصر وعماد الدين نسيمي، الشاعر التركي الكبير وشيخ الحروفية.^(٩٨)

Ahmet yaşar ocak, Kalendariler, ANKARA, T.T.K, 1999; S.93. - ٩٥

٩٦ - سبحاني، توفيق، انصاري، قاسم، المصدر السابق، ص ٥٢٢. عبد الوهاب الشعراي (من كبار المتصوفة في القرن العاشر الهجري) نقلا عن استاذة، احمد الزاهد، يكتب: «لا ينبغي ان يسمي كلا من فقراء القلندرية والحيدرية والملائية على الاطلاق فقراء اي وليا أو صوفيا فقيرا لان اكثرهم خارج عن الشريعة كما قال وكذلك الحكم في أكثر فقراء الاحمدية والرفاعية والبسطامية و الادهمية و المسلمية و الدسوقية فان افعالهم يكذبها طريق اشياخهم التي كانوا عليها من الصدق و الزهد و الكرامات و الخوارق و التقيد على ظاهر الكتاب و السنة فلا يؤمر مرید بالادب مع هؤلاء بل الأولى له هجر مجالسهم. قال و الضابط الذي يعرف به الصادق من غيره ان كل من رأيناه متقيدا بظاهر الكتاب و السنة متأديبا بأداب اهل الطريق على وفق سير المشايخ المنقولة في مثل رسالة القشيري و الحلبة لأبي نعيم فهو صادق في دعواه المشيخة فيجب علينا التأدب معه.» (عبد الوهاب الشعراي، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج ٢، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ص ٤٤).

٩٧ - «تسبب فرقة الحروفية إلى مؤسسها» فضل الله بن عبد الرحمن الحسيني الذي ولد في (استراباد) [١٣٣٩م / ٧٤٠هـ] من أسرة صوفية. و قد ترك فضل الله ثلاثة كتب رئيسية مقدسة عند الحروفيين. و لم تمت فرقة الحروفية بموت مؤسسها [ت ١٣٩٧م / ٨٠٠هـ]، وإنما بقيت في قلوب أتباعه الكثيرين المنتشرين في العالم الإسلامي، و كان منهم تسعة خلفاء على عدد الأخلال. و سميت هذه الفرقة باسم الحروفية لاعتنائها بالزائد بالحروف و أسرارها على طريقة الأوفاق و الطلاسم و الزابجة و استنطاق الحروف و التنجيم. و تقوم دعوى الحروفيين على أن الأصل في العبادة هو اللفظ، و به يمكن للإنسان أن يتواصل بالله و المعرفة هي أيضا معرفة بالألفاظ، لأنها مظهر للموجودات، و اللفظ مقدم على المعنى، و لا يمكن تصور معنى دون لفظ. فهم يرون أن التعبير عن المعاني و الحروف و أصواتها يكمل في الحروف العربية و عددها (٢٨) حرفا، و الحروف الفارسية و عددها (٣٢) حرفا. و يرى الحروفيون أن التعبير عن المعاني بالحروف و أصواتها ينصب في طريقتين و قالبين أولهما: القالب العربي الذي نزل به كلام الله، و يتضمن ثمانية و عشرين حرفا. و الثاني: القالب الفارسي، الذي يتضمن اثنين و ثلاثين حرفا، و يجمع الحروف كلها منذ أيام آدم.» (محمد حمدي زرقوق، موسوعة التصوف الاسلامي، وزارة الاوقاف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤٣٠ ق، ص ٤٤-٢٤٣) للمزيد من الفائدة والاطلاع راجع:

Usluer, Fatih, "Hurufilik." İstanbul: Kabcak Yayinevi, 2009.

٩٨ - ياشار اجاق، احمد، تزويق همه حدآكري به اسلام ذكر انديش أناطولي، تأثيرات حروفيكري، ترجمه اصغر دليرى پور، مجموعه مقالات فرنكى، بى جا، ١٣٨٢ هجرى شمسي، ص ٥٢. و يكتب طاشكيري زاده (توفي سنة ١٥٦٠م / ٩٦٨هـ) حول حاجي بكتاش: «كان رحمه الله من جملة اصحاب الكرامات و ارباب الولايات و قبره ببلاد تركمان و علي قبره قبة و عنده زاوية

جاء شريف مصر واحوه بالكثير من مؤلفات الحروفية، ولا سيما مؤلفات فضل الله استرآبادي الى الأناضول، كما أنّ عماد الدين نسيمي الذي كان أكبر خلفاء فضل الله قام بجملة تبليغية واسعة. ولكنهم لم يكونوا في مأمنٍ في الأراضي العثمانية من المطاردة والعقوبات. ويبدو من الوثائق العثمانية المهمة المتعلقة بالقرن ١٦م - ١٧٠٠هـ أن الحروفيين، وخاصة في مدن وقرى البلقان، قد تعرضوا للملاحقة، وقد تم اعدام اكثرهم. وكما يُستفاد من هذه المصادر فإنّ هؤلاء إن لم يكونوا حروفيين فقد كانوا من المتأثرين بافكار ومعتقدات الحروفيين، وكانوا منتمين الى الفرق المختلفة، وربما كانوا منضمين الى القزلباش.^(٩٩) ورغم كل هذه المطاردة والعقوبات، بقي من ينتمي الى مختلف محافل الصوفية المختلفة ويدعى للحروفية، و من أهم شعراء القزلباش (العلويين) مثل: حيرتي، ومحيطي، وويراني، وبمبني من هذه الفئة. كما كان عدد آخر من هؤلاء الشعراء الذين اقتبسوا الاعتقاد بالحلول من الحروفيين و أظهروا ذلك في ادبياتهم^(١٠٠) ولعل تأثير نسيمي في توسيع الافكار الحروفية في الأناضول كان أكثر من باقي الحروفيين، حتى أنّ البكتاشية في تركيا اليوم تعتبر نسيمي منهم، كما أنّ العلويين يجعلون له مقاماً ومرتبة خاصة.^(١٠١) وبناءً على ما يراه احمد ياشار اجاق (باحث تركي) إنّ اعتقاد القزلباش بجلول الله في جسم الامام علي عليه السلام مأخوذ من الحروفية. ولقد أثر الاعتقاد بجلول الله في جسم الانسان أثناء انتشار الحروفية في الأناضول والروملي، على الملامتين البايامين، والقنلدريه وعن هذا الطريق على البكتاشية وبعض المحافل العلوية. وحسب ما يرى فإنّ الإعتقاد بالحلول عند الحروفية يرتبط بسنة منصور الحلاج الذي شكل اساس التصوف على اساس وحدة الوجود. والدليل الدامغ على ذلك هو تعابير "انا الحق" و"سنة منصور الحلاج" التي نشاهدها في الآداب العرفانية للمولوية، والقنلدريه، واللامتية البايامية، وأكثر من ذلك في اشعار البكتاشية والقزلباش.^(١٠٢) نفذ الحلاج إلى أعماق المجتمع الإسلامي في المشرق، على الخصوص بتأثير من الطرق الصوفية، ففي تركية ما زال أتباع الطريقة المولوية يسمون المزمار الرئيسي في أذكارهم «ناي المنصور» وكذا ما زال أتباع الطريقة البكتاشية فيها يتبعون، في حفل تحريج المريدن، تقليدا حلاجيا واضحا يتمثل في أفرادهم مكانا في تكاياهم، التي يسمونها «الميدان»، يطلقون عليه اسم «دار منصور»، يريدون «صليب الحلاج». ^(١٠٣) [الصحيح صلابة أو مشنقة منصور]. فإذا أتم المريد سلوكه و استحق لقب «بكتاشي» جاؤوا به إلى «دار منصور» و وضعوا في عنقه حبالا يرمز إلى أنه «قد مات عن هذه الدنيا الفانية و رحل إلى ميادين المعشوق الإلهي». ^(١٠٤)

يزار و يتبرك به و تستجاب عنده الدعوات و قد انتسب اليه في زماننا هذا بعض من الملاحدة نسبة كاذبة و هو برئ منهم بلاشك قس الله تعالي سره العزيز. هذا و يفهم من كلامه أنه يقصد من الملاحدة أمثال الحروفية. (طاشكيري زاده، الشقائق التعماتية في علماء الدولة العثمانية، تحقيق، الدكتور احمد صبحي فرات، اسطنبول، ١٤٠٥هـ، ص ٢٠).

٩٩ - المصدر نفسه، و الصفحة انفسها.

١٠٠ - المصدر نفسه، و الصفحة انفسها.

١٠١ - أزند، يعقوب، حروفية در تاريخ، نشر ني، الطبعة الاولى، طهران، ١٣٦٩ هجري شمسي، ص ١١٦.

١٠٢ - ياشار اجاق، احمد، تزريق همه خداكري به اسلام ذكرانديش أناتولي...، ص ٥٣.

١٠٣ - الشيبني، كامل مصطفي، شرح ديوان الحلاج، الجمل، كلن- الألمانية الغربية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧ م، ص ٩٣.

١٠٤ - المصدر نفسه، و الصفحة انفسها.

وبعد محاربة البكتاشية بيد السلطان محمود الثاني في عام ١٨٦١م/ ١٢٤٠هـ، واجهت الحروفين أيضاً تنكيلاً كالبكتاشيين، فقتل الكثير منهم ودمرت خانقاهاتهم وسلمت ممتلكاتهم الى فرقة النقشبندية. (١٠٥)

إعتقد العلويين بأصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام الذين يعبرون عنهم بـ "بنج آله عبا"، والاعتقاد بالأئمة الإثني عشر كما يعتقد بهم الامامية، و الولاء الشديد للامام الحسين (عليه السلام)، واقامة مراسم إحياء عاشوراء، والتأكيد الكبير على الامام جعفر الصادق (عليه السلام)، والاعتقاد بالتولي والتبري، كل ذلك هو من علامات التشيع الموجودة بين العلويين. (١٠٦)

كذلك وجود الاحاديث الشيعية عند العلويين هي من علامات الاخرى للتشيعهم. (١٠٧) لكن الملاحظة المهمة هي أنّ رغم اعتقاد العلويين بالتولي (حب علي بن ابي طالب واهل بيته (عليهم السلام) والتبري (رفض ومعاداة مخالفني الامام علي واهل بيته (عليهم السلام)) وبهذا القبول يفصلون نهجهم عن أهل السنة، لكنهم من أهل التأويل والتفسير فهم من الشيعة الباطنية وليس من الشيعة الامامية. (١٠٨) فالعلويون باطنيون، لكن يجب أن لا نعدّ باطنييتهم مثل الاسماعيلية. فهم باطنيون بسبب أنهم يأولون احكام الاسلام العبادية، وبعبارة اخرى أنهم ليسوا اهل الشريعة (التمسك بقوانين المذهب). (١٠٩)

وسواء أن قلنا إنّ العقائد الشيعية ظهرت بعد انضمام علويي الأناضول للصفوية، أم إنها كانت موجودة قبل ذلك وحتى في عهد الحاج بكتاش، وأن جنيد الصفوي تأثر بعقائدهم بعد حضوره بين التركمان في الأناضول، ففي جميع هذه الاحوال سيكون العلويون شيعة باطنيين، وإنّ التشيع فيما بين عقائدهم يأتي في مرتبة متأخرة بعد التصوف.

يختلف النظام الاجتماعي، العقائد الدينية، الآداب، و الجذور الاخلاقية اختلافا كاملا عند العلويين و الشيعة الجعفرية. و رغم أن اصولهم العقائدية تبتني على اثني عشر ائمة، لكن النظام الديني في الأخذ و التفسير و المناهج تختلف عندهم. و يجب فصل العلوية و الاثني عشرية كمجموعتي اجتماعية - دينية و نبحت عن اختلافاتهم بدل عن شباهتهم. (١١٠)

١٠٥ - اسحاق افندي، كاشف الاسرار و دافع الاشرار، مكتبة مجلس الشورى الاسلامية في ايران، طباعة حجرية، الرقم ٦٠٤٥٣، الرقم الخاص ١٠٢، ص ٥.
١٠٦ - ارجع: نوري دزمر، محمد، علويان تركيه، انتشارات دانشكاه اديان ومذاهب، الطبعة الاولى، قم، ١٣٨٨هجري شمسي.
١٠٧ - Ahmet yildirim, Alevi-Bektaşî Edebiyatında Kullanılan Hadisler ve Değerlendirilmesi, islamiyat, Cilt 6 say 3, (temmuz-eylül 2003),S.4-9
١٠٨ - كوليبانلي، عبدالبقي، ملامت وملامتيان، ص ١١٩.
١٠٩ - (Halkımızın Kökenleri ve Gerçekleri), İstanbul, Tayyar Önder, ali, Türkiye'nin Etnik Yapısı - 2008 Kripto Basım Yayın, 22. S
١١٠ - faris, Journal 'A Comparison of the Alevis and the Ja'ism in Turkey'Yeler, Abdulkadir, Shi of Shi 2010, p 338. 3 No .III .Vol a Islamic Studies Summer, ' of Shi

لا تتزوج العلوية مع أهل السنة في تركيا. كما لا تتزوج العلوية مع الشيعة الجعفرية. و لكن يتزوج اهل السنة مع الشيعة الجعفرية. و نقل أن أهل السنة كانت ترفض خطوبة الشيعة الجعفرية في بداية الامر، باعتبار أنهم علويين؛ لكن بعدما علموا أن الشيعة ليسوا بعلويين، و هم يحضرون في المساجد و يقيموا الصلاة قبلوا خطوبتهم و تزوجوا معهم.

ولما كانت آسيا الصغرى مهد الثقافة المسيحية، فإنه يبدو طبيعياً تأثير ونفوذ هذه الثقافة على الأتراك الذين سكنوا هذه المنطقة فيما بعد. ومن المسلمات أنّ هذه المنطقة كانت متأثرة دينياً وثقافياً بالمسيحية قبل فتح الأناضول بيد الأتراك في سنة ١٠٧١ م/ ٤٦٤ هـ. وكان أغلب سكان الأناضول يتحدثون باليونانية ويعتقدون المذهب الارثوذكسي. وكان المسلمون في البدء وبالقياس الى اليونانيين مجرد أقلية حسب إحصاء قوي، ولكن بما أن الاسلام كان دين الحكام في الأراضي التركية، فانتشر شيئاً فشيئاً^(١١١) ولعل السبب هو أنّ أغلب أهالي الأناضول القدماء الذين كانوا قد انقطعوا عن مركزهم الروحاني في القسطنطينية، كانوا يشعرون بالعزلة المعنوية، ولذلك اتجهوا نحو الاسلام. وهكذا اندمجوا بين الأتراك^(١١٢) وعندما زحف العثمانيون على مناطق السلاجقة والقرمانيين واستولوا على كل مناطق الروم، كان المجتمع التركي المركب من عنصرين: رومي مسيحي وتركي مسلم، وكان يتوقع عقيدة موحدة تكون - من جهة - وسيطاً بين المسيحية والاسلام، ومن جهة اخرى بين الاسلام الرسمي والتصوف الغالب. وكان المقدّر أن تقوم الفرقة البكتاشية بهذه المهمة. وبعد وصول البكتاشية الى هذه المرحلة اتجهت نحو التشيع، لأن التشيع كان المذهب الوحيد الذي كان بمقدوره ردف الفرقة الجديدة بالافكار المعنوية. وهكذا تحولت الأقانيم المسيحية الثلاثة الى [ثلاثة أقانيم بكتاشية] هي: الله، محمد، علي.^(١١٣) ويبدو أن العلويين لم يكونوا يؤمنون في مجال التثليث كثلاث إله، ولم يضعوا هذه الأقانيم الثلاثة في عرض واحد. بل كانوا - كالتفكير الأريوسي - يعتقدون بأنّ الأزلية هي لله سبحانه وتعالى وحده، وأنّ محمداً وعلياً هما مظهرها تجلّي الله حيث وصلا الى مرتبة ودرجة الالهية، الا أنّهما كسائر المخلوقات جاء من العدم الى الوجود.^(١١٤)

الخاتمة:

إنّ تأريخ علويوا أناطول يشهد بأن معرفتهم بالاسلام لم تكن من قبل الفقهاء والمدارس، و لهذا لا تملك الشريعة لديهم مكانة خاصة. و بدراسة عقائدهم نعلم أن رغم تأكيدهم على ١٢ امام لكنهم لم يتأثروا من الحركة الاصلية للشيعه الامامية و اعتقادهم ب ١٢ امام سطحي و لا يدخل في المباحث العلمية في مقام علمهم و عصمتهم.

تأريخ العلوية في الدورة العثمانية يشهد ضغوط و صعوبات كثيرة و من جهة اخرى تضعيف قزلباش لعدم مساندة ايران لهم بعد هجرة علماء جبل عامل و بحرین (في اواخر حكومة شاه اسماعيل الصفوي)

(Yeler, Abdulkadir, Türk Toplumunda Cafiler (İstanbul Halkalı Örneği), İstanbul: MÜSBE (Basılmamış Yüksek Lisans Tez), 2006, s 42.)

١١١ - تشنر، ف، أناطولي، دانشنامه اييران واسلام، ج ١، زير نظر احسان يارشاطر، بنكاه ترجمه ونشر كتاب، الطبعة الاولى، طهران، ١٣٥٥ هجري شمسي، ص ٢١٥.

١١٢ - المصدر نفسه، ص ٢١٩.

١١٣ - الشيبلي، كامل مصطفي، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، نار الاندلس، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٣٤٠.

١١٤ - سبحاني، توفيق، انصاري، قاسم، المصدر السابق، ص ٥١٨.

الى ايران و ظهور الحركة الفقهية الشيعية فيها. فمجيء اتاتورك كانت فرصة تاريخية لهم ادت الى تحسين ظروفهم الاقتصادية و الاجتماعية لدعم الوطني و العلماني. و بهذا يظهر سبب اتجاههم للعلمانيين و مخالفتهم للحزب الاسلامي.

إنّ اعتماد العلويين على تناقل ثقافتهم شفهيًا، وعدم وجود المصادر المكتوبة لديهم، أدى الى ظهور تحليلات مختلفة عن العلويين في تركيا. ورغم أنّ دخول العلويين في الأجواء العصرية الحديثة أدى الى إبتعادهم تدريجياً عن التقاليد والمعتقدات، إلا أنّ انهيار الإتحاد السوفياتي، والتطورات التي شهدتها تركيا في الحقبة الأخيرة، أدت الى ظهور حركة للعمل على إعادة الروح في الطائفة العلوية من جديد في هذا البلد. رغم أن الحكومة الحالية في تركيا امنحت امتيازات خاصة للعلويين، لكن لا يمكن تحقيق جميع مطالباتهم حتى وإن وافقت عليه الحكومة لانه سيؤدي الى مخالفة الاسلاميين في تركيا. تأريخ العلويين في آناضول يثبت لنا أن هذا الموضوع له معقداته الخاصة و بإمكانه أن يتبدل الى تحد لهم.

المصادر:

١. ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه اب انطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاتوليكية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م
٢. ابن بي بي، تاريخ سلاجقه ي روم، به اهتمام دكتور محمد جواد مشكور، انتشارات تبرز، الطبعة الاولى، ١٣٥٠ هجري شمسي.
٣. ارول قليچ، محمود، تصوّف در آسیای صغیر وبالکان، دانشنامه ي جهان اسلام، ج ٧، زیر نظر غلامعلي حداد عادل، بنیاد دایرة المعارف اسلامي، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٨٢ هجري شمسي.
٤. آزند، يعقوب، حروفیه در تاریخ، طهران، نشر نی، الطبعة الاولى، ١٣٦٩ هجري شمسي.
٥. اسحاق افندي، كاشف الاسرار و دافع الاشرار، مكتبة مجلس الشورى الاسلامية في ايران، طباعة حجرية، رقم ٦٠٤٥٣، رقم خاص ١٠٢.
٦. افلاكي، احمد، مناقب العارفين، تصحيح وحواشي، تحسين يازنجي، ج ١، دنيای كتاب، ١٣٦٢ هجري شمسي.
٧. امامي، محمد تقی، معرفي يك شاعر بزرك علوي بكتاشي اهل آناتولي، بزوهشنامه ي دانشكده ي ادبيات وعلوم انساني دانشگاه شهيد بهشتي، العدد ١٦-١٥، الربيع و الصيف ١٣٧٣ هجري شمسي.
٨. بياني، شيرين، فرقه ي قلندريه در عهد ايلخاني، مجموعه مقالات اولين سمينار تاريخي هجوم مغول به ايران، دانشگاه شهيد بهشتي، طهران، مركز جاب و انتشارات، ١٣٧٩ هجري شمسي.
٩. تشنر، ف، آناتولي، دانشنامه ي ايران و اسلام، ج ١، زیر نظر احسان يارشاطر، طهران، بنکاه ترجمه و نشر کتاب، الطبعة الاولى، ١٣٥٥ هجري شمسي.

١٠. التوني، أبي الفداء سامي / أرسلان، شكيب، حاضر العالم الإسلامي: لوثروب ستودارد، ج ٤ تعليق: شكيب أرسلان، مراجعة كتاب، ٢٠٠٤ م.
١١. الجهماني، يوسف، العلويون في تركيا، بيروت، دارالكنوز الادبيه، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣ م.
١٢. جي شاو، استانفورد، تاريخ امپراطوري عثمانى، ترجمه محمود رمضان زاده، ج ٢، مشهد، آستان قدس رضوي، الطبعة الاولى، ١٣٧٠ هجري شمسي.
١٣. حمدي زقزوق، محمود، موسوعة التصوف الاسلامي، وزارة الاوقاف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤٣٠ ق.
١٤. الحركوشي، ابو سعد عبد الملك بن محمد، تهذيب الاسرار في اصول التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٧ ق.
١٥. روملو، حسن، احسن التواريخ، به سعي و تصحيح چارلس نارمن سيدن، انتشارات كتابخانهي صدر، طهران، بي تا.
١٦. سبحاني، توفيق، انصاري، قاسم، حاجي بكتاش ولي و بكتاشيه، نشریه دانشكدهي ادبيات وعلوم انساني، دانشكاه تيريز، سال ٢٨، شماره مسلسل ١٢٠، زمستان ١٣٥٦ هجري شمسي.
١٧. سري بابا، احمد، الرسالة الاحمدية في تاريخ طريقة العلية البكتاشية بمصر المحروسه، مطبعة الشرق، ١٩٣٩ م.
١٨. السهرودي، شهاب الدين ابو حفص، عوارف المعارف، ج ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤٢٧ ق.
١٩. الشعرائي، عبد الوهاب، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج ٢، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، دون التاريخ.
٢٠. الشبيبي، كامل مصطفى، شرح ديوان الحلاج، الجمل، كلن - الألمانية الغربية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧ م.
٢١. الشبيبي، كامل مصطفى، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، نار الانلس، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٢ م.
٢٢. صبحي الانطاكي، بسيم، علويوا الاناضول، بيروت، مؤسسه البلاغ، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣ م.
٢٣. طاشكيري زاده، الشقائق التعمانية في علماء الدولة العثمانية، تحقيق الدكتور احمد صبحي فرات، اسطنبول، ١٤٠٥ ق.
٢٤. عفيفي، أبو العلا، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، ط دار إحياء الكتب العربية . القاهرة، ١٩٤٥ م.
٢٥. قاسمي، محمد علي، كزارش پژوهشي، تأثير علويان بر سياست تركيهي معاصر، طهران پژوهشكدهي مطالعات راهبردي، ١٣٨٣ هجري شمسي.
٢٦. كوبرلي، فؤاد، ريشه هاي افسانه هاي مربوط به حاجي بكتاش ولي بنيانكذار طريقت بكتاشيه، ترجمه محمد تقى امامي، كستره ي تاريخ وادبيات ايران، طهران، ١٣٦٤ هجري شمسي.

٢٧. کلیفورد باسورث، ادموند، سلسله‌های اسلامی جدید، ترجمه‌ی فریدون بدره‌ای، مرکز بازشناسی اسلام و ایران، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٨١ هجری شمسی.
٢٨. کهل بودروکی، کریستینا، بازیابی فرقه‌ی علوی در ترکیه، مجموعه مقالات جانب غربی (دفتر دوم) انتخاب و تدوین: محمدجواد فریدزاده، طهران، دفتر پژوهش‌های فرهنگی، الطبعة الاولى، ١٣٧٢ هجری شمسی.
٢٩. کولینناری، عبدالباقی، مولویه پس از مولانا، ترجمه دکتر توفیق سبحانی، طهران، انتشارات روزبه، الطبعة الاولى، ١٣٧٨ هجری شمسی.
٣٠. لاجوردی، فاطمه، بکتاشیه، دایرةالمعارف بزرک اسلامی، ج ١١، زیر نظر کاظم موسوی بجنوردی، بنیاد دایرةالمعارف بزرک اسلامی، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٨٣ هجری شمسی.
٣١. لی، نور، جی، مارتین (تدوین)، چهره جدید امنیت در خاورمیانه، ترجمه: قدیر نصری، پژوهشکده‌ی مطالعات راهبردی، طهران، ١٣٨٣ هجری شمسی.
٣٢. محمد الشناوی، عبدالعزیز، الدولة العثمانیة دولة اسلامیة مفتی علیها، ج ١، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠ م.
٣٣. محمد عبدالعال، بدیعة، الفكر الباطني فی الاناضول الامام علي في معتقد البکتاشیة - نموذجاً، السارالثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠١٠ م.
٣٤. محیی الدین بن عربی، الفتوحات المکیة، قرأه و قسم له نواف الجراح، المجلد الثالث، دارصادر، بیروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧ م.
٣٥. المدنی، سلیمان، الموسوعة الصوفیة، الحکمة، دمشق، الطبعة الاولى، ١٤٢٨ ق.
٣٦. مصاحبه باکل جیجک، رئیس انجمن‌های علویان در اروپا، علویت یک فلسفه و یک راه زندگی، ترجمه ابوالحسن خلیج منفرد، مجموعه مقالات فرهنگی، بی جا، ١٣٨٢ هجری شمسی.
٣٧. نوری دمنز، محمد، علویان ترکیه، قم، انتشارات دانشکاه ادیان ومذاهب، الطبعة الاولى، سال ١٣٨٨ هجری شمسی.
٣٨. یاشار اجاق، احمد، تزریق همه خداکری به اسلام ذکر اندیش آناتولی، تأثیرات حروفیکری، ترجمه اصغر دلبری‌پور، مجموعه مقالات فرهنگی، بی جا، ١٣٨٢ هجری شمسی.
39. Tayyar Önder, ali, Türkiye'nin Etnik Yapısı (Halkımızın Kökenleri ve Gerçekler), İstanbul, Kripto Basım Yayın, 2008
40. Aydın, ayhan, Akademisyenlerle alevilik bektâşilik söyleşileri, İstanbul, horasan yayınları, 1. baskı, 2006
41. Birage, J.King, The Bektashi order of dervishes, London, Luzac, 1937.
42. Çamuroğlu, reha, "Alevi Revivalism in Turkey", in, Tord olsson,..(eds) Alevi dentity, İstanbul, Swedish researh institute, 1998.

43. Gölpinarli, abdulbaki, kizilbaş, Lydenin TABI ESAS,TUTULARAK, islam Ansiklopeeisi telif, tadil, ikmal ve tercÜme sÜretiler, İstanbul, Milli EđiTiMBASIM Evi, 1967, cit 6.
44. Küçük, hülya, beктаşilik ve aleviliđin sufi ve esoterik boyutu karşılaştırmalı kavram analizi, islamiyat, cilt 6,say3, (temmuz-eylül 2003).
45. Melikoff, Irene, Bektashi/ kizilbash, Historical Bipartition and Its consequence, in: Tord olsson, Elisabeth ozdalg, cathrina Raudvere (eds) alevi Identity, (istanbul: Swedish Research institute, 1998.
46. Noyan, bedri, "Bektaşilik, Alevilik nedir?" İstanbul, ANT/ CAN, 1995.
47. öz, baki ; "kurtuluş savaşında alevi beктаşiler" ; İstanbul ; canyaylnlari; 3-baski; 1990.
48. Ruhi fiđlali, Ethem, Tü rkiyede Alevilik ve Bektaşilik, İstanbul, selçuk yayinlari, 4-BA SKI, 1996 .
49. Savaş, saim, XVI Asırda Anadoluda Alevilik, ANKARA VADi YAYINLARI, birinci baski, 2002.
50. Şener, cemal, Alevilik olayı (Toplumsal Bir Baskaldirinin kısa Tariğesi), İstanbul, kurtiş matbaasi, 4- Baski, 1989.
51. Şevki, koca, Bektaşilik ve Bektaşi dergahlari, Ankara, cem vakfi yayinlari,2002.
52. Shankland, David, The Alevis in turkey, the emergence of a secular Islamic tradition, London and Newyork, Rontledge curzon, 2003.
53. Tulum, mertol, "Menakibul-kudsiyye üzerinde Bir Deneme", İstanbul, Deniz kitaBEVI, 2000.
54. Yaman, Mehmet, Alevilik İnanç Edeb Erkân, 4. b, İstanbul: yb,1995.
55. Yaman, ali, Alevilik Bektaşilik nedir? In: www.Alevibektaşi.org))
56. Yaşar ocak, Ahmet, Kalanderiler, Ankara, T.T.K, 1999
57. Yıldırım, ahmet, Alevi-Bektaşi Edebiyatında Kullanılan Hedisler ve Deđerlendirilmesi, islamiyat, Cilt 6 say 3, (temmuz-eylül 2003.)
58. Yeler, Abdulkadir, Shi'ism in Turkey :A Comparison of the Alevis and the Ja'faris, Journal of Shi' a Islamic Studies Summer, Vol .III. No 3, 2010.
59. Yeler, Abdulkadir, Türk Toplumunda Caferiler (İstanbul Halkalı Örneđi). İstanbul: MÜSBE (Basılmamıđ Yüksek Lisans Tezi)‘ 2006.

أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري

لدى طلاب الصف الرابع العلمي

The impact of excitement irregular in expressive performance of the fourth-grade science students

م. د ضياء عزيز محمد الموسوي^(١)
م.م. تحسين علي حسين الشاهر^(٢)
M.Dr. Dhia Aziz Mohammed
M.M. Tahseen Ali Hussein

ملخص البحث

يرمي البحث الحالي إلى معرفة أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي. ولتحقيق مرمى البحث وضع الباحثان الفرضية الصفرية الآتية:
لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية التي تدرس اسلوب الاثارة غير المنتظمة ومتوسط درجات المجموعة الضابطة التي تدرس بالطريقة الاعتيادية في الأداء التعبيري.

وضم مجتمع البحث جميع المدارس الإعدادية للبنين التابعة للمديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة، والبالغ عددها (١١)، واختار الباحثان عشوائياً مدرسة جابر الانصاري للبنين لتطبيق التجربة فيها. وبعد أن حدد الباحثان المدرسة التي سيطبق فيها التجربة زارها احد الباحثين، فوجدها تضم شعبتين للصف الرابع العلمي هما (أ،ب)، واختيرت بطريقة عشوائية شعبة (أ) لتمثل المجموعة التجريبية، وشعبة (ب) لتمثل

١ - جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية.

٢ - المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة.

أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي

المجموعة الضابطة، وبلغ عدد طلاب الشعبتين (63) طالبا، بواقع (32) طالبا في المجموعة التجريبية و(31) طالبا في المجموعة الضابطة.

حدد الباحثان الموضوعات الدراسية التي ستدرس في اثناء التجربة، وصاغاً أهدافاً سلوكية لهذه الموضوعات فكانت (82) هدفاً سلوكياً.

أعد الباحثان خططاً تدريسية للموضوعات المقرر تدريسها في اثناء التجربة وعرض اثنتان خططاً نموذجية على نخبة من الخبراء والمتخصصين لمعرفة صلاحيتها وملاءمتها لتلك الموضوعات.

طبق الباحثان اختباراً بعدياً في مادة التعبير بعد انتهاء التجربة، واستعملا الوسائل الاحصائية الآتية: الاختبار الزائلي لعينتين مستقلتين، ومربع كاي، ومعامل ارتباط بيرسون، وبعد تحليل النتائج توصل الباحثان إلى تفوق طلاب المجموعة التجريبية التي درست الاثارة غير المنتظمة على المجموعة الضابطة في اختبار الاداء التعبيري.

وخلص الباحثان الى مجموعة توصيات منها:

- ضرورة عمل دورات تدريبية للمدرسين من اجل تدريبهم على استعمال الأساليب والاستراتيجيات الحديثة في التدريس، وتطبيقها بشكل فعلي.

واقترح الباحثان ما يأتي:

- إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على مراحل دراسية أخرى.

Abstract

The current research aims to: identify the effect of excitement irregular in expressive performance of the fourth-grade science students.

To achieve the goal put researchers search the following null hypothesis:

There is no difference statistically significant at the level (0.05) between the average scores of the experimental group taught style thrills irregular and the average scores of the control group taught the usual way in expressive performance.

Find all brought together community prep school for boys of the General Directorate for Educational holy city of Karbala, of (11), and the researchers randomly chose Jaber Al-Ansari School for Boys to apply the experience. Having identified the researchers school which will apply the experiment visited, and found includes two divisions of scientific fourth two (a, b), were selected randomly Division (a) to represent the experimental group, and the Division (b) to represent the control group, and the number of divisions students (63 students), by (32) students in the experimental group and 31 students in the control group.

The researchers identified academic subjects that will be examined in the course of the experiment, and coined the behavioral targets for these subjects were (82) behaviorally target.

The researchers prepared plans for teaching the subjects to be taught in the course of the experiment and display two atypical plans to a group of experts and specialists to see the validity and relevance of these topics.

The researchers applied a test Uday in the material expression after the end of the experiment, and were used statistical means the following: Test Zaúa for two independent samples, and Chi-square, Pearson) correlation, and after analyzing the results, the researchers to outweigh the experimental group that studied the excitement irregular to the control group to test the performance of students Expressionist.

The researchers concluded that a set of recommendations including:

- The need to work training courses for teachers to be trained in the use of modern methods and strategies in teaching, and applied effectively.

The researchers suggested the following:

- Conducting a similar study of the current study to study the last stages.

الفصل الأول: التعريف بالبحث

أولاً: مشكلة البحث:

إنّ مشكلة ضعف الطلاب في التعبير مشكلة لحظها التربويون والمفكرون في أقطار شتى من الوطن العربي ورأوا أن الحاجة ماسة إلى دراستها واقتراح المعالجات لها من أجل النهوض بمستوى تعبير الطلاب. فمن هؤلاء التربويين من أشار إلى خطورة هذه المشكلة في المدارس الثانوية بقوله: " ثبت من عمليات التتبع في الميدان بالنسبة للتعبير بالمدارس الثانوية أن التدريب عليه لم يحقق الهدف من دراسته، على الرغم مما يبذله المدرسون... فالطالب... يبدو عاجزاً عن تدوين مذكراته وتلخيص محاضراته، فضلاً عما يشيع في كتاباته من أغلط نحوية وإملائية ولغوية وأسلوبية" (الجمبلاطي والتوانسي، ١٩٧١: ٢٨٧). ومنهم من أسماها مشكلة المشكلات (إبراهيم، ١٩٧٣: ١٦٩).

وقد أثبتت الدراسات قصوراً واضحاً في مهارات التعبير عند الطلاب، وذلك من حيث الأفكار، والأسلوب، والصياغة، وكثرة الأغلط الإملائية والنحوية، ومن هذه الدراسات دراسة (الهاشمي، ١٩٨٨)، و دراسة (عبد عون، ١٩٨٩).

وقد بدأ الضعف في الكتابة يظهر جلياً في الوقت الحاضر، وقد يكون السبب في ذلك نظامنا التعليمي الذي يركّز على التلقين والحفظ (مصطفى، ٢٠٠٧: ١٦٢)، ومن الأسباب المهمة الأخرى في تفاقم هذه المشكلة لدى الطلاب، افتقارهم إلى الوعي الكتابي، والاستعمال السليم له (مرعي، والحيلة،

٢٠٠٢ : ٢٥١)، أضف إلى ذلك، كثرة اللهجة العامية في أثناء التدريس وقلة استثمار فرص التدريب على العربية الفصيحة في دروس العربية الأخر(الوائلي، ٢٠٠٤ : ٨٥).

وقد برزت مشكلة الضعف في التعبير قلة عناية المدرسين بالدرس من حيث الإعداد له، وطريقة التدريس، وتصحيح كتابات الطلاب والابتعاد غالبا عن اللغة الفصيحة الى عامية سقيمة مع افتقار الطلاب لأركان التعبير اللازمة من المفردات والعبارات والأفكار وغياب المنهج(عبد الحليم، وحفظ الله ١٩٦٨ : ١١).

ان الإحساس بمشكلة تدريس التعبير وما يتعرض له من صعوبات يقتضي التفكير بالبحث عن أسلوب جديد لتدريسه في المرحلة الثانوية يتفق مع ما تؤكدُه الأساليب الحديثة في مشاركة الطلاب وتشجيعهم على النقد، والتحليل، والاستقراء وتدريبهم على ذلك والاعتماد على أنفسهم في تقويم الظواهر والحكم عليها، ويعتقد الباحثان ان هذا العمل قد يسهم في تذليل بعض صعوبات تدريس التعبير ومعالجة بعض مشكلاته لذا يحاولوا في دراستهم الحالية تجريب اسلوب الاثارة غير المنتظمة الأثر في الأداء التعبيري عند تدريس طلاب الصف الرابع العلمي.

ثانياً: أهمية البحث:

مادامت اللغة أداة التعبير، فالعربية كانت وما زالت خير أداة للتعبير والإيضاح، فهي المرآة الصادقة التي تعكس ثقافة الإنسان وما يحمله من ألوان العلم والأدب، وكيف يرد بها على الآخرين فيما يسألونه فيحجم، ويورد لهم الأدلة على ما يقول فهي أسلوب للدفاع عن العقيدة والدين ولقد كان للرسول(صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) شعراء يدافعون عنه وعن دعوته ويردون على مشركي قريش هجاءهم له، "إذ كان يرى الرسول(صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) أن وقع شعرهم عليهم اشد من وقع الحسام"(ضيف، ١٩٨٦ : ٤٥)، ومنهم حسان بن ثابت الانصاري(رضي الله عنه)، إذ قال له رسول الله (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم): "اهجهم وروح القدس معك"(المبرد، ب. ت: ١٠٢).

وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ((وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ))،(سورة الشعراء، الآية ١٩٢-١٩٥) أي ان المرء مقيس بحسن مشاعره وطيب احساسه وجودة كلامه وبيانه، وكان الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) مثلاً رائعاً في سداد التفكير وبراعة التصوي، وله خطب مأثورة لانت فيها الطبع الفظة واهتدت بها النفوس الضالة واستمدت منها العزائم الواهنة والقلوب المترددة ثباتاً ونورا في ساعات الحن(الرحيم، ١٩٧١ : ٤٧). ومع ان العرب كانوا أمة فصاحة وبلاغة فقد كانوا ينقدون الكلام، ويبينون مواطن القوة والضعف فيه، لذا عاب الخليفة الأموي هشام ابن مروان على الشاعر(ذي الرمة) لما بدأ قصيدته بقوله: ما بال عينيك منها الدمع ينسكب؛ إذ غضب عليه ونحاه حتى عاد وقال: " ما بال عيني منها الدمع ينسكب "(أمين، ١٩٦٧ : ٤٦٥)، وكانوا يفضلون الكلام على الصمت وهذا الجاحظ يؤكد ان الكلام انفع من الصمت، والرواة لم يروا سكوت الصامتين كما روت كلام الناظمين والناثرين، فبالكلام أرسل الله تعالى أنبياءه وليس بالصمت أرسلهم(الماشي، ١٩٨٥ : ٩٤).

ويعد التعبير الغاية الرئيسة من دروس اللغة بصفة عامة، إذ إنه البوتقة التي تنصهر فيها فروع اللغة العربية جميعها من نحو، وصرف، وإملاء، وخط، ونصوص، وأدب، وبلاغة، فالتعبير هو الهدف الأسمى، وفروع اللغة جميعها وسائل لتحقيق هذا الهدف (عبد الباري، ٢٠١٠: ١٤٧).

فالتعبير له أهمية كبيرة في حياة الفرد وكذلك في حياة المجتمع، فهو يمثل طريقة لاتصال الفرد بغيره سواءً أكان بالأفراد أم بالمجتمع، ويساعد التعبير على حلّ المشكلات، وذلك عن طريق ما يتبادلّه الأفراد من آراءٍ ومناقشاتٍ، والفشل في ذلك يؤدّي إلى فقدان الثقة وتوسيع المشكلات (الساموك والشمري، ٢٠٠٥: ٢٣٥)، وللتعبير أهمية مميزة في التعليم، فدروسه تقوّي شخصية المتعلم وتعوّده الجرأة وحسن الأداء وأدب الحديث، وتدريّته على حسن الاستماع والتفكير قبل الحديث أو الكتابة (طاهر، ٢٠١٠: ١٧٦).

ويعدّ الركن الأساسي في العمل اللغوي، وفيه يظهر كمال اللغة، وعليه يعتمد التحصيل الدراسي في كثير من صوره، ويسهم في حل المشكلات الفردية والاجتماعية (الازيرجاوي ٢٠٠٢: ١١)، إذ ينقسم بدوره من حيث الموضوعات الى وظيفي وأبداعي ومن حيث الاداء الى شفوي و تحريري و كل الأنواع مطلوبة في مواقف الحياة المختلفة (الطاهر، ١٩٦٩: ١٨٠).

أنّ التعبير هو رياضة الذهن، والمعاني غالباً ما تكون غامضة وغير محددة في الذهن، والإنسان عندما يضطر إلى التعبير فهو يضطر إلى إعمال ذهنه لتحديد الأفكار والمعاني وتوضيحها، والتعبير عنها شفويّاً أو كتابتها تحريراً (الدليمي، وسعاد، ٢٠٠٥: ٤٣٧).

ويعدّ الأسلوب من اهم مظاهر التعبير الذي يبتعد الطالب عنه في كتاباته ولهذا الأسلوب صفات ثلاث يمتاز بها وهي: الوضوح والقوة والجمال. فمتى تجمعت هذه الصفات مع بعضها أعطته أهمية بالغة لأسلوب الكاتب وقد قيل الاسلوب هو الكاتب نفسه يريد بذلك أن أسلوب الطالب هو مرآة صافية لشخصيته (عامر، ٢٠٠٥: ٢٩).

ويرى الباحثان أن ما نلاحظه في هذه الأيام من التطور، أدى إلى اتساع الفجوة بين حاجات الطلاب التعليمية-التربوية، وبين قدرات المدرسين المهنية، على مواكبة التغييرات الحضارية السريعة، إذ تزداد الحاجة إلى توظيف العديد من الوسائل والأساليب والاستراتيجيات التربوية الحديثة.

لذا وجب إجراء مراجعة شاملة لبيان ما إذا كانت تلك الخطط تؤدّي وظيفتها فعلاً، وتحديث التعلم المطلوب أم لا؟ (الجاغوب، ٢٠٠٢: ٢٢٥).

ومن الاساليب الحديثة هو أسلوب الإثارة غير المنتظمة التي توفر للطلاب حرية ومرونة للتخلص من معوقات الواقع والتقليد وتقريبه من الإبداع وذلك من خلال اجراء مقارنات بين مفردات لا تربطها علاقات واضحة، أذ يشعر الطالب من طريق تأمله للمفردات بالقدرة على تحرير الخيال من قيود المنطق والتفكير التقليدي وفي هذه الحالة النفسية يشعر الطالب أن المشكلة بين ترابط المفردات في طرائقها للحل (صلاح الدين، ٢٠٠٦: ٤١٢).

ويعد أسلوب الإثارة غير المنتظمة من أساليب استراتيجية العصف الذهني وآلية من آليات التفكير الإبداعي يقوم على استثارة الدماغ لتوليد أفكار إبداعية لم يسبق التفكير فيها من قبل، فهو يمثل آلية من آليات التفكير الإبداعي من طريق إيجاد علاقات بين مفاهيم أو أشياء لم تكن بينها علاقة ظاهرة معروفة في الأصل لذلك أطلق على المثيرات المطروحة (المثيرات غير المنتظمة)، إذ يمكن أن يكون هذا الأسلوب فعّالاً في تدريس المفاهيم، والاتجاهات، كذلك شرح الأفكار وتوضيحها (عطية، ٢٠٠٧: ٢٠٧).

وتأتي أهمية مرحلة الرابع العلمي من أهمية المرحلة الإعدادية، ففي هذه المرحلة أصبح وعي الطلاب أكثر، وتفكيرهم أقوى (أبو مغلي، ١٩٨٦: ٥٦)، وفي المرحلة الثانوية؛ لا بدّ من إيلاء اهتمام كبير للتعبير الكتابي، إذ ينبغي للطلاب أن يتعلّموا هنا كتابة الموضوعات الأدبية، والتوسّع في معالجة بعض الموضوعات كتابياً، والتدرّب على التلخيص (عمار، ٢٠٠٢: ١٧٠)، فضلاً عن ذلك أنّ استعمال التجربة يكون أكثر ملاءمةً إذا طبّق على طلابٍ من مراحل دراسية متقدمة (قطامي، ٢٠٠٥: ٨٢). ويمكن إنجاز أهمية البحث الحالي في ما يأتي:

١- أهمية اللغة العربية، لكونها المقوم الرئيس للوجود العربي، وهي فوق كل هذا لغة كتاب الله العزيز القرآن الكريم

٢- أهمية التعبير؛ لأنه الهدف الأخير وغاية الدراسة لفروع اللغة العربية مجتمعةً والوسيلة الوحيدة للاتصال بين الناس في مختلف البلدان والمحافظة على الرصيد الحضاري والثقافي ونقله الى الأجيال المقبلة.

٣- ضرورة استعمال الأساليب التربوية الحديثة التي تعتمد المشاركة الفعلية للطلاب في العملية التعليمية.

٤- أهمية أسلوب الإثارة غير المنتظمة بوصفه أسلوباً من أساليب العصف الذهني وآلية من آليات التفكير الإبداعي

٥- أهمية المرحلة الإعدادية، ولاسيما مرحلة الصف الرابع العلمي.

ثالثاً: مرمى البحث:

يرمي البحث الحالي إلى: معرفة أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي.

رابعاً: فرضية البحث:

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية التي تدرس أسلوب الاثارة غير المنتظمة ومتوسط درجات المجموعة الضابطة التي تدرس بالطريقة الاعتيادية في الأداء التعبيري.

خامساً: حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على:

١. المدارس الإعدادية والثانوية النهارية التابعة لمركز محافظة كربلاء المقدسة للعام الدراسي ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م.
٢. التعبير الكتابي.

سادساً: تحديد المصطلحات:

١- الإثارة غير المنتظمة Random stimulaiaion.

عرفها كل من:-

- أ. (دي بونو) بأنها: "هي نوع من التحريض غير المخطط، وأكثر تقنيات التفكير الجانبي سهولة يكون مناسباً على النحو الخصوص لحالة إبداعية تكون عندما يطلب منك طرح أفكار إبداعية ولكنك لا تعرف من أين تبدأ" (دي بونو، ١٩٩٥: ١٨٩).
- ب. (أبو جادو، ومحمد) بأنها: "نوع من التركيز المبدع نلجأ إليه عندما نكون بحاجة إلى توليد أفكار جديدة، ونختار كلمة بنحو عشوائي من بين الأفكار المطروحة للمناقشة" (أبو جادو، ومحمد، ٢٠٠٧: ٤٧٢).

التعريف الإجرائي للإثارة غير المنتظمة.

هو عملية تثير تفكير الطلاب (عينة البحث)، وتزيد من دافعيتهم نحو الدرس، وتجعلهم ينظرون إلى الموضوع من زوايا متعددة، وقادرين على توليد أفكار جديدة لم يسبق لهم أن يتوصلوا إليها قبل عملية التفكير فيها، وذلك من طريق ربط المثيرات المطروحة بموضوع الدرس وإن كانت هذه المثيرات ليس لها علاقة بالموضوع في الظاهر.

٢- الأداء التعبيري Expressive performance.

الأداء لغة: جاء في لسان العرب مادة (أدا) وأدَّى الشيءَ أوَصَلَهُ وهو آدِي للأمانة منه بمد الألف وأدَّى دينه تأديَةً أي قضاءً والاسمُ الأداءُ (ابن منظور، د. ت: ٣٧).

الأداء اصطلاحاً:

عرفه نجاد: " بأنه إنجاز عمل، أو إحراز تفوق في مهارة ما" (نجاد، ١٩٦٠: ١٥).

التعبير لغة: جاء في لسان العرب عَبَّرَ الرُّوْيَا يَعْبُرُهَا عَبْرٌ وَعِبَارَةٌ وَعَبَّرَهَا: فَسَّرَهَا وَاخْبَرَ بِمَا يُوَوَّلُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا (ابن منظور، د. ت: ٦٦٧).

التعبير اصطلاحاً:

عرفه أبو مُغَلِّي: " هو تدفق الكلام على لسان المتكلم، أو الكاتب فيصور ما يحس به، أو ما يفكر به، أو ما يريد ان يسال، اويستوضح عنه، وهو اطار يكشف خلاصة المقروء من فروع اللغة وادابها والمعارف المختلفة" (ابو مُغَلِّي، ٢٠٠١: ٥٣).

التعريف الإجرائي للأداء التعبيري:

إنجاز طلاب مجموعتي البحث اللغوي في التعبير الكتابي، عن الموضوع التعبيري المختار لهم من أفكارٍ وأحاسيسٍ ومشاعرٍ كتابيةً، وبأسلوبٍ واضحٍ وسليمٍ ومفهومٍ، ويقاسُ ذلك على وفق محكّاتٍ معتمدةٍ لتصحيحه، ويعبّرُ عنه بالدرجات التي يحصل عليها طلاب المجموعتين في الاختبار المعدّ لذلك.

٣- الصف الرابع العلمي Class Of Scientific Fourth:

أولُ صفٍّ من صفوف المرحلة الإعدادية وأحد فرعيها، وتأتي هذه المرحلة بعد المرحلة المتوسطة، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنواتٍ وتضمُّ الصفوف الآتية: الرابع، والخامس، والسادس.

الفصل الثاني: دراسات سابقة

أولاً: دراسات عربية:

١ - (دراسة شعبان).

(اثر استخدام الاثارة العشوائية على تحصيل مادة الاحياء لدى طلاب الصف الحادي عشر) أجريت هذه الدراسة في البحرين، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير، ورمت إلى معرفة أثر استخدام الاثارة العشوائية على التحصيل مادة الاحياء لدى طلاب الصف الحادي عشر، وتم اختيار عينة البحث عشوائياً والتي تألفت من (٦٠) طالباً، وهي عبارة عن صفين من صفوف الرابع الاعدادي، بمدرسة المأمون للبنين، بحيث يدرس احد الصفين وحدة الحرارة والتغيرات من كتاب الاحياء للصف الرابع الاعدادي باستعمال الاثارة العشوائية لتكون المجموعة التجريبية، في حين يدرس الصف الأخر بالطريقة المعتادة ليكون المجموعة الضابطة، وقام الباحث باختبار تحصيلي وأخر للتفكير العلمي، وقد أسفرت الدراسة عن وجود فروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة، وذلك على الاختبار التحصيلي البعدي والاختبار المرجح في الدرجة الكلية ومستوى التذكر، ومستوى الفهم، لصالح المجموعة التجريبية (شعبان، ١٩٩٦: ١٠٠-١٠٥).

٢ - (دراسة جمعة):

(أثر أسلوب الإثارة العشوائية في تنمية التفكير الإبداعي والأداء التعبيري لدى طالبات الصف الخامس الأدي)

أجريت هذه الدراسة في العراق في جامعة بابل/ كلية التربية الاساسية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير، وهدفت إلى تعرف مدى أثر أسلوب الإثارة العشوائية في تنمية التفكير الإبداعي والأداء التعبيري لدى طالبات الصف الخامس الأدي وقد تكونت عينة الدراسة من (٧٣) طالبة وبواقع مجموعتين تجريبية وضابطة درست المجموعة التجريبية الأولى وهي بواقع (٣٧) طالبة باستعمال الاثارة العشوائية، ودرست المجموعة الضابطة وعددها (٣٦) طالبة باستعمال الطريقة الاعتيادية، وقد كفاة الباحثة بين مجموعات البحث لمتغيرات العمر الزمني والتحصيل الدراسي للأبوين، وبعد انتهاء مدة التجربة التي استمرت شهرين طبقت الباحثة اختباراً تحصيلياً على الطالبات بلغت عدد فقراته (٤٠) فقرة، وتم التأكيد

من صدق الاختبار من خلال عرضها على مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص وتم حساب الثبات بطريقة التجزئة النصفية وصحح باستعمال معادلة سبيرمان براون وتم حساب معاملات صعوبة الفقرات ومعامل التمييز، وتحليل النتائج إحصائياً استعملت الباحثة اختبار T-Test لعينتين مستقلتين وقد توصلت الدراسة إلى:

وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٥, ٠, ٠) بين متوسطي درجات الطالبات اللائي يدرسنّ التعبير الكتابي بأسلوب الإثارة العشوائية و درجات الطالبات اللائي يدرسنّ التعبير الكتابي بالطريقة الاعتيادية في التفكير الإبداعي والاداء التعبيري (جمعة، ٢٠١١: ٢-١).

٣- (دراسة الجبوري):

(اثر استعمال اسلوب الاثارة غير المنتظمة في التحصيل لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة التاريخ)

أجريت هذه الدراسة في العراق في جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير، وهدفت إلى تعرف مدى أثر استعمال اسلوب الاثارة غير المنتظمة في التحصيل لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة التاريخ وقد تكونت عينة الدراسة من (٦٦) طالباً، وبواقع مجموعتين تجريبية وضابطة درست المجموعة التجريبية الأولى وهي بواقع (٣٣) طالباً في كل من المجموعتين التجريبية والضابطة، وقد كافأ الباحث بين مجموعتي البحث لمتغيرات العمر الزمني، والتحصيل الدراسي للأبوين، واختبار الذكاء، وبعد انتهاء مدة التجربة التي استمرت شهرين طبق الباحث اختباراً تحصيلياً على الطلاب بلغت عدد فقراته (٥٠) فقرة وتم التأكد من صدق الاختبار من خلال عرضها على مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص وتم حساب الثبات بطريقة التجزئة النصفية وصحح باستعمال معادلة سبيرمان براون وتم حساب معاملات صعوبة الفقرات ومعامل التمييز، وتحليل النتائج إحصائياً استعمل الباحث اختبار T-Test لعينتين مستقلتين وقد توصلت الدراسة إلى:

وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٥, ٠, ٠)، ولصالح المجموعة التجريبية التي درست باستعمال اسلوب الاثارة غير المنتظمة على المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية في التحصيل (الجبوري، ٢٠١٤: ط-٥).

ثانياً: دراسات أجنبية:

١- (دراسة Feldhausen)

(معرفة اثر استعمال اسلوب الاثارة العشوائية في تحصيل طلبة الصف الثامن في مادة تاريخ الولايات المتحدة)

أجريت هذه الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير، ورمت الى معرفة اثر استعمال اسلوب الاثارة العشوائية في تحصيل طلاب الصف الثامن في مادة تاريخ الولايات المتحدة بلغت عينة البحث (٥٠) طالباً، شملت الصفوف في احدى المدارس الذي تدرس تاريخ

أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي

الولايات المتحدة، قسموا على مجموعتين الأولى مجموعة تجريبية بلغ عدد طلابها (٢٥) طالبا، درسوا بطريقة اسلوب الاثارة العشوائية والأخرى المجموعة الضابطة تألفت من (٢٥) طالبا، درسوا بالطريقة الاعتيادية، وتم إجراء مسح تقويمي للمجموعة التجريبية بعد الاختبار البعدي وعولجت البيانات إحصائيا، وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وتحليل التباين أظهرت النتائج:
وجود فروق دالة إحصائيا في التحصيل الآني والمؤجل لصالح طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستعمال الاثارة العشوائية (Feldhausen, 1990:68).

٢- (دراسة Hanuscin):

(اثر الاثارة العشوائية في تحصيل طلاب الرابع الاعدادي في مادة الاحياء)
اجريت هذه الدراسة في امريكا، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة اثر الاثارة العشوائية في التحصيل لتدريس خلية تنفس الأوكسجين، وتكونت عينت الدراسة من صفين من صفوف المرحلة الثانوية التي بلغ عددها (٥٢) طالبا، إحداها تمثل المجموعة التجريبية التي تدرس باستعمال الاثارة العشوائية، والأخرى المجموعة الضابطة التي تدرس باستعمال الطريقة الاعتيادية. وقد اعد الباحث اختبارا تحصيليا بعديا. وأسفرت نتائج الدراسة عن متوسط درجات الاختبار لدى طلاب المجموعة التجريبية بلغ (٨٦ %)، ومتوسط درجات المجموعة الضابطة بلغ (٨٠ %)، وهذا يدل على تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في التحصيل (Hanuscin, 2008: 211).

ثالثا: موازنة الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

وازن الباحثان بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية، مبينا مواطن الشبه والاختلاف بين هذه الدراسات، وكذلك بينها وبين الدراسة الحالية، ويمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

١- الهدف:

تنوعت الدراسات فيما بينها من حيث أهدافها، فالبعض منها كان يهدف الى التعرف على أثر أسلوب الإثارة العشوائية في التحصيل كدراسة (شعبان، ١٩٩٦)، و(الجبوري، ٢٠١٤)، و(1990, Feldhausen)، و(Hanuscin, 2008)، والبعض الآخر في تنمية التفكير الإبداعي والأداء التعبيري كدراسة (جمعة، ٢٠١١) في المراحل التعليمية المختلفة، والدراسة الحالية هدفت الى أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي.

٢- المنهج:

استعملت الدراسات السابقة المنهج التجريبي، إذ انها دراسات تتطلب هكذا منهج، والدراسة الحالية تتفق مع هذه الدراسات لاستعمالها المنهج التجريبي ايضاً.

٣- العينة:

تابنت الدراسات السابقة في أعداد عينتها، وكانت أكبر عينة ضمتها دراسة (جمعة، ٢٠١١)، إذ بلغت (٧٣) طالباً، وأصغر عينة ضمتها دراسة (Feldhausen, 1990)، إذ بلغت (٥٠) طالباً، أما الدراسة الحالية فكانت عينتها عشوائية بلغت (٦٣) طالباً.

٤- المرحلة الدراسية

طبقت الدراسات السابقة على مراحل التعليم المختلفة، ولم تقتصر على مرحلة دراسية بعينها، فمنها المرحلة المتوسطة كدراستي (الجبوري، ٢٠١٤)، و (Feldhausen, 1990)، والمرحلة الإعدادية كدراسة (شعبان، ١٩٩٦)، و (جمعة، ٢٠١١)، و (Hanuscin, 2008)، أما الدراسة الحالية فقد طبقت على المرحلة الإعدادية أيضاً.

٥- الأداة:

اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة باستعمالها الاختبار التحصيلي أداة لتحقيق أهدافها.

رابعاً: جوانب الإفادة من الدراسات السابقة:

- ١- صياغة مشكلة الدراسة وأهميتها. ٢- تصميم منهج الدراسة وإجراءاتها.
- ٣- اختيار عينة الدراسة. ٤- بناء الأداة وتطبيقها.
- ٥- كيفية عرض النتائج وتفسيرها.

الفصل الثالث: منهج البحث وإجراءاته

أولاً: منهج البحث:

اتبع الباحثان المنهج التجريبي لتحقيق هدف بحثهم ؛ لأنه المنهج الملائم لإجراءات البحث، والمقصود من مصطلح "تجريبي" تطبيق شيء وملاحظة أثر التغيير في شيء آخر (عباس وآخرون، ٢٠٠٩: ٨٠).

ثانياً: التصميم التجريبي:

اعتمد الباحثان واحداً من تصاميم الضبط الجزئي الذي يراه ملائماً لظروف البحث الحالي، والشكل الآتي يبين ذلك:

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع	الأداة
المجموعة التجريبية	الاثارة غير المنتظمة	الأداء التعبيري	اختبار بعدي
المجموعة الضابطة		

شكل (١) التصميم التجريبي للبحث الحالي

ثالثاً: مجتمع البحث وعيّنته:

١. مجتمع البحث:

شمل مجتمع البحث المدارس الإعدادية النهارية للبنين ضمن حدود مركز محافظة كربلاء المقدسة للعام الدراسي ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م، التي لا يقل عدد شعب الصف الرابع العلمي فيها عن شعبتين، فكانت المدارس على ما مبين في جدول (١).

جدول (١) المدارس الإعدادية النهارية للبنين في مركز محافظة كربلاء المقدسة، ومواقعها

ت	اسم المدرسة	موقعها	عدد شعبها	مجموع طلاب الشعب
١-	إعدادية كربلاء للبنين	العباسية الغربية	٦	٢٣٦
٢-	إعدادية نهر العلقمي للبنين	باب بغداد	٣	١١١
٣-	إعدادية الغد الأفضل للبنين	حي الأطباء	٢	٨٨
٤-	إعدادية عبد الله بن عباس للبنين	حي الإحصاء	٤	١١٨
٥-	إعدادية عثمان بن سعيد للبنين	العباسية الغربية	٤	١٤٤
٦-	إعدادية المكاسب للبنين	حي رمضان	٣	٩٠
٧-	إعدادية الرافدين للبنين	حي العامل	٢	٨٦
٨-	إعدادية احمد الوائلي للبنين	سيف سعد	٢	٨٥
٩-	إعدادية أسامة بن زيد للبنين	حي الحر	٣	١٥٠
١٠-	إعدادية حسين محفوظ للبنين	حي المعلمين	٣	١٠٥
١١-	إعدادية جابر الأنصاري	حي الموظفين	٢	٨١
المجموع			٣٤	١٢٩٤

٢. عينة البحث:

على الباحثين أن يختاروا عينة تمثل المجتمع الأصلي تمثيلاً صادقاً، وقد حددت عينة البحث الحالي على النحو الآتي:

أ- عينة المدارس:

بعد استصدار الباحثان أمراً من المديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة لتسهيل مهمتهم^(٣) اختار

الباحثان إعدادية جابر الأنصاري النهارية للبنين بطريقة عشوائية^(٤) لإجراء بحثهم فيها.

ب . عينة الطلاب:

زار الباحثان إعدادية جابر الانصاري للبنين بموجب الكتاب الصادر من مديرية تربية كربلاء المقدسة، فوجدوا أنها تحوي شعبتين (أ، ب) للصف الرابع العلمي اختار الباحثان شعبة (أ) بطريقة عشوائية^(٥) لتكون المجموعة التجريبية التي تُدرّس بأسلوب الإثارة غير المنتظمة، وشعبة (ب) المجموعة الضابطة التي تُدرّس بالطريقة الاعتيادية، وقد بلغ المجموع الكلي لطلاب المجموعتين (٨١) طالب بواقع (٤٠) طالب في شعبة (أ)، و (٤١) طالب في شعبة (ب) وذلك قبل استبعاد الطلاب المخففين في المجموعتين وعددهم (١٨) بواقع (٨) طالب في المجموعة التجريبية، و (١٠) طالب في المجموعة الضابطة ليكون عدد الطلاب في المجموعتين بعد الاستبعاد (٦٣) طالب بواقع (٣٢) طالب في المجموعة التجريبية، و (٣١) طالب في المجموعة الضابطة، علماً بأن استبعادهم كان من النتائج النهائية فقط مع إبقائهم في الصف حفاظاً على النظام المدرسي وجدول (٢) يبين ذلك.

جدول (٢) توزيع طلاب عينة البحث على مجموعتي البحث

المجموعة	عدد الطلاب قبل الاستبعاد	عدد الطلاب المخففين	عدد الطلاب بعد استبعاد المخففين
المجموعة التجريبية (أ)	٤٠	٨	٣٢
المجموعة الضابطة (ب)	٤١	١٠	٣١

رابعاً: تكافؤ مجموعتي البحث:

أجرى الباحثان قبل بدء التجربة تكافؤاً إحصائياً بين مجموعتي البحث في المتغيرات الآتية التي قد تؤثر في نتائج هذه التجربة:

- ١- العمر الزمني للطلاب محسوباً بالشهور.
- ٢- درجات اللغة العربية في اختبار نهائي السنة للعام الدراسي السابق ٢٠١٣-٢٠١٤م (ملحق/١).
- ٣- درجات الاختبار القبلي في الاداء التعبيري (ملحق/٢).
- ٤- التحصيل الدراسي للآباء.
- ٥- التحصيل الدراسي للأمهات.

وفيما يأتي توضيح تكافؤ طلاب مجموعتي البحث إحصائياً في المتغيرات السابقة.

٤ - كتب الباحثان أسماء المدارس الإحدى عشرة مدرسة في أوراق صغيرة ووضعها في كيس، وسحب ورقة واحدة لتمثل المدرسة التي سيطبق فيها الباحثان تجربتهم، فكانت الورقة المسحوبة تحمل اسم إعدادية جابر الانصاري للبنين.
٥ - كتب الباحثان أسماء الشعبتين في ورقتين صغيرتين ووضعها في كيس وسحب ورقة واحدة لتكون المجموعة التجريبية وكانت الورقة المسحوبة تحمل اسم شعبة (أ) أما الورقة التي تحمل اسم شعبة (ب) فكانت المجموعة الضابطة.

١. العمر الزمني محسوباً بالشهور:

للتحقق من أن مجموعتي البحث متكافئة في العمر استعمل الباحثان اختبار (Z) لعينتين مستقلتين لحساب دلالة الفروق بين أعمار مجموعتي البحث فكانت النتائج على ما مبينة في جدول (٣):
جدول (٣) القيمة الزائمية المحسوبة لأعمار طلاب مجموعتي البحث محسوباً بالشهور

مستوى الدلالة عند (٠,٠٥)	درجة الحرية	القيمتان الزائمتان		الانحراف المعياري	التباين	الوسط الحسابي	حجم العينة	المجموعة
		المحسوبة	الحرجة					
غير دالة إحصائياً	٦١	١,٩٦	١,٣٢	٤,٥	٢٠,٩٤	١٩٦,٦	٣٢	التجريبية
				٣,٠٧	٩,٤٣	١٩٨,٤	٣١	الضابطة

٢. درجات مادة اللغة العربية في اختبار نهائي السنة للعام الدراسي ٢٠١٣ - ٢٠١٤م:

أجرى الباحثان تكافؤاً إحصائياً في درجات مادة اللغة العربية في اختبار نهائي السنة لطلاب مجموعتي البحث، وباستعمال اختبار (Z) لعينتين مستقلتين أيضاً، فكانت النتائج على ما مبينة في جدول (٤):
جدول (٤) القيمة الزائمية لدرجات طلاب مجموعتي البحث في اختبار نهائي السنة لمادة اللغة العربية.

مستوى الدلالة عند (٠,٠٥)	درجة الحرية	القيمتان الزائمتان		الانحراف المعياري	التباين	الوسط الحسابي	حجم العينة	المجموعة
		المحسوبة	الحرجة					
غير دالة إحصائياً	٦١	١,٩٦	٠,١٧٤	٩,٨٠	٩٦,٢٣	٥٩,٦٢	٣٢	التجريبية
				١١,٠١	١٢١,٤	٥٩,١٦	٣١	الضابطة

٣. درجات الاداء التعبيري في الاختبار القبلي:

أجرى الباحثان تكافؤاً إحصائياً في درجات الاختبار القبلي في الاداء التعبيري لطلاب مجموعتي البحث، إذ كتب طلاب المجموعتين في الموضوع التعبيري الذي تمت الموافقة عليه من بين عدد من الموضوعات التعبيرية التي عرضها الباحثان في استبانة على مجموعة من الخبراء والمحكمين (ملحق ٣)، والموضوع هو قال النبي محمد ﷺ: (سلامة الإنسان في حفظ اللسان) (ملحق ٤). وباستعمال معادلة اختبار (Z) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفرق الإحصائي بين درجات طلاب مجموعتي البحث، وجدول (٥) يبين ذلك:

جدول (٥) القيمة الزائمية المحسوبة لدرجات طلاب مجموعتي البحث في الاختبار القبلي للاداء

التعبيري.

مستوى الدلالة عند (٠,٠٥)	درجة الحرية	القيمتان الزائمتان		الانحراف المعياري	التباين	الوسط الحسابي	حجم العينة	المجموعة
		الحرجة	المحسوبة					
غير دالة إحصائياً	٦١	١,٩٦	٠,٠٥٥	٨,٧١	٧٥,٩	٥٣,٢١	٣٢	التجريبية
				٨,٥٤	٧٣,٠٤	٥٣,٠٩	٣١	الضابطة

٤. التحصيل الدراسي للآباء:

أظهرت نتائج التكافؤ في التحصيل الدراسي للآباء باستعمال مربع (كأ) انه ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٣) بين المجموعتين في تحصيل الآباء، وجدول (٦) يبين ذلك.

جدول (٦) تكرارات التحصيل الدراسي لآباء طلاب مجموعتي البحث.

مستوى الدلالة عند (٠,٠٥)	قيمتا مربع كاي		درجة الحرية	معهد وكلية فما فوق	متوسطة و إعدادية	ابتدائية	أمي يقرأ ويكتب	حجم العينة	المجموعة
	الحرجة	المحسوبة							
غير دالة إحصائياً	٧,٨٢	١,١٣٢	٣	١٠	١١	٦	٥	٣٢	التجريبية
				١٢	٧	٧	٥	٣١	الضابطة

٥. التحصيل الدراسي للأمهات:

أظهرت نتائج التكافؤ في التحصيل الدراسي للأمهات، وباستعمال مربع (كأ) أنه ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥)، ودرجة حرية (٣) بين المجموعتين في التحصيل الدراسي للأمهات، وجدول (٧) يبين ذلك:

جدول (٧) تكرارات التحصيل الدراسي للأمهات طلاب مجموعتي البحث

مستوى الدلالة عند (٠,٠٥)	قيمتا مربع كاي		درجة الحرية	معهد فما فوق	متوسطة وإعدادية	ابتدائية	أمية تقرأ وتكتب	حجم العينة	المجموعة
	الحرجة	المحسوبة							
غير دالة إحصائياً	٧,٨٢	١,٥٤٦	٣	١١	٧	٨	٦	٣٢	التجريبية
				٩	١١	٧	٤	٣١	الضابطة

خامساً: متطلبات التجربة: قام الباحث بالآتي:

-تحديد المادة العلمية:

أعدّ الباحثان استبانة ضمت (١٢) موضوعاً تعبيرياً (ملحق/٥)، وعرضها على نخبة من الخبراء، والمتخصصين في اللغة العربية، وطرائق تدريسها، لاختيار (٦) ستة موضوعات منها تكون الموضوعات التعبيرية التي ستكتب فيها طلاب مجموعتي البحث في أثناء التجربة. فوقع اختيار الخبراء، والمتخصصين على موضوعات تعبيرية بينها الباحثان في جدول (٨) الآتي:

جدول (٨) الموضوعات التعبيرية التي اختارها الباحثان لتدريس طلاب مجموعتي البحث

ت	الموضوعات
١	قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾.
٢	قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم): ((ليس الشديدُ بالصُّرْعَةِ إنما الشديدُ من يملكُ نفسه عند الغضب)).
٣	قال الإمام علي (عليه السلام): ((ما جفتِ الدموع إلا لقسوة القلوب وما قسوة القلوب إلا لكثرة الذنوب)).
٤	قال الشاعر: قم للمعلم وقِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا.
٥	قال الشاعر: بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن شحوا عليّ كرام.
٦	حسنُ الأخلاق.

وأعدّ الباحثان قائمة ضمت (٦٠) مثيرا عشوائيا (ملحق/٦) وعرضها على مجموعة من الخبراء، والمتخصصين في اللغة العربية، وطرائق تدريسها لاختيار (٣٠) مثيرا بطريقة عشوائية، يعتمدها الباحثان، وطلاب المجموعة التجريبية في الاختيار العشوائي لأي خمسة مثيرات منها لكل موضوع من الموضوعات الست السابق ذكرها في جدول (٨) فوقع اختيار الخبراء على المثيرات العشوائية الآتية:

"شجرة، مدينة، صندوق، وسادة، زهرة، ربيع، قلم حبر، مفتاح، سور، نخلة، فلاح، حجر، جسر، نملة، ولاعة، حجر، ثوب، سلم، فراشة، بيت، جبل، عود اخضر، حطب، مطر، ساعة، نخلة، شمس، بذرة، أصفاد، سراج".

-صياغة الأهداف السلوكية:

اذ تم صياغة (٨٢) هدفا سلوكيا عرضت على مجموعة من المحكمين والمتخصصين في اللغة العربية، وطرائق تدريسها لبيان صدقها وكانت نسبة اتفاق المحكمين بقبولها أكثر من (٨٠%).

- أعداد الخطط التدريسية:

تم إعداد الخطط التدريسية لمجموعي البحث، وعرضت على مجموعة من المحكمين والمتخصصين في اللغة العربية، وطرائق تدريسها، للإفادة من آرائهم وملاحظاتهم ومقترحاتهم، وبضوء آرائهم أجريت عليها بعض التعديلات المطلوبة (ملحق/٧).

- تطبيق التجربة:

باشر الباحثان بتطبيق التجربة على طلاب مجموعتي البحث يوم الاحد الموافق (٢٣/١١/٢٠١٤) وانتهت التجربة يوم الاحد الموافق (٢٢/٢/٢٠١٥) بعد أن درب الباحثان طلاب المجموعة التجريبية على أسلوب الإثارة غير المنتظمة والتوزيع بين مجموعات غير متجانسة وتؤلي رئيس كل مجموعة مهامه، واتفق الباحث معهم على هذه الصيغة طوال مدة التجربة، ودرس الباحث نفسه مجموعتي البحث مادة التعبير استنادا إلى الخطط التدريسية التي وضعها بنفسها وكتب طلاب مجموعتي البحث في ستة موضوعات تعبيرية.

سادسا - أداء البحث:

- اختبار الأداء التعبيري:

من متطلبات البحث الحالي إعداد اختيار موضوع تعبري يتم اختبار الطلاب فيه اختبارا بعدياً، لذا اعد الباحثان الاستبانة التي تضمنت عددا من الموضوعات، (ملحق/٨)، وعرضها على مجموعة من الخبراء المتخصصين في اللغة العربية، وطرائق تدريسها. لاختيار الموضوع الذي يروونه أكثر مناسبة لاختبار الطلاب فيه فوق الاختيار على قول الشاعر:

ما أشرقت في الكون أيُّ حضارة
إلا وكانت من ضياء معلم (٦)

بعد ان حصل على نسبة (٨٠%) من اختيار الخبراء.

- اختيار معيار التصحيح:

اعتمد الباحثان معيار تصحيح جاهز؛ لتصحيح كتابات طلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة لتكون أداة لقياس أدائهم التعبيري، وهو معيار تصحيح الهاشمي الذي أعده وأعتمده في دراسته (١٩٩٤) (ملحق/٩)، وان ما شجع الباحثان على اعتماد هذا المعيار، أنه وضع للبيئة العراقية ولقياس الأداء التعبيري للمرحلة الإعدادية، وقد اعتمد في دراسات كثيرة، وبذلك اعتمد الباحثان معيار تصحيح حديث ومحرب.

- ثبات معيار التصحيح:

من أجل التحقق من ثبات معيار التصحيح طبق الباحثان موضوع الأداء التعبيري- المشار إليه- سابقا- وهو على شكل اختبار على عينه استطلاعية مكونة من (١٩) طالبا من طلاب الصف الرابع العلمي في اعدادية المكاسب للبنين، وبعد الانتهاء الطلاب من الكتابة في الموضوع جمع الأوراق وصححها خارج الصف، وقد اعتمد الباحثان على نوعين من الاتفاق: ١-الاتفاق عبر الزمن. ٢- الاتفاق مع مصحح آخر^(٧).

صحح الباحثان الاختبار بعد عشرة أيام من تصحيح للمرة الاولى، وطلب من مصحح آخر ان يصحح الأوراق المسحوبة بعد ان درياه على التصحيح، وباستعمال معامل ارتباط بيرسون وجد ان معامل ثبات التصحيح عبر الزمن كان (٠,٩١) وبين الباحثان ومصحح آخر كان (٨٩,٠) (ملحق/١٠)، ويُعدّ معامل الثبات جيداً في التصحيحين، ذلك أنّ ثبات الاختبار يعدّ جيدا بالنسبة إلى الاختبارات غير المقننة التي إنّ بلغ معامل ثباته (٦٨,٠) فأكثر (أبو علام، ١٩٩٩: ٤٣٤).

- تطبيق أداة البحث:

طبق الباحثان الأداء التعبيري (الاختبار البعدي) يوم الاحد الموافق (٢٢ / ٢ / ٢٠١٥)، وصحح الباحثان اختبار الأداء التعبيري على وفق معيار الهاشمي، وكان الحد الأعلى للتصحيح (١٠٠) درجة، والحد الأدنى (صفر).

سابعا: الوسائل الاحصائية:

استعان الباحثان للتوصل إلى نتائج بحثهما بالوسائل الإحصائية الآتية:
١- الاختبار الزائي (Z) لعينتين مستقلتين. ٢- مربع كاي. ٣- معامل ارتباط بيرسون.

الفصل الرابع:

أولا: عرض النتيجة:

جدول (٩) القيمة الزائفة المحسوبة لدرجات مجموعتي البحث في الاختبار النهائي.

الدلالة عند مستوى (٠,٠٥)	درجة الحرية	القيمتان الزائيتان		الانحراف المعياري	التباين	المتوسط الحسابي	حجم العينة	المجموعة
		الجدولية	المحسوبة					
دالة إحصائياً	٦١	١,٩٦	٢,٠١٦	١١,٨٣	١٤٠,٠٦	٦٠	٣٢	التجريبية
				١١,٥٦	١٣٣,٧٤	٥٤,٠٦	٣١	الضابطة

٧ - المصحح هو الاستاذ نجم عبد الله، اللغة العربية - اعدادية الوثبة - كربلاء المقدسة.

يتضح من النتيجة المعروضة في الجدول أعلاه أن متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية تبلغ (٦٠)، ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة بلغ (٥٤,٠٦)، وعند استعمال الاختبار الزائبي لعينتين مستقلتين، ظهر أن القيمة الزائبية المحسوبة بلغت (٢,٠١٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، وبدرجة حرية (٦١)، في حين كانت القيمة التائية الجدولية (١,٩٦)، ولما كانت القيمة الزائبية المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، فإن هذا يدل على وجود فرق ذي دلالة إحصائية لمصلحة المجموعة التجريبية.

ثانياً: تفسير النتيجة:

لقد أظهرت النتيجة المتقدمة تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين مارسوا الاثارة غير المنتظمة في درس التعبير على طلاب المجموعة الضابطة الذين لم يمارسوا الاثارة غير المنتظمة في الأداء التعبيري، ويرى الباحثان أن سبب ذلك قد يعود إلى أن:

١- فاعلية استعمال الاثارة غير المنتظمة يجعل الطلاب في موقف جيد ومتفاعل مع الدرس اعتماداً على تنوع الإجابات وتشعبها وكثرتها، بدلاً عن الموقف غير المتجدد الذي يعتمد على الطريقة الاعتيادية.

٢- ممارسة الاثارة غير المنتظمة يُمكن الطلاب من فهم المادة المقروءة واستيعابها بما فيها من صيغ وعبارات وأساليب، مما أدى ذلك إلى استثمار القراءة في تحسين أداء الطلاب التعبيري.

٣- لاحظ الباحثان إن أسلوب الاثارة غير المنتظمة ساعد على شد انتباه الطلاب وإثارة عنايتهم للدرس وتنظيم أفكارهم بحيث يكون ذا معنى.

٤- ممارسة الاثارة غير المنتظمة في درس التعبير يساعد على تنمية الثروة اللغوية لدى الطلاب مما يمكنهم على تحسين التعبير لديهم و الإجابة فيه.

٥- ممارسة الاثارة غير المنتظمة قد أثرت الطلاب بالكثير من المفردات، وعمل على تنمية الإبداع التعبيري من طريق استعمال الفنون البلاغية التي تتأتى من محاولة الربط بين الكلمات العشوائية، وموضوع الدرس الذي كان نتيجته تقدم مستوى الطلاب في فريقي (فنية التعبير)، و(دقة اختيار اللفظ المعبر عن المعنى).

٦- ممارسة الاثارة غير المنتظمة ساعد في تأجيل صياغة الكتابة، وجعلها في حصة التعبير التالية جعل عملية الكتابة تمر بمراحلها الطبيعية أي توليد الأفكار، وكتابتها في مسودة ثم صياغتها بتأن وروية.

٧- إن استعمال الاثارة غير المنتظمة ولكونها لم تعرض على الطلاب مسبقاً أوجدت لديهم الاثارة والتشويق للدرس الذي يزيد دافعية الطلاب وهذا ما توصلت إليه نتيجة البحث.

ثالثاً: الاستنتاجات:

في ضوء النتيجة التي توصل إليها البحث الحالي يمكن استنتاج ما يأتي:

١ - إنَّ لأسلوب الإثارة العشوائية أثراً كبيراً في زيادة الثروة اللغوية لدى الطلاب، وتنمية الإبداع التعبيري لديهم، نتيجة استعمال الفنون البلاغية في إثناء الحديث والكتابة، وقدرة في التعبير عن المشاعر،

أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي
وما يجول في الذهن من أفكار، مما يؤدي إلى رفع قدراتهم فيما يخص (فنية التعبير، ودقة اختيار اللفظ
المعبر عن المعنى).

٢- ممارسة الاثارة غير المنتظمة في درس التعبير يشارك في استثمار مادة التعبير بشكل أفضل ومفيد،
وهذا ما تبين في تحسّن الأداء التعبيري لدى طلاب المجموعة التجريبية.

٣ - عوّد أسلوب الإثارة العشوائية الطلاب على الملاحظة الدقيقة لما حولهم وإدراك أوجه الشبه،
والاختلاف بين خصائص الأشياء، وتشجيع الطلاب على الإتيان بالجديد، ساعد ذلك كله الطالب على
تجاوز المشاعر السلبية في أنّها قد تخاطر بتجاوز الواقع، وحدود الحقيقة، إذ كان الطالب يتلعثم عندما
يوجه له سؤال إبداعي، ويعبر عنه بكلمات غامضة ينسى فيه تكملة ما تبقى من أجزاء الصورة.

٤- الاثارة غير المنتظمة شكلت نشاطاً لغوياً وظيفياً وجد مكانه الطبيعي في خبرات الطلاب اليومية
ومواقف الحياة الانسانية.

٥- إنّ الاثارة غير المنتظمة تساعد على تحسين أداء الطلاب التعبيري والإجادة فيه.

٦- الطلاب متحمسون الى التدريس بوساطة اساليب تدريسية حديثة لم يألفنها من قبل.

رابعاً: التوصيات:

يوصي الباحثان بما يأتي:

١- ضرورة عمل دورات تدريبية للمدرسين من اجل تدريبهم على استعمال الأساليب
والاستراتيجيات الحديثة في التدريس، وتطبيقها بشكل فعلي.

٢- استعمال أسلوب الإثارة العشوائية في المرحلة الإعدادية لما له من أهمية في تنمية التفكير الإبداعي،
وانعكاس ذلك بشكل إيجابي في تحصيل الطلاب في فروع اللغة العربية، ومنها الأداء التعبيري.

٣- ضرورة إيلاء درس التعبير أهمية مميزة تتناسب ومكانة التعبيرين فروع اللغة العربية الأخر.

٤- أن يوجه المدرسون طلابهم إلى ضرورة توظيف ما تعلموه في دروس القراءة في تعبيراتهم، يعدّها
المصدر المهم في تنمية الثروة اللغوية لدى الطلاب التي يتطلبها التعبير بنوعيه.

خامساً: المقترحات:

استكمالاً لجوانب البحث الحالي يقترح الباحثان ما يأتي:

١- إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على مراحل دراسية أحر.

٢- إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية في تحصيل الطلبة (الذكور والاناث) على حد سواء.

٣- إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على فروع اللغة العربية الأخر.

٤- إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية في تنمية التفكير الابداعي.

المصادر

-القران الكريم

- ١- إبراهيم، عبد العليم. الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية. ط٧، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣م.
- ٢- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ). لسان العرب، إعداد وتصنيف، يوسف خياط، وندم مرعشلي، دار صادر. بيروت (د.ت).
- ٣- ابو جادو، ومحمد بكر نوفل. تعليم التفكير النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، ٢٠٠٧م.
- ٤- أبو علام، رجاء محمود. مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط٢، دار النشر للجامعات. القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٥- أبو مغلي، سميح. الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية، ط٢، دار محمد لاوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ١٩٨٦م.
- ٦- الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية، داريافا. عمان، ٢٠٠١م.
- ٧- الازيرجاوي، منتهى فهد يرسم. أثرأسلوبي التصحيح التحليلي والانطباعي في الأداء التعبيري لطالبات الصف الخامس الإعدادي، كلية التربية(ابن رشد)، جامعة بغداد،(رسالة ماجستير غير منشورة) ٢٠٠٢م.
- ٨- أمين، احمد. النقد الأدبي، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.
- ٩- الجاغوب، محمد عبد الرحمن. النهج القويم في مهنة التعليم، دار وائل، عمان، ٢٠٠٢م.
- ١٠- الجبوري، نصيرمحمد ظاهر. أثر استعمال أسلوب الإثارة غير المنتظمة في التحصيل لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة التاريخ، كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل العراق(رسالة ماجستيرغير منشورة)، ٢٠١٤م.
- ١١- الجمبلاطي، علي وأبو الفتوح التوانسي. الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية، ط٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.
- ١٢- جمعة، زينب مراد حمود. أثر أسلوب الإثارة العشوائية في تنمية التفكير الإبداعي والأداء التعبيري لدى طالبات الصف الخامس الأدبي، كلية التربية الاساسية، جامعة بابل - العراق،(رسالة ماجستيرغير منشورة)، ٢٠١١م.
- ١٣- الدليمي، طه علي حسين، وسعاد عبد الكريم الوائلي. اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان، ٢٠٠٥م.
- ١٤- دي بونو، ادوارد. برنامج الكورت لتعليم التفكير، ط٢، دارالفكرللطباعة، عمان-الاردن، ١٩٩٥م.

م

- ١٥- الرحيم، احمد حسن. اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١ م.
- ١٦- الساموك، سعدون محمود، وهدي علي جواد الشمري. مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها، ط١، وائل للنشر والتوزيع عمان-الأردن، ٢٠٠٥ م.
- ١٧- شعبان، محمد، شعبان. اثر استخدام الاثارة العشوائية على تحصيل مادة الاحياء لدى طلاب الصف الحادي عشر، البحرين، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٩٦ م.
- ١٨- صلاح الدين عرفة محمود. تفكير بلا حدود، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ٢٠٠٦ م.
- ١٩- ضيف، شرقي. العصر الاسلامي، ط١٠، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٦ م.
- ٢٠- طاهر، علوي عبد الله. تدريس اللغة العربية وفقاً لأحدث الطرائق التربوية، ط١، دار المسيرة، عمان - الأردن، ٢٠١٠ م.
- ٢١- الطاهر، علي جواد. تدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٩٦٩ م.
- ٢٢- عامر، فخر الدين. طرق التدريس الخاصة باللغة العربية والتربية الاسلامية، ط١، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ٢٠٠٥ م.
- ٢٣- عباس، محمد خليل، وآخرون. مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن، ٢٠٠٩ م.
- ٢٤- عبد الباري، ماهر شعبان. المهارات الكتابية من النشأة الى التدريس. ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن ٢٠١٠ م.
- ٢٥- عبد الحليم، فتح الباب، وإبراهيم حفظ الله. وسائل التعليم والأعلام، ط١، عالم الكتب مطبعة مخيمر، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- ٢٦- عبد عون، فاضل ناهي. تقويم تدريس مادة التعبير في المدارس المتوسطة في العراق من وجهة نظر المدرسين، جامعة بغداد، كلية التربية (رسالة ماجستير غير منشورة)، ١٩٨٩ م.
- ٢٧- عطية، علي محسن. تدريس اللغة العربية، دار المناهج، عمان- الأردن ٢٠٠٧ م.
- ٢٨- عمّار، سام. اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٢ م.
- ٢٩- قطامي، نايفة. تعليم التفكير للأطفال، ط٢، دار الفكر، عمان- الأردن، ٢٠٠٥ م.
- ٣٠- المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد. الكامل، عرضه بأصوله وعلق عليه محمد ابو الفضل ابراهيم، المجلد الرابع، دار الفكر العربي القاهرة، بدون تاريخ.
- ٣١- المجلسي، محمد باقر (ت ١١١٠ هـ). بحار الأنوار، ج ٧١، ط٣ المصححة، دار إحياء التراث العربي. بيروت (د. ت).

- ٣٢- مرعي، توفيق أحمد ومحمد محمود الحيلة. طرائق التدريس العامة، ط١، دار المسيرة، عمان - الأردن، ٢٠٠٢ م.
- ٣٣- مصطفى، عبد الله علي. مهارات اللغة العربية، ط١، دار المسيرة، عمان - الأردن، ٢٠٠٧ م.
- ٣٤- نجاد، فريد جبرائيل. قاموس التربية وعلم النفس التربوي، بيروت- لبنان، ١٩٦٠ م.
- ٣٥- الهاشمي، عابد توفيق. طرائق تدريس الانشاء، معهد التدريب والتطوير التربوي، بغداد، ١٩٨٥ م.
- ٣٦- الهاشمي، عبد الرحمن. "دراسة مقارنة لأثر أساليب التصحيح في الأداء التعبيري لطالبات المرحلة الإعدادية" كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، ١٩٩٤ م.
- ٣٧- الهاشمي، عبد الرحمن عبد علي. مشكلات تدريس التعبير التحريفي في المرحلة الإعدادية في العراق، جامعة بغداد، كلية التربية (رسالة ماجستير غير منشورة)، ١٩٨٨ م.
- ٣٨- الوائلي، سعاد عبد الكريم عباس. طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين النظرية والتطبيق، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٤ م.
- ٣٩- وزارة التربية، جمهورية العراق. توجيهات عامة في طرائق تدريس اللغة العربية، ط١، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٩٠ م.

40-Feldhausen, See the excitement in the random collection of eighth grade students in the history of the United States, Unpublished MA Thesis, United States, 1990.

41-Hanuscin, The impact of random excitation in the collection of the students in the fourth preparatory material neighborhoods Unpublished MA Thesis, America, 2008.

الملاحق:

(ملحق ١)

درجات طلاب مجموعتي البحث في مادة اللغة العربية لنهايي السنة (٢٠١٣ - ٢٠١٤ م).

المجموعة الضابطة				المجموعة التحريبية			
الدرجة	ت	الدرجة	ت	الدرجة	ت	الدرجة	ت
٤٨	١٧	٧٧	١	٥٥	١٧	٦٧	١
٥٢	١٨	٥٧	٢	٥٧	١٨	٨٤	٢
٥٦	١٩	٥٢	٣	٦٥	١٩	٦١	٣

أثر الأثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي

٥٦	٢٠	٥٣	٤	٥٢	٢٠	٦٤	٤
٥٠	٢١	٦١	٥	٥٧	٢١	٤٥	٥
٦١	٢٢	٤٤	٦	٤٨	٢٢	٦٤	٦
٦٦	٢٣	٤٨	٧	٥٢	٢٣	٥١	٧
٦٣	٢٤	٩٢	٨	٤٨	٢٤	٤٩	٨
٥٨	٢٥	٣٨	٩	٤٥	٢٥	٨٤	٩
٤٨	٢٦	٧٩	١٠	٥٧	٢٦	٤٩	١٠
٥٠	٢٧	٦٨	١١	٦٧	٢٧	٦٤	١١
٧٩	٢٨	٦٦	١٢	٦٢	٢٨	٦٩	١٢
٦١	٢٩	٥٥	١٣	٦٧	٢٩	٥٦	١٣
٥٨	٣٠	٥٦	١٤	٦٩	٣٠	٥١	١٤
٥٨	٣١	٧٢	١٥	٤٧	٣١	٦١	١٥
		٥٢	١٦	٤٧	٣٢	٦٢	١٦
المجموع = ١٨٣٤ المتوسط الحسابي = ٥٩,١٦ الانحراف المعياري = ١١,٠١				المجموع = ١٩٠٨ المتوسط الحسابي = ٥٩,٦٢ الانحراف المعياري = ٩,٨٠			

(ملحق ٢)

درجات طلاب مجموعتي البحث في الاختبار القبلي للأداء التعبيري

المجموعة الضابطة				المجموعة التجريبية			
الدرجة	ت	الدرجة	ت	الدرجة	ت	الدرجة	ت
٦٦	١٧	٦١	١	٦٢	١٧	٦٦	١
٥٥	١٨	٤٩	٢	٥٤	١٨	٥٦	٢
٦٥	١٩	٤١	٣	٤١	١٩	٤١	٣
٥٤	٢٠	٥٠	٤	٥٤	٢٠	٥٨	٤
٥٦	٢١	٥١	٥	٥٤	٢١	٤٥	٥
٥١	٢٢	٥٥	٦	٥٨	٢٢	٥٦	٦
٥١	٢٣	٥٤	٧	٣٨	٢٣	٧٠	٧
٥٨	٢٤	٥٠	٨	٦٤	٢٤	٦٦	٨

٣٩	٢٥	٤٩	٩	٤٥	٢٥	٥٣	٩
٤٠	٢٦	٦٩	١٠	٥٣	٢٦	٥٩	١٠
٤٨	٢٧	٤٠	١١	٦٠	٢٧	٥١	١١
٥٣	٢٨	٥٣	١٢	٥٥	٢٨	٤٥	١٢
٤٥	٢٩	٤٤	١٣	٤٥	٢٩	٥٠	١٣
٥٩	٣٠	٣٩	١٤	٥٩	٣٠	٦٣	١٤
٦٦	٣١	٦٦	١٥	٣٠	٣١	٥٠	١٥
		٦٩	١٦	٤٨	٣٢	٥٠	١٦
المجموع = ١٦٤٦				المجموع = ١٧٠٣			
المتوسط الحسابي = ٥٣,٠٩				المتوسط الحسابي = ٥٣,٢١٨			
الانحراف المعياري = ٨,٥٤٦				الانحراف المعياري = ٨,٧١			

(ملحق ٣)

أسماء الخبراء الذين استعان بهم الباحثان في إجراءات بحثهما

ت	أسماء الخبراء	التخصص الدقيق	الاختبار القبلي للأداء التعبيري	الأهداف السلوكية	الخطط التدريسية	اختيار موضوع الاختبار النهائي
١	أ.م.د ضياء عبدالله التميمي.	طرائق تدريس اللغة العربية		×	×	×
٢	أ.م.د منذر ابراهيم الحلبي.	لغة	×		×	×
٣	م.د احمد جبار العابدي.	طرائق تدريس اللغة العربية	×			×
٤	م.د.د. كريم خضير فارس المسعودي	طرائق التدريس اللغة العربية	×	×	×	×
٥	م.م صلاح مجيد كاظم	المناهج وطرائق تدريس	×	×		×
٦	الاستاذ نجم عبدالله الفواز	بكالوريوس لغة عربية	×		×	×

(ملحق/٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

م / استبانة آراء الخبراء في صلاحية الاختبار القبلي.

الأستاذ الفاضل.....المحترم

الأستاذة الفاضلة.....المحترمة

يروم الباحثان إجراء دراستهما الموسومة بـ (أثر الإثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي)، ومن متطلبات الدراسة الحالية إجراء اختبار قبلي في الأداء التعبيري لمجموعي البحث (الضابطة، والتجريبية)، لذا يضع الباحثان بين أيديكم عنوانات موضوعات تعبيرية. ويرجو الباحثان اختيار موضوع تعبيرية واحد منها ترونه أكثر ملاءمة من غيره لطلاب الصف الرابع العلمي، مع جزيل الشكر.

الباحثان

الموضوعات:

١ - قال رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((سلامة الإنسان في حفظ اللسان))^(٨)

٢ - قال الشاعر^(٩):

تواضع تكن كالنجم لآخ لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيعٌ
ولاتك كالمدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو ضيغٌ

٣ - القناعة كنز لا يفنى. ٤ - الشباب سلاح الشعوب وفخرها.

(ملحق/٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

م / استبانة آراء الخبراء في صلاحية اختيار موضوعات التعبير.

الأستاذ الفاضل.....المحترم

الأستاذة الفاضلة.....المحترمة

يروم الباحثان اختيار موضوعات تعبيرية لمجموعي البحث (الضابطة والتجريبية)، لدراستهما الموسومة اثر أسلوب الإثارة غير المنتظمة في الأداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي). ويعرض الباحثان عليكم مجموعة من الموضوعات التعبيرية، نرجو اختيار ستة من بينها، بوضع علامة (√) إزاء التسلسل الذي ترونه ملائماً، ولكم الشكر الجزيل.

الباحثان

٨ - المجلسي(ت.١١١٠)، بحار الانوار، ج٧١: ٢٨٦، رقم الحديث(٤١).

٩ - عبد الجليل الطباطبائي.

الموضوعات:

- ١ . قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (١٠).
- ٢ . قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (١١).
- ٣ . قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ليس الشديدُ بالصرعةٍ إنما الشديدُ من يملكُ نفسه عند الغضب)) (١٢).
- ٤ . قال الإمام علي (عليه السلام): ((ما جفتِ الدموعُ إلا لقسوةِ القلوب وما قسوةُ القلوبِ إلا لكثرةِ الذنوب)) (١٣).
- ٥ . قال الإمام علي (عليه السلام):
ليس اليتيمُ الذي قد مات والدُهُ
إنَّ اليتيمَ يتيمُ العلمِ والأدبِ
- ٦ . قال الشاعر أحمد شوقي:
قَمٌ للمعلمِ وقه التيجيلا
كاد المعلمُ أن يكون رسولا
- ٧ . قال الشاعر:
بلادي وإن جارت عليّ عزيزة
وأهلي وإن شحوا عليّ كرامُ
- ٨ . قال الشاعر إلياس فياض:
لا تبكهِ فاليوم بدأ حياته
إنَّ الشهيدَ يعيشُ يومَ مماته
- ٩ . الصبرُ مفتاحُ الفرجِ .
- ١٠ . رُبُّ ضارةٍ نافعةٌ .
- ١١ . حسنُ الأخلاقِ .
- ١٢ . الصديقُ وقتُ الضيقِ .

(ملحق/٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

م / اختيار المثيرات العشوائية.

الأستاذ الفاضل.....المحترم

الأستاذة الفاضلة.....المحترمة

١٠ - فاطر / ١٠ .

١١ - البينة / ٧ .

١٢ - الأشتري، تنبيه الخواطر ونزهة النوادر، م: ١٢٢ .

١٣ - القمي (ت ٣٨١)، علل الشرائع، ج ١: ٨١ .

أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي

يروم الباحثان إجراء دراستهما الموسومة (أثر أسلوب الإثارة غير المنتظمة في الأداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي). ومن متطلبات البحث الحالي إعداد قائمة بالمشيرات العشوائية المطلوب ربطها بالموضوعات التعبيرية بطريقة غير قصدية، لذا يضع الباحثان بين أيديكم مجموعة من هذه المشيرات التي هي عبارة عن كلمات ويرجو اختيار ثلاثين مثيرا بطريقة عشوائية أي: خمس مشيرات لكل موضوع من الموضوعات التعبيرية الستة، ولكم الشكر الجزيل.

الباحثان

المشيرات العشوائية:

شجرة، معجون أسنان، مدينة، صندوق، كتاب، وسادة، زهرة، ربيع، ورقة، حقيبة، قلم حبر، مفتاح، سور، باب، نخلة، أسد، فلاح، شباك، مخزن، قفل، فرن، حجر، جسر، طاولة، نملة، ولاعة، غسل، سكاثر، سفينة، طريق، صحراء، دم، فلاة، سلم، ثوب، قناع، تلفاز، إمبسيلين، سلاح، فضة، جحر، فراشة، بيت، جبل، عود أخضر، شمعة، حطب، ذئب، صابون، مطر، عجين، ساعة، إبرة، مرآة، نخلة، شمس، بذرة، غيمة، أصفاد، سراج.

(ملحق/٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

م / إستبانه آراء الخبراء في صلاحية الخطتين النموذجيتين للمجموعتين الضابطة والتجريبية.

الأستاذ الفاضل.....المحترم

الأستاذة الفاضلة.....المحترمة

يروم الباحثان إجراء دراستهما الموسومة (أثر أسلوب الإثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي). ولما يتوسماه الباحثان فيكم من أمانة علمية، نرجو إبداء آرائكم السديدة في صلاحية الخطتين النموذجيتين لتدريس مادة التعبير لطلاب الصف الرابع العلمي، المجموعة الأولى (التجريبية) تُدرّس بأسلوب الاثارة غير المنتظمة، والمجموعة الأخرى (الضابطة) تُدرّس على وفق الطريقة الاعتيادية، وتدوين ما ترونه مناسباً من ملاحظات تعتقدون أنها تشري الموضوع. ولكم شكر الباحثان وامتنانهما...

الباحثان

خطة أمودجية لتدريس التعبير على وفق أسلوب الإثارة غير المنتظمة

المادة: التعبير

الوقت: ٤٥

الصف: الرابع العلمي

الموضوع:

وأهلي وإن شحوا عليّ كرام.

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة

أولاً: الأهداف العامة:

١. تنمية قدرة المتعلم على سلسلة الأفكار وبناء بعضها على البعض بجمل مترابطة ترابطاً منطقيّاً.
٢. تمكين المتعلم من استعمال الذخيرة اللغوية في التعبير الواضح السليم.
٣. زيادة قدرة المتعلم ولاسيما الموهوبين منهم على مجاوزة التعبير المباشر إلى التعبير الفني المجازي.
٤. تنمية قدرة المتعلم على المعاني الجديدة والأفكار الطريفة.
٥. تنمية قدرة المتعلم على الجهر بالرأي أمام الآخرين وإكسابهم الجرأة وحسن الأداء وآداب الحديث.
٦. تنمية قدرة المتعلم على التعبير عن المعاني والأفكار بألفاظ فصيحة وتراكيب سليمة (وزارة التربية، العراق، ١٩٩٠).

ثانياً: الأهداف الخاصة:

وتستقى من موضوع الدرس، مثل تدريب الطلاب على صياغة الأفكار بصورة سليمة، فهم الموضوع، والكتابة فيه كتابة فنية ذات أسلوب جيد خالٍ من الأغلط بأنواعها.

ثالثاً: الأهداف السلوكية:

جعل الطالب قادر على أن:

١. يُعرّف مفهوم الوطن.
٢. يذكر العناصر الرئيسة في الموضوع.
٣. يوضح عناصر الموضوع الرئيسة بأسلوبها. ٤. يستشهد بأقوال وأبيات شعرية.
٥. يوضح أهمية الوطن.
٦. ينتقي العبارات الجميلة الموحية للتعبير عن أفكارها.
٧. يعبر بأسلوب جيد خالٍ من الأغلط. ٨. يحسن استعمال علامات الترقيم.

رابعاً: الوسائل التعليمية

- السبورة البيضاء، والقلم الخاص بها.

خامساً: المقدمة: (٢) دقيقة

عزائي الطلاب كما تعلموا أنّ الوطن هو للإنسان سكن، وأهل، وكرامة اقتزنت به الحسرات، والمسرات، وشغل به كل ذي جنان. أنا، وأنتم، وكل كائن حي في هذه الدنيا ينتمي إلى وطن تهيأ له فيه أسباب العيش، وبلد آمن يعيش فيه، ومن أجله نحب أرض بلادنا وسماءها، وكل ما فيها من زرعٍ وضرعٍ، بلادي روجي ووجودي.

سادساً: العرض: (٤٠) دقيقة

- ١ - يعرض المدرس (الباحث) الموضوع أمام الطلاب في أعلى السبورة.

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن شحوا عليّ كرام .

٢- يذكر المدرس (الباحث)، والطلاب العناصر الرئيسية في الموضوع، ويدونها الباحث على السبورة على النحو الآتي:

أ . حب الوطن والدفاع عنه. ب . بلادي هي أمي الحقيقية. ت . في بلادي تكمن السعادة الحقيقية.

ث . بلادي المظهر الحسن. ج . بلادي الخير، والعطاء.

المدرّس (الباحث): يوضح المدرس (الباحث) للطلاب أن هذه العناصر ليست عناوين جانبية للموضوع، وإنما تمثل الإطار العام، والفكرة المتكاملة للموضوع، وبإمكانكم زيادتها؛ إذا أعطت تلك الزيادة للموضوع قوةً، وكمالاً.

٣- تقديم المثيرات العشوائية:

يقدم المدرّس (الباحث) والطلاب عدداً من المثيرات العشوائية؛ على أن يكون هناك مثيرٌ عشوائيٌ لكل عنصر من العناصر التي تم ذكرها سابقاً، ويوضح المدرس (الباحث) للطلاب أن هذه المثيرات يجب أن يتم اختيارها من غير قصد أن يكون لها علاقة بالموضوع، ثم يتم ربط المثيرات العشوائية بموضوع الدرس فهي في الظاهر ليس لها علاقة، ولكن بمزيد من التفكير، والتخيل يمكن إيجاد روابط، وعلاقات لم يتم تخيلها من قبل، كذلك يوضح الباحث للطلاب عدم القلق في حال لم يجد الأفكار الجديدة؛ ذلك أن الأفكار الجديدة قد لا توجد دائماً.

المدرّس (الباحث): وليكن المثير العشوائي على سبيل المثال: (بيت) فهل تختاروا مثيرات عشوائيةً أخرى؟.

طالب: شجرة. طالب آخر: قلم حبر. طالب: ثوب.

المدرّس (الباحث): أحسنتم جميعاً !

٤- توزيع الطلاب بين مجموعات غير متجانسة:

يطلب المدرس (الباحث) من الطلاب أن يتوزعوا بين خمس مجموعات كل مجموعة تضم (٦) طلاب، وكل مجموعة يختار طالب يترأس مجموعته حتى يدون أفكارهم، ويقرأها على المدرس (الباحث)، مع ملاحظة إن المدرس (الباحث) قد درّب الطلاب على أسلوب الإثارة غير المنتظمة، وكيفية التوزيع بين مجموعات، كذلك كيفية إدارة جلسة (العصف الذهني) في أول لقاء معهم، وقبل تطبيق التجربة، ثم الاتفاق معهم على هذه الصيغة حتى لا يؤثر ذلك فيما بعد على وقت تطبيق التجربة.

٥- الحديث عن عناصر الموضوع:

كل مجموعة تناول واحداً من العناصر التي ذكرت بالشرح، والتوضيح مع واحد من المثيرات العشوائية.

٦ - تقديم معلومات عن المثيرات العشوائية:

كل مجموعة تقدم معلومات عن واحد من المثيرات العشوائية التي قدمت، (والباحث) يدون الأفكار، والمعلومات التي توافرت عن المثير العشوائي، التي لها علاقة بالموضوع على السبورة، وتطرح ما ليس له علاقة.

٧ . عملية الربط:

يطلب المدرس (الباحث) من الطلاب إيجاد روابط، وعلاقات بين المثير العشوائي، وموضوع الدرس من طريق مشاركة أفراد كل مجموعة بالتفكير، والتأمل، والتخيل، ثم استنتاج الروابط مدونة في دفتر تلخيص خاص بالتعبير، ثم يتولى قائد كل مجموعة مهمة قراءتها على المدرس (الباحث).
تعمل المجموعات الخطوات (٥ . ٦ . ٧) في وقت واحد حرصا على وقت الدرس.
٨ . المناقشة:

يناقش المدرس (الباحث) الطلاب في كل مجموعة في الخطوات (٥ . ٦ . ٧)، ويطلب منهم تسجيل ما يتم ذكره من عناصر، ومثيرات عشوائية، وروابط، وشواهد في دفتر تلخيص خاص بالتعبير، واستعماله فيما بعد؛ لاستدكار ما تم ذكره. المجموعة الأولى، العنصر الأول، المثير العشوائي (بيت):
المدرس (الباحث): ماذا يعني لك (حب الوطن)؟

قائد المجموعة: الحب هذه الكلمة الطاهرة البريئة تعني إنني أقدس بلادي وأمجدها، وحب الوطن لا يوازيه حب فهو اشد من حب الأم، والأب، والأهل، والأصدقاء، وما قيمة الإنسان بلا وطن، فوطننا هو وجودنا، ولاخير في إنسان لايجب وطنه، ويضحى من اجله قال الشاعر: وطني لو شُغِلْتُ بالخلد عنه نازعتني إليه بالخلد نفسي.

والشاعر في البيت الشعري الذي هو عنوان الموضوع التعبيري يعبر عن حبه لوطنه، وإن نالته بجزر، وعذاب، ويصف أهله بالكرم، وإن شحوا فنار الوطن جنة، وشح الأهل جود. وبلادنا عزيزة علينا، وهي قيمة عند أهلها؛ فرمالها الذهب، وأحجارها الجواهر، وأنهارها اللبن.

المدرّس (الباحث): وما المعلومات التي توصلتم إليها حول كلمة (بيت)؟
قائد المجموعة: البيت مكان آمن يسكن فيه الفرد، ويجد الراحة، وينام ويضم أشياء عديدة، له سور، وباب، ومفتاح، وحارس لا يدخله الغرباء إلا إذا استأذنوا فيه غرف للنوم، واستقبال الضيوف وحديقة جميلة.

المدرّس (الباحث): وما علاقة ذلك ب (بلادي)؟
قائد المجموعة: الوطن بيتنا الكبير فيه كرامة الإنسان، وأمنه، تسكن فيه العوائل وتأكل من خيراته، وتشرب من مائه، تعشق سماءه، وهواءه، وماءه، تنتزه في رياضه الخلابية، وجداوله العذبة. بلادي منامي أسكن فيها أسفار السحر، وأنام على صوت أنفاسها العطرة، وهذا الحب لا يقتصر على بني البشر فحتى الطيور تحب أعشاشها، وكل كائن حي يحن إلى بيته، ويأوي إليه، فأضعف الحيوانات تتحفز للدفاع عن جحورها؛ فهي تمثل وطنها الصغير. يحمي (حرس الحدود) بلادي؛ فهم حماة الوطن، وسوره المنيع، يمنعون دخول الغرباء إليه، ومفتاح دخولهم الوحيد هو جوازات سفرهم.

المدرّس (الباحث): بارك الله فيكم!

المجموعة الثانية، العنصر الثاني، المثير العشوائي (شجرة):

المدرّس (الباحث): ماذا تقولوا في العنصر الثاني وهو أنّ بلادي هي أمي الحقيقية؟

قائد المجموعة: أنا سعيد بأمي، وهي تبتسم، وكم اشعر بالنعاسة عندما أرى دمعة في عينيها، ولقد رضعت هواها في طفولتي، وشربت حبهها منذ نعومة أظفاري، وكان حبهها اللاعج عفافاً، وطهرًا، لقد وهبتها سعادتي، وجعلتني فداها بلادي كأمي التي أرضعتني حليب صدرها، وملأت رثتي بحنانها، وكستني من روائع ثيابها. إن عطفها علي، وبرها بي هو أن تضمنني إلى أحضانها عند ذاك أكون سعيداً حقاً.
المدرّس (الباحث): وكيف أرضعتك بلادك؟

قائد المجموعة: شربت حبهها منذ طفولتي؛ فكان بعدها لوعتي، وحنيني، وقرّبها فرحتي، وغطائي، ارتويت من جداولها العذبة، وعيونها الفياضة، تضمنني لأحضانها؛ فأسمعها تغني لي بصوتها الشجي المنبعث من حفيف الأغصان، وزفيف الرياح، وخرير الماء، قال الشاعر:

أهيم بها وفي قلبي هواها ويؤلمني الفراق أو المغيب
ولا من شيء يسعدني سواها وعيشي في سواها لا يطيب

المدرّس (الباحث): وما المعلومات التي توصلتوا إليها حول كلمة (شجرة)؟

قائد المجموعة: الشجرة نباتٌ كبيرٌ، ساقها طويلةٌ، لها أغصان، وأوراق، جذورها ثابتة في الأرض، ثمارها طرية، نظرة، طيبة، والأشجار تختلف في الشكل، والنوع مثل: السنديان، البلوط، الصنوبر، والسدر...

المدرّس (الباحث): وما علاقة (بلادي) بالشجرة؟

قائد المجموعة: بلادي شجرة أغصانها في أعالي السماء وجذورها في أعماق الأرض تاريخها عريق، وجذورها متأصلة في نفوس أبنائها، بلادي شجرة تضلّني بعطفها، وحنانها، وترويني، وإخوتي، وتغذيها فقطف ثمارها من سني تعبها فينا، بلادي شجرة رؤوف تجنّبنا، وإن قسونا عليها، وآذيناها، فما تزال تعطينا أحلى ثمر قال الشاعر:

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعاً يرمى بصخرٍ فيعطي يانعَ الثمر

المدرّس (الباحث): أحسنتم! ولكن ذكرتم أنواعاً للشجر هل لذلك علاقة بالموضوع؟

قائد المجموعة: لا ليس لذلك علاقة بالموضوع.

المدرّس (الباحث): إذن وجب حذف هذه المعلومة من على السبورة.

وهكذا مع بقية المجموعات.

سابعاً: الخاتمة (٣) دقائق

المدرّس (الباحث): من يعطي خلاصة للموضوع.

طالب: لتحيا بلادي عزيزة أبية، ولتهن الأرواح من دونها، وليدم أبنائها في هناء الحياة وخفض العيش هي أمي التي أهواها سقتني حبا، وعطفاً، وحناناً.

المدرس (الباحث): بلادي مطاف آمالي، فيها ذكريات الزمان، ومرفاً للإنسان، هي للإنسان أمه، هي للإنسان أهله، هي للإنسان بيته بلادي أقف أمامها بإجلال، واحترام ممتلئةً إيماناً أتمثل فيها رمز الخلود، وأقرأ فيها أسطراً، وآياتاً من أخبار الأجداد، تتفرق الدمعة من العين، وتحاول السقوط عندما أذكرك يا بلادي.

ثامنا: الكتابة في الموضوع:

يوجه المدرس (الباحث) الطلاب قبل الكتابة في الموضوع إلى حسن البدء، وحسن الختام، كذلك تسلسل الأفكار، والابتعاد عن الإسهاب، والدوران حول الفكرة، وكتابة الشواهد، وحسن استعمال علامات الترقيم، والالتزام بالقواعد النحوية والصرفية، والإملائية، ثم يكتب الطلاب الموضوع داخل الصف في حصة التعبير الثانية بعد أن يخصص المدرس (الباحث) وقت عشر دقائق لمراجعة ما تم ذكره في حصة التعبير السابقة، ويجمع الدفاتر في وقت واحد؛ لغرض تصحيحها.

تاسعا: تصحيح الدفاتر:

يصحح الباحث الدفاتر على وفق محكات التصحيح المتبعة في معيار الهاشمي المتكون من (١١) محكا وهذا التصحيح يكون خارج الصف إذ يحضر الباحث الدفاتر مصححة في حصة التعبير القادمة، ويعتمد الباحث التصحيح المرمز؛ حتى يقف الطالب على أغلظه.
خططة أنموذجية لتدريس التعبير بالطريقة الاعتيادية:
الأهداف: (الأهداف العامة، والخاصة، والسلوكية، والوسائل التعليمية) تم الإشارة إليها سابقا في الخططة السابقة.

الصف: الرابع العلمي

اليوم والتاريخ:

المادة: التعبير

الموضوع:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن شحوا عليّ كرام .

الوقت: ٤٥ .

خامساً : المقدمة: (٢) دقيقة

محددة في الخططة الأنموذجية السابقة .

سادساً : العرض: (٤٠) دقيقة

١ . يعرض المدرس (الباحث) الموضوع أمام الطلاب في أعلى السبورة.

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن شحوا عليّ كرام .

٢ . يذكر المدرّس (الباحث)، والطلاب العناصر الرئيسة في الموضوع، وتدونها على السبورة على النحو

الآتي:

أ . حب الوطن والدفاع عنه . ب . بلادي هي أُمي الحقيقية . ت . في بلادي تكمن السعادة الحقيقية .
ث . بلادي المظهر الحسن . ج . بلادي الخير، والعطاء .

المدرّس (الباحث): يوضح المدرّس (الباحث) للطلاب أن هذه العناصر ليست عنوانات جانبية للموضوع وإنما تمثل الإطار العام والفكرة المتكاملة للموضوع وبإمكانهم زيادتها؛ إذا أعطت تلك الزيادة للموضوع قوةً، وكَمالاً.

٣ . الحديث عن عناصر الموضوع:

المدرّس (الباحث): إن الحديث عن بلادي طويل ذو شجون، يثير فينا ذكريات الزمان، وأحلام الصبا، فمن يتكلم عن حب الوطن؟

طالب: حب الوطن أسمى أنواع الحب، فحب الوطن لا يوازيه حب فهو أشدُّ من حب الأب، والأم، والأهل، والأصدقاء.

المدرّس (الباحث): أحسنت! فبلادي امتلكت عليّ شعوري، وبلغ حبها مني السويدياء، فبماذا توحى لكنّ كلمة أحبها؟

طالب: أحبها كلمة طاهرة، بريئة أحبها أي: أقدسها، وأمجدها.

المدرّس (الباحث): جيد!

طالب: قال الشاعر:

بلادي هواها في لساني، وفي دمي يُمجدها قلبي، ويدعو لها فمي.

طالب آخر: ما قيمة الإنسان بلا وطن، فوطننا هو وجودنا، ولا خير في إنسانٍ لا يحب وطنه، ويضحى من أجله.

المدرّس (الباحث): بارك الله فيك، حب الوطن هو تلك المرساة الخفية الراسخة التي تربط سفين عواطفنا بمراسي أرض الوطن يشعر بها الفرد بكرامته، وأمانه العائلي، ورزقه مقابل عمله، يرى فيها حاضره، ويستطيع أن يطل بها على مستقبله. قال الشاعر: وطني لو شغلْتُ بالخلدِ عنه نازعتني إليه في الخلدِ نفسي.

المدرّس (الباحث): كيف يتحقق حب الوطن عند الإنسان؟

طالب: يتحقق ذلك عندما يتحقق صدق الانتماء إلى الدين أولاً ثم الوطن ثانياً؛ لأن تعاليم ديننا الإسلامي تحضُّ على حب الوطن، والدليل على ذلك ما صحَّ قوله عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) أنه وقف يخاطب مكة المكرمة مودعاً لها وهي وطنه الذي أُخرج منه حيث قال: (ما أطيبك من بلد، وأحبك إليّ، ولولا أنّ قومي أخرجوني منك؛ ما سكنت غيرك).

المدرّس (الباحث): أحسنت ! هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وصبه وسلم) معلم البشرية لو لم يحب وطنه ؛ لما قال هذا القول، ولو أدرك كل إنسان معناه لرأينا حب الوطن يتجلى بأحلى صورة، وأصدق معنى ؛ ولأصبح الوطن لفظاً تحبه الأفئدة، وتحواه، وتتحرك لذكره المشاعر.

المدرّس (الباحث): يتمثل حب الوطن الحقيقي بمعرفة الفرد بماله من حقوق وماعليه من واجبات فمن تتحدث في ذلك ؟

طالب: إذا كان الإنسان يتأثر بالبيئة التي ولد فيها، ونشأ على تراثها، وعاش من خيراتها؛ فإن عليه (بما فيها من كائنات، ومكونات) حقوقاً، وواجبات كثيرة تتمثل في حقوق الأخوة، والجيران، والقرباة، وغيرها من الحقوق الأخرى التي على الإنسان في أي زمان، ومكان أن يراعيها، ويؤديها على الوجه المطلوب ؛ وفاءً وحباً منه لوطنه.

المدرّس (الباحث): ممتاز ! إن حكمة الله قد اقتضت أن يستخلف الإنسان الأرض؛ ليعمرها على هدى وبصيرة، وان يستمتع بما فيها من الطيبات والزينة لاسيما أنها مسخرة له، فحب الإنسان لوطنه، وحرصه على المحافظة عليه، واغتنام خيراته؛ إنما هو تحقيق لمعنى الاستخلاف، وقد وردت آية عن ذلك في القرآن الكريم، من يذكرها؟

طالب: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هو أنشأكم من الأرض وأستعمركم فيها ﴾ (سورة هود: آية: ٦١).

المدرّس (الباحث): بارك الله فيك !. المدرّس (الباحث): في البيت الشعري الذي هو عنوان موضوعنا كيف عبرَ فيه الشاعر عن حبه لوطنه ؟

طالب: إنّ الشاعر عبر عن حبه لوطنه، وإن نالته بجزر، وعذاب، ويصف أهله بالكرم، وإن شحوا ؛ فنار الوطن جنة، وشح الأهل جود.

المدرّس (الباحث): ممتاز ! فالوطن هو أن يسكنك، وتسكنيه هو أنت، وأنت هو حتى، وإن أقلقك، وأتعبك بوعناء السير في دروبه، ومهما قسا عليك فلا مفر منه إلا إليه.

المدرّس (الباحث): كيف يكون تصرف المحب لوطنه إذا ما تعرض الوطن للاعتداء ؟

طالب: لا بد من المضي قدماً، وعدم السكوت، ووضع الأرواح على الأَكف، وملافاة المدافع بالصدور فهذا الشاعر يقول: وللحرية الحمراء بابٌ بكل يد مضرّجة تدقُّ

طالب آخر: أتمنى أن أموت فداءً لبلادي، فأنا أهوى فيها المنايا فمجّد الشعب تبنيه الضحايا.

المدرّس (الباحث): احسنتما ! فلا تروى شجرة الحرية إلا بدماء الشهداء فهذا أحد الشعراء يقول:

إن ضاق يا وطني علي فضاكا
أجرى ثراك دمي فإن أنا خنته
فلتسع بي للأمام خطاكا
فليبذني إن ثويت ثراكا.

المدرّس (الباحث): ماذا تقولوا في أناس يدعون حب الوطن، ويتروكون بلادهم للعدو، ويهاجرون؟! طالب: لا يجوز لأي إنسان شريف، وغيور، يحب وطنه أن يترك بلده للمحتل، ويجعله ملكاً للآخرين

قال الشاعر:

أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي
ولي وطن آليت ألا أبيعها ولا أرى غيري له الدهر مالكا.

طالب آخر: إن الإنسان الصابر الذائد عن وطنه يصارع الغزاة، ويقدم التضحيات مؤمناً بأن النصر آت، ولا بد من رحيل الأعداء.

طالب آخر: هذا يذكرني بقول الشاعر:
لاستسهلن الصعب أو أدرك المُنَى
فما انقادت الآمال إلا لصابر.

المدرّس (الباحث): بارك الله فيكم ! فحق الوطن علينا أن ندافع عنه بأموالنا، وأرواحنا ونقف صخرة صماء بوجه الأعداء الذين يريدون النيل من هذا الوطن والتصدي لكل أمرٍ يترتب عليه الإخلال بأمن البلد، وسلامته، والعمل، على رد ذلك بالوسائل المختلفة، والإمكانات المتاحة.

المدرّس (الباحث): مَنْ أُمنا الحقيقية ؟

طالب: بلادي هي أُمي الحقيقية.

المدرّس (الباحث): أحسنت.

طالب آخر: أنا سعيد بأُمي، وهي تبتسم، وكم أشعر بالنعاسة، والحزن عندما أرى دمعة في عينيها، لقد رضعت هواها في طفولتي، وشربت حبها منذ نعومة أظفاري، وكان حبها اللاعج عفافاً، لقد وهبتها سعادتي، وجعلتني فداها.

المدرّس (الباحث): أحسنتما! لذلك يجب تربية الفرد على استشعار ما للوطن من أفضال سابقة ولا حقة عليه (بعد فضل الله تعالى)، ومن ثم تربيته على رد الجميل، ومجازاة الإحسان بالإحسان قال تعالى: ﴿وَهَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (سورة الرحمن: آية ٦٠)، لذلك بلادي هي أُمي الحقيقية شربت حبها منذ طفولتي فكان بعدها لوعتي، وحزني، وقربها فرحتي، وغطائي قال الشاعر:
أهيمُ بها وفي قلبي هواها ويؤلمني الفراق أو المغيبُ.

المدرّس (الباحث): في بلادي تكمن السعادة الحقيقية من يتحدث عن ذلك ؟

طالب: أنا سعيد فوق أرض بلادي الخصبية الناعمة، وتحت شمسها المشرقة الضاحكة، سعيد وأنا أطرق إجلالاً لذلك الصوت السماوي الذي تشدو به أطيافها شذواً شجي النغم، حلو الرنين.

طالب آخر: إني لسعيد؛ إذ أقيم مع أصدقائي عرساً في رقة نسيم، نتحول ربوعها فنقف أمام جبالها الشم في رهبة، وإجلال، تتمثل فيها رمز الخلود، ونقرأ آيات من أخبار أجدادنا العظام.

المدرّس (الباحث): جزاكم الله خيراً هل يمكن أن يعيش الإنسان سعيداً وهو بعيد عن وطنه ؟

الطالب: السعادة الحقيقية تكمن في الوطن الذي نشأ فيه الفرد وترعرع، شرب ماءه، وأكل من خيراته، في بلادي عزتي، وكرامتي ولا يهنأ عيشي إلا في بلادي، والفرد بعيد عن الوطن مبتذل مهان. الوطن يكبر، ويتسع في عيون محبيه، وله حبٌ يلج باطن القلب، وخبايا الذاكرة، وله رائحة لا يشمها إلا النازحون عنه.

المدرّس (الباحث): أحسنت ! هذا صحيح البحث عن عزّ غير الوطن لا يجزي الكرامة فلا يعرف السعادة الحقيقية إلا من كابد مواجع الابتعاد، وعذاب الرحيل، ومن جرب البعد لا ينسى مواجعه، ومن

رأى السم لا يشقى كمن شره فكم من أناس اخرجوا من ديارهم، وأجبروا على الرحيل عنها ، أو قذفت بهم ظروف الحياة، فراحوا يتكسرون على موانئ التغرب، وشواطئ الرحيل، فضاقت الأرض عليهم بما رحبت .

المدرّس (الباحث): من يتحدث عن العنصر الرابع (بلادي المظهر الحسن) ؟
وهكذا نكمل البقية.

سابعاً : الخاتمة: (٣) دقيقة

المدرّس (الباحث): من يعطيني خلاصة للموضوع ؟

محددة في الخطة الأتموزجية السابقة.

ثامناً: الكتابة في الموضوع:

محددة في الخطة الأتموزجية السابقة.

تاسعاً: تصحيح الدفاتر:

محددة في الخطة الأتموزجية السابقة.

(ملحق/٨)

م/ اختيار موضوع الاختبار البعدي.

الأستاذ الفاضل:..... المحترم

تحية طيبة:

يروم الباحثان إجراء دراستهم الموسومة بـ (أثر الاثارة غير المنتظمة في الأداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي)، ومن متطلبات الدراسة إجراء اختبار بعدي في الأداء العبيري لغرض التكافؤ بين مجموعتي التجربة، لذى يضع الباحثان بين أيديكم عنوانات موضوعات تعبيرية يرجو اختيار موضوع واحد منها ترونه أكثر صلاحية من غيره لطلاب الصف الرابع العلمي وتقبلوا شكر الباحثان وامتنانهما.

الباحثان

الموضوعات:

- ١ . ما شرقت في الكون أي حضارة
 - ٢ . ليس الجمال بأثواب تزيننا
 - ٣ . اعز مكان في الدني سرج سايح
 - ٤ . جميل أن يموت الإنسان من اجل وطنه، ولكن الأجل أن يمحي من اجل هذا الوطن.
- إلا وكانت من ضياء معلم
- إن الجمال جمال العلم والأدب
- وخير جليس في الزمان كتاب

٥. قال الإمام علي لابنه الحسن (عليهما السلام): (يا بني اجعل نفسك ميزانا بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لها)^(١٤)
٦. كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعا يرمى بصخر فيعطى أطيب الثمر

(ملحق ٩)

معيار تصحيح التعبير للمرحلة الإعدادية.

معيار تصحيح الهاشمي^(١٥):

يبلغ عدد فقراته إحدى عشرة فقرةً، والدرجة الكاملة للمعيار (١٠٠) درجة موزعة بين فقراته، و فيما يأتي فقرات المعيار وعناصرها ودرجاتها، وتوزيع درجة الفقرة على عناصرها:

١- الخلو من الاغلاط الإملائية: (١٠ درجات)

يتمثل ذلك في:

الصحة والكفاية التامة في قواعد الإملاء المتفق عليها في اللغة العربية.

توزيع الدرجة:

توزع الدرجات العشر على عدد الاغلاط الإملائية في الموضوع المشتمل على أكبر عدد من الاغلاط، لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل خطأ، ويحتسب الخطأ المكرر مرة واحدة.

٢- الخلو من الأخطاء النحوية والصرفية: (١٠ درجات)

يتمثل ذلك في الصحة والكفاية التامة في قواعد النحو والصرف.

توزيع الدرجة:

لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل خطأ نحوي أو صرفي، يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في

الفقرة الأولى

٣- جودة الخط: (٥ درجات)

يتمثل تجويد الخط في: أ- حسن رسم الحروف. ب- الاستقامة في الكتابة على السطر ج- وضع

النقاط في أماكنها.

د- انسجام حروف الكلمة بعضها مع بعض من حيث الصغر والكبير.

هـ- انسجام الكلمات بعضها مع بعض من حيث الصغر والكبير.

توزيع الدرجة:

يُعطى لكل عنصر من العناصر الخمسة السابقة درجة واحدة.

٤- تنظيم الصفحة: (٥ درجات)

١٤ - نصح البلاغة - ابن ابي الحديد - ج١٦ - ص٤٩.

١٥ - الهاشمي، ١٩٩٤: ١٨٣.

يتمثل ذلك في: أ- نظافة الصفحة. ب- مراعاة نظام الفقرات. ج- مراعاة استعمال علامات الترقيم.

توزيع الدرجة:

تعطى درجة واحدة لكل من العنصرين الأول والثاني، وثلاث درجات للعنصر الثالث.

٥- فنية التعبير: (١٥ درجة)

يتمثل ذلك في اشتمال الموضوع على ألوان فنون البلاغة الثلاثة (البيان، البديع، المعاني)

توزيع الدرجة:

لتحديد الدرجة التي تعطى لكل جملة بليغة مطابقة لمقتضى الحال يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى.

٦- وضوح الأفكار: (١٠ درجات)

يتمثل ذلك في:

أ- فهم القارئ للمراد من الكلام المكتوب. ب- خلو الموضوع من التناقض. ج- تفصيل الأفكار بتفاصيل ملائمة.

توزيع الدرجة:

لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل فقرة غير واضحة، يتبع الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى.

٧- صحة الأفكار: (١٠ درجات)

يتمثل ذلك في خلو التعبير من الحقائق المخطوءة تاريخياً وعلمياً.

توزيع الدرجة:

لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل فقرة مخطوءة، يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى.

٨- الالتزام بالموضوع: (٥ درجات)

يتمثل ذلك في:

أ- انتماء الأفكار للموضوع. ب- خلو الموضوع من الأشكال المخلة بوحدة الموضوع. ج- الابتعاد عن الحشو واللغو.

توزيع الدرجة:

لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل فقرة غريبة عن الموضوع، يتبع المصحح الأسلوب المتبع في الفقرة الأولى.

٩- الاستشهاد: (١٠ درجات)

يتمثل ذلك في الاقتباس من القرآن الكريم والتضمين من الحديث النبوي الشريف والموروث الأدبي

شعراً ونثراً

-توزيع الدرجة:

أثر الاثارة غير المنتظمة في الاداء التعبيري لدى طلاب الصف الرابع العلمي

لتحديد الدرجة التي تُعطى لكل استشهد يعزُّزُ الفكرة، يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى، و أقصى حدّ هو خمسة استشهادات للموضوع كّله.

١٠- دقّة اختيار اللفظ المعبر عن المعنى: (١٠) درجات

يتمثّل ذلك في:

أ- اختيار المفردة الأكثر ملاءمةً للمعنى وتنوّعها. ب- الابتعاد عن الألفاظ العاميّة.

توزيع الدرجة:

لتحديد الدرجة التي تُخصم عن كلّ لفظٍ لم يوفّق الطالب في اختياره، يتبع المصحح الأسلوب نفسه

في الفقرة الأولى

١١- التدرّج بالعرض ابتداءً من المقدّمة وانتهاءً بالخاتمة: (١٠) درجات

يتمثّل ذلك في:

أ- حسن التمهيد: ويكون بمقدمة تثير اهتمام القارئ وتعد ذهنه في قليل من الألفاظ والتراكيب. (٣)

درجات

ب- حسن العرض: يكون بالتقدم المنتظم لأفكار الموضوع وقيام بعضها فوق بعض، فلا تحس بوجود

فجوات ومن دون تكرار مخل للفظ والمعنى. (٤) درجات.

ج- حسن الختام: ويكون بنهاية توجز في اسطر معدودة ما أراد الكاتب أن يبرزه ويصل إليه.

(٣) درجات.

(ملحق/١٠)

درجات الثبات لمعيار التصحيح بطريقتين عبر الزمن ومع مصحح آخر.

ت	عبر الزمن	مصصح آخر	ت
١	٦٩	٧١	٦٤
٢	٥٤	٥٥	٥٠
٣	٦٢	٦١	٥٨
٤	٧١	٧٠	٦٥
٥	٦٥	٦٥	٦٣
٦	٧٠	٧٠	٦٢
٧	٦٥	٦٥	٦١
٨	٧٥	٧٥	٧٠
٩	٦٥	٦٥	٦٢
١٠	٦٠	٦٠	٥٥
١١	٧٠	٧٠	٦٣

٤٠	٤٥	٤٠	٤٥	١٢
٦٠	٦٠	٥٨	٦٠	١٣
٦٥	٧٠	٦٧	٧٠	١٤
٤٠	٤٥	٤٠	٤٥	١٥
٦٠	٦٥	٦٣	٦٥	١٦
٤٥	٥٥	٤٥	٥٥	١٧
٦٧	٧٥	٧٠	٧٥	١٨
٣٥	٤٠	٣٤	٤٠	١٩

التوازن القانوني للأجرة في العلاقة الأيجارية

دراسة مقارنة بين القانون المدني وقانون أيجار العقار)

*The legal balance of rental in the renting relationship
(A contrastive study between civil law and law of
property renting)*

م.م. محمد عبد الرزاق محمد الشوك^(١)

M.A. Mohammad Abdul-Razaq Mohammad AL-Shok

المخلص:

يعد عقد الأيجار من عقود المعاوضة، فالمؤجر يستوفي الأجرة من المستأجر مقابل أنتفاع هذا الأخير بالمأجور، فأن أنتفت الأجرة رفعت صفة الأيجار عن العقد، وأذا كان للمتعاقدين حرية في تحديد مقدار الأجرة في القانون المدني فأن هذا الحكم ليس كذلك في قانون أيجار العقار، لأن المشرع يتيقن من أن إطلاق الحرية للمتعاقدين في تحديد الأجرة في قوانين الأيجار من شأنها أن تؤثر سلباً في توازن هذه العلاقة الأيجارية المهمة، لذا تدخل المشرع لتحديد نسب معينة للأجرة لايحوز مجاوزتها عند تقدير الأجرة لأسباب التوازن على هذه العلاقة لما يحافظ على النظام القانوني والاجتماعي ما بين مصالح الملاك وطبقة المستأجرين على أسس من العدل والتضامن والتعاون وللوقوف على مدى تحقق التوازن القانوني في الأجرة فقد تناولنا التوازن القانوني للأجرة في كل من قانون أيجار العقار والقانون المدني.

١ - جامعة اهل البيت /كلية القانون.

Abstract

The Leasing contract considers as an onerous contract which subject of each of the parties to giving or to doing something, that is to say normally in poses reciprocal obligation upon the parties and it is then specified as bilateral contract such as hiring so if there is no Rent the leasing contract would not fond, thus, if there are Rent limited for the parties of leasing contract, we observe that the civil code does not contain the immovable rent, some applications which could effected with the Relations negativity writing the limited for Rent keep the became of the contractual relative.

أولاً/ التعريف بموضوع الدراسة:-

تعد العلاقة الأيجارية من أهم العلاقات في كافة المجتمعات على نحو لا غنى للإنسان عنها، ولما كانت هذه العلاقة تعاني الكثير من الاضطرابات نتيجة عدم توازنها ارتأينا أن تنصب هذه الدراسة على بيان مدى تحقق التوازن القانوني في هذه العلاقة من عدمها من خلال بيان أحكامها ومعرفة الموطن الخلل فيها وخصوصاً فيما يتعلق بالأجرة والتي تنسحب بالضرورة على عدم توازنها ومما يؤدي الى أنشغال المشرع والقضاء بها.

ثانياً / أسباب اختيار الموضوع:-

لما كانت العلاقة الأيجارية من أهم العلاقات وأبرزها فأن أزمة السكن التي تشهدها أغلب الدول نتج عنها اضطراب العلاقة الأيجارية، وما يواكب ذلك من تداعيات تلقي بظلالها على المجتمعات، وازاء ذلك وجدنا أنه من المهم التصدي لهذا الموضوع ، من خلال إقامة توازن قانوني لهذه العلاقة ما بين المؤجر والمستأجر.

ثالثاً / منهجية الموضوع: -

أن منهجية هذا الموضوع تتجسد بالتحليل والمقارنة، أذ أشتملت على المقارنة ما بين القانون المدني العراقي وقانون العقار المعدل رقم ٥٦ لسنة ٢٠٠٠.

رابعاً / هيكلية البحث: -

سنتناول في هذا البحث التوازن القانوني للأجرة، من خلال تقسيمه الى ثلاثة مباحث، حيث سنبتن في المبحث التمهيدي مفهوم الأجرة من خلال مطلبين نتناول في الأول تعريف الأجرة وسوف نبحت في المطلب الثاني أنواع الأجرة، أما في المبحث الثاني فسنتناول التوازن القانوني للأجرة في القانون المدني ، من خلال تقسيمه الى ثلاثة مطالب، في الأول نتكلم عن تحديد مقدار الأجرة ، وفي المطلب الثاني فسوف نبحت وقت الوفاء بقيمة الأجرة، أما في الثالث سنتكلم عن أنبات الأجرة، وفي المبحث الثالث فسنبحت التوازن القانوني للأجرة في قانون أيجارالعقار من خلال تقسيمه الى ثلاثة مطالب ، الأول نتكلم عن

تحديد مقدار الأجرة، وفي المطلب الثاني نبين وقت الوفاء بقيمة الأجرة ، أما الثالث سنتناول أثبات الأجرة.

المبحث التمهيدي / مفهوم الأجرة:

سوف نقسم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب نتناول في الأول تعريف الأجرة وفي المطلب الثاني سنتكلم عن شروط الأجرة، وفي المطلب الثالث سنعرض أنواع الأجرة:-

المطلب الأول / تعريف الأجرة:

الأجرة هي المال الذي يستوجب على المستأجر أداءه للمؤجر مقابل أنتفاعه بالشيء المؤجر^(٢)، أذ تعدُّ الأجرة ركناً أساسياً لا ينعقد الأيجار بدونها، فأن تخلفت أنتفى العقد^(٣)، وبالتالي لكي ينعقد الأيجار صحيحاً يجب ان يكون هناك مقابل يتفق عليه الطرفان فأن تخلف لا نكون أمام عقد أيجار، فأن لم توجد الأجرة فأن العقد يكون تبرعياً^(٤) ، فالأجرة هي موضوع التزام المستأجر وهي عنصر جوهري لأنعقاد الأيجار فالعلاقة الأيجارية هي قائمة على أنتفاع الممنوح للمستأجر مقابل الألتزام بدفع الأجرة^(٥) ، ولا بد من ان تكون الأجرة التي يلتزم المستأجر بسدادها جدية وحقيقية^(٦) ، أي أن يقصد المستأجر سدادها، والمؤجر أقتضاءها، أما إذا كانت صورية أي بمقتضاها لا يقصد المتعاقدان ان يلتزم المستأجر بدفعها ولكنها ذكرت للشكل فقط بعبارة أخرى أن الأجرة تذكر من دون أن تستوفي حقيقة^(٧) ، فلا يعد هنا العقد أيجاراً ولكنه يصح بوصفه أعارة لأن المنفعة في عقد العارية تكون بلا مقابل^(٨)، ويجوز لكل من المتعاقدين التمسك بصورية الأجرة في العقد المبرم، ويجوز أثبات هذه الصورية بكافة طرق الأثبات كافة بما فيها البيينة والقرائن^(٩)،

- ٢ - د. أحمد شرف الدين، عقد الأيجاري القانون المدني وقوانين أيجار الأماكن المبنية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ٢٠٠٦ ، ص ٥٥.
- ٣ - د. سعدون العامري، الوجيز في شرح العقود المسماة، في البيع والأيجار، ج١، ط٢، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٠، ص ٢٢٢.
- ٤ - د. محمد كامل مرسي باشا، شرح القانون المدني، عقد الأيجار، منشأة المعارف، الأسكندرية ، ٢٠٠٤، ص ٦٣، د. محمود عبدالرحمن محمد، الوجيز في عقد الأيجار، دار النهضة العربية، القاهرة، دون سنة نشر، ص ٦٩.
- ٥ - د. عبد الرزاق السنهوري ، شرح القانون المدني في العقود ، عقد الأيجار، دار الفكر للطباعة والنشر، دون سنة النشر، ص ١٧٥. د. أسعد دياب العقود المسماة(البيع، الأيجار، الوكالة)، ج١، منشورات زين الحقوقية، بيروت ، ٢٠٠٧، ص ٤٤١.
- ٦ - د. سعيد مبارك و د. طه الملا حويش، الموجز في العقود المسماة،(البيع، الأيجار، المقاوله) ، دار العربية للقانون، ط٤، ٢٠١٠، ص ٢٣٥.
- ٧ - د. عباس العزاف، شرح عقد البيع والأيجار، ١٩٦٥، ص ٣٤٢. د. كمال قاسم ثروت ، شرح أحكام عقد الأيجار، ج١، ط٢، بغداد ١٩٧٦. ص ٧٨.
- ٨ - د. محمود عبدالرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٢، د. سعدون العامري، مصدر سابق، ص ٢٢٣، د. أحمد شرف الدين، مصدر سابق، ص ٥٥، د. عباس العزاف، مصدر سابق، ص ٣٤٤.
- ٩ - د. أحمد شرف الدين ، مصدر سابق ، ص ٥٥، د. سعدون العامري ، مصدر سابق ، ص ٢٢٣، د. محمد كامل مرسي باشا ، مصدر سابق ، ص ٦٥.

ويلحق بالأجرة الصورية الاجرة التافهة وهي التي لا يوجد تناسب بينها وبين قيمة منفعة الشيء المؤجر على الإطلاق^(١٠)، أو تبلغ من الضالة بالنسبة الى منفعة الشيء حداً يتعذر معه اعتبارها أجرة جدية فهي تعتبر في حكم العدم^(١١).

ولكن لا يشترط ان تعادل الأجرة المنفعة تماماً ، فيكفي أن تكون مقاربة للمنفعة ومن ثم أن الأجرة البخسة يصح بها العقد^(١٢)، وهي التي تقل عن أجرة مثل الشيء المأجور بدرجة تتجاوز المألوف في التعامل أو التي تنطوي على غبن فاحش بالنسبة للمؤجر^(١٣)، فالأجرة البخسة لا تؤدي الى أنعدام التناسب بين المنفعة والأجرة وان أدت الى غبن يلحق المؤجر ولكن ذلك لا يؤثر على صحة العقد الأ إذا صاحبه تغير، ما لم ينصب هذا الغبن على مال المحجوز أو الحوالة أو الوقف، فأن العقد يعد باطلاً حينها^(١٤)، ويذهب جانب من الفقه^(١٥)، الى أن التفرقة ما بين الأجرة البخسة والأجرة التافهة لا مبرر له، وذلك لعدم وجود حد واضح يفصل بينهما من جانب ، وعدم وجود سند قانوني للتفرقة بينهما من جانب آخر، ويرى أنه مادام القانون لم يشترط التناسب بين الأجرة وقيمة المنفعة التي يجلبها المستأجر من العين، فأى أجرة تكفي لأن عقاد الأيجار مهما كانت ضعيفة بشرط أن تكون جدية، أي أجرة أتجهت أرادت المتعاقدين الى تقاضيتها والوفاء بها فعلاً.

وتسري على الأجرة القواعد العامة في محل العقد من حيث الوجود والتعيين والمشروعية ، فيشترط أن تكون الأجرة مما يمكن الوفاء به ، وأن تكون معينة أو قابلة للتعيين، وأن تكون مشروعة^(١٦)، وتحدد دائرة المشروعية بنطاق النظام العام والآداب العامة فإذا كانت الأجرة مخالفة للنظام العام والآداب، كأن تكون الأجرة كمية من المخدرات أو معاشره جنسية غير مشروعة أو التستر على جريمة، وبالتالي يعتبر العقد باطلاً لتخلف أحد الشروط الواجب توافرها في العقد^(١٧).

المطلب الثاني / أنواع الأجرة:

الأجرة هي المقابل الذي يلتزم به المستأجر نظير أنفعائه بالشيء المؤجر، وقد يكون هذا المقابل مبلغ من النقود أو أي مال آخر غير النقود، وفي ضوء ذلك سوف نقسم المطلب الى فرعين وعلى النحو الآتي: -

- ١٠ - د. محمود عبدالرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٢، د. سعدون العامري، مصدر سابق، ص ٢٢٤.
- ١١ - د. أحمد شرف الدين، مصدر سابق، ص ٥٦. د. عباس الصراف، مصدر سابق، ص ٣٤٥.
- ١٢ - د. كمال قاسم ثروت، مصدر سابق، ص ٧٩. د. محمود عبدالرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٣، د. محمد كامل مرسي باشا، مصدر سابق، ص ٦٦.
- ١٣ - د. محمد عبدالرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٣. د. سعدون العامري، مصدر سابق، ص ٢٢٣، د. أسعد دياب، مصدر سابق، ص ٤٤٢.
- ١٤ - د. عبد المجيد الحكيم، مصادر الألتزام، ج ١، ط ٢، بغداد، ١٩٦٣، ص ١٥٥.
- ١٥ - د. محمد عبدالرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٣. د. محمد عزمي البكري، موسوعة الفقه والقضاء في أحكام عقد الأيجار في التنفيذ المدني الجديد، دار محمود للنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص ٧.
- ١٦ - د. أحمد شرف الدين، مصدر سابق، ص ٥٦، د. سعيد مبارك و د. طه الملا حويش، مصدر سابق، ص ٢٢٧.
- ١٧ - د. محمود عبدالرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٢، د. سعد أدياب، مصدر سابق، ص ٤٤.

الفرع الأول / الأجرة النقدية:

أن الأجرة في الغالب تكون مبلغاً من النقود يدفعه المستأجر في فترات زمنية متتالية ، أو يدفعه مرة واحدة في بداية الأيجار أو في نهايته^(١٨)، فالأصل أن تكون الأجرة نقوداً تتم دفعها على شكل أقساط متساوية، قد تكون شهرية أو سنوية أو يتم دفعها مرة واحدة حسب الاتفاق^(١٩)، وهنا تلتقي الأجرة في الأيجار مع الثمن في البيع، إذ يلزم في الأخير أن يكون من النقود^(٢٠)، فالأجرة تكون عادة مبلغ من النقود يلزم المستأجر بدفعه للمؤجر مقابل أنتفاعه بالعين المأجورة^(٢١)، وفي حالة إذا كانت الأجرة بالنقود، فهي تكون أما بالعملة الوطنية المحلية أو الأجنبية كالدولار مثلاً^(٢٢)، وذهب جانب من الفقهاء المسلمين^(٢٣)، أنه إذا كانت الأجرة مبلغ نقدي يجب بيان مقدارها كي تنفي الجهالة من خلال تعيين قيمتها كألف دينار، فالأجرة يجب أن تكون مالاً متقوماً معلوماً مقدوراً على تسليمها منتفعاً بها.

الفرع الثاني / الأجرة العينية:

لقد ذكرنا سابقاً أن الأجرة تكون في الأصل مبلغ من النقود، بيد أن ذلك لا يمنع من ان تكون الأجرة أي مال آخر غير النقود، وعلى ذلك نصت المادة (٧٣٦) من القانون المدني العراقي على أنه (يصح أن تكون الأجرة نقوداً، كما يصح أن تكون أي مال آخر) كما نصت المادة (٥٦١) من القانون المدني المصري على أنه (يجوز أن تكون الأجرة نقوداً، كما يجوز أن تكون أي تقدمه أخرى) وهذا ما نصت عليه أغلب القوانين^(٢٤) وتأسيساً على ذلك فإن الأجرة لا يمنع من أن تكون أي مال آخر غير النقود، سواء كان المال منقولاً أم عقاراً، كأن يعطي المستأجر بضاعة معينة عوضاً عن الأجرة، وقد تعطى الأجرة جزءاً من محصول^(٢٥)، أو الأنتفاع بشيء آخر مقابل الأنتفاع بالعين المؤجرة (مقايضة أنتفاع بأنتفاع) أو أي أداء آخر يلزم به المستأجر^(٢٦)، كما يصح أن تكون الأجرة بناءً بقيمة المستأجر في المأجور، ليصبح ملكاً للمؤجر، أو أن يجري تحسينات على المأجور^(٢٧) لتكون الأجرة هي التحسينات

١٨ - د. محمود عبد الرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٤، د. طارق الطنطاوي، عقد الأيجاري القانون المدني، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٩٦.

١٩ - د. أحمد شرف الدين، مصدر سابق، ص ٥٥.

٢٠ - وهذا ماجاء في نص المادة ٥٢٧/٢ من القانون المدني العراقي بقولها (في البيع المطلق يجب أن يكون الثمن مقدراً بالنقد).

٢١ - د. محمد كامل مرسي باشا، مصدر سابق، ص ٦٤، د. طارق الطنطاوي، مصدر سابق، ص ٩٧٠.

٢٢ - لقد قضت محكمة النقض المصرية بتاريخ ١٩٩٠/١٣/٢٥٣ طعن ٥٥٠/٢٥٣ق، بشأن التعامل بالنقد الأجنبي، ومفادها أن المشرع قد أجاز التعامل في النقد الأجنبي، داخل البلاد أو خارجها، وعليه أن ألتزام المستأجر بدفع الأجرة بعملة أجنبية معينة هو ألتزام صحيح وقانوني أشار إليه: د. أحمد شرف الدين، مصدر سابق، ص ٥٦.

٢٣ - عبد الرحمن الجزائري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، (قسم المعاملات ج ٣، لبنان، ١٩٨٨، ص ٩٩، والأمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ١، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢، ص ٩٨، زين الدين بن نجم الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج ٧، لبنان، بدون تاريخ نشر، ص ٢٩٨.

٢٤ - ينظر: نص المادة (٥٣٦) من قانون الموجبات والعقود اللبناني، المادة (٥٢٩) من القانون المدني السوري والمادة (٥٦١) من القانون المدني الليبي.

٢٥ - د. محمد كامل مرسي، شرح القانون المدني الجديد، العقود المسماة، عقد الأيجار، ج ٥، مصر، ١٩٥٣، ص ٦٢.

٢٦ - د. أحمد شرف الدين، مصدر سابق، ص ٥٥، د. أسعد دياب، مصدر سابق، ص ٤٤٢، د. محمود عبد الرحمن محمد،

مصدر سابق، ص ٧٤، د. سعدون العامري، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

٢٧ - عصمت عبد المجيد، شرح أحكام عقد الأيجار، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٦٢.

نفسها، التي أدخلها المستأجر على المؤجر، وإلى غير ذلك من الصور المحتملة للأجرة من غير النقود^(٢٨)، ومن هذه الصور أن يتمتع المستأجر بفتح محل تجاري في شارع معين أو أن يقدم شيئاً أو عمالاً أو كليهما معاً^(٢٩)، وهذا ما قصد به المشرع في نص المادة (٧٣٦)، بقوله (كما يصح أن تكون أي مال آخر) وتقابلها نص المادة (٥٦١) من القانون المدني المصري بقولها (أي مقدمة آخر).

ومن هنا نجد أن القوانين منحت طرفي العلاقة الأيبحارية حرية واسعة في تحديد نوع الأجرة، التي يتقاضاها المؤجر، وهذا خلاف ماجاء في عقد البيع والذي أوجب المشرع أن يكون الثمن مبلغ نقدياً^(٣٠). أما بشأن جواز أن تكون الأجرة منفعة، فأن الفقهاء المسلمين^(٣١)، قد أجمعوا على أن تكون الأجرة منفعة، إلا أنهم اختلفوا في جواز أن تكون المنفعة من جنس المعقود عليه، أم من غير ذلك؟ فذهب جانب من الفقه^(٣٢) إلى جواز أن تكون الأجرة منفعة من جنس المعقود عليه، كأجرة السكنى بالسكنى، والزراعة بالزراعة، والخدمة بالخدمة، في حين ذهب أغلب الفقهاء المسلمين إلى عدم جواز الأجرة إذا كانت منفعة من جنس المعقود عليه، لأن اتحاد الجنس يولد الربا، فكان لا بد من اختلاف جنس المنفعة كأستجار سكنى الدار بزراعة الأرض^(٣٣)، بيد أن القانون المدني العراقي لم ينص على هذه الحالة، على جواز أن تكون الأجرة منفعة أم عدم جوازها، وبرأينا يجوز أن لا تكون منفعة الأجرة من جنس المعقود عليه وذلك قطعاً للأجهادات ومنح المتعاقدين مرونة أكبر في اختيار جنس الأجرة بما يعزز استقرار العلاقة ما بين المؤجر والمستأجر ويحقق توازنها.

المبحث الأول / التوازن القانوني للأجرة في القانون المدني:

تنقسم العلاقة الأيبحارية بحق الانتفاع الممنوح للمستأجر مقابل الألتزام بالأجرة، التي هي ركن في عقد الأيبحار و يطل العقد بأنتفائها، ولمعرفة مدى تحقق التوازن القانوني للأجرة في القانون المدني، سنبيّن كيفية تحديد الأجرة، ووقت الوفاء بها، وأثبت الأجرة، وذلك من خلال تقسيم المبحث إلى ثلاثة مطالب وكالآتي:-

٢٨ - د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج ٦، المجلد الأول، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٣، ص ١٦٢، د عبد الفتاح عبد الباقي، عقد الأيبحار، مصر، ١٩٥٢، ص ١٠٠.

٢٩ - د. محمود عبد الرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٥.

٣٠ - تنص الفقرة الأولى من المادة (٥٢٧) من القانون المدني العراقي على أنه (في البيع المطلق يجب ان يكون الثمن مقدراً بالنقد...)، يقابلها نص المادة (٤١٨) من القانون المدني المصري بقولها (البيع عقد يلتزم به البائع ان ينقل للمشتري ملكية شيء أو حقاً مالياً آخر في مقابل ثمن نقدي).

٣١ - ينظر العلامة زين الدين بن نجّم الحنفي، مصدر سابق، ص ٢٩٨، العلامة أحمد الطحاوي الحنفي، حاشية الطحاوي على در المختار، دار المعرفة، ج ٤، لبنان، ١٩٧٥، ص ٣ محمد أمين الشهير بأبن عابدين، الدار والمختار على شرح تنوير الأبصار، ج ٦، ط ٢، مصر، ١٣٨٦هـ، ص ٥١.

٣٢ - ينظر: الامام علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني، مصدر سابق، ص ١٩٣، مصطفى السيوطي، مطالب أولي المنتهى، ج ٣، ص ٥٨٧.

٣٣ - زين الدين بن نجّم الحنفي، مصدر سابق، ص ٢٩٨، فخر الدين بن عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، ج ٥، لبنان، دار المعرفة للطباعة، ١٣١٥هـ، ص ١٠٥.

المطلب الأول / تحديد مقدار الأجرة:

الأصل أن يترك تحديد الأجرة ما بين المتعاقدين فلهم تحديدها^(٣٤)، عن كل مدة الأيجار أو تجزئتها بحسب الوحدات الزمنية لمدة الأيجار، وغالباً ما يقدر المتعاقدان الأجرة بطريقة مباشرة، كالاتفاق على مبلغ محدد من النقود، وهذا المقدار الذي يرتضيه الطرفان يكون في العادة ثابتاً طوال مدة الأيجار، ولكنه قد يكون متغيراً يختلف باختلاف الظروف والأحوال، وهذا الأخير يسمى بالترديد^(٣٥)، كأن يؤجر المنزل بأجر معين إذا سكنه المستأجر، وبأجر آخر يزيد عليه إذا أعاد تأجيره من الباطن، أو أن تؤجر الأرض الزراعية بأجرة معينة إذا زرعها المستأجر قمحاً، وبأجرة مضاعفة إذا زرعها قطناً^(٣٦). وقد أجاز القانون المدني العراقي ترديد الأجرة^(٣٧)،

على أكثر من صورة واحدة وتلزم الأجرة بحسب الصورة التي يظهر بها المأجور، إذ نصت المادة (٧٣٧) على أنه:

((١- يصح ترديد الأجرة على أكثر من صورة واحدة ويلزم أعطاً وها على موجب الصور التي تظهر فعلاً.
٢- فلو استؤجر حانوت على أن تكون له أجرة معينة أن أستعمل للعطارة، وأن تكون له أجره أخرى أن أستعمل للحداثة فأى العملين أستعمل فيه الحانوت تعطى اجرتة)).

ونلاحظ في نص المادة السابقة الذكر أعتبرت الأجرة صحيحة من وقت أبرام العقد، وفي ذلك مأخذ على موقف القانون العراقي، ومن الأجدران يُصرح المشرع بتحقيق أبرام العقد وصحته منذ لحظة القيام بالعمل، وذلك لأن الاجارة لاتنشأ بوصفها عقداً ما لم تحدد الأجرة وطبيعة المنفعة وبالتالي في الأجرة المرددة لا يتحقق ذلك إلا عند القيام بالعمل كأستغلال المأجور بالحداثة او النجارة مثلاً، لذا تصح الأجرة من وقت القيام بالعمل وليس من وقت أبرام العقد.

وقد لا يقدر المتعاقدين الأجرة بطريقة غير مباشرة، ويكون ذلك بالاتفاق ليس على مقدار الاجرة ذاتها، بل على أساس تقديرها فقط، وهذا الاتفاق جائز تطبيقاً للقواعد العامة التي لاتستلزم أن يكون محل الالتزام معيناً بذاته، بل يكفي أن يكون قابلاً للتعيين، ولكن بشرط أن تكون الأسس المتفق عليها واضحة بحيث يمكن بمقتضاها معرفة مقدار الأجرة مستقبلاً من دون لبس أو غموض^(٣٨)،

٣٤ - د. أحمد شرف الدين، مصدر سابق، ص ٥٦، د. محمد كامل مرسي باشا، مصدر سابق، ص ٦٣، د. محمود عبد الرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٦، د. أسعد دياب، مصدر سابق، ص ٤٤٢.

٣٥ - يراد ترديد الأجرة ان تذكراً أكثر من أجرة على أن تثبت الأجرة التي يظهر عليها طبيعة استخدام المأجور، كأن تحدد أجرة معينة، إذا أستعمل المأجور للتجارة، وأجرى أخرى ان أستعمل المأجور للسكينة، تثبت الأجرة على أساس العمل الذي يوشر فعلاً بالمأجور، أنظر: د. محمد كامل مرسي باشا، مصدر سابق، ص ٦٥.

٣٦ - د. محمود عبد الرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٧، د. سعدون العامري، مصدر سابق، ص ٢٢٣.
٣٧ - لقد ذهب جانب من الفقه الإسلامي المعاصر إلى التردد يعود إلى عدم صحة الأجرة لجهالة العوضين، إلا أن الأحارة تصح بزوال الجهالة وتزول حين بدء العمل، وهي ما تسمى ب(الأجرة المعاطية).

أنظر:- آية الله العظمى السيد محمد صادق الصدر، منهج الصالحين، ج ٣، النجف الأشرف، ١٩٩٤، ص ١٦٤، وآية الله العظمى روح الله الخميني، معرفة أبواب الفقه، ط ٢، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ٢٠٠٢، ص ١٣٢.

٣٨ - د. محمود عبد الرحمن محمد، مصدر سابق، ص ٧٨.

ويلاحظ أن طريقة تحديد الأجرة تختلف بحسب طبيعتها ، فأن كانت نقوداً تحدد بمقدارها، وأن كانت من الأشياء المعنية بالذات فتحدد ببيان الشيء نحو ينفي الجهالة عنه، فإذا كانت نصيباً من محصول زراعي فأنها تحدد ماهية العمل على نحو واضح^(٣٩)،

أما إذا لم يعرض طرفا العلاقة الأيجارية للأجرة أو تعذر أثبات الأجرة المدعى بها فأن الأجرة تحدد على أساس أجرة المثل، ويقصد بأجرة المثل أجرة مأجور مماثل من حيث الصفات والمزايا للمأجور المراد تحديد أجرته، ويحدد القاضي أجرة المثل بعد الاستعانة بالخبراء^(٤٠)، وذلك بغية التقليل من حالات البطلان ، وهذا ماجاء في نص المادة (٨٣٧) من القانون المدني العراقي بقولها ((إذا لم يتفق المتعاقدان على مقدار الأجرة المدعى بها وجب أجرة المثل)).

وهذا مانصت عليه المادة (٥٦٢) من القانون المدني المصري ، والمادة (٥٣٠) من القانون المدني السوري والمادة (٥٣٧) من قانون الموجبات والعقود اللبناني.

ويلاحظ أنه ليس من الدقة استعمال تعبير (إذا لم يتفق المتعاقدان) لأن هذا التعبير يدل على الاختلاف في الأجرة ، ومن ثم عدم انعقاد العقد ، لأن الأجرة ركن فيه ومن أجل الدقة في الصياغة التشريعية وضرورة انسجام اللفظ مع المعنى كان الأولى بالمشروع أن ينص على أنه (إذا أغفلا المتعاقدان) ، حتى المعنى يؤدي الى حالة الاتفاق على الأجرة مع تعذر اثباتها.

ويثار تساؤل حول اتفاق أطراف العلاقة الأيجارية على بدل أيجار محدد، ثم حدثت ظروف اقتصادية أو سياسية أدت الى تغيرقيمة النقد، سواء أكانت أخفضاً أم أرتفاعاً، في بداية العلاقة الأيجارية أو في اثنائها فكيف يمكن تحقيق التوازن لهذه العلاقة وحماية المتعاقدين من تلك التقلبات التي بانته واقعاً لا مفر منه ؟

قد يبدو للوهلة الاولى أن نظرية الظروف الطارئة هي الكفيلة بأعادته التوازن لهذه العلاقة، التي تتلخص بأنها: إذا كان العقد من العقود المستمرة التنفيذ أو الفوري، غير أنه مؤجل، وحدثت ظروف استثنائية غيرمتوقعة أدت الى أختلال التوازن العقدي الذي كان موجوداً حين أبرامه، وعلى نحو يهدد المدنيين بخسارة فادحة، فالمدين لا يجبرعلى تنفيذ التزامه الوارد في العقد، بل ينقص هذا الألتزام الى الحد

٣٩ - د. سعيد مبارك وطه الملاحوش وصاحب عبد الفتلاوي، الموجز في العقود المسماة، بغداد، دارالحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٣، ص ٢٣٦. ومما تجدر الإشارة الى أن الفقهاء المسلمين أجهوا الى تحديد الاجرة وفقاً لطبيعتها ، فأن كانت نقوداً فتحدد قدرها، وأن كانت من الكميات والموزونات والمعدودات فتحدد ببيان وزنها وكمها، وان كانت الأجرة حيواناً فيجب أن يكون معنياً ومشاراً اليه ، كهذا الحمل أو هذه البقرة، فالهم هو تحديد وتعيين الأجرة على نحو نافي للجهالة، للمزيد أنظر: آية الله العظمى السيد عبدالأعلى الموسوي السيزوري ، مهذب الأحكام ، ج ١٩، النجف، ١٩٨٣، ص ١٩.

٤٠ - د. عصمت عبدالجيد، شرح أحكام عقدا الأيجار، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٦٦، وينظر: القرارات القضائية الآتية:
- القرارالتمييزي المرقم ٣٨٤ /ج/ ٦٦ في ١٩٦٦/٢/٢ قضاء محكمة التمييز، المجلد الرابع، ص ٦٥، أشار إليه: د. عصمت عبد الجيد ، مصدرسابق ، ص ٦٧.

- القرار المرقم ٦٤٤ /ح/ ١٩٦٨ في ١٩٦٦/٢ ، المجلد الخامس، ص ١٩١، أشاراليه: د. جعفرالفضلي ، الوجيز في شرح عقد الأيجار، مكتبة الجليل العربي، العراق، ٢٠٠٣، ص ٢٥.

الذي تقضي به العدالة^(٤١)، من خلال نص المادة سابقة الذكر نرى بأن القانون المدني العراقي قد أجاز أنقص الألتزام فيما إذا حصل ارتفاع بقيمة النقد، فهنا من حق القاضي أنقص الألتزام المرهق والمترتب في ذمة المدين الا وهو المستأجر بوصفه مدين للأجرة، ولكن ما الحكم إذا أدت تلك الظروف الأستثنائية الى أنخفاض قيمة النقد،

وهذا يُفهم ضمناً من وقد نصت المادة(١٤٦) من القانون المدني العراقي على أنه ((إذا طرأت حوادث أستثنائية عامة لم يمكن في الوسع توقعها، وترتب على حدوثها أن تنفيذ الألتزام العقدي، وأن لم يصبح مستحيلاً صار مرهقاً للمدين ، بحيث يهدده بخسارة فادحة، جازللمحكمة بعد الموازنة بين مصلحة الطرفين أن تنقص الألتزام المرهق الى الحد المعقول أن أقتضت العدالة ويقع باطلاً كل أتفاق على خلاف ذلك)). فحوى نص المادة(١٤٦) حيث لم ينص على زيادة الألتزام على عاتق المدين والمتمثل بالمستأجر وبالتالي قد نص على أنقص مقدار الأجرة وليس على رفعها من جانب المستأجر، وعليه يكون هذا النص عاجزاً عن أستيعاب كافة التطورات التي من شأنها أن تحل بالعلاقة الأيجارية وهذا بدوره يؤدي الى جعل العلاقة الأيجارية مضطربة وغير متوازنة ، وبالتالي لا بد من تبني أجرة المثل وقت تغير قيمة العملة الناتج عن تلك الظروف مراعاة لجانب المؤجر إذا أنخفضت قيمة العملة ،ومراعاة لجانب المستأجر فيما إذا أرتفعت قيمة العملة ليؤدي الى تحقيق التوازن ما بين المؤجر والمستأجر.

المطلب الثاني / وقت الوفاء بقيمة الأجرة:

يلتزم المستأجر بدفع الأجرة المتفق عليها في العقد ، فالمستأجر يلزم بدفع الأجرة في المواعيد المتفق عليها والمحددة في العقد فأن سكت الطرفان على تحديد ميعاد معين للوفاء وجب الرجوع الى العرف والمعمول به ، فإذا قضى العرف بوفاء مقدماً او مؤخراً وجب الألتزام بتلك الآجال التي بيّنها العرف^(٤٢)، وهذا ماجاء في نص المادة(٥٨٦) من القانون المدني المصري بقولها ((يجب على المستأجر أن يقوم بوفاء الأجرة في المواعيد التي يعيّنهما عرف الجهة))^(٤٣).

أما قانون الموجبات والعقود اللبناني فقد نص في المادة(٥٦٩) على أنه ((يجب على المستأجر أن يدفع الأجرة في الأجل المعيّّن في العقد، وإذا لم يكن فيه تعيين فبحسب العرف المحلي، وإذا لم يكن عرف فعند نهاية مدة الأنتفاع، يجوز أن يشترط دفع الأجرة مقدماً)).

يتضح من هذا النص أن على المستأجر دفع الأجرة في مواعيدها المتفق عليه ، فإذا لم يعيّن المتعاقدان موعداً للوفاء بالأجرة وجب تبني العرف، وأن أنعدم العرف وجب الوفاء في نهاية مدة الأنتفاع ، لأن الأجرة تقابل المنفعة المستوفاة أو الممكنة الأستيفاء^(٤٤)،

٤١ - د. عصمت عبدالمجيد، نظرية الظروف الطارئة و دورالقاضي في تطبيقها، وزارة العدل، مركز البحوث القانونية ، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٩٣، ص ٢٨.

٤٢ - د. محمدعلي عمران، شرح أحكام عقد الأيجار في القانون الليبي، ١٩٧٦، ص ١٢٤، د. محمد كامل مرسي باشا، مصدر سابق ، ص ٢١٧.

٤٣ - أنظر: نص المادة (٥٥٤) من القانون المدني السوري و نص المادة(٥٨٥) من القانون المدني الليبي.

٤٤ - د. توفيق حسن فرج، عقد الأيجار ، دراسة لحكام قوانين الأيجار، بيروت ، ١٩٨٤، ص ٧٢٥.

وقد يتفق على تعجيل الأجرة أي دفعها قبل بدء الأنتفاع، أو يتفق على تأجيل الأجرة أي دفعها في آخر مدة الأنتفاع، أو يتفق على تقسيط الأجرة أي دفعها على شكل أقساط طوال مدة الأنتفاع^(٤٥)، وهذا ماجاء في نص المادة (٧٦٥)، من القانون المدني العراقي على أنه ((يصح اشتراط تعجيل الأجرة وتأجيلها وتقسيطها الى أقساط تؤدي في أوقات معينة)).

أما في القانون المدني المصري فقد نص في المادة (٤٦٥) على أنه ((تستحق أجرة كل مدة من مدد الأنتفاع عند أنقضائها ما لم يوجد شرط بخلاف ذلك))، وهذا يعني أن الأجرة تدفع مؤخراً لا مقدماً، بعبارة أخرى، الأجرة لا تستحق الا إذا أستوفى المستأجر المنفعة أو تمكن من استيفائها ما لم يشترط دفع الأجرة مقدماً^(٤٦).

وبالتالي لتحقيق التوازن القانوني ما بين المؤجر والمستأجر يجب تحديد الوفاء بالأجرة من حيث تعجيلها أو تأجيلها بمدة معقولة، بالنظر على الظروف الاستثنائية، التي يمر بها البلاد، وما يترتب على ذلك من تقلبات اقتصادية وسياسية تزعزع استقرار هذه العلاقة، ومن ثم الأخلال بتوازنها.

المطلب الثالث / أثبات الأجرة:-

أن المستأجر هو المكلف في أثبات دفع الأجرة فهي تعدُّ من الألتزامات الأساسية التي تلقى على عاتق المستأجر طبقاً للقواعد العامة، فإذا كانت الأجرة تزيد قيمتها على خمسة آلاف دينار فلا يمكن أثبات التصرف الا بالكتابة، وإذ كانت الأجرة تقل عن ذلك جاز أثباتها بالشهادة، وهذه القاعدة العامة الواردة في قانون الأثبات العراقي^(٤٧).

أما قانون الأثبات الليبي فإنه يُخضع أثبات العلاقة الأيجارية الى ماتقضي به القواعد العامة، فإذا زادت قيمة القسط الذي يدعي المستأجر الوفاء به عن عشرة جنيهاً وجب الأثبات بالكتابة، اما إذا كان القسط دون ذلك جاز أثباته بباقي طرق الأثبات^(٤٨).

وقد نص قانون البينات اللبناني في المادة (٢٨) على أنه: ((إذا كان الألتزام التعاقدي في غير المواد التجارية تزيد قيمته على عشرة ليرات، أو كان غير محدد القيمة، فلا يجوز الشهادة في أثبات وجود الألتزام أو البراءة منه، وإنما يجب أن يكون هناك دليل كتابي))^(٤٩). بالإضافة الى ماتقدم نرى بأن قيام المستأجر بتسديد قسط من الأيجار يعتبر قرينة على تسليمه للأقساط الشهرية السابقة، وهذا ماجاء في نص

٤٥ - د. طارق الطنطاوي، مصدر سابق، ص ٢١٥.

٤٦ - د. عبدالرزاق السنهوري، شرح القانون المدني في العقود، المصدر السابق، ص ٢١٤، د. زهدي يكن، عقد الأيجار، بيروت، من دون سنة طبع، ص ٦٣.

٤٧ - نصت المادة (٧٧) من قانون الأثبات العراقي النافذ على أنه (التصرف القانوني إذا كانت قيمته تزيد على خمسة آلاف دينار، أو إذا كان غير محدد القيمة فلا يجوز أثبات هذا التصرف أو أنقضائه بالشهادة...)، المزيد أنظر: د. عباس العبودي، شرح احكام قانون الأثبات العراقي، بغداد، ١٩٩٧، ص ٢٠٤. د. عصمت عبدالمجيد، الوجيز في شرح قانون الأثبات، بغداد، ١٩٩٧، ص ٢٢٨.

٤٨ - أشار اليه: د. منذر الفضل و د. صاحب الفتلاوي و د. كامل سعيد، العقود المسماة، ط١، الأردن، ١٩٩٣، ص ٢٤٢.

٤٩ - أشار اليه: د. محمد علي عمر، انظر: شرح أحكام عقد الأيجار في القانون الليبي، ١٩٧٦، ص ١٣٥.

التوازن القانوني للأجرة في العلاقة الأيجارية (دراسة مقارنة بين القانون المدني وقانون أيجار العقار) المادة (٧٦٩) من قانون المدني العراقي بقولها ((وأن الوفاء بقسط من الاجرة قرينه على الوفاء بالأقساط السابقة على هذا القسط ، حتى يقوم الدليل على عكس ذلك))، وهذه هي مهمة المؤجر الذي يستطيع أثبات ذلك بالشهادة عندما يكون القسط أقل من خمسة آلاف دينار أما إذا تجاوز هذا المبلغ فلا يجوز أثباته بالاكتابة ما لم يوجد اتفاق أو قانون يقضي بخلاف ذلك^(٥٠).

وهذا ماجاء أيضاً في نص المادة (٥٨٧) من القانون المدني المصري بقولها ((الوفاء بقسط من الاجرة قرينه على الوفاء بالأقساط السابقة على هذا القسط ، حتى يقوم الدليل على عكس ذلك))^(٥١). ومن المدير بالذكر أن الفقه الإسلامي يستند في أثبات العلاقة الأيجارية من ناحية دفع الأجرة الى البينة الشخصية، حيث ذهب بعض الفقهاء المسلمون الى أنه إذا تنازع المؤجر والمستأجر في أصل الاجارة ، فإن أثباتها على من ادعى سواء أكان المالك أو المستأجر، بعبارة أخرى إذا كانت لدية بيته قُدم قوله، والاحلف المنكر، لأن البينة على المدعي واليمين على المنكر، أما إذا لم تثبت الاجارة واستوفيت المنفعة لزممت أجرة المثل، أما إذا أنصب النزاع لاعلى أصل الاجارة وأنما على الأجرة، فأذا ادعى المؤجر الاجارة بألفي دينار، وقال المستأجر بألف دينار، فان الزيادة التي ينكرها الآخر لا بد من أثباتها، فاذا لم تثبت سقطت الدعوى فلا يستحق الا بما يعترف به المنكر^(٥٢).

المبحث الثاني / التوازن القانوني للأجرة في قانون أيجار العقار المعدل رقم ٥٦ لسنة ٢٠٠٠:

جاءت قوانين الأجرة بنصوص قانونية تحدد فيها حدوداً لبدلات الأيجار الخاصة بالعقارات، التي تخضع لأحكام تلك القوانين، لحماية المستأجر من رفع بدلات الأيجار حيال تنامي أزمة السكن في أغلب البلدان، وفي ضوء ذلك سوف نقسم هذا المبحث الى ثلاث مطالب، نتناول في الأول تحديد مقدار الأجرة، وفي المطلب الثاني سوف نتكلم عن وقت الوفاء بقيمة الأجرة، وفي المطلب الثالث نبحث في أثبات الأجرة، وهذا ماستناوله تباعاً:-

المطلب الأول / تحديد مقدار الأجرة:-

لقد نص قانون أيجار العقار المعدل رقم (٥٦) لسنة ٢٠٠٠ على حد أقصى لبدلات الأيجار بالنسبة للعقارات المشمولة بأحكامه^(٥٣)، وذلك في الفقرة الأولى من المادة الرابعة، التي جاء فيها:-

٥٠ - د. سعيد مبارك وآخرون، مصدر سابق، ص ٢٣٨، د. طارق الطنطاوي ، مصدر سابق ، ص ٢٢٠ ، د. محمد كامل مرسي باشا ، مصدر سابق ، ص ٢٢٨.

٥١ - أنظر: المادة (٥٥٥) من القانون المدني السوري رقم ٨٤ لسنة ١٩٤٩.

٥٢ - آية الله العظمى الشيخ مرتضى البروجردي، مستند العروة الوثقى ، النجف ، ١٩٨٤، ص ٤٢٠ ، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي ، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ، من دون سنة طبع ، ص ١٥٧.

٥٣ - نصت المادة الأولى من قانون أيجار العقار المعدل رقم ٥٦ الصادر بتاريخ ١٠/١/٢٠٠٠ كما يلي:-

((١- تسري أحكام هذا القانون على العقارات المبنية المؤجرة لأغراض السكنى للعراقيين الواقعة ضمن حدود أمانة بغداد البلديات.

٢- تستثنى العقارات الأتية من أحكام الفقرة (١) من هذه المادة وتخضع في أيجارها الى أحكام القانون المدني أو القوانين الخاصة لها:

(١١- لا تزيد الأجرة السنوية للعقارات المشمولة بأحكام القانون على النسبتين الآتيتين:
 أ- ٥% من القيمة الكلية في العقارات ، أو الشقق المعدّة للسكن المؤجر لهذا الغرض.
 ب- ٧% من القيمة الكلية في العقارات أو الشقق المؤجرة على شكل غرف للسكن.
 ٢- مجلس الوزراء زيادة النسبتين المنصوص عليها في الفقرة (١) من هذه المادة كلما أقتضى الأمر ذلك.

٣- تستثنى العقارات المعدّة للسكنى المبنية حديثاً وأكتمل بناؤها في ١/١/١٩٩٨ أو بعده من أحكام الفقرة (١) من هذه المادة. وقد صدر قانون أيجار العقار نسباً متفاوتة بحسب صفة العقار، فإن كان العقار مؤجراً على شكل شقق معدّة للسكن فإن بدل الأيجار يجب أن لا يزيد عن (٥%) من القيمة الكلية للعقار^(٥٤)،

أما إذا كان على هيئة غرف سكنية فيجب أن تزيد بدل الأيجارات عن (٧%)، من القيمة الكلية للعقار، والظاهر أن هذا التفاوت في النسب يعود الى كون العقارات التي تؤجر على شكل غرف للسكن تكون معرضة للأضرار السريع مما يستوجب إجراء الصيانة المستمرة عليها^(٥٥)،

وتجدر الإشارة الى أن نسب بدلات الأيجار المنصوص عليها تعدّ من النظام العام ، وبالتالي إذا أتفق المتعاقدان على تجاوز هذه النسب حينئذ يعدّ الاتفاق باطلاً في حدود مازاد عن النسب المحددة بالقانون فيتم تخفيض بدل الأيجار الى النسب المنصوص عليها طبقاً لنظرية أنتقاص العقد^(٥٦) ، وقد أجاز قانون أيجار العقار المعدل في الفقرة الثانية من المادة الرابعة لمجلس الوزراء زيادة تلك النسب كلما أقتضى الأمر ذلك، والظاهر أن المشرع حاول بهذا النص تحقيق توازن لهذه العلاقة في ظل الظروف الاستثنائية أو التقلبات الاقتصادية، إلا أن المعالجة لم تكن دقيقة فلم يحدد المشرع حدود معينة في حالة زيادة تلك النسب، فضلاً عن ذلك نرى بأن المشرع أجاز زيادة تلك فقط ولم يُصرّح بجواز تخفيضها، لذا كان من الأولى بالمشرع أن ينص على تبني أجرة المثل في ظل الظروف التي تؤدي الى انخفاض أو ارتفاع قيمة العملة أو العقار، وذلك للمحافظة على توازن تلك العلاقة في كل الظروف والتقلبات التي قد تحدث، ويلاحظ من نص الفقرة (٣) من المادة الرابعة من قانون أيجار العقار المعدل أن المشرع أستثنى العقارات المبنية حديثاً وأكتمل بناؤها في ١/١/١٩٩٨، من النسب المنصوص عليها في القانون، ونرى أن ذلك سيؤدي الى دفع المؤجر الى أستغلال أزمة السكن ودفع بدلات الأيجار، مادام أن الأجرة لا تخضع للنسب

أ- العقارات المعدّة للسكنى التي تؤجرها الدولة أو الأشخاص المعنوية العامة للعاملين فيها.
 ب- العقارات المعدّة للسكنى التي تؤجرها الدولة أو الأشخاص المعنوية العامة والتي يصدر وزير المالية بياناً بأستثنائها.
 ج- العقارات المؤجرة لغير العراقيين أشخاص أو هيئات.
 ٥٤ - بيّنت الفقرة الرابعة من المادة الرابعة من قانون الأيجار النافذ رقم ٥٦ لسنة ٢٠٠٠ مايقصد بالقيمة الكلية للعقار وهو مجموع الأرض والبناء وقت التقدير الذي تجره السلطة المالية تنفيذاً لأحكام هذا القانون.
 ٥٥ - كاظم الشيخ جاسم ، قواعد أيجار العقار، ط١، بغداد ، ١٩٨٧، ص ٧٧، د. جعفر الفضلي ، مصدر سابق ، ص ٢٦.
 ٥٦ - أنظر: نص المادة (١٣٩) من القانون المدني العراقي، والفقرة الثانية من المادة الرابعة من قانون أيجار العقار المعدل رقم (٥٦) لسنة (٢٠٠٠).

المنصوص عليها في قانون أيجار العقار بالنسبة للعقارات المشيدة حديثاً وقبل تاريخ ١/١/١٩٩٨ ، من خلال ما سبق ذكره نرى أن المشرع أراد زيادة المشيدات العقارية السكنية من خلال ألقائها على عاتق الأفراد، في حين أنه كان على المشرع أن يعوّل رؤوس الأموال العامة في توجيهها نحو زيادة المشيدات العقارية السكنية بالدرجة الأساس ، لان ذلك واجب الدولة أتجاه مواطنيها وشعبها ، فكان من الأولى عدم السعي الى هدم التوازن في هذه العلاقة للتوصل من الواجبات ، والتي يُفترض أن تقوم بها الدولة بدلاً من محاولة ألقائها على عاتق الأفراد ، لذا كان من الأولى أن تبقى تلك العقارات الخاضعة للنسب المحددة في قانون أيجار العقار لأنتفاء علة أحوالها الى القانون المدني في ظل تفاقم أزمة السكن ، فضلاً عن ذلك فقد نصت الفقرة الخامسة من المادة الرابعة من قانون أيجار العقار المعدل على أنه ((وللمؤجر أو المستأجر طلب تقدير القيمة الكلية للعقار المأجور مرة كل خمس سنوات، ويعدل تبعاً لتقدير الجديدي بدل الأيجار على وفق النسبتين المنصوص عليهما في الفقرة (١) من هذه المادة)).

يتضح من هذا النص أن المشرع حاول أن يحقق نوعاً من التوازن في السماح للمؤجر أو المستأجر طلب تقدير القيمة الكلية للمأجور مرة واحدة كل خمس سنوات، ولكن ما الحل إذا حدثت تقلبات في قيمة العقار قبل مضي خمس سنوات ؟ فهل على أطراف العلاقة الأيجارية الأنتظار تحت ظل عدم التوازن حتى مرور كل تلك المدة ؟

لذا كان من الأولى تبنى أجرة المثل في تلك الظروف مع الإبقاء على هذا النص ولكن ليس على هذا الحال، إذا أن النص يشترط مرور مدة خمس سنوات لأعادة تقدير القيمة الكلية للعقار، وهي مدة طويلة إذا ما قورنت تلك المدة بالتقلبات الأقتصادية والسياسية المتسارعة، لذا كان من الأجدر تحديدها بسنتين بدلاً من تلك المدة مراعاةً لهذه التقلبات.

المطلب الثاني / وقت الوفاء بقيمة الأجرة:

لقد نص قانون أيجار العقار المعدل رقم ٥٦ لسنة ٢٠٠٠ على أن الوفاء بالأجرة يكون بأقساط شهرية ، وقضى ببطلان الاتفاق بخلاف ذلك ، خشية أستغلال المؤجر للمستأجر بأستيفاء الأجرة مقدماً عن مدة طويلة قد يعجز المستأجر عن الوفاء بها حين أبرام العقد، وهذا ماجاء في الفقرة الأولى من المادة العاشرة من قانون أيجار العقار المعدل بقولها ((تدفع سلفاً أجرة العقارات المشمولة بأحكام هذا القانون بأقساط شهرية بصرف النظر عن مدة سريان عقد الأيجار، ويقع باطلاً كل اتفاق يقضي بخلاف ذلك ، وإذا كان المؤجر هو الدولة أو الأشخاص المعنوية العامة للمستأجر أن يدفع الأجرة شهرياً أو بقسط واحد أو أكثر)).

ومن خلال ما تقدم نرى بأن المشرع في هذه الفقرة أخرج الأجرة من نطاق قانون أيجار العقار وأدخله في نطاق القانون المدني من حيث دفع الأجرة إذا كان المؤجر الدولة أو الأشخاص المعنوية حيث ذهب

بعض الفقهاء^(٥٧)، إلى سبب هذا الاستثناء في الفقرة الأولى هو مراعاة جانب في ترك حرية تسديد الأجرة للمستأجر.

وقد نصت الفقرة الثانية على أنه ((يجوز دفع الأجرة وفقاً لما نصت عليه الفقرة السابقة بوسطة الكاتب العدل أو بحوالة مصرفية أو بريدة لحساب المؤجر)).

ومن خلال ما نص عليه المشرع العراقي في الفقرة سابقة الذكر نرى بأنه أراد أسباغ التوازن القانوني من خلال منح المستأجر صلاحية الوفاء بالأجرة بوساطة كاتب العدل أو بحوالة مصرفية أو بريدة خشية أمتناع المؤجر من استلام بدل الأيجار.

أما الفقرة الثالثة فقد نصت على أنه ((إذا أمتنع المؤجر عن قبض القسط المستحق من الأجرة، فللمستأجر أن يودعه لدى كاتب العدل في المدينة التي يقع فيها العقار خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ استحقاقه ويتحمل المؤجر مصاريف الأندار والأيداع، وتستقطع من القسط المودع)).

نرى أن المشرع في الفقرة سابقة الذكر قد منح المستأجر ضماناً أخرى في حالة أمتناع المؤجر عن قبض الأجرة الا وهي أن يودع المستأجر الأجرة لدى كاتب العدل خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ استحقاقه حتى لا يتذرع المؤجر بعدم استلام الأجرة ليطالب بالتخلية، وحسناً فعل المشرع بتلك الضمانات.

وفي الفقرة الرابعة فقد نص القانون على أنه ((تراعى في العقارات التي تستأجرها الدولة أو الأشخاص المعنوية العامة شروط دفع الأجرة المنصوص عليها في العقد)).

نرى أن هذه الفقرة هي واضحة الدلالة ، فالأجرة تدفع على وفق شروط العقد أن كانت الدولة أو مؤسساتها مستأجرة، ومن ثم فإن الدولة ومؤسساتها قد منحها المشرع حرية واسعة في كيفية دفع بدلات الأيجار سواء كانت مؤجرة أو مستأجرة، وكان من الأولى أخضاعها لقانون أيجار العقار في دفع الأقساط شهرياً ، وذلك لمنع الاستغلال المحتمل والأسباغ التوازن على هذه العلاقة.

وقد نصّ قانون أيجار الأماكن المصري رقم (١٢١) لسنة ١٩٤٧^(٥٨)، على نسب محددة لبدل الأيجار لا يجوز تجاوزها ، إذ نصت الفقرة الأولى من المادة الرابعة من هذا القانون على أنه ((لا يجوز أن تزيد الأجرة المتفق عليها في عقود الأيجار التي أبرمت منذ أول مايو ١٩٤١م على أجرة شهر أبريل ١٩٤١م أو اجرة المثل لذلك الشهر.....)). وقد أتخذ المشرع المصري أجرة شهر أبريل ١٩٤١م أساساً يستند إليه لحساب الحد الأعلى للأجرة ، لأن هذا التاريخ هو السابق على ظهور أزمة السكن ، وأن بدلات الأيجار في ذلك الوقت كانت مألوفة ومنطقية مع الأسعار الطبيعية، أما إذا أتضح أن

٥٧ - د. سعيد مبارك وآخرون، مصدر سابق، ص ٢٤٧.

٥٨ - وجديراً بالذكر أن الفقهاء المسلمين ذهبوا إلى أن المؤجر لا يستحق الأجرة الا بتسلم العين وتستقر ملكية الأجرة بأستيفاء المنفعة أو ما جاء في حكمه فاصل الملكية للطرفين مرتبط بتمامية العقد ، وجواز المطالبة موقوف على تسليم ، لان المنافع معدومة والمعدوم لا يملك. أنظر: آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري، مصدر سابق ، ص ٦٥، والسيد محمد حسن العاملي ، الزبدة الفقهية في شرح الروضة البهية ، ج ٥، ط ١، بيروت ، ١٩٩٥، ص ١٠٦، الشيخ مرتضى البروجردي ، مصدر سابق، ص ٣٢.

التوازن القانوني للأجرة في العلاقة الأيجارية (دراسة مقارنة بين القانون المدني وقانون أيجار العقار)
العقارت قد أنشئت بعد أول يناير ١٩٤٤ م ، فأنها لا تخضع الى النسب المئوية المذكورة ، التي تمثل القاعدة العامة ، وأما تخضع الى نسب مئوية أخرى لا يجوز تجاوزها كذلك.
وأيضاً نص قانون الأيجارات اللبناني لسنة ١٩٩٤ في المادة العاشرة على أنه ((وللمستأجر بالرغم من كل اتفاق مخلف أن يدفع بدل الأيجار مشاهرة وسلفاً)).

وعلى ذلك فإن المشرع اللبناني قد منح المستأجر ميزة دفع البديل مشاهرة بالرغم من كل اتفاق مخالف، ومن البديهي أن هذا النص جاء لحماية المستأجر من احتمال أستغلال المؤجر له ليضمن بنود العقد ما يجعله يتسلم بدلات أيجار لمدة طويلة ولا حقة وبدفعة واحدة قبل أن ينتفع المستأجر فعلاً بمنفعة المأجور^(٥٩).

المطلب الثالث / أثبات الأجرة:

لقد نص المشرع العراقي في قانون أيجار العقار المعدل رقم ٥٦ لسنة ٢٠٠٠ على أن أثبات عقد الأيجار من حيث الأجرة بالنسبة للعقارات المشمولة بأحكام هذا القانون تتم بجميع طرق الأثبات، وذلك خلافاً للقواعد العامة في الأثبات ليكون بمثابة النص الخاص يقيّد نصوص الأثبات العامة بهذا الشأن، وذلك أنصافاً للمستأجر من أححاف المؤجر في رفضه لتحرير عقد الأيجار تمهيداً لأنكارالعلاقة الأيجارية وما يترتب عليها من أخلاء المأجور بوصف شاغله غاصباً، وهذا ماجاء في الفقرة الرابعة من المادة السابعة المعدلة بالقانون رقم(٥٦) لسنة(٢٠٠٠) على أنه:-

((أ- على المؤجر والمستأجر تحرير عقد الأيجار كتابة وأيداع نسخة منه لدى ضريبة العقار ومكتب المعلومات أو مركز الشرطة عند عدم وجود المكتب في مدة لا تتجاوز (٣٠) يوماً من تاريخ أبرامه))
((ب- إذا لم يحرر عقد الأيجار او لم تودع نسخة منه وفق السند (أ) من هذه الفقرة، ومضت سنة فأكثرعلى الأتفاق على عقد الأيجار وأشغال المستأجرالمأجور من دون منازعة تحريرية من المالك، وكان المالك أو من يمثله مقيماً في العراق خلال المدة المذكورة فللمستأجر أثبات عقد الأيجار وشروطه بجميع طرق الأثبات))^(٦٠).

وتجدر الإشارة الى هذا الحكم الأستثنائي متعلق بالعقارات المخصصة للسكن أي التي تدخل في نطاق قانون أيجار العقار ، اما باقي العقارات كالمكاتب التجارية أوالصناعية فأنها تبقى محكومة بالقواعد العامة المنصوص عليها في قانون الأثبات ، هذا وكان من الأولى تعميم هذا النص الأستثنائي على العقارات المخصصة للأغراض التجارية أو الصناعية ، لأن وجود شاغل للعقارمدة سنة من دون منازعة تحريرية يدل على تحقق العلاقة الأيجارية.

٥٩ - تنص المادة الأولى من القانون رقم (١٢١) لسنة ١٩٤٧ م على أنه تسري أحكامه ((فيما عدا أراضي الفضاء على الأماكن وأجزاء الأماكن على أختلاف أنواعها المؤجرة للسكنى أو لغير ذلك من الأغراض ، سواء أكانت مفروشة أو غير مفروشة)).
٦٠ - القرار ٧٦٢/أيجارعقار/٢٠٠٠ في ١٧/١٢/٢٠٠٠ ، القرار ٧٦١/أيجارعقار/٢٠٠٠ في ١٨/١٢/٢٠٠٠ ، الكرخ ، أشار اليه ، هادي عزيز علي، المبادئ العامة القانونية في قضاء محكمي أستئناف بغداد الكرخ بصفتها التمييزية ، ص ٩.

ونرى بأن المشرع اللبناني في قانون الموجبات والعقود اللبناني قد جاء بنصوص خاصة متعلقة بأثبات العلاقة الأيجارية، إذا كان المأجور عقاراً والعقد غير محرر، إذا نصت المادة (٥٤٢) على أنه ((عقد أيجار العقارات غير الخطي لا يمكن أثباته قبل تنفيذه الا بأعتراف الشخص المدعى عليه بوجود الأيجار، أو بحلفه اليمين، وإذا كان هناك بدء تنفيذ فيعد برهاناً على وجود الأيجار، ويعين البدل عند أختلاف المتعاقدين بواسطة أحد الخبراء، وتحدد مدته بمقتضى عرف البلد...)).

يتضح من هذا النص أن العقد إذا كان غير محرر ولم يتم البدء بتنفيذه فلا بد لأثباته من أقرار المدعى عليه بوجود العلاقة الأيجارية أو بتأدية اليمين القانونية، أما إذا تحقق البدء بالتنفيذ فأن ذلك يعد دليلاً على وجود عقد الأيجار، أي أن البدء بالتنفيذ تعفي المستأجر من أثبات العلاقة الأيجارية بوصفها متحققة بدليل التنفيذ، ألا أن ما يؤخذ على هذا النص هو أن البدء بالتنفيذ قد يعبر عن حالة غضب العقار، ولا تعبر بالضرورة عن أستئجار العقار، لذا كان الأولى أن يمر على البدء بالتنفيذ مدة معقولة من دون منازعة من المؤجر ليستدل بموجبها تحقق الأيجار لا الغضب.

- الخاتمة:

من خلال ماتقدم ذكره لا بد لنا من أن نبين أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها في هذه الدراسة وكالاتي:

أ - النتائج:-

- ١- منحت القوانين حرية واسعة لطرفي العلاقة الأيجارية في تعيين طبيعة الأجرة التي يتقاضاها المؤجر، فقد تكون مبلغ من النقود أو أي مال آخر ما دام هذا لا يخل بالتوازن المشود للعلاقة الأيجارية.
- ٢- من أجل التقليل من حالات البطلان وتحقيق الأستقرار في التوازن للعلاقة الأيجارية، أقرت المادة (٧٣٨) من القانون المدني العراقي على تبني أجرة المثل، في حالة لم يحدد أطراف العقد مقدار الأجرة أو تعذر أثباتها والتي يتم تحديدها من خلال الأستعانة بالخبراء.
- ٣- نرى بأن المشرع العراقي قد أستثنى في قانون أيجار العقار رقم (٥٦) لسنة (٢٠٠٠) العقارات المبنية في ١/١/١٩٩٨ أو بعد هذا التاريخ من النسب المعينة والمحددة لبدلات الأيجار، وأخضع الأجرة فيها للقانون المدني، وذلك في محاولة لدفع رؤوس الأموال الخاصة نحو الأستثمار العقاري، الا أن هذا الحل قد أثر سلباً على توازن العلاقة الأيجارية و وضع المستأجر تحت رحمة المؤجر نتيجة تفاقم أزمة السكن.

ب - التوصيات:-

- ١- أجازت الفقرة (٢) من المادة (٤) من قانون أيجار العقار رقم (٥٦) لسنة (٢٠٠٠) مجلس الوزراء زيادة نسب بدلات أيجار العقارات السكنية كلما أقتضى الأمر ذلك، ونقترح في هذا الشأن أن يتبنى المشرع أجرة المثل في ظل الظروف التي تؤدي الى أنخفاض أو ارتفاع قيمة العملة، وذلك من أجل المحافظة على توازن العلاقة الأيجارية، لا سيما أن النص يسمح بالزيادة ولا يسمح بالتخفيض.

٢- أجاز المشرع في الفقرة (ب/٤) من المادة السابع عشر، للمستأجر أثبات عقد الأيجار بكافة طرق الأثبات ، إذا مضت مدة سنة فأكثر على عقد الأيجار و أشغال المستأجر للمأجور من دون منازعة تحريرية من المالك أو من يمثله خلال تلك المدة ، ونقترح في هذا الشأن تعديل هذا النص بالقول على أنه للمستأجر أثبات عقد الأيجار بكافة طرق الأثبات في حالة أشغال المأجور من دون منازعة تحريرية من المؤجر، لأن العلاقة الأيجارية قد تصدر من غير المالك ، وحصر المنازعة التحريرية بالمالك لا يحقق الحكمة التشريعية من النص.

٣- نصت الفقرة (٣) من المادة الثالثة قانون أيجار العقار رقم (٥٦) لسنة (٢٠٠٠)، على أستثناء العقارات التي أكتمل بناؤها ١/١/١٩٩٨، أو بعد هذا التاريخ من النسب المحددة لبدلات الأيجار ، ونقترح أخضاع هذه العقارات للنسب المنصوص عليها في قانون أيجار العقار، وذلك لأن العلة التشريعية من تحديد بدلات الأيجار هي أزمة السكن ، وما يواكبها من أحتتمالأستغلال المؤجر لها ورفع بدلات الأيجار ، مازالت تلك العلة قائمة، ولا مسوغ لأستثناء تلك العقارات من هذه النسب.

المصادر:

أولاً: الفقه الاسلامي:

١. أبوالقاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، مندون سنة طبع.
٢. الإمام الشهيد الثاني السيد محمد صادق الصدر، منهج الصالحين، ج ٣ ، النجف الأشرف، ١٩٩٤.
٣. الإمام روح الله الخميني، معرفة أبواب الفقه ، ط ٢ ، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ٢٠٠٢.
٤. الإمام علاء الدين أبوبكر بن مسعود الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ١، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨٢.
٥. زين الدين بن نجم الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج ٧، لبنان، بدون تاريخ نشر.
٦. السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ، مهذب الأحكام، ج ١٩، النجف، ١٩٨٣.
٧. السيد محمد حسن العاملي ، الزبدة الفقهية في شرح الروضة البهية ، ج ٥، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٥.
٨. الشيخ مرتضى البروجردي، مستند العروة الوثقى، النجف، ١٩٨٤.
٩. عبد الرحمن الجزائري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، (قسم المعاملات) ، ج ٣ ، لبنان، ١٩٨٨.
١٠. العلامة أحمد الطحاوي الحنفي، حاشية الطحاوي على درالمختار ، دارالمعرفة، ج ٤ ، لبنان، ١٩٧٥.
١١. فخرالدين بن عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، تبين الحقائق شرح كنزالدقائق، ج ٥ ، لبنان، دارالمعرفة للطباعة، ١٣١٥هـ.
١٢. محمد أمين الشهير بأبن عابدين، الدارالمختار على شرح تنوير الأبصار، ج ٦، ط ٢، مصر، ١٣٨٦هـ.

ثانياً: الكتب القانونية:

١. د. أحمد شرف الدين ، عقد الأيجار في القانون المدني وقوانين أيجار الأماكن المبنية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .
٢. د.أسعد دياب العقودالمسماة (البيع ، الأيجار ، الوكالة) ، ج ١ ، منشورات زين الحقوقية ، بيروت، ٢٠٠٧ .
٣. د. توفيق حسن فرج، عقد الأيجار، دراسة لحكام قوانين الأيجار، بيروت، ١٩٨٤ .
٤. د. جعفرالفضلي، الوجيزفي شرح عقداالأيجار، مكتبة الجليل العربي، العراق، ٢٠٠٣ .
٥. د. زهدي يكن، عقداالأيجار، بيروت، من دون سنة طبع.
٦. د. سعدون العامري، الوجيزفي شرح العقود المسماة، في البيع والأيجار، ج ١ ، ط ٢ ، مطبعة العاني، بغداد ، ١٩٧٠ .
٧. د. سعيد مبارك ود. طه الملاحويش، الموجزي في العقود المسماة، (البيع، الأيجار، المقاوله)، دارالعربية للقانون، ط ٤ ، ٢٠١٠ .
٨. د. طارق الطنطاوي، عقد الأيجاري في القانون المدني، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩٨ .
٩. د. عباس العبودي، شرح احكام قانون الأثبات العراقي، بغداد، ١٩٩٧ .
١٠. د. عباس العراف، شرح عقداالبيع والأيجار، ١٩٦٥ .
١١. د. عبدالرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج ٦، المجلدالأول، القاهرة، دارالنهضة العربية ، ١٩٦٣ .
١٢. د. عبدالرزاق السنهوري، شرح القانون المدني في العقود، عقداالأيجار، دارالفكر للطباعة والنشر، دون سنة النشر.
١٣. د. عبدالفتاح عبدالباقي، عقد الأيجار، مصر، ١٩٥٢ .
١٤. د. عبدالمجيدالحكيم، مصادرالألتزام ، ج ١ ، ط ٢ ، بغداد، ١٩٦٣ .
١٥. د. عصمت عبدالمجيد، شرح أحكام عقد الأيجار، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص ٦٢ .
١٦. د. عصمت عبدالمجيد، الوجيزفي شرح قانون الأثبات، بغداد ، ١٩٩٧ .
١٧. د. عصمت عبدالمجيد، نظرية الظروف الطارئة ودورالقاضي في تطبيقها، وزارةالعدل، مركزالبحوث القانونية، دارالحرية للطباعة والنشر، ١٩٩٣ .
١٨. د. كمال قاسم ثروت، شرح أحكام عقد الأيجار، ج ١ ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٧٦ .
١٩. د. محمدعزمي البكري، موسوعة الفقه والقضاء في أحكام عقداالأيجاري التنفيذالمدني الجديد، دارمحمود للنشر والتوزيع، ١٩٩٤ .
٢٠. د. محمد علي عمران، شرح أحكام عقد الأيجاري في القانون الليبي، ١٩٧٦ .
٢١. د. محمد كامل مرسي باشا، شرح القانون المدني، عقد الأيجار، منشأة المعارف، الأسكندرية، ٢٠٠٤ ، ص ٦٣ .

٢٢. د. محمد كامل مرسي، شرح القانون المدني الجديد، العقود المسماة، عقد الأيجار، ج ٥، مصر، ١٩٥٣.

٢٣. د. محمود عبدالرحمن محمد، الوجيز في عقد الأيجار، دار النهضة العربية، القاهرة، دون سنة نشر.

٢٤. د. منذر الفضل و د. صاحب الفتلاوي و د. كامل سعيد، العقود المسماة ، ط ١، الأردن، ١٩٩٣.

ثالثاً:- متون القوانين:

١. القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة (١٩٥١).
٢. القانون المدني المصري رقم (١٣١) لسنة (١٩٤٨).
٣. قانون الموجبات والعقود اللبناني الصادر في ١٩٣٢/٣/٩.
٤. القانون المدني السوري رقم (٨٤) لسنة (١٩٤٩).
٥. القانون المدني الليبي الصادر لسنة (١٩٥٢).
٦. قانون ايجار العقار العراقي النافذ رقم (٥٦) لسنة (٢٠٠٠).
٧. قانون أيجار الأماكن المصري رقم (١٢١) لسنة (١٩٤٧).
٨. قانون الايجارات اللبناني رقم (٣٣٦) لسنة (١٩٩٤).

أثر استعمال النصوص الادبية الاثرائية في تحصيل طلاب الصف الرابع

العلمي في مادة قواعد اللغة العربية

The impact of the use of literary texts Enrichment in the collection of the fourth grade science students in Arabic language rules

د.كريم خضير فارس المسعودي(١)

Dr. Karim Khodeir Faris AL-Masoudi

الخلاصة

انطلاقاً من أهمية قواعد اللغة العربية في حفظ اللسان وتقويمه ولما ينطوي عليه الشكل من شأن كبير واساس في بناء اللغة العربية وهو مترتها الكبر، ونظراً الى كثرة الاخطاء النحوية وتفشيها بين الطلبة بشكل واسع، فضلاً عن ندر في الدراسات التي تعرضت لأسلوب استعمال النصوص الادبية الاثرائية، رأى الباحث ان يخضع هذا الاسلوب للتجريب كي يسلط الضوء على هذا الموضوع المهم في ميدان تدريس قواعد اللغة العربية إذ أن أغلب الادبيات قد نادى بأهمية الشكل وما اكتسبه في الدرس النحوي لتذليل صعوبة القواعد النحوية ورفع مستوى تحصيل الطلبة فيها.

ولتحقيق ذلك اعتمد الباحث تصميماً تجريبياً يقع في حقل التصاميم التجريبية ذوات الضبط الجزئي واختباراً قليلاً وبعدياً لمجموعتين الأولى تجريبية والثانية ضابطة اختار الباحث عشوائياً اعدادية الحسينية للبنين والواقعة في مركز محافظة كربلاء.

أثر استعمال النصوص الأدبية الاثرانية في تحصيل طلاب الصف الرابع العلمي في مادة قواعد اللغة العربية
بلغت عينة البحث (٦٠) طالباً، بواقع (٣٠) طالباً في المجموعة التجريبية التي تدرس قواعد اللغة
العربية بأسلوب استعمال النصوص الأدبية الاثرانية، و(٣٠) طالباً في المجموعة الضابطة التي تدرس اللغة
العربية بالطريقة التقليدية.

درس الباحث مجموعتي البحث نفسه خلال مدة التجربة التي استمرت ستة اسابيع، مع الاختبار
القبلي والبعدي.

وباستعمال الوسائل الاحصائية توصل البحث الى النتيجة الآتية:

ليس هناك فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط تحصيل الطلاب الذين يدرسون بأسلوب استعمال
النصوص الأدبية الاثرانية ومتوسط تحصيل الطلاب الذين يدرسون بالطريقة التقليدية وفي ضوء النتائج
أوصى الباحث باستعمال اسلوب استعمال النصوص الأدبية الاثرانية في تدريس مادة اللغة العربية في كافة
المراحل:

واستكمالاً لهذا البحث، اقترح الباحث اجراء ابحاث اخرى عن هذه الطريقة على عينات من صفوف
مختلفة ومراحل دراسية أخرى لكلا الجنسين.

Research Summary

Given the importance of the Arabic language rules in keeping the tongue and evaluation and what is involved in the shape of a big affair and the basis of the construction of the Arabic language, which Metzner arrogance, and due to the large number of grammatical errors and outbreaks among students broadly, as well as rarely in the studies that have been the method of use of literary texts Enrichment, researcher felt that this technique is subject to a workout to shed light on this important subject in the teaching of Arabic language rules that most of the field as the literature has advocated the importance of shape and acquired in the grammar lesson to overcome the difficulty of grammatical rules and raise the level of student achievement in them.

To achieve this, the researcher adopted experimentally determined animate located in the experimental field setting designs and partial test of tribal and Uday first two experimental and the second officer picked randomly junior researcher Hosseinieh for Boys, located in the center of the province of Karbala.

Total sample (60 students), by (30) students in the experimental group, which is studying the Arabic language rules in a manner to use literary texts Enrichment, and (30) students in the control group, which is studying the Arabic language in the traditional manner.

Find a researcher studied two groups of the same during the period of the experiment, which lasted six weeks, with the pretest and posttest.

Using statistical methods to search reached the following conclusion:

There is no statistically significant difference between the average collection of students who are studying the use of literary texts manner Enrichment and the average collection of students who are studying in the traditional manner and in light of the findings, the researcher recommended using the style of literary texts Enrichment use in the teaching of Arabic language material at all stages:

As a complement to this research, the researcher suggested further research on this method on samples of different classes, seminars and other stages for both sexes.

الفصل الاول:التعريف بالبحث

مشكلة البحث وأهميته:

تبوأَت اللغة العربية لأهميتها المرتبة الاولى من علاقات الانسان بالبيئة المحيطة به منذ نشوئها وفي مجرى تطورها، وأخذت الكلمات بمرور الزمن تعبر عن معظم الاشارات وتحل محلها ((فاللفظ لم يعد مجرد عنوان بل حقيقة رهيبه لها نصيب من طبيعة الشيء المسمى)) (باجيه، ١٩٥٤، ص ٢٠) واللغة عبارة المتكلم عن مقصود وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان في كل امة بحسب اصطلاحاتهم، بما يتم التفاهم والتخاطب، وهي الفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ومقاصدهم وعمما يجيش في نفوسهم من أحاسيس وافكار زيادة على أنها تعد سبباً من اسباب تمييز الروابط بين افراد الامة الواحدة (ابن خلدون، ب.ت، ص ٥٤٦).

وتعد اللغة أهم وسيلة لأكتساب المعلومات من الآخرين أو نقلها اليهم، والتواصل بين البشر يتم بالاستماع اليهم وقراءة ما كتبوه ونقل الافكار والاحاسيس اليهم غير التحدث معهم أو الكتابة (مصطفى، ١٩٧٤، ص ٣٨).

ففي لغتنا العربية حياة ومجال وفيها فكر وادب وتراث أمة ولا أدل على ذلك من عمرها المديد وصمودها ازاء كل انواع الغزو الذي لم يستطع ان يقضي عليها على الرغم من كثرة دسائسه في محاربة الفصحى بلهجاتها وأتھامها بالعقم والبداءة والعجز عن مسايرة ركب الحضارة الحديثة (مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٧٤، ص ٥٢ - ٥٣).

ويمكن ان نستدل على اهمية اللغة العربية ومكانتها من علمائها، فهذا ابن جني يقول: وجدت فيها من الحكمة والارهاف والرقعة بما تملك على جانب الفكر) (ابن جني، ١٩٩٠، ص ٤٨)، ووجدوها

أثر استعمال النصوص الأدبية الاثرانية في تحصيل طلاب الصف الرابع العلمي في مادة قواعد اللغة العربية
الثعالبي بأما (خير اللغات، إذ هي اداة التعلم، ومفتاح التفقه في الدين، سبب اصلاح المعاش والمعاد...)
(الثعالبي، ١٩٣٦، ص ٢).

ونظراً لأهمية اللغة العربية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، فقد حرص المربون على أن تعنى المناهج الدراسية
في المراحل الدراسية كلها بتنمية القدرات اللغوية عند الطلبة فهي (مظهر ووسيلة لفهم ودليل الاقتناع
وأداة الاقتناع) (سمك، ١٩٦٩، ص ٢٧٩)

ولكن على الرغم من ذلك نلاحظ قصوراً في تطوير تعليم اللغة العربية وعلى المستوى العربي بشكل
عام وقد يرجع السبب في ذلك الى عوامل تأتي في مقدمتها نقص البحوث العلمية في مجال تدريس هذه
اللغة، كما ان هناك الكثير من المشكلات في مجال تطوير تدريس اللغة العربية يحتاج الى حلول عملية لا
حلول نظرية تعتمد على الجدل والحجة اللفظية (اتحاد المعلمين العرب، ١٩٧٦، ص ٢٤٠)

ومن بين مشكلات اللغة العربية ما يتعلق بتدريس قواعد اللغة العربية في المدارس الاعدادية - مادة
البحث الحالي - وان مصطلح قواعد اللغة العربية: هو مجموعة القواعد التي تنظم هندسة الجملة ومواقع
الكلمات فيها ووظائفها من ناحية المعنى وما يرتبط بذلك من أوضاع اعرابية تسمى علم النحو
(الجبلاطي، ١٩٧٥، ص ٢٥٢)، وهي ليست غاية في حد ذاتها وانما هي وسيلة لتقويم اللسان وتمييز
الخطأ من الصواب ولكي يتكلم المسلم غير العربي بلسان عربي سليم وفي ذلك يقول ابن جني: (النحو
وهو انتحاء سمع كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره... ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها
في الفصاحة فينطق بما وان لم يكن منهم وأن شدد بعضهم عنها ردّ اليها). (ابن جني، ١٩٩٠، ص ٣٥).
ان ديمومة اللغة العربية وبقائها لابد ان ينشد الى مقومات وقوانين تضبطها وتعصم متكلميها من
الخطأ، وهذا لا يتم الا من خلال القواعد التي تحكمها فهي من اهم مقومات اللغة الاساسية وأصولها
ويعد النحو العمود الفقري للغة العربية وقبلها النابض لأنه يحدد الجملة وبنائها وموقع الكلمة ومعناها
وصحتها (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٣م، ص ٢١)، وله أهمية في صحة الاسلوب
وسلامة التركيب وتقويم اللسان في النطق والكتابة وفي فهم الكلمة في الجملة وجملة مع جملة حتى تتسق
العبارة فقط اسلوب خال من التشويه (قورة، ١٩٧٢، ص ٢٦٨)، ولا علم يستقل بنفسه عن النحو او
معرفته او يستغني عن الاسترشاد بنوره (حسن، ١٩٦٦، ص ٦٦)

ان قواعد اللغة العربية تعاني من ضعف طرائق تعليمها المتبعة، إذ نلاحظ تديني مستويات الطلبة في
هذه القواعد بصورة مستمرة على الرغم من الاهتمام بتعليمها ودليل ذلك ان قسماً من الطلبة لا
يحصلون على درجة في القواعد بل انهم يجمعون درجة النجاح من فروع اللغة العربية الاخرى، إذ نلاحظ
ان أكثر الطلبة علقوا املهم على هذه الفروع من تعبير وادب ونصوص ومطالعة تغنيهم درجاتها للنجاح
عن درجات النحو (الهاشمي، ١٩٧٢، ص ٢٦).

وفي ضوء ما تقدم يمكن تلخيص اهمية البحث بالنقاط الآتية:

- ١- اهمية اللغة العربية واثرها في حياة الشعب العربي بوصفها لسان الامة.
- ٢- اهمية القواعد بوصفها العمود الفقري للغة العربية.

- ٣- أهمية المرحلة الاعدادية في تعلم القواعد.
٤- أهمية استعمال النصوص الادبية (الاثرائية).

هدف البحث:

يرمي البحث الحالي الى تعرف اثر استعمال النصوص الادبية الاثرائية في تحصيل طلاب الرابع العلمي في مادة قواعد اللغة العربية.

فرضيات البحث:

ليس هناك فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط تحصيل الطلاب الذين يدرسون بأسلوب استعمال النصوص الادبية الاثرائية ومتوسط تحصيل الطلاب الذين يدرسون بالطريقة التقليدية.

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على:

- ١- طلاب الصف الرابع العلمي في مدرسة اعدادية الحسينية من مدارس محافظة كربلاء للعام الدراسي ٢٠١٤ - ٢٠١٥.
٢- عدد من الموضوعات المقررة في كتاب قواعد اللغة العربية للصف الرابع العلمي ٢٠١٤ - ٢٠١٥.

تحديد المصطلحات:

١- النصوص الادبية:

يقصد بالنصوص الادبية: قطع أو أمثلة تختار من التراث الادبي قديمة وحديثة يتوفر لها خط من الجمال الفني وتنطوي على فكرة متكاملة او عدة افكار مترابطة ويمكن اتخاذها مصدراً لاستنباط الاحكام الادبية (العزاوي، ١٩٨٨، ص٢)

التعريف الاجرائي للنصوص الادبية:

وهي مجموعة الشواهد أو أمثلة التي يحتويها كتاب قواعد اللغة العربية للصف الرابع العلمي او تلك النصوص التي يختارها الباحث، وقد تكون تلك النصوص آيات قرآنية أو أحاديث نبوية، أو نصوص شعرية أو نثرية.

٢- التحصيل:

أ- لغة: (الحاصل من كل شيء: ما بقي وثبت ما سواه، يكون من الحساب او الاعمال ونحوها، وقد حصلت الشيء تحصيلاً، وحاصل الشيء ومحصوله: يغنيه (ابن منظور، ب.ت، ص١٥٣)
وحصل يحصل حصولاً أي بقي وثبت والتحصيل تميز ما يحصل والاسم الحصيللة (الفراهيدي، ١٩٨١، ص١١٦).

أثر استعمال النصوص الأدبية الاثرانية في تحصيل طلاب الصف الرابع العلمي في مادة قواعد اللغة العربية
ب- اصطلاحاً: عرفه النجار بأنه (انجاز عمل ما، او احراز التفوق في مهارة أو مجموعة من
المعلومات (نجار، ١٩٦٠، ص ١٥).

التعريف الاجرائي للتحصيل:

هو ما يحصل عليه الطلاب (عينة البحث) من درجات في اختبار التحصيل النمائي المقدم من
الباحث بعد تدريس الموضوعات المقررة في المنهج المطلوب ضمن المدة المحددة.

٣- قواعد اللغة العربية:

مفهوم يشمل القواعد النحوية والصرفية والبلاغية وعلم الصوت ورسم الحروف والمعروف أن قواعد
اللغة العربية تعني القواعد النحوية والمعرفية في الكتب المقررة تدريسها (الموسى، ١٩٧٦، ص ١٤)
التعريف الاجرائي لقواعد اللغة العربية فهو:
مجموعة القواعد النحوية والصرفية التي يتضمنها كتاب قواعد اللغة العربية المقرر تدريسه في الصف
الرابع العلمي.

الفصل الثاني: دراسات سابقة

دراسات سابقة

حاول الباحث الافادة مما توافر بين يديه من دراسات سلطت الضوء على بعض جوانب الدراسة
الحالية فيما يتعلق بالأهداف ومنهجية البحث والوسائل واسلوب عرض النتائج وتحليلها.
وفيما يأتي عرض موجز لهذه الدراسات على وفق ترتيبها الزمني.

١- دراسة كامل الدليمي ١٩٨٩:

أجريت الدراسة في بغداد ورمت الى تعرف اثر اسلوب المواقف التعليمية في تحصيل تلاميذ الصف
الخامس الابتدائي في قواعد اللغة العربية، يبلغ عدد أفراد العينة الاساسية (١٤٩) تلميذاً وتلميذة في
مدرستين من مدارس بغداد/ الرصافة اختيرت عشوائياً احدهما للبنين والآخرى للبنات وقد ضمت كل
مدرسة مجموعتين تجريبية وضابطة وبلغ عدد افراد عينة التلاميذ (٧٥) تلميذاً وعينة البنات (٧٤) تلميذة
وكوفئت المجموعات في المتغيرات الاتية (العمر الزمني، والمستوى المعاشي للأسرة، والدخل الشهري،
ودرجات التحصيل للصف الرابع الابتدائي، وتحصيل الاب والام).

اعد الباحث اختباراً تحصيلياً يتسم بالصدق والثبات والتمييز والصعوبة واستعمل الاختبار التائي (T-
Test) توصلت الدراسة الى الآتي:

- ١- تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية في التحصيل.
- ٢- ليس هناك فرق ذو دلالة احصائية وللمستويات كافة بين متوسط البنين الذين تم تدريسهم
بأسلوب المواقف التعليمية ومتوسط تحصيل البنات اللاتي تدرسن بالأسلوب نفسه.
- ٣- تفوق تحصيل البنين في المجموعة التجريبية على تحصيل البنين في المجموعة الضابطة.

٤- تفوق تحصيل البنات في المجموعة التجريبية على تحصيل البنات في المجموعة الضابطة (الدليمي، ١٩٨٩، ص ١٦٥)

٢- دراسة السامرائي ١٩٩٥:

أجريت هذه الدراسة في محافظة بغداد ورمت الى التعرف اثر تجزئة القواعد النحوية وتطبيقها في تحصيل طلبة الصف الاول المتوسط وتم اختيار المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد / الرصافة الاولى عشوائياً من بين المدرستين للتربية في محافظة بغداد / الرصافة الاولى والثانية وقام الباحث بتحديد المدارس المتوسطة والثانوية للبنين فقد تم اختيار متوسطة صلاح الدين للبنين عشوائياً من تلك المدارس وكانت هذه المدرسة تضم (٨) شعب.

اختار الباحث شعبتين تمثل احدهما المجموعة التجريبية وعدد طلابها (٤٤) طالباً والشعبة الثانية تمثل المجموعة الضابطة وعدد الطلاب فيها (٤٣) طالباً وبذلك عدد عينة الطلاب في المجموعتين (٨٧) طالباً واجرى الباحث التكافؤ بين المجموعتين في المتغيرات الآتية: (التحصيل في الصف السادس الابتدائي، والمعلومات النحوية السابقة، والتحصيل الدراسي للأب والأم). استمرت التجربة (٣) اشهر ودرس الباحث نفسه المجموعتين.

أعدّ الباحث اختباراً تحصيلياً أتمم بالصدق والثبات والشمول والتمييز والصعوبة شمل الموضوعات الآتية (العلم، التصغير، اسماء الاشارة، الاسماء الموصولة، المعرف بالاضافة، المبتدأ والخبر، كان واخواتها، المعرف ب (ال)) وقد تكون الاختبار من (٤٠) فقرة موزعة على (٤) اسئلة يضم كل سؤال (١٠) فقرات وكانت اسئلة الاختبار متنوعة بين اعراب ما يأتي والاختيار من متعدد، وعبارة الصح والخطأ.

واستعمال الاختبار التائي (T-Test) تم التوصل الى الآتي:

تفوق المجموعة التجريبية التي درست بطريقة تجزئة القواعد النحوية على المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة التقليدية (السامرائي، ١٩٩٥، ص ٦٣ - ٨٨).

٣- دراسة الشكريتي ١٩٩٨:

اجريت هذه الدراسة في مدينة بغداد ورمت الى تعرف اثر التدريس باستعمال الرسوم البيانية في التحصيل واستبقاء المعلومات وتجنب الخطأ النحوي في مادة قواعد اللغة العربية لتلاميذ الصف السادس الابتدائي.

اختارت الباحثة مدرسة الرضي الابتدائية المختلطة بطريقة عشوائية من بين المدارس الابتدائية قطاع الكاظمية وقد تم اختيار شعبتين من هذه المدرسة لتمثل احدهما المجموعة التجريبية والاخرى المجموعة الضابطة وبلغ عدد أفراد العينة الاساسية (٥٦) فرداً موزعين الى المجموعتين بواقع (٢٩) فرداً المجموعة التجريبية و (٢٧) فرداً للمجموعة الضابطة، كافأت الباحثة بين المجموعتين في (العمر الزمني، درجة قواعد اللغة العربية والتحصيل الدراسي للأب والأم).

درست الباحثة نفسها المجموعتين خلال مدة التجربة التي استمرت من الشهر الثاني من الفصل الاول الى نهاية الفصل الثاني من ١١/١٥ الى ١٩٩٧/٤/٣٠ اعدت الباحثة اختباراً تحصيلياً لعينة تتألف من (٣٠) فقرة اتسم بالصدق والثبات والشمول والتمييز والصعوبة واعيد الاختبار نفسه بعد ثلاثة اسابيع من تاريخ اجراء الاختبار التحصيلي لقياس استبقاء المعلومات النحوية وكتابة مجموعتي البحث (التجريبي والضابطة) موضوعاً في التعبير لمعرفة الاخطاء النحوية والموضوعات التي درست خلال مدة تجريبية في (المثنى واعرابه، جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم واعرابه، وجمع التكسير والاسماء الخمسة والفاعل والمفعول به ونائب الفاعل والمفعول المطلق).

وباستخدام الاختبار التائي (T-Test) تم التوصل الى النتائج الآتية:

- تفوق المجموعة التجريبية في متوسط التحصيل على المجموعة الضابطة.
 - تفوق المجموعة التجريبية في استبقاء على المجموعة الضابطة.
 - تفوق المجموعة التجريبية في قلة الاخطاء النحوية على المجموعة الضابطة.
- (التكريتي، ١٩٩٨، ص ٧٨ - ١١٢)

٤- دراسة هادي ٢٠٠٢:

اجريت هذه الدراسة في مدينة بابل ورمت الى تعرف اثر استخدام الآيات القرآنية -أمثلة عرض- في تحصيل طلاب المرحلة الاعدادية في مادة قواعد اللغة العربية. اختار الباحث عشوائياً مدرسة اعدادية الكندي للبنين من بين المدارس الثانوية الاعدادية في مركز قضاء الحلة، واختار بطريقة السحب العشوائي شعبتين من بين خمس شعب، وقد بلغ عدد افراد العينة (٦٠) طالباً منهم (٣٠) طالباً في المجموعة التجريبية و (٣٠) طالباً في المجموعة الضابطة وقد كافأ الباحث بين المجموعتين في (العمر الزمني، التحصيل الدراسي، للآباء والامهات، ودرجات اللغة العربية في الصف الثالث المتوسط (البكالوريا) درس الباحث نفسه المجموعتين خلال مدة التجربة البالغة (١٠) اسابيع.

وقد اعتمد الباحث اختباراً تحصيلياً اتسم بالصدق والثبات والتمييز والصعوبة للمواد المقررة اثناء مدة التجربة وهي (الفعل الماضي، ورفع الفعل المضارع، ونصب الفعل المضارع، وحزم الفعل المضارع، وبناء الفعل المضارع، وفعل الامر) وكان نوع الاختبار، الاختيار من متعدد وقد بلغ عدد فقراته (٣٠) فقرة وباستخدام الاختبار التائي تم التوصل الى الآتي:

-تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون بأسلوب استخدام الآيات القرآنية- أمثلة العرض - في تحصيل طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون بموجب امثلة الكتاب المدرسي.

(هادي، ٢٠٠٢، ص ١١٩)

موازنة الدراسات السابقة

من خلال اطلاع الباحث على مناقشة الدراسة السابقة في البحوث فإنه يرى أيها اقرب الى الموازنة منها الى المناقشة وعدد عرض الدراسات السابقة الواردة في هذا البحث وموازنتها من حيث منهج بحثها ووسائلها واهدافها وما توصلت اليه من نتائج اتضح للباحث ما يأتي:

١- كان هدف الدراسات السابقة معرفة أثر طرائق تدريس اللغة العربية في التحصيل او مقارنة هذه الطرائق بعضها مع بعض لمعرفة أيها أكثر تأثيراً في التحصيل.

أما البحث الحالي فإنه يرمي الى معرفة أثر استعمال النصوص الادبية الاثرائية في تحصيل طلاب الصف الرابع العلمي في قواعد اللغة العربية.

٢- عدد افراد العينة الاساس اختلف من دراسة الى اخرى اذ بلغ عدد افراد العينة (٥٦) في دراسة التكريتي (١٩٩٨) و (٨٧) فرداً في دراسة السامرائي (١٩٩٥) و (١٤٩) فرداً في دراسة الدليمي (١٩٨٩) و (٦٠) فرداً في دراسة هادي (٢٠٠٢).

أما الدراسة الحالية فقد بلغ عدد افراد العينة الاساسية (٦٠) فرداً
٣- قسمت العينة في الدراسات الى مجموعات تجريبية فقط كما في دراسة التكريتي (١٩٩٨) ودراسة السامرائي (١٩٩٥) ودراسة هادي (٢٠٠٢).

٤- كل الدراسات اعتمدت التصميم التجريبي، اما الدراسة الحالية فقد كافأت بين المجموعتين في المتغيرات الآتية العمر الزمني ودرجات التحصيل في الصف الثالث المتوسط، والتحصيل الدراسي للأب والام.

٥- اغلب الدراسات كافأت بين المجموعتين في المتغيرات الآتية (العمر الزمني، ودرجات التحصيل للصفوف السابقة)، أما الدراسة الحالية فقد كافأت بين المجموعتين في المتغيرات الآتية (العمر الزمني، التحصيل في الصف الثالث المتوسط).

٦- المراحل التي اجريت عليها الدراسات السابقة مختلفة، متوسطة، اعدادية، اما الدراسة الحالية فقد اجريت على طلاب الرابع العلمي.

٧- الدراسات السابقة اختلفت من اعتمادها في الجنس فمنها الذكور ومنها الاناث والذكور. اما الدراسة الحالية فقد اعتمدت الذكور فقط.

٨- لم تعتمد الدراسات السابقة، نوعاً واحداً من انواع الاسئلة فقد تركزت على اسئلة الاختيار من متعدد واختيار الاجابة الصحيحة.

أما الدراسة الحالية فقد اعتمدت اعداد اختيار من نوع الاختيار من متعدد.

٩- تبين النتائج في الدراسات السابقة في دراسة الدليمي (١٩٨٩) ظهرت فروق ذات دلالة احصائية بين طريقتين النص والتوليف لمصلحة طريقة التوليف، وتفوق اسلوب تجزئة القواعد النحوية على الاسلوب التقليدي في دراسة السامرائي (١٩٩٥) وفي دراسة التكريتي (١٩٩٨) تفوق اسلوب الرسوم البيانية على الطريقة التقليدية. وتفوق اسلوب الآيات القرآنية - امثلة عرض في دراسة هادي (٢٠٠٢).

اما البحث الحالي فهو يقارن الباحث بين نتائجه ونتائج الدراسات السابقة في الفصل الرابع.

استفاد الباحث من استعراض الدراسات السابقة في مجال بحثه مما يأتي:

- ١- صياغة الاهداف السلوكية
- ٢- العينات وكيف اختيارها
- ٣- الاختبارات التحصيلية
- ٤- معرفة الوسائل الاحصائية
- ٥- الافادة من نتائج الدراسات السابقة بصفتها شواهد ومؤشرات على اهمية البحث والحاجة

اليه

الفصل الثالث: منهج البحث واجراءاته

التصميم التجريبي:

لاختيار التصميم التجريبي أهمية كبيرة في البحث لأنه يضمن للباحث الهيكل المناسب للبحث، ويوصله الى نتائج يمكن الاعتماد عليها في الاجابة عن الاسئلة التي طرحت والتحقق من فرضيات البحث (الزوبعي، ١٩٨١، ص ١٠٢).

وهو على الشكل الآتي:

المجموعة التجريبية متغير مستقل اختبار بعدي
المجموعة الضابطة — اختبار بعدي

وفي هذا التصميم تتعرض المجموعة التجريبية للمتغير المستقل وهو اسلوب استعمال النصوص الادبية الاثرانية بينما تدرس المجموعة الضابطة بالطريقة التقليدية.

مجتمع البحث وعينته:

مجتمع البحث:

من متطلبات البحث الحالي اختيار مدرسة اعدادية أو ثانوية للبنين بصورة عشوائية لا يقل عدد شعب الصف الرابع العلمي فيها عن شعبتين، ومن أجل ذلك زار الباحث المديرية العامة لتربية كربلاء وتم اختيار اعدادية الحسينية للبنين عشوائياً من تلك المدارس لتطبيق التجربة فيها.

عينة البحث:

اختار الباحث اعدادية الحسينية للبنين عشوائياً وتبين ان طلاب الصف الرابع العلمي فيها يكونون ست شعب، اختار الباحث شعبتين عشوائياً فكانت شعبي (ب، د) بلغ عدد طلابها (٦٣) طالباً، منهم (٣٢) طالباً في شعبة (ب) و(٣١) طالباً في شعبة (د) وبعد استبعاد الطلاب الراسبين البالغ عددهم (٣) منهم (٢) في شعبة (ب) و(١) في شعبة (د).

إذ بلغ عدد افراد المجموعة التجريبية بعد الاستبعاد و (٣٠) طالباً وعدد افراد المجموعة الضابطة (٣٠) طالباً.

تكافؤ المجموعتين:

يعتقد الباحث انه ليس هناك متغيرات تؤثر في نتائج التجربة كون المجموعتان من مدرسة واحدة ومن وسط اجتماعي او اقتصادي وثقافي متقارب الى حد ما، ولكن مع ذلك ضبط الباحث قبل اجراء التجربة بعض المتغيرات التي قد تؤثر في نتائج التجربة وهي:

١- درجات اللغة العربية في الصف الثالث المتوسط.

٢- درجات الاختبار القبلي.

١- درجة اللغة العربية.

حصل الباحث على درجات اللغة العربية من سجل الدرجات بالتعاون مع ادارة المدرسة ملحق (١) وباستعمال الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين وجد أن المجموعتين متكافئتان، جدول

(١):

جدول (١) المتوسط الحسابي والتباين والانحراف المعياري والقيمتان التائيتان لدرجات اللغة العربية للصف الثالث المتوسط

مستوى الدلالة ٠,٠٥	القيمة التائية		الانحراف	التباين	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة
	الجدولية	الحسوبة					
غير دالة احصائياً	٢,٠٠٠	٥,٢٨٦	٩,٦٥٨	٩٣,٢٩٣	٦٤,٢	٣٠	التجريبية
			٩,٢٨٣	٨٦,١٧٨	٦٣,٥٦	٣٠	الضابطة

٢- درجات الاختبار القبلي.

إن المجموعتين متكافئتان في درجة الاختبار القبلي الذي طبقه الباحث في بداية التجربة على عينة البحث الاساسية ملحق (٢).

وباستعمال الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين وجد ان المجموعتين متكافئتان. كما تظهر في الجدول (٢)

جدول (٢) المتوسط الحسابي والتباين والانحراف المعياري والقيمتان التائيتان

لدرجات الاختبار القبلي

مستوى	القيمة التائية	الانحراف	التباين	المتوسط	العدد	المجموعة
-------	----------------	----------	---------	---------	-------	----------

الدلالة ٠,٠٥	الجدولية	المحسوبة			الحسابي		
غير دالة	٢,٠٠٠	١,٥٣	٣,٠٥١	٩,٣١٢	١١,٥٦٦	٣٠	التجريبية
احصائياً			٢,٩٩٢	٨,٩٥٥	١٠,٦٦٦	٣٠	الضابطة

طريقة اجراء التجربة:

تحديد المادة العلمية:

اختار الباحث مادة قواعد اللغة العربية للصف الرابع العلمي (المقرر الدراسي)، (الفعل الماضي، رفع الفعل المضارع، نصب الفعل المضارع)، إذ اعد الباحث استبانة تضمنت مجموعة من النصوص الادبية (الاثرانية) (ملحق ٣) عرضها على نخبة من الخبراء المتخصصين في اللغة العربية وطرائق تدريسها (ملحق ٤).

ضبط المتغيرات الدخيلة

- ١- المتغير المستقل: استعمال نصوص ادبية (اثرانية).
 - ٢- المتغير التابع: مادة قواعد اللغة العربية.
 - ٣- المتغيرات الدخيلة التي قد تهدد سلامتي التصميم الداخلية والخارجية.
- لم يتعرض البحث الحالي الى اي حادث يعرقل سير التجربة ولا اي متغير متعلق بالنمو البايولوجي والنفسي وضبط هذا المتغير باعتماد الباحث اداة واحدة (اختبار بعدياً) ولم يحصل اي متغير دخيل بالنسبة للندثار التجريبي هذا بالنسبة للمتغيرات الدخيلة.
- اما بالنسبة للمتغيرات التي تحدد السلامة الخارجية للتصميم التجريبي سيطر الباحث على تفاعل المتغير المستقل وتميزات الاختبار وعمل الباحث على الحد من الاجراءات التجريبية وذلك درس الباحث نفسه مجموعتي البحث والحرص على سرية البحث اتفق الباحث مع ادارة المدرسة على ان لا يخبر الطلاب عن طبيعة البحث وتم توزيع الحصص والسيطرة على هذا المتغير من خلال تدريس مجموعتي البحث في اليوم نفسه وسيطر الباحث على متغير المادة الدراسية بمساواة مجموعتي البحث في عدد الموضوعات التي قدمت لهم وطبقت التجريبية في مدرسة واحدة ومدة التجربة واحدة بالنسبة للمجموعتين اذ بدأت بتاريخ ٢٢/١٠/٢٠١٤ وانتهت بتطبيق الاختبار بتاريخ ٢٢/١٢/٢٠١٤ وكذلك الوسائل التعليمية متشابهة

اسلوب اجراء التجربة

بعد ضبط الباحث المتغيرات، درس طلاب المجموعتين المواضيع المحددة مسبقاً إذ درس المجموعة التحريبية (ب) بطريقة استعمال النصوص الادبية (الاثرائية) اما المجموعة الضابطة (د) فقد درست بالطريقة التقليدية

تطبيق الاختبار

بعد ان انتهت مجموعتنا البحث من الاختبار، جمع الباحث الاوراق وصححها وكانت النتائج الملحق

(٣)

الوسائل الاحصائية

تحليل التباين الاحادي، مربع كاي، معادلة معامل الصعوبة، معامل التمييز، طريقة شيفية، معادلة كودر.

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها

عرض النتائج:

النتائج التي اسفر عنها البحث في الجدول (٣)

جدول (٣)

المتوسط الحسابي والتباين والانحراف المعياري والقيمتان التائيتان لتحصيل مجموعتي البحث في اختبار التحصيل البعدي

مستوى الدلالة ٠,٠٥	القيمة التائية		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	العدد	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة					
دالة احصائياً عند مستوى ٠,٠٥	٢,٠٠٠	٢,٦٦٠	٢٦,٧٣٣	٦,٣٣٤	٤٠,١٣٨	٣٠	التحريبية
			٢٢,١٣٣	٧,٠٤١	٤٩,٥٨٢	٣٠	الضابطة

يتضح من الجدول (٣)، ان متوسط درجات طلاب المجموعة التحريبية الذين درسوا مادة قواعد اللغة العربية بطريقة استعمال النصوص الادبية (الاثرائية) بلغ (٢٦,٧٣٣) بتباين مقداره (٤٠,١٣٨) أما الضابطة بمتوسط (٢٢,١٣٣) وتباين مقداره (٤٩,٥٨٢) وعند استعمال الاختبار التائي لمعرفة دلالة

الفرق بين مجموعتي البحث، ظهر ان هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بالدرجة المحسوبة (٢٠٦٦٠) وهي أعلى من القيمة الجدولية البالغة (٢,٠٠٠).
وبذلك ترفض الفرضية الصفرية التي تنص على انه لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط تحصيل المجموعة التي درست قواعد اللغة العربية بطريقة استعمال نصوص ادبية (اثرانية) ومتوسط تحصيل المجموعة التي تدرس مادة قواعد اللغة العربية بالطريقة التقليدية

تفسير النتائج:

في ضوء ما تم عرضه من نتائج تبين ان استعمال اسلوب النصوص الادبية (الاثرائية) قد أثبتت فعاليته في تدريس قواعد اللغة العربية في الصف الرابع العلمي ويرى الباحث ان الطريقة المثلى في تفسير النتائج تكون وفق فرضيات البحث وكما يأتي:

التحصيل:

يعتقد الباحث ان تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في متوسط التحصيل قد يعود الى الاسباب الاتية:

١- ان الطلاب في المرحلة الاعدادية يميلون الى اعمال الفكر اكثر من غيرهم من حيث النظر الى اهمية الشكل وقدرتهم على اكتساب مهارة استعمال النصوص الادبية الاثرانية، وأجد ان اثراً إيجابياً لهذا الاستعمال، وكلما كان الاستعمال أكثر ساعد الفرد على اكتساب الخبرة الحقيقية عن طريق الممارسة العملية (بلقيس، ١٩٨٢، ص٢٩٢).

٢- ان الطلاب في مرحلة الاعدادية وجدوا في اسلوب (استعمال النصوص الادبية) انه يظهر قدراتهم النحوية ويشجعهم على التنافس من خلال اشراكهم في استعمال النصوص الادبية (الاثرائية) وهذا ما حرص الباحث على مراعاته.

فالحركات هي التي تحدد وصيغة الجملة وتمنحها معناها وبذلك تزداد قيمة الحركة بوصفها العامل الحاسم في خلق الكلمة العربية (شاهين، ١٩٨٠، ص٤٣). وهذا يعني ان المعنى الاساس للكلمة يشار اليه غالباً بالأصوات الصامتة اما الحركات بصورة عامة فإن وظيفتها تحديد المعنى العام وتوجيهه وجهات خاصة (وايي، ١٩٤٤، ص١٥).

فالتعلم ليس شيئاً الياً يتلخص في معرفة المعلومات وتخزينها بل هو نشاط قوامه تنظيم الاشياء وان هذا التنظيم يزداد مع تكرار استعمال النصوص وبالتالي اكتشاف علاقات، داخل التركيب أو انه بينهما بطريقة معينة تسهل عملية الفهم والادراك (توق، ١٩٨٤، ص٢٠٤).

فالقواعد النحوية ليست معلومات مجردة تضاف الى الذخيرة اللغوية وانما هي وسيلة لاستقامة اللسان على اساليب معينة فإن لم تؤخذ بالتدريب والتطبيق والاستعمال المتكرر فلا يكون للقواعد النحوية اي مظهر من مظاهر الحياة (ابراهيم، ١٩٧٢، ص١٥)

الفصل الخامس: الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

الاستنتاجات:

- في ضوء النتائج التي توصل اليها البحث يمكن استنتاج الآتي:
- ١- ان اسلوب استعمال النصوص الادبية (الاثرائية) في تدريس قواعد اللغة العربية أفضل من الطرائق التقليدية وذلك لما اسفرت عنه الدراسة الحالية من تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة.
 - ٢- اتفق البحث الحالي مع ما ذهبت اليه ادبيات النحو العربي وادبيات طرائق تدريس اللغة العربية من ابراز أهمية الشكل ومكانته في الدراسة النحوية.
 - ٣- ان اسلوب استعمال النصوص الادبية (الاثرائية) يؤدي الى فهم المسائل النحوية واستيعابها لأنه يفضي الى المعنى والافصاح عن القاعدة النحوية.

التوصيات:

- ١- اعتماد اسلوب استعمال النصوص الادبية (الاثرائية) ليس في تدريس قواعد اللغة العربية فحسب بل يجب توظيف فحسب بل يجب توظيف جميع فروع اللغة العربية في معالجة القواعد النحوية وذلك باستعمال النصوص الادبية (الاثرائية).
- ٢- إعادة النظر في منهج قواعد اللغة العربية بحيث يتضمن استعمال نصوص ادبية اخرى في نهاية كل موضوع من موضوعاتها.
- ٣- تأكيد جانبي الفهم والاستيعاب عند تدريس مادة قواعد اللغة العربية وابعاد الطلبة من حفظ قواعد صماء لا روح فيها ولا حياة.

المقترحات:

- يقترح الباحث استكمالاً لهذا البحث اجراء الدراسات الآتية:
- ١- دراسة مماثلة على مراحل دراسية اخرى في المادة نفسها او مواد دراسية اخرى.
 - ٢- دراسات اخرى تناول علاقة استعمال النصوص الادبية الاثرائية بمتغيرات اخرى كالتفكير الناقد مثلاً.

المصادر

١. القرآن الكريم
٢. ابراهيم، احمد ابو بكر، دراسة حول مشكلات اللغة العربية في التعليم العام، الادارة العامة للمناهج والكتب المدرسية، دولة الامارات، ١٩٨٢م.
٣. ابن جني، ابو الفتح، عثمان (ت ٣٩٣هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ج ١، ط ٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.

٤. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ط ٤، دار، احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ب. ت).
٥. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، م ١، م ١١، م ١٣، دار صادر بيروت، لبنان، (بدون تاريخ).
٦. اتحاد المعلمين العرب، المؤتمر التاسع، تطوير تعليم اللغة العربية، ط ١، دار المناهج للطباعة والنشر، عام ٢٠٠١.
٧. بلقيس، أحمد وتوفيق مرعي، الميسر في علم النفس التربوي، ط ١، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٢م.
٨. بياحيه، جان، اللغة والفكر عند الطفل، ترجمة: أحمد عزت، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م.
٩. التكريتي، خولة كريم ياسين، أثر تدريس قواعد اللغة العربية باستعمال الرسوم البيانية في التحصيل واستيفاء المعلومات وتجنب الخطأ النحوي، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، بغداد، ١٩٩٨، (اطروحة غير منشورة).
١٠. توق، محيي الدين، وعبد الرحمن عدس، اساسيات علم النفس التربوي، نشر جون رايلي، ١٩٨٤م.
١١. الثعالبي، ابو منصور عبد الملك حمد، فقه اللغة وسر العربية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٣٦م.
١٢. الجمهورية العراقية، وزارة التربية، طرائق تدريس اللغة العربية للصفين الاول والثاني معاهد اعداد المعلمين، ط ١، مطبعة مؤسسة الثقافة العالمية، بغداد، ١٩٧٨م.
١٣. حسن، عباس، اللغة والنحو بين القلم والحديث، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٦م.
١٤. الحملاطي، علي، ابو الفتوح التونسي، الاصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية، ط ٣، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥م.
١٥. الدليمي، كامل محمود نجم، اسلوب المواقف التعليمية وأثره في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في قواعد اللغة العربية، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ١٩٨٩م، (اطروحة دكتوراه غير منشورة).
١٦. الزوبعي، عبد الجليل، مناهج البحث في التربية، ج ١، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨١م.
١٧. السامرائي، حاتم طه حسين، أثر تجرئة القواعد النحوية وتطبيقها في تحصيل طلبة الصف الاول متوسط، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ١٩٩٥م، (اطروحة دكتوراه غير منشورة).
١٨. سمك، محمد صالح، فن التدريس اللغة العربية والتربية الدينية، ط ٣، مطبعة الانجلو المصرية، ١٩٦٩م.
١٩. شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوفي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٠. العزاوي، نعمة رحيم، اصول تدريس النصوص الادبية، مكتب المنتصر للطباعة، بغداد، ١٩٨٨م.

٢١. الفراهيدي، عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٨٠هـ) كتاب العين، تحقيق: مهدي المزموحى وإبراهيم السامرائي، ج٣، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
٢٢. قورة، حسين، تعليم اللغة العربية، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
٢٣. مصطفى، عبد الله علي، مهارات اللغة العربية، آراء للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ١٩٧٤م.
٢٤. المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التفكير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، تونس، ١٩٨٣م.
٢٥. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم الثانوي في الوطن العربي، تونس، ١٩٨٣م.
٢٦. الموسى، نهاد، مجلة التربية، رأي في رسم منهج النحو، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد الرابع عشر، ١٩٧٦م.
٢٧. نجار، فريد جبرائيل وآخرون، قاموس التربية وعلم النفس التربوي، منشورات دار التربية، بيروت، ١٩٦٠م.
٢٨. هادي، خالد رائد، أثر استخدام الآيات القرآنية، أمثلة وعرض - في تحصيل طلاب المرحلة الاعدادية في قواعد اللغة العربية، جامعة بابل، كلية المعلمين، ٢٠٠٢م.
٢٩. وافي علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٤م.

الملاحق

ملحق (١)

درجات مجموعتي البحث لمادة اللغة العربية للصف الثالث المتوسط

ت	المجموعة التجريبية	ت	المجموعة الضابطة	ت	المجموعة التجريبية	ت	المجموعة الضابطة
١	٧١	١٦	٥١	١	٧٠	١٦	٥١
٢	٥٠	١٧	٥٢	٢	٥١	١٧	٥٢
٣	٨٠	١٨	٦١	٣	٦٧	١٨	٦٠
٤	٥٧	١٩	٦٤	٤	٦٢	١٩	٨٢
٥	٦٣	٢٠	٨٢	٥	٦٩	٢٠	٧٢
٦	٦٥	٢١	٥٠	٦	٥٢	٢١	٧١

٦٠	٢٢	٦٥	٧	٥١	٢٢	٦٩	٧
٥٢	٢٣	٧٩	٨	٥١	٢٣	٧٣	٨
٥١	٢٤	٧٦	٩	٦٠	٢٤	٦٠	٩
٦٢	٢٥	٦٦	١٠	٥٧	٢٥	٦٦	١٠
٦٥	٢٦	٥٠	١١	٧١	٢٦	٧٤	١١
٧٧	٢٧	٥٠	١٢	٧٢	٢٧	٦٢	١٢
٦٤	٢٨	٥٩	١٣	٦٥	٢٨	٦٩	١٣
٦٧	٢٩	٧١	١٤	٥٠	٢٩	٧٥	١٤
٥٩	٣٠	٧٥	١٥	٨٠	٣٠	٦٥	١٥
١٩٠٧		المجموع		١٩٢٦		المجموع	
٦٣,٥٦٦		المتوسط الحسابي		٦٤,٢		المتوسط الحسابي	
٩,٢٨٣		الانحراف المعياري		٩,٦٥٨		الانحراف المعياري	
٨٦,١٧٨		التباين		٩٣,٢٦٣		التباين	

ملحق (٢)

درجات الاختبار القبلي للمجموعتين

الجموعه الضابطة	ت	الجموعه الضابطة	ت	الجموعه التجريبية	ت	الجموعه التجريبية	ت
٥	١٦	١٧	١	٩	١٦	١٥	١
٩	١٧	٩	٢	١٦	١٧	٨	٢
١٥	١٨	١٦	٣	١٣	١٨	١٠	٣
٧	١٩	٩	٤	٨	١٩	١٢	٤

٨	٢٠	١٤	٥	١٥	٢٠	١٠	٥
١٣	٢١	١٨	٦	٩	٢١	١٣	٦
٩	٢٢	١١	٧	٣	٢٢	١٠	٧
١٠	٢٣	١٤	٨	١٥	٢٣	١٦	٨
١٢	٢٤	٧	٩	٧	٢٤	١٠	٩
٨	٢٥	١٦	١٠	١١	٢٥	١٢	١٠
١١	٢٦	١٠	١١	١٠	٢٦	١٠	١١
٩	٢٧	٩	١٢	١٤	٢٧	١٢	١٢
١٠	٢٨	١٣	١٣	٩	٢٨	١٥	١٣
١٣	٢٩	٧	١٤	١٣	٢٩	١٢	١٤
١٠	٣٠	١١	١٥	١٦	٣٠	١٤	١٥
٣٢٠	المجموع		٣٤٧		المجموع		
١٠,٦٦٦	المتوسط الحسابي		١١,٥٦٦		المتوسط الحسابي		
٢,٩٩٢	الانحراف المعياري		٣,٠٥١		الانحراف المعياري		
٨,٩٥٥	التباين		٩,٣١٢		التباين		

ملحظ : الحد الاعلى لدرجات الاختبار (٢٠) درجة والحد الادنى (صفر) درجة

ملحق (٣)

درجات مجموعتي البحث في اختبار التحصيل البعدي

المجموعة الضابطة	ت	المجموعة الضابطة	ت	المجموعة التجريبية	ت	المجموعة التجريبية	ت
٢١	١٦	١٩	١	١٨	١٦	٢٤	١
١٠	١٧	٢٠	٢	٢٩	١٧	٣٣	٢

٢٢	١٨	٣١	٣	١٨	١٨	٣٣	٣
٩	١٩	٣٢	٤	٢٨	١٩	٢٥	٤
١٣	٢٠	٢٠	٥	١٥	٢٠	٣٣	٥
٢٤	٢١	١٣	٦	٢٨	٢١	٢٦	٦
٢٥	٢٢	٢٣	٧	١٠	٢٢	٢٦	٧
١٥	٢٣	١٥	٨	٢٧	٢٣	٣٤	٨
١٧	٢٤	٢٦	٩	٢٩	٢٤	٣٥	٩
٢٩	٢٥	٢٨	١٠	١٩	٢٥	٣٦	١٠
٣٠	٢٦	١٦	١١	٣١	٢٦	٢٧	١١
١٧	٢٧	٣٤	١٢	٢٠	٢٧	٣٦	١٢
١٨	٢٨	٢١	١٣	٢٣	٢٨	٢٧	١٣
٣٠	٢٩	٢١	١٤	٣١	٢٩	٣٦	١٤
٣١	٣٠	٣٤	١٥	٣٢	٣٠	٢٧	١٥
٦٦٤	المجموع	٨٠٢	المجموع	٢٦,٧٣٣	المتوسط الحسابي	٢٢,١٣٣	المتوسط الحسابي
٧,٠٤١	الانحراف المعياري	٦,٣٣٤	الانحراف المعياري	٤٠,١٢٨	التباين	٤٩,٥٨٢	التباين

ملحظ : الحد الاعلى لدرجات الاختبار (٤٠) درجة والحد الادنى (صفر) درجة

ملحق (٤)

قائمة بأسماء السادة الخبراء الذين استعان بهم الباحث في اجراء البحث

ت	اسم الخبير	اللقب العلمي	التخصص	الموضوعات	الخطوط	الحكمات
	د. حسن علي فرحان	استاذ	ط.ت. لغة عربية	×	×	×
	د. ماجد محمد الدفاعي	استاذ	علم النفس		×	×
	د. سعد علي زاير	استاذ	ط.ت. لغة عربية	×	×	×
	د. رحيم علي صالح	استاذ مساعد	ط.ت. لغة عربية	×	×	×
	د. حسن خلباص حمادي	استاذ مساعد	ط.ت. لغة عربية	×	×	×
	د. خضير عباس درويش	استاذ مساعد	أدب	×	×	
	د. أحمد جبار	مدرس	ط.ت. لغة عربية	×	×	×
	د. علي حسين يوسف	مدرس	أدب	×	×	
	د. صبيح كرم الكناني	مدرس	علم النفس		×	×
	د. غاتم كامل الحسنواوي	مدرس	لغة	×	×	
	د. خالد مرعي حسن	مدرس	أدب	×	×	
	د. عمار سلمان عبيد	مدرس	أدب	×	×	

ملحق (٥)

استبانة آراء الخبراء في صلاحية الخطط التدريسية

الاستاذ الفاضل... المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يروم الباحث دراسة (استعمال النصوص الادبية الاثرانية في تحصيل طلاب الرابع العلمي في مادة

قواعد اللغة العربية ولما كان البحث الحالي يتطلب اعداد وخطط انموجية لتدريس موضوعات كتاب

قواعد اللغة العربية المقرر لصف الرابع العلمي توضح خطوات الدرس فقد اعد الباحث خطتين انموجيتين

لتدريس موضوع جزم الفعل المضارع (الادوات التي تجزم فعلاً واحداً). وعلى الآتي:

١- خطة تدريسية انموجية على وفق اسلوب استعمال النصوص الادبية الاثرانية.

٢- خطة تدريسية انموجية تقليدية.

ونظراً لما تمتعون به من خبرة علمية في هذا المجال، يضع الباحث بين ايديكم الخطتين الانموجيتين

راجياً التفضل بأبداء آرائكم السديدة وملاحظاتكم القيمة في مدى صلاحيتها.

مع شكري وامتناني

الباحث

خطة انموجية لتدريس موضوع جزم الفعل المضارع

(الادوات التي تجزم فعلاً واحداً)

اليوم والتاريخ:

المادة: قواعد اللغة العربية

الصف: الرابع العلمي

الموضوع: جزم الفعل المضارع

الشعبة:

(الادوات التي تجزم فعلاً واحداً)

الأهداف العامة: السنة الطلبة وعصمتهم من الخطأ في الكلام وتنمية قدرتهم اللغوية وصقل اذواقهم

الادبية بفضل ما يدرسونه من الامثلة والتراكيب فيما يسمعون ويقرأون (وزارة التربية، ص ٦١).

الاهداف السلوكية: جعل الطالب قادراً على أن

١- يعرف الفعل المضارع المجزوم بإسلوبه الخاص

٢- يذكر علامات جزم الفعل المضارع.

٣- يذكر الادوات التي تجزم فعلاً مضارعاً واحداً

٤- تحديد المعنى الذي تفيده كل اداة من الادوات التي تجزم فعلاً واحداً.

- ٥- يعطي امثلة جديدة تحتوي على افعال مضارعة مجزومة
- ٦- يميز بين الادوات التي تنصب الفعل المضارع الادوات التي تجزم الفعل المضارع
الوسائل التعليمية: الكتاب المقرر، السبورة، القلم الملون
خطوات الدرس:
- ١- التمهيد: ابدأ بطرح عدد من الاسئلة على الطلاب عن الموضوع السابق من اجل استثارة دوافعهم وتهيئة اذهانهم للدرس الجديد وعلى النحو الآتي:
- المدرس: اعزائي الطلاب درسنا في الدرس السابق موضوع نصب الفعل المضارع وتعرفنا على ادواته وعرفنا ان لكل اداة فائدة معينة فمن منكم يستطيع ان يعدد ادوات النصب
الطالب: ان، لن، كي، ...
- المدرس: من منكم يستطيع ان يعطينا مثالا يكون فيه الفعل المضارع المنصوب معتل الآخر بالواو او الياء.
- الطالب: انا مبركاً كي اصحو مبكراً
- المدرس: من منكم يستطيع ان يعطينا مثالا يكون فيه الفعل المضارع المنصوب من الافعال الخمسة.
الطالب: قرر العراقيون ان يعلموا العدو كيف تكون البسالة.
- المدرس: اعزائي الطلاب درسنا لهذا اليوم يتناول حالة اخرى من حالات اعراب الفعل المضارع وهي الجزم.
- فدرسنا اليوم (جزم الفعل المضارع) والذي سنتعرف من خلاله الى الادوات التي تجزم فعلاً واحداً وعلامات الجزم.
- ٢- العرض:
- في هذه الخطوة اعرض الامثلة التي تتضمن افعالاً مضارعة مجزومة بعلامات مختلفة وتدوينها على السبورة وتكون تلك الامثلة من الكتاب او ما يضاف اليها من نصوص اخرى كما يأتي:
- ١- لم نسمح للعدو بتدنيس ارضنا.
- ٢- اندحر العدو ولما ينظم صفوفه.
- ٣- قال تعالى: ((وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا)) (الاسراء / ٣٧)
- ٤- قال الشاعر: ((لا تياسوا ان تستردوا مجدكم فلب رب مغلوب هوى ثم ارتقى))
- ٥- قال تعالى: ((وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ)) (المائدة / ٤٧)
- بعد تدوين الامثلة اقرأها مع الضبط بالشكل وبعد الانتهاء من قراءتها اطلب من الطلاب قراءتها واشرح معناها بيجاز.
- المدرس: لو نظرنا الى الامثلة لوجدنا في كل منها فعلاً مضارعاً ففي المثال الاول (نسمح) والثاني (ينظم) والثالث (تمش) وفي الرابع (تياسوا) وفي الخامس (يحكم).

ولكن هذه الافعال جاءت في حالة اعرابية غير حالة الرفع والنصب واشير الى الفعل الاول (نسمح) وأصله (نسمح)، فأسأل: أين ذهب الضمة؟ فأجيب: أنها قطعت وجزمت. ثم انتقل الى المثال الثاني فأشير الى المضارع (ينظم) فأصله (ينظم) وإن حركته قطعت أيضاً، ثم انتقل الى المثال الثالث والفعل المضارع (تمشي) وأسأل: ما أصل الفعل؟ فيجيب أحد الطلاب (تمشي) حذف حرف العلة (الياء) ثم انتقل الى المثال الرابع وأشير الى الفعل المضارع (تياسوا) وأصله تياسون فأسأل: ما هو التغيير الذي حدث في الفعل؟ فيجيب أحد الطلاب: حذفت النون من آخره وهكذا مع بقية الأمثلة.

والآن نعود الى الاداة (لم) ونلاحظ انها قطعت حركة الفعل (نسمح) فيبعد ان كانت الضمة اصبحت علامة السكون، فهي جزمت الفعل اي قطعتة، فالجزم يعني قطع الحركة ثم أسأل: ماذا فعلت (لم) في زمن الفعل أيضاً؟ فيجيب احد الطلاب: نفي وجزم وقلب، والفعل (نسمح) فعل مضارع مجزوم بـ(لم) وعلامة جزمه السكون وهذا يعني ان اداة الجزم عندما تدخل على الفعل المضارع الصحيح الآخر فإنها تجزومه وعلامة جزمه السكون. وعندما تدخل على الفعل المضارع المعتل فإنها تحذف حرف العلة وعندما تدخل على الفعل المضارع من الافعال الخمسة تحذف النون وهكذا مع بقية الامثلة.

وبعد الانتهاء من شرح الموضوع ابدأ بخطوة استعمال النصوص الادبية الاثرانية وذلك بتدوين مجموعة من الامثلة على السبورة والخاصة بجزم الفعل المضارع وركز على الافعال المضارعة المجزومة التي يتضمنها كل مثال وهي كما يأتي:

١- قال تعالى: ((لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)) (الاحلاص / ٣ - ٤)

٢- انتهى وقت الامتحان ولما ينه الطالب اجابته.

٣- قال رسول الله ﷺ: ((لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء)).

٤- قال الشاعر: ((الم تر ان الفعل زين لأهله وان تمام الفعل طول التجارب))

٥- قال الشاعر: ((لم يغزو أرض ولم ينهد الى بلد إلا تقدمه وجيش من الرعب))

٦- قال تعالى: ((وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ)) (البقرة / ٢٨٢)

٧- لا تفتح باباً يعيبك سده.

٨- قال الشاعر: ((لا تحسبوني غنياً عن مودتكم إني اليكم وإن ايسرت مفتقر))

ففي المثال الاول اطلب من أحد الطلاب ضبط النص وبعد ضبطه أسأله: لماذا وضعت السكون في آخر الافعال (يلد، يولد، يكن)، لأنها مسبوقه بأداة الجزم (لم) وهي افعال صحيحة الآخر.

المدرس: أين فاعل هذه الافعال؟ فيجيب احد الطلاب: ضمير مستتر تقديره هو يعود على لفظ الجلالة.

ثم انتقل الى المثال الثاني واطلب من احد الطلاب بيان اداة الجزم والفعل المضارع المجزوم (انتهى وقت الامتحان ولما ينه الطالب اجابته) فيجيب اداة الجزم (لم) والفعل المضارع المجزوم (ينه) اي بوضع كسرة بدل حرف العلة الياء ثم اطلب من احد الطلاب قراءة النص قراءة مضبوطة الشكل.

ثم انتقل الى المثال الثالث وهو قول النبي ﷺ (لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء) وقول: تلحظون الفعلين (تعلموا، تماروا) قد تشابها في ضبط آخرهما، ما السبب؟ يجيب احد الطلاب (تعلموا) دخلت عليه (لا الناصبة) فجزم وعلامة جزمه حذف النون لانه من الافعال الخمسة. ويجيب طالب اخر الفعل (تماروا) هو ايضا مجزم وعلامة جزمه حذف النون لانه مسبوق (بلام الامر) المدرس: لا.. هذه ليس لام لامر فيجيب طالب اخر انما (لام التعليل)، جيد ولام التعليل تنصب الفعل وقلنا ان الفعل اذا كان من الافعال الخمسة ينصب بحذف النون، المدرس: اين فاعل الفعل (تعلموا)؟ فيجيب احد الطلاب (الواو)، احسنت (الواو) ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، والعلم مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على اخره.

وهكذا مع بقية الامثلة في النصوص الادبية الاثرائية من خلال بيان موقع الكلمة الاعرابي والتشديد على ضرورة وضع الحركة على اخر كل كلمة سواء كان اثناء الكتابة او اثناء اللفظ.

٣- استنتاج القاعدة:

في هذه الخطوة يستنتج المدرس مع الطلاب القاعدة الرئيسية ويكتبها على السبورة بخط واضح

وكالاتي:

- أ) الجزم يعني القطع، قطع الحركة او الحرف.
- ب) يجزم الفعل المضارع اذا سبقه إحدى ادوات الجزم.
- ج) الادوات التي تجزم فعلاً واحداً هي:
- لم: حرف جزم ونفي وقلب.
 - لما: حرف نفي وجزم وقلب.
 - لا الناهية: حرف جزم يطلب به الكف عن العمل.
 - لام الامر: حرف جزم يطلب به حصول الفعل.
- د) علامات جزم الفعل المضارع هي:
- السكون: اذا كان صحيح الآخر.
 - حذف حرف العلة: اذا كان معتل الآخر.
 - حذف النون: اذا كان من الافعال الخمسة.

الواجب البيتي: اطلب من الطلاب حل التمرينات الموجودة في الكتاب المقرر مع التأكيد على ضبط

آخر الكلمة أثناء حل التمارين واعطيهم تمارين اثرائية اخرى واطلب حلها ايضاً

خطة انموذجية لتدريس موضوع جزم الفعل المضارع

(الادوات التي تجزم فعلاً واحداً)

على وفق الاسلوب التقليدي بصورتها النهائية

اليوم والتاريخ:

المادة: قواعد اللغة العربية

الصف: الرابع العلمي

الموضوع: جزم الفعل المضارع

الشعبة:

(الادوات التي تجزم فعلاً واحداً)

الأهداف العامة: تقويم السنة الطلبة وعصمتهم من الخطأ في الكلام وتنمية قدرتهم اللغوية وصقل ادواقهم الادبية بفضل ما يدرسونه من الامثلة والتراكيب فيما يسمعون ويقرأون.

الاهداف السلوكية: جعل الطالب قادراً على أن

١- يعرف الفعل المضارع المجزوم بإسلوبه الخاص

٢- يذكر علامات جزم الفعل المضارع.

٣- يذكر الادوات التي تجزم فعلاً مضارعاً واحداً

٤- تحديد المعنى الذي تفيدته كل اداة من الادوات التي تجزم فعلاً واحداً.

٥- يعطي امثلة جديدة تحتوي على افعال مضارعة مجزومة

٦- يميز بين الادوات التي تنصب الفعل المضارع الادوات التي تجزم الفعل المضارع

الوسائل التعليمية: الكتاب المقرر، السبورة، القلم الملون

خطوات الدرس:

١- التمهيد: ابدأ بطرح عدد من الاسئلة على الطلاب عن الموضوع السابق من اجل استشارة

دوافعهم وتهيئة اذهانهم للدرس الجديد وعلى النحو الآتي:

المدرس: اعزائي الطلاب درسنا في الدرس السابق موضوع نصب الفعل المضارع وتعرفنا على ادواته

وعرفنا ان لكل اداة فائدة معينة فمن منكم يستطيع ان يعدد ادوات النصب

الطالب: ان، لن، كي، ...

المدرس: من منكم يستطيع ان يعطينا مثالاً يكون فيه الفعل المضارع المنصوب معتل الآخر بالواو او

الياء.

الطالب: انا مبكراً كي أصبح مبكراً

المدرس: من منكم يستطيع ان يعطينا مثالاً يكون فيه الفعل المضارع المنصوب من الافعال الخمسة.

الطالب: قرر العراقيون ان يعلموا العدو كيف تكون البسالة.

المدرس: اعزائي الطلاب درسنا لهذا اليوم يتناول حالة اخرى من حالات اعراب الفعل المضارع وهي

الجزم.

فدرسنا اليوم (جزم الفعل المضارع) والذي سنتعرف من خلاله الى الادوات التي تجزم فعلاً واحداً

وعلامات الجزم.

٢- العرض:

في هذه الخطوة اعرض الامثلة التي تتضمن افعالاً مضارعة مجزومة بعلامات مختلفة وتدوينها على السبورة وتكون تلك الامثلة من الكتاب او ما يضاف اليها من نصوص اخرى كما يأتي:

- ٦- لمْ نَسْمَخْ للعدو بتدنيس ارضنا.
 - ٧- اندحر العدو ولما ينظم صفوفه.
 - ٨- قال تعالى: ((وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)) (الاسراء / ٣٧)
 - ٩- قال الشاعر: ((لا تَيَأَسُوا ان تستردوا مجدكم فلبم مغلوب هوى ثم ارتقى))
 - ١٠- قال تعالى: ((وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ)) (المائدة / ٤٧)
- بعد تدوين الامثلة اقرأها مع الضبط بالشكل وبعد الانتهاء من قراءتها اطلب من الطلاب قراءتها وشرح معناها بإيجاز.

المدرس: لو نظرنا الى الامثلة لوجدنا في كل منها فعلاً مضارعاً ففي المثال الاول (نسمخ) والثاني (ينظم) والثالث (تمش) وفي الرابع (تياأسوا) وفي الخامس (يحكم).

ولكن هذه الافعال جاءت في حالة اعرابية غير حالة الرفع والنصب واشير الى الفعل الاول (نسمخ) وأصله (نسمخ)، فأسأل: أين ذهب الضمة؟ فأجيب: أنها قطعت وجزمت. ثم انتقل الى المثال الثاني فأشير الى المضارع (ينظم) فأصله (ينظم) وإن حركته قطعت أيضاً، ثم انتقل الى المثال الثالث والفعل المضارع (تمشي) وأسأل: ما أصل الفعل؟ فيجيب أحد الطلاب (تمشي) حذف حرف العلة (الياء) ثم انتقل الى المثال الرابع وأشير الى الفعل المضارع (تياأسوا) وأصله تياأسون فأسأل: ما هو التغيير الذي حدث في الفعل؟ فيجيب أحد الطلاب: حذف النون من آخره وهكذا مع بقية الأمثلة.

والآن نعود الى الاداة (لم) ونلاحظ انها قطعت حركة الفعل (نسمخ) فبعد ان كانت الضمة اصبحت علامة السكون، فهي جزمت الفعل اي قطعته، فالجزم يعني قطع الحركة ثم أسأل: ماذا فعلت (لم) في زمن الفعل أيضاً؟ فيجيب احد الطلاب: نفي وجزم وقلب، والفعل (نسمخ) فعل مضارع مجزوم ب(لم) وعلامة جزمه السكون وهذا يعني ان اداة الجزم عندما تدخل على الفعل المضارع الصحيح الآخر فإنها تجزمه وعلامة جزمه السكون. وعندما تدخل على الفعل المضارع المعتل فإنها تحذف حرف العلة وعندما تدخل على الفعل المضارع من الافعال الخمسة تحذف النون وهكذا مع بقية الامثلة.

٣- استنتاج القاعدة:

في هذه الخطوة يستنتج المدرس مع الطلاب القاعدة الرئيسية ويكتبها على السبورة بخط واضح

وكالاتي:

- هـ) الجزم يعني القطع، قطع الحركة او الحرف.
- و) يجزم الفعل المضارع اذا سبقه إحدى ادوات الجزم.
- ز) الادوات التي تجزم فعلاً واحداً هي:
- ٥) لم: حرف جزم ونفي وقلب.
- ٥) لما: حرف نفي وجزم وقلب.

- لا الناهية: حرف جزم يطلب به الكف عن العمل.
 - لام الامر: حرف جزم يطلب به حصول الفعل.
 - ح) علامات جزم الفعل المضارع هي:
 - السكون: اذا كان صحيح الآخر.
 - حذف حرف العلة: اذا كان معتل الآخر.
 - حذف النون: اذا كان من الافعال الخمسة.
- الواجب البيتي: اطلب من الطلاب حل التمرينات الموجودة في الكتاب المقرر مع التأكيد على ضبط آخر الكلمة أثناء حل التمارين.

ملحق (٦)

استبانة في آراء الخبراء بشأن صلاحية فقرات اختبار التحصيل البعدي
الأستاذ الفاضل... المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يروم الباحث إجراء بحث (أثر استعمال النصوص الادبية الاثرانية في تحصيل طلاب الصف الرابع العلمي في مادة قواعد اللغة العربية). ويتطلب ذلك بناء اختبار تحصيل موضوعي لقياس أثر استعمال النصوص الادبية الاثرانية في تحصيل عينة البحث في الموضوعات الاثرانية (الفعل الماضي، والفعل المضارع، رفعه ونصبه وجرمه، بالادوات التي تجزم فعلاً واحداً والتي تجزم فعليين).
ولما لم يجد الباحث اختباراً تحصيلياً جاهزاً وموضوعياً أعد اختباراً تحصيلياً ليطبقه على عينة البحث بعد التجربة، ومن أجل أن يكون هذا الاختبار صادقاً لقياس تحصيل الطلاب (عينة البحث) يضع الباحث بين ايديكم هذا الاختبار.

راجياً إبداء ملاحظاتكم في صياغته وصلاحيته وملاءمته لقياس ما وضع له.

مع جزيل الشكر والامتنان

الباحث

اختبار التحصيل البعدي بصيغته النهائية

الاسم الثلاثي:

الصف والشعبة:

التاريخ:

الزمن:

ملحظ: الاجابة على ورقة الاسئلة نفسها.

عزيزي الطالب:

بين يدك (٢٠) فقرة اختبارية من نوع الاختبار من متعدد تمثل محتوى المادة التي درستها من كتاب قواعد اللغة العربية وتحت كل فقرة أربع اجابات، المطلوب قراءة كل فقرة بدقة والاجابة عليها بوضع دائرة

حول الحرف الذي يمثل الاجابة الصحيحة ولا تترك اي فقرة بلا اجابة.

مثال: الاداة التي تنصب الفعل المضارع هي:

(أ) لم (ب) أي (ج) لن (د) لما

١- علامة نصب الفعل المضارع المعتل الآخر بالواو أو الياء

(أ) الفتحة المقدرة للتعذر (ب) حذف الواو او الياء (ج) الفتحة الظاهرة (د) الفتحة

المقدرة للثقل

٢- الاداة التي تفيد الفعل المضارع في الزمن المستقبل هي:

(أ) لن (ب) لم (ج) لما (د) ما

٣- في قولنا (من يحترس ينحج) تعرب من:

(أ) حرف جر (ب) خبر مقدم (ج) مبتدأ (د)

مفعول به

٤- تكون صيغة فعل الامر من الفعل الماضي (رمي)

(أ) ارمي (ب) ارم (ج) ارمي (د) ارمي

٥- يبني فعل الامر إذا كان معتل الآخر على:

(أ) السكون (ب) حذف النون (ج) الفتح (د) حذف حرف العلة

٦- اللام في قولنا: (ليحاسبن كل واحد نفسه) هي:

(أ) لام الجحود (ب) لام التعليل (ج) حرف جر (د) لام الامر

٧- سأدرس معك، إذ سوف بك، اختر الفعل المناسب للفراغ:

(أ) اتشرف (ب) اتشرف (ج) اتشرف (د) اتشرف

٩- إذا سبقت (لم) الفعل المضارع (يدعو) تكون صيغته:

(أ) لم يدع (ب) لم يدع (ج) لم يدع (د) لم يدع

١٠- يبني الفعل الأمر إذا كان مسنداً الى (واو الجماعة) على:

(أ) الفتح (ب) السكون (ج) حذف حرف العلة (د) حذف النون

١١- الفعل المضارع المعتل الآخر بالألف إذا لم يسبقه ناصب أو جازم تكون علامة رفعه:

(أ) الضمة المقدرة للثقل (ب) الضمة المقدرة للتعذر (ج) الضمة الظاهرة (د) حذف حرف

العلة

١٢- اداة الجزم التي يطلب بها الكف عن العمل هي:

(أ) لم (ب) لام الامر (ج) لا الناهية (د) لما

١٣- قال الشاعر: بكت من الفقر فأحمرت مدامعها

يعرف بكت

(أ) فعل ماضي مبني على السكون.

- (ب) فعل ماضي مبني على الفتححة الظاهرة.
(ج) فعل ماضي مبني على الفتححة المقدرة للثقل.
(د) فعل ماضي مبني على الفتححة المقدرة للتعذر.
١٤ - قال تعالى: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ)) ابراهيم / ٤٢ يعرب الفعل (تَحْسَبَنَّ)
أ) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون
ب) فعل مضارع مبني على الفتح
ج) فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتححة
د) فعل مضارع مبني على الفتح في محل

جزم

١٥ - اذا اسند الفعل الماضي الى الف الاثنتين فإنه يبنى على:

- أ) الفتححة الظاهرة (ب) السكون (ج) الفتححة المقدرة على الالف

(د) الضمة

١٦ - أداة النفي التي تفيد توقع حصول المنفي بها هي:

- أ) لما (ب) لم (ج) لن (د) ما

١٧ - نون التوكيد الخفيفة تكون:

- أ) مضمومة (ب) ساكنة (ج) مشددة مفتوحة (د) مفتوحة غير مشددة

١٨ - يبنى الفعل الماضي اذا اتصلت به (تاء التأنيث) الساكنة على:

- أ) الضم (ب) السكون (ج) الفتح (د) الكسر

١٩ - أداة الشرط التي تفيد الزمان هي:

- أ) حيثما (ب) إذن (ج) أيان (د) كيفما

٢٠ - الطالبات يكتبنَّ الدرس. حركة النون في الفعل (يكتبن) هي:

- أ) الفتححة (ب) الضمة (ج) الكسرة (د) السكون

أبي الصلت الهروي صاحب الامام الرضا (عليه السلام)

Abi AL-Salt AL-Hirawi, the companion of Imam Ridha(A.S)

م.م علاوي مزهر مزعل المسعودي^(١)

Asst.Prof. Alawi Mizher Mizil AL-Masoudi

ملخص باللغة العربية

تناولت في صفحات هذا البحث شخصية إسلامية غاية في الأهمية رافقت الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وكان من المقربين له جدا ذلك هو الشيخ عبد السلام بن صالح الهروي أبا الصلت خدام الإمام الرضا عليه السلام كما كان يسمى نفسه فهو واحد من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وأما سره، والحق هو كذلك وعلى هذا الأساس من الإنصاف والعدل والواجب أن نتعرف أكثر على شخصيته وعن العلوم والمعارف التي نقلها أئمتنا الشيخ الهروي عن أهل البيت عليهم السلام ومن المؤسف حقا انه لا توجد مؤلفات كثيرة عن هذا الرجل المهم والمظلوم الذي يعد واحدا من رواد الحديث وخصوصا الحديث المنقول عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى ثلاث مباحث تناولنا في المبحث الأول تعريفها كاملا لأسمه ونسبه وولادته ونشأته وبداياته في نقل الحديث وكتابته، كما أسهبت متطرقا عن ابرز شيوخه وتلاميذه حتى وفاته سنة ٢٣٦هـ، أما المبحث الثاني فقد كان الحديث فيه عن أخبار الإمام الرضا عليه السلام التي نقلها الشيخ الهروي باعتباره كان ملازما ومقرب له عليه السلام فهو اصديق من ينقل عنه ويروي أحاديثه، فقد أورد وذكر قصة استشهاد الإمام الرضا عليه السلام بشكل مفصل لأنه الشخص الوحيد الذي كان عند الإمام عليه السلام ليلة استشهاد، وكذلك تحدث الشيخ الهروي عن المواقف التي دارت بين الحاكم العباسي المأمون والإمام الرضا عليه السلام بأدق تفاصيلها، اما المبحث الثالث فقد كان

١ - كلية ألطف الجامعة.

الحديث فيه عن الأحاديث النبوية الشريفة المروية عن ابي الصلت الهروي ونظرا لدقتها وصحتها لانها منقولة عن عالم ال محمد الامام الرضا عليه السلام فهي اذن اصدق ما روي من الاحاديث النبوية الشريفة واهمها، لذلك نالت جانب من الاهتمام والرعاية في هذا البحث. وقد اعتمدت على عدد من المصادر في اعداد وكتابة هذا البحث اهمها كتاب تهذيب الكمال في اسماء الرجال للحافظ جمال الدين المزي المتوفي سنة ٧٤٢هـ، وكتاب سيرة اعلام النبلاء للذهبي المتوفي سنة ٧٤٨هـ، ومصادر اخرى لايسع المجال لذكرها، اما المراجع الحديثة فقد كان اهمها كتاب خادم الامام الرضا عليه السلام ابي الصلت الهروي للمياحي ابو جهاد وكتاب مسامرة الامام الرضا عليه السلام لجليل عرفات.

Summary In English

Dealt with in thesis pages of this research a very important Islamic person that accompanied Imam Ali Ibn Musa Reza (As) and was close to him, he is: (Abdul Salam Bin Saleh Abu Salt Heravi) Imam Riza (As) Sever as he calls himself if, he is one of the followers of Imam Reza (As) and his secrets trustees, and he was, and for this its from quity and justice and the duty to know more about this person and his science and knowledge that by him to which is related with Ahl Al-Bayt (As).

It is really onfortunate that there are no books recieter about this important and oppressed man who is one of the pioneers of hadeeth especially hadeeth, that transferred from the faithful Imam Ali Ibn Abi Talib, especially (P).

The nature of the research has necessitated dividing it into three sections we had in the first part, a complete definition for his name and lineage and his birth and upbringing and his beginnings in the felid of hadeeth and write it 6 also I had toke along way talking about his teachers and students until his death in 236 AH, while the second section has been talk about the news of Imam Reza (As) that conveyed by sheikh Heravi because he was so cloused to him (A), is truer.

Than convey him and tells his talks, he cited the story of the martyrdom of Imam Reza (As) with details because he was the only person who was with Imam Reza at the night of his martyrdom, as well as sheikh Heravi situations occur that took place between Al Ma'moon and Imam Reza (As) with the smallest details. The third section has been talking about the hadith irrigated by Abe Salt Heravi and Due to the accuracy, validity, of it because it reproduces Imam Reza (As) so they believe to be the mosty Honest hadith every, so had gave attention and care for it in this research. I had relied on a number of sources in the preparation and writing of this research such as: (Tahtheeb Al Kamal of Asma'a Alrijal) for Hafiz

Jamaluddin Mazzi (Abu) Hajjak the year 742 AH, and the book: (serat Alam Al nobala for Al Thahabi) (d. 748 AH), and other sources that I can't mention. About the modern references was the most important book is: (Imam Reza (As) Abe Salt Heravi) for Maahi Abu Jihad and the book: (Mosayarat Al Imam Al Riza for Jalil Arafat).

المقدمة

تناولت في صفحات هذا البحث شخصية إسلامية فذة أفنت حياتها في خدمة عترة الرسول الكريم ﷺ وكان نصيبها خدمة سيدي ومولاي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ألا وهو الشيخ عبد السلام بن صالح الهروي، وكان الدفاع لاختيار هذه الشخصية والكتابة عنها، أتي قمت بزيارة ضريح الإمام الرضا عليه السلام وبعد إنهاء زيارتي للضريح المقدس طلبت أن ازور مرقد ومقامات أصحابه الكرام فتشرفت بزيارة مرقد الشيخ الهروي وبعد الاطلاع على سيرته وحياته ومحاورته وملازمته للإمام الرضا عليه السلام بحثت عن أصله وفصله وتأريخه فوجدته واحداً من أشهر واشرف علماء عصره وله شخصية كبيرة وصدق حديث فشعني ذلك على أن أكتب عنه هذا البحث المتواضع.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث كان الحديث في المبحث الأول عن اسمه الكامل ونسبه وولادته ونشأته وكيف رافق الإمام الرضا عليه السلام وأسلوب مرافقته، وكذلك رأي العلماء المحبين والحاقدين عليه وأبرز شيوخه وتلاميذه وسنة وفاته ونهاية حياته التي أفناها في خدمة سيده ومولاه الإمام الرضا عليه السلام وأسهب متطرقاً في المبحث الثاني عن أخبار الإمام الرضا عليه السلام التي أوردها شيخنا الفاضل أبي الصلت الهروي فهو أكثر من روى وحدث ونقل أخبار الإمام الرضا عليه السلام وذلك لأنه هو من لازمه أطول فترة في حياته وكان من اقرب المحبين للإمام، وقد تعلم منه الكثير الكثير ونهل من بحر علمه الواسع مما جعله المتفوق دائماً وفي كل المناظرات والجلسات العلمية التي أجراها مع المناهضين والمناوئين لأهل البيت عليه السلام كما إن الشيخ الهروي من الذين كرمهم الله سبحانه وتعالى ببركة العلم ونور قلبه بالأيمان الصادق ومحبة أهل بيت النبوة عليه السلام فهو آخر من نظر إلى الإمام الرضا عليه السلام وشارك في مراسيم غسله وتكفينه والصلاة عليه بعد استشهاده وروى ذلك إلى المقربين والمحبين وتعجب مما رأى في تلك الليلة التي استشهد فيها الإمام الرضا عليه السلام.

اما المبحث الثالث فقد كان الحديث فيه عن الأحاديث المروية عن الشيخ أبي الصلت الهروي وكيف كان شيخنا الجليل يسافر ويجوب البلاد بحثاً عن الصدق في رواية الحديث والتأكد من رواته ونقله مع التركيز على الأحاديث التي تخص أهل البيت عليه السلام وخصوصاً سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام لذلك تحم على الشيخ الهروي الحاقدين والمناهضين لأل رسول الله ﷺ وعترة الطاهرة واتهامهم الشيخ الهروي بالكذب والنفاق وحاشا لله أن يكون عبد السلام بن صالح الهروي من هؤلاء.

وقد اعتمدت على بعض المصادر في كتابة وأعداد هذا البحث كان من أبرزها كتاب سيرة أعلام النبلاء، للشيخ الذهبي المتوفى سنة ٧٣٨هـ وكتاب تهذيب التهذيب لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ، وكتاب

عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق وكتاب بحار الأنوار للشيخ المجلسي وكتاب معجم رجال الحديث للشيخ الطوسي .

المبحث الأول:- اسمه ونسبه وولادته ونشأته وتلاميذه وشيوخه

أسمه ونسبه:

عبد السلام بن صالح بن سليمان بن أيوب بن ميسرة بن هاوش وكان هاوش من مدينة هرات إحدى أكبر مدن خراسان القديمة في أفغانستان حالياً^(١).

وكان جده الأعلى هاوش قد وقع بيد الجيوش الإسلامية أسيراً أيام حكم عثمان بن عفان وعندما كانت الجيوش الإسلامية تواصل زحفها لنشر الديانة الإسلامية وإعلاء كلمه الله، كان هاوش فارساً وشاباً يمتاز بمهارة ركوب الخيل وخوض السباقات. ومن التقاليد المعروفة عند القادة العرب أيام الفتوحات الإسلامية هو جلب الحرفيين ومن له صنعه إلى المدينة للاستفادة من خدماتهم وصنعتهم، فكان هاوش واحد من هؤلاء الذين تم جلبهم إلى المدينة لبراعته في ركوب الخيل ومعرفة أنسابها وكيفية تدريبها وتربيتها^(٢).

تزوج هاوش في المدينة وأنجب أولاد وبنات وكان من الموالين لآل محمد ﷺ ومن المقرنين للأمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وأولاده عليّ بن أبي طالب وكان زواجه من السيدة فضة من نساء المدينة المنورة وتحالفه مع إحدى قبائل قريش برئاسة عبد الرحمن بن أبي سمرة القريشي، لذلك عرفت عائلة أبي الصلت الهروي فيما بعد بمولى عبد الرحمن بن سمرة القريشي.

ولادته ونشأته:

ولد عبد السلام بن صالح المكنى (أبا الصلت) في المدينة المنورة سنة ١٦٠هـ وسماه أبوه عبد السلام، ومنذ طفولته كان أبا الصلت الهروي محباً لمجالس العلم والعلماء والبحث، خصوصاً في علم الحديث لذلك تتلمذ على يد كبار العلماء مثل سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٧٨هـ ومن اجل طلب العلم سافر أبي الصلت الهروي إلى بلدان إسلامية كثيرة للبحث عن الحديث وعن الرواية وجالس العلماء وخصوصاً في بغداد حاضرة الدولة العباسية آنذاك والبصرة والكوفة ونيشابور والحجاز وبلدان إسلامية أخرى.

كانت بداية حياته أيام الإمام الرضا عليه السلام وكان من الملازمين له والرواة لأحاديثه وأخباره: بل في تهذيب الكمال) هو خادم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وذكروا عنه أنه كان عالماً فقيهاً أدبياً يرد على أهل الأهواء من المرجئة والجممية والزنادقة والقدرية وينظرهم وفي كل ذلك كان الظفر له^(٤) وذكروا أيضاً: أنه كان يقدم أبا بكر وعمر ولا يذكر أصحاب النبي ﷺ إلا بالجميل والخير^(٥) ولكن اغلب المؤرخين والرواة

٢ - الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٥٧٤٨هـ) سيرة أعلام النبلاء، تحقيق مصطفى عبد القادر، ط ١ (بيروت - ١٩٨٨م) ٤/٢٢٣.

٣ - م. ن ٤/٣٢٠.

٤ - أبو حجاج، الحافظ جمال الدين المزي (ت: ٥٧٤٢هـ) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشارة عواد، ط ١ (قم المقدسة ١٩٨٣م) ٦/٤١٢؛ الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، ١١/٧٤٧.

٥ - الرازي، أبي محمد عبد الرحمن بن حاتم (ت: ٣٢٧هـ) الجرح والتعديل، ط ١ (لا. ت) ٢/٣٤٥.

رموه بالتشيع لروايته عن الإمام الرضا عليه السلام وذكر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام الدالة على أفضليته وإمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كروايته للحديث القائل (أنا مدينة العلم وعلي بأبهما) ^(٦). والذي كان من أكثر الأحاديث التي أغاضت أعداء أهل البيت عليهم السلام وأعداء أبي الصلت الهروي مما دفعهم إلى الهجوم على أبي الصلت واتهامه بالكذب والخبث. رغم أن هذا الحديث جاء على لسان اغلب رواة الحديث فقد رواه الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه أبي معاوية، وإسماعيل بن مجالد وأبو الفتح الكوفي والحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي وأخرجه ابن الجوزي في كتابه الموضوعات ^(٧) وربما ذكر الشيخ الهروي لأهل البيت عليهم السلام الكثير وحببه لهم دفع أعدائهم والحاقدين عليهم إلى مهاجمة كل من يأتي بذكرهم والثناء عليهم وخاصة في العصرين الأموي والعباسي وهذا حال موضوع بحثنا العالم والفقيه أبي الصلت الهروي رغم انه كان يذكر أبا بكر وعمر وسائر الصحابة بالجميل والحسن ولا يغلو أبداً في ذكرهم ^(٨).

وقد ذكر ابي الصلت الهروي العديد من المؤرخين والمحدثين والرواة فمنهم من اطرا عليه وذكره بخير ورفع من شأنه، فقال عنه الشيخ النجاشي رحمته الله انه ثقة صحيح الحديث ^(٩) وذكره السيد الخوئي رحمته الله لا اشكال في وثاقته ولعلها من المتفق عليه بين المؤلف والمخالف ^(١٠) وذكره أيضا يحيى بن نعيم حيث قال: أبو الصلت نقي الحديث، ورأيتاه يسمع ولكن كان شديد التشيع ولم ير منه كذب ^(١١) وقال: عنه احمد بن سعيد الرازي إن أبا الصلت الهروي ثقة مأمون على الحديث، إلا انه يجب آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا دينه ومذهبه ^(١٢) وذكره الذهبي في سيرة أعلام النبلاء فقال: عنه الشيخ العالم العابد شيخ الشيعة، له فضل وجلال... وكان زاهداً متعبداً ^(١٣) ومع هذا الإطراء والثناء من قبل كل هؤلاء المحدثين والرواة فقد فذفه البعض الآخر واتهموه بالكذب والخبث فقال عنه أبو احمد بن عدي الجرجاني: له عن عبد الرزاق أحاديث مناكير في الفضائل، وهو متهم في هذه الأحاديث ^(١٤) كما اتهمه أبو جعفر العقيلي وقال عنه: رافضي خبيث، ومرة يقول عنه كذاب، ومرة غير مستقيم الأمر ^(١٥) ولكن ابن حجر رد على العقيلي فقال أفرط

- ٦ - ابن حجر، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح أبو غده، مكتبة المطبوعات الإسلامية (لا. ت) ١/٦٦.
- ٧ - ابن الجوزي، جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ) الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢ (بيروت. ١٩٨٣م) ١/٣٥٠. ٣٥٢.
- ٨ - الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، ١١/٤٤٧.
- ٩ - النجاشي، احمد بن علي الكوفي (ت: ٤٥٠هـ) رجال النجاشي، ط ٥ (طهران. ١٩٧٥م) ص ٢٤٥.
- ١٠ - م. ن، ص ٢٤٥.
- ١١ - الكشي، أبي جعفر الطوسي، محمد بن الحسين (ت: ٤٦٠هـ) اختيار معرفة الرجال المعروف {رجال الكشي} تحقيق السيد محمد رجائي (قم المقدسة. لا. ت) ٢/٨٧٢.
- ١٢ - م. ن، ٢/٨٧٢.
- ١٣ - الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، ١١/٤٤٦.
- ١٤ - الجرجاني، أبو احمد عبد الله بن عدي بن عبد الله (ت: ٣٦٥هـ) الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق لجنة من المختصين بيروت. لا. ت) ٢/٣٣٢.
- ١٥ - العقيلي، أبي جعفر محمد بن عمرو موسى (ت: ٣٢٢هـ) الضعفاء الكبير، تحقيق الدكتور عبد المعطي صلحجي، دار الكتب العلمية بيروت. ١٩٨٠م) ٦/١٥٢.

العقيلي في قوله كذاب^(١٦) كما نال منه أبو حاتم الرازي فقال: لم يكن عندي بصدوق وهو ضعيف^(١٧) وبعد البحث عن شخصية أبي الصلت الهروي وجدنا إن اغلب رواة الحديث وأفقههم كانوا يخصون أبي الصلت بالثناء والمدح وحسن السير وصدق الحديث ولم يذكره بالسوء إلا الموالين للأمويين والعباسيين.

شيوخه وتلاميذه:

كان أبي الصلت الهروي قد تتلمذ على يد ابرز وأشهر علماء عصره وعلى رأسهم الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين) فهم اعلم الأولين والآخرين، وكذلك الشيخ والفقهاء إمام عصر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني والإمام مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو أبو عبد الله الاصبحي الحميري، والاصرم بن غياث النيسابوري الخراساني الشيباني أبو غياث وجرير بن عبد الحميد بن جرير بن قرط بن هلال بن النضر أبو عبد الله الكوفي الرازي وسفيان بن عيينة بن ميسون أبو احمد المكي الهلالي، وغيرهم الكثير وهؤلاء هم النخبة من العلماء والفقهاء والمعروفين آنذاك^(١٨).

أما ابرز تلاميذه وهم كثيراً أيضاً ومنهم الفقيه و العالم المعروف عبد الله بن احمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الرحمن البغدادي الشيباني، وعلي بن محمد بن علي بن حيان أبو الحسن الخزازي ومحمد بن أيوب بن سنان بن يحيى أبو عبد الله البجلي الرازي ومحمد بن زكريا بن يحيى بن صالح أبو شريح القفاعي ويعقوب بن يوسف بن أيوب أبو البكر البغدادي وهؤلاء هم نخبة الأولى من تلاميذ الشيخ الفاضل أبا الصلت الهروي الذي روى عن الثقات من العلماء عصره وفي مقدمتهم الإمام علي بن موسى الرضا^(عليه السلام) وإسماعيل بن عياش وجرير بن عبد الحميد وجعفر بن سليمان الضجعي وحماد بن زيد^(١٩).

ومما ذكر عن شيخنا الفاضل أبي الصلت الهروي ما كتبه الشيخ الطوسي إذ قال عنه من أبناء العامة^(٢٠) وربما كان قول الشيخ الطوسي هذا سنداً إلى مواقف الشيخ أبي الصلت الهروي من صحابة رسول الله ^(صلى الله عليه وآله وسلم) عند ذكرهم فهو كما أسلفنا يذكرهم بالحسن والجميل والخير دائماً لذلك كان يتهم بأنه من السنة وأحياناً أخرى يتهم بأنه من الشيعة ولكن في حقيقة القول انه شيعياً تتلمذ ودرس على يد الإمام علي بن موسى الرضا^(عليه السلام) بل كان خادماً ونديمة الذي لا يفارقه، ومن أشهر مؤلفات العالم والفقيه أبي الصلت الهروي كتابه وفاة الإمام الرضا ^(عليه السلام) والذي أورد فيه بحث مفصل عن حياة الإمام علي بن موسى الرضا ^(عليه السلام) وأحاديثه وما جرى له في حكم المأمون العباسي.

١٦ - ابن حجر، تهذيب التهذيب، ط ١، دائرة المعارف النظامية (الهند. ١٠٠٤م) ١٣٣/٢.

١٧ - الرازي، الجرح والتعديل، ٣٤٥/٢.

١٨ - الرازي، الجرح والتعديل، ٣٤٧/٢.

١٩ - م. ن. ٣٤٧/٢.

٢٠ - الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ). معجم رجال الحديث، ط ١ (النجف الاشراف. ٢٠٠٤م)

وفاته :

توفي الشيخ الهروي في سنة (٢٣٦) هـ في مدينة نيشابور وهذا يعني إن وفاته كانت بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام بجوالي ثلاثين عام، وأوصى بأن يدفن إلى جانب سيده ومولاه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فنقلت جنازته إلى طوس وبالأخص سنباذ حيث مزار الإمام الرضا عليه السلام ولكن السلطات العباسية آنذاك لم توافق على دفنه إلى جانب الإمام الرضا عليه السلام وأوقفوا جنازته في بوابة طوس، أعني منطقة طرق القديمة والحالية فدفن على بُعد فرسخين من مرقد الإمام الرضا عليه السلام واليوم مزاره محل تردد المسلمين من الشيعة والسنة على السواء وهو على بعد أربعة كيلومتر من مدينة مشهد المقدسة أثنى عشر كيلومتر عن الحرم الرضوي الشريف ^(٢١) وقد أولت حكومة الجمهورية الإسلامية في إيران كل الرعاية والاهتمام بالمراقد والمزارات الموجودة هناك فوجد ضريح الشيخ أبي الصلت الهروي واحد من أكبر المزارات يزهو بأفخر أنواع البناء والرياسة وجمالية المكان وينال حُسن الرعاية والاهتمام شأنه بذلك شأن كل المزارات والمراقد الدينية .

المبحث الثاني: - أخبار الإمام الرضا عليه السلام عن أبي الصلت

هناك الكثير من العلماء والمحدثين في التأريخ الإسلامي وقد ورد عنهم أخباراً جمّة عن أهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم) ولكن أخبار الشخصيات الملازمة لهم بالتأكيد تكون أكثر دقة وتفصيلاً فهذا الشيخ الهروي يروي لنا كل صغيرة وكبيرة عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فيقول أبي الصلت الهروي من خلال ملازمتي ومرافقتي لعالم آل محمد صلى الله عليه وآله حظيت بما لا يحصى به غيري... فخصني الله بهذه الدرجة العظيمة والمنزلة الرفيعة لأني كنت خادم الإمام الرضا عليه السلام ^(٢٢) ويضيف أيضاً فيقول عندما تذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام ومصيبة الإمام الرضا عليه السلام واستشهاده يذكر اسمي معها فيقول الخطباء قال الإمام الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت أغلق باب الحجرة وأجمع الفراش أريد أن استشهد كما استشهد جدي الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء على الأرض والتراب، يتحدث شيخنا أبي الصلت الهروي فيقول: جاء شهر رمضان المبارك وجمع الإمام الرضا عليه السلام فراشه استعداداً للعبادة و التهجد حتى وصل عيد الفطر المبارك فطلب المأمون العباسي من الإمام الرضا عليه السلام أن يأتم بالمسلمين في صلاة العيد ولكن الإمام الرضا عليه السلام كان عالماً بما يريد المأمون وما عنده من أهدافا يسعى لتحقيقها بحيث أصبح وجود الإمام الرضا عليه السلام يجنب حكم العباسيين أمر لا يطاق وخطر يدهم حكمهم ليل نهار، فمناظرات الإمام عليه السلام مع أصحاب الأديان والمذاهب المختلفة وإذعان هؤلاء واعترافهم بعلم وأحقية الإمام الرضا عليه السلام وحُب الناس الذي كان يزداد يوم بعد يوم وعدم قبول ولاية العهد إلا بشروط منها أن لا ينصب الإمام عليه السلام ولا يعزل أي مسؤول ولا يتدخل في شؤون الدولة وضعه المأمون في زاوية حرجة أخرجته يوماً بعد يوم ^(٢٣).

٢١ - المياحي، أبو جهاد ، خادم الرضا أبا الصلت الهروي ، ط١ (مشهد. لا. ت. ص) ١٦/١٧.

٢٢ - غلام رضا اكبري ، أبا الصلت الهروي ، ط١ (قم المقدسة. ٢٠٠٨ م) ص ٦٦.

٢٣ - الشيخ الصدوق ، أبي جعفر محمد بن علي ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ط١ (بيروت. ٢٠٠٧ م) ص ٤٥١:٤٥٠.

رفض الإمام عليه السلام عرض المأمون لأقامة صلاة العيد إلا بشروط منها انه يقيمها كما كان يقيمها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وعلي ابن أبي طالب عليه السلام وإلا لا يخرج للصلاة، فقبل المأمون ذلك وقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مَنْ أَفْضَلُ مِنْكَ وَأَنْتَ السَّيِّدُ ابْنُ السَّادَةِ فَأَفْعَلُ مَا تَرِيدُ، فقال الإمام عليه السلام أخبروا الناس قبل ثلاثة أيام في المدينة وأطرافها بأن تقام صلاة العيد هذه السنة بإمامتي وان تقام الصلاة بطريقة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعلي ابن أبي طالب عليه السلام فددت الطبول في شوارع المدينة وأزقتها وذهب المخبرون وقد ركبو الخيول وزينوها إلى أطراف مرو والكل ينادي أيها المسلمون ستقام صلاة العيد لهذه السنة بإمامة عالم آل محمد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وبطريقة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام وشاع الخبر بجميع نواحي مرو وأطرافها وأبتهج الناس بهذا الخبر حتى شعر المسلمون بأنهم يصلون خلف النبي صلى الله عليه واله وسلم وجاء يوم العيد الأول من شوال، فهرع الناس رجالاً ونساءً شيوخاً وشباباً إلى الشارع المؤدي إلى بيت الإمام الرضا عليه السلام وكان في طليعة هذا السيل العظيم من الناس الوزراء والمستشارون والعسكريون ومسؤولوا الدولة وفي جانبي الشارع تضرب الطبول وتقرع الأبواق ابتهاجاً بفرحة العيد وفرحة إمامة الرضا عليه السلام للصلاة فيه. الكل واقف وكان الطير على رؤوس الناس فطلبوا من الإمام الخروج إلى صلاة العيد، فما كان منه عليه السلام إلا أن قال: دعوا الناس تتجمع بأكملها حتى لا ينحرم أحد من ثواب صلاة العيد وبدأ عليه السلام يغتسل ويعطر بأطيب العطور وشم عن ساعديه وساقيه حتى المرافقين والركبتين، ويقول أبا الصلت فوضعت أمامه النعل فقال: يا أبا الصلت اليوم من أيام الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأمير المؤمنين عندما يخرجون لصلاة العيد يخرجوا حفاة الإقدام قد شمروا لباسهم عن ساعديهم وسيقاتهم ووضعوا طرف العمائم على أعناقهم وأنا أفعل ما فعلوه، فليرى الناس كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعلي ابن أبي طالب عليه السلام .(٢٤)

يقول الهروي أخذتني هيبه الإمام عليه السلام ومظهره الذي يظهر الخوف والخشوع لله تعالى وكأني واقف أمام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فأخذني البكاء والخشوع وهولت إلى الباب لأفتحه حتى يرى الناس هذا المظهر الإلهي العجيب الذي لم أره قط في حياتي، فتحت الباب وضح الناس بالتكبير والتهليل وتحرك الجمع نحو الدار وكان سيلاً نزل من جبال مكة نحو السهل، كبرت وأوميت إلى الناس أن يبقوا في مكائهم ولا يثيروا الضجة، وسيخرج الإمام عليه السلام ألان، فخرج الإمام عليه السلام من الدار إلى صحن الدار فكبر ثلاثاً حتى وصل الباب وأنا خلفه وباقي الخدام والعلماء خلفي ونحن نكبر بعد الإمام الرضا عليه السلام فلما وصل إلى الباب وخرج إلى الشارع ورأى الوزراء والمستشارين ومسؤولي الدولة وضع الإمام عليه السلام وهيبته وقد شم عن ساعديه وساقيه ولم يحتد بنعل نزلوا من خيولهم وخلعوا أحذيتهم وطأطأوا رؤوسهم وكبروا لله تعالى وفسحوا الطريق للإمام ومن معه: أما عامة الناس فيصفهم الشيخ الهروي بأنهم كانوا كالبحر المتلاطم بموج يميناً وشمالاً بحيث أصبح الوضع لا يمكن السيطرة عليه وأما الحرس والحمايات فقدفقدوا السيطرة على الوضع نهائياً وكانت أصوات دق الطبول تزداد وتتعالى كلما شاهد ضاربوا الطبول وعازفوا

الأبواق الإمام الرضا عليه السلام وهو يتعدى من أمامهم كتعظيم سلام وتحية لجلال مقدمه الكريم واستمر الإمام عليه السلام بين الزحام يشق طريقه الى ساحة المدينة الكبيرة حيث تقام صلاة العيد. وكما أوردنا أصبحت الحالة في المدينة لا يمكن السيطرة عليها ولم يبق تمييز بين وزير ولا مستشار ولا مسؤول وقد اختلط الحال بالنبال، فضج الناس بالبكاء وهم ينادون يا رسول الله يا محمد يا علي بن موسى الرضا (عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه) السلام عليك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله والتكبير والتهليل يزداد من كل حذب وصوب فأرسل وزير المأمون رسولاً إلى المأمون يقول له عن لسان الوزير: أيها الخليفة إذا كان لك أمل في خلافة بني العباس وتريد حياتك وخلافتك فأرجع علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى بيته لأن الوضع أصبح قاب قوسين أو أدنى من سقوط الخلافة بأكملها. فأصدر المأمون أمره إلى الإمام الرضا عليه السلام بأن يرجع إلى بيته فوراً وقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أنا قلق على سلامتك من هذا الوضع في المدينة أرجع سأكلف غيرك أن يأتهم بالمسلمين فرجع الإمام عليه السلام إلى بيته والناس تبكي وتنادي يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله صلي بنا ولو مرة واحدة في حياتنا لنرى صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وجدك أمير المؤمنين عليه السلام. ولهذا وقع المأمون في ورطة سياسية كبيرة كادت أن تؤدي بحكمه إلى الأبد فرجع الناس وهم يبكون وهمج عدد منهم بالحجارة على الحراس والحمايات وعدد آخر نادوا بالشعارات المناوئة لحكم المأمون وظلمه وضجت الضجة على دار الخلافة ورجع الناس إلى بيوتهم وهم يلعنون المأمون وبني العباس (٢٥).

سفر الإمام الرضا عليه السلام إلى مدينة سرخس:-

ذكر شيخنا أبي الصلت الهروي قائلاً: عندما نزلنا مع الإمام الرضا عليه السلام إلى مدينة سرخس وهي مدينة بيت الطوس ومرو وتبعد عن مدينة مشهد تقريبا ١٤٦٦ كم شرقاً، نزل الإمام الرضا عليه السلام في بيت كأنه سجن وهذا ما أراده المأمون العباسي، وكان على أبي الصلت أن يزور سيده الإمام الرضا عليه السلام بين الحين والآخر في ذلك المنزل، ولكن كان يواجه صعوبات من قبل الحراس حول تلك الزيارات فقد منعه أكثر من مرة، فلجاء إلى أسلوب الرشوة للدخول إلى البيت وزيارة الإمام عليه السلام. وبعد أن أعقد في العطاء على الحراس كان ردهم: ليس الأمر أن لا نعطيك أجازة للزيارة، بل إن السيد المقصود الإمام الرضا عليه السلام ليس لديه وقت للزوار واللقاء.

يقول أبي الصلت فتعجبت من هذا الكلام وقلت: ما معنى ليس لديه وقت للقاء؟ ما عمل السجين حتى لا يسمح له وقته بزيارة قصيرة؟ قلت الكلام لأبي الصلت اعتقد أنه يصلي في الليل والنهار ألف ركعة، غير النوافل، فهو في الصباح والظهر والمغرب يصلي ويجلس في مصلاه ويدعو ربه. ويذكر أبي الصلت: طلبت من الحراس أن يتفضل علي ويأخذ لي أجازة زيارة في أي وقت لديه فراغ. وفي النهاية وبعد إلحاح كثير وصبر دخلت على الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فرأيتُه سجيناً مهموماً وحالسا في المحراب في حالة تفكير وعندئذ أغرورقت عيناي بالدموع ولكن سعيت أن أسيطر على

أحاسيسي فسألته عن دعايات توجد بين الناس، فقلت: يا ابن رسول الله ﷺ ما هذه الدعايات التي توجد بين الناس، والتي نسبت إليك؟ فقال الإمام الرضا عليه السلام: ماذا يقولون؟ قلت، يقولون بأنك تقول وتدعي بأن جميع الناس عبيد لكم! فرفع الإمام رأسه إلى السماء مهموماً ومتعجباً وقال: ألهي، يا خالق السموات والارضين وعالم بالعلن والسر! وأنت تشهد بأني لم أقل هذا مهما كان الأمر، ولم أسمع هذا من آبائي وأجدادي! وأنت عالم بالظلم الذي حل بنا من هؤلاء ومن هذه الأمة وهذه هي أحد المظالم في حقنا (٢٦) يقول الشيخ الهروي وألغت إلى الإمام الرضا عليه السلام: يا عبد السلام! إذا كان الناس يقولون عنا هذا كل الناس عبيدنا فكيف بالأحرار وهم ليسوا عبيداً من من اشتريناهم؟ (٢٧) يقول شيخنا: فلمت نفسي فقلت لماذا لم يخطر بذهني هذا الجواب فيتسم الإمام الرضا عليه السلام: قلت: نعم يا ابن رسول الله ﷺ صحيح ما تقوله. سألني بتعجب ولعل الإمام عليه السلام أراد أن يبهني ويبخني فقال: يا عبد السلام: لاسامح الله: أنت لست منكرًا لهذه الولاية التي وجبها الله تعالى لنا؟ فقلت له بارتباك لا... لا... لا! أعوذ بالله، أسأله أن لا يبقيني لهذا اليوم الذي أفكر بهذا الشكل ولو للحظة واحدة، أنا بكل ودودي مؤمن بولايتكم يا ابن رسول الله ﷺ. (٢٨)

علي قسم الجنة والنار:

ذكر لنا الشيخ الهروي رواية وحديثاً دار بين الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام والمأمون العباسي فقال: المأمون جالساً في قصره يوماً وكان الإمام الرضا عليه السلام جالساً بجانبه، فألغت المأمون للإمام وقال: يا أبا الحسن! منذ مدة شغلت بالي قضية، فكرت أن أطرحها عليك حتى أسمع الجواب منك، فقال الإمام عليه السلام: وما هذه القضية؟ فقال المأمون: الرواية التي تقول بأن جدك علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار فكيف يكون ذلك فأجاب الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: يا أمير! ما سمعت من آبائك عن عبد الله بن عباس؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: حب علي أيمان وبغضه كفر، فقال المأمون: نعم والله سمعت ذلك فقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: وعلى هذا فكل محب للأمام علي بن أبي طالب عليه السلام يذهب إلى الجنة وكل مبغض وعدو لعلي يذهب إلى النار وعلى هذا الأساس فعلي قسيم الجنة والنار (٢٩) فقال المأمون: يا أبا الحسن! لا أبقاني الله لحظه بعدك وأشهد بأنك وارث علم رسول الله ﷺ فلما وصل الإمام المنزل جلست جنبه بكل شوقاً وفرح وقلت: يا ابن رسول الله ﷺ ما أعجب من جواب أجبت به المأمون عن علي بن أبي طالب عليه السلام وأعتقد بأن ذلك هو الجواب المناسب للمأمون، فقال الإمام الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت! قلت له بمقدار الحاجة ومنزله وإلا الموضوع يحتاج إلى أكثر من ذلك، لأني سمعت عن أبي وهو سمع من آباءه

٢٦ - المياحي، أبي الصلت الهروي، ص ١١٠.

٢٧ - م. ن، ص ١١٠.

٢٨ - غلام رضا أكبري، أبي الصلت الهروي، ص ٨٧.

٢٩ - الخوارزمي، أبو مؤيد الموفق بن احمد بن محمد البكري (ت: ٥٦٨ هـ) مناقب الخوارزمي، محمد رضا الموسوي (النجف الاشرف

١٩٦٥م) ص ١١٢.

عن أمير المؤمنين عليه السلام نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي! أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة وتقول لجهنم هذا اشخص لي وذلك لك (٣٠).

ذكر الشيخ الهروي يقول: سمعت في أماكن مختلفة ومناسبات متعددة من الإمام الرضا عليه السلام سوف يقتل بالسم بيد المأمون العباسي لا ببارك الله فيه لكن كنت أرجو من الله تعالى أن لا تقع هذه المصيبة ولا يأتي ذلك اليوم أو على الأقل أن لا يكون المصاب قريباً حتى لا أكون حياً وارى مصرع الإمام الرضا عليه السلام يوماً، وأمرني عليه السلام قائلاً: يا أبا الصلت اذهب إلى تلك القبة التي دفن فيها هارون الرشيد وأني بقبضة تراب من الإطراف الأربعة للقبر ولكن حذراً أن يختلط التراب بيدك (٣١) يقول أبا الصلت فذهبت إلى قبر هارون وفعلت كما أمرني الإمام عليه السلام ووضعت التراب على قطعه من القماش ووضعتها أمام سيدي ومولاي علي ابن موسى الرضا عليه السلام فنظر الإمام عليه السلام إلى ذلك التراب ووضع يده على كومة التراب الذي جلبته من الجهة المقابلة لباب القبلة وقال: هذا التراب الذي أخذته من مقابل الباب؟ فأني الذي رأى العجائب الكثيرة من علم الإمام وإمامته، لم يستغرب كثيراً من معرفته لمكان جلب التراب وقلت: نعم يا سيدي! لكن الجملة التي قالها الإمام عليه السلام بعد ذلك كانت عجيبة وبعيدة عن المتوقع، إذ قال: غدا سيحفرون في هذه التربة قبراً وسوف يصطدمون بصخرة صماء لا يمكن أن يفعلوا معها شيئاً فالحقا التراب جانباً ثم وضع يده على كومة التراب الذي جلبته من جانب القبر فقال: هذا التراب الذي جئت به من الجهة اليمنى من قبر هارون الرشيد فقلت: نعم يا مولاي، فقال عليه السلام وهنا سوف يصطدمون بمرتفع حاد القمة، لا يمكن الحفر به أبداً ثم وضع يده على التراب الذي جلبته من الجهة اليسرى للقبر وقال: هنا أيضاً سيجدون مرتفع مثل المرتفع الأيمن للقبر. وأيضاً ألقى بهذا التراب جانباً، وألان بقي التراب الذي جلبته من جهة رأس هارون الرشيد اخذ هذا التراب وقال: في هذه التربة لا توجد مشكله وسوف تشارك أنت في حفر قبوري، وعندما تصل إلى قعر القبر ضع يدك على قعر القبر وقرأ هذه الكلمات: يقول أبا الصلت علمني الإمام الرضا عليه السلام كلمات وأذكار حفظتها جميعاً ولكن بعد الانتهاء من مراسيم دفن الإمام عليه السلام نسيتهما بالكامل فكان هذا الأمر من العجائب ثم استمر الإمام بكلامه وقال: عندما تقرأ هذه الكلمات والأذكار سيخرج الماء بقوة من داخل القبر حتى يملأ القبر بالماء وفي هذه الإثناء سوف ترى أسماك صغيرة وكبيره داخل الماء، خذ هذه القطعة من الخبز اسحقها وانثرها بالماء حتى تأكل الأسماك منه وعندما تأكل الأسماك الصغيرة فتأفيت الخبز تخرج سمكه كبيره وتأكل جميع الأسماك الصغيرة ثم تختفي عن الأنظار. ثم أقرأ مرة أخرى الكلمات والأذكار سوف تبتلع الأرض كل الماء في القبر، أدعو المأمون نيابة عني حتى يحضر مراسيم الدفن ويشاهد هذه الحالة عن قرب. فقلت: وإذا لم يقبل: فقال عليه السلام سيقبل حتماً ألان سيأتي رسول المأمون لي، أنت تعال معي إلى مجلس

٣٠ - المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١هـ) بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ١ (طهران ١٩٨٩م) ٤٩/

١٧٣؛ الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ٢٣٩.

٣١ - الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ٢٣٩.

المأمون وعند الخروج من المجلس، إذا رأيت عباةتي على متني فكلمني في أي موضوع تحب، أما إذا رأيت عباةتي على رأسي فلا تكلمني ولو بكلمه واحد^(٣٢).

ويقول الشيخ الهروي يصف حاله بعد أن سمع هذا الكلام من الإمام الرضا^(عليه السلام) فقال: إن هذه الكلمات من الإمام^(عليه السلام) ألقت النار في قلبي وباليمني مَث قبل هذا ولم أَر هذا اليوم، لبس الإمام^(عليه السلام) لباسه وذهب خلف رسول المأمون وأنا خلفه ولأن الجميع يعرف بأبي مرافق وخادم الإمام^(عليه السلام) استطيع أن احضر مع الإمام في أي مكان. وعند وصولنا مجلس المأمون ووقع نظره على الإمام^(عليه السلام) فقام من مكانه ونزل من تحته وقبل الإمام^(عليه السلام) من بين عينيه واجلس الإمام بجانبه، كان أمام المأمون طبق جميل ونظيف ومملوء بالعنب الممتاز فمد المأمون وأخذ منه عنقوداً وأكل نصفه وأعطى النصف الثاني الذي سقي بالسم إلى الإمام^(عليه السلام) وقال: هذا العنب اهدي إليك وهو من النوع النادر، فكيف أستسيغه وأكله وأنت لم تشاركني به أرجوك يا ابن رسول الله أن تأكل منه، إما الإمام^(عليه السلام) فقد كان يعلم بالأسرار والغيب يعلم الله تبارك وتعالى فأجاب قائلاً: أعفني عن هذا الأمر: ولكن المأمون أصر على ذلك، وقال: قسما بالله، إذا تأكل منه سوف أكون مسروراً فأعتذر الإمام^(عليه السلام) ثلاث مرات وفي كل مرة يقسم على الإمام بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلي^(عليه السلام) أن يأكل منه ولو بمقدار قليل فأكل الإمام^(عليه السلام) مجبراً فقط ثلاث حبات من هذا العنب ووضع عباةته على رأسه وخرج من المجلس وعندما رأيت الإمام قد وضع عباةته على رأسه علمت بحلول البلاء ووقوع المصيبة وإن المأمون قد فعلها: وبما إن دار الإمام الرضا^(عليه السلام) لا تبعد كثيراً عن قصر المأمون إلا أن الإمام^(عليه السلام) كان يجلس ويقوم عدة مرات من شدة السم خلال هذه المسافة القصيرة وعندما وصلنا إلى البيت، كان الإمام^(عليه السلام) لا يستطيع الكلام فأشار إليّ أن أغلق الباب فأغلق الباب بأحكام من الداخل حتى لا يمكن لأحد دخول الدار ويسبب الأذى للإمام^(عليه السلام) وعندما ذهب الإمام إلى المكان الذي كان يجلس به دائماً ألقى بنفسه على الأرض وتمدد وأنا بقيت في حيرة من أمري انظري يميناً وشمالاً وانظري إلى ساحة الدار، وإذا بصبي يشبه كثيراً الإمام الرضا^(عليه السلام) لم أره من قبل، احتملت بأنه ابن الإمام الرضا^(عليه السلام) وقلت: سيدي: الباب موصد ومغلق، من أين دخلت! والحقيقة ما كنت اعلم بأنه هو الإمام بعد الرضا^(عليه السلام) وهو الإمام الجواد^(عليه السلام) لم أسأل هذه قط لأنني رأيت بعيني كل المعجزات من الإمام^(عليه السلام) فأن مجي الإمام الجواد^(عليه السلام) من المدينة إلى طوس ودخوله الدار وهي مغلقة الأبواب لم يكن شيئاً عجيباً على الإمام لعلمهم ومعجزاتهم. وأجابني ذلك الشاب ذو الوجه النور قائلاً: لا تسأل عن أشياء لا تخصك^(٣٣) وأسرع إلى الإمام الرضا^(عليه السلام) فلما وقعت عين الإمام الرضا على ولده محمد الجواد^(عليه السلام) قام من مكانه رغم الضعف، والوضع الأليم الذي يعاني منه، واعتنق الإمام الجواد^(عليه السلام) وضمه إلى صدره الشريف وجلس الاثنان على فراش الإمام الرضا^(عليه السلام) فألقى الإمام^(عليه السلام) العباة على رأسيهما وشرعا بالنجوى، ولم أفهم شيئاً من نجواهما، وبعد ذلك تمدد الإمام الرضا^(عليه السلام) من مكانه وغطاه الإمام الجواد بهذه العباة وجاء إلى صحن الدار وناداني باسمي وقال: يا أبا الصلت وقلت خادكم يا ابن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلمني بكلمات التسلية

٣٢ - الشيخ الصدوق، عيون اخبار الرضا^(عليه السلام) ص ٢٤٠.

٣٣ - المياحي، أبا الصلت الهروي، ص ١٣٢ - ١٣٣.

علمت بأن روح الإمام الرضا عليه السلام التحقت ببارئها ! فبكيت بكاءً شديد فكان كلام الإمام الجواد عليه السلام هكذا! عظم الله أجرك في الرضا ذهب الإمام الرضا عليه السلام فلما رأى بكائي قال: الآن لا تبكي أذهب وأحضر وسائل التمسيل و التكفين وأتني بالماء حتى تقوم معاً تجهيز الإمام عليه السلام وبما أني عشت طويلاً بهذا البيت بجانب الإمام الرضا عليه السلام وأعلم بكل ما فيه، فقلت: سيدي الماء موجود في البيت، ولكن لا يوجد مغتسل إلا أن تأتي به من خارج البيت لكن الإمام الجواد عليه السلام قال: يوجد مغتسل في المخزن! إما أنا فمرات عديدة دخلت المخزن ورتبت ما فيه ولم أرى مغتسلاً فيه رغم هذا امتثلت لأمر الإمام الجواد عليه السلام ودخلت المخزن و إذا هناك أشاهد مغتسلاً جديداً ونظيفاً فوضعنا الإمام الرضا عليه السلام على المغتسل ^(٣٤) وأردت أن أشارك الإمام الجواد عليه السلام بكل أعمال تغمسيل وتكفين سيدي ومولاي الإمام الرضا عليه السلام ولكن الإمام الجواد عليه السلام قال: قف أنت جانبا ستساعدني الملائكة و لا حاجه إليك، فلما انتهى التغمسيل قال الإمام الجواد عليه السلام أتني بالكفن والحنوط، فقلت: لم نعد الكفن والحنوط فقال الجواد عليه السلام أيضاً: الكفن داخل المخزن. فكان الكفن والحنوط داخل المخزن، ولم أراهما مطلقاً طول مدة بقائي في خدمة الإمام عليه السلام فقال الإمام الجواد عليه السلام مرة أخرى: أتني بالتابوت يقول الشيخ الهروي حجلت أن أقول لا تملك تابوت، وذهبت مباشرة إلى المخزن فرأيت تابوتا لم أراه من قبل مطلقاً، فرفعته وأتيت به ووضعته مقابل الإمام الجواد عليه السلام صلينا صلاة الميت على جنازة الإمام الرضا عليه السلام وكان وقتها الغروب وغابت الشمس خلف الجبال المحيطة بمدينة طوس من الجنوب والتي تسمى الآن بسلسلة جبال بينالود وهي الجبال الواقعة شمال مدينة نيشابور أيضاً صلينا صلاة المغرب وأنا خلف الإمام الجواد عليه السلام وبعد الصلاة انشغلنا بالكلام وفجأة انشق السقف وارتفع التابوت نحو الأعلى وذهب إلى السماء فكان هذا الأمر سهلاً على الإمام الجواد عليه السلام إما أنا فقد ارتبكت وقلت للإمام الجواد عليه السلام : سيدي سيطلبنا المأمون بجنازة الإمام الرضا عليه السلام فماذا نقول له وماذا نفعل؟ فأجاب الإمام الجواد عليه السلام براحة بال وبدون قلق قائلاً يا أبا الصلت لا ضير عليك لا تقلق سترجع جنازة الإمام الرضا عليه السلام إلى مكانها قريباً. وأضاف قائلاً يا أبا الصلت لا يموت نبي في مغرب الأرض إلا أن يجمع الله تعالى بينه وبين وصيه عندما يموت في مشرق الأرض قبل دفنه. فلما اقترب الليل من نصفه انشق السقف مرة أخرى ونزل التابوت في مكانه الأول فلما صلينا صلاة الصبح قال الإمام الجواد عليه السلام اذهب يا أبا الصلت وافتح باب الدار الآن يأتي الطاغية المأمون إليك وقل له جهزنا الإمام الرضا عليه السلام فذهبت إلى باب الدار، ورجعت لأنظر الإمام الجواد عليه السلام مرة أخرى فلم أره، وبدون أن يدخل أو يخرج من باب ذهب ولم أره فلما فتحت الباب وإذا بالمأمون راكباً على جواده ويحيط به حمايته وحاشيته فلما وقعت عيناه علي سألني: ماذا فعل الرضا؟ وأنا مجبر أن اعزيه بكلمات تظهر انه هو صاحب العزاء فقلت: عظم الله أجرك! فلما سمع المأمون بهذه المصيبة ألقى بنفسه من جواده على الأرض وشق قميصه وألقى بالتراب على رأسه وبكى بأعلى صوته لمدة طويلة وبعد ذلك اصدر الأوامر لحاشيته، جهزوا جنازة الرضا بأحسن ما يمكن فأجبتة - جهزنا الجنازة، ولم يتوقع المأمون هذا الجواب وكان يظن بأنه لم يجرأ احد على تجهيز جنازة

ولي عهده بدون أوامره ويصلي عليه، فأعترض بغضب وقال: من عمل هذا؟ وأنا مرتبكا أحبته خائفا صبي جاء ودخل الدار وجهزه ولا ادري من هو، لكن أظنه انه ابن الإمام عليه السلام ويصف شيخنا الهروي حاله وهو يكلم المأمون فيقول: حتى قلت هذه الجملة وصلت روحي إلى انفي وانتظرت الانتقام من المأمون ولكن لا ادري كيف حصل ذلك ولم يعترض المأمون عليه، وقال: احفروا له قبراً في القبة التي دفن بها أبي هارون الرشيد... فقلت له والحديث لأبي الصلت: طلب الإمام مني مشاركتكم في مراسيم الدفن من بدايته إلى نهايته... فقال المأمون نعم ستشترك بالمراسيم وأكون حاضراً. احضروا كرسيّاً جلس عليه المأمون تحت القبة التي دفن فيها أبوه هارون وباقي المشيعون وقفوا خلفه واحضروا عدد من الدفانين ذوي الخبرة والكل ينتظر أمر المأمون فقال احفروا هنا... وأشار إلى القسم الأسفل من رجلين هارون الرشيد وأراد المأمون بذلك أن يقلل من مكانة وهيبة الإمام الرضا عليه السلام وان يرفع من شأن أبيه، بدء الدفانون بحفر القبر ولكن سرعاً ما وصلوا إلى صخرة كبيرة لا يمكن قلعها وقالوا: يا حضرة الخليفة لو أتينا بكل معاول المدينة لا نستطيع حفرها أو أزاحتها فأشار المأمون إلى الجهة اليمنى ثم اليسرى وكان الأمر كأوله وعجزوا عن ذلك واضطر إلى حفر القبر في أعلى قبر أبيه اي عند رأس هارون فحفر الحفارون القبر بسهولة وصار قبر الإمام الرضا عليه السلام (٣٥).

ويذكر الهروي قائلاً: وعندما انتهى الحفارون من الحفر وضعت يدي على ارض القبر وبدأت اقرأ الكلمات والأذكار التي علمني عليها سيدي الإمام الرضا عليه السلام وفجأة تفجر الماء وملاء القبر وخرجت الأسماك الصغيرة فسحقت قطعة الخبز ونشرتها في الماء وأكلها السمك الصغير ثم جاءت السمكة الكبيرة وابتلعت جميع الأسماك الصغيرة كما قال الإمام الرضا عليه السلام ثم اختفى كل شيء الماء والسمكة الكبيرة فوضعت يدي على القبر مرة أخرى وقرأت ما بقي في ذاكرتي، فسألني المأمون هل الإمام الرضا عليه السلام هو من علمك هذا يا أبا الصلت فقلت نعم، فقال: الرضا كان يرينا العجائب في حياته وألان بعد موته أرانا العجائب أيضاً، هذه مجمل قصة استشهاد ومراسيم غسل ودفن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام كما اخبر به خادمه ورفيقه الدائم أبا الصلت الهروي.

ويضيف الشيخ الهروي فيقول: أرسل بطلي المأمون ليعرف ماذا قرأت عندما كنا في مراسيم دفن الإمام الرضا عليه السلام فقلت والله يا أمير المؤمنين لم أتذكر حرفاً واحداً مما قرأت فغضب المأمون وألقى بي في السجن وضيق علي الخناق ولحسن الحظ أن المأمون كان راغباً بسماع تلك الكلمات ولهذا لم يستعجل في قتلي. ومضى على سحني سنة كاملة والمأمون يلح علي لمعرفة هذه الكلمات والأذكار ولا يصدق قولي بأني نسيتها، ويقول الهروي في ليلة الجمعة اغتسلت وبدأت بالصلاة من صباح يوم الجمعة إلى فجر اليوم الثاني وأنا أتضرع إلى الله بحق محمد وأهل بيته الطيبين أن يخلصني من ما أنا فيه وفي صلاة الفجر وإذا بالإمام الجواد (روحي فداه) داخل علي الزنزانة وطلب مني أن أنهض معه وأمسك بيدي وقال إلى أين تريد الذهاب يا أبا الصلت فقلت بتعجب إلى بيتي القلدم في هرات لأنه بعيد عن عيون المأمون وحاشيته فلم تكن ألا ثواني وإذا أنا في باب بيتي في هرات ولا يوجد احد بجاني (٣٦) هذا بعض ما رواه الشيخ أبا الصلت الهروي من

٣٥ - المياحي، أبا الصلت الهروي، ص ١٣٣.

٣٦ - غلام رضا اكبري، أبا الصلت الهروي، ص ٣٠٩.

أخبار الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وحالته مع المأمون العباسي وعلمه الهائل الذي لا يشبهه احد، ولكن طبيعة البحث لا تحتل أكثر من ذلك .

المبحث الثالث: الأحاديث المروية عن أبي الصلت الهروي

من خلال البحث في شخصية الشيخ أبي الصلت الهروي يتبين لنا انه كان مولع في نقل الرواية والحديث عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من ذريته الطاهرة عليهم السلام حتى دفعه ذلك إلى السفر أحياناً من بلد إلى آخر بحثاً عن علماء الحديث وحملة الرواية واضعاً من اجل ذلك مبالغ كبيرة لتغطية نفقات سفره ناهيك عن الجهد الذي يبذله أثناء هذه الرحلات الطويلة والشاقة، وكان ذلك كله من اجل رواية واحدة أو حديث واحد موضوع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو احد الأئمة الأطهار (عليهم صلاة الله وسلامه) وعندما رافق الإمام الرضا عليه السلام وحده يوماً زاحراً بالعلم الذي يحتاجه فلازمه أيما ملازمة ولم يفارقه أبداً حتى وفاته كما وضحنا ذلك في الصفحات السابقة من هذا البحث وكانت ملازمته للإمام بعنوان خادم الإمام الرضا عليه السلام ومن بين ما أورده الشيخ الهروي من أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وكان شديد التركيز على قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنا مدينة العلم وعلي بابها ^(٣٧) وذكره صاحب فتح الملك العلي بقوله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد بابها فليأت علياً ^(٣٨) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم أن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً سلك بكم الطريق المستقيم، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة ^(٣٩) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي أنت أول من آمن بي وصدقي، وأنت أول من يصفحني يوم القيامة وأنت الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة ^(٤٠).

كان تركيز الشيخ الهروي على هذا النوع من الأحاديث النبوية الشريفة وبحثه عن حقيقتها والتأكد من صحة روايتها وأشهر روايتها من أكثر الأمور التي ركز عليها، وجد في البحث عنها لذلك نجده متنقل بين المدن والبلدان لإثبات صحة الحديث الذي ينقله ودرجة الثقة في رواته.

يروى شيخنا أبي الصلت الهروي فيقول: سألت يوماً عالم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي بن موسى عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله: هل خلق الله تبارك وتعالى الجنة والنار؟ وهل هما موجودتان حالياً؟ فقال عليه السلام نعم يا أبا الصلت هما موجودتان وعندما عرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج دخل الجنة ورأى جهنم فقلت يا ابن رسول الله هناك قوم يقولون هما مقدرتان ولا توجدان الآن! فقال عليه السلام هؤلاء ليسوا منا ونحن لسنا منهم، ومن أنكر الجنة والنار فقد أنكر ولايتنا ولم ينتفع بها وسيكون دائماً في نار جهنم، وقال تعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن) ^(٤١) وفي قوله تبارك وتعالى هذه

٣٧ - الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ) المستدرک ، دار الفكر (بيروت - ١٩٧٨م) ١٢٧/٣ ؛ الخطيب البغدادي ، ابوبكر احمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد مكتبة الخانجي (القاهرة . ١٩٣١م) ١١ / ٥٠ .
٣٨ - المغربي ، احمد بن صديق ، فتح الملك العلي ، باب صحة حديث مدينة العلم وعلي بابها (لا . ت) ص ٢٢ .
٣٩ - حسكاني ، حاكم ، شواهد التنزيل (قم المقدسة ١٩٨٨ م) ١ / ٨٣ .
٤٠ - الشيخ المجلسي ، بحار الأنوار ٢١١ / ٣٨ .
٤١ - سورة الرحمن / ٤٤ .

جهنم تأكيد على وجودها وان هؤلاء المجرمون الذين يكذبون بما سوف يصلونها يوم القيامة يطوفون بينها وبين حميم آن أي ماء حار منته في الحرارة ولا يستطيع أن يتخيلها الإنسان^(٤٢) روى الشيخ الطوسي بإسناد الهروي قال حدثنا خالي عبد السلام بن صالح الهروي عن سفر الإمام الرضا عليه السلام قال كنت أنا (عبد السلام بن صالح) معه في سفرة إلى نيشابور وحضر العلماء و الفقهاء وقالوا يا أبن رسول الله صلى الله عليه وآله بحق أجدادك الطيبين حدثنا بحديث عن آبائك نتفع به، فأخرج الإمام عليه السلام رأسه الشريف من الهودج وكان عليه رداء من الخز وقال: عن أبي عن أبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال حبيبي جبرائيل عن الله تعالى قال: أي أنا الله لا اله إلا أنا وحدي يا عبادي فاعبدوني وليعلم من لقبني منكم بشهادة أن لا اله الا الله مخلصا بما فإنه دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي^(٤٣) فقالوا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ماأخلص الشهادة؟ قال عليه السلام طاعة الله ورسوله وولاية أهل بيته^(٤٤).

وفي حديث للشيخ الهروي قال: سألت يوماً سيدي الإمام الرضا عليه السلام وقلت: يا أبن رسول الله صلى الله عليه وآله ما رأيك حول الحديث الذي رواه المحدثون، وهو بأن المؤمنين يزورون الله تعالى من منازلهم في الجنة؟ فقال الإمام الرضا عليه السلام يا أبا الصلت! بما إن الله تعالى جعل جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل مخلوقاته وأنبيائه وملائكته وجعل طاعة وزيارة نبيه صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة كزيارة الله تعالى، فقال تعالى: (من يطيع الرسول فقد أطاع الله)^(٤٥) وقال تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)^(٤٦) وفي قوله تعالى من يطيع الرسول فقد أطاع الله لأن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه^(٤٧) فهو أذن يتكلم بما يوحي له الله سبحانه وتعالى، أما ما جاء في الآية المباركة الثانية فهو تأكيد على ان من يبايع الرسول من المؤمنين ويؤمن برسالته فقد أطاعوا الله سبحانه وتعالى وهم مسلموا الحديبية الذين بايعوا الرسول الكريم وآمنوا برسالته^(٤٨).

وروى الشيخ الصدوق بإسناد عن عبد السلام بن صالح الهروي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه الظاهرين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لله عز وجل تسعة وتسعون اسماً من دعا الله بها استحباب له ومن أحصاها دخل الجنة^(٤٩) ويقول الشيخ الهروي سألت الإمام الرضا عليه السلام يوماً فقلت: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بأي سبب هلك قوم نوح عليه السلام رغم أن بينهم أطفالاً رضعاً بريئين من الذنوب؟ فقال عليه السلام يا أبا الصلت لم يكن بينهم أطفال رضع، وكان الله سبحانه وتعالى قد أصابهم بالعقم قبل أربعين سنة من الطوفان

٤٢ - شبر ، السيد عبد الله (ت: ١٢٤٢هـ) تفسير القرآن الكريم ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط١ (بيروت ٢٠٠٩م) ص

٦٧٢.

٤٣ - المياحي ، أبا الصلت الهروي ، ص ١٤٨ ، ١٤٩.

٤٤ - الشيخ الصدوق ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ١٣٤.

٤٥ - سورة النساء ٨٠.

٤٦ - سورة الفتح ، ١٠.

٤٧ - شبر ، تفسير القرآن الكريم ، ص ١٣٢.

٤٨ - م . ن ، ص ٦٤٣.

٤٩ - الشيخ الصدوق ، كتاب التوحيد (قم المقدسة . لا.ت) ص ١٩٥.

وأنقطع نسلهم وعندما هلكوا لم يكن بينهم أي طفل ولم يهلك الله سبحانه وتعالى البريء بسبب المذنب. وإما هلاكهم فكان بسبب تكذيبهم النبوة، نبوة سيدنا نوح عليه السلام (٥٠) إما النبي نوح عليه السلام وأصحابه فيقول عنهم الإمام الرضا عليه السلام عندما رست السفينة على الجبل ونزل نوح ومن معه إلى الأرض وكان عددهم ثمانون شخصاً فأسس نوح عليه السلام في هذا المكان قرية وسميت قرية الثمانين لأنهم وكما أسلفنا كانوا ثمانون شخصاً، ولأن هذه القرية موجودة في غرب مدينة الموصل في العراق تسمى منطقة الثمانين أو قرية الثمانين (٥١).

وفي فضل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يقول الشيخ الهروي سمعت سيدي ومولاي الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: عن أبيه عن آباءه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: عندما زوجني رسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة الزهراء عليها السلام قال لي: أبشر وأخرج يا علي كما كفاني ربي من غمي وهمي في زواجك، فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما هي البشارة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نزل عليّ جبرائيل ويده سنبله وقرنفل من الجنة، فأخذتهما منه وشمتهما فقلت يا حبيبي يا جبرائيل ما قصة هذين، السنبله والقرنفل فقال عليه السلام أمر الله تعالى ملائكة الجنة وساكنتها أن يزينوا أشجار وأنهار وقصور وغرف الجنة وأمر حور العين أن يقرأن سورة حمعسق ويس، ونادى المنادي وقال: يقول الله عز وجل: زوجت فاطمة بنت محمد بعلي بن ابي طالب عليه السلام ثم أمر الله تعالى غيوماً حلت فوق رؤوس هؤلاء وأمطرن الياقوت واللؤلؤ والجواهر والسنبل والقرنفل وهذان السنبله والقرنفل من هذا المطر على رؤوس الملائكة وحور العين أتيت بهما إليك (٥٢) وهو بهذه الرواية إنما يبين مباركة الله سبحانه وتعالى وفرحة ملائكته بزواج سيدنا أمير المؤمنين بسيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وان أصل هذا الزواج المبارك إنما بأمر من الله سبحانه وتعالى أوحى به إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

ولو إن كل التوفيق وأي حدث خيراً في حياة الإنسان إنما هو من الله سبحانه وتعالى ولكن لهذا الزواج المبارك خصوصية عند الباري عز وجل.

ومما رواه شيخنا الهروي أيضاً حديث عن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فيقول كنت في مجلس سيدي ومولاي الإمام الرضا عليه السلام فسألته: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله يوجد في أطراف الكوفة قوم يقولون لم يقتل الحسين بن علي عليه السلام وإنما رفع إلى السماء كعيسى بن مريم وحنظله بن أسعد الشامي ألقى هذه الشبهة ويستدلون في هذه الآية الكريمة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) (٥٣) فقال الإمام الرضا عليه السلام كذبوا عليهم لعنة الله وغضبه وكذبوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال سيقتل ولدي الحسين في أرض يقال لها كربلاء. وقسماً بالله قتل الحسين عليه السلام وقتل أمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام اللذان هم أعلى درجة من الحسين عليه السلام وليس منا الا أن يقتل شهيداً، والله سأقتل أنا أيضاً بالسم شهيداً، وهذا ما أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله والذي أخبر به جبرائيل عن الله سبحانه وتعالى. وإما معنى الآية الكريمة فهو: لا توجد حجة ولا

٥٠ - الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ص ٧٥؛ المجلسي بحار الأنوار، ٥/ ٢٨٣.

٥١ - الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ص ٧٧.

٥٢ - الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الأثني عشر، طه (النحف الاشراف. ٢٠٠٥م) ص ٦٩.

٥٣ - سورة النساء، ١٤١.

دليل للكافرين على المؤمنين وهذه الآية تدل على أن بعض الكافرين قتلوا الأنبياء بغير حق^(٥٤) وهم تجاوزوا على حرمات الله تعالى وحسابهم وعقابهم عند الله سبحانه وتعالى. هذه الروايات والأحاديث التي ذكرتها إنما هي جزء بسيط مما رواه الشيخ الهروي، فهو يروي الحديث عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو زاخر بالأحاديث والروايات عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام فهم اصدق من روى أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتابعيهم أيضاً كانوا من اصدق الناس في نقل الحديث وتثبيت صحته وعدم التحريف فيه أو إدخال كلام زائد عليه.

كرامات أبي الصلت الهروي:

لم تكن الكرامات التي نالها شيخنا أبي الصلت الهروي شيء عابراً وإنما كانت نوراً يضيء به وجهه المشرق لأنه من أصحاب ومرافقي عالم آل محمد سيدنا ومولانا الإمام الرضا عليه السلام وفي مثال جميل ذكره الشيخ الهروي يقول فيه: قال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً)^(٥٥) يقول: أتعلم إن القمر من الحجر وفاقد للحياة مظلم على سكنته ولا يشع ضياء، ولكن هو يدور حول الشمس كغيره من الكواكب ومن أقربها مسافة للشمس لذلك كان نوره وضياؤه ينعكس من نور وضياء الشمس فيضيء على أهل الأرض وغيرهم في الليل المظلم فتراه يشع نوراً وهو بهذا المثال البسيط إنما يؤكد إن مرافقته للأمام الرضا عليه السلام إنما هذبت أخلاقه وزادت من علمه وأدبه وشمله بذلك ضياء الإمام عليه السلام ونوره نور الإمامة والولاية وقد سألت يوماً، فقيل له من أين لك هذا، أي من أين أتيت بهذا العلم فيجيبهم كما أجابت السيدة مريم بنت عمران عندما سألتها أهلها عن البركات والغذاء الذي كان معها من أتى لك بهذا (وتقول) هو من عند الله، فيقول أبا الصلت كنت أجيب هو من عالم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم علي بن موسى الرضا عليه السلام هذا في علم أبي الصلت الهروي. أما الكرامات فهي كثيرة وجملة أكرمه بها الله سبحانه وتعالى وكيف لا وهو إنسان صالحاً عابداً خدام أولياء الله وأحبابه وأهل بيت نبيه وأحفاده (عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه) ففي زيارتي لمرقد سيدي ومولاي أبي الصلت الهروي قص لي خدام المرقد بعض الروايات ووجتها المذكورة في كتاب خدام الرضا عليه السلام أبو الصلت الهروي منها.

ذكر أن رجلاً من أهالي أذربيجان، كانت زوجته تشتكي من مرض القلب وبعد أن عجز الطب عن شفائها توجه زوجها إلى مرقد أولياء الله الصالحين يطلب لها الشفاء من عند الله تعالى بما لهؤلاء الأولياء من شفاعته عند الله فتوجه من يومه إلى مرقد سيدنا ومولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام متوسلاً إليه طالباً شفاعته عند الله سبحانه وتعالى فرأى في منامه أن الإمام الرضا عليه السلام يأمره بالذهاب والدعوة تحت قبة الشيخ أبا الصلت الهروي، ففزع من منامه وتوجه في صباح اليوم التالي إلى مرقد الشيخ الهروي وجلس يدعو الله سبحانه وتعالى بحق الإمام الرضا عليه السلام وخادمه الشيخ الهروي أن يمن على زوجته بالشفاء فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعوته وكتب لهذه المرأة الشفاء من مرضها^(٥٦).

٥٤ - شبر ، تفسير القرآن الكريم ، ص ٤١٢ .

٥٥ - سورة يونس ، ٥ .

٥٦ - المياحي ، أبي الصلت الهروي ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

وعن بناء مزار أبي الصلت المهروي ذكر السيد غلام رضا كلزار وهو مدير التولية في مزار الشيخ المهروي قائلاً أثناء بناء مرقد ومزار الشيخ المهروي كنا نواجه صعوبات في تأمين مبالغ البناء وخصوصاً أنها مبالغ باهضة التكاليف وعندما يتوقف العمل لقلة الأموال أتوجه إلى مرقد الشيخ المهروي وأتضرع إليه متوجهاً باسمه وكراماته عند الله ليساعدني في إتمام هذه المشاريع لتسيير الأمور فكان دعائنا مستجاب عند الله سبحانه وتعالى وتأتينا المبالغ من حيث لا نحتسب ويتم المباشرة بالعمل^(٥٧) وهذا ليس بالغريب ولا بالعجيب فأتباع أهل البيت عليهم السلام يعرفون منزلة أهل البيت عليهم السلام عند الله سبحانه وتعالى ومنزلة أولياء الله الصالحين عند ربهم وكراماتهم التي أعزهم الله بها. وشيخنا أبي الصلت المهروي واحداً من أكرم أولياء الله وأحباب أهل بيت النبوة عليهم السلام فلا غرابة أن يخصه الله سبحانه وتعالى ببعض هذه الكرامات.

الخاتمة

عبد السلام بن صالح الهروي شخصية إسلامية كان لها دور في نصره آل بيت الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأفتت حياتها في خدمة ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام ألا وهو الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم) وقد تلمذ على يد الإمام الرضا عليه السلام وكان خادماً مطيعاً عالماً لم يظهر يوماً الملل أو العجز عن خدمة سيده الإمام الرضا عليه السلام بل لقب نفسه خادم الإمام الرضا عليه السلام لقد كان الشيخ المهروي من محبي أهل البيت عليهم السلام وهذا الحب والإخلاص دفع أعدائه بل هم أعداء أهل البيت عليهم السلام للتهجم على كل إنسان عارف بحق أهل البيت عليهم السلام ومدافعاً عنهم، لهذا لم يكن المهروي هو الأول ولا الآخر المعرض لهذا النوع من الهجوم والاتهام والحقد، فقد تجاوز الكثير من علماء عصره من المناهضين لعترته الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على شخص الشيخ المهروي واتهامه بالكذب والغش والخداع وعدم الثقة بما يرويه ويقول في حديثه، كما إن الشيخ المهروي كان من أكثر الموالين لعترته الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وقوفاً بوجه الخوارج والتكفيريين المتجاوزين وكان النصر والظفر حليف الشيخ المهروي في كل مناظراته وجلساته العلمية وأدلته الدامغة التي كان يلقيها على ادعاءات هؤلاء الخارجين عن الدين ولم يستطيعوا يوماً من الظفر به أو النيل منه.

كما وجدنا أن حب الشيخ المهروي لأبناء علي بن أبي طالب عليهم السلام جعله محط أنظار الحكام العباسيين فهم يراقبون كل المحبين و المقربين لأحفاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويلقون بهم في غياب السجون حتى الموت وكان نصيب شيخنا المهروي السجن والموت فيه لولا عناية الله سبحانه وتعالى وإنقاذه ووفاته قرب قبر سيده ومولاه الإمام الرضا عليه السلام فالشيخ المهروي الرعاية الكاملة من لدن الحكومة في الجمهورية الإسلامية في إيران من حيث تشييد المرقد الطاهر والبناء والأعمال. حاله في ذلك حال كل دور العبادة والمرقد والمقامات الطاهرة في الرعاية والاهتمام.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن حجر، أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ). لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح ابوغده، مكتبة المطبوعات الإسلامية (لا. ت).
- ٣- تهذيب التهذيب، ط ١، دائرة المعارف النظامية (الهند. ١٠٠٤م)
- ٤- ابن الجوزي، جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧ هـ). الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط ١ (المدينة المنورة. ١٩٦٨م)
- ٥- أبو حجاج، الحافظ جمال الدين المزني (ت. ٧٤٢ هـ). تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشاره عواد (قم المقدسة. ١٩٨٣ م)
- ٦- الجرجاني، أبو احمد عبد الله بن عدي بن عبد الله (ت: ٣٦٥ هـ) الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق لجنة من المختصين (بيروت. لا. ت)
- ٧- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥ هـ) المستدرک (بيروت. ١٩٧٨م)
- ٨- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد علي بن ثابت (ت: ٤٦٣ هـ) تاريخ بغداد (القاهرة. ١٩٣١م).
- ٩- الخوارزمي، أبو مؤيد الموفق بن احمد البكري (ت: ٥٦٨ هـ) مناقب الخوارزمي، تحقيق محمد رضا الموسوي (النجف الاشرف. ١٩٦٥م)
- ١٠- الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨ هـ) سيرة أعلام النبلاء، تحقيق مصطفى عبد القادر، ط ١ (بيروت. ٢٠٠٣م)
- ١١- الرازي، أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت: ٣٢٧ هـ) الجرح والتعديل، ط ١ (لا. ت).
- ١٢- الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن (ت: ٣٢٩ هـ) عيون أخبار الرضا عليه السلام ط ١ (بيروت. ٢٠٠٧م)
- ١٣- الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ) معجم رجال الحديث، ط ٢ (النجف الاشرف. ٢٠٠٤م)
- ١٤- العقيلي، أبي جعفر محمد بن عمرو موسى (ت: ٣٢٢ هـ) الضعفاء الكبير، تحقيق الدكتور عبد المعطي صلحجي، دار الكتب العلمية (بيروت. ١٩٨٠م)
- ١٥- الكشي، أبي جعفر الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ) اختيار معرفة الرجال، المعروف رجال الكشي، تحقيق السيد محمد رجائي (قم المقدسة. لا. ت).
- ١٦- المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١ هـ) بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ١ (طهران. ١٩٨٩م)
- ١٧- النجاشي، احمد بن علي الكوفي (ت: ٤٥٠ هـ) رجال النجاشي، ط ٥ (طهران. ١٩٧٥م)
- ١٨- الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الأثني عشر، ط ١ (النجف الاشرف. ٢٠٠٥م).

١٩. شبر، السيد عبد الله (ت: ١٢٤٢هـ) تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط ١ (بيروت. ٢٠٠٩م)
٢٠. عرفات، جليل، مسامرة الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان، ط ١ (مشهد. ٢٠١٢م).
٢١. غلام رضا أكبري، أبا الصلت الهروي، ط ٥ (قم المقدسة. ٢٠٠٨م).
٢٢. المغربي، احمد بن صديق، فتح الملك العلي، ط ١ (لا. ت).
٢٣. المياحي، أبو جهاد، خادم الرضا عليه السلام أبو الصلت الهروي، ط ١ (مشهد. لا. ت).

بناء القصيدة العربية بين الاشتراط والتوصيف

The structure of Arabic poem between requirements and description

Dr. Ali Hossein Yusuf

د.علي حسين يوسف^(١)

ملخص البحث

يعالج البحث قضية بناء القصيدة، في مرحلتي الاعداد، والانجاز، او مرحلتي الاشتراط، والتوصيف، فالبناء بمعنى التكوين، او الصناعة، او الخلق، او الانشاء، ومعايره، فيقصد به في البحث: دراسة شروط تكوين القصيدة، وخلقها، وقوانين صناعتها، ودراسة عملية الابداع الشعري، وكيفية تكوين الافكار، وتبلورها وشروطها، وآليات توصيف العواطف، وبيان صدقها من عدمه، وتحليل الاخيلة ودراسة مدى دقتها.

اما البناء المنجز، فنعني به: البناء الهيكلي، او الشكلي، او الخارجي، او المنجز، ويندرج تحته: نشأة القصيدة شكليا، وتطورها الشكلي، انواع القصيد: ارجوزه، مقطوعة، قصيدة، موشح... الخ، واجزاء القصيدة: مطلع، مقدمة، تخلص، موضوع، خاتمة. ويشتمل ايضا على البناء الداخلي، الذي يشتمل على معالجة القضايا الآتية: توصيف اللغة الشعرية، اللفاظ، التراكيب، الاساليب، والايقاع، الخارجي، الداخلي، والصورة الفنية، عناصرها، انواعها، التشخيص، التجسيد، التجسيم، وتوصيف الرموز، والافكار، والعواطف، والاخيلة.

Abstract

Build the Arabic poem between characterization and requirement

١ - الكلية التربوية المفتوحة / كربلاء.

This analytical research to an important issue, in Arabic literature, relating to the construction of the Arabic poem, in the case of characterization, in the case of the requirement, and depending on the nature of the material studied, this study divided the two sections preceded pave the linguistic definition and idiomatic to denote construction and understandable.

The first topic on the study of construction, understood as indicating the shape done. While the other section, in construction as a normative concept means and configuration requirements in construction and creativity, and followed Alambgesan Conclusion The researcher found necessary to extract the most important findings and proposals.

Due to the appropriate analytical approach to the subject matter, paragraphs Thread has studied the data according to the curriculum.

المقدمة

تمثل القصيدة من الناحية التكوينية - في المدونة العربية التقليدية - مجموعة من الابيات الشعرية، من بحر واحد، ملتزم فيها قافية واحدة في الغالب، اما عدد هذه الابيات، والحد الأدنى لها لتكوين القصيدة فقد كان موضع خلاف، فقد رأى الاخفش: ان ثلاثة ابيات يمكن ان تؤلف قصيدة، لكن أكثر علماء العروض يرون ان القصيدة يجب الا تقل عن سبعة ابيات.

وقد شغل بناء القصيدة النقاد القدامى، والمحدثين، الى الحد الذي اصبح هذا الموضوع المادة الاساس في معظم الكتب النقدية، ونظراً لتلك الاهمية، وجد الباحث، ان مفاهيم موضوعه بناء القصيدة العربية، ومصطلحاتها، بهذا التوظيف لم تستوعب تماماً في البحث الاكاديمي بعد، ومن هنا كان هذا البحث. وتبعاً لطبيعة المادة المدروسة، قسمت هذه الدراسة على: مبحثين، سبقهما تمهيد في التعريف اللغوي، والاصطلاحي لدلالة البناء، ومفهومه.

قام المبحث الاول على: دراسة البناء، بوصفه مفهوماً معيارياً يعنى بإشتراطات التكوين، والانشاء، والابداع، فيما كان المبحث الاخر: في البناء بوصفه مفهوماً يدل على الشكل المنجز، واعقب المبحثين خاتمة، وجدها الباحث ضرورية لإستخلاص اهم النتائج والمقترحات.

ونظراً لمناسبة المنهج التحليلي لمادة البحث، فقد درست فقرات الموضوع على وفق معطيات ذلك المنهج.

وقد كان البحث ثمرة لمجهود، انصب على تتبع آراء النقاد العرب قدامى، ومحدثين، وفرزها، ودراستها، وتحليلها، وتقويمها، الامر الذي افرز عدداً من الصعوبات، والمشاكل تمثلت في تداخل افكار المادة المدروسة، واختلاف الآراء وتباينها احياناً، لكن الرغبة في إنجاز العمل خفف تلك الصعوبات، فضلاً عن مساندة كثير من الاصدقاء والزملاء الذين لا يسع الباحث الا تقديم الشكر والامتنان لهم.

التمهيد: البناء... المفهوم والدلالة

للبناء في المعاجم اللغوية دلالتان عامتان ؛ فهو أولاً: يدل على الشيء المنجز، والمتحقق في الوجود، وجمعه أبنية^(٢)، وبهذا المعنى فإن مفهوم البناء يرادف مفهوم البنية التي تعني: ((تلك المنظومة ذات العناصر المتفاعلة، حيث كل عنصر يؤدي وظيفة داخل المنظومة، وتحدد قيمته بمهذ الوظيفة))^(٣). والبناء بالمعنى المتقدم لا بد ان يتكون من شكل ظاهر للعيان، سنطلق عليه: البناء الخارجي، وشكل آخر غير ظاهر انما يعكسه الشكل الخارجي ويدل عليه، وسنطلق عليه: البناء الداخلي. وربما يقترب هذا الفهم لبناء القصيدة من مفهوم تشومسكي في البنية السطحية والبنية العميقة. اما الدلالة الاخرى لمفهوم البناء فإنها تحيل الى معنى اجرائي، وتدل على عملية خلق النص وإنشائه، وصناعته، فالبناء بهذا المعنى نقيض الهدم^(٤).

على ان التمييز بين دلالاتي البناء الخارجي او الداخلي او دلالاتي المنجز والاجرائي السابقتين، لم يكن واضحاً تماماً عند اصحاب المعاجم اللغوية، ولا عند النقاد القدامى او المحدثين، فقد يجد القارئ في كثير من المؤلفات التي تتحدث عن بناء القصيدة لبساً كثيراً في مراد الكاتب وقصده لأي المفاهيم يعني. والمتتبع للمصطلحات الخاصة لبناء القصيدة يجدها كثيرة، متداخلة، متضاربة، فقد افرز الدرس الادبي العربي عددا من المصطلحات في هذا المجال، من اهمها: بناء القصيدة، البناء الفني، البناء الهيكلية، البناء الموضوعي، الوحدة الموضوعية، الوحدة العضوية، شكل القصيدة، تركيب القصيدة، فضلا على عدد آخر من المفاهيم التي اعتاد عليها النقاد القدامى، مثل: الصناعة، النسج، عمود الشعر، وغيرها. وقد انعكس عدم التمييز بين دلالات البناء على المفهوم الاصطلاحي، لذلك فمن الصعوبة ان يجد الباحث تعريفاً دقيقاً للبناء. بناء القصيدة. عند القدماء او المحدثين، فقد اصبح هذا المفهوم مجالاً يجمع الاراء المتباينة والمتناقضة التي تراوحت بين توصيف شكل القصيدة العربية، وبيان مفاصل جسدها وتركيب هيكلها، وبين عملية انشاء القصيدة وتكوينها اجرائياً، والفرق بين هذه المعاني واضح وكبير كالفرق بين ووصفنا لبيت من الخارج ووصفنا لمكونات بنائه ومواده، او كالفرق بين ووصفنا لبيت مكتمل البناء ووصفنا لطريقة عمل بيت آخر في طور الانجاز.

وبناء على ما تقدم، ونتيجة لاختلاف مفهوم البناء، وتمايز دلالاته بين شكله الخارجي او الداخلي، وآليات تكوينه، يرى الباحث ان دلالة البناء يفترض ان لا تقع تحت مفهوم تعريفي موحد يجمع المعنيين السابقين في سلة واحدة كمفهوم البناء الفني، او مصطلح شكل القصيدة التي انتشرت مؤخراً بين النقاد حديثاً، فلكل واحد من هذه المفاهيم ميدان بحثه المختلف عن الاخر.

٢ - ينظر، لسان العرب: ١ / ٣٦٥.

٣ - نوافذ الوجدان الثلاث: ١٩٥.

٤ - ينظر، لسان العرب: ١ / ٣٦٥.

المبحث الاول: البناء.... مفهوما معياريا اشتراطات الصناعة والتكوين

ان بناء القصيدة بهذا المعنى يعد مفهوما يُعنى بما يجب ان تكون عليه القصيدة الناجحة، فهو - بهذا التوظيف - اداة معيارية، يحاول اجتراح الاشتراطات الخاصة لما يجب ان تكون عليه القصيدة، وقد انتبه ابن قتيبة لهذا التمايز بين بناء وآخر حينما قال: ((المديح بناء والهجاء بناء))^(٥)، اذ ان لكل واحد منهما متطلباته النفسية، وشروطه التي يستوجبها.

ويتضح مما تقدم ان الحديث عن البناء بالمعنى الاجرائي يقع على متطلبات صناعة القصيدة، بمكوناتها الخارجية او الداخلية، على الرغم من كل مفهوم من هذين المفهومين اشتراطات تكوينه وحلقه الخاصة به، وله معايير وشروطه ايضا، وكثيرا ما تتضمن هذه الاشتراطات دوافع القول الشعري ومهياته، مثلما تتضمن صفات النجاح الشخصية بالنسبة للمبدع.

لذلك افاض النقاد قديماً وحديثاً في شروط بناء القصيدة المميزة، ومعايير نجاحها، وما يتطلب على الشاعر عمله، الى الحد الذي يمكن معه القول: ان اغلب ما كتب عن بناء القصيدة يتضمن تلك الاشتراطات، وإن لم نجد في مدوناتهم فصلا واضحا بين شروط بناء هيكل القصيدة وشروط لغتها الشعرية واساليبها اللغوية والبلاغية.

ان عملية الخلق الشعري تتطلب شروطاً، منها ما يجب ان يتوفر في الشاعر، ومنها ما يجب ان يتوفر في القصيدة، لكي يمكن القول ان هذا الشاعر يتميز عن غيره بميزة معينة، وان تلك القصيدة امتازت عن سواها بشروط انفردت بها، ومن حيث العموم فالشاعر المميز هو الشاعر الفحل الذي: ((له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاف))^(٦)، اما النص المميز فميزته: ((ما رأيت متلاحم الاجزاء، سهل فتعلم بذلك انه افرغ فراغا واحداً، وسبك سبكاً واحداً))^(٧)، فالشعر: ((صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير))^(٨)، وعلى الشاعر ان يكون دقيقاً في اختيار الفاظه، وان تكون تلك الالفاظ دالة على المقصود من غير عناء فإن: ((احسن الكلام ما كان قليلا يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه))^(٩).

وقد فصلوا القول في اللفظ والمعنى وشروطهما والعلاقة بينهما، فمن الضروري ((ايفاء كل معنى حظه من العبارة، والباسه ما يشاكله من الالفاظ، حتى يبرز في احس زي، وابهى صوره))^(١٠). فالمعاني للشعر بمنزلة: ((المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة))^(١١)، فإن: ((اللفظ جسم وروحه المعنى))^(١٢)، وتبدو

٥- ينظر، الشعر والشعراء: ٦٧ / ١

٦- فحولة الشعراء: ١٣

٧- البيان والتبيين: ١ / ٦٧

٨- الحيوان: ٣ / ١٣٢

٩- البيان والتبيين: ١ / ٨٣

١٠- عيار الشعر: ٤

١١- نقد الشعر: ٤

١٢- العمدة: ١ / ١٢٤

النزعة التعليمية واضحة عند النقاد العرب وهم بصدد عملية الخلق الشعري وما يتطلبه ذلك، يقول الجرجاني: ((وإذا اردت ان تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب، وعظم غنائه في تحسين الشعر فتصفح نسيب متمي العربي، ومغزلي اهل الحجاز))^(١٣)، ويعلل الآمدي القول السابق قائلاً: ((وينبغي ان نعلم ان سوء التأليف، ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق، ويفسده، ويعميه حتى يحوج مستمعه الى طول تأمل))^(١٤).

اما كيفية تكوين القصيدة فقد نالت حظاً وافراً من كلام النقاد العرب الذين تكلموا عن صناعة الشعر، وأول ما يصادفنا في ذلك: رسالة بشر بن المعتمر، التي حاول فيها وضع قواعد الصنعة، فيقول: ((خذ من نفسك ساعة نشاطك، و فراغ بالك، واجابتها اياك... وإياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك الى التعقيد، والتعقيد هو الذي يهلك معانيك، ويشين الفاظك، ومن اراد معنى كريماً فليتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقها ان تصوئها عما يفسدها ويهجنها، وعما تعود من اجله ان تكون اسوأ حالاً منك قبل ان تلتمس اظهارهما، وترتحن نفسك بملاستها، وقضاء حقها، فكن في ثلاث منازل؛ فإن اولى الثلاث: هو ان يكون لفظك رشيقاً، عذبا، وفخماً سهلاً، ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً... فان امكنك ان تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، الى ان تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التي لا تلتطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الاكفاء، فأنت البليغ التام))^(١٥).

في النص السابق حدد بشر ما مطلوب من الشاعر عمله لتوفير الوقت المناسب لقول الشعر متمثلاً بما يأتي:

١. ساعة النشاط و فراغ البال.

٢. الاستعداد النفسي (واجابتها اياك).

اما شروط الشعر الناجح فقد حددها بشر بما يأتي:

١. اختيار الالفاظ الكريمة للمعاني الكريمة.

٢. ابعادهما عن المهجنة.

٣. اللفظ الرشيق العذب الفخم السهل.

٤. المعنى الظاهر المكشوف والقريب المعروف.

٥. تجنب التوعر والتعقيد.

وبهذا يمكن ان يعد بشر بن المعتمر من اوائل النقاد الذين ارسوا قواعد العملية الشعرية، وشروطها، وعليه يمكن ان يكون بشر مؤسس هذا المفهوم من البناء، وواضع اسسه، وشروطه.

١٣- الوساطة: ٢٤.

١٤- الموازنة: ١ / ٤٠٢.

١٥- البيان والتبيين: ١ / ١٣٥ - ١٣٦.

ومن اولوا عملية البناء الشعري اهتماماً متزايداً بعد بشر الناقد ابن طباطبا الذي وضع كتابه . عيار الشعر . لا ستقصاء مفصليات عملية الابداع الشعري، وشروطها، يقول ابن طباطبا: ((فيذا اراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، واعد له ما يلبسه اياه من الالفاظ التي تطابقه، والاقوال في التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه، فيذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه اثبته، واعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر، وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفوت ما بينه وبين ما قبله، فاذا كملت له المعاني، وكثرت الابيات وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها، وسلكا جامعهاً لما تشتت منها، ثم يتأمل ما قد اداه اليه طبعه ونتجته فكرته يستقصي انتقاده، ويرمم ما وهي منه، ويبدل بكل لفظة مستكرهه لفظة سهلة نقية...))^(١٦).

ففي هذا النص . الذي نقلناه على طوله لأهميته . يقسم ابن طباطبا مراحل نظم القصيدة على المراحل الآتية:

- ١ . مرحلة كونها فكرة مجردة (نثراً).
 - ٢ . تشكيل الفكرة النثرية بقوالب الشعر والفاظه وقوافيه واوزانه.
 - ٣ . التسلسل في الابيات وتلاحمها.
 - ٤ . التهذيب وإعادة النظر في القصيدة^(١٧).
- ان اهمية آراء ابن طباطبا في عملية الخلق الشعري تتجسد في تأثر النقاد الذين جاؤوا بعده بتلك الافكار، فهذا ابو هلال العسكري يتابعه في منهجه التعليمي فيوصي الشاعر بما يجب عليه فعله، يقول العسكري: ((واذا اردت ان تعمل شعراً فاحضر المعاني التي تريد نظمها في فكرك، واطهرها على قلبك، واطلب لها وزناً يتأني فيه إيرادها، وقافية يحتملها، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية، ولا تتمكن منه في اخرى، وتكون هذه اقرب طريقاً، وايسر كلفة منه من ذلك، ولإن تعلق الكلام فتأخذه من فوق فيجى سلساً سهلاً ذا حلاوة ورونق خير من ان يعلوك فيجى كزاً فجا ومتجعدا جلفاً، فاذا عملت القصيدة فهذبها، ونقحها بإلقاء ماغثاً من ابياتها، ورث، ورذل، والاقصصار على ما حسن، وفنخم بابدال حرف منها بأخر اجود منه حتى تستوي اجزاؤها، وتتضارع عواديتها، واعجازها))^(١٨).

نجد هنا ان ابا هلال العسكري قد طابق في آراءه ما قاله ابن طباطبا حتى اننا لا نكاد نعثر على أي خلاف بينهما على الضد من ابن رشيقي الذي خالف ابن طباطبا والعسكري معاً في اختيار البيت دون ان يسبقه بإختيار القافية، فيقول: ((بل اصنع القسم الاول على ما اریده ثم التمس في نفسي ما يليق به من القوافي بعد ذلك فابني عليه القسم الثاني، افعل ذلك كما يفعل من يبني البيت على القافية ولم ار

١٦- عيار الشعر: ١١.

١٧- ينظر: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب: ١٨٨.

١٨- كتاب الصناعتين: ١٣٩.

ذلك بمخل علي ولا يزعجني عن مرادي ولا يغير علي شيئاً من لفظ القسم الاول الا في الندره التي لا يعتمد بها او على جهة التنقيح المفرط))^(١٩).

ان ابن رشيقي في هذا النص يبدو وكأنه يتكلم عن تجربته الذاتية بضمير (الانا) لا سيما اذا علمنا ان الرجل شاعر مارس كتابة الشعر.

وهكذا نلحظ ان البناء بشكله المعياري هذا عند النقاد القدامى كثيراً ما اريد منه امورا تعليمية تصب في انجاح عملية الابداع وكيفية تكوين القصيدة، اذ ان النقد العربي القديم كان في الاعم الغلب نقداً توجيهياً تغلب عليه سمة التعليمية، ثم ان قلة النصوص النقدية التي تناولت المفهوم الاول للبناء . الشكل المنجز او البناء الهيكلي . قد يفسر بأن اولئك النقاد اعتبروا ان شكل القصيدة العربية امراً مفروغاً منه تسالم عليه الناس، فلا حاجة للتفصيل فيه وقد تكلم النقاد العرب على وفق منهج معياري ارادوا من خلاله محاكاة المثل الفنية الممتازة ((التي يحتوي كل مثال منها على صفات وخصائص تعب اصحابها في التعبير عنها. اما المثل الفنية المطلقة من غير قيود ولا حدود فإنها لا توجد في الشعر ولا في أي ضرب من ضروب الفن))^(٢٠).

وفي النقد الحديث نجد ان البناء بمعناه الاجرائي . التكوين والخلق . اخذ شيئاً من اهتمام النقاد المحدثين، لكن الملاحظ ان التأكيد كان منصبا على عمليات الانشاء والتكوين في قسمه الداخلي وقد يعود السبب في ذلك الى اثار ما يجب ان يكون عليه المضمون الجديد على المنجز الشكلي التقليدي اولا في بناء القصيدة عندهم، ثم ان هؤلاء النقاد حالهم حال الادباء قد سئموا الاشكال البنائية الجاهزة، ومالوا الى الحرية في اتخاذ اشكال مبتكرة، وكأما اصبح التأكيد على هذا الفهم للبناء الداخلي متطلبا عصريا، لذلك نجد ان الاشرط التي يجب ان تكون عليها العناصر التكوينية الابداعية للعمل الشعري كانت متعلقة في المكونات الداخلية للنص الشعري، لذلك كان مجال البحث في اغلب ما كتب منصبا على ما يجب ان يكون عليه بناء القصيدة الداخلي، فمحمد عبد المنعم خفاجي يجعل الاشرط التكوينية مما يجب ان تتصف عناصر التجربة الشعرية والموسيقى والخيال والصورة الشعرية والوحدة الفكرية^(٢١)، في حين يرى محمد زكي عشاوي ان عناصر نجاح النص الشعري محصورة بثلاثة مكونات اساسية وكلها داخلية، وهي عنده: الفكرة والصورة والموسيقى^(٢٢)، وخلطت نازك الملائكة بين الموضوع والهيكل وان كانت رائدة في هذه التسمية وقد اضافت عنصري التفاصيل والوزن^(٢٣)، اما احمد كمال زكي فإن شروط نجاح النص لا بد ان تتوافر في عناصر البناء الداخلية ايضا وهي عنده: العاطفة والخيال والمعنى واللغة^(٢٤)، اما صلاح فضل فعلى الرغم من تقسيمه عناصر البناء على قسمين: عناصر

١٩- العمدة: ١ / ٢١٠.

٢٠- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٢٢.

٢١- ينظر: البناء الفني للقصيدة العربية: ٤٥.

٢٢- ينظر، فلسفة الجمال: ١١٩.

٢٣- ينظر، قضايا اشعر المعاصر: ٢٣٤.

٢٤- ينظر، النقد الادبي الحديث: ٤٥.

شكلية (صوتية) واخرى موضوعية (دلالية)^(٢٥) الا ان الواضح من كلامه انه يؤكد على شروط نجاح كلا القسمين اللذان يمثلان البناء الداخلي، فيما نجد تلك العناصر عند محمد فتوح احمد تتحدد بثلاثة: الايقاع والتركيب والدلالة^(٢٦)، وكلها عناصر داخلية، اما مرشد الزبيدي فيجدها باربعة عناصر داخلية ايضا: اللغة والموسيقى والصورة والموضوع^(٢٧).

المبحث الثاني: البناء... مفهوما وصفيا توصيف الشكل المنجز

تعد القصيدة عملا بنائيا، فهي تبدأ بفكرة ذهنية بسيطة، لتنتهي بجسد كتابي متحقق وجوديا، والقصيدة بشكلها المتحقق تخضع لتوصيفات ترسم ملامحها، مثلما تخضع لإشتراطات تكفل نجاحها. والفرق بين توصيف القصيدة، بوصفها وحدة بنائية مكونة من اجزاء متعددة، وبين الاشتراطات التي يجب ان تكون عليها صناعة القصيدة كالفرق بين المادة المدروسة ومنهج دراستها، فهما ميدانان متغايران، لكل منهما استقلاله وخصوصيته، بحيث يصبح الجمع بينهما تعسفا واضحا، بل خلطا لا يسوغه المنطق.

وبناء على ما تقدم، يصبح من الضروري، ان يكون لكل ميدان من الميدانين السابقين، مصطلحاته الخاصة، التي تحدد - وبدقة - هوية كل منهما، ليتسنى للدارس والمتلقي معا الخروج بصورة واضحة لعملية الخلق الشعري.

والمتابع للمتن النقدي العربي المتخصص بدراسة القصيدة العربية، لا يخفى عليه ما وقعت فيه الدراسات الخاصة بهذا الجانب من خلط مصطلحي، الى درجة يمكن معها ان نصف هذا الخلط بالفوضى المصطلحية، وسيكون هذا المبحث خاصا بدراسة البناء بوصفه شكلا منجزا.

فالبناء بمعنى الشكل المنجز، هو هيكل القصيدة القائم المائل للعيان، ودراسته تعني توصيف مكونات القصيدة الخارجية، او الداخلية، أي انه عمليا يدل على دراسة الاجزاء الخارجية للقصيدة من: مقدمة الى التخلص ثم الموضوع وصولاً الى الخاتمة، ثم الانتقال لدراسة المكونات الداخلية لها التي تتكون من: دراسة اللغة الشعرية: الالفاظ، والتراكيب، والجمل، والاساليب، والايات، والبناء بهذا المعنى نادرا ما يختلف من غرض لآخر، او من شاعر لآخر، منذ نشوء القصيدة العربية قبل الاسلام الى العصر الحديث الا في حالات قليلة.

وبناء على ما تقدم، فإن ميدان البحث، ومجال الدراسة لهذا المفهوم من البناء انصب على بنية القصيدة الخارجية، ثم الوقوف على ما تحفيه من آليات داخلية، ومن ثم تفكيك اجزائها لمعرفة الآليات الحاكمة لعلاقة تلك الاجزاء ببعضها، وهو بهذا غير معني بما يجب ان تكون عليه تلك الاجزاء معياريا،

٢٥- ينظر ، نظرية البنائية في النقد الادبي: ٢٩٤

٢٦- ينظر ، قراءة اخرى في شعر المتنبي: ٤٥ .

٢٧- ينظر ، بناء القصيدة الفني: ٢٥ .

وغير معنى أيضاً بما يجب ان تكون عليه عملية الخلق الشعري وادواته من خيال او تصوير او غير ذلك، فهو مفهوم وصفي تحليلي وليس معياريا، معني بما هو كائن وليس بما يجب ان يكون.

وفضلاً على ما تقدم فإنه مما يندرج تحت هذا المفهوم من البناء توصيف خطوات انشاء القصيدة وصناعتها، اذ ان: ((كل مرحلة من هذه المراحل تمثل خطوة في إتمام مشروع العمل الشعري، ويستلزم تبعاً لهذا الاساس ايجاد رابط لفظي او معنوي يربط تلك الوحدات برابط الوحدة القدية المشتركة، ولما كان هذا المضمار اساً لا بد منه في عملية البناء الشعري فقد اقتضى براعة في وضع اللبنة موضعها المناسب حتى تتجاذب اقطاب المراحل مع بعضها بعضاً))^(٢٨)

وقد حاول ابن قتيبة ان يضع تأسيساً تاريخياً لهذا المفهوم من البناء حينما قال: ((وسمعت بعض اهل الادب يذكر ان مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار. فبكى وشكا، وخاطب الربيع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر اهلها الطاعنين عنها، اذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لإنتقالهم من ماء الى ماء وانتجاعهم وتتبعهم مساقط الغيث، حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد والم الفراق، وفرط الصباية والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف اليه الوجوه... فإذا علم انه استوقف من الاصغاء اليه والاستماع له، عقب بايجاب القول، فرحل في شعره، فشكا النصب والسهر، وسرى الليل، وحر الهجير، وانضاء الراحلة والبعر، فاذا علم انه قد اوجب على صاحبة حق الرجاء، وذمامة التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكارة في المسير، بدأ في المديح...))^(٢٩).

نجد في النص السابق ان ابن قتيبة حاول ان يضع يده على اجزاء القصيدة العربية الاساسية الا انه قدم وأخر بين تلك الاجزاء والموضوعات التي تعالجها؛ فالشاعر (مقصد القصيدة) يبدأ بالمقدمة التي تتضمن وصف الديار ثم يذكر معاناته، ومن بعد ذلك يستوقف الصبح ليتخلص لذكر احبائه وهجرانهم عنها بغية امالة قلوب السامعين اليه ليكون ذلك مدخلاً مناسباً للدخول في غرضه وهو المديح: ((فالشعراء يبدأون قصائدهم بوصف الديار وحالها في نفوسهم من ذكريات وبالغزل والحديث عن الحبيبة وديارها قبل ان ينتقلوا الى ما نكبتهم به ضرورة العيش وهو المديح استجداء لرمز الممدوحين))^(٣٠).

ويبدو ان هذا الترتيب بين اجزاء القصيدة كان اشبه بالدستور الذي يسير بمقتضاه الشاعر حينما يريد بناء قصيدة: ((فالشاعر يبدأها بوصف الاطلال والديار والنسيب، ثم يستطرد الى وصف الصحراء، او حيوانها الاليف والوحشي، حتى إذا فرغ من هذا الوصف خرج الى الغرض الاساسي لقصيدته من الفخر او المدح او الهجاء او الاعتذار او الرثاء، وربما ختمها بالحكم والامثال))^(٣١).

٢٨- شعر رثاء الامام الحسين في العراق (اطروحة): ١١.

٢٩- الشعر والشعراء: ١ / ٩٤.

٣٠- م. ن: ١ / ٧٤-٧٥.

٣١- الادب وفنونه: ٥٩.

ومعنى هذا ان الاجزاء البنائية للقصيدة العربية على وفق هذا المفهوم من البناء انحصرت في ثلاث وحدات: المقدمة والتخلص والموضوع، وقد تناولها الشاعر العربي بحسب ما ذكره ابن قتيبة في نسه السابق في ثلاث مراحل وهي: الافتتاح والرحلة والغرض، فلقد: ((تحدت صيغ مدخل القصيدة الجاهلية المورثة عبر ثلاث مراحل؛ اولها: الافتتاح الذي يعالج فنون الطلل والظعن والنسيب والغزل والخمر والشيب والشكوى والفروسية وما الى ذلك من صور ظلت البيئة الجاهلية تغذيها، وتحدها بالتفاصيل المتجددة، وظل الشاعر يتخذها منفذا تعبيريا لحديث النفس في تأملها للماضي... وثانيها: الرحلة التي تتخذ غالباً. مجرى وصف الناقة ورحلتها... وثالثها: الغرض الذي تعالجه القصيدة ويتمثل في الاستجابة الآنية لظرف طارئ يستدعي المديح او الهجاء او الرثاء او الفخر... الخ ويتخذ الشاعر منفذا تعبيريا لا استشرفه الذاتي وتطلعه الى النموذج الاعلى لمثله في الحياة))^(٣٢).

ونرى عند النقاد العرب القدماء تأكيداً على ضرورة تماسك تلك الاجزاء، فقد اشار الحاتمي الى ان: ((القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، او باينه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالمه))^(٣٣)، وهذا الكلام يحيلنا الى مفهوم الوحدة العضوية للقصيدة التي يفترض ان تكون كالكلمة الواحدة ((في اشتباه اولها بآخرها، نسجاً ولفظاً، ومعنى))^(٣٤).

وفيما يخص البناء الداخلي فقد وجد النقاد العرب ان المكونات الداخلية للقصيدة العربية يعد الوجه الآخر لبنائها الخارجي، فقد زاد الدكتور نوري حمودي القيسي على عناصر وحدة القصيدة عناصر اخرى تصب في بنائها الداخلي منها: ((الترباط العضوي بين الاغراض التي يطرقها الشاعر، ووحدة الفكر التي تشد اجزائها، ووحدة الحدث، وترباط الحدث، وترباط الافعال التي تأتي وفق سياق محكم وتسلسل مترابط))^(٣٥).

وقد نجد هذا المفهوم للبناء . بمعنى الشكل المنجز . يقترّب من دراسة الوحدة العضوية للقصيدة التي سبق ارسطو العرب في التركيز على ضرورتها اثناء حديثه عن المأساة اليونانية اذ رأى ارسطو ان تلك الاجزاء يجب ان تكون متماسكة: ((بحيث اذا نقل او بتر جزء انفرد عقد الكل وتزعزع لأن ما يمكن ان يضاف اولاً يضاف دون نتيجة ملموسة لا يكون جزءاً من الكل))^(٣٦).

وعلى الرغم من تلازم مكونات البناء الداخلي والبناء الخارجي للقصيدة، وعدم انفصالهما منطقياً، وصعوبة تصور اي واحد منهما دون تصور الآخر، يرى الباحث ضرورة فصلهما في دراسة القصيدة، اذ

٣٢- في النقد الادبي: ١٥٤ .

٣٣- حلية المخاضرة: ١ / ٢١٥ .

٣٤- عيار الشعر: ١٢٦ .

٣٥- ملامح من صور البناء الفني لقصيدة الحرب: ١٠٩ .

٣٦- فن الشعر: ٢٦ .

ان مزجها معا تحت مفهوم واحد في الدراسة، وكأئها شينا واحدا كثيرا مما يؤدي الى نتائج دراسية سلبية لا تصب في الكشف عن آليات القصيدة، وربما تؤدي الى تكوين صورة مشوشة وغير دقيقة عنها.

فقد اوجدت الدراسات النقدية الحديثة مصطلحا جديدا ملتبسا هو: البناء الفني، للدلالة على محمولات المصطلحين السابقين معا، ومن خلال استعراض المتن النقدية الحديثة، واستعراض ما أنجزته الجامعات من رسائل واطاريج أكاديمية نجد ان المراد بمصطلح البناء الفني: دراسة هيكل القصيدة او شكلها المنجز فضلا على دراسة البناء الداخلي لها: اللغة الشعرية، والاساليب، والصورة الفنية، وربما تجمع تلك الدراسات بين مكونات القصيدة المتقدمة الى جانب ما يجب ان تكون عليه عملية الخلق الشعري، وهو جمع لا مبرر له ولا يسوغه المنطق العقلي.

لقد اوقع هذا المفهوم كثيرا من القراء والمتلقين العرب في لبس، وقد لا يستطيع القارئ ان يتبين له مفهوما موحدا او تعريفا دقيقا في دراسات النقاد المعاصرين، فقد بان الخلط واضحا في المؤلفات الحديثة بخصوص تحديد المصطلحات الخاصة بدراسة مكونات القصيدة العربية، وعلى سبيل التمثيل ورد المصطلح المذكور عند الدكتور مرشد الزبيدي واراد منه: ((بناء العبارات والصور والموسيقى والافكار والتركيبات اللغوية والعواطف المتألفة والمتضادة فيها...))^(٣٧)، وهذا معنى عام غير مخصص، يشتمل على دراسة اوجه القصيدة كلها، وهو معنى يتعد من مفهوم دراسة وحدات القصيدة الذي يتفق مع الرؤية السابقة لمفهوم البناء، ومما يزيد الامر غموضا والتباسا ان الاستاذ الزبيدي يعود ثانية ليعقد مقارنة بين المصطلح المذكور ومصطلح آخر هو: الوحدة العضوية، قائلاً: ((وان الفرق بين المفهومين فيما ترى يتعلق بطرائق التحليل، ففي حالة دراسة الوحدة العضوية يتعلق البحث بدراسة العلاقات التي هي الاقسام التي يتكون منها النص بينما في حالة البناء الفني يتعلق الامر بدراسة العناصر المكونة للقصيدة فضلاً عن دراسة علاقات الاقسام المكونة لها، فالبناء الفني... اشتمل من وحدة القصيدة، وهو يتضمنها، ولذلك يكون من المناسب في بنية العمل الفني ان يخصص جزءاً من دراسته لموضوع وحدة القصيدة))^(٣٨).

ولا يمكن التسلسم بصحة هذا الكلام بمجمله لتناقضه لا سيما في الجزء الاخير منه حينما اراد من (مصطلح البناء الفني): الدراسة الشاملة للقصيدة أي جعل مفهومي البناء: الشكل المنجز، وعملية الخلق والتكوين منظويات تحته، مع الاشارة الى ان هذا اللبس الذي يتمثل في تعميم مصطلح البناء الفني وارد في اكثر المصادر التي عنونت بهذا العنوان^(٣٩).

ويرى الباحث ان مصطلح (البناء الفني) مصطلح غير دقيق، فهو يثير كثيراً من الاريك اولاً، ثم اذ انه لم يرد في المتن النقدي العربي القديم ثانياً، فالمدونة النقدية العربية قد درست القصيدة العربية في اغلب الاحوال على وفق مفهومي البناء اللذين ذكرناهما.

٣٧- بناء القصيدة الفني: ١٤.

٣٨- ينظر، م ن: ٥٦.

٣٩- بناء القصيدة الفني في النقد العربي في ضوء النقد الحديث، والبناء الفني للقصيدة العربية، وبناء القصيدة في شعر الشريف الرضي، والبناء الفني في قصيدة الحماسة العباسية ومرآتي الامام الحسين في الشعر العراقي ١٩٠٠. ١٩٥٠ (اطروحة).

ونجد الامر ذاته عند الدكتور جودت فخر الدين في كتابه (شكل القصيدة العربية)، فقد استعمل الدكتور جودت مصطلحا آخر ليس اقل ارباكا من مصطلح البناء الفني، فقد استعمل مصطلح: الشكل، بوصفه مصطلحا جديدا في دراسة القصيدة العربية، فقد جعله جامعا لمفهومي البناء السابقين في سلة واحدة، فالشكل عنده يتحدد بهذه المعادلة:

الشكل = المعنى + المبنى

وبذلك فإن مفهوم الشكل عند الدكتور فخر الدين مفهوم عام يمكن للدارس من خلاله دراسة كل ما يتعلق بالقصيدة بصورة غير محددة، مما افقد هذا المصطلح هويته (٤٠).

وبناء على ما قدم يرى الباحث انه يتوجب على الدارس إن اراد معالجة الشكل الخارجي المنجز وهيكلها المعماري والهندسي فإن مصطلح البناء الخارجي او مصطلح البناء الميكلي هو المصطلح الملائم لدراسته، ويقع تحت هذا النوع من الدراسة: دراسة اللغة الشعرية: الالفاظ والتراكيب والجملة والاساليب والايات، واجزاء القصيدة من مقدمة وتخلص وموضوع وخاتمة، فضلا على دراسة الايقاع بنوعيه: الخارجي والداخلي، اما إذا أراد دراسة عناصر القصيدة الداخلية: الافكار والعواطف، الخيال، الصور الفنية، والحالات النفسية فإن مصطلح البناء الداخلي سيكون المصطلح المناسب لدراسته.

خاتمة

من خلال العرض السابق تبين للباحث ان مفهوم البناء لم يحظ بمصداق موحد عند نقادنا القدامى والمحدثين معاً، فتحت هذا المفهوم انطوت موضوعات لا جامع بينها سوى انها تُعنى بدراسة القصيدة لا سيما بعد ان تناسل مصطلح البناء الى مصطلحات غير دقيقة لا تفي بمصدايقها، وبناء على ذلك يرى الباحث ان مصطلحات مثل البناء الفني او البناء الموضوعي لا ضرورة لها كونها تثير من الاشكاليات اكثر مما تسلطه من اضواء في المجالات التي تدرسها داخل الجسد الشعري التقليدي، وتبعاً لذلك وانسياقاً مع المنطق العقلي نرى ان يدرس بناء القصيدة وفق مخطط الآتي:

البناء بمعنى عمليات التكوين او الصناعة او الخلق او الانشاء، ويدرس تحت هذا الباب:

أ. شروط تكوين القصيدة وخلقها وقوانين صناعتها.

ب. ودراسة عملية الابداع الشعري.

ج. كيفية تكوين الافكار وتبلورها وشروطها.

د. آليات توصيف العواطف وبيان صدقها من عدمه.

ذ. تحليل الاحيلة ودراسة مدى دقتها.

اما البناء المنجز، فيقع تحته دراسة:

- أولاً: البناء الهيكلي، أو الشكلي، أو الخارجي، أو المنجز، ويندرج تحته:
- أ- نشأة القصيدة شكلياً وتطورها الشكلي.
 - ب- أنواع القصيد: ارجوزه، مقطوعة، قصيدة، موشح... الخ
 - ت- اجزاء القصيدة: مطلع، مقدمة، تخلص، موضوع، خاتمة.
- ثانياً: البناء الداخلي، ويدرس:
- أ. اللغة الشعرية، الالفاظ، التراكيب، الاساليب.
 - ب. الايقاع، الخارجي، الداخلي.
 - ج. الصورة الفنية، عناصرها، انواعها، التشخيص، التجسيد، التحسيم، الرمز.
 - د. الافكار، والعواطف، والايحيلة.

مصادر ومراجع

١. الادب وفنونه، د. محمد مندور، دار تحضة مصر للطبع والنشر، مصر، ط٢، د.ت.
٢. البناء الفني للقصيدة العربية، د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، د. ت.
٣. البناء الفني في قصيدة الحماسة العباسية، د. سعيد حسون العنبيكي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٨.
٤. بناء القصيدة في شعر الشريف الرضي، د. عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٨.
٥. بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، د. مرشد الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤.
٦. بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، د. يوسف حسين بكار، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
٧. البيان والتبين، الجاحظ، ابو عثمان عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي واولاده، مصر، ط١، ١٩٣٨.
٨. شكل القصيدة العربية في النقد العربي القديم حتى القرن الثامن الهجري، د. جودت فخر الدين، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
٩. حلية المحاضرة، الحاقمي، ابو علي محمد بن الحسين المظفر (ت٣٨٨هـ) تحقيق جعفر الكتاني، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٧٩.
١٠. الحيوان، الجاحظ، ابو عثمان عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي واولاده، مصر، ط١، ١٩٣٨.
١١. شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين، دراسة تحليلية، د. محمود عبد الله الجادر، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.

١٢. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تحقيق محمد محمود شاكر، القاهرة، ١٩٦٦.
١٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القيرواني، ابو علي الحسن بن رشيق الأزدي (ت ٤٥٦هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط ٤، ١٩٧٢.
١٤. عيار الشعر، ابن طباطبا، محمد بن احمد العلوي (٣٢٢هـ) تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٢.
١٥. فحولة الشعراء، الاصمعي، ابو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجه وطه محمد الزين، مطبعة المنيرية في الازهر، ط ٢، ١٩٦٢.
١٦. فن الشعر، ارسطو، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، ١٩٧٣.
١٧. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط ١٣، ٢٠٠٤.
١٨. فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، د. محمد زكي العشماوي، بيروت، ١٩٨٠.
١٩. في النقد الادبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ٣، د. ت.
٢٠. قراءة اخرى في شعر المتنبي، د. محمد فتوح احمد، مكتبة القاهرة، ١٩٨٣.
٢١. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، د. ت.
٢٢. كتاب الصناعتين، العسكري، ابو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابي الفضل ابراهيم، البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٢.
٢٣. لسان العرب، ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت ٧١١هـ) تحقيق عبد علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر، د. ت.
٢٤. محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، د. ابتسام مرهون الصغار ود. ناصر حلاوي، جامعة بغداد، مطابع دار الحكمة، الموصل، ١٩٩٠.
٢٥. الموازنة بين ابي تمام والبحرّي، الامدي، ابو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ) تحقيق احمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠.
٢٦. نظرية البنائية في النقد الادبي، د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ٣، ١٩٨٧.
٢٧. النقد الادبي الحديث، اتجاهاته واصوله، د. احمد كمال زكي، مكتبة القاهرة، ١٩٧٢.
٢٨. نقد الشعر، قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) تصحيح س. أبو حياكر، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٥٦.
٢٩. نوافذ الوجدان الثلاث، دراسة نفسية في شعرية الخطاب الادبي، د. سعيد يعقوب، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥.
٣٠. الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز (ت ٣٦٦هـ) تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي، البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط ٤، ١٩٦٦.

البحوث والاطاريح

١. شعر رثاء الامام الحسين في العراق اتداء من سنة ١١٠هـ حتى سنة ١٣٥٠هـ، دراسة فنية، خالد كاظم حميدي، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٧.
٢. مرثي الامام الحسين في الشعر العراقي للحقبة ١٩٠٠ . ١٩٥٠ دراسة في الموضوع والفن، علي حسين يوسف، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠٠٩.
٣. ملامح من صور البناء الفني لقصيدة الحرب، د. نوري حمودي القيسي (بحث) مجلة دراسات الاجيال، بغداد، السنة الثانية، العدد الثالث، ١٩٨١.

دور الشركات الكبرى في صنع القرار السياسي الامريكي

The role played by the major companies in the making of the American political decision

م.م. مؤيد جبار حسن صالح^١ M.A. Mu'aid Jabbar Hasan Salih

ملخص

لاشك فيما للمال من تأثير قوي على البنى الاقتصادية حول العالم، باعتباره القلب النابض لها. ومن الطبيعي ان من يمتلك المزيد منه سوف يمتلك المزيد من القوة والنفوذ. وفي الوقت الحالي اصبحت الشركة الكيان الذي تجتمع لديه رؤوس الاموال الضخمة، ومع مرور الوقت والسعي المحموم للربح، نشأت شركات جبارة تمتلك اصول مالية وموجودات وميزانيات توازي ما لدى دول بأكملها. ومن ابرز تلك الشركات، الشركات الامريكية التي تخصصت كل منها في مجالات اقتصادية وتجارية مختلفة من صناعة الاسلحة والبترول مروراً بالإعلام وانتهاءً بالمصارف والبنوك. ونظراً لطبيعة التحالفات والتكتلات بينها، اصبحت كل منها يهيمن على المجال الذي يعمل فيه ويمارس نوع من الاحتكار والسيطرة على الاسواق. بل ان تلك الشركات الكبرى تجاوزت نطاق عملها، لتتدخل بشكل مباشر وغير مباشر في صناعة القرار السياسي الامريكي، الداخلي منه والخارجي، بما يضمن لها استمرار اعمالها وزيادة ربحها وصيانة مصالحها.

ونظراً للطبيعة الخاصة للنظام السياسي الامريكي، وسبل الحكم والانتخابات هناك، استطاع اصحاب المال تكوين لوبيات تعمل لضمان مصالحهم، حتى وصل الامر إلى تبادل الادوار، فنرى على سبيل المثال

١ - جامعة كربلاء/ مركز الدراسات الاستراتيجية.

رجل الاعمال يصبح سياسيا محضوما وقد نرى الاخير يدخل إلى معترك التنافس التجاري ليصبح ثريا من الاثرياء.

لذا يمكن الاشارة إلى ان لا غنى للسياسيين الأمريكيين عن اصحاب رؤوس الاموال، وكذلك لا غنى للأخريين عن السياسيين. فهما يكملان بعضهما. فأى سياسي امريكي يحتاج إلى دعم مالي واعلامي من قبل كتلة اقتصادية معينة (غالبا ما تكون شركة كبرى) وفي المقابل يقوم هو (او يطلب منه) ضمان مصالحها عبر القرارات السياسية والاقتصادية. فعلا سبيل المثال، أي حملة دعائية انتخابية لمرشحي الرئاسة والكونغرس تتطلب انفاق مالي يصل إلى ملايين الدولارات، فمن غير اصحاب الثروات الضخمة قادر على التبرع بها، في مقابل استمرار الوضع الراهن او تغييره لمصلحة الجهة الممولة.

ان الشركات الكبرى تلعب دورا في صناعة القرار السياسي الأمريكي بما تمتلكه من عناصر القوة الاقتصادية والتأثير السياسي. حتى ان نفوذها امتد على الشعوب ايضا، بما تتمتع به من سلطة اعلامية هائلة تشكل الرأي العام وتتحكم بالأذواق والامزجة.

Summary

Companies has been considered an important interface for the money Lobbies which controlling the US economy, and the latter has its ramifications within the structure of American policy institutions generally, which performing decision-making particularly.

According to some analysts that the major companies as the arms and oil companies and money lobbies at Wall Street are the U.S. decision-making teams. and the politicians and the legislatures are just a helping hand in order to pass the grand plans. And that the policies of successive US administrations, were always led by the main factor, to control of the countries which have been undergone the old colonialism in order to depletion its wealth and utilizing it for the benefit of the giant US companies, particularly those operating in the military and oil industries.

Its naturally that the major companies has a main effect in political life as well as economic, especially if we noticed that the largest 1,000 companies in the United States are responsible for 60% of GDP compared to 11 million small trading company. The contracting process does not create new opportunities for small businesses, as the the giants companies holding the power always.

In our research we will seek to find out and explore what does major U.S companies and its role on the American political decision-making process. And does it current and future interests has direct implications on the U.S politicians attitudes? Is it possible that the politics Dominated by funds field, in the most strongest state in the world?

In order to meet the subject of research, I have divided it into three sections, however, in the first part, I dealt with the major companies In terms of meaning, structural, bases of and its Advantages. While I have devoted the second section, and shedding light on U.S political decision-making process, starting with decision-making process concept, ending with the participating institutions in this process. While third section focus on the role of major companies in shaping internal and external U.S political decision-making.

المحتويات

- المقدمة
- المبحث الأول: ماهية الشركات الكبرى
- المبحث الثاني: صنع القرار السياسي الأمريكي
- المبحث الثالث: الشركات الكبرى وصناعة القرار السياسي الأمريكي
- الخاتمة

المقدمة

أهمية البحث: تعد الشركات واجهة مهمة لدى لوبي المال المتحكم في الاقتصاد الأمريكي، وهذا الأخير له تشعباته المعروفة داخل بنية مؤسسات السياسة الأمريكية بصورة عامة، وفي صناعة القرار منها بصورة خاصة.

وبحسب بعض المحللين أن الشركات الكبرى كشركات السلاح والبتروول ولوبي المال في وول ستريت هم الفريق الصانع للقرار الأمريكي، والساسة والسلطة التشريعية مجرد جهة مساعدة لتمرير الخطط الكبرى. وأن المحرك لبعض سياسات الإدارات الأمريكية المتعاقبة، كان دوما السيطرة على البلدان التي خضعت للاستعمار القديم واستنزاف ثروتها وتوظيف هذه الثروات لصالح الشركات الأمريكية العملاقة وبخاصة العاملة منها في حقل الصناعات العسكرية والبتروولية.

إن من الطبيعي أن يكون للشركات الكبرى شأن في الحياة السياسية علاوة على الاقتصادية، خصوصاً إذا علمنا أن أكبر ١٠٠٠ شركة في أمريكا هي مسؤولة عن ٦٠% من إجمالي الناتج القومي مقابل ١١ مليون شركة تجارية صغيرة. إن عملية التعاقد لا تخلق فرصاً جديدة للشركات الصغيرة، إذ إن السلطة تفضل بيد الشركات العملاقة، كما هو الحال دائما.

وسنفترض ان الشركات الكبرى ذات مصالح متعدد وقد تقوم بالتدخل بين الحين والآخر في الشأن العام لضمان مصالحها. لذا سيكون من اهداف البحث السعي لمعرفة ماهية هذه الشركات الأمريكية الكبرى واستطلاع دورها في عملية صنع القرار السياسي الأمريكي. وهل أن مصالح تلك الشركات الآنية

والمستقبلية لها تأثير مباشر على توجهات السياسة الأمريكية؟ أمن الممكن أن يتحكم عالم المال بعالم السياسة في دولة تعد الأقوى في العالم؟

هيكلية البحث: ولغرض الاحاطة بموضوع البحث، فقد تم تقسيم محتوياته على ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الاول الشركات الكبرى من حيث المعنى والهيكيلية وعلائها ومرتكزاتها، اما المبحث الثاني فقد خصص لصنع القرار السياسي في امريكا، بداية من مفهوم عملية صنع القرار انتهاء بالمؤسسات المنخرطة في ذلك. في حين يركز المبحث الثالث على الشركات الكبرى ودورها في صناعة القرار السياسي الأمريكي داخليا وخارجيا.

المبحث الأول: ماهية الشركات الكبرى

المطلب الاول: مفهوم الشركات الكبرى

للشركة معنيان، يذهب الأول إلى عقد الشركة ذاتها، بينما ينصرف الآخر إلى الشخص المعنوي الممثل لها. فهي بهذا المعنى عبارة عن مجموعة أموال وحصص يقدمها الشركاء لتكون ذمة مالية واحدة مستقلة عن ذمهم الشخصية ومخصصة لتحقيق مشروع معين.^(٢) والذي يهمننا المعنى الثاني للتعريف الذي يركز على توضيح ما تتكون منه الشركة وطبيعتها الهادفة للربح.

إن الشركات التي سنتكلم عنها شركات عملاقة توازي سيولتها المالية ميزانيات دول بأكملها، لذا من الطبيعي أن يبرز دورها على الساحة الداخلية (الوطنية) ويتجاوز حدود الدولة إلى ما هو (عالمي). كذلك سنلاحظ أنها شكلت بصورة تراكمية جماعات ضغط فاعلة استطاعت أن تتغلغل في جميع مفاصل الدولة ومنها مؤسسات صنع القرار وتجدرت هناك.

وفي تعريف الأستاذ وائل محمد إسماعيل لجماعات الضغط، إشارة لدور الشركات فيقول: أما جماعات المصالح، فهي تلك الجماعات والجمعيات والنقابات والشركات التي تجمعها مصلحة مشتركة فيما بينها، وتمارس مختلف وسائل الضغط للتأثير على القرار الحكومي والتشريعي.^(٣)

ومن ذلك نستنتج أن الشركات مكون أساس في جماعات المصالح التي تسعى من خلال عملها إلى التأثير في النظم السياسية وبالنتيجة التحكم بقراراتها كي تتوافق مع أهدافها ومصالحها.

كما تعد الشركات الكبرى من القوى المؤثرة في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية، ويتجلى هذا الدور من خلال النفوذ الواسع لها في مختلف دول العالم. ولذا أصبحت ذات صلة بالأمن القومي للولايات المتحدة وهذا يعكس مدى الارتباط بين هذه الشركات ومؤسسات صنع القرار الأمريكي.

٢ - طالب حسن موسى، الموجز في الشركات التجارية، مطبعة معارف، بغداد، ١٩٧٣، ط١، ص ٥.

٣ - وائل محمد إسماعيل، النظام السياسي الأمريكي، دراسة في العلاقة بين الرئيس والكونغرس في الشؤون الخارجية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٢، ص ٧٨.

تنامي نشاط هذه الشركات العملاقة على مختلف مجالات الاقتصاد والتجارة والعمل الربحي المتنوع، فمثلا أكبر خمس شركات أمريكية تمثل تجمع الشركات المنتجة للسلاح، وصلت مبالغ عقودها نهاية عام ٢٠٠٢ مع وزارة الدفاع الأمريكية كالآتي:

١. لوكهيد مارتن..... ١٧ مليار دولار
٢. بوينغ..... ١٦ مليار دولار
٣. نورثروب غرومان..... ٧ مليار دولار
٤. جنرال دينامكس..... ٧ مليار دولار
٥. يوناتيد تكنولوجي..... ٣,٦ مليار دولار^٤

ولا يخفى على أحد أن المؤسسة العسكرية الأمريكية هي أكبر زبون لدى شركات إنتاج السلاح التي تتكون المؤسسة الصناعية العسكرية، ومن هذه الحقيقة نستطيع فهم معطين:

الأول: دور الجيش الأمريكي خارج بلاده بات يمثل منشطا مهما للإنتاج الصناعي العسكري ولعملية تصريف هذا الإنتاج في أسواق الجيوش الحليفة والمناطق الساخنة.

الثاني: السلك الحربي الأمريكي، يعمل على توظيف مئات ألوف الأمريكيين من الشباب والعاطلين عن العمل، وهذا يساهم في تخفيف المشاكل الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن البطالة^(٥).

المطلب الثاني: الشركات الكبرى والشركات متعددة الجنسية

الشركات متعددة الجنسية، تعبير يطلق على الشركات الضخمة التي تشكل شركات فرعية في عدد من البلدان الصناعية وتسوق منتجاتها^(٦). وتعمل الشركات الفرعية ضمن البلد الخارجي، لكنها تحافظ على روابطها مع الشركة الام في الوطن. أي إنها الشركات التي يضيق السوق الداخلي بمنتجاتها، فتتمدد نشاطاتها إلى خارج حدود بلدها الأصلي، والذي يكون فيه مقرها الرسمي، فتنشئ فروعاً (شركات) لها في بلدان عدة.

لقد ظهرت في البداية الشركات الأوروبية كعابرة للقارات، كمنستلة السويسرية و فليبس الهولندية، ثم تبعتها الشركات الأمريكية، ومن أبرزها تلك العاملة في مجال البترول.

ويبدو من الصعوبة بمكان التفريق بين المصطلحين، وبخاصة في الحالة الأمريكية، لكن الذي يهمنا في بحثنا هذا الشركات المنخرطة في العمل السياسي فضلا عن مهنتها الرئيسية، التجارة والربح والتصنيع. وللشركات الكبرى ثلاثة خصائص رئيسة:

١. ضخامة حجم مبيعاتها، شركة أكسون حققت عام ١٩٨٠ مبيعات تقدر (١٠٣) مليار دولار.

٤ - نزع السلاح والامن القومي، الكتاب السنوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٣، ص ٥٨١.

٥ - باهر مردان مضخور، مستقبل الاستراتيجية الأمريكية في العراق، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٧، ص ١٠٥.

٦ - سعد حقي، العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ص ٩٥.

٢. أعداد عمالها كبير، شركة جنرال موتورز لديها ما يقارب ٨٠٠ ألف شخص.

٣. انتشارها الواسع عالمياً، شركة IBM لها فروع في أكثر من ٨٠ بلداً.

وتركز هذه الشركات نشاطاتها على قطاعات متنوعة مثل النفط، السيارات، خدمات التأمين، المالية، السياسة وغيرها.

١. شركات النفط الكبرى (الست الكبار)

مصطلح (supermajor) يوضح أضخم ست شركات نفط ليست مملوكة للدولة، حسب وسائل الإعلام المالية العالمية. وتاجر بأسماء تجارية مختلفة وهي:

إكسون موبيل، شل، بي بي، شيفرون، كونوكو فليبس، توتال. بدأت تلك الشركات بالظهور في أواخر التسعينات، بسبب الانكماش الحاد في أسعار النفط. فبدأت شركات النفط الكبرى بالاندماج في محاولة لتحسين وضعها الاقتصادي، والتحوط من تقلبات أسعار النفط، وتقليل الوفرة الاحتياطية المالية وذلك من خلال إعادة استثمارها.^(٧)

٢. شركات الإعلام والاتصالات والترفيه (العملاقة السبعة)

لقد شهدت تسعينات القرن المنصرم حراكاً محموداً باتجاه الاندماجات والاستحوادات بين شركات الإعلام والاتصالات والترفيه، حتى بلغت ذروتها بأوائل عقد الألفين، القضية ليست الأحجام المالية الضخمة لهذه الكيانات الإعلامية الجديدة، فهناك بنوك وشركات بتروك وأدوية تفوقها حجماً، ولكن الإشكال هو احتكار نوع النشاط الذي تمارسه هذه الشركات، فالقوة الكامنة في الإعلام تخترق كيان كل رجل وامرأة وطفل في المجتمع. وأكبر هذه الشركات:

● بيرتلزمان Bertelsmann: انطلقت هذه الشركة من ألمانيا في نشاط النشر وتمكنت من السيطرة على عشرات الشركات حتى استحوذت على ما لا يقل عن ٦٠٠ دار نشر حول العالم، كما تدير ١٧ محطة إذاعية في فرنسا إضافة إلى عدد آخر في أوروبا، وتمتلك ٦ شركات إنتاج وتوزيع سينمائي ونحو ٢٠ محطة تلفزيونية في مختلف الدول الأوروبية، وفي الإنتاج الموسيقي تمتلك هذه الشركة ٨ شركات إنتاج موسيقي إضافة إلى شركات إنترنت.

● نيوز كورب News Corp: تأسست "نيوز كورب" في أستراليا بقيادة الشخصية الإعلامية العالمية "روبرت مردوك"، وأصبحت تمتلك عشرات المؤسسات الإعلامية في أستراليا وأمريكا اللاتينية وأوروبا وكندا وحتى الولايات المتحدة، تقدر أصول هذه الشركة بنحو ٣٨ مليار دولار، وتشمل عدداً كبيراً من الإذاعات من أهمها "فوكس نيوز" الناطقة باسم اليمين المتطرف الأمريكي، و لديها ٢٢ محطة مرتبطة بها، ومحطة "سكاي نيوز" البريطانية الشهيرة والتي تمثل نفس حط "فوكس" الأمريكية، وتمتلك عدد من

المجلات والصحف الشهيرة من أبرزها "نيويورك بوست" الأمريكية و"التايمز" البريطانية، فضلاً عن شركات في مجال الإنترنت.

● سوني SONY: تأسست هذه الشركة عام ١٩٤٦م في "طوكيو"، وكمثيلاتها من الشركات العملاقة تجاوز نشاط "سوني" صناعة الإلكترونيات المعروفة إلى عدة أنشطة رئيسية، فهي تمتلك أشهر شركات الإنتاج السينمائي مثل شركة "كولمبيا" إضافة إلى ٨ شركات إنتاج سينمائي، كما تدير ٦ شركات توزيع لأفلامها السينمائية، إضافة إلى ١٢ شركة تلفزيونية في الهند واليابان وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط، وتمتلك كذلك دور عرض مسرحي وسينمائي وشركات إنتاج موسيقي إضافة إلى إنتاج الإلكترونيات وحتى شركات التأمين.

● وولت ديزني Walt Disney: تعد هذه الشركة ثالث أكبر شركة إعلام في العالم، وتشتق اسمها من نشاطها الأصلي في مدن الملاهي الأمريكية الشهيرة، ولقد تجاوز نشاط هذه الشركة مدن الملاهي إلى ما هو أهم بكثير، حيث استحوذت على ٣ دور نشر و ٤ مجلات أمريكية و ٥ صحف من شرق الولايات المتحدة إلى غربها، ولكن لعل أهم ما تسيطر عليه المحطات التلفزيونية المهمة مثل محطة "إيه. بي. سي" (ABC) الذائعة الصيت إضافة إلى ٧ محطات تلفزيونية أخرى، كما تمتلك "ديزني" ٥ شركات توزيع سينمائي، فضلاً عن دور العرض المسرحي، علاوة على نحو ٣٠ محطة إذاعية حول العالم.

● فيفندي vivendi universal: تأسست هذه الشركة من اندماج ٣ شركات إحداها في مجال الاتصالات و ٢ في إنتاج الأفلام والبرامج التلفزيونية والإذاعية، تمتلك "فيفندي" شركتين للاتصالات الأرضية واللاسلكية، ودار نشر في فرنسا، و ٣ شركات لخدمات الإنترنت، كما تمتلك ٩ شركات للإنتاج الموسيقي، و ٤ شركات للإنتاج السينمائي من أبرزها "يونيفيرسال ستوديوز" و"يوناييتد انترناشونال بكتشرز"، ولكي تضمن توزيع إنتاجها استحوذت الشركة على ٤ شركات توزيع من أشهرها "كنال بلوس" الأوروبية و"يو. إس. آيه. نتوركس".

● فياكوم Viacom: انطلقت هذه الشركة إثر اندماج بين شركة "سي. بي. إس" (CBS) الأمريكية العملاقة وشركة "فياكوم"، وتمخض ذلك عن تأسيس أكبر شركة إعلامية على مستوى العالم، أما الشركات التي تمتلكها وتديرها هذه الشركة، فكثير جداً، بيد أن معظمها معروف حتى على مستوى الشرق الأوسط والخليج العربي، تمتلك "فياكوم" دار نشر "تكليديون" فضلاً عن ٣ دور نشر أخرى، كما تمتلك شركة إنتاج الأفلام الشهيرة "بارامونت"، و ٢٣ محطة ووحدة إنتاج تلفزيوني من أشهرها "سي. بي. إس"، و"شوتائم" التي يعيشها الشباب، وكذلك "ذا موفي تشانيل" لمحبي الأفلام، وزيادة على ذلك، تمتلك هذه الشركات عشرات الفروع في مجال الإنترنت ودور عرض السينما والمسرح.

● آيه. أو. إل. تايم وورنر A.O.L.T: بعد اندماج شركتي "آيه. أو. إل" و"تايم وورنر" أضخم اندماج على مستوى العالم، حيث بلغ مجموع أصول الإندماج (١٦٥) مليار دولار، محققاً المركز الأول بين الشركات العملاقة، يذكر أن الشركة الأولى كانت تركز أنشطتها في مجال الاتصالات بينما كانت الأخرى تمتلك سلسلة كبيرة من المجالات العريقة وشركات إنتاج تلفزيوني عالمية مثل "سي. إن. إن" (CNN)

الشهيرة. ومن المجالات المملوكة لها مجالات "تايم" و"لايف"، و"فورتشن" و"سيورتنس الستريتد"، فضلاً عن ٢٧ مجلة، كما تملك ٥ دور نشر وشركات للإنتاج السينمائي مثل شركة "وورنر برذرز" التي تمثل عراقلة صناعة السينما الأمريكية.

وبحسب إحدى الشركات الاستشارية العالمية بلغ الإنفاق على الإعلام العالمي، والذي يشمل الطباعة والتلفزيون وغيرها نحو (١,٤) ترليون دولار نهاية عام ٢٠٠٧م، أي إنه فاق دخل بعض الدول بأضعاف، المقلق هنا ليس ضخامة المبلغ فحسب ولكن أوجه إنفاقه، فالمبالغ المنفقة على الإعلانات التجارية قد لا تمثل سوى عشر الرقم المذكور، ولكن الملاحظ بالفعل هو أن قسماً كبيراً من هذه الميزانيات تنفق لصياغة الرأي العام الغربي والتأثير عليه بما يخدم المتنفيين بتلك البلاد^(٨).

المبحث الثاني: صنع القرار السياسي في أمريكا

المطلب الأول: مفهوم عملية صنع القرار

منذ الحرب العالمية الثانية ودراسات صنع القرار تشهد نمواً متزايداً، كون القرار يشكل عنصراً مركزياً في العملية السياسية، وربما وردت إشارات غامضة لمفهوم اتخاذ القرار في بعض الدراسات التي تبحث في التاريخ الدبلوماسي أو نشاطات المؤسسات الحكومية. فعلماء النفس عمدوا إلى دراسة الدوافع الخفية وراء القرارات التي يتخذها الفرد، أما علماء الاقتصاد فاهتمامهم تركز على قرارات المستهلك أو المنتج أو المستثمر، وذهب علماء الإدارة إلى البحث في كيفية تحسين مستوى أداء الأجهزة التنفيذية العاملة وترشيد اتخاذ القرار، أما في العلوم السياسية فقد انصرف الاهتمام إلى تلك القرارات التي تعبر عن سلوك تلك القوى المؤثرة في عمليات صنع السياسة.

إن عملية صنع القرار تجري بين طرفين، طرف يقرر ومحيط يحتضن القرار من قبل ومن بعد أو بيئة، والطرف المقرر هو الدولة من خلال الأشخاص المخولين في الإفصاح عن مضمونها بالأفعال والقرارات. أما البيئة فتكون ذات بعد زماني ومكاني، فهناك البيئة السابقة للقرار وتكون في ذهن صاحب القرار وخارجه أي بيئة سيكولوجية وبيئة موضوعية، أما البيئة اللاحقة للقرار فهي الأخرى ذات بعد سيكولوجي وموضوعي، وهذه السلسلة من المعطيات المتواصلة تشكل عملية صنع القرار^(٩).

ويعرف ريتشارد سنايدر عملية صنع القرار بأنها ((العملية الاجتماعية التي يتم من خلالها اختيار مشكلة لتكون موضعاً لقرار ما، وينتج عن ذلك الاختيار ظهور عدد محدود من البدائل يتم اختيار أحدها لوضعه موضع التنفيذ والتطبيق))^(١٠). ويرى الدكتور إسماعيل صبري مقلد أنه يقصد بهذه العملية

٨ - <http://pr.sv.net/aw/2006/September2006/arabic/pages082.htm>

٩ - كاظم هاشم نعمة: العلاقات الدولية، بغداد، شركة أباد للطباعة ١٩٨٧، ص ٧٦.

١٠ - محمد سعد أبو عامود: صنع القرار السياسي في الحقبة الساداتية، المستقبل العربي، بيروت، العدد ١١٢، السنة السادسة

١٩٨٨، ص ١١٢.

((التوصل إلى صيغة عمل معقولة من بين بدائل عدة متنافسة والقرارات كلها ترمي إلى تحقيق أهداف بعينها أو تفادي حدوث نتائج غير مرغوب فيها))^(١١)

وهناك من يميّز بين عملية صنع القرار والقرار نفسه، فمما لا شك فيه أن عملية صنع القرار السياسي أكثر اتساعاً من القرار، لأن القرار تعبير عن المخرجات التي ترتبط بالموقف. أما عملية صنع القرار، فهي كل ما يرتبط بالموقف من مدخلات ومخرجات فضلاً عن التفاعل بينها. إن صنع القرار عملية تهيئة للمعلومات وصياغة للبدائل لعلاج مشكلة، بينما يشير اتخاذ القرار إلى اختيار البدائل الأرجح أو الأمثل^(١٢)، وبالتالي يكون القرار اختياراً لبدائل من البدائل ويخضع لتوجيه فريق العمل أو المستشارين الذين يوضحون ما لكل بديل وما عليه^(١٣).

والقرار كما يعرفه عالم السياسة الأمريكي ديفيد ايستون: ((مخرجات النظام السياسي التي توزع السلطة على أساسها القيم داخل المجتمع)). وهنا يستخدم ايستون السياسة بمعنى التخصيص السلطوي للقيم على مستوى المجتمع ككل. وبهذا يختلف القرار عن السياسة في أنه اختيار بين مجموعة من البدائل في لحظة معينة محددة بزمان معين. أما السياسة فتتسم بالعموم. وفي رأينا أن القرار السياسي هو:

١. عمل إرادي لصانع القرار يعمل بتصميم على أن يكون متطابق مع الواقع.
٢. وجود موقف (مشكلة) تواجه صانع القرار وقد تحددت مكاناً وزماناً وموضوعاً.
٣. القرار يعني الانتقال من الإطارات التصوري للبيئة السابقة ويمكن وصفها بأنها عالم الغايات والأهداف إلى الواقع الذي نستطيع أن نحدده بأنه مشكلة واجهت صانع القرار السياسي ويجب معالجته.

المطلب الثاني: اثر المؤسسات الحكومية في صنع القرار السياسي الأمريكي

منذ عام ١٩٤٥، لم يعد القرار السياسي الأمريكي شأنًا داخلياً خاصاً بالولايات المتحدة الأمريكية وذلك بسبب ظهور القطبين العالميين وبداية الحرب الباردة وانبثاق سباق التسلح لكسب الميزان الدولي لصالح الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة، ثم ظهر ما اصطلح على تسميته بالحروب الصغيرة أو الإقليمية التي تغذي عملية كسب التوازن ما بين العملاقين، منذ ذاك غدا القرار السياسي الأمريكي شأنًا عالمياً يغطي بخروجه وصدوره على التحولات العالمية ويشملها تحت مظلة الاستراتيجية العامة؛ إذ إن السياسة الداخلية الأمريكية عادةً تصنع نفسها من خلال الديناميات الاقتصادية ومصالحه المواطن الأمريكي إلا إن هذه الدينامية تتغذى عبر القرارات الخارجية أيضاً، فإن مرشحي الحزب الجمهوري أو

١١ - إسماعيل صبري مقلد: العلاقات السياسية الدولية. دراسة في الأصول والنظريات، الكويت، ١٩٧١، ص ٢٤٩.

١٢ - علي السلمي: مهنية الإدارة، عالم الفكر، السنة ٢٠، العدد ٢، تموز ١٩٨٩، ص ١٥.

١٣ - محمد علي العويني: أصول العلوم السياسية، نظرية الدولة، الفكر السياسي، الرأي العام والإعلام، العلاقات الدولية، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨١، ص ١٩.

الحزب الديمقراطي وهما الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة أخذوا يطرحان السياسة الخارجية ضمن برامجهما الانتخابية، ومن هنا يأتي القرار السياسي الأمريكي قراراً دولياً داخلياً في وقت واحد إلا إن بُعدة الدولي هو الذي كان شاملاً أكثر من غيره.^(١٤)

فمن خلال القرار السياسي الأمريكي، أقيمت أول قنبلة نووية في التاريخ على مدينة (هيروشيما) و (ناكازاكي)، لكي تخضع اليابان إلى الاستسلام وعدم مواصلة الحرب، وعبر القرار السياسي الأمريكي أيضاً بدأت حرب (فيتنام) لتحصده أكثر من مليوني قتيل فيتنامي عدا مئات الآلاف من معوقى الحرب، وعبر هذا القرار أيضاً وعبر المجالس الانتخابية التي قادها الرئيس (نيكسون) كانت عملية انهيار حرب (فيتنام) في مشروعه الانتخابي كذلك فقد فاز بالانتخابات، وعبر هذا القرار كانت نهاية الحرب عام ١٩٧٢.

كما لعب القرار السياسي الأمريكي الدور الأول في إنشاء دولة (إسرائيل)؛ وكان هذا القرار دوماً يلعب الدور الأساس خلال كل مراحل الصراع العربي - الإسرائيلي، ولعب هذا القرار دور مهم في الصراعات التي شهدتها منطقة الخليج العربي منذ قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وبداية حرب الخليج الأولى عام ١٩٨٠ وحرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وصولاً إلى عام ٢٠٠١ وقرار الولايات المتحدة الإعلان عن حرب جديدة ضد ما أسمته بـ (خطر الإرهاب) بعد أحداث ١١/أيلول ٢٠٠١ والذي تمخض عن شن حرب ضد أفغانستان ومن ثم غزو العراق واحتلاله عام ٢٠٠٣.

إن القرار السياسي الأمريكي الذي كان فاعلاً في كل تلك الأحداث هو ليس قراراً محايداً أو محصوراً فعلى مستوى الحياد أو عدمه يمتلك هذا القرار بعداً أساسياً هو المصلحة العليا للولايات المتحدة الأمريكية، وعلى صعيد عدم الحصر، فإنه قرار يتجاوز الداخل لتصنع معطياته في الخارج، ولذلك تحتم دراسة هذا القرار، ليس دراسة فوقية من الخارج بل دراسته من الداخل، أي دراسة ((صنع القرار السياسي الأمريكي)) أي الدينامية التي تتحكم بخلفية السياسة ولا بد أن تكون هذه الدينامية هي الأساس المحوري الذي يقود إلى إصدار القرار الخارجي الذي يصنع ويصاغ عبر عملية واعية ومتسلسلة تقوم به أجهزة ومؤسسات وقوى عديدة تتفاعل أدوارها لإصدار القرار السياسي الخارجي، ومن هنا تكمن أهمية دراسة القوى الفاعلة في صناعة القرار السياسي الخارجي لسبب جوهري مفاده أنه لا يمكن فهم رد فعل السياسة الأمريكية على أي حدث عالمي مهما كان حجمه وشدة تأثيره ما لم تتم معرفة القوى الأساسية الفاعلة في الداخل الأمريكي، وكيفية تعاطي وتفاعل تلك القوى مع الحدث الخارجي.

ويتألف النظام السياسي الأمريكي من ثلاث مؤسسات دستورية رئيسية، هي: الرئاسة والكونغرس والجهاز القضائي. وهي تمارس عملها انطلاقاً من فلسفة فصل السلطات، كما تبلورت في الدستور الاتحادي الوظائف التشريعية والتنفيذية والقضائية.

الرئاسة تتمتع بسلطات تنفيذية وتشريعية واسعة، "أملتھا الوقائع العملية لممارسة اختصاصات الرئاسة وصنع القرارات ويخضع الرئيس لمراقبة مجلس الشيوخ، لكنه غير ملزم بتوجيهاته". وينتخب الرئيس لولاية تدوم أربع سنوات، وقد يعاود انتخابه لولاية ثانية، وهو المحدد للخيارات في مجال السياسة الخارجية، ويتمتع بشرعية مصدرها الشعب الذي انتخبه. فهو المسؤول عن السلطة التنفيذية، وله صلاحية ترشيح وتعيين كبار موظفي الدولة (الوزراء والسفراء والقناصل وقضاة المحكمة العليا)، بعد موافقة ثلثي أعضاء الكونغرس الحاضرين. كما يحول له الدستور إبرام المعاهدات الدولية بعد موافقة ثلثي أعضاء مجلس الشيوخ على الأقل. ويعتبر الرئيس القائد الأعلى للقوات المسلحة وله حق العفو.

أما الكونغرس، فقد خوله الدستور الأمريكي سلطات تقريرية في المجالات الدستورية والتشريعية والدبلوماسية ومراقبة الإدارة، إضافة لبعض السلطات التحكيمية. لذلك، فهو من أهم المكونات الحيوية للنظام السياسي الأمريكي، إذ يعكس أعضاء الكونغرس البالغ عددهم ٥٣٥ عضواً، مدى تنوع حاجات وآمال وتطلعات الشعب الأمريكي نحو المستقبل.

أما سلطة الجهاز القضائي في النظام السياسي الأمريكي فهي مقررّة دستورياً، ومحورها هو الوظيفة التحكيمية التي يقوم بها القضاء في حالة تنازع الأفراد والدولة، أو أجهزة الدولة الفيدرالية مع الولايات أو الكونغرس.

ويذهب البعض الى ان أهم عوامل اتخاذ القرار في أمريكا، البيت الأبيض، متمثلاً بالرئاسة الأمريكية، وبالخصوص شخص الرئيس الذي يترأس الوزارات الخمس والأجهزة الأمنية والاستخباراتية.. تأتي بعد ذلك السلطة التشريعية المتمثلة بالكونغرس النواب والشيوخ والذي له النصيب الأكبر في صناعة القرار الأمريكي. هذه عوامل مباشرة لصنع القرار في أمريكا.. وهناك عوامل أساسية غير مباشرة وهي الشركات التجارية العملاقة التي تتكفل بأغلب تكاليف الحملات الانتخابية لمرشحي الرئاسة والكونغرس.. كذلك الإعلام المرئي والصحفي الذي يشهد صراعاً دائماً بين الأطراف السياسية.^(١٥)

المبحث الثالث: الشركات الكبرى وصناعة القرار السياسي الأمريكي

المطلب الأول: تأثير أصحاب المال في المؤسسة السياسية

إزاء الوضع الذي تمر به الولايات المتحدة الأمريكية من أزمة مالية وفضائح مالية للشركات كان المتوقع من المؤسسة السياسية التي تشمل البيت الأبيض ومجلسي النواب والشيوخ أن تتخذ إجراءات تشريعية سريعة تجبر الشركات على التقيد بمعايير حسابية تمنع الاختلاسات من جهة وتدافع عن مصالح ملايين العمال والطبقة الوسطى من جهة أخرى. ولكن بات واضحاً أن ذلك لن يحصل لكون أصحاب

المال ذوي تأثير على أصحاب القرار. فالعديد من النواب تابعون للشركات الكبرى التي تمول حملاتهم الانتخابية، حتى الرئيس نفسه مرتبط بالشركات التي دعمت حملته الانتخابية بـ ٥٠ مليون دولار.^(١٦) وفي محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، صوت مجلس الشيوخ عام ٢٠٠٠ بأغلبية (٩٧) نائياً تأييداً لمشروع قرار يدعو لإصلاحات واسعة في قوانين المحاسبة وتداول الأسهم. لكننا نرى أن الخلافات بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري بقيت على حالها. ففي حين يسعى الحزب الديمقراطي إلى تشديد الإجراءات والعقوبات على الشركات ومؤسسات الاستثمار ومكاتب تدقيق الحسابات للحيلولة دون وقوع كوارث اقتصادية. فإن الحزب الجمهوري يميل إلى عدم التدخل في السوق وتركه يصحح نفسه بنفسه^(١٧).

ولكن الواقع إن التصويت داخل مجلس الشيوخ يخفي حقيقة كون الشركات الكبيرة تعمل وراء الكواليس من خلال الضغط على النواب للتقليل من صرامة القرارات التشريعية كي لا تمس إرباحها. وتبقى القرارات في النهاية لمصلحة أصحاب الشركات ورؤساء الأموال، وإن المتضرر الأكبر هو المواطن العادي، كون أصحاب رؤوس الأموال لهم طرائقهم في التأثير على صناعات القرار، ولديهم الدراية الكاملة في آلية إدارة الدفة وقيادة السفينة لبر الأمان بالنسبة لهم.

المطلب الثاني: الاعتبارات الاقتصادية وأهميتها في السياسة الخارجية

أدت التطورات العلمية السريعة إلى إحداث ثورة في نظم المعلومات والتكنولوجيا المتقدمة و تعزيز أدوات السياسة الأمريكية الرامية لتجسيد السيطرة العالمية، فهي تعد اليوم أكثر الدول الصناعية تقدماً في السيطرة على نظم المعلومات الأكثر تعقيداً كما إنها تمتلك ناصية علمية - تكنولوجية لا تضاهيها أي دولة أخرى وقد رتبت هذه المتغيرات جملة من الحقائق الأساسية التي عززت في النهاية الدور القيادي للولايات المتحدة^(١٨).

حيث تركز الأثر التكنولوجي خصوصاً على الهرم السياسي الدولي وفروض التحالفات والتوازنات السياسية الدولية ومفهوم الأمن القومي في الإطار الاستراتيجي فضلاً على أثره في القيم السياسية السائدة عالمياً كالديمقراطية والمركزية الأيديولوجية والمواطنة العالمية من حيث أثره على مقومات القوة الشاملة، بات المتغير التكنولوجي يلعب دوراً كبيراً في تقرير الهرم الدولي وتحديد المراتب المختلفة في إطاره، فالدول المتقدمة تكنولوجيا ستتمتع بالميزة المطلقة مستقبلاً في مضمار التنافس على اعتلاء قمة الهرم الدولي.

١٦ - Michael Lind, The Next American Nation, The Free press, New -York, 2000, p.187 - ١٦

١٧ - إيمانويل تود: ما بعد الإمبراطورية، دراسة في تفكك النظام الأمريكي، ترجمة محمد زكريا، عمان ٢٠٠٣، دار الساقي،

ط١، ص٨٤.

١٨ - جوزيف ناي، المعلوماتية الأمريكية، موارد قوة المستقبل، ترجمة مركز الجمهورية للدراسات الدولية، بغداد، العدد المزدوج

(٧-٦) ١٩٩٦، ص ٩٠-٩٤.

إن الهيمنة على قمة الهرم الدولي في عصر المعلومات والاتصالات تختلف كلياً عن تلك الهيمنة التي سادت في العهد السابق ولا سيما فيما بعد الحرب العالمية الثانية حيث كانت تقوم أساساً على النفوذ المباشر المدعوم بالقوة العسكرية والهيمنة الأيديولوجية كما هو الحال بالنسبة للاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة وهذه الصيغة كما كشفت التجربة كانت تقود إلى استنزاف القطب المهيمن اقتصادياً ومن ثم إضعافه إستراتيجياً على المدى البعيد، فالهيمنة الدولية لعالم أمس كانت عسكرية الطابع سياسية المضمون. أما اليوم فحسابات الهيمنة الدولية أخذت طابعاً جديداً قوامه إقامة شبكة من المصالح الاقتصادية والتوازنات السياسية وفقاً لصيغ من التفاعل والتكامل بين أطرافها والدولة التي تنجح في بلورة صيغ تحالفية مصلحية ستكون أقدر على تبوء المركز القيادي على الصعيد العالمي، وهذا يعني إن الطرف المهيمن أصبح بحاجة إلى أطراف دولية تعاضده في سياساته وتدعم موقفه تبعاً لنسق تحالفي بعيد الأثر^(١٩).

والعامل الاقتصادي - وفقاً لذلك - أصبح محور التحالفات الدولية، وكان له دور مباشر في قلب المعاهدات السياسية والتوازنات الاستراتيجية كما يشهدها العالم اليوم، والنيل من الثوابت الاستراتيجية العظمى وهي في مسعى تقرير الهيمنة الدولية. فالولايات المتحدة وهي بصدد إدراك التحدي الآسيوي والأوروبي لهيمنتها العالمية وتفاعلاً منها مع فروض التنافس الاقتصادي التي تمحضت عن الثورة العلمية والتكنولوجية، أخذت تبحث عن تحالفات دولية تعود بالمنفعة على اقتصادها وطاقاتها الإنتاجية وليس بالامتياز على هويتها العسكرية كما هو الحال في السابق وهو الأمر الذي تجلّى في السياسة الأمريكية إزاء آسيا منذ مطلع التسعينات^(٢٠). ومغزى هذا التوجه الأمريكي يتمثل في إدراك الولايات المتحدة لأهمية العناصر الاقتصادية في بناء الفعل السياسي المؤثر دولياً. وإذا كانت الدول الصغيرة، في المدة السابقة، تستمد وجودها من تحالفها تحالفاً بالدول العظمى فالدول العظمى في عالم اليوم أخذت تتطلع للدول الصغيرة بغية تدعيم عناصر قوة إضافية تعينها في مجالات منافستها الدولية المختلفة. لذلك يذهب "الستر ثرو" في كتابه "المتناطحون" إلى حصر المنافسة المستقبلية لامتلاك القرن الحادي والعشرين بين الصين وأوروبا والولايات المتحدة تبعاً لشروط تنافسية تعتمد العناصر الاقتصادية والتحالفات الإنتاجية معياراً لها^(٢١). وتأسيساً على ما تقدم ستحدد هوية الأقطاب الدولية في المستقبل وفقاً لما تملكه من مقومات اقتصادية إنتاجية، وما تمتاز به من علاقات تحالفية فاعلة وناجحة وإيجابية، وهكذا يكون العامل التكنولوجي قد أصبح أكثر من أداة لزيادة وتحسين الآلات والإنتاج فهو الآن عامل تغيرات كبرى في العلاقات الدولية^(٢٢).

١٩ - ممدوح شوقي، الامن القومي والعلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧، يناير ١٩٩٧، ص ٣٢.

٢٠ - نفس المصدر، ص ٣٣.

٢١ - لستر ثرو، المتناطحون (المعركة الاقتصادية القادمة بين أوروبا واليابان وأمريكا)، ترجمة محمد فريد، مركز الأهرام للدراسات

والبحوث الاستراتيجية، ط ٢، ١٩٩٦، ص ٧٢.

٢٢ - محمد علم الدين، ثورة المعلومات ووسائل الاتصال - التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال، مجلة السياسة الدولية،

العدد ١٢٣، ١٩٩٦، ص ١٠٣.

لقد ارتكزت السياسة الخارجية الأمريكية على العنصر الاقتصادي والمالي، سواء باتجاه إيجابي (مساعدات) أو سلمي (عقوبات) وقامت الولايات المتحدة بادوار اقتصادية دولية على غرار مشروع (مارشال) في الخمسينات لإعادة بناء أوروبا بعد الحرب، وخلال نهايات الحرب الباردة اعتمدت واشنطن على العامل الاقتصادي في المواجهة مع الاتحاد السوفيتي ودفعه إلى الانهيار إذ شكلت خطة حرب النجوم التي اعتمدها الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس (ريغان) نقطة اجتذبت الاتحاد السوفيتي لسباق وتنافس غير متوازن، كانت نتيجتها الانهيار الاقتصادي والسياسي.

كما كان للصلات الوثيقة بين مراكز السلطة السياسية والأسر الثرية والشركات النفطية الكبرى، الأثر الأكبر في توطيد العلاقات مع كبار الموظفين والوزراء والسفراء داخل الحكومة الأمريكية.

وقبل إن يتولى الرئيس "جورج بوش" الوظائف العامة كان يشغل منصب رئيس إدارة شركة "ذاباتا أوفشور" النفطية في تكساس التي أسسها بنفسه، وعندما انتخب عضوا في الكونغرس سنة ١٩٦٦، قام ببيع مصالحه في الشركة المذكورة لكنه حافظ على صلات وطيدة مع المصالح النفطية في تكساس التي مولت حملته الانتخابية للرئاسة سنة ١٩٨٠ وأثناء الفترة الفاصلة ما بين عضويته في الكونغرس وتوليته نائب الرئيس (ريغان) عمل سفيرا للولايات المتحدة لدى هيئة الأمم المتحدة ومديرا لوكالة المخابرات المركزية وكان (بوش) عضوا في لجنة "ديفيد روكفلر الثلاثة". ان تكوين شخصية بوش كرجل اقتصادي في مجال النفط اثر على تقييمه للموقف من أزمة الخليج ومن ثم الحرب عام ١٩٩١ (٢٣).

وتعد الأسر اليهودية المالكة لكبريات الشركات الصناعية التجارة أنموذجا للنفوذ إلى أجهزة صناعة القرار الأمريكي، ومن أشهرها: أسرة ادغار برونغمان و ال انبرج و ال كراون وال لورد. وهنا يبدو تأثير عالم المال على مجمل الحياة الأمريكية، فمن دعم أحزاب بذاتها وتمويل مراكز بحوث معينة إلى إنشاء مؤسسات صحفية ونوادي نخبة.... الخ

وقد دفع انهيار الاتحاد السوفيتي و بروز اليابان وأوروبا كقوى اقتصادية منافسة للولايات المتحدة مقابل بعض المؤشرات السلبية التي سجلت على الاقتصاد الأمريكي، الحكومة الأمريكية إلى مراجعة وضع هيئة المستشارين الاقتصاديين في البيت الأبيض في أفق تحويلها إلى مجلس له وضع قانوني شبيه بمجلس الأمن القومي، وله سلطة تقريرية في القضايا الاستراتيجية ذات الطابع الاقتصادي، وهو اتجاه تعززته التوقعات الأكاديمية وبيانات السياسيين الأمريكيين.

ان من مهام المجلس الاقتصادي الجديد تنسيق عمل الأجهزة التنفيذية حول القضايا الاقتصادية: مثل وزارة الخزانة ومجلس الاحتياط الفيدرالي (البنك المركزي الأمريكي) ومجلس الاستشارة التجارية الموجود في الشؤون المالية بالبيت الأبيض ووزاري التجارة والزراعة أما الوجه الثاني لتطور هذا المجلس فهو تمتعه بالعضوية في مجلس الأمن القومي (٢٤).

٢٣ - بوب وودور، القادة، ترجمة ليلى حماد، الاردن الدار العالمية للطباعة، ١٩٩٤، ص ١٥٦.

٢٤ - مجلة المستقبل العربي، العدد ١٨، نيسان ١٩٩٣، اقتباس من كتاب منصف السليمي، م، ص، ص ٢٥٦.

وقد اورد جون بيركنز عن دور الشركات الامريكية، أنها لا تعمل وحدها بل بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية والحكومة الأمريكية.

ومن البلدان الأكثر إغراء لتلك الشركات، البلدان النفطية مثل: اندونيسيا، والسعودية اللتين أنجزت الشركات الأمريكية فيهما، مشاريع ضخمة في البنية التحتية مقابل إستمرار تدفق النفط بأسعار متفق عليها، وكذلك استعمال فائض الإيرادات النفطية للبلد في شراء سندات الخزينة الأمريكية التي تدفع فوائدها للشركات الأمريكية القائمة بتنفيذ مختلف المشاريع هنا وهناك^(٢٥).

المطلب الثالث: دور جماعات الضغط والمصالح:

لا يمكن إنكار حقيقة التأثير الذي تلعبه جماعات الضغط والمصالح في ترسيم الإطار العام للسياسة الخارجية الأمريكية وصنع قراراتها ومنها وعلى رأسها قرارات التدخل، وأن أختلف دور وتأثير هذه الجماعات من إدارة لأخرى وتبعاً للظروف السياسية وطبيعة المتغيرات الناتجة عنها. إن استجلاء مدى فاعلية هذه الجماعات في مجرى السياسة الخارجية، ينطلق ابتداءً من جملة العوامل التي ساعدت على نموها وترسيخها، والتي تتعلق بطبيعة تكوين المجتمع الأمريكي وتعددته المعروفة، فضلاً عن العوامل السياسية المتعلقة بالسلطة وطبيعة توزيع اختصاصاتها، مروراً بالثنائية الحزبية التي أسهمت في إبراز هذا التنوع في إطار المصالح بعد أن حرمت منه في إطار الأحزاب، ناهيك عن النظرة العامة للفرد الأمريكي بشكليات المتغيرات الحزبية في السياسة الخارجية مما يدفع للتأثير بها عبر جماعات المصالح.

وتلعب العوامل الاقتصادية والتكنولوجية دوراً هاماً في بيان طبيعة هذا التأثير وتفسيده أساساً، فإذا كان النظام الاقتصادي هو محك السياسة الأمريكية انطلاقاً من حقيقة أن الولايات المتحدة مجتمع صناعي، وأن المصالح الاقتصادية تجدد صداها عند صانع القرار بالضرورة، فأن العوامل التكنولوجية أفرزت موضوعياً تقسيم العمل والتخصص فيه وقادت بالتالي إلى لوبيات وجماعات تشكلت على أسس مهنية أو حتى على أسس أيديولوجية عام، لم تكن لضمان مصالحها من مخرج سوى التأثير في عملية صنع القرار الأمريكي^(٢٦).

إن ضعف التعددية في صنع القرار السياسي الخارجي واحتكار قلة مسيطرة لعملية إصدار القرارات دعم من عمل هذه الجماعات وجعل قابليتها للاختراق والتفاعل ذات مدى أكبر مستفيدة من الأرضية التي يوفرها ضعف الميل نحو الشؤون الخارجية في المجتمع الأمريكي^(٢٧).

٢٥ - <http://www.tanwer.org/tanwer/news/362.html>.

٢٦ - يوجد في الولايات المتحدة ما يقارب من (١٠) آلاف جماعة تصنف على أسس اقتصادية كجماعات قطاع الأعمال والمزارعين واتحادات العمال، وأخرى دينية، وأخرى عرقية، وأخرى أيديولوجية، هدفها جميعاً = فرض مطالب على النظام السياسي طبقاً لمصالحها. للمزيد أنظر: آسيا الميهي، "الرأي العام في السياسة الخارجية" مجلة السياسة الدولية، ع١٢٧، ١٩٩٧، ص٩٠.

٢٧ - منذر الشوريجي، "إدارة كلينتون ومستقبل النظام السياسي الأمريكي"، مجلة السياسة الدولية، العدد (١١١)، القاهرة، ١٩٩٣، ص١٣٣.

- ويتصل تأثير جماعات الضغط والمصالح في السياسة الخارجية من خلال:
- أ. التأثير على الرئيس عبر الانتخابات الرئاسية مستغلة ثقلها المالي والعددي من جانب، ودعم أو إحباط خياراته الخاصة بالمرشحين للمناصب الخاصة بالشؤون الخارجية، وباتجاه دعم وترويج خياراتها من جانب آخر.
 - ب. النفوذ الذي تمارسه على الوكالات الفيدرالية العديدة، بالذات تلك الوكالات ذات المساس بالشؤون الخارجية كالدفاع والخارجية والاقتصاد.
 - ج. التأثير على السلطة التشريعية، فالانتخابات التشريعية هي بوابة هذه الجماعات للضغط على المرشحين، أو عبر لجان الكونغرس.
 - د. تمارس هذه اللوبيات-بصورة غير مباشرة- ضغوطاً سياسية واقتصادية على شركات الصناعة العسكرية والتكنولوجية المتقدمة، مما يدفع هذه الشركات بدورها لممارسة التأثير في المؤسسة العسكرية والسياسية الأمريكية وفي مجرى قراراتها نحو مصالح هذه الجماعات.
 - هـ. تستغل هذه الجماعات بالعديد من مراكز الدراسات الاستراتيجية التي يعمل فيها نخبة من موظفي وزارة الخارجية والدفاع الأمريكيين، حيث تبني هذه المراكز البحثية وجهات نظر هذه الجماعات لتسوقها في إطار أكاديمي لصالح صناعات القرار، أو بتقديم النصح والمشورة في مجال السياسة الخارجية، التي تقرر اتجاه السياسات التدخلية إلى حد بعيد. ناهيك بالطبع عن امتلاك هذه الجماعات للعديد من الوسائل الإعلامية المؤثرة.
- ويمكن إيجاز اهم جماعات الضغط:

١. المجمع الصناعي - العسكري

التدخل باستخدام القوة المسلحة عنصر بارز في السياسة الخارجية الأمريكية، فضلاً عن تبريراته العسكرية، فهو ينطوي على حقيقة أخرى مؤداها تكون الفئات الرأسمالي وكون العمليات العسكرية والإنتاج العسكري الذي يغذيها يعدان من أهم وسائل إعدام هذا الفائض بواسطة الصناعات الحكومية لمصلحة القطاع الصناعي العسكري ومن دون إحداث تغيير في البنية الداخلية للمجتمع، وهذا ملمح آخر للفعل التدخلية. وقد برز منذ مطلع الخمسينات من القرن الماضي مدى قوة القطاع الصناعي العسكري وتغلغله في البنتاغون والحكومة الأمريكية عموماً. وعلى الرغم من ازدياد المعارضة من قبل القطاعات الرأسمالية الأخرى، إلا أن نفوذ هذا القطاع ما زال كبيراً، ويتم غالباً على حساب القطاعات الأخرى.

وتتألف البنية الحربية- الصناعية من طيف واسع من المصالح والهويات التي تتقاسم شراكة موضوعية هدفها تحقيق المصالح الأساسية لكل منها. إن هذه الشراكة تتمحور أساساً بين ثلاث مستويات أساسية، تضم الأولى أصحاب الصناعات الحربية، بينما تضم الثانية المسؤولين الحكوميين المرتبطين

مصلحياً واقتصادياً بالشركات الصناعية الحربية، فيما يضم المستوى الثالث بعضاً من نواب السلطة التشريعية في الولايات المتحدة التي تستفيد من الإنفاق الحربي.

وتتمثل قدرة الجمع الصناعي العسكري في التأثير على مجرى الحياة السياسية، انطلاقاً من قدرته على تقديم المساعدات المالية الضخمة لرجال السلطتين التشريعية والتنفيذية أملاً في وصول مرشحين يأخذون على عاتقهم حماية مصالح هذه الشركات وتعزيزها.

وتلعب آلية التمويل المالي الذي تنفقه الشركات الدفاعية على الحملات السياسية لدعم المرشحين أو الأحزاب السياسية آلية مثلى للتأثير في مجرى القرار الأمريكي، ولا يقتصر مثل هذا الدعم على الأساليب المباشرة المعتادة، بل ومن خلال تقديم الدعم لجماعات ضغط مؤثرة وأفراد متخصصين في العلاقات العامة في واشنطن، فضلاً عن إصدار المطبوعات الإعلامية لتقديمها للكونغرس والإدارة.

ولقد كانت أحداث الحادي عشر من أيلول فرصة مناسبة للمجمع الصناعي - العسكري لتوسيع دوره السياسي من خلال الترويج لنظرية العدو الخارجي، مستهدفة دعم الرئيس، الأمر الذي جعل الرئيس يتصرف بحرية في الاتفاقيات التجارية المعقودة مع الشركات دون العودة للكونغرس الذي تقلص دوره إلى حدود الرفض أو القبول من دون الدخول في تفاصيلها.

إن بنية المجمع الصناعي العسكري لا تنطوي فقط بالأدوار السياسة التي يقوم بها، بل وأيضاً بشكل حاسم في المردود الاقتصادي الهائل الذي يترجم بالحجم الاقتصادي الذي يشكله في القطاع الصناعي الأمريكي، وفي تجارة السلاح الدولية، الأمر الذي جعل هذه الشركات تتمتع بقدره اقتصادية هائلة لا على صعيد الداخل الأمريكي حسب، وإنما على مستوى العلاقات الدولية.

ولبرامج المساعدات الواسعة التي تقدمها المؤسسة العسكرية الأمريكية، دوراً مميزاً في دعم الدبلوماسية الأمريكية، ومن ثم دعم خيارات المؤسسة العسكرية ذاتها في الفعل التدخلية على المستوى العالمي، كونها توفر الغطاء العملي للتأثير في القوى السياسية وأصحاب المراكز المهمة. كما إن التحالف الصناعي العسكري يسهم في بناء قاعدة نفسية تستخدم أساليب مالية وشخصية لحدث تأثيرات كبرى في القرارات التدخلية.

إن فرضية وقوف المؤسسة العسكرية - الصناعية وراء أغلب القرارات التدخلية، لاشك فيها، وذلك بسبب تجمع الرساميل في أيدي قليلة تبحث دوماً عن فرص جديدة للاستثمار خارج حدود الولايات المتحدة، وهذا بلا شك لا يمكن إلا أن يقترن بنمط أداء سياسي خارجي فعال يتسم بالتدخلية. إن منطلق هذا التحليل يقود إلى إبراز حقيقة ارتباط المصالح الاحتكارية المباشرة بالحكومة التي وقعت تحت تأثير هذه المصالح، وهذه المصالح عملت جهدها للضغط على مؤسسات صنع القرار الرسمية وغير الرسمية فضلاً عن مراكز البحوث والإعلام.

٢. دور شركات البترول في السياسة الأمريكية

مع زيادة اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية (ومن بعدها أوروبا وبقية العالم الصناعي) على استعمال البترول كوقود ومصدر للطاقة، تعاضم حرص واشنطن - المستهلك الأكبر لهذه المادة - للسيطرة على منابع البترول وبخاصة في الشرق الأوسط (حيث توجد أعظم احتياطياته)، وعلى صناعته وتسويقه في العالم أجمع، فالبترول "سلعة استراتيجية حيوية في الحرب وضرورية أثناء السلام ولازمة للنفوذ العالمي". وقد ترتب على ذلك كله أن أصبحت شركات البترول الأمريكية (ومن قبلها البريطانية / الهولندية) عمالقة بترول وسياسة في الوقت ذاته، وازداد تداخل السياسة والبترول في كل عناصر القرار الأمريكي، ويذهب وليبر غرين اغلاند، إلى أن الرئيس الأمريكي ترومان أطلق يد وزير خارجيته دين اتشيسون فيما يتعلق بالشرق الأوسط بتأثير من رجال البترول وشركاته.^(٢٨)

فيما القى توفيق الشيخ الضوء في كتابه "البترول والسياسة" على تعاضم دور شركات البترول الأمريكية في عملية اتخاذ القرار السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، قائلاً: ان تطوراً مطرداً شهد القرن العشرون في حجم الشركات النفطية والصناعية الأمريكية ودورها السياسي والإقتصادي، متوازياً مع تطور الإقتصاد الأمريكي من النطاق القومي إلى الإنتشار الكوني" وأضاف: "مع انطلاق الشركات الأمريكية إلى مختلف أصقاع العالم حاملة معها التفوق المالي والفني، وجدت الحكومة الأمريكية نفسها مضطرة إلى نبذ الإنعزال الذي كانت تعيشه وأن تتجه إلى هذه الأصقاع لغرض مصالحها وحماية شركاتها، التي بدأت تدر عائدات كبيرة وتمول الخزائن بالضرائب. وهكذا أصبحت المصلحة الفردية التي تمثلها نشاطات هذه الشركات جزءاً من المصلحة القومية نظراً للفوائد الكبيرة التي غدت هذه الاستثمارات الخارجية تجلبها على الإقتصاد الأمريكي".^(٢٩)

أي إن من دوافع نبذ سياسة العزلة الأمريكية، سعي الأخيرة لمتابعة مصالحها وحماية شركاتها التي انتشرت في أنحاء العالم المختلفة.

وينسب إلى الرئيس الأمريكي السابق فرانكلين روزفلت قوله:

"إن ما يزعج في هذه البلاد هو أنك لا تستطيع أن تكسب انتخاباً دون دعم من من كتلة بترولية، كما أنه لا يمكنك الحكم إلا وأنت مستند إلى دعمها"^(٣٠)

ويستعرض توفيق الشيخ في كتابه السالف الطرق المختلفة التي تلجأ إليها شركات البترول الأمريكية من أجل جعل النخبة السياسية ممثلة لمصالح هذه الشركات، ومن هذه الطرق إقامة معاهد الأبحاث المستقلة أو تمويل مؤسسات الأبحاث والدراسات الأكاديمية التابعة للجامعات الرئيسية، وتشكيل نوادي النخبة التي تضم كبرى الشخصيات ذات التأثير على الصعيد العام ومن أمثلتها "مجلس العلاقات

٢٨ - <http://www.libya-watanona.com/adab/mugariaf/mmm27118a.htm>

٢٩ - توفيق الشيخ، البترول والسياسة، دار الصفا للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة، ط١، ١٩٨٨، ص١٨٣ - ١٩٦.

٣٠ - أنتوني ساميسون، الشفقيات السبع شركات البترول الكبرى والعالم الذي صنعتته، ترجمه سامي هاشم، ط١، (بيروت،

١٩٦٧) ص ١٠٤ - ١٠٣.

الخارجية". و"صندوق روكفلر" ومن هذه الطرق أيضا توجيه أجهزة الإعلام وتمويل الحملات الدعائية الهادفة للتأثير على الرأي العام لصالح أية قضايا تحتاجها الشركات "وتنتهي هذه الطرق جميعها التي تلجأ إليها هذه الشركات إلى محصلة واحدة هي جعل النخبة السياسية ممثلة لمصالح الشركات ومدافعة عنها."

الخاتمة

لقد نظر مؤسسو الولايات المتحدة إلى مصلحتهم ومصصلحة الجماعات التي خرجت من أوربا على أنها أشياء مقدسة، ومن ثم يجب أن تكون مصلحة هذه الجماعات وأهدافها مأخوذة بعين الاعتبار لدى كل من يقود أمريكا.

وهنا تؤكد " مسيرة الراهية " دور أصحاب المال في بلورة القرار الأمريكي، فمن خلال الخطاب الذي ألقاه السيناتور ألبرت بفريدج عام ١٨٩٨ الذي وضع المبادئ الأساسية التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في السياسة الأمريكية. ويتلخص هذا الخطاب في أن التوسع الاقتصادي هو استراتيجية أمريكية، لذا يجب فتح أسواق جديدة للتجارة الأمريكية في العالم، لتنشيط الاقتصاد الأمريكي وضمان هيمنته على الجميع، ويجب على القوة العسكرية أن تخدم هذا المبدأ.^(٣١)

وتمثل الشركات أحد العوامل المؤثرة في حركة الاقتصاد العالمي، فمنذ ظهورها في أواخر القرن التاسع عشر شكلت نقطة تحول هامة في النشاط الاقتصادي الدولي الذي كان سائدا.

وبعد الحرب العالمية الثانية تزايد عدد هذه الشركات، وازدادت فروعها في العالم وفي ظل عصر العولمة نحن أمام شركات عملاقة متعددة الجنسيات، تعمل على تكييف مختلف الأنظمة والسياسات الاقتصادية في العالم -منذ التسعينات- مع مظاهر ومعطيات العالم الجديد الذي تعيد تشكيله.

واليوم يشهد العالم ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية من تدخل عسكري في بقاع عدة، يتم فيها هدم البنى التحتية للمجتمعات، وبعد ذلك تتدخل الشركات الأمريكية لإعادة البناء والترميم. فتتحقق أرباحاً طائلة تنعش الاقتصاد الأمريكي، ويجعل من تلك المجتمعات أسواقاً جديدة لمنتجات الشركات الأمريكية. وقد أكد هذا المبدأ جورج واشنطن عندما أشار إلى أنه يجب اعتبار أي تحالف مع أي دولة مؤقتاً إلا إذا كان مفيداً للمصالح الأمريكية.^(٣٢)

وكما ورد سالفا في البحث، أن الشركات الكبرى (سلاح، بترول، أعلام، علاقات عامة... الخ) أثبتت قدرتها الفعلية على صناعة القرار الأمريكي أو التأثير فيه، مؤكدة أن الفريق في البيت الأبيض مجرد واجهات في يد تلك المؤسسات المالية تستغلها لتمرير القوانين والقرارات التي تريد.

٣١ - <http://www.fordham.edu/halsall/mod/1898beveridge.asp>

٣٢ - <http://www.hurras.org/vb/archive/index.php/t-16422.html>

الاستنتاجات

- بناءً على ما تقدم في سياق هذا البحث، ومن خلال تسليط الضوء على دور الشركات الكبرى في صنع القرار السياسي الأمريكي، توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:
- الشركات الكبرى كيانات اقتصادية ضخمة تمتلك بالإضافة إلى هيمنتها على الأسواق داخل بلدانها وخارجها، عناصر تأثير مهمة داخل الحكومات ومنها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية. إذ يبدو أن هناك نوع من الاعتماد المتبادل، فالشركات تحتاج الحكومات لحمايتها داخليا وخارجيا^(٣٣)، وفي نفس الوقت، الدول لا تستغني عن الشركات لأثرها البالغ في اقتصاداتها.
 - أهم تلك الشركات الكبرى تلك العاملة في مجال البترول (إكسون موبيل، شل، بي بي، شيفرون) وتجارة السلاح (لوكهيد مارتن، نورثروب غرومان، جنرال دينامكس، بوينغ)، وبالدرجة الثانية شركات الاعلام والترفيه (بيرتلزمان، نيوز كورب، سوني، وولت ديزني، فيفندي نينيفيرسال).
 - الدور السياسي الذي تلعبه الشركات الكبرى، والذي يتجاوز أحيانا حدود بلدانها الأصلية، لا يخرج هدفه بالعموم عن مآربها الاقتصادية والربحية. ونلاحظ أن عدد من السياسيين كانوا قبل توليهم المنصب مسؤولين كبار في الشركات الكبرى، وحتى أن بعضهم يعود إلى العمل التجاري بعد تقاعده من خدمة الدولة.
 - نتيجة التداخل بين العمل الاقتصادي والسياسي ظهر نوع من التأثير المتبادل بينهما، يصل إلى درجة الترابط المصيري، فما هو سياسي لن يعيش بمعزل عن ماهو تجاري والعكس صحيح.
 - النخب السياسية الأمريكية تستند في حملاتها الانتخابية والدعائية على تبرعات اصحاب الاموال، وعبر ذلك يضمنون استمرار مصالحهم الاقتصادية وتطورها عبر هذا الدعم.

المصادر

- جواد بشارة، الحوار المتمدن، العدد ١٢٨٦، ١٤/٨/٢٠٠٥، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=43117>
- ديفيد سي كورتز، عندما تحكم الشركات العالم، دار المأمون، ٢٠٠٧.
- طالب حسن موسى، الموجز في الشركات التجارية، مطبعة معارف، بغداد، ١٩٧٣، ط ١.
- وائل محمد أسماعيل، النظام السياسي الأمريكي، دراسة في العلاقة بين الرئيس والكونغرس في الشؤون الخارجية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٢.

٣٣ - تشريع (هكلنبر) وهو تشريع أصدرته الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٤، وهو يهدد أي دولة تقوم بمصادرة الشركات الأمريكية وقطع المساعدة عنها.

٥. نزع السلاح والأمن القومي، الكتاب السنوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٣.
٦. باهر مردان مضخور، مستقبل الاستراتيجية الأمريكية في العراق، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٧.
٧. سعد حقي، العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.
٨. كاظم هاشم نعمة: العلاقات الدولية، بغداد، شركة أباد للطباعة ١٩٨٧.
٩. محمد سعد أبو عامود: صنع القرار السياسي في الحقبة الساداتية، المستقبل العربي، بيروت، العدد ١١٢، السنة السادسة ١٩٨٨.
١٠. إسماعيل صبري مقلد: العلاقات السياسية الدولية.. دراسة في الأصول والنظريات، الكويت، جامعة الكويت ١٩٧١.
١١. علي السلمي: مهنية الإدارة، عالم الفكر، السنة ٢٠، العدد ٢، تموز ١٩٨٩.
١٢. محمد علي العويني: أصول العلوم السياسية، نظرية الدولة، الفكر السياسي، الرأي العام والإعلام، العلاقات الدولية، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨١.
١٣. منصف السليمي، القرار السياسي الأمريكي، مركز الدراسات العربي - الأوربي، باريس، ١٩٩٧.
١٤. Michael Lind, The Next American Nation, The Free press, New York, 2000, p.187.
١٥. إيمانويل تود: ما بعد الإمبراطورية، دراسة في تفكك النظام الأمريكي، ترجمة محمد زكريا، عمان ٢٠٠٣، دار الساقى، ط ١.
١٦. جوزيف ناي، المعلوماتية الأمريكية، موارد قوة المستقبل، ترجمة مركز الجمهورية للدراسات الدولية، بغداد، العدد المزدوج (٦-٧) ١٩٩٦.
١٧. ممدوح شوقي، الأمن القومي والعلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧، يناير ١٩٩٧.
١٨. لستر ثرو، المتناطحون (المعركة الاقتصادية القادمة بين اوربا واليابان وامريكا)، ترجمة محمد فريد، مركز الاهرام للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ٢، ١٩٩٦.
١٩. محمد علم الدين، ثورة المعلومات ووسائل الاتصال - التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٣، ١٩٩٦.
٢٠. منذر الشوربجي، "إدارة كلينتون ومستقبل النظام السياسي الأمريكي"، مجلة السياسة الدولية، العدد (١١١)، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٣٣.
٢١. توفيق الشيخ، البترول والسياسة، دار الصفا للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة، ط ١، ١٩٨٨، ص ١٨٣ - ١٩٦.
٢٢. أنتوني سامبسون، الشقيقات السبع شركات البترول الكبرى والعالم الذي صنعتته، ترجمه سامي هاشم، ط ١، (بيروت، ١٩٦٧) ص ١٠٤ - ١٠٣.
٢٣. بوب وودور، القادة، ترجمة ليلى حماد، الاردن الدار العالمية للطباعة، ١٩٩٤.

سمات السينما الشعرية عند المخرج (أندريه تاركوفسكي)

The features of the poetic cinema by the director (Andre Tarchoviski)

Dr. Ala'a Mashdoob Abood

د. علاء مشذوب عبود^١

ملخص البحث

لا زال حتى اليوم لا يقدر البعض قيمة الصورة بالعموم والصورة السينمائية بالخصوص، حيث يحاول البعض أنساب ما يمتلكه الصورة الى غير مجالها، ناسياً أو متناسياً إن لتلك الصورة من خصائص (حركة- واقعية- شاشة عريضة- ألوان- الشخصية الوجودية- الواقعية الفنية- الدور التعبيري- وحدة المعنى- تشكيلية الصورة) ما لا يمتلكه أي وسيط تعبيري في الفنون والآداب الأخرى، حتى أصبحت الصورة هي سيدة الثقافة اليوم فهي إذ تخاطب الإنسان البسيط في أقصى الأماكن بعداً عن متطلبات الحضارة البسيطة نجدها في الوقت نفسه تُشاهد من قبل أعتى المثقفين والمغرقين بالفلسفة والجمال بل عدت هي الأداة التي من خلالها يستطيع كل من يمتلك أدواته المنهجية الثقافية والجمالية من أن يطرح ما يريد عبرها، حتى أضحت حلماً للكثير منهم، ومن تلك المفاهيم القديمة الجديدة هي السينما الشعرية أو الشعرية كما يحلو للبعض تسميتها، وهي من سمات السينما ضمن اشتراطات الصورة وعجباً للبعض من أن يذهب تلك الواقعية الحلمية وحتى الانطباعية السريالية الى غيرها، في الوقت ذاته لا يعني هذا إن تلك الصورة في بداية نشأتها عدت ضمن بعض التصنيفات بأنها تنطوي تحت لواء (الفن السابع) الذي احتوى الفنون السبعة، ولكنها اليوم وفي الأمس كانت هي التي أمتلك عنوان العبقرية، في قدرتها على رسم كل ما يجول في داخل الإنسان من حلم وألم وخارجه في صراعه مع ذاته والآخر والطبيعة، من

١ - الكلية التربوية المفتوحة / كربلاء.

خلال اللوحة التشكيلية والصورة الشعرية بعمارية ونحت عالي الجمالية يتمايل كرقص البالية في محاكاته للفعل داخل الصورة السينمائية.

تضمن الفصل الأول (الإطار المنهجي) مشكلة البحث والتي تحددت بالشكل الآتي " ما هي سمات السينما الشعرية عند المخرج أندريه تاركوفسكي " ؟ متبوعة بالأهمية أيضاً. وكانت أهداف البحث تتمثل في "الكشف عن ماهية سمات السينما الشعرية" أما حدود البحث فقد تمثلت بفلم (المرأة) كعينة قصدية. أما الفصل الثاني (الإطار النظري) فقد ضم مبحثين، كان الأول منها هو " السينما الشعرية المصطلح والمفهوم وتناول هذا المبحث الشعرية في السينما كفن إبداعي بعد اكتمال نضج السينما (اللون والصوت)، أما المبحث الثاني فقد تناول الشعرية السينمائية في السينما عند المخرج الروسي أندريه تاركوفسكي.

في الفصل الثالث والذي يضم إجراءات البحث بما فيه عينة البحث التي ضمت فلم (المرأة) المخرج الروسي (أندريه تاركوفسكي)، أما أداة البحث فكانت مؤشرات الإطار النظري، أما وحدة التحليل فكانت المشهد الفلمي كاملاً.

Abstract

Till now same do not correctly evaluate the value of the in general and the film image in particular, hence some claim that some of picture characteristics belong to something else, forgetting that the image has some special features such as, (realistic motion, wide screen, the colour of presence, artistic realism, expressive roles, unit meaning, image lineup) which are not found in any other artistic media. Because Of that the image becomes the master of culture today. It addresses the man in any place beyond the need of civilization and at the same time it is seen by the most educated people and especially those who are fond of philosophy and beauty as well as it is considered the tool through it those who have their cultural tools presents what he wants.

One these old-new concepts is the poetic cinema or poetic as some like to call. At first it is not considered as one of the seven arts bat today it is, as it was in the past, who has the ability to present all what is inside man of dreams and pain and outside him in his struggle with himself, the other, and nature through the fine painting and poetic image.

The first chapter (methodological framework) includes the problem of the study which is as follow "what are the features of poetic cinema according to the director Andrea Tarkovisky. This chapter also contains the importance of the features of the poetic cinema. This study is limited to (the woman) a film which is considered a deliberate sample. The second

chapter (theoretical background) includes two parts. The first, the poetic cinema, the term and concept. This part sheds light on the poetic cinema to the russian director Andrea Tarkovisky. The second part deals with the life of the film director. The third chapter (procedures) sheds light on the sample of the study (the woman film). The tool of the study is what is mentioned in the theoretical background and unit of analysis is the whole film.

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	قائمة المحتويات
٣	الفصل الأول: الإطار المنهجي للبحث
٣	أولاً: مشكلة البحث
٣	ثانياً: أهمية البحث
٣	ثالثاً: أهداف البحث
٣	رابعاً: حدود البحث
١٥ - ٤	الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة
١٠ - ٥	المبحث الأول: السينما الشعاعية / المصطلح والمفهوم
١٥ - ١١	المبحث الثاني: الشعاعية السينمائية عند المخرج (أندريه تاركوفسكى)
١٥	مؤشرات الإطار النظري
١٥	الدراسات السابقة
٢٣ - ١٦	الفصل الثالث: إجراءات البحث
١٦	أولاً: منهج البحث
١٦	ثانياً: مجتمع البحث
١٦	ثالثاً: عينة البحث
١٧ - ١٦	رابعاً: أداة البحث
٢٣ - ١٧	خامساً: وحدة التحليل
٢٣	النتائج
٢٤	المصادر

الفصل الأول – الإطار المنهجي

١. مشكلة البحث:

أن هذا العالم – عالم السينما – له من الإمكانيات القدرة الكبيرة في توظيف الأشياء بما يخدم عالم الإنسان، ويغلفها بمسحة قد تفتقر إليها الفنون الأخرى، وبما أن كل الفنون تنطلق من مفهوم واحد ألا وهو (المحاكاة) إلا أنها تختلف بتوظيف تلك المحاكاة من خلال الرؤية والتقنية المتاحة لكل وسيط تعبري لتلك الفنون، والشاعرية في السينما تحفل بمجموعة من الملامح الجمالية والتكوينية التي تنعكس من خلال الصورة المرئية ضمن توجهات صانع العمل، وبين تلك الشاعرية ورؤية صانع العمل يحاول الباحث استقراء إنجازات المخرج أندريه تاركوفسكي وتحديد سمات سينما الشاعرية، ومن هنا كانت مشكلة البحث في (ما هي سمات السينما شاعرية في أعمال المخرج أندريه تاركوفسكي).

٢. أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الكشف عن سمات السينما الشاعرية في أعمال المخرج (أندريه تاركوفسكي) وهو بحث يركز على الشاعرية في السينما وبذلك يقدم البحث الباكورة الأولى في هذا المجال ليكون مقدمة لبحوث قادمة.

٣. أهداف البحث:

تبلور هدف البحث بالشكل الآتي: الكشف عن سمات السينما الشاعرية في أعمال المخرج (أندريه تاركوفسكي).

٤. حدود البحث:

لا يوجد في البحث حد مكاني أو زمني، كون إن عنوان البحث قد حدد الباحث بالحد الموضوعي الذي هو (سمات السينما الشاعرية في أعمال المخرج اندريه تاركوفسكي).

الفصل الثاني

المبحث الأول: السينما الشاعرية / المصطلح والمفهوم

يبلغ عمر السينما اليوم قرن ونيف وهو مقارنة بالفنون الجميلة الستة يعتبر في المهاد، ولازال حتى اليوم يبتكر ويطور آلياته الفنية والتقنية، وكل ذلك يتم من خلال التجريب المستمر في الشكل والمضمون، بالإضافة الى قدرته الكبيرة في صهر الفنون الأخرى في بوتقته، واستعارة واحتكاك أدوات اللغة والأدب، ليس لعدم اكتمال نضجه كفن وغياب وسيطه التعبيري الذي يعطيه الاستقلالية التامة عنها، بل لقدرته على توظيف تلك الفنون والآداب داخل كيانه الفلمي " بل وينبغي عليها أن تكون أداة رائعة للشاعرية الجديدة التي لم تكن آنئذ موجودة بالفعل... فعند ذلك الحين أخذ كانودو يتساءل حول دلالة وأبعاد هذا الفن الذي كان هو أول من أطلق عليه أسم (الفن السابع) كانت السينما تأتي بالنسبة الى كانودو

لتضاف الى الفنون التقليدية: الهندسة، الموسيقى، الرسم، النحت، الشعر والرقص، إنما في الوقت نفسه اندماج الفنون التشكيلية والفنون الإيقاعية اندماج العلم والفن^(٢). بمعنى إن لقدرة هذا الوسيط من إن يحوي كل وسائل تعبير الفنون الجميلة الأخرى وتوظيفها بما يخدم هدفه إذن للسينما "كوسيلة تعبير مدى تعبير غير اعتيادي. فهي تشترك مع الفنون التشكيلية في حقيقة كونها تكويناً مرئياً يسقط على سطح ذي بعدين، ومع الرقص في قدرتها على معالجة الحركة المنسقة ومع المسرح في قدرتها على خلق كثافة درامية للأحداث، ومع الموسيقى في قدرتها على التأليف في إطار الإيقاع والحمل الزمانية، كما يمكن تواجد الأغنية والآلة الموسيقية، مع الشعر في قدرتها على وضع صور الى جانب بعضها، ومع الأدب في قدرتها على الإحاطة بالتحديد المعروف في اللغة فقط - عموماً عن طريق الشريط الصوتي"^(٣) وليس خافياً إنه لا يمكن لأي فن من أن يكتسب درجة التخصص إلا إذا تبلور وسيطه التعبيري " وليس من قبيل الصدفة أن تعرف فكرة السينماوغراف لحظة ولادتها عام ١٨٩٤ في براءة الاختراع التي سجلها (بو. ج. و. ويلز) على النحو التالي " سرد القصص عن طريق عرض صور متحركة"^(٤)، تلك الصور المتحركة التي أذهلت العالم مثلما أذهلت المختصين في نفس المجال فبدأت التجريب والنظريات تتوالى في مجال هذا الوسيط التعبيري وتأثيره من خلال (السرد والشكل) خاصة بعد اكتمال نضج هذا الوسيط من (الصوت واللون) فدخلت السينما مرحلة التجريب من خلال تطبيق الرؤى المختلفة لصانعي العمل، ويلخص (غويدر اريستوركو) على النحو التالي، النقاط الخمس التي تشغل بال منظرة (السينما المتكاملة):

١. التعبير عن حركة مرتبطة بالإيقاع وحده.
٢. الإيقاع هو تطور الحركة المتشكلة من عنصر فيزيائي وعنصر عاطفي.
٣. ينبغي على العمل السينمائي أن يرفض كل جمالية خارجية عنه وأن يسعى للحصول على جماليته الخاصة.
٤. ان على الحركة السينمائية أن تكون هي هي حركة الحياة أو الحياة نفسها.
٥. ينبغي على العمل السينمائي ألا يقتصر على الشخصيات البشرية بل يمتد ليشمل مجال الطبيعة والحلم"^(٥).

إن الأفلام الشاعرية انطوت تحت أسم السينما الطبيعية، وإن اغلب هذه الأفلام تحتاج الى نحدد مفهومها حتى نستطيع أن نناقش منطق السينما الشاعرية. وحيث إن مفهوم الشاعرية لا يقتصر على السينما فقط بل يتعداه الى الفنون والآداب والتي سبقتها في قرون من التجريب مثل الفن التشكيلي والعمارة والموسيقى والمسرح والشعر... الخ، إن مصطلح التجريب الطليعي عند (إبراهيم فتحى) هو

٢ - هنري آجيل، علم جمال السينما، تر، ابراهيم العرس، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٠، ص ١٠.
 ٣ - لوي دي جانتي، فهم السينما، تر، جعفر علي، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، ص ١١.
 ٤ - يوري لوتمان، مدخل إلى سيميائية الفلم، تر، نبيل دبس، مراجعة قيس الزبيدي، دمشق، المؤسسة العامة للسينما، ٢٠٠١، ص ٦١.
 ٥ - هنري آجيل، علم جمال السينما، المصدر سابق، ص ١٦.

"مصطلح فرنسي عسكري الأصل، امتد ليشمل الحركة السياسية والفنية، وهو يعني في الأدب مجموعة الكتاب والشعراء الذين يكرسون جهودهم لفكرة ان الفن تجريب وثورة على التقليد، والفنانون هم قرون استشعار الجنس البشري، كما يقول "ازرا باوند" لذلك فأنا عليهم واجب ان يسبقوا العصر بالتجديد في الأشكال وموضوعات تناول"^(٦).

لا مناص من القول بأن الفنون جميعاً تشتغل على كسر التقليد والجمود الذي ينتاب مجالها جميعاً، ولفراة الوسيط التعبيري في السينما وللميزات الكبيرة التي يمتلكها من خلال الصورة نجد إن الفلم وصل الى مرحلة يعبر فيها عن نفسه، بمعنى أنه أصبح يهتم بالشكل " ان الشكل الفلمي القائم على التجريب ، يحتاج موضوعاً يتناسب معه مثلما يحتاج سرداً ينهض بهما معاً، وإلا أصبح الفلم مفتعلاً. ان موضوعة مثل "الملك لير" عندما تتحول إلى فلم سينمائي تجريبي فأنا تستحق شكلاً وسرداً فليمن يتناسبان وهذه الموضوعة حقاً"^(٧)، وهذا يعني إن دراسة السينما الشعرية تعني أن تدرس الفلم الذي أبداع اتجاهها أو أسلوباً أو مدرسة مؤثرة في جماليات الفلم، مثلما هي مؤثرة في التلقي الجماهيري، وهكذا أخذت السينما الشعرية، الطليعية، التجريبية، تأخذ حيزاً جديداً بموازاة الفنون الجميلة ، بالرغم من أنها لم تكن أسلوباً دائماً عند المخرجين بل يتخلل بعض أفلامهم بعض اللقطات أو المشاهد الشعرية باستثناء من تخصص في هذا المجال ومنهم (أندرية تاركوفسكي) موضوع البحث. "وهكذا اندثر تأثير "كلب أندلسي" و "المدرعة بوتكين" و "المواطن كين" وأخذت لمحات بعيدة من هذه الأفلام تظهر هنا وهناك في بعض الأفلام تبدو وكأنها نوع من الحنين إلى ذلك التجريب، لكننا نستطيع القول ان التجريب الذي جاءت به السينما السوفيتية او السريالية تجمع كله في مفاهيم كلية وشمولية انتظمت في الواقعية الايطالية الجديدة مثلاً او الموجة الجديدة الفرنسية او سينما تحت الأرض، او السينما المباشرة وغيرها"^(٨).

واليوم وقد تغير شكل العالم بعد الثورة التكنولوجية في الاتصال وشيوع الفضائيات والحاسوب وألنت، والذي هو نتيجة بحث الإنسان أصلاً وتوقه الى التطور ومعرفة المجهول وكشف أسرار المستقبل، وبالتالي تغير مزاجه فهو لم يعد بعد اليوم ذلك الحالم البسيط بإيقاع رتيب، بل أصبح العنف سمته مثلما هو سمة العصر والإيقاع السريع خصيسته من خلال اختصار المسافات والذي لعبت فيه (الصورة) الدور الأكبر، حتى يكاد المتلقي وهو جالس في بيته أن يسيح على شواطئ فلوريدا وغابات الأمازون وينتقل بالطائرات الى أقصى روسيا حيث الثلوج ويرجع الى خط الاستواء ليرى الحياة البرية والافتراس الذي هو القانون فيها.

ولم يعد "مصطلح (عبرية الصورة) الذي كان كانودو قد أطلقه إنما يحدد السمة الشعرية للأشياء والكائنات التي من الممكن لها أن تدخل دائرة الضوء وبشكل متميز عن طريق نمط التعبير الجديد. بهذا

٦ - ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، القاهرة، دار شقيقات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ص ١٥٩.

٧ - بان جبار الربيعي، المعالجات الفنية لعناصر التعبير الفلمي في السينما التجريبية، كلية الفنون الجميلة، أطروحة دكتوراه غ.م ،

٢٠١٠، ص ١٤.

٨ - المصدر نفسه، ص ٢٠.

المعنى نجد أنت ديلوك ينضم الى... (المذهب التعبيري) بوصفه مجموع عمليات الكتابة السينمائية التي تتوصل الى التعبير عن حالات الروح وعن الوقائع العاطفية. إن العناصر الأساسية لهذه الكتابة هي: الديكور، الضوء، الكثافة، والقناع (أي الممثل)^(٩)، يأتي بمردود مالي يسد تكلفة الفلم في هذا الوقت والباحث لا يقف بالضد من رأي كانودو في عبقرية الصورة بقدر ما هو تسمين لرأيه في أهمية الصورة ودورها الكبير والمؤثر في حياة الإنسان ولكن ليس لخلق الأفلام الشعرية فقط بقدر ما تقوم به من نقل الأحداث والوقائع الى بيته وعلى طبق من المجان وبطريقة ساحريه.

من خلال ما تقدم فإن الأفلام الشعرية هي ليست تلك الأفلام التي تستهوي الجماهير، وبما ان السينما ذات تكلفة مالية كبيرة فإن الكثير من تلك الأفلام التي أنتجت لم تلق الرواج المطلوب ولم تحقق قيمة التكلفة، وبالتالي فهي تمثل في أغلب الأحيان وجهة نظر صانعيها، ونجد إن تلك الأفلام لا تحدها قوانين من ناحية الوقت فنجد أن بعض الأفلام لا يتجاوز الثلاثين دقيقة بمقابل أفلام تتجاوز الساعتين، وبالرجوع الى البحث العلمي من أجل تحديد مفهوم السينما الشعرية نجد إن (لوي دي جانتي) يعرف الفلم الطليعي: بقوله: "في السينما هنالك ثلاثة أصناف واسعة من الأفلام الخيالي والتسجيلي والطليعي. الطليعية تعني مقدمة الجبهة، في مقدمة الجسم الرئيسي. ("الجسم الرئيسي" في هذه الحال يعني الأفلام الروائية الطويلة التجارية) لقد سميت السينما الطليعية أسماء عدة ليست جميعها مؤدبة. في الثلاثينات والأربعينات كان المعروف هو "الفلم التجريبي" او "السينما الشعرية" في الخمسينات كانت هذه الأفلام جزءا من "السينما المستقلة" وفي أمريكا خاصة كانت تدعى هذه السينما بمصطلح "تحت الأرض" ومنذ أوائل الستينات كان اغلب أفلام الموجة الطليعية في الولايات المتحدة يعد جزءا من السينما الأمريكية الجديدة"^(١٠).

ففي الوقت الذي يجد فيه (لوي دي جانتي) صعوبة في تصنيف الأفلام الخيالية والأفلام الوثائقية، نجده يفتتح كتابه الذي ألفه في عام ١٩٧٤، بالقول بدأت السينما تتطور باتجاهين رئيسين هما الواقعية والانطباعية، ومن ثم يفرد فصل كامل للفلم التسجيلي ليستقر في نهاية كتابه الى إن الفلم في السينما ينقسم الى ثلاث أصناف هما: الخيالي والتسجيلي والطليعي. ولا أعرف لماذا يفرد الطليعي عن الخيالي بشقيه (الواقعي والانطباعي)، إذ إن الأسلوب في الفن هو تجسيد لشكل طريقة الرؤية والتفكير عن الحياة، وهو في نفس الوقت طريقة تعبير ضمن خلفية صانع العمل الثقافية والاجتماعية والسياسية... الخ، فهناك من يعبر عما بداخله وحوله بطريقة واقعية كما في السينما الواقعية الإيطالية وفي أفلام (امراتان)* و (سارق الدراجة)**، وهناك من يصبغها بانطباعية كما في فلم (كلب أندلسي)*** للمخرج (لويس

٩ - هنري آجيل، علم جمال السينما، مصدر سابق، ص ١٢.

١٠ - لوي دي جانتي، فهم السينما، المصدر سابق، ص ٤٩٥ - ص ٤٩٦.

* - فلم (امراتان): إخراج: ديسيك، بطولة، صوفيا لورين، تم إنتاجه عام ١٩٦٠، حصل على اوسكار أحسن ممثلة ١٩٦١ لصوفيا لورين و جائزة أحسن ممثلة من مهرجان كان ١٩٦١ لصوفيا لورين أيضاً.

** - فلم (سارق الدراجة): إخراج دي سيكا، إنتاج ١٩٤٨.

*** - فلم (كلب اندلسي): إخراج لويس بونويل، سيناريو لويس بونويل وسلفادور دالي، إنتاج ١٩٢٩.

بيونل) والذي يعد رائد الأسلوب السريالي في السينما الانطباعية، الذي يبدأ بعمل غير معقول حيث بمسك رجل موس حلاقة ويشطر به عيني امرأة التي يجبها الى نصفين، وفي لقطات أخرى يضع صانع العمل رأس حمار على البيانو... الخ.

أما في معجم الفن السينمائية فإن الفلم الطليعي هو: " فلم جديد في نوعه، يتميز بالتعبير الجريء، يقوم به الفنان الذي يعارض الاتجاهات الجارية، ويميل الى إتباع أسلوب غير مألوف في عصره، وقد تأثر هذا النوع في بدايته بالتجريدية والتعبيرية، سواء في المضمون أو الشكل، ولقد بدأ ظهوره في فرنسا وألمانيا منذ عام ١٩١٦، وهو عبارة عن كل المحاولات والتجارب السينمائية التي ظهرت متأثرة بحركة الدادائية أو السريالية، مثل أفلام لويس ديلوك وجيرمن دولاك ومان راي وبعض أفلام كوكتو وبونويل، واليوم ظهرت في امريكا فئة من المخرجين يهتمون بهذا النوع من الأفلام مثل ستان براكيديج وكينيت أنجر وماركوبولس وغيرهم. ومن أنواع السينما الطليعية، نوعان ازدهرا منذ الخمسينات في أوروبا وأمريكا:

١. فلم المخرج المؤلف film dauteur وهو الذي ينفرد فيه شخص واحد بابتكار الموضوع، ومعالجته سينمائيا وإخراجه، وفي كثير من الاحيان، يقوم بتوليفه وإعداد الموسيقى التصويرية له، ويكون المسؤول الفني عن الفلم من جميع وجوهه الفنية، نسجا على منوال شابلن في أغلب أفلامه، أو روسيليني أحد مؤسسي الواقعية الجديدة، في بعض أفلامه.

٢. السينما السرية underground وهي تلك التي شاعت بالولايات المتحدة منذ الخمسينات حتى اليوم، ومن أهم روادها آندي وار هول وهذه التسمية أطلقت على الأفلام التي تستقل عن تمويل الشركات الكبرى، وتعتمد على رأس مال ضئيل وتستخدم أفلام ١٦ و ٨ مللي في معظم الاحيان. وهي غير ملتزمة إلا بمقتضيات التعبير الحر عن فكرة سياسية أو موضوع جنسي، أو مفهوم جمالي وقد تعرف بأسم (السينما المتحررة أو المطلقة)^(١١).
أما صفات الفلم الطليعي فهي:

١. الأفلام الطليعية عموما لا تعتبر جزءاً من صناعة التسلية كما هي الحال مع أغلب الأفلام الخيالية.
٢. الأفلام التجريبية يمكن أن تكون مثيرة وذكية واستفزازية.
٣. أغلبها تكون معقدة من الناحية التقنية وعسيرة على الفهم على الأقل في عرضها الأول.
٤. بعضها يستغرق ست أو ثماني ساعات بينما البعض الآخر يستغرق مجرد بعض ثوان
٥. أغلب هذه الأفلام صور بقياس ١٦ ملم وبعضهم تحول الى سوبر ٨ ملم لكي يقلل النفقات.
٦. كل أفلام الموجة الطليعية تقريباً انطباعية.
٧. الأفلام الطليعية باستثناء القلة الملحوظة لا نصوص لها عموماً.
٨. الأبنية السردية التقليدية نادرة في هذه الأفلام.

٩. إن جذور الموجة الطليعية يمكن تتبع آثارها الى الدادائية وهي حركة فنية وضعت ثقلاً كبيراً على القيم الفوضوية واللامعقولة.
١٠. السينما الطليعية تهم بالذاتي والشخصي وفي بعض الأحيان بالأفكار والمشاعر الشديدة الخصوصية. العديد من هذه الأفلام يرتبط أكثر بالفنون التجريدية كالموسيقى والرقص والرسم أكثر منها بالدراما والقصة الخيالية.
١١. المرثيات في أغلب هذه الأفلام التجريبية تشبه اللغة الشعرية فهي شديدة الكثافة ومنحنية ولذلك فإنها في الأغلب أعقد من أن يتم هضمها في جلسة واحدة.
١٢. العدسات والمرشحات تستخدم في هذه الأفلام بتحليل مسكر، التعريض المزدوج والمتعدد يتكرر والألوان تستخدم بشكل غير طبيعي. والمؤثرات الضوئية يمكن أن تكون مذهلة وفائضة، والمؤثرات الخاصة شائعة خاصة في الأفلام الطليعية الأمريكية^(١٢).
- وبعد أن تحددت صفات الأفلام الطليعية بقي أن نعرف كيف حدد أو قسم مؤرخو السينما عموماً السينما الطليعية وفي أي فترة زمنية ظهرت ملامحها، حيث يقسم أولئك المؤرخين السينما الى:
١. فترة الدادائية والسريالية وهي تقريبا من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣١. ومركزها بالدرجة الأولى برلين وباريس.
٢. الفترة التجريبية والشاعرية وتمتد تقريبا من عام ١٩٤٠ لغاية ١٩٥٤ ومركزها في الأغلب الولايات المتحدة.
٣. الفترة السرية من عام ١٩٥٤ لغاية وقتنا الحاضر وكذلك مركزها بالدرجة الأولى أمريكا^(١٣).
- إن بزوغ السينما الشعرية على أنقاض السينما الدادائية والسريالية وتزامناً مع الحرب العالمية الثانية كلها دلائل على إن هذا النوع من الأفلام ولد في ظروف غير صحية لبزوغ نوع جديد من السينما ضمن حتمية زمنية وضرورة اجتماعية يفرضها الواقع بقدر ما هو رغبات شخصية لبعض صانعي مثل هذه الأعمال، وبالتالي فإن عصر مثل هذه الأفلام كان لابد له أن ينطفئ وهذا ليس معناه غياب الشعرية في الأفلام، بل غياب الموجة أو الظاهرة ككل، مثلما نقول إن سينما الواقعية الرمزية قد اختفت بعد أن ظهرت ضمن موجة السينما الواقعية الايطالية، وهذا ليس معناه اختفاء الرمز في السينما، إذ إن الرمز في السينما له وظائف تعبيرية حسية وذهنية، عندما يصبح اللون مثلاً رمزاً، أو زاوية التصوير رمزاً لفكرة ما، وقد تصبح الموسيقى رمزاً لفكرة أيضاً كما في فلم (ماما روما) للمخرج (بازوليني).
- وبعد إن اتضحت الصورة بالنسبة للسينما الطليعية والذي ينطوي تحتها الفلم الشعري، وحددت خصائصها مثلما حددت الفترة التي ظهرت فيها تلك السينما (أي الطليعية) وهي محصورة بين عام ١٩٤٠ وعام ١٩٥٤، بقي أن نعرف ما هي خصائص السينما الشعرية، فقد كانت المخرجة (ديرن)

١٢ - ينظر لوي دي جانتي، فهم السينما، فصل الطليعيون، ص ٤٩٥.

١٣ - لوي دي جانتي، فهم السينما، المصدر سابق، ص ٥٠٣.

منظرة مهمة للسينما الطبيعية، لقد كتبت وتكلمت باستمرار، كانت تميز بين السينما الشعرية والأفلام التجارية بالدرجة الأولى من خلال البناء وهي كالآتي:

١. الأفلام الشخصية مثل القصيدة الغنائية تكون تحقيقات (عمودية) لموضوع أو موقف.
٢. صانع الفلم لا يهتم بما يحدث قدر اهتمامه بما يثيره الموقف من مشاعر أو ما يعنيه.
٣. يهتم المخرج بسبر أعماق وطيات المعنى في لحظة معلومة.
٤. لا يهتم الفلم الشعري بالحركة كما هي وإنما يهتم (بالمضمون الميتافيزيقي للحركة)
٥. الأفلام الخيالية تشبه الروايات والمسرحيات - فهي في جوهرها (أفقية التصور).
٦. مخرج الفلم السردي يستخدم الأبنية المخططة ويجب أن يقفز من موقف لآخر ومن مشاعر لآخرى. ليس لديه الوقت الكافي ليستكشف دلالات عاطفية أو فكرة معلومة إذ عليه أن يجعل فلمه (يتحرك الى أمام) باستمرار.

٧. إن صانع الفلم الشعري يهمل الزمان والمكان في حين يجب أن يهتم المخرج السردي (على الأقل في فترته) أكثر من ملاحظة بعض الأعراف الزمانية والمكانية التي تبتز الكثير من الزمن على شاشته.
٨. أغلب الأفلام الشعرية قصير بالضبط لأنه مكثف من الناحية العاطفية وأضيق أفقاً. بما أن هذه الأفلام لا تحاول أن تروي قصصاً تقليدية فإنها تتمكن من التركيز على شدة العاطفة والتي يصعب إسنادها لفترات طويلة من الزمن^(٤).

والباحث هنا لا يناقش اشتراطات السينما الطبيعية عموماً رغم تحفظاته الكثير عنها (ليست موضوع البحث) بقدر مناقشة سمات السينما الشعرية التي شخصتها (ديرن) والتي أحد في أغلبها لا تطابق القوانين الفلمية واشتراطات السينما المعقولة، ففي النقاط (٤، ٣، ٢) نجد إن صانع العمل لا يهتم بالمشاهد بقدر اهتمامه بقضيته الشخصية وهذا يخالف المفهوم السينما بكونها فن جماهيري ذا صبغة عالمية، في النقطة (٧) نجد إن الفنان الشعري يهمل الزمن، وهنا يكمن التحفظ الكبير على هذا النوع من الأفلام الشعرية، إذ كيف للمشاهد أن يجلس أمام الشاشة السينمائية لمدة ساعتين على سبيل المثال من أجل ملاحظة فلم يناقش مسألة تمت ساعة واحدة في يوم واحد، أنه لضرب من الجنون، بالإضافة الى غياب المكان يجعل المشاهد لا متاهة لا يعرف كنهها، إذ إن من أوليات السينما أن يكون الواقع الفلمي محاكي للواقع الحياتي، حتى لو كان ذلك الواقع الفلمي يفترض مكان في الحلم أو الخيال، وفي النقطة (٨) نجد أن أغلب الأفلام الشعرية هي أفلام قصيرة، وبالتالي لا يمكن عرضها في دور السينما، وهي اقرب بذلك الى أفلام الطلبة في الأكاديميات والكليات المختصة في مجال الفنون، وفي المقابل إن ما يشفع لهذه الأفلام إنما أنتجت في غير زماننا، وبالتالي يكون حكمنا عليها في غير أوانه؟ وبالمقابل فإن تلك التحفظات يريد الباحث أن يسحبها الى المنطق والعقل وفي هذا ربما مخالفة لسنت أولئك المخرجين من أمثال (أندريه تاركوفسكي وبازوليني وآخرون) والتي نجدتها تتكرر في بعض الأفلام السينما العربية عند

داود عبد السيد (سينما المؤلف) وهذا المخرج رغم التزامه بالزمن الفلمي المتعارف عليه إلا أن الباحث يجده على خطى أولئك من حيث ذاتية أفلامه كما في (الكيت كات) والنهايات المفتوحة أو المتعددة كما نجد أن أغلب شخصياته عصائية، وكذلك فإنه يخرج أفلامه التي يؤلفها كما في فلم (رسائل البحر والصعاليك... الخ).

وفي كل ما تقدم أعلاه كيف يتسنى للباحث إحاطة (السينما الشعرية) بتعريف شافي إذا ما أخذنا في نظر الاعتبار إن السينما كوسيلة اتصال تشترط القانون الثلاثي (المرسل - الرسالة - المتلقي) وهذا القانون نراه يتحقق في بعض الأفلام دون أخرى، "ولذا فأنا الحديث عن لغة سينمائية عليا وهو ما استهدفته السينما التجريبية ليس حديثا يستهدف وضع جدول بمفردات هذه اللغة، ولا عن المعادلات الموضوعية ما بين الأشياء والتعبير عنها على الشاشة، بل ان الحديث عن لغة سينمائية عليا إنما هو حديث عن كيف يمكن ان تكون هذه اللغة ذات فريدة ترتقي عن اللغة المعتادة، أي لغة الفلم التجريبي قياساً إلى غيره من الأفلام مهما كانت مؤثرة"^(١٥). وبالتالي إذا استطعنا أن نقول إن الفلم التجريبي هو الفلم الذي يمتلك فريدة غير مسبوقه بالسرد والشكل واللغة السينمائية. فإن الباحث يميل الى تعريف الفلم ضمن السينما الشعرية بأنه: هو الانزياح عن لغة المعيار يعمل حرق بالسائد ويمكن أن يحصل بالتعبيرية الألمانية والواقعية الايطالية والسينما الفرنسية والفلم الحديث على يد (تاركوفسكي)... الخ.

المبحث الثاني: الشعرية السينمائية عند المخرج (أندريه تاركوفسكي)

لا مناص هنا من التوقف عند بعض الشذرات التاريخية لتضيء درب الحاضر لما يخدم بحثنا، فقد قسم أرسطو الفنون على أساس إنهما تشتركت في مفهوم المحاكاة، وتختلف في وسيطها التعبيري، وجعل (الشعر والموسيقى والرقص) تحت عنوان واحد أسمه الشعر الذي جوهره هو الامتداد الزمني تنطوي على أساس: "وسيلة المحاكاة، الموضوعات الخارجية التي تُحاكى (بفتح الكاف)، طريقة المحاكاة، وإن وسيلة المحاكاة الملائمة هنا هي الوزن أو الإيقاع واللفظ والنغم، وإذا اجتمع الوزن واللفظ والنغم كان الشعر الغنائي وكانت التراجيديا والكوميديا"^(١٦).

وباختلاف مفهوم المحاكاة بين أفلاطون وأرسطو، حيث رأى الأول أنه يجب أن نحكي المثل العليا مثل (العدل، الحق، الخير، الوجود...) وليس لنا غرض من محاكاة أشياء موجودة أصلاً في الواقع وهي بالتالي فهي محاكاة المحاكاة. بينما رأى أرسطو أنه يجب أن نحكي الواقع من خلال إعادة صياغته برؤية الإنسان ذاته " فجعل المحاكاة محاكاة لا للأشياء المحسة - بل للشخصيات والانفعالات والأفعال، أعني أن محاكاة الفن للحقيقة عنده لا تكون محاكاة للعالم المحسوس، بل تكون محاكاة لدنيا الحياة العقلية

١٥ - بان جبار الربيعي، المعالجات الفنية لعناصر التعبير الفلمي في السينما التجريبية، المصدر سابق، ص ٤٢.
١٦ - ينظر ارسطوطاليس، في الشعر، تر، ابي بشر متى بن يونس القناني، حققه، شكري محمد عياد، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص هـ- ص و.

داخل الإنسان^(١٧). من خلال تجسيد الفعل عياناً على خشبة المسرح، حيث كانت تكتب كل النصوص المسرحية بلغة الشعر وتمثل كذلك، وكانت أغلب تلك النصوص تمثل الملاحم والأساطير التي تتداول بين الناس وهي التي حفظت للمجتمعات إرثها الإنساني وأرسطو قول مشهور عن الشعر والتاريخ يقرر به: أن الشعر أسمى من التاريخ منزلة فلسفية وأخطر مضموناً، وذلك لأن أقوال الشعر أقرب في طبيعتها الى طبيعة الأحكام الكلية، على حين أن أقوال التاريخ تجيء عن أحداث جزئية فردية ذلك إن الشعر لا يستهدف أن يصور كائناً مفرداً، بل يستهدف أن يقدم صورة جديدة تتجسد فيها حقيقة كلية... (ضرورة الحدوث)... تجعل مصير الإنسان نتيجة لازمة عن شخصيته وطرائق سلوكه^(١٨)

ومن هذه المقارنة التي ينصف فيها (أرسطو) الشعر على التاريخ ويعلو ذاته لم يكن نابغاً من فراغ أو تعصب له دون أن يكون لهذا (الفن) من ضروب في جذر التاريخ والإنسانية، فمنذ أن عرف الإنسان اللغة وسما بها لتمثيل الأشياء السامية كان يتمثلها شعراً لأنه " مصدر وأساس اللغة والفن والتاريخ والكيونونة والزمن والحقيقة. أنه التأسيس الأول والإنشاء الأول وتحديد المكان الأول والتسمية الأولى. أنه يخلق وينتج التفكير. لا شيء له وجود خارج الشعر، ومعنى دقيق، لا وجود لـ(خارج الشعر)، بل حتى (اللاشيء) نفسه لا وجود له خارج الشعر، إن فكرة سجن اللغة التي وصلتنا عن طريق الشعر لا مهرب منها، إن الوجود نص خالص من البداية الى النهاية"^(١٩)

من هنا يبدأ مبحثنا الثاني في مفهوم الشعر والشعرية وكيفية تجسدها، فالوزن هو المعيار الذي ينتظم فيه الشعر والذي يسمى القافية، والسؤال هل بقيت هذه القافية ومثلها الوزن على حاله؟ والجواب أكيد كلا. لقد طرأ عليه تغيرات عدة نتيجة ضرورة اجتماعية ولغوية فتحوّلت قصيدة الشعر بعد أن كانت عمودية الى قصيدة الشعر الحر ومن ثم الى قصيدة النثر وصولاً الى النثر الشعري وبالنسبة للفظ والمقصود به (الشكل) فهو كذلك إذ لم يكن للشعر أن يتغير بإطاره العام دون أن يكون تغيير في الشكل حتى نكاد نرى في بعض القصائد هناك رسومات تتخلل الأبيات الشعرية ومثلها بعض الترسيمات الأكاديمية، أو بعض النقاط والنجوم... الخ

وبالتالي فإن النغم تلقائياً لم يبق على حاله هو الآخر، ولكونه جزء من التركيبية التي اشتراطها أرسطو، فإنه هو الآخر قد أصابه التغيير، فلم يعد في أغلب قصائد النثر الحديثة له من وجود، ما يعني إن التركيب الرئيس الذي وضعه أرسطو لم يعد له من وجود أصلاً. وهذا ينطبق على اشتراطات الشعر العربي أيضاً، فهنالك الكثير من الحتميات الحياتية تنوجد ضمن الصيرورة تاريخية في كل المجتمعات.

إذن هذه الولادة جاءت لتلبي متطلبات الحياة ولتكون اللغة وسطية بين الفصحى والعامية، وربما كانت (سوزان برنار) هي الداعية الأولى لهذا الموضوع في كتابها (قصيدة النثر من بودلير الى أيامنا) والذي

١٧ - المصدر نفسه، ص و.

١٨ - أرسطوطاليس، في الشعر، مصدر سابق، ص ز.

١٩ - عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد(٢٣٢)، ١٩٩٨، ص ٣٠٣.

وجهت أنظار الشعراء باتجاه قصيدة النثر إلا إن العامل الأقوى كان هو كسر القيود والمعوقات التي أشرت لها الشعر " فيقدر ما كانت الهوة سحيقة بين الشعر والنثر الفني من الناحية النظرية قديماً، أصبحت ضيقة جداً في العهود المتأخرة، حتى إن النظريات النقدية الحديثة تحاول في بعض مفاهيمها الجديدة إزالة الحواجز بين الصناعتين، فإذا الشعر نثر إذا كان نظماً، وإذا النثر شعراً إذا كان مشبعاً بالصور مثقلاً بالرؤى الشفافة محملاً على أجنحة الألفاظ ذات الخصوصيات الشعرية" (٢٠) وفي هذا يقول (علي جواد الطاهر) والذي أعتبر قصائد (حسين مردان) النثرية شعراً وبعض مقالاته لأنها احتوت على درجة ما من الشعرية " هذا النثر المركز شعراً آخر في روحه إذا أمانا بأن الشعر روح أولاً، تجديد فيه وعبر به، وصور، وسيجده من يتأمله جيداً بالدرس، وليس من ذنب حسين مردان إن أخفق الآخرون في قصيدة النثر، لنهم جاءوا إليه ناثرين، ولم يأتوا كما أتى شاعرين" (٢١) ثم تجلت تلك الشعرية بوضوح في الرواية، كما في رواية (زوربا) ورواية (الساعة الخامسة والعشرون) ومثلها مسرحية (تشيخوف)... الخ، هكذا ظهر مفهوم (الشعرية) ليست قاصرة على الشعر، بل هي تشكل عنصراً مهماً من عناصر الرواية والمسرحية والسينما والقصة وحتى النقد، وبالتالي ظل التأكيد على هذه اللغة (أي اللغة الشعرية) من خلال الصور، الخيال، التكنيف، الرمز، بل وحتى الأسطورة.

من كل ما تقدم يؤكد الباحث على ان الشاعرية لم تكن حاجة كمالية أختلقها صانعي الأفلام مثلما لم تكن حاجة اجتماعية، بل كانت ضرورة فكرية وجمالية وحدثت من قبل صانعي العمل في البحث عن كل جديد، مثلما هي كانت ضرورة حتمية فرضتها ظروف الوسيط التعبيري للسينما بعد أن استهلكت أكثر أشكالها وأصبحت شبه نمطية، كذلك فإن التطور الذي حظي به الإنسان والوعي الذي أمتلكه يحتاج الى أن تسايه كل الفنون ومن ضمنها السينما " حيث يعد الفلم من أكثر الفنون تأثراً وامتصاصاً لجمل التغيرات المعرفية والاجتماعية، فضلاً عن قدرته على تقديم هذه التغيرات والتحويلات بشكل أكثر تميزاً من الفنون الأخرى" (٢٢) ولكن هل هذا التعميم يخدم البحث العلمي، وبالتالي لا بد من معرفة تلك القدرة في امتصاص التغيرات المحيطة والقدرة على تقديمها.

إن الوسيط التعبيري يمتلك مجموعة من السمات لا يمتلكها أي وسيط في الفنون الأخرى يستطيع صانع العمل من خلال هذه الخصائص تطويع كل ما يحيط بالإنسان من الخارج مثلما يستطيع أن يصور كلما يعتلج داخل الذات البشرية، ففي فلم (Inception) * نلاحظ أنه يعالج الفكرة التي أقام عليها العالم (سيغموند فرويد) نظريته في التحليل النفسي من خلال الطبقات الثلاثة (الأنا والأنا الأعلى والهو) وكل ذلك من خلال الصورة، " إن لبنية السينما قدرات سعوية أكبر، فالصورة هنا هي قبل أي شيء

٢٠ - أنظر: عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين الى أين، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٦، ص ٢٦.

٢١ - علي جواد الطاهر، من يفرك الصدأ، بغداد، دار الشؤون العامة، ١٩٨٧، ص ٢٤١.

٢٢ - علاء عبد العزيز، ما بعد الحداثة والسينما، دمشق، منشورات وزارة الثقافة - المؤسسة العامة للسينما، ٢٠٠١، ص ١١

* - فلم (Inceptio): إخراج كريستوفر نولان سيناريو وكتابة، كريستوفر نولان موسيقى تصوير، هانس زيمر بطولة، ليوناردو ديكابريو، ماريون كوتيلارد، لين باج، إنتاج ٢٠١٠.

صورة مرئية مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالجانب الحسي بالطبقة السفلى من الوعي بل ومن اللاشعور فبوسعها أن تؤثر تأثير الأسطورة والموسيقى، فتثير ردود الفعل الفيزيولوجية والقطعية: ويقبل صانعو الأساطير المعاصرين برغبة كبيرة على استخدام السينما للتحكم بوعي الجماهير^(٢٣). فالبنى المزدوجة والمتداخلة تشكل فيها الحدث الدرامي تشكلاً داخلياً تعكس طبيعة تداخلات الحركة الاجتماعية لمجتمع ما، "إن كيان العمل المرئي إنما ينطلق من استخدام مبدع لأدوات ووسائل التعبير - التصوير - في مقدمتها، يضاف لذلك بنية المعنى، فنحن نشهد إحالات جمالية ودرامية تشكل مدخلا للبناء الشعري في الفيلم، الذي لا بد أن يدرك ما تم انتقاؤه من المشهد المعاش، بمعنى ما تم تطهيره واقتطاعه من السياق الحياتي، ولذا سنكون أمام أهداف جمالية ودرامية تحكم هذا البناء الشعري للفلم"^(٢٤)، فلم يعد المتلقي يتنوع بما هو رابض على سطح الخطاب، بل أنه يبحث في العمق عما يود أن يقوله الفلم السينمائي وهو يجد في عملية بحثه عن المعنى في هذا الفلم أو ذاك لذة ونشوة تخلقها عملية تشكيل المعنى الذي يتحقق من خلال قدرة المتلقي على إحداث شبكة من التواصل بينه وبين خطاب الفلم السينمائي والتي تقوم على أساس فك الشفرات الأسلوبية والتمفصلات الجمالية التي تحرك متن النص وبنائه العميقة "وإذ يوافق بازوليني كلية على اقتراح (ايكن باوم) بأن لغة الفلم تشبه (حديثاً داخلياً) أكثر مما تشبه (كلمات مسموعة) فإنه يبدأ مقالته بتبيين سبب وأساليب اختلاف علامات اللغة السينمائية - التي يسميها im-signs أو imsigns اشتقاقاً من علامات الصورة-image-signs عن علامات اللغة الشفهية أي الكلمات فأولاً يقول بازوليني: الإشارات أو العلامات البصرية أي الصور السينمائية لا حدود لها فهي خلافاً للكلمات لا يمكن تصنيفها في معجم. إن جذور الإشارات السينمائية ليست في الحديث المنطقي العقلاني بل في الذاكرة والحلم كلما حاولنا تذكر شيء ما تمر بتفكيرنا سلسلة من الصور المميزة. إن هذه السلسلة المرتبطة، بوضوح بلاوعينا تماثل أيضاً الأحلام التي تتألف بشكل مشابه من سيالة حرة من الصور المقسمة بتحويلات مفاجئة بالتكثيف وإحلال شيء محل شيء آخر وبالاستعارة"^(٢٥).

إن خصائص الصورة واللغة التي يحاول بازوليني تعريفها ضمن محددتين لا تخضع لقوانين اللغة الطبيعية القائمة في المعاجم وتفسيراتها، لكونها بنية متحولة باستمرار ظلت تتقلب داخل العقل الإنساني وانتقلت منه إلى الجدران والأقمشة والورق وصولاً إلى الشريط السينمائي وبالتالي فقد حوت كل ذلك الخزين من اللاوعي في الحقيقة والحلم، ومن ثم يثير بازوليني المسألة النظرية الثانية الهامة للسينما الشعرية بالقول "هل هناك معادل سينمائي لما هو معروف في الأدب الحديث ب(الحديث الحر غير المباشر)، يجيب على ذلك (جيل دولز) في كتابه (الصورة - الحركة) بالقول: "ثمة شخصية تتصرف على الشاشة ومن المفترض إنها تشاهد العالم بطريقة من الطرق كذلك فإن الكاميرا تشاهد الشخصية وتشاهد عاملها من وجهة نظر

٢٣ - المصدر نفسه، ص ٣٨٨.

٢٤ - طاهر عبد مسلم، الخطاب السينمائي من الكلمة إلى الصورة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٥، ص ١٨.

٢٥ - نومي غرين، بيير باولو بازوليني السينما كبدعة، المصدر سابق، ص ١٤٠.

أخرى إنما تفكر تعكس تنقل وجهة نظر الشخصية. يقول بازوليني: إن المؤلف السينمائي يستبدل برؤية العالم من قبل شخص عصابي رؤيته الخاصة المسكونة بالنزعة الجمالية من المفيد بالواقع أن تكون شخصية عصابية لكي تعبر بنحو أفضل عن الولادة الشاقة لذات ما في العالم^(٢٦)، وربما هذه إحدى الصفات التي تمتاز بها السينما الشعرية، فقد استطاعوا أن يقتبسوا أكثر أعمالهم من الروايات، ويندر أن عدّ سيناريو مسبقاً لتلك الأعمال، بالإضافة إلى إن الرواية تسرد عن طريق الشخصيات فإن الصورة تسرد عن طريق الأشياء والأشخاص، وتجسد الفعل من خلال ذلك الكم الهائل من الصور المتحركة التي تطابق العقل البشري ليس من الناحية البصرية والعقلية، بل ومن الناحية النفسية أيضاً حتى تكاد تكون صنواً له، ثم تتجاوز ذلك التطابق إلى رؤية جديدة في داخلها وتنعكس هذه الازدواجية والتي أطلق عليها (بازوليني) (ذاتية غير مباشرة حرة)، فالكاميرا لم تعد تنقل لنا ما يدور أمامها حسب، بل عادة اليوم لتنتقل لنا الإحساس بالأشياء من خلال حصرها داخل الكادر ثم الغور في أعماقها ثم مغادرته.

لقد استطاعت الكاميرا أن ترسم لنا تكوينات خاصة في الفضاء المفتوح في الغابات والسهول ما يثير البهجة والسعادة مثلما يثير الرغبة في الحياة من خلال إظهار جمال المكان، من خلال المناظر العامة القصدية من قبل صانع العمل، كذلك فإن اللقطات البعيدة والتي تحدد الموقع الجغرافي للمشاهدين، فإنها في نفس الوقت تخرج لنا صورة بصيغة جمالية، ففي فلم (المريض الانكليزي) المشفوع بالمناظر العامة واللقطات البعيدة نرى ذلك التيه في الصحراء، ومثله المناظر الجميلة في الكنيسة والأهم في كل ذلك هو إن هذه المناظر الطبيعية نراها تتوفر بكثرة داخل الأفلام الشعرية والتي يقسمها جون آلتون لأهميتها كما يلي:

١. مناظر الطبيعة الجميلة المقصود بها إظهار جمال المكان.
 ٢. اللقطات البعيدة التي تحدد الموقع الجغرافي للنظارة، وفي نفس الوقت نتم فيها بجمال الصورة.
 ٣. اللقطات البعيدة أو المناظر العامة التي يجري فيها التمثيل وكل ما عدا التمثيل يكون ثانوياً من حيث الأهمية.
 ٤. المناظر الشعرية في الطبيعة حيث الجمال هو العنصر الأساسي المطلوب إبرازه.
 ٥. مناظر مواقف الرهبة، والتي يظهر فيها الغموض أو الشعور بالخطر^(٢٧).
- وكذلك في فلم (الحب في زمن الكوليرا) حيث الأنهار هي رافد الحياة والغابات سمة البساطة والألفة، حتى تضفي على الفلم تلك السحرية الواقعية من خلال تغليفها بتلك المناظر العامة والطبيعية، بالإضافة إلى شخصياتها العصابية، إذ يندر أن نرى شخص ينتظر حبيبته لأكثر من ثلاثين سنة وهو مضرب عن الزواج بانتظار موت غريمه (زوج حبيبته) حتى إذا ما سمع جرس الكنيسة يدق، ذهب إليها ليقول (كنت

٢٦ - جيل دولز، الصورة - الحركة، تر، حسن عودة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة - المؤسسة العامة للسينما، ١٩٩٧، ص ١٠٦.
 ٢٧ - جون آلتون، الرسم بالنور، تر، ثريا حمدان، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ب، ت، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

أنتظر هذا اليوم لأكثر من ثلاثين عام) ثم يعرض عليها الزواج، كل تلك المناظر البعيدة كان يتخللها بعض التكوينات المختارة بدقة من قبل صانع العمل لإظهار الوضع النفسي والدرامي والجمالي للشخص "إن شعرية التكوين السينمائي عند (الآن كاستي) تقوم على ان الأساس في الفيلم كبناء شعري هو الوصول الى (كينونة اللقطة) بوصفها وحدة بنائية فهي نتاج لاستخدام مبدع للتصوير كوسيلة من وسائل التعبير الفلمي وامتزاج ذلك بنسق المعنى الذي يتدفق به البناء الدرامي. ولا بد من معرفة الهدف من وراء السعي لشعرية التكوين. يذهب (كاستي) الى ان هناك عنصرين متفقاً عليهما وهما: التأثير الجمالي الذي هو التأثير الكلي والشامل والإطار المتكامل الذي يتحرك في فضائه البناء الفلمي والتأثير الدرامي الذي هو أداة التواصل من قبل المتلقي"^(٢٨).

وبالرغم إن تلك الشعرية والتكوينات التي يسعى الى تكوينها صانعي الفلم، تمتاز بكونها لغة عالمية يفهمها الجميع، إلا إنها تصطبغ بصبغة شخصية، حيث يقوم صانع العمل بخلق قواعد خاصة به حتى يكاد يكون أسلوب خاص به. وهي في نفس الوقت مؤثر بالمشاهد وتخلق عنده اندماج يصل الى حد التماهي " إن التأثير البالغ للعمل الدرامي الذي يدفع بالمشاهد الى التأثر وفاعلية المشاركة هو مؤشر البنية الشعرية العميقة، القدرة على صنع صور تعبيرية عميقة موازية تحقق ذلك الانجذاب"^(٢٩)، وبالمستوى نفسه تعمل البنية السمعية على خلق وانصهار ذلك التأثر المعروض على الشاشة بدمجه مع الصوت، سواء أكان عن طريق الحوار المباشر، أو الداخلي، أو صوت من خارج الكادر، أو عن طريق الموسيقى " من الطبيعي أنه ينبغي على السينما ان تنحو مباشرة باتجاه الحلم والمخيلة. السينما شاعرية في جوهرها. بيد أن هذه الشاعرية لا يمكنها أن تعبر عن نفسها كلياً إلا عبر وعيها لتأخيها مع الشاعرية الموسيقية"^(٣٠).

مؤشرات الإطار النظري

١. السينما الشاعرية هي السينما التي تنزاح عن التقليد من خلال تقديمها بأسلوب خاص يتمثل باستخدام عناصر اللغة السينمائية والتكوين بطريقة جديدة، كاستخدام الأشياء والأشخاص بطريقة غريبة.
٢. إن صانع الفلم الشاعري يهمل الزمان والمكان ويهتم بما يثيره الموقف من مشاعر.
٣. تعبر السينما الشاعرية عن ذاتية المؤلف، لذلك فهي لا تروي قصصاً تقليدية، بل هي أقرب الى النزعة الذاتية وبالتالي فهي أفلام جمالية.

alan casty: the dramatic art of the film. Faber and faber -london -1990,pp.65 - ٢٨

٢٩ - طاهر عبد مسلم، الخطاب السينمائي من الكلمة الى الصورة، مصدر سابق، ص ٢٩.

٣٠ - هنري آجيل، علم جمال السينما، مصدر سابق، ص ٣٧.

الدراسات السابقة

السينما الشعاعرية بالخصوص والمخرج الروسي (أندريه تاركوفسكي) بالعموم، وكلاهما تحت عنوان (سمات السينما الشعاعرية عند المخرج أندريه تاركوفسكي) لم يدرس أبداً، ولكن الباحث وجد بعض الدراسات التي تهتم بالسينما بالعموم تتطرق الى خصائصها، ومن ثم تتطرق الى السينما الطليعية وبالقدر الضئيل الى السينما الشعاعرية كشذرات مضيئة عند هذا المخرج أو ذاك.

في أطروحة الدكتوراه للباحثة (بان جبار الربيعي) والموسومة (المعالجات الفنية لعناصر التعبير الفلمي في السينما التجريبية) والتي درست الفلم السينمائي منذ أن أكتمل وسيطه التعبيري بمعنى إنها استثنت (الفلم الصامت والفلم الأبيض والأسود وكذلك الفلم القصير) كانت قد تطرقت الى السينما التجريبية ومن ضمنها الفلم الطليعي، ولكن بشكل بسيط جداً الى الفلم الشعاعري) وكان أهداف بحثها يتمثل في الكشف عن ماهية التجريب والمنطق الذي تتحرك فيه كعرف فلمي متجسد على الشاشة، وكذلك تبيان التجريب في السينما والفنون المجاورة. وما عدا ذلك لم يجد الباحث من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه تتطرق لموضوعه.

في ما يخص البحوث فقد نشر الأستاذ الدكتور طه الهاشمي بحث تحت عنوان (شعرية السرد) حاول أن يزيل اللبس الموجود حول مصلح (الشعرية) من خلال تفريقه بين السينما الشعرية التي تنتمي الى الشعر كنوع إبداعي له خصائصه، وبين السينما الشعرية التي ترسم خطى الشعرية كمنهج أدبي، وقد وجد الباحث أن هذا البحث بعيد كل البعد عن موضوع بحثه الموسوم (السينما الشعاعرية عند المخرج أندريه تاركوفسكي).

الفصل الثالث – إجراءات البحث

أولاً: منهج البحث:

يعد منهج دراسة الحالة من أفضل المناهج البحثية في مثل هذا البحث، لأنه يتيح للباحث الوقوف على أغلب تفاصيل الفلم، مثلما يبيح له فصل العناصر الفلمية بغية بحثها، وبالتالي يجد الباحث ضرورة اعتماد هذا المنهج في القراءة والمشاهدة لتحليل العينة حتى يستطيع الباحث الخروج بنتائج هي عصارة بحثه مثلما يخرج باستنتاجات وتوصيات للباحثين من بعده في هذا المجال.

ثانياً: مجتمع البحث

إن مجتمع البحث كان قد حدد مسبقاً من خلال عنوان البحث وحدوده، ولذلك فلقد تم بحث الأفلام الخاصة بالمخرج (أندريه تاركوفسكي) داخل الإطار النظري، واختيار فلم (المرأة) كمجتمع للبحث لما يراه الباحث في هذا الفلم من توفر لكل اشتراطات الفلم من سرد وشكل وعناصر اللغة السينمائية والتي كلها تؤسس للفلم بلمسة شعاعرية وهذا هو غاية البحث.

٣. تعبر السينما الشعرية عن ذاتية المؤلف، لذلك فهي لا تروي قصصاً تقليدية، بل هي أقرب الى النزعة الذاتية وبالتالي فهي أفلام جمالية.

خامساً: وحدة التحليل

كانت وحدة التحليل الأساسية هي المشهد الفلمي الكامل الذي يتفق والمؤشر المعني به، وإذا كان الحديث شاملاً أحياناً للقصة الفلمية او الفلم ككل أو بعض اللقطات، فإنها عرضية لان الباحث قام بدراسة المشهد كما هو متبع في التحليل الفلمي.

تحليل العينة الفلمية على ضوء المؤشرات

فلم (المرآة - ١٩٧٤): سيناريو: الكساندر مشيرين واندرى تاركوفسكي، أخرج: اندري تاركوفسكي، تصوير: غيورغي ريديريغ، الإخراج الفني: أندري تاركوفسكي، موسيقى: ادوارد ارتيميف، مهندس الصوت: سيمون ليفيدوف الأدوار: في دور الأم وناتاليا مرغاريتا يتربخوفا، أ. دانيلتسيف، ل. ناركوفسكايا ، أ. ديميدوفا ، أ. سولونيتسين ، ن. غرينكو، ت. اوغورودنيكوف، يو. ياكوفسكي، بو سفيتيكوف، ت. ريشيتنيكوف، قراءة النص: أ. سموكتوفسكي، أشعار لارسيني تاركوفسكي، تعزف في الفلم موسيقى: لا. س. باخ، بير غوليزي ، بيرسل.

فلم (المرآة - ١٩٧٤)

القصة هي عبارة عن تداعيات لأم وولديها وهي تتذكر قسوة زوجها عليها، وشعور ذلك الزوج بالذنب اتجاه أمه ومن ثم اتجاهها، هي أقرب الى الإنثيالات الشخصية منها الى قصة التي فيها حبكة حقيقية بغض النظر عن طريقة سردها وشكلها، أما بطل الفلم فله ثلاث مراحل الأولى هي الطفولة المبكرة، والثانية هي مرحلة النضج والتناثر من الآخرين والثالثة عندما لا يستطيع العيش مع الآخرين فيموت ليكون آخر ما قاله إن الملاك في شكل الشجيرة المحترقة قد ظهر للنبي موسى الذي قاد شعبه عبر البحر - لماذا لم يظهر لي شيء مثل هذا، أردت أن أكون سعيداً؟

١. السينما الشعرية هي السينما التي تنزاح عن التقليد من خلال تقديمها بأسلوب خاص يتمثل باستخدام عناصر اللغة السينمائية والتكوين بطريقة جديدة، كاستخدام الأشياء والأشخاص بطريقة غريبة.

يبدو أن استخدام أدوات السينما ابتداءً من عناصرها ومروراً بالسرد والشكل الفلمين، وكل ما يدخل في علاقة تجاور وتداخل، لا تميز ذلك الفنان سوى أنه يندرج في خانة من اشتغلوا في مجال السينما دون أن يكون له أثر، لكن ما يميز الأفلام الشعرية للمخرج (أندريه تاركوفسكي) في أنه أستطاع أن يخط لنفسه سبيل يختلف عن الآخرين، من خلال نظرتيه للدين والحياة والعلاقات التي تربط الإنسان مع كل منهما، ومع ذاته، وحيث أن الولوج لعالم الفن يختلف عن باقي المجالات الأخرى، في أنه يستطيع أن يلج الى الآخر من خلال ذاته، كون الفن هو لغة يحاول الناس بواسطته أن ينفذ أحدهما الى الآخر، وأن يخبر أحدهما الآخر عن نفسه، وأن يستحوذ كل منهما على تجربة الآخر، بل أن أغلب أفلام هذا المخرج

ترتقي الى مستوى الفلسفة في طرحها للمواضيع ومناقشتها، إذ أن تصورنا للدين كمجموعة معتقدات تصب في النهاية من أجل الله ذلك الخالق الكبير نتقبلها من خلال تقبلنا للصور الذهنية التي ترسمها الكتب المقدسة كالجنة والنار والثواب والعقاب وما الى ذلك من مبادئ، ولكن تحويل تلك الصور وذلك الوجود الإنساني الى صور متحركة يبدو أنها هي مفرق الطرق التي تميز بها مخرجنا (أندريه تاركوفسكي) موضوع البحث.

فقد عمد هذا المخرج ومن خلال فلمه (المرأة) الى قذف المشاهد في وسط تساؤلات ليس لها من نهاية عن ذلك الذنب الذي يؤنب البطل داخل نفسه وزوجته، فقد كان البطل في هذا الفلم ضعيفاً وأنانياً وغير قادر على منح الحب النزيه حتى لأقرب الناس له، ويبرر ذلك بمعاناته الروحية التي قاسى منها في حياته، ولكن الفلم في بدايته، وقبل ظهور الأسماء يبدأ بشباب يتجاوز العشرين من عمره في عيادة الطبيب من أجل علاجه من التأتته تسأله الطبيبة عن أسمه فيجيب أنه: يوري جاري من مدينة خاركوف ويدرس في المدرسة التقنية، وبعد علاج طبيعي، يتخلص من التأتته، ويتكلم بشكل طبيعي.

ومثل هكذا أفلام يصعب تفرغ الصورة على شكل سيناريو أو لقطات لذلك حاول الباحث ومن أجل التحليل الأكاديمي العلمي أن يفرغ الصور كما بدت من أجل مناقشتها وتحليلها وصولاً الى ذلك الشكل الخاص والأسلوب الذي تميز به وتفرد عن الآخرين به.

يبدأ الفلم بصوت من خارج الكادر يحدد الأب القادم الى الدار، إذا انعطف حول النبتة في وسط الحقل المفتوح من غيره، ثم تدخل الأم الى البيت (الكوخ) فيعود الصوت من جديد يقرأ صوت من خارج الكادر ليقرأ ترتيلة شعرية من الحكم، وهي تنظر الى أبنائها فيأتي الصوت بالآتي:

إننا احتفلنا بكل لحظة للقاءنا، كأنها لحظة عيد ظهور الرب، وكنا وحيدين في الدنيا كلها، وكنت أكثر خفة وأكثر نشاطاً من جناح الطير، وكنوبة دوار.

فأنت تهبطين بالسلم وتقوديني عبر نبتة عطر اليلج الرطبة الى أراضيكي التي تقع وراء زجاج المرأة. عندما حل الليل.

منيت برحمة، وافتتحت أبواب المحراب، وكان العري يشرق في الظلام، وتمايل بصورة بطيئة. وعندما صحوت من النوم قلت: لتكوبي مباركة! وكنت على علم إن بركاتي حسيمة: لأنك تغطين في نوم عميق، وكى يلامس جفنيك زرقة الكون.

كان يناسب عطر زهرة اليلاج من الطاولة، وكان جفنيك الزرقاوين هادئين ويدك كانت دافئة. وداخل كرة من الكرستال كانت تنبض الأنهر. وتنفس الجبال دخاناً وتبلج البحار. وكانت الكرة من الكرستال على كفك. وأنت نائمة على العرش.

يا ربي العادل! أنك كنت لي.

أنك قد أفقت وغيرت قاموس الإنسانية العادية، وامتألاً الحديث بالقوة. وانكشفت كلمة أنت عن معناها الجديد بمعنى ملك. حتى الأشياء العادية كالتسط والإبريق وهذا لما كانت تقف بيننا كجرس مياه مطبقة وحامدة.

واقْتَدِينَا فِي اتِّجَاهٍ غَيْرٍ مَعْرُوفٍ وَانْشَقَّتْ مَدَنَ أَمَامِنَا كَسْرَابٍ تَمَّ إِنْشَاءُهَا بِطَرَقٍ سَحْرِيَّةٍ. وَكَانَ النِّعْنَاعُ يَنْبَسُطُ تَحْتَ إِقْدَامِنَا، فَكَانَتْ الطَّيُورُ تَشَارِكُنَا فِي الطَّرِيقِ، وَكَانَتْ الْأَسْمَاكُ تَتَصَاعَدُ فِي النِّهْرِ، وَانْفَضَّتِ السَّمَوَاتُ فِي عَيُونِنَا عِنْدَمَا لَاحِقْنَا مَصِيرِنَا كَمَجْنُونٍ مَعَ شَفْرَةِ يَدِهِ. انْتَهَى

وَبِالرَّغْمِ مِنْ إِنْ تَرَجَّمْتَ أَيُّ شَعْرٍ مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ يَفْقَدُهُ خُصُوصِيَّتَهُ وَخَاصَّةً الشَّعْرِيَّةَ وَالْمَعْنَى حَتَّى يَبْدُو كَأَنَّهُ مَفْكَكٌ إِلَّا أَنَّنَا نَجِدُ ذَلِكَ الْخَوَارِ الْفَلَسْفِيَّ لِأَنَّ الْإِزَالَ يَعْتَصِرُ دَاخِلَ النَّصِّ وَيَطْرَحُ نَفْسَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي أَرَادَ الْإِجَابَةَ عَلَيْهَا صَانِعُ النَّصِّ، إِنَّ هَذَا الْخَوَارِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْ قَلْبِ الشَّاشَةِ وَرَبْمَا مِنْ ذَاتِ الْأُمِّ، أَوْ مِنْ رُوحِ الْمَخْرُجِ لِيَقْتَحِمَ الْمَشَاهِدَ بِتَرْنِيمَةٍ حَوَارِيَّةٍ بَيْنَ الْقَائِلِ وَمَنْ يَسْتَمِعُ وَرَبْمَا مَعَ الْأُمِّ ذَاتَهَا أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَى حَوَارِ دَاخِلِي يَبْرِدُ الْمَخْرُجُ إِسْمَاعِنَا إِيَّاهُ، أَنَّ هَذَا الْخَوَارِ الشَّعْرِيَّ يَنْقَلُ الْمَشَاهِدَ إِلَى حَيْثُ الْعَالَمِ الْآخَرِ حَيْثُ الْأَسْمَاكُ تَتَصَاعَدُ فِي النِّهْرِ، وَالتَّيُورُ تَشَارِكُ الْآخَرِينَ فِي طَرَفَاتٍ، أَنَّ (أَنْدَرِيَّةَ تَارْكَوْفُسْكِ) هُنَا مَنَحَازٌ إِلَى السِّينِمَا دُونَ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعِيٌّ فِي طَرَحِهِ لِتِلْكَ الْأَفْكَارِ الَّتِي يَحْمِلُهَا، لِذَلِكَ نَجِدُهُ يَمِيلُ إِلَى الصُّورَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَمِيلُ إِلَى الْأَفْعَالِ دَاخِلَ الصُّورَةِ، وَهَذِهِ مِيزَةٌ قَلِيلًا مَا تَجِدُهَا عِنْدَ الْآخَرِينَ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ يَحْدُثُ حَرِيقٌ فِي كُوخِ الْمَخْرَنِ الْحَشَائِشِ. كَانَ ذَلِكَ الصَّوْتُ مِنْ خَارِجِ الْكَادِرِ يَتَدَفَّقُ مِثْلَ الْمِيَاهِ مِنْ فَوْقِ شَلَالٍ وَالْأُمُّ تَبْكِي حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَى وَسَكَتْ بَدَأَتْ أَصْوَاتُ الْحَيَوَانَاتِ كَالْكَلَابِ وَالْقَطَطِ. طِفْلٌ يَفِرُ مِنْ نَوْمِهِ فَتَتَحَوَّلُ الصُّورَةُ إِلَى أَبْيَضٍ وَأَسْوَدٍ، وَتَهْبُ رِيحٌ عَلَى الْأَشْجَارِ مَصْحُوبَةٌ بِصَوْتِ صَغِيرٍ وَالطِّفْلُ يَقُولُ بَابَا، ثُمَّ يَنْهَضُ مِنْ فِرَاشِهِ، قَطَعَ الْأَبُ يَسْقُطُ الْمَاءُ عَلَى رَأْسِ زَوْجَتِهِ - زَوْجَتُهُ تَرْفَعُ رَأْسَهَا مِنْ الطُّسْتِ وَقَدْ غَطَى شَعْرَهَا وَجْهَهَا، ثُمَّ يَبْدَأُ السَّقْفَ بِالتَّسَاقُطِ وَيَنْزِلُ الْمَاءُ مِنَ السَّقْفِ عَلَى الْجِدْرَانِ، ثُمَّ صُورَةُ الْجِدَّةِ الَّتِي سَوْفَ نَرَاهَا فِي آخِرِ الْفَلْمِ، يَنْتَهِي الْحَلْمُ أَوْ الرُّؤْيَا الَّتِي تَدَاعَتْ مِنْ خِلَالِ الْأُمِّ وَهِيَ تَقِفُ فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ تَنْظُرُ إِلَى أَبْنِيهَا.

أَنَّ أَفْلَامَ (أَنْدَرِيَّةَ تَارْكَوْفُسْكِ) أَقْرَبُ إِلَى التَّدَاعِيَّاتِ مِنْهَا إِلَى أَفْلَامِ حَتَّى الْحَدِيثَةِ مِنْهَا الَّتِي تَتَفَرَّدُ سِوَاهُ بِالشَّكْلِ أَوْ الَّتِي تَنْطَوِي تَحْتَ (تِيَارِ الْوَعْيِ) أَوْ حَتَّى بِالْقِصَّةِ الَّتِي تَسْرُدُهَا، فَهِيَ أَفْلَامٌ شَعْرِيَّةٌ، بِلْمَسَّةٍ رُوحَانِيَّةٍ عَرَفَانِيَّةٍ هَائِمَةٍ فِي مَلَكُوتِ الْكُونِ، وَتَحْمَلُ الْخَطِيئَةَ الْكَبِيرَى دُونَ الْبَشَرِيَّةِ، مِنْ أَجْلِ إِنْقَاذِهَا، يَقُولُ (أَنْدَرِيَّةَ تَارْكَوْفُسْكِ) عَنْ هَذَا الْفَلْمِ " لَقَدْ كَانَ الْعَالَمُ بِالنِّسْبَةِ لِي مَرْتَبِطٌ بِأُمِّي، لَمْ أَدْرِكْ هَذَا عِنْدَمَا كَانَتْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، لَكِنَّا عِنْدَمَا مَاتَتْ، أَدْرَكْتُ الْأَمْرَ فَجَاءَتْ وَبِوَضُوحٍ شَدِيدٍ، لَقَدْ أُخْرِجَتْ الْفَلْمِ (الْمَرْأَةُ) وَكَانَتْ أُمِّي لَا تَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَقَدْ خِيلَ لِي أَنِّي أَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِي فِي هَذَا الْفَلْمِ، لَكِنَّا كَانَ وَكَمَا أَتَضَحُّ لِي فِيمَا بَعْدَ، مَكْرَسًا لِحَيَاةِ أُمِّي، وَأَزِيدُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ هُوَ أَنَّ الرُّوحَ الْإِنْسَانِيَّةَ الْمَعْدُبَةَ وَالْمَلِيئَةَ بِالْخِيَّاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا بِهَذَا الشَّكْلِ الْهَائِمِ وَالْغَرِيبِ عَنِ مَلَكُوتِ الدُّنْيَا.

مِنْ السَّمَاتِ الْأَكْثَرَ بَرُوزًا فِي الْفَلْمِ هُوَ التَّدَاخُلُ الْغَرَائِبِيُّ لِلْأَحْلَامِ مَعَ الْوَاقِعِ، فَعِنْدَمَا تَعُودُ الْأُمُّ بِالتَّدَاخُلِ مَعَ ذَلِكَ الصَّوْتِ الَّذِي يَنْشُدُ شَعْرًا تَتَحَوَّلُ الشَّاشَةُ بَعْدَهُ إِلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَنَجِدُ زَوْجَهَا يَسْكَبُ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهَا وَهِيَ مَنَحْنِيَّةٌ دَاخِلَ الطُّسْتِ وَمِنْ ثَمَّ يَبْدَأُ الْمَطْرُ يَتَسَاقُطُ دَاخِلَ الْغُرْفِ وَرَبْمَا هَذِهِ مِنَ الْمِيزَاتِ الْآخَرَى الَّتِي تَمَيِّزُ أَفْلَامَهُ عَنِ الْآخَرِينَ، أَمَّا الْمَرْأَةُ الَّتِي إِخْتَصَّ هَذَا الْفَلْمُ بِهَا فَنَجِدُهَا فِي كُلِّ تَفَاصِيلِ الْفَلْمِ، فَمَرَّةً تَدْخُلُ الْأُمُّ فِي حَوَارٍ مَعَ زَوْجِهَا مِنْ خِلَالِ الْمَرْأَةِ وَمَرَّةً تَدْخُلُ فِي حَوَارٍ مَعَ نَفْسِهَا

ومثلها أبنها الذي يجلس صامتاً أمامها دون أن ينبس ببنت شفة، إن الأشياء عند هذا المخرج تكتسب درجة إنسانية عالية عندما تكون جزء من الحدث مرةً ومرةً عندما تكون هي الحدث ذاته، فكثيراً ما نرى الطبيعية ومن خلال الرياح تتحرك، وتصدر أصوات لذلك يغلف على أفلامه المناظر الخارجية.

كذلك من السمات التي برزت في هذا الفلم هو تداخل ودمج بعض المشاهد التسجيلية التي حدثت في الماضي، ولكن المخرج أستطاع أن يوظفها لتكون جزء من الحاضر والتي هي خصيصة رئيسة للصورة السينمائية في كونها تشتغل في (الحاضر)، وليس من قبيل الصدفة أن نجد يدرج بعض الأحداث الأسبانية، من خلال القصف العنيف للسكان الآمنين ومن ثم هرع الأطفال الى الملاجئ، مقروناً ذلك ببعض المناطيد ورجال يقودونها، ومن ثم هجرة بعض الأسبان الى روسيا واقتراحهم بهم ومن ثم تكوين أسر فيها حتى أنه في أحد المشاهد نجد أحدهم يفرغ مهولاً نحو أحدهم وهي ترقص الرقصة الأسبانية الفلكلورية المشهورة ومن ثم تؤدي بعض الحركات الحاطفة بأن يصفعها على وجهها، مطالباً إياها بأن تتقن حركاتها.

ومن ثم يتم استعراض الوحشية البشرية من خلال الانفجار الكبير في اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية في (هيروشيما وناكازاكي) ، مروراً بالصين، وبعض اللوحات التشكيلية.

أن الفلم بغرائبيته وتداخله يقدم مشكلة عانتها أغلب البشرية وهي غربة الذات والمكان، أنها غربة الوطن والتي تمثلت ابتداءً بالزوج ومن ثم من خلال الصور الوثائقية للأسبان ومن ثم اليابان وصولاً الى السعادة الحقيقية الى قولها في النهاية الأب "إن الملاك في شكل الشجيرة المحترقة قد ظهر للنبي موسى الذي قاد شعبه عبر البحر - لماذا لم يظهر لي شيء مثل هذا، أردت أن أكون سعيداً؟

٢. إن صانع الفلم الشعري يهمل الزمان والمكان ويهتم بما يثيره الموقف من مشاعر.

لربما يتعجب القارئ من هذا القول وهو كيف بصانع العمل من أن له أن يهمل الزمان والمكان، وحيث إن المقصود هنا بالزمان ليس هو ذلك الصباح أو المساء، ومثله المكان في أن يكون داخل بيت أو شركة أو في ريف، وإنما المقصود بإهمال الزمان والمكان هنا هو غياب الزمن الدرامي الذي يتحدد بلحظة نشوء الفعل وتطوره وصولاً الى الذروة ومن ثم يتهاوى وصولاً الى النهاية ومثله المكان.

والمخرج (أندريه تاركوفسكي) يعتمد الى عدم الاهتمام بقيام دراما أرسطية قائمة على الاشتراطات التي حددها وكذلك التطورات التي لحقت بها من بعد ذلك، فهو يؤسس له عالم خاص وبقوانين فنية خاصة همها الوحيد هو تسجيل التجربة الإنسانية، بكل ما يحيطها من شقاء وصعوبات، وإذ نجد ذلك جلياً في أفلامه المعدودة التي أخرجها على مدى حياته القصيرة، فهو يوغل بهذه الذاتية فيعمد الى تسجيل تجاربه الشخصية التي عاناها طيلة الفترة التي كان يستطيع فيها أن يعبر عن ذاته، وقد انعكس ذلك جلياً في فلم (المرأة) ففي اتصال بين الابن والأم يقول: الابن: لقد شاهدتك في الحلم، في أي زمن غادرنا أبي.

الأم: في عام ١٩٣٥... لماذا تريد أن تعرف هذا.

الابن: ومتى أحترق مخزن الحشائش المجففة.

الأم: في نفس العام... لقد توفيت ليزا.

الابن: من هي.

الأم: التي كانت تعمل معي في المطبعة.

الابن: متى حصل ذلك.

الأم: الآن في الساعة السابعة.

في هذا النموذج البسيط من الحوار نجد إن الزمن يتداخل ويتداخلى منذ عام ١٩٣٥ وحتى تاريخ إنتاج الفيلم، ومثله في مشهد آخر وبعد أن يسلم المخرج الكاميرا على ألبوم صور للفنان اليوناردو دافنشي ، وبعد أن تخرج الأم من الدار توصي أبنها أن لا يعبت بالأغراض، وما أن يغلق الباب خلفها ويرجع الى الداخل يجد إن هناك امرأة جالسة على المائدة وإن هناك خادمة وقد جلبت لها القهوة، فتتحدث معه وتطلب منه ان يجلب كتاب من المكتبة في الرف الثالث ويقرأ من حيث توجد الإشارة فيقرأ: عن أخلاقية الناس قال روسو: إن انقسام الكنيسة قد عزلنا عن أوربا ولم نشاركها في الأحداث العظيمة التي غزتها لكنه كتب علينا بشكل خاص إن روسيا بالرغم من رحابتها الواسعة قد ابتلعت الغزو المنغولي، لم يجراً التتار أن يجتازوا حدودنا الغربية، وانسحبوا الى بواديهم وتم إنقاذ الحضارة المسيحية ومن أجل إحراز ذلك الهدف كنا مضطرين أن نحتفظ بشكل خاص بشيء من الحياة التي وإن أبقنا مسيحيين إلا أنه جعلت منا غرباء عن العالم المسيحي، أما بالنسبة لضعفنا التاريخية فلا يمكنني أن أتفق معك ألا تجد شيئاً هاماً في أوضاع روسيا الراهنة، ما الذي سيدهش المؤرخ في المستقبل على الرغم من تعلقني بالصميم بالقيصر، أنا بعيداً من أن أبتهج بكل ما أراه من حولي، بكوني أديباً أنني متهيج ومتأذ لكنني أقسم لك أنني ما أردت أن أبدل وطني لقاء أي شيء في الدنيا أو أن يكون له تاريخ آخر ما عدا تاريخ أجدادنا أي التاريخ الذي منحه لنا ربنا المقتطف من رسالة بوشكين الى تشاغدايف ١٩/١٠/١٨٣٦.

وبعد أن يتم القراءة، يذهب ليفتح الباب بطلب من المرأة التي وحدها داخل البيت - يفتح الباب فيجد أمامه امرأة تقول أنا آسفة يبدو أنني قد توهمت- يرجع الى الداخل فيجد إن المرأة وقد اختفت ثم ينظر الى المائدة فيجد بقايا قطرات ماء عليها.

إن كل هذا مدعاة للاستفهام والتساؤل، عن هذا التداخل الكبير بين الزمان ووقوعه في آن واحد، مع تداخل الغرباء داخل المكان الأليف ومن ثم القيام برحلة سياحية في بطون التاريخ يبدأ منذ غزو المغول قبل أكثر من (٨٠٠) عام الى أوربا ومن ثم روسيا وانسحابه منه لكبر مساحتها، والرجوع الى اللحظة الآتية عندما يرن جرس الهاتف ويكلمه والده من الجهة الثانية عن الحب فتترأى أمامه حبيبة والده، بل حتى المكان الذي ظل يحن له الأب ويشتاق له هو المكان الضمني الذي كان يحلم به وكونه في الخيال، كون إن طفولته قاسية، كل ذلك جعل من تلك الأمكنة والأزمنة موجودة في الخيال وليس الواقع. في أحد المشاهد، نجد الأب وهو جالس قرب زوجته واضعاً يده عليها، ومن ثم يختفي وتصد الأم الى الأعلى فيخرج طائر أبيض من الجهة اليسرى فوقها ومن ثم يختفي، إن هذا التداخل بين الواقع والحلم وبين الوعي والخيال لا يترك مجال شك عن إن قيمة الزمان والمكان تكاد تكون معدومة فالمخرج يسلم

جلَّ جهده على الأفعال الأنسانية، التي تضرب بالأنسان وتحطمه، في مشهد آخر وهو الأخير وبعد أن تهب ريح فتحرك الأشجار الصغيرة والحشائش، - لقطه للطفل وهو يفتح الباب - صوت من خارج الكادر يستمر بقراءة الشعر - ريح تهب الى داخل البيت فتفرع الشراشف الى الأعلى - ثم تنعكس صورة الطفل في المرآة وهو يحمل بيده أبريق حليب. نفس الطفل يسبح في الماء بالاتجاه المعاكس من الكاميرا والأم تنشر الملابس على حبل في وسط الغابة - تدخل الكاميرا الى البيت ثم تخرج من الشباك الى حيث الأم وأبنتها الثاني - وإذا بها الجدة - قطع الى الطبيب والأم والجدة - يقول الطبيب ماتت فجأة أمه وزوجته وطفله... بل يوجد الضمير والذكرى.. ثم لقطه عامة وطويلة الى الغابة الشاسعة - نزولا الى الأم وزجها صوت الموسيقى يعزف بقوة - ثم الجدة - ثم لقطه لبعض الأشجار الساقطة - يمر ضحل فيه بعض الأغراض المتروكة - لقطه للأم وزوجها وهو يسألها هل تريد ولد أم فتاة ثم الجدة وأحفادها الاثني - ثم لقطه الأم واقفة بقرب عمود كهرباء وحدها في الفضاء المفتوح صوت الطفل كأنه طرزان يصيح - لقطه للجدة وهي تأخذ أحفادها - لقطه لجذوع الأشجار.... انتهى. إن هذا التداخل الذي يبعث الارتباك والحيرة لدى المشاهد هو في نفس الوقت يصبغ مثل هكذا أعمال، بصبغة جمالية، وشعرية، إن تلك الأصوات من خارج الكادر تندفق مثل المياه من فوق شلال معجونة بدموع الأمهات وصياح الحيوانات بالتوازي مع (أشعار لارسيني تاركوفسكي) مع الموسيقى للمؤلف (باخ). كلها تجتمع لتعزف لنا سمفونية الحياة ولكن من خلال أنين المخرج (أندريه تاركوفسكي).

٣. تعبر السينما الشعرية عن ذاتية المؤلف، لذلك فهي لا تروي قصصاً تقليدية، بل هي أقرب الى النزعة الذاتية وبالتالي فهي أفلام جمالية.

إن الأفلام السبعة التي أخرجها (أندريه تاركوفسكي) أزعج أنها تمثل المراحل النفسية والصراع الذي عاشه هذا المخرج في فترة حياته حتى الأشعار التي كانت تتلى داخله كانت من تأليف والده (أرسيني تاركوفسكي)، ففي الفلم (المرآة) يصور المخرج ذكرياته الباطنة وتصوراته عن العالم الخارجي المحيط به والعالم الداخلي الذي يعتلج فيه مستعيناً بأشعار والده والتي توأكب الفلم كله لتعطيه إيقاعاً فلسفياً خاصاً به: لست أخشى لا من الهواجس والوشاية ولا من السم، لست أهرب، فلا وجود للموت في هذا العالم، كل شيء أبدي أبدي، لا يجب أن نخشى الموت لا في السابعة ولا في السبعين. توجد فقط حقيقة ونور، لا ظلام في هذا العالم، ونحن الآن جميعاً على الشاطئ البحري، وأنا أحد الذين يختارون شباكهم.

ولا يخفى على المطلعين على حياة هذا المخرج (أندريه تاركوفسكي) يجده متأثراً بشكل كبير بشخص المخرج (لويس بونويل) صاحب فلم (الكلب الأندلسي) وحيث أفلام الأخير هي كانت ضد السائد ورغم من ان السينما كانت في بواكير نشأتها إلا أن أفلامه بقت عالقة في الذهن السينمائي، ومثله المخرج موضوع البحث نجد أن فلمه (المرآة) وفي بعض الترجمات الأخرى (المرآة) هو أقرب للسريالي منه الى الواقعي، كونه يعرض مختلف المراحل التي مر بها المخرج مشحوناً بالذكريات والهواجس والأوهام الغامضة،

بل إن في أغلب أفلامه نجد هناك ركائز تكاد تكون ثابتة وهي عناصر الطبيعة (الماء والهواء والتراب والنار) والتي مجموعها تكون لنا لحناً خالداً في الذاكرة الانسانية، وإذ تتغلف هذه العناصر بروحية هذا المخرج إلا أننا نجدها في الأصول الأولى للفلسفة اليونانية، ومع ذلك فهي تأخذ لنا منحى جديد من خلال الصورة السينمائية لتعبر عن ذاتية المؤلف وما يعتصر في داخله.

وفي فلم (المرأة) يقدم المخرج لنا علاقات متقابلة غير متوازنة مزوجة بالتاريخ من خلال الأرشيف، والكوارث الإنسانية التي تحققت بسبب جشعه ولكن من خلال منظوره الشخصي مقرون بالشعور بالذنب.

إن النار الملتهبة داخله هي في الحقيقة ذلك الضمير المتقد في جوهر الإنسانية، والذي يحاول أن يعكسه الى الخارج، في ذات الوقت يحاول المخرج ومن خلال هذه الصورة السينمائية التي امتلكت ناصيتها من أن تتوازي مع ذلك الإبداع الذي يتمخض داخله، وإذ يعمد الباحث الى بعض الصور لأنه في بعض الأحيان تقف الكلمات عاجزة عن التعبير لما يريد قوله المخرج ذلك ما قاله المثل الصيني (الصورة تعادل ألف كلمة) ومن ثم تبعه أهل الحدائث بالقول (الصورة تعادل مليون كلمة)، إن اللوعة الإنسانية التي تستعر داخل هذا المخرج ربما نتيجة لتشتته القاسية وربما للظروف المحيطة به جعلت منه كومة رماد ليس أمامه سوى الصورة السينمائية ليعبر عما يؤرقه، ويقلق إنسانيته، ونجد كذلك ومن خلال الذاتية المعرّقة داخل الفلم التماهي بين الشخصيتين، الأم وزوجته والأم والدته، فكثيراً ما تتداخل هذه الشخصيتين حتى يجد المشاهد من الصعوبة التفريق بينهما، مثلما يستعير المخرج بعض التشابكات في الشخصيات فإنه يترك الكثير من الأسئلة دون جواب ففي المشهد قبل الأخير ودون أن تظهر صورة الأب وهو على فراش الموت في عيادة الطبيب، وقد أمسك (فرخ عصفور) صغير مع بعض الغثيان الأخير بقوله كنت أريد أن أكون سعيداً، يقترن ذلك بالرجوع من جديد للأم مع زوجها في الفضاء الفسيح داخل الغابة في بداية زواجهما وهو يسألها: تريدين فتاة أم ولد، ترفع رأسها الأم فتجد أن أم زوجها وقد اقتادت أولادها الى المجهول.

إن الفلم هو أقرب الى مجموع الصور المتقاطعة منه الى الفلم الطبيعي، حيث يرتقي الى الفن السينمائي الخالص، الذي يصب كل ما في داخله نحو الصورة السينمائية الخالصة، وإذ يسخر المخرج هذه الإمكانيات من أجل تصوير ذاتياته فإنه قد أنجب لنا مجموعة من الأفلام النادرة التي صعب أن تعاد من جديد، في ذات الوقت هناك حضور لمجموعة القيم الكلية التي حاول أن يناقشها في كل أفلامه، فمفهوم (الحب والعدل والخير والحياة والحلم...) كلها مفاهيم تجدها في تلك الأفلام.

في فلم (المرأة) نجد الأم تعمل في مطبعة (مصححة) للأخطاء الإملائية، في أحد المرات تشعر أن هناك مطبوع سيدخل مرحلة الطباعة دون أن تؤشر وتصحح الأخطاء الإملائية فتهرع الى المطبعة في وسط المطر حيث الشوارع فارغة، وصولاً الى المطبعة ومن ثم الى دواب الكتب لتجده وقد صححته ولكنها قد نسيت ذلك، ومثله الصراع الذي يعيشه زوجها وعقدة الشعور بالذنب مع والدته، إن موضوعة الصراع داخل الفلم لا تكمن بين هذه العائلة والآخرين أو العالم ولكن الصراع يكمن بين ذوات

الشخصيات نفسها من خلال حملها للألم الإنساني ككل وهو البحث عن السعادة، إن الإنسان بالنسبة لتاركوفسكي هو الكائن الأكثر تعقيداً في الحياة، ومحاولة المخرج اكتشاف قدرته على التحمل وتمتعه بالأيمان واليقين وهل لديه الرغبة في الحياة أو لا.

النتائج

١. عدت الطبيعة المنبع الرئيس لتوالي الصور ذات الطبيعة الشعاعية من خلال واقعيها الطبيعية، كالمنظر داخل الأماكن المغلقة والماء والبحر والنار والمرأة والحلم والحيوانات وهي ميزات ثابتة داخل الفلم.
٢. عُدد إحساس صانع العمل هو الدليل الأول في دمج تلك المشاعر وحركة الكاميرا في رصد الأشياء والأشخاص، ومن خلال خصائص الوسيط التعبيري للسينما يعمل المخرج (أندريه تاركوفسكي) على خلق نمطية خاصة به.
٣. تغلف الفلم الشعاعي عند المخرج (أندريه تاركوفسكي) بالزعة الذاتية وبالتالي فهو فلم جمالي ما يعني إنه لا يلقي رواجاً عند الجمهور.
٤. ناقش الفلم الشعاعي عند المخرج الروسي أندريه تاركوفسكي الكليات مثل (الوجود، العدل، الميعاد، الخير... الخ)
٥. النظرة السوداوية والنهائية المأساوية لبطل الفلم في فلمه.

قائمة المصادر

١. آجيل هنري ، علم جمال السينما، تر، ابراهيم العرس، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٠.
٢. ارستوطاليس، في الشعر، تر، ابي بشر متى بن يونس القنائي، حققه، شكري محمد عياد، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧.
٣. آلتون جون، الرسم بالنور، تر، ثريا حمدان، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ب، ت.
٤. جانيتي لوي دي، فهم السينما، تر، جعفر علي، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١.
٥. حمودة عبد العزيز، المرايا المحدبة، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد(٢٣٢)، ١٩٩٨.
٦. دولز جيل، الصورة - الحركة، تر، حسن عودة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة - المؤسسة العامة للسينما، ١٩٩٧.
٧. الربيعي بان جبار، المعالجات الفنية لعناصر التعبير الفلمي في السينما التجريبية، كلية الفنون الجميلة، أطروحة دكتوراه غ.م، ٢٠١٠.
٨. الطاهر علي جواد، من يفرك الصدأ، بغداد، دار الشؤون العامة، ١٩٨٧.

٩. عبد العزيز علاء، ما بعد الحداثة والسينما، دمشق، منشورات وزارة الثقافة- المؤسسة العامة للسينما، ٢٠٠١.
١٠. عبد مسلم طاهر، الخطاب السينمائي من الكلمة الى الصورة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٥.
١١. غرين نومي ، بييرباولو بازوليني السينما كبدعة، تر، سميرة بريك، دمشق، منشورات وزارة الثقافة - المؤسسة العامة للسينما، ٢٠٠١.
١٢. فتحي ابراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، القاهرة، دار شقيقات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
١٣. لوتمان يوري ، مدخل إلى سيميائية الفلم، تر، نبيل دبس، مراجعة قيس الزبيدي، دمشق، المؤسسة العامة للسينما، ٢٠٠١.
١٤. مرتاض عبد الملك، النص الأدبي من أين الى أين، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٦.
١٥. مرسي احمد كامل مجدي وهبة، معجم الفن السينمائي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.
١٦. alan casty: the dramatic art of the film. Faber and faber -london -1990,pp.65.

مقابر قريش ملامح من تاريخها وتسمياتها حتى نهاية الدولة العباسية

The cemeteries of Quraish: Features of history and names until the end of the Abbasids

M.A. Angham Adel Chiad

م.م أنغام عادل جياذ^(١)

M.A. Hossein Hulaib Najem

م.م. حسين هليب نجم^(٢)

المقدمة:

مدينة الكاظمة المقدسة حالياً، أو ما تسمى بعض أجزائها قديماً ب(مقابر قريش) بلدة قديمة، ذات ماضي عريق ومجد أنيل، تبعد عن بغداد شمالاً خمسة كيلو مترات، وهي في ذات الوقت جزءاً لا يتجزأ من بغداد قديماً وحديثاً، فهي على امتداد تاريخها الطويل كانت تؤثر وتتأثر بالأحداث التي تجري في بغداد، فارتبطت بما ارتباطاً وثيقاً من الناحية الجغرافية والتاريخية.^(٣)

لا يفوت كل مطلع على تاريخ المدن أن آلية نشأتها تختلف بحسب موقعها، وأهميتها، والغاية من تأسيسها، وقد لعب الموقع الجغرافي والأهمية الدينية لمدينة الكاظمة - على اختلاف تسمياتها - أثراً مهماً في تأسيسها منذ آلاف السنين.

وقد وطأ أرضها وتعاقب عليها عبر تاريخها الطويل عدد من الدول والممالك، لكن ظلّ الكثير من تاريخ هذه البقعة مجهولاً لم تكشفه بقايا الآثار، ولم تسطره أقلام الرحالة والمؤرخين، حالها حال العديد من مدن العراق، وبطبيعة الحال لا نعزو ذلك إلى القصد والاهمال، ولكن طبيعة أغلب المدونين التاريخيين قد اهتموا بالجوانب السياسية والعسكرية على حساب الجوانب الأخرى كالاقتصادية والاجتماعية

١ - كلية الادارة والاقتصاد /جامعة كربلاء.

٢ - كلية الادارة والاقتصاد /جامعة كربلاء.

٣ - ينظر: تاريخ المشهد الكاظمي: ٩.

والعمرانية وغيرها، لذا سيجد القارئ في مضان هذا البحث الكثير من المعلومات مبنية على نتف و اشارات عابرة تناثرت في بطون المصادر.

وقد قسّمنا بحثنا هذا إلى مبحثين، الأول: خاص بتاريخ هذه المدينة منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة العباسية، والثاني: اهتم بالتسميات التي اطلقت عليها حسب تعاقبها الزمني، كما اختتمنا البحث بملخصة وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها في بحثنا وقد تنوعت بين كتب الحديث والمعاجم اللغوية والتاريخ العام والتراجم والبلدان.

Abstract

The city of Kadhimiyah that some of its parts was called the "Quraish Cemetery" is an ancient city. The position of Kadhimiyah and its religious importance has played a great role in its establishment. It is thought that (Aqirqoof) is the first trace to the origin of the city. There is also an evidence that Imam Ali (**Pbuh**) had come across this land when he came back from the battle of Nahrawan to fight Al-Khawarij. The Abbassid Al.Mansoor was the first one who made this place as a cemetery called (Quraish Cemetery) and the first one to be buried was his son in the year (150 A.H).

This place has acquired an importance and Sacredness in the perspectives of Muslims in general and the believers of the House holds (**Pbut**) for the first time when it was honoured by having the holy bodies of imams Al-Kadhimain (**Pbut**). There were a great impact of some Khalifats, Sultans and their ministres in addition to some wealthy people in developing and expanding the holly shrine. Moreover, Al-Kadhimiyah has known by some names such as: Kurtble, Al.Shunaiziah, Quraish cemetery, Al-kadhim (**pbuh**) sight, Bab Al-tibin sight, The west sight, and Al-Kadhimiyah.

الرموز المستخدمة في البحث:

ت	توفي سنة	ح	حديث رقم	د. ت	بدون تاريخ طبع.
د. ط	بدون طبعة	ق. م	قبل الميلاد	م	ميلادي.
هـ	هجري.				

المبحث الأول: تاريخها:

لا يعلم بالضبط كيف قامت العمارة الأولى في الكاظمية، ومن قام بتشبيدها أولاً، لكن المعروف أن أقرب مملكة لأرض الكاظمية كانت مملكة الكيشيين^(٤)، الذين اتخذوا في بداية حكمهم من مدينة بابل عاصمة لهم، ثم أقاموا عاصمة ثانية على يد ملكهم (كوريكالزو الأول) في المنطقة الواقعة غرب الكاظمية وعرفت في عصرهم بـ(دور - كوريكالزو)^(٥)، وقد سميت فيما بعد بـ(عقرقوف)^(٦)، والتي ولم يبق من آثارها إلا برجها الذي يبلغ ارتفاعه عن سطح الأرض (٥٦) متراً.^(٧)

وبذلك يُعتقد أن (عقرقوف) هي الأثر الأول الذي تم التوصل إليه في أصل الأرض التي سُميت بعض جوانبها بـ(الكاظمية)، وبقيت هذه الأرض مجهولة التاريخ في العهود التالية كالعهد السلوقي والأخميني، وإن رجّح البعض أنها كانت غير خالية من الحياة والسكان، وموضع العناية والرعاية ولو لغرض الزراعة على الأقل.^(٨)

أما الفريثيون^(٩) الذين لم يرق لهم اتخاذ مدينة (سلوقية) عاصمة لهم ولم تكن (بابل) التي دمرتها الحروب خليقة بأن تكون عاصمتهم، فسادوا مدينة ضخمة على الجهة اليسرى من دجلة قبال (سلوقية) اسموها (طيسفون)^(١٠) والمعروفة بـ(المدائن).^(١١)

ويتضح من دراسة الأنهار والقرى والمدن المحيطة بدجلة ابتداءً من (دور - كوريكالزو) في الشمال الغربي حتى (المدائن) في الجنوب الشرقي: إن المنطقة التي شيّد المنصور مدينته عليها - وهي منطقة بغداد بجانبها الغربي والشرقي - كانت عامرة برّيها ومزارعها منذ أقدم العصور، وأرض الكاظمية الحالية كانت جزءاً من هذه المنطقة العامرة الخضراء بلا شك.^(١٢)

٤- الكيشيون: هم قوم لا يُعرف أصلهم على وجه التأكيد، أما موطنهم الذي نزحوا منه فيرجح أنه كان في مكان ما من الأجزاء الوسطى في جبال (زاجروس) الفاصلة بين العراق وإيران، ويُعتقد من المنطقة التي تُعرف باسم (بلاد اللر) أي لورستان في الجهات الجنوبية من إيران، وقد جاؤوا إلى بابل وأقاموا سلالة حاكمة في البلاد عرفت باسم سلالة بابل الثالثة التي دام حكمها زهاء أربعة قرون (١٥٩٥ - ١١٦٢ ق.م). (ينظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ٤٩٣/١)

٥- هناك من يشير إلى أنها كانت تُعرف قبل ذلك بـ(إيشا)، وأن الملك (كوريكالزو الأول) عمّرها واسماها بـ(عقرقوف). (ينظر: العراق في التاريخ: ١٠٣)

٦- قال ياقوت الحموي: «عقرقوف: هو (عقر) أضيف إليه (قوف) فصار مركباً، مثل حضرموت وبعبك، والقوف في اللغة: الكل، ... وهي قرية من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ». (معجم البلدان: ١٣٧/٤)

٧- ينظر: تاريخ الكاظمية: ٢٢ - ٢٣.

٨- ينظر: تاريخ المشهد الكاظمي: ١٠.

٩- الفريثيون: هم قوم يرجعون في أصلهم إلى القبائل الهندية الأوربية في آسيا، وكان موطنهم في السهوب الممتدة ما بين بحر قزوين وبحر آرال، واشتهروا بالفروسية والحرب، دام حكمهم للعراق من سنة (١٣٨ ق.م) إلى سنة (٢٢٦ م) ليحل محلهم الساسانيون. (ينظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ٦٦٣/١)

١٠- يرى ابن الأثير أنها تقع «في شرق المدائن»، في حين أن ياقوت الحموي يقول: «طيسفون ... هي مدينة كسرى التي فيها الإيوان، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ». (الكمال في التاريخ: ٣٨٣/١، معجم البلدان: ٥٥/٤)

١١- ينظر: العراق قديماً وحديثاً: ٢.

١٢- لمحات من تاريخ الكاظمية: ٨.

وأما القرى والمدن الواقعة جنوب أرض الكاظمية وشرقيها وجنوبها الغربي - قبل الإسلام- كانت كثيرة متعددة تسلسل وتتلاحق حتى تصل إلى مدينة (المدائن) الضخمة شرقي دجلة و(سلوقية) الكبرى غربيها، وكلتا المدينتين عاصمة كبيرة لدولة كبيرة، وتعد من العواصم الفخمة الرائعة في تلك العهود.^(١٣) ومن أقرب تلك القرى إلى أرض الكاظمية قرية (سونابا) التي كانت تقع في الجنوب الشرقي للكاظمية الحالية، وهي «قرية قديمة... ينسب إليها العنب الأسود الذي يتقدم ويكر على سائر العنب مجناه، ولما عمرت بغداد دخلت هذه القرية في العمارة وصارت محلة تعرف بالعتيقة لذلك، وبها مشهد لعلي بن أبي طالب عليه السلام»^(١٤) يُعرف بـ«مشهد المنطقة»^(١٥)، وما زالت المحلة الواقعة بين الكاظمية والكرخ تسمى بـ (المنطقة).^(١٦)

وهناك إشارة مفادها أن الفرثيين قد وصلوا للمنطقة المعروفة حالياً بـ(الكاظمية) واستخدموها مقبرة لدفن موتاهم، كما يحتمل أن يكون الساسانيون هم من فعلوا ذلك لأنهم توارثوا طريقة دفن موتاهم من الديانة الفرثية^(١٧)، وأطلقوا عليها تسمية خاصة كما سيأتي.

وكان الملوك الساسانيون قد أقاموا مزارع ومنتزهات وبساتين على الأرض المجاورة لأرض الكاظمية وأقربها بساتين قرية بغداد، لأن النظام الساساني كان نظاماً اقطاعياً يقوم على أساس الملكية الكبيرة للعائلة الحاكمة، فكانت بغداد الحالية بجانبها الشرقي والغربي مقسمة إلى مقاطعات كبيرة، كما اتخذ الملوك الساسانيون بساتين خاصة لهم ومنهم كسرى أنو شروان^(١٨)، وكان يديرها وكلاء عنهم عرفوا باسم (دهاقين)^(١٩) كشكل لإدارة النظام الاقطاعي، وكان لكل دهقان قرية خاصة به.^(٢٠)

ويستفاد من بعض كتب البلدان أن المنطقة المجاورة لموضع المشهد الكاظمي الحالي من جهة الشرق كانت قبل انشاء مدينة المنصور بستاناً لبعض ملوك فارس، ثم اقطعها المنصور العباسي عمارة بن حمزة^(٢١)، لذا سميت بـ(دار عمارة).^(٢٢)

١٣- مقابر قريش أو الكاظمية: ١٤٣.

١٤- معجم البلدان: ٢٥٨/٣.

١٥- مراصد الاطلاع: ٧٥٧/٢.

١٦- ينظر: مخات من تاريخ الكاظمية: ١٤٣.

١٧- ينظر: تاريخ الكاظمية: ٢٣-٢٤.

١٨- هو أحد ملوك الفرس، ملك بعد والده قباد بن فيروز، من أبرز أعماله مطاردته لـ(مزدك بن مازيار) وقتله مع من كان في ملته، وجمعه أهل مملكته على دين الجوسية ومنعهم النظر والخلاف والحجاج في الملل، كما شهد حكمه عدد من الاصلاحات الادارية والكثير من الفتوحات، حكم بلاده قرابة (٤٨) عاماً. (ينظر: الأخبار الطوال: ٦٧، مروج الذهب: ١/٢٩٠)

١٩- الدهقان: شيخ القرية أو رئيسها، وهو لفظ فارسي مركب من: (ده) بمعنى قرية، و(قان) بمعنى شيخ أو رئيس، شاع استعماله في بلاد فارس قبل الإسلام. (ينظر: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ١٨٦)

٢٠- ينظر: تاريخ الكاظمية: ٢٣.

٢١- هو من ولد عكرمة مولى ابن عباس، وقيل هو عمارة بن حمزة بن مالك بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله، مولى العباس بن عبد المطلب، كان أحد الكتاب البلغاء، وكان سخيّاً جواداً، وكان المنصور والمهدي يقدمانه؛ لفضله وبلاغته وكفايته، توفي سنة ١٩٩ هـ. (تاريخ بغداد: ١٢/٢٧٥ رقم ٦٧٢١، معجم الأدباء: ١٥/٢٣٢ رقم ٣٧)

٢٢- ينظر: البلدان لأبن الفقيه: ٣٠٠، معجم البلدان: ٤٢٢/٢.

ومن خلال ما تقدم يتبين أن الموقع الجغرافي القريب من نهر دجلة - والذي ساعد كثيراً في خصوبة أرضها - قد لعب دوراً مهماً في استيطانها من جهة واستغلالها للزراعة من جهة أخرى.

وبعد أن بزغ نور الإسلام على وجه المعمورة أخذت حدوده تتوسع منذ عهد الخلافة الراشدة وما بعدها، وبدأت حملة العرب المسلمين صوب العراق منذ سنة (١٢هـ) لتحريره من سيطرة الساسانيين، وتم لهم ذلك سنة (١٦هـ).^(٢٣)

وبعد الفتح الإسلامي للعراق والقضاء على الحكم الساساني فيه أصبح من املاك الدولة العربية الإسلامية، واستمر الحال على ما كان في وجود القرى والدهاقين، فأسلم معظم الدهاقين، وبقي النصارى على ديانتهم وادبرتهم في قراهم ومقابرهم الخاصة.^(٢٤)

وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هناك ما يشير إلى أنه قد وطأ هذه الأرض عندما رجع من محاربة الخوارج^(٢٥) في النهروان، وأقام إلى جوارها في منطقة براءثا^(٢٦) وصلى فيها.^(٢٧)

وما يعضد ذلك وجود مقبرة تقع إلى الجنوب الغربي من مقابر قريش وتعرف بمقبرة الشهداء^(٢٨)، وقال فيها الخطيب البغدادي: «وبالقرب من القبر المنسوب إلى هشام [أي هشام بن عروة بن الزبير بن العوام] بالجانب الغربي قبور جماعة تعرف بقبور الشهداء، لم أزل أسمع العامة تذكر أنها قبور قوم من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كانوا شهدوا معه قتال الخوارج بالنهروان وارتثوا في الواقعة، ثم لما رجعوا أدركهم الموت في ذلك الموضع فدفنهم علي هناك. وقيل: إن فيهم من له صحبة».^(٢٩)

وقد ذكر الدكتور مصطفى جواد - في بحثه المسموم بـ(الكاظمية قديماً)، والمنشور في ضمن موسوعة العتبات المقدسة - هذه المقبرة قائلاً: «هي على المشهور مقبرة الشهداء المسلمين الذين حاربوا الخوارج قرب أرض الكاظمية فأثخنهم الجراح وماتوا فدنونا هناك، أعني في غربي الكاظمية الجنوبي سنة (٣٧هـ)، وقيل بل حملوا من ساحة الوغى في وقعة النهروان وهم مرتثون فأدركهم الموت في ذلك الموضع».^(٣٠)

٢٣- ينظر: المنتظم: ٢٠٣/٤، الدولة الفارسية في العراق: ٥٢.

٢٤- ينظر: تاريخ الكاظمية: ٢٤.

٢٥- الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب عليه السلام بعد التحكيم يوم صفين سنة ٣٦هـ، وقالوا: لا حكم إلا لله، وكفروا بالإمام علياً عليه السلام، ومن رؤسائهم المشهورين: الأشعث بن قيس، وحرقوق بن زهير وغيرهما، ويطلق عليهم أيضاً المارقة من الدين، وينقسمون إلى فرق متعددة أهمها: الأزارقة، والنجدات، والأباضية. (ينظر: الملل والنحل: ١/١١٤)

٢٦- براءثا: محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محول، وكان لها جامع مفرد تصلي فيه الشيعة وقد خرب عن آخره، وكذلك المحلة لا يبق لها أثر، فأما الجامع فأدركت أنا بقايا من حيطانه وقد خربت في عصرنا واستعملت في الأبنية. (ينظر: معجم البلدان: ١/٣٦٢).

٢٧- روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: «صلى بنا علي عليه السلام ببراءثا بعد رجوعه من قتال الشراة ونحن زهاء مائة ألف رجل...». (من لا يحضره الفقيه: ١/٢٣٢ ح ٦٨٩، تهذيب الأحكام: ٣/٢٦٤ ح ٧٤٧)

وأشار إلى مثل ذلك ياقوت الحموي قائلاً: «وكانت براءثا قبل بناء بغداد قرية، يزعمون أن علياً عليه السلام مر بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان، وصلى في موضع من الجامع المذكور - أي جامع براءثا-». (معجم البلدان: ١/٣٦٣)

٢٨- ينظر: كتاب الحوادث: ٢١٢.

٢٩- تاريخ بغداد: ١/١٣٨، المنتظم: ٢١/١٨.

٣٠- موسوعة العتبات المقدسة/ قسم الكاظمين: ١٢.

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور مصطفى جواد قد ردّ على كل من يضعف مرور الإمام علي عليه السلام ببغداد - التي كانت وقتئذ من القرى المشهورة والمأهولة بالسكان - وبعض المناطق القريبة منها (براءثا)، وعلى كل من يستبعد كون مقبرة الشهداء منسوبة إلى شهداء

وفي عهد الخلافة العباسية اختار المنصور العباسي - ثاني خلفاء بني العباس - موضعاً بالقرب من أرض الكاظمية الحالية لتكون فيه عاصمة الخلافة العباسية، فابتدأ بتأسيس مدينته المدورة سنة (١٤٥ هـ)^(٣١)، واستتم بناء سورها وفرغ من خندقها وسائر شؤونها سنة (١٤٩ هـ)^(٣٢).
ويؤكد بعض الباحثين أنه لما أضحى المنصور عمارة مدينته اقتطع مقبرة الشونيزي الصغير المجاورة لمدينته من جهة الشمال وجعلها مقبرة وأسماها (مقابر قريش)^(٣٣)، وللدكتور مصطفى جواد رأي في ذلك كما سيأتي.

وأول من دفن في هذه المقبرة هو جعفر ابن المنصور الأكبر الذي حقق باسمه كنيته، وكانت وفاته سنة (١٥٠ هـ)^(٣٤)، ثم توالى الدفن فيها، ففي سنة (١٨٣ هـ) دُفن فيها الإمام موسى الكاظم عليه السلام^(٣٥)، وبعد ذلك دفن إلى جنبه حفيده الإمام محمد الجواد عليه السلام سنة (٢٢٠ هـ)^(٣٦).

وبعد أن تشرفت هذه الأرض بضم جسدي الإمامين عليه السلام اكتسبت هذه البقعة ولأول مرة أهمية وقدسية خاصة في نظر محبي آل البيت عليه السلام إذ صارت مسكناً لهم شأن البلاد المقدسة التي يرغب الشيعة سكنها بجوار أضرحة الأئمة من أهل البيت عليه السلام، لأنهم يرون في مجاورة وزيارة تلك المشاهد الكريمة فضلاً عند الله، وجاءت من طرقهم أحاديث جمّة تدلهم على ذلك الفضل، منها ما جاء في الأثر عن الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه عليه السلام بسنده عن الحسن بن علي الوشاء، حيث قال: «قلْتُ للرضا عليه السلام: ما لمن زار قبر أبيك أبي الحسن عليه السلام؟ فقال: زُرّه، قال: فقلْتُ: فأَيُّ شيء فيه من الفضل؟ قال: له مثل من زار قبر الحسين عليه السلام». (٣٧)

ومن جهة أخرى أنّ زيارتهم عليه السلام وتعاهد قبورهم يعدها الموالون إيفاءً لحقّهم، وهذا ما دلّ عليه قول الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام: «إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائهم وشيعتهم، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة». (٣٨)

والملاحظ من بعض النصوص التاريخية أن هذه المنطقة المغورة قد قفزت خلال مدة العصر العباسي الأول قفزات واسعة باتجاه التوسع والاستيطان، ففي أوائل القرن الرابع الهجري كانت المنازل حول مقابر

معركة النهروان، وكان الرد من خلال تحليله لرواية الطبري في أحداث سنة ٣٧ هـ الخاصة بمعركة النهروان تحليلاً لا مزيد عليه، وأثبت من خلاله تاريخياً صحة ما ذهب إليه. (ينظر: موسوعة العتبات المقدسة/قسم الكاظميين: ١٢-١٨)
٣١- ينظر: تجارب الأمم: ٤١٣/٣، تاريخ مختصر الدول: ١٢٢.
٣٢- ينظر: تاريخ الطبري: ٦/٢٨٥، وفيات الأعيان: ٢/١٥٣.
٣٣- ينظر: مقابر قريش أو الكاظمية: ١٤٤، لمحات من تاريخ الكاظمية: ٩.
ولعل صاحب هذا الرأي مستند إلى قول الخطيب البغدادي: أن «مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير». (تاريخ بغداد: ١/١٣٤)
٣٤- ينظر: تاريخ الطبري: ٦/٢٨٨، البداية والنهاية: ١٠/١١٣.
٣٥- ينظر: إعلام الوری: ٦/٦، سير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٤.
٣٦- ينظر: الفصول المهمة: ٢/١٠٣٥، المختصر في أخبار البشر: ٢/٣٣.
٣٧- كامل الزيارات: ٤٩٧ ح ٧٧٢.
٣٨- تهذيب الأحكام: ٦/٩٣.

قريش كثيرة ومتعددة، وكان بعض تلك المنازل مشتملاً على عدة حجر ولكل حجرة باب أو أكثر، ويرشدنا إلى ذلك ما رواه ابن مسكويه في حوادث سنة (٣١٢هـ).^(٣٩)

وخلال حكم البويهيين للعراق شهدت مقابر قريش اهتماماً ملحوظاً من قبلهم، فأصبح ذلك حافظاً لتوسع السكن وانتشار الدور حول المشهد الكاظمي المقدس، ومن ذلك أنه في سنة (٣٣٦هـ) قام معز الدولة البويهي^(٤٠) بتشيد المرقد الكاظمي المطهر تشييداً رائعاً في عمارته، كما أمر بإنزال جماعة من الجنود الديلمية ومعهم أفراد آخرين؛ لغرض الخدمة والحفاظ على الأمن.^(٤١)

ونظراً لاستتباب الأمن وتوفير الخدمات التي شهدتها مقابر قريش خلال حقبة الحكم البويهي من جهة، فضلاً عن صيرورتها محلة ملتصقة بمحال بغداد الأخرى من جهة ثانية ازدادت الجموع الغفيرة القاصدة مشهد الكاظمين عليه السلام في المواسم والمناسبات الدينية المختلفة.^(٤٢)

إضافة إلى ما تقدم كان إيصال الماء إلى المشهد الكاظمي المطهر بمساعي أبي طاهر شباشي^(٤٣) سبباً جديداً في ازدياد العمران في هذه المدينة الصغيرة، وكان ذلك بين عامي ٣٧٦-٣٧٩هـ، وفيه قال السيد عبد الكريم ابن طاوس: «والذي بنى مشهد الكرخ الحاجب شباشي... وحفر ذنابة دجيل، وساق الماء إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام». ^(٤٤)

كما أن هناك معطيات تشير إلى تزايد السكان حول المشهد المقدس في منتصف القرن الخامس الهجري، وإلى وجود دور للسكنى داخل سور المشهد فضلاً عن خارجه^(٤٥)، ومن هذه المعطيات ما يشير إلى إن السواد الأعظم من هؤلاء السكان علويين، كما كان يهاجم الخليفة القائم بأمر الله بحسب رواية ابن الجوزي في حوادث سنة (٤٥٠هـ) إذ قال: «وحمل الخليفة إلى المشهد بمقابر قريش، وقال له: تبيت الليلة فيها، فامتنع وقال: هؤلاء العلويون الذين بما يعادوني». ^(٤٦)

وكانت أعمال البر الخاصة بترميم وتعمير وتوسعة المشهد المطهر ومحيطه من قبل عدد من الخلفاء والسلطين ووزرائهم وبعض الميسورين من أهل الخير والصلاح ملازمة لهذا الصرح المقدس، ومنها الأعمال

٣٩- ينظر: تجارب الأمم: ١٩٥/٥، محات من تاريخ الكاظمية: ١٢.

٤٠- هو أبو الحسن معز الدولة أحمد بن أبي شجاع بن فناحسرو بويه الديلمي (٣٣٤-٣٥٦هـ)، أول ملوك الديلم، صاحب العراق والأهواز، دخل بغداد من جهة الأهواز فتملكها في خلافة المستكفي، وكان حليماً، كريماً، عاقلاً، متصلياً في التشيع، توفي ببغداد سنة ٣٥٦هـ، ودفن في داره ثم نقل إلى مقابر قريش. (ينظر: وفيات الأعيان: ١٧٦/١، الكنى والألقاب: ٤٧١/٢)

٤١- ينظر: صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد: ١١-١٢.

٤٢- ينظر: المنتظم: ٣٧/١٥، ٨٢، محات من تاريخ الكاظمية: ١٣.

٤٣- هو أبو طاهر الحاجب، الملقب بالسعيد، مولى شرف الدولة أبي الفوارس ابن عضيد الدولة أبي شجاع الديلمي، السباشي أو السباهي التركي، كان كثير الصدقة، فاض المعروف، متفكراً للفقراء، كان له الكثير من أعمال الخير في بغداد وطريق مكة، توفي سنة ٤٠٨هـ. (ينظر: فرحة الغري: ٤٩، الوافي بالوفيات: ٦٩/١٥)

٤٤- فرحة الغري: ٤٩.

٤٥- ينظر: الكامل في التاريخ: ٥٧٧/٩.

٤٦- المنتظم: ٣٥/١٦.

العمرائية التي قام بها الوزير أسعد البلاشاني^(٤٧) والتي طالت المشهد وما حوله، وكان من جملة تشييد دار إلى جانب المشهد الكاظمي لاستراحة الزائرين، وكان ذلك سنة (٤٩٠هـ).^(٤٨)

ومن خلال اشارات بعض المؤرخين المتعلقة بأحداث القرن السادس الهجري التي شهدتها بغداد عموماً - ومنها مقابر قريش - يمكن ملاحظة النمو السكاني والتوسع الاستيطاني الذي بات واضحاً في هذه المنطقة، ففي سنة (٥١٧هـ) جاء العلويون من أهل المشهد الغربي إلى ديوان الخلافة يشكون فعل المشاغبون الذين قصدوا مشهد الكاظمين^{عليه السلام} ونهبهم لما فيه «فخرج توقيع الخليفة [المسترشد بالله] بعد أن أطلق في النهب بإنكار ما جرى، وتقدم إلى نظر الخادم بالركوب إلى المشهد وتأديب الجناة، ففعل ذلك ورد بعض ما أخذ». ^(٤٩)

وفي هذه الرواية دلالة واضحة على أن هذه المنطقة أصبحت مأهولة بالسكان - بأغلبية علوية - الأمر الذي ساعد على استجابة الخليفة سريعاً لشكواهم، كما يبدو أيضاً أن سكان هذه المنطقة في هذا القرن من الزمان أصبحوا - من حيث الكثرة - يعاملون معاملة أقرانهم من أهل المحلات الأخرى فأخذ بعض المؤرخين يُسميهم: «أهل مشهد موسى بن جعفر». ^(٥٠)

وفي سنة (٥٦٩هـ) زادت دجلة زيادة عظيمة «وأسكرت الحربية»^(٥١) والمشهد، ووقع أكثر سور المشهد، ونبع من داخله الماء فرمى الدور والتراب»^(٥٢)، ولا تخفى الإشارة في ذلك على كثرة الدور المحيطة بالمشهد المقدس.

واستمرت هذه الكوارث تطول منطقة مقابر قريش تحديداً وبغداد عموماً في القرن السابع الهجري فكان من جزائها أن أودت بالكثير من أجزاء المشهد الكاظمي والدور المحيطة به كالفيضان الذي حدث ببغداد سنة (٦١٤هـ) «فنبع الماء من البلاليع والآبار من الجانب الشرقي وغرق كثير منه ... وأما الجانب الغربي فتهدم أكثر القرية... وخربت البساتين ومشهد باب التبن»^(٥٣).

وفي فيضان سنة (٦٤٦هـ) أحاط الماء ببغداد وغرقت مناطق بأكملها، «وأما المشهد الكاظمي - على ساكنه السلام -، فإنه هدم سور ودوره وأقام [الماء] على الضريحين الشريفين بحيث لم يبق من

٤٧- هو الوزير الكبير، أبو الفضل أسعد بن موسى البلاشاني، وُزِّرَ للسلطان بركيا روق، وكان فيه خير وعدل وديانة وقلة ظلم، وكان كبير الشأن، عالي الرتبة، خيراً كثير الصلاة بالليل، وكثير الصدقة لا سيما على العلويين وأرباب البيوتات، كما كان يتشبع، قتل سنة ٤٩٢هـ. (ينظر: الكامل في التاريخ: ٢٩٠/١٠، سير أعلام النبلاء: ١٨٠/١٩)

٤٨- ينظر: صدى الفؤاد: ١٤، مقابر قريش أو الكاظمية: ١٤٧.

٤٩- المنتظم: ٢١٧/١٧، تاريخ المشهد الكاظمي: ٣١.

٥٠- الواقي بالوفيات: ١١٤/١٨.

٥١- الحربية: محلة كبيرة مشهورة في بغداد عند باب حرب. (ينظر: معجم البلدان: ٢٣٧/٢)

٥٢- المنتظم: ٢٠٦/١٨، لمحات من تاريخ الكاظمية: ١٤.

٥٣- الكامل في التاريخ: ٣٣٢/١٢، وسيرد أن (مشهد باب التبن) هو من التسميات التي اطلقت على المشهد الكاظمي.

الرامين إلا رؤوسها»^(٥٤)، علماً أن اجراءات الخلافة كانت سريعة بخصوص تعميم ما تم تدميمه بسبب هذه الفيضانات، وكان منها بناء سوراً محكماً يحيط بالمشهد كله.^(٥٥)

وفي هذه النصوص اشارة واضحة إلى حجم التوسع العمراني الذي شهدته منطقة مقابر قريش والمتمثل بكثرة الدور الأمر الذي حتم احاطتها بسور - كحال بقية المدن - ليكون سداً لصد طغيان الماء، وليرد الأيدي الفاسدة عن الروضة المطهرة ومحيطها.

وأما الجانب الفكري و الاجتماعي فهناك أكثر من اشارة تظهر مدى التطور الملحوظ الذي شهدته هذه المنطقة في هذين الجانبين، وألها أن في سنة (٦٠٨هـ) «أمر الخليفة [الناصر لدين الله] أن يقرأ مسند أحمد بن حنبل - عليه السلام - بمشهد موسى بن جعفر يحضره صفى الدين محمد بن معد الموسوي^(٥٦) بالإجازة عن الخليفة».^(٥٧)

ويستفاد من هذه الرواية وجود مدرسة أو حلقات داخل أروقة المشهد المقدس لتدريس فقه أهل البيت عليهم السلام وأخبارهم وهو أمر متوقع جداً في ظل حكم الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ) المعروف بميله إلى الشيعة^(٥٨)، فضلاً عن كونه «شهماً، شجاعاً، ذا فكرة صائبة وعقل رصين... وكانت هيئته عظيمة جداً»^(٥٩)، ورغبته في تخفيف حدة التوتر بين السنة والشيعة وقتذاك واضحة جلياً من خلال أمره بتدريس مسند الإمام ابن حنبل في المشهد المقدس الأمر الذي ينم عن حكمة عالية وتدبر سليم. أما اتخاذ المساجد والأضرحة المقدسة كمؤسسات تعليمية - إلى جانب وظيفتها الأساسية كأماكن للعبادة - لتدريس العلوم الدينية وما يتصل بها من علوم اللغة العربية وغيرها فهو أمر معروف في الحضارة الإسلامية.^(٦٠)

ثانياً يظهر أن بعض المراسيم والطقوس التي كانت تؤدي من قبل الشيعة في المشهد الكاظمي في أيام المناسبات الدينية كانت تحظى بحضور بعض أبناء المذاهب الأخرى فضلاً عن أنها وصلت إلى حد التأثير فيهم، فهناك ما يؤكد أن أحد أبناء العامة قد «تعلم الإنشاد لمراثي الحسين عليه السلام في أيام المواسم بالكرخ في مشهد موسى بن جعفر».^(٦١)

ولكن لم يسعفنا هذا النص بكيفية هذا التعلّم، فهل كان منظماً في اطار تدريبي؟ أم كان ذاتياً وبقناعة شخصية؟ وعموماً فالإشارة واضحة على إن المشهد الكاظمي وقتذاك كان مجمعاً للزائرين والقاصدين حتى من المذاهب الأخرى في المناسبات والأعياد الدينية.

٥٤- كتاب الحوادث: ٢٧٧.

٥٥- ينظر: كتاب الحوادث: ٢٨٨، تاريخ الإمامين الكاظمين عليهم السلام: ٦٥-٦٦.

٥٦- هو صفى الدين أبو جعفر محمد بن معد يرجع في نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهما السلام، أحد علماء الإمامية، عالم، فاضل، محدث، فقيه، كان حياً سنة ٦١٦هـ. (ينظر: أمل الأمل: ٣٠٧/٢ رقم ٩٢٩، خاتمة المستدرک: ٤٢١/٢)

٥٧- مرآة الزمان: ٥٥٣/١٤.

٥٨- ينظر: أعيان الشيعة: ٥١٠/٢.

٥٩- سير أعلام النبلاء: ١٩٩/٢٢.

٦٠- ينظر: الحياة العلمية في بغداد من خلال كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٣٦.

٦١- الوافي بالوفيات: ١٤٨/١٨.

وفي اطار الجانب الاجتماعي أيضاً كان في المشهد الكاظمي حينئذ من يهتم بالأيتام - لا سيما العلويين منهم - بشكل يشبه إلى حد كبير (دار الأيتام) في الوقت الحاضر، ويؤكد ذلك رواية طويلة مفادها أن الوزير مؤيد الدين بن برز القمي^(٦٢) طلب من مملوكه في ليلة من الليالي حلاوة النبات، فعمل صحنون متعدد منها، وكلفه بتوزيعها على الأيتام العلويين في الصحن الكاظمي المطهر، ففعل ذلك.^(٦٣) وزيادة على ذلك أكد بعض الباحثين على اشتغال منطقة مقابر قريش في أخريات العصر العباسي على (بيمارستان)^(٦٤) «فيه الأدوية والأشربة والمعاجين»^(٦٥). وبذلك تكون هذه المنطقة خلال العصر العباسي قد شهدت تطورات سريعة وعلى جميع الأصعدة، وفي ذلك قال الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧ هـ): «أن هذه الأرض سارت بخطى سريعة في طريق الازدهار، فانتقلت - في فترة قصيرة من عمر الزمان - من مقبرة خاصة ببني هاشم أو القرشيين والأشراف من الناس إلى مشهد زاهر خاص بالإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام، ثم إلى محلة من محلات بغداد العامرة المشهورة، وأخيراً إلى مدينة قائمة بنفسها فيها كل معالم المدن ومرافقها الرئيسية».^(٦٦)

وهكذا ينتهي العصر العباسي ومنطقة مقابر قريش - كما يصفها ياقوت الحموي - «محلة عامرة، ذات سور، مفردة».^(٦٧)

وما تقدم من توسع في الاستيطان العمران والخدمات لهذه المنطقة يعد مؤشراً يعتد به كتاريخ تقريبي لانفرادها عن بغداد وتحولها إلى بلدة ذات كيان خاص، هذا فضلاً عن أن بغداد نفسها منذ القرن الخامس الهجري أخذت تشهد الكثير من الفتن والاضطرابات والكوارث التي خلفت الكثير من الخراب والدمار^(٦٨)، الأمر الذي انعكس سلباً على انكماشها وضمورها.

كما أضاف البعض دليلاً آخر بقوله: «ولما كان تعيين النقباء الخاصين بالمشهد الكاظمي قد ابتدأ من أوائل القرن الخامس ولم يكن قبل ذلك فهو يشعر ببدء انفراد الكاظمية مقراً لسكناها».^(٦٩)

٦٢- هو أبو الحسن مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز، المقدادي القمي، الوزير، كان كاتباً سديداً، محباً للفضلاء، وناب للوزارة سنة ٥٩٤ هـ. وأصبح مقرباً للخليفة الناصر لدين الله العباسي، ولم يزل في علو من شأنه، إلى أن كبا به جواد سعدة، فغزل وسجن بدار الخلافة سنة ٦٢٩ هـ، ومات سنة ٦٣٠ هـ. (ينظر: الوافي بالوفيات: ١ / ١٢٨-١٢٩، الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ١٧٠)

٦٣- ينظر: تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي عليه السلام: ٢٣٩ الهامش.

٦٤- البيمارستان: لفظ فارسي مركب من (بيمار) ومعناها: مريض، و(ستان) ومعناها: دار أو محل، فتصبح دار المريض أي المستشفى. (ينظر: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ٩٦)

٦٥- مقابر قريش أو الكاظمية: ١٤٨.

٦٦- محات من تاريخ الكاظمية: ١٤.

٦٧- معجم البلدان: ٣٠٦/١.

٦٨- ينظر: مناقب بغداد: ٣٣.

٦٩- مقابر قريش أو الكاظمية: ١٤٨.

المبحث الثاني: تسمياتها:

لقد مرت تسمية هذه البقعة المباركة عبر مسيرة التاريخ، ومن قَبْلَ تَشْرِفِهَا بِاحْتِضَانِ رَمْسِ قِرَّةِ عَيْيِّ النَّبِيِّ ﷺ، وفلذني كبده، الإمامان الهمامان الكاظم والجواد عليهما السلام، بعدة مراحل، ولكل مرحلة اسمها التي عرفت به، وقد أشار الشيخ محمد السماوي إلى عدد من هذه التسميات في ارجوزته المعرفة ب: (صدي

الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد عليهما السلام قائلاً:

وَمَلِكِ الْأَمْرِ بَنُو الْعَبَّاسِ
فِي ضَيْقَةٍ مِنْ نَهْرِهَا مَعْرُوفَةٌ
مَنْ الْفِرَاتِ لِضِفافِ دجلَةٍ
وَطَابَ مِنْهَا لِلْمَلُوكِ التَّخْتُ
وَمئةٌ فَأَرْحُوا (أعيناً)

ثُمَّ مَضَى الدَّهْرُ عَلَى أَنْاسٍ
فَنَزَلُوا الْأَنْبَارَ ثُمَّ الْكُوفَةَ
ثُمَّ أَبُو جَعْفَرٍ رَامَ التَّقْلَةَ
فَامْتَارَ بَغْدَادَ لَهُ نُوْبُخْتُ
فِي سِنَةِ الْخُمْسِ وَالْأَرْبَعِينَ

... إلى أن قال:

مقبرةً للميِّتِ الجَهِيزِ
غَريبَةٍ ولسواها الصُّغرى
بَابُ لَسْبِنِ الْخَيْلِ ثُمَّ مَبْنِي
وَقَبْرَتْ بِهَا مَعَ ابْنِ أَكْبَرِ
بِاسْمِ قَرِيشٍ حَيْثُ فِيهَا تُدْفَنُ
وَحَلَّهَا وَاحْتَلَّهَا الْأَعَاظِمُ
وَالْمئةُ الْماضِيَةِ الْمُقْتَرَنَةُ
فَانتَظَمَ الْأَحْفَادُ وَالْأَجْدَادُ
وَذَاكَ فِي الْعَشْرِ يَنْ وَالْمئِينَ
وَفِيهِ عَن لَفْظِ الْقُبُورِ اسْتُعْنِي
كَمَا تَرَاهُ أَعْيُنُ الْأَشْهَادِ
وَعَلَّبتْ بِالْكَاطِمِينَ التَّسْمِيَةَ (٧٠)

وَجُعِلَتْ (مقبرة الشونيزي)
وَهِيَ اثْنَانِ لِقَرِيشِ الْكَبْرِ
وَتَلِكُ كَانَتْ عِنْدَ (بَابِ التَّيْنِ)
لَصُقِّ قَطِيعَةٍ لِأُمِّ جَعْفَرِ
فَسُمِّيتْ مَقَابِرًا تُعْنَوْنَ
حَتَّى قَضَى الْإِمَامُ مُوسَى الْكَاطِمُ
لدى الثَّلَاثِ وَالْثَمَانِينَ سِنَةً
ثُمَّ قَضَى مُحَمَّدُ الْجَوَادُ
وَأَزْهَرَ الْمَشْهَدَ فِي بَدْرَيْنِ
فَسُمِّيتْ (مَشْهَدُ بَابِ التَّيْنِ)
وَالْمَشْهَدُ الْغَرْبِيُّ) مِنْ بَغْدَادِ
وَالْمَشْهَدُ الْكَاطِمِيُّ) أَوْ بِالتَّشْيِئَةِ

وهنا نتطرق بشيء من الاختصار إلى كل اسم من الأسماء التي عُرفت بها مقابر قريش:

١- (قُطْرَبِل) و(طَسُوجُ قُطْرَبِل):

كانت منطقة الكاظمية من الأرضين القديمة المسكونة التابعة للكيشيين كما تقدم، ولم يتم العثور على اسم لها في عصرهم ولا عصور من حكموا قبلهم كالأكديين والبابليين، ولا في عصر من حكموا من بعدهم كالكلدانيين والأخمينيين، وإنما هناك اسماً لها يشبه الأسماء اليونانية وهو (قُطْرَبِل)، وهذا يدل على أن الاسم كان معروفاً في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وهو القرن الذي نشأت فيه دولة السلوقيين اليونانيين. (٧١)

٧٠- ينظر: صدى الفؤاد: ٦٠٥.

٧١- ينظر: موسوعة العتبات المقدسة/ قسم الكاظمين: ١٠/١.

وما يدل على ذلك، الخبر الذي أورده صاحب كتاب الحوادث في أحداث سنة (١٦٤١هـ) وهو العثور على دراهم يونانية إلى الغرب الجنوبي من هذه المنطقة والتي تعرف بـ (مقبرة الشهداء) - المار ذكرها - عندما حفروا في هذه المقبرة لدفن أحد المتوفين.^(٧٢)

كما وجدت في سنة (١٦٤٧هـ) نقود يونانية مخلوطة مع نقود غيرها، وذلك أثناء حفر أسس لعمارة جديدة لمقعد الإمامين الكاظمين عليهما السلام.^(٧٣)

أما في أيام الساسانيين فقد عرفت منطقة الكاظمية بـ (طسوج قُطْرَبِل) أي كورة قطربل، وكانت تروى من نهر يتفرع من الجانب الأيمن من دجلة والذي يعرف بنهر دجيل، كما كان يفصل بين طسوج قطربل وطسوج بادوريا نهر الصراة الذي يتخلج من نهر عتيق يأخذ ماءه من الفرات، وعرف في أيام الساسانيين بإسم نهر (رفيل)، وفي أيام العباسيين وبعدهم عرف بإسم (نهر عيسى) نسبة إلى عيسى بن علي (ت ١٦٤هـ) عم أبي جعفر المنصور.^(٧٤)

٢- الشونيزية):

كما سُمّيت منطقة الكاظمية أيضاً بـ (الشونيزية)، وقد ذكرها ياقوت الحموي قائلاً: «الشونيزية: مقبرة ببغداد بالجانب الغربي، دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين».^(٧٥)

وأما الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) فقد بيّن سبب هذه التسمية، إذ قال: «سمعت بعض شيوخنا يقول: مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير، والمقبرة التي وراء التوتة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير، وكان أخوان يقال لكل واحد منهما الشونيزي، فدفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين ونسبت المقبرة إليه».^(٧٦)

ويرى الدكتور (مصطفى جواد) أنّ الخلط واضح في هذا الخبر، باعتبار أنّ المنصور هو أول من جعل هذه المنطقة مقبرة، ولو كانت تعرف بـ (مقبرة الشونيزي الصغير) لذكر انما كانت مقبرة قبل اتخاذ المنصور لها، ولورد ذكرها على الأقل في خبر وفاة ابنه جعفر الأكبر، ولقيل إنّه دفن في مقبرة الشونيزي الصغير التي عرفت بعد ذلك بمقبرة قريش أو مقابر قريش.

وعلى الرغم من ذلك، يظهر أنّ العامة قد اعتادوا على هذه التسمية، لذلك كانت تسمى مقابر قريش أحياناً بـ (مقبرة الشونيزي الصغير) لتمييزها عن (مقبرة الشونيزي الكبير) التي دفن فيها شيخ الصوفية الشيخ جنيد البغدادي (ت ٢٩٨هـ).^(٧٧)

٧٢- ينظر: كتاب الحوادث: ٢١٢.

٧٣- ينظر: كتاب الحوادث: ٢٨٨.

٧٤- ينظر: موسوعة العتبات المقدسة/ قسم الكاظمين: ١/١٠٠.

٧٥- معجم البلدان: ٣/ ٣٧٤؛ وينظر: مرصد الاطلاع: ٨٢١/٢.

٧٦- تاريخ بغداد: ١/ ١٣٤.

٧٧- ينظر: دليل خارطة بغداد المفضل: ١٠٠.

٣ - (مقابر قريش):

قال الحموي: «مقابر قريش ببغداد، وهي مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير، وعليها سور بين الحربية ومقبرة أحمد ابن حنبل رضي الله عنه، والحريم الطاهري، وبينها وبين دجلة شوط فرس جيد، وهي التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان أول من دفن فيها جعفر الأكبر بن المنصور أمير المؤمنين في سنة (١٥٠)، وكان المنصور أول من جعلها مقبرة لما ابنتى مدينته سنة (١٤٩)». (٧٨)

وأنَّ السبب في تسميتها من قبل المنصور بـ(مقبرة قريش) أو (مقابر قريش) نسبة إلى قبيلته قريش، ولتكون مقبرة خاصة بموتى قريش فقط كالعباسيين والعلويين، فقد ذكر الإربلي «وكانت هذه المقبرة لبني هاشم». (٧٩)

ولكن هذا الشرط لم يُحافظ عليه بعد ذلك، إذ دُفن فيها أبو يوسف القاضي ^(٨٠) ولم يكن قرشياً كما هو معلوم، ثم توالى الدفن فيها من الهاشميين - كالإمامين الكاظمين عليهما السلام - ومن غيرهم، كما أشار إلى هذا المعنى الشيخ المفيد رحمته الله عند وصفه لمقابر قريش قائلاً: «وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والأشراف من الناس قديماً». (٨١)

وكذلك الخطيب البغدادي بقوله: «بالجانب الغربي في أعلى المدينة (مقابر قريش)، دفن بها موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وجماعة من الأفاضل معه». (٨٢)

٤ - (مشهد الكاظم عليه السلام) و (مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام):

(مشهد الكاظم عليه السلام) تسمية قديمة معروفة وقد وردت في العديد المصادر، من ذلك ما رواه الشيخ الصدوق (ت ٥٣٨١هـ) بسنده إلى محمد بن بحر الشيباني، قال: «وردت كربلاء سنة ست وثمانين ومائتين، وزرت قبر غريب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم انكفأت إلى مدينة السلام متوجّهاً إلى (مقابر قريش)... فلما وصلت منها إلى (مشهد الكاظم عليه السلام) واستنشقت نسيم ترتبه المغمورة من الرحمة، المحفوفة بمحذائق الغفران، أكببت عليها بعبرات متقاطرة وزفرات متتابعة...». (٨٣)

كما ذكر هذه الرواية أيضاً محمد بن جرير الطبري الشيعي وهو من أعلام القرن الرابع الهجري. (٨٤) وأيضاً ما ذكره السيد ابن طائوس (ت ٦٦٤هـ) في أكثر من موضع، ومنه ما ورد في معرض كلامه عن نسخة عتيقة من كتاب (الملاحم) للبطائحي، مبيناً انه وجدها في خزانة «مشهد الكاظم عليه السلام». (٨٥)

٧٨- معجم البلدان: ١٦٣/٥؛ وينظر: مرصد الاطلاع: ١٢٩٥/٣.

٧٩- كشف الغمة: ٢٧/٣.

٨٠- هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، كان معروفاً بحفظه للحديث، ثم لزم أبا حنيفة النعمان فتفقه وغلب عليه الرأي وجفا الحديث، ولاة المهدي العباسي القضاء في بغداد، فبقي كذلك إلى حين وفاته سنة ١٨٢هـ. (ينظر: الطبقات الكبرى: ٣٣٠/٧، طبقات خليفة بن خياط: ٦١٣)

٨١- الإرشاد: ٢٤٣/٢.

٨٢- تاريخ بغداد: ١٣٢/١.

٨٣- كمال الدين: ٤١٧.

٨٤- ينظر: دلائل الإمامة: ٤٨٩.

وكذلك الذهبي في تاريخه، قال في حوادث سنة (٥٨٠هـ): «جعل الخليفة الناصر (مشهد موسى الكاظم) أمناً لمن لاذ به». (٨٦)

فضلاً على ما تقدم فقد ذكر هذه التسمية كل من الصفدي والكتبي المتوفيان سنة (٧٦٤هـ)، في ترجمة الخواجة نصير الدين الطوسي، مشيران إلى أنه توفي سنة (٦٧٢هـ) ودفن في «مشهد الكاظم» (٨٧)، كما ورد أيضاً باسم «مشهد الكاظم موسى» (٨٨).

وكذلك صاحب كتاب الحوادث الذي ذكر في احداث سنة (٦٤١هـ) قائلاً: «وفي سابع عشر رجب المبارك قصد الخليفة زيارة (مشهد موسى بن جعفر عليه السلام)» (٨٩)، وكرر هذه التسمية في أكثر من مكان في كتابه. (٩٠)

إلى غير ذلك من المصادر، مما يدلّ على أنّ هذه التسمية أُطلقت على هذه البقعة المباركة قديماً على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

٥ - مشهد باب التبن:

ذكره ياقوت الحموي قائلاً: «باب التبن: اسم محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطيعة أم جعفر، وهي الآن خراب صحراء يزرع فيها، وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل ... وبلصق هذا الموضوع (مقابر قريش) التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ويعرف قبره بـ(مشهد باب التبن) مضاف إلى هذا الموضوع». (٩١)

ويتضح هنا إن (مقابر قريش) هي غير (مقبرة باب التبن)، وإن اتّصاف الأولى بالثانية لا يعني اتحادهما، لذا علّق الدكتور مصطفى جواد على ذلك مبيناً أنّ في تسمية ياقوت الحموي (مقابر قريش) بـ (مقبرة باب التبن) تسامح، بل تهاون؛ فالمقبرتان مختلفتان وإن كانتا متجاورتين، فقبر عبد الله بن أحمد بن حنبل أولى أن يسمى بتلك التسمية؛ لأنه كان في تلك المقبرة نفسها، وأما قبر الإمام موسى بن جعفر فهو المعروف بـ(مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) وبـ(المشهد الكاظمي). (٩٢)

وعلى الرغم من عدم الاشتراك المكاني للمقبرتين إلا إن الناس تعارفوا على تسمية (مقابر قريش) بـ (مشهد باب التبن) وألقوها من قبل عصر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، فهذا السمعاني (ت ٥٦٢هـ)،

٨٥- ينظر: إقبال الأعمال: ١١٦/٣.

٨٦- تاريخ الإسلام: ٥٨ / ٤٠، وينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠٥/٢٢.

٨٧- ينظر: الوفي بالوفيات: ١٥١/١: فوات الوفيات: ٢٥٦/٢.

٨٨- الوافي بالوفيات: ٢٠٧/٩.

٨٩- ينظر: كتاب الحوادث: ٢١٣.

٩٠- ينظر: كتاب الحوادث: ٢١٢، ٢٨٦، ٢٨٨.

٩١- معجم البلدان: ٣٠٧/١.

٩٢- ينظر: موسوعة العتبات المقدسة/ قسم الكاظمين: ٢٤/١.

مقابر قريش ملامح من تاريخها وتسمياتها حتى نهاية الدولة العباسية
قد أشار إلى ذلك قبله، كما بيّن إن المشرف على المشهد الكاظمي المقدس يعرف بـ «نقيب مشهد باب
التين». (٩٣)

ويشير السمعاني أيضاً في مكان آخر من كتابه في معرض كلامه عن الإمام الكاظم عليه السلام قائلاً:
«ومشده بغداد مشهور يزار، يقال له: (مشهد باب التين)، ويقال له: (مقابر قريش) أيضاً، زرتة غير
مرة مع ابن ابنه محمد بن الرضا علي بن موسى عليه السلام». (٩٤)

٦- (المشهد الغربي):

لم تكن هذه التسمية معروفة ومشهورة كسابقاتها، ولم نقف - بحدود ما أطلعنا عليه من المصادر -
على من ذكرها سوى المؤرخ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) عند ذكره لحوادث سنة (٤٤٩هـ)، ومنها حادثة
نهب دار فقيه الشيعة الشيخ الطوسي بالكرخ، قال: «وفيها نُهبت دار أبي جعفر الطوسي بالكرخ - وهو
فقيه الإمامية - وأخذ ما فيها، وكان قد فارقتها إلى (المشهد الغربي)». (٩٥)
أقول: بما إننا لم نعر على من أطلق اسم (المشهد الغربي) على (مشهد الكاظمين عليهم السلام) قبل ابن
الأثير، فمن المحتمل أن يكون هو من أوجد هذه التسمية، وبما إنّ المشهد الكاظمي المطهر هو من أبرز
المعالم في الجانب الغربي من بغداد، لذا اصطُح عليه هذا الاسم، والله أعلم.

٧- (الكاظمية) و(الكاظمين عليهم السلام):

عرف مرقد الإمامين في بغداد في عصرنا هذا عند العامة بـ(الكاظمية) أو(الكاظم) نسبة إلى الإمام
موسى بن جعفر الصادق الملقب بالكاظم عليه السلام، وعرفت بـ(الكاظمين) أيضاً بالثنائية تقديراً على (بلدة
الكاظمين)، وعلى الرغم من أنّ ثنائية التغليب قد جرت عند العرب على تقديم الأقل شهرة أو فضلاً أو
كبراً كقول (القمرين) للشمس والقمر، ولكن العامة لم يقولوا (الحوادين) إلا نادراً، وذلك رعايةً للأدب
في تقدم الإمام موسى الكاظم على حفيده محمد الجواد بن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم
عليهم السلام. (٩٦)

الخلاصة:

- يمكن أن نوجز أهم ما جاء في هذا البحث بما يأتي:
١. مدينة الكاظمية المقدسة حالياً، أو ما تسمى بعض أجزائها قديماً بـ(مقابر قريش) بلدة قديمة، لعب
موقعها الجغرافي وأهميتها الدينية أثراً مهماً في تأسيسها.
 ٢. يُعتقد أن (عقرقوف) هي الأثر الأول الذي تم التوصل إليه في أصل هذه المدينة.

٩٣- الأنساب: ٢١٨/٥.

٩٤- الأنساب: ٤٠٦/٥.

٩٥- الكامل في التاريخ: ٦٣٨/٩.

٩٦- ينظر: موسوعة العتبات المقدسة/ قسم الكاظمين: ٩/١.

٣. هناك ما يدل على أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وطأ هذه الأرض عندما رجع من محاربة الخوارج في النهروان، وأقام إلى جوارها.
٤. أن المنصور العباسي هو أول من جعلها مقبرة وأسمها بـ(مقابر قريش)، وأول من دفن فيها ابنه الأكبر سنة (١٥٠هـ)، ثم توالى الدفن فيها.
٥. اكتسبت هذه البقعة ولأول مرة في تاريخها أهمية وقدسية خاصة في نظر المسلمين عموماً ومحبي آل البيت عليهم السلام تحديداً بعد أن تشرفت بضم جسدي الإمامين الكاظمين عليهم السلام.
٦. كان لعدد من الخلفاء والسلطين ووزرائهم وبعض الميسورين من أهل الخير والصلاح أثراً بارزاً في توسعة المشهد المطهر ومحيطه.
٧. عُرفت هذه البقعة المباركة عبر مسيرة التاريخ، بعدة أسماء هي: قطربل، والشونيزية، مقابر قريش، مشهد الكاظم عليه السلام، مشهد باب التين، المشهد الغربي، والكاظمية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر والمرجع:

١. الأخبار الطوال: لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربي/القاهرة، ط ١٩٦٠م.
٢. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد/بيروت، ط ١٤١٤هـ.
٣. إعلام الوري بأعلام الهدى: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/قم المقدسة، ط ١٤١٧هـ.
٤. أعيان الشيعة: لمحسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات/بيروت، (د.ط.)/ (د.ت.).
٥. اقبال الاعمال: لرضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاوس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصبهاني، مكتب الاعلام الاسلامي، ط ١٤١٤هـ.
٦. أمل الآمل: لمحمد بن الحسن، المعروف بالحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، دار الكتاب الإسلامي، (د.ط.)/ (د.ت.).
٧. الأنساب: لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان/بيروت، ط ١٤٠٨هـ.
٨. الأنوار الساطعة في المائة السابعة: لآقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط ١٤٣٠هـ.

٩. البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيرزي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط ١/ ١٤٠٨هـ.
١٠. البلدان: لأبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٤٠هـ)، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط ١/ ١٤٠٨هـ.
١١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي/ بيروت، ط ١/ ١٤٠٧هـ.
١٢. تاريخ بغداد: لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط ١/ ١٤١٧هـ.
١٣. تاريخ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت، الطبعة المقابلة على النسخة المطبوعة في ليدن سنة (١٢٩٧هـ)، (د.ط.)/ (د.ت).
١٤. تاريخ الدولة الفارسية في العراق: لعلي ظريف الأعظمي، مطبعة الفرات/ بغداد، (د.ط.)/ ١٣٤٦هـ.
١٥. تاريخ الكاظمية: لمحمد أمين الأسدي، مراجعة وتعليق: عبد الكريم الدباغ، دار السورق للنشر/ بيروت، ط ١/ ٢٠١٣م.
١٦. تاريخ مختصر الدول: لغريغورس الملطي المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥هـ)، دار الميسرة/ بيروت، ط ١/ (د.ت).
١٧. تاريخ المشهد الكاظمي: لمحمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧هـ)، مطبعة المعارف/ بغداد، ط ١/ ١٣٨٧هـ.
١٨. تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي عليه السلام: لهاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ) تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية/ قم، ط ١/ ١٤١١هـ.
١٩. تجارب الأمم: لابن مسكويه أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش/ طهران، ط ٢/ ١٤٢٢هـ.
٢٠. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية/ طهران، ط ٤/ ١٣٩٠هـ.
٢١. خاتمة مستدرک الوسائل: للميرزا حسين بن محمد تقی بن علي النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ قم المقدسة، ط ١/ ١٤١٥هـ.
٢٢. دلائل الإمامة: لمحمد بن جرير الطبري الشيعي (من أعلام القرن الرابع الهجري)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة/ قم المقدسة، ط ١/ ١٤١٣هـ.
٢٣. دليل خارطة بغداد المفصل: مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة، مكتبة الحضارات/ بيروت، (د.ط.)/ ١٣٧٨هـ.

٢٤. سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٥٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط ٩/١٣٤١٣هـ .
٢٥. صدی الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد: لمحمد بن طاهر السماوي (١٣٧٠هـ)، مطبعة الغري/النجف الأشرف، ط ١/١٣٦٠هـ.
٢٦. طبقات خليفة بن خياط: لأبي عمرو خليفة بن خياط العصفري البصري (ت ٥٢٤٠هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر/بيروت، (د.ط.) / ١٤١٤هـ .
٢٧. الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر/بيروت، (د.ط.)/(د.ت).
٢٨. العراق في التاريخ: مجموعة باحثين، بغداد، (د.ط.)/١٩٨٣م.
٢٩. العراق قديماً وحديثاً: لعبد الرزاق الحسيني (ت ١٤١٨هـ)، دار اليقظة العربية/بغداد، ط ٣/١٤٠٧هـ.
٣٠. فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: لغياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاوس الحسيني (ت ٦٩٣هـ)، تحقيق: تحسين الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية/قم المقدسة، ط ١/١٤١٩هـ .
٣١. الفصول المهمة في معرفة الأئمة عليهم السلام: لابن الصباغ علي بن محمد بن أحمد المالكي (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغريبي، دار الحديث للطباعة والنشر/قم المقدسة، ط ١/١٤٢٢هـ.
٣٢. فوات الوفيات: لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتيبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية/بيروت، ط ١/١٤٢١هـ.
٣٣. كامل الزيارات: لأبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة/قم المقدسة، ط ١/١٤١٧هـ .
٣٤. الكامل في التاريخ: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، الناشر: دار صادر ودار بيروت/بيروت، (د.ط.)/١٣٨٦هـ.
٣٥. كتاب الحوادث: لمؤلف من القرن الثامن الهجري، تحقيق: بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، انتشارات رشيد/قم المقدسة، ط ١/١٤٢٦هـ.
٣٦. كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام: لأبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣هـ)، دار الأضواء/بيروت، ط ٢/١٤٠٥هـ.
٣٧. كمال الدين وقام النعمة: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين/قم المقدسة، (د.ط.)/١٤٠٥هـ.
٣٨. الكنى والألقاب: لعباس بن محمد رضا القمي (ت ١٣٥٩هـ)، تقديم: محمد هادي الأمين، مكتبة الصدر/طهران، (د.ط.)/١٣٨٩هـ.

٣٩. المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء): لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ)، دار المعرفة/بيروت، (د.ط.)/ (د.ت).
٤٠. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: ليوسف بن قزأوغلي المعروف بسط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية/بيروت، ط ١/٤٣٤هـ.
٤١. مراصد الاطلاع: لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل/بيروت، ط ١/٤١٢هـ.
٤٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، دار الهجرة/قم المقدسة، ط ٢/٤٠٤هـ.
٤٣. معجم الأدباء: لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر/بيروت، ط ١/٤٠٠هـ.
٤٤. معجم البلدان: لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي/بيروت، (د.ط.)/ ١٣٩٩هـ.
٤٥. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: لمصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط ١/٤١٦هـ.
٤٦. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: لطف باقر، دار الوراق للنشر/بيروت، ط ١/٢٠٠٩م.
٤٧. الملل والنحل: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة/بيروت، (د.ط.)/ (د.ت).
٤٨. من لا يحضره الفقيه: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين/قم المقدسة، ط ٢/ (د.ت).
٤٩. مناقب بغداد: لأبي الفرج عبد الرحمن بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد بحدجة الأثري، مطبعة دار السلام/بغداد، (د.ط.)/ ١٣٤٢م.
٥٠. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لأبي الفرج عبد الرحمن بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/بيروت، ط ٢/٤١٥هـ.
٥١. موسوعة العتبات المقدسة: لجعفر بن أسد الخليلي (ت ١٤٠٥هـ)، مؤسسة الأعلمي/بيروت، ط ٢/٤٠٧هـ.
٥٢. الوافي بالوفيات: لخليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط/تركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث/بيروت، (د.ط.)/ ١٤٢٠هـ.
٥٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة/بيروت، (د.ط.)/ (د.ت).

ثانياً: الأطاريح والرسائل الجامعية:

- الحياة العلمية في بغداد (٣٣٤-٥٧٤هـ / ٩٤٥-١١٧٨م) من خلال كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي: لحسين هليب نجم الشيباني، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية/جامعة كربلاء، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

١. محات من تاريخ الكاظمية: محمد حسن آل ياسين، مجلة البلاغ، السنة الثانية/جمادى الأولى، العدد ٣-٤، ١٣٩٠هـ.
- مقابر قریش أو الكاظمية: محمد حسن آل ياسين، مجلة الأقاليم، السنة الأولى/جمادى الأولى، الجزء الثاني، ١٣٨٤هـ.

الطبيعة القانونية لعقد الفندقية (دراسة تحليلية مقارنة)

The legal nature of the hotel contract (An analytic comparative study)

M.A. Abbas Salman

م.م. عباس سلمان^١

المقدمة

اولاً: التعريف بالموضوع:

أن انواع العقود اليوم تتغير بتغير الزمان والمكان فهي تتسع وتضيف لعوامل كثيرة منها اقتصادي ومنها غير اقتصادي، ولكن وجهة نظر القانون هي من زاوية كون العقد مسمى او غير مسمى. والمسمى هو ما سماه المشرع وقام بتنظيمه اما غير المسمى هو ما لم يسمها المشرع ولم يقم بتنظيمها في نصوص تشريعيه وانما تركها الى القواعد العامة.

ومن بين العقود غير المسماة هو عقد الفندقية التي ترك المشرع تنظيمها الى القواعد العامة، ومن هنا دار نقاش حول ماهي طبيعة هذا العقد (الفندقية) الامر الذي استدعى ظهور آراء فقهية كثيرة وكلا حسب وجهة نظره. حاولنا ان نسجل الاراء وندرسها ونقدم ونرجع الافضل مع عدم اغفال الرأي الشخصي. لهذا كله ظهرت اهمية الموضوع وفحواه.

ثانياً: نطاق البحث

سوف تحدد دراستنا بيان الطبيعة القانونية لعقد الفندقية دراسة قانونية، حيث توثق وتدرس الآراء الفقهية وما صاحبها من اجتهادات قضائية وارااء علمية تدعم الموضوع ولهذا سوف لا نشير بقدر

الضرورات الى اهمية واركان العقد الا للتوضيح والتأهيل، وسوف نصرف جهد بحثنا الى صلب الموضوع الذي نرجو من الله التوفيق فيه.

ثالثاً: خطة البحث

ان دراستنا لموضوع الطبيعة القانونية تطلبت منا تقسيم الموضوع الى مبحثين. خصصنا المبحث الأول لبيان مفهوم عقد الفندقية وقسمناه الى ثلاثة مطالب الأول منها لبيان تعريف عقد الفندقية والثاني لبيان خصائص العقد والثالث كان لبيان اركان العقد عمل البحث اما المبحث الثاني كان هو مخصص لبيان التكيف القانوني لعقد الفندقية وهذا المبحث قسمناه الى خمسة مطالب كل منها يشير الى وجهة قانونية معينة، واذا انتهينا من ذلك وضعنا خاتمة تضمن التوصيات والنتائج ثم المقترحات.

المبحث الاول: مفهوم عقد الفندقية

The Concept of Hospitality Contract

يعد عقد الفندقية من مقومات الاقتصاد في البلاد المتقدمة، حيث لا توجد دولة لا تمارس صناعة الفنادق فهي من الصناعات القديمة التي ارتبط ظهورها بظهور الضيافة، بحيث كانت الضيافة قاصرة على إشباع حاجات المسافرين، غير إن التطور الذي حدث بعد الثورة الصناعية وما استتبعه من اتساع شبكة الطرق والرغبة في توطيد العلاقات بين المدن المختلفة، قد أدى إلى كثرة الأسفار الأمر الذي تطلب إنشاء العديد من النزل السكنية وهي ما تعرف الآن بالفنادق^(٢).

وبذلك يتبين لنا، أن عقد الفندقية يعد وسيلة من وسائل تطور السياحة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه يهيئ للفرد الإقامة مع تقديم الخدمات الأخرى، سواء كانت تتمثل في تقديم الطعام والشراب أم خدمة مراسلة أم اتصالات أم غيرها من الخدمات المتاحة مما يتمكن به الفرد من الحصول على المتعة والراحة التي يبتغيها من وراء هذا العقد^(٣). هذا وتبقى صناعة الفنادق مرتبطة في الواقع بالسياحة بسبب اعتماد النشاط السياحي بشكل أساسي على الفنادق، فالسائح عموماً والسائح الأجنبي على وجه الخصوص، يحتاج إلى الإقامة في إحدى المنشآت أو المؤسسات الفندقية أياً كانت التسمية التي يطلقها عليها القانون^(٤).

فقد حدد المشرع المصري على سبيل المثال في المادة/١ من قانون المنشآت الفندقية والسياحية رقم(١) لسنة(١٩٧٣) المقصود بالمنشآت الفندقية بأن: ((تسري أحكام هذا القانون على المنشآت الفندقية

٢- ينظر د. طارق عبد الفتاح الشريعي، التسويق السياحي-التسويق الفندقية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٢١٢.

٣- ينظر د. ليلي محمد صابر الزاقي، أساسيات الإشراف الداخلي بالفنادق والمنتجعات، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١٤.

٤- ينظر د. فوزي عطوي، السياحة والتشريعات السياحية والفندقية في لبنان والبلاد العربية، الطبعة الاولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٤٤.

والسياحية، وتعتبر منشأة فندقية في تطبيق أحكام هذا القانون: الفنادق والبنسيونات... الخ، وكذلك الاستراحات والبيوت والشقق المفروشة التي يصدر بتحديداتها قرار من وزير السياحة^(٥).

أما المشرع العراقي فقد اعتبر الفنادق هي إحدى المرافق السياحية وقد عرف قانون هيئة السياحة النافذ رقم (١٤) لسنة (١٩٩٦) في الفقرة (ثانياً) من المادة/ ١٢ المرفق السياحي بما يأتي: ((يقصد بالمرافق السياحية المطاعم والفنادق والشقق... وغيرها من المرافق المحددة بموجب التعليمات))^(٦).

وهذا المفهوم يجسد لنا أركان عقد الفندقية من تراضي أطرافه ومحل من سكنى وتقديم خدمة في مقابل عوض (مبلغ إجمالي) وسببه الدافع إلى التعاقد، ولكننا نستشكل في طبيعته القانونية وعليه من اجل بيان مفهوم عقد الفندقية بدقة فان الأمر يتطلب منا تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين سنتناول في المطلب الأول منه التعريف بعقد الفندقية أما في المطلب الثاني فسنستطرق فيه إلى خصائص عقد الفندقية وسيخصص المطلب الثالث لبيان اركان عقد الفندقية.

المطلب الاول: تعريف عقد الفندقية

The definition of Hospitality Contract

يتسم عقد الفندقية بكونه من العقود التي لم تنظمها اغلب التشريعات المقارنة. لذا فلا نجد له تعريفاً محدداً جامعاً لأركانه وصفاته.

مما يستدعي والحال كذلك أن نقف أولاً عند تبيان تعريف عقد الفندقية في مطلب أول ومن ثم سنتناول خصائص هذا العقد في مطلب ثان.

بدءاً لا بد من بيان ماهية لفظ الفندقية من الناحية اللغوية، وهل انه لفظ وضع لمعنى معين ام انه استعمل في معنى غير المعنى الموضوع له ثانياً؟ ولبيان ذلك نقول أن:- الفندقية لغةً: مشتقة من الفندق، والفندق: هو الخان الفارسي، وهذا حكاه سيبويه في التهذيب: الفُنْدُق حَمْلُ شَجَرَةٍ مَدْحَرَجٍ كَالْبُنْدُقِ يَكْسِرُ عَنْ لَبِّ كَالْفَسْتَقِ، قال: والفندق بلغة أهل الشام خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن^(٧).

والخان هو (كل نزل كبير معد لنزول السياح والمسافرين والمصطافين) وكلمة (خان) عبرية الأصل وتعني المكان الذي يرتاح فيه النزلاء ليلاً^(٨).

٥- للزيادة، قانون منشآت الفندقية والسياحية رقم (١) لسنة (١٩٧٣) والمنشور في الجريدة الرسمية لجمهورية مصر العربية، العدد التاسع، سنة ١٩٧٣، وعلى الموقع الإلكتروني: www.business.gov.eg

٦- ينظر جريدة الوقائع العراقية الجريدة الرسمية لجمهورية العراق، العدد (٣٦٣٥) في ٢٢/ شباط/ ٢٠٠٥، استناداً إلى أحكام الفقرتين (ثانياً) و(ثالثاً) من المادة/ ١٢ والمادتين/ ٣٠ و٣٣ من قانون هيئة السياحة النافذ رقم (١٤) لسنة (١٩٩٦) أصدرت تعليمات رقم (١) لسنة (٢٠٠٤) تعليمات تصنيف وتشغيل المرافق السياحية المادة/ ١ منه يقصد بالمرافق السياحية ما يأتي: (أولاً- المطاعم ثانياً- الفنادق- ثالثاً- الشقق السياحية رابعاً- محلات اللهو والمقاهي السياحية والسينمات... تاسعاً- محلات بيع التحف والمنتجات التراثية داخل المرفق السياحي).

٧- ينظر جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر سنة طبع، ص ٣٣٤.

٨- ينظر بنيامين يوخنا دانبايل، المدخل إلى الفندقية، مطبعة شهاب، اربيل، ٢٠٠٦، ص ١١.

من هنا فإن كلمة فندق ليست عربية فهي تعتبر دخيلة على اللغة العربية ويُرجع الكتاب كلمة (فندق) إلى أصل يوناني من كلمة "Pondokia" وتعني مكان للإيواء يوفر للنزيل المأوى والمأكل والخدمة مدة معينة لقاء اجر معلوم.

وقد جرى تحويل بسيط في اول حرف منها (P) وتحويله (F) حيث أصبحت "Fondokia"^(٩). وفي اللغة الانكليزية نجد كلمة (Hotel) المستخدمة حالياً مأخوذة من كلمة (Hotel) الفرنسية وتعني الضيف وهي تطلق على نزيل الفندق^(١٠). اما الفندق اصطلاحاً:

أ- في الفقه الإسلامي:-

هو عقد بموجبه يتم الحصول على منفعة الإجارة او المكاراة، وصيغته في الفقه الاسلامي، آجرتك الدار، وأكرتتك الدابة^(١١)، وقيل: هو ما اكرى به مساكنه لربه وللقيم إجارته^(١٢). وقيل كذلك: هو الذي يمسك للناس دواجم بالأجر^(١٣).

ب- في الفقه القانوني الوضعي:-

هو مؤسسة اقتصادية تجارية صناعية تقدم خدمات الإيواء والمأكولات والمشروبات وخدمات الترفيه مقابل اجر معلوم لمدة معلومة داخل بناء مصمم لهذا الغرض^(١٤).

بينما يذهب آخرون إلى القول بان الفندق ما هي إلا:- وضع يتوافر على منشأة او مبنى للمسافرين العابرين مزوداً بالطعام والشراب وحجرات النوم^(١٥).

فالفندق إذاً تعد ظاهرة اجتماعية واقتصادية ومن الصناعات القديمة جداً، فقد ظهرت الفنادق في العصور الأولى كأحد مآثر الحضارات وبخاصة في بلاد الشرق القديمة كنظام اجتماعي قائم على أساس الضيافة المجانية، لاشتهار المجتمع بكرم الضيافة آنذاك^(١٦).

٩- ينظر محمد أمين محي الدين السيد علي، إدارة الفنادق ورفع كفاءتها الإنتاجية، الطبعة الأولى، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٨، ص ٣٩.

١٠- ينظر بنيامين يوخنا دانيال، المصدر السابق، ص ١١.

١١- ينظر محمد بن جمال الدين مكّي العاملي و زين الدين الجيعي العاملي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج الرابع، الطبعة الثانية، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، بدون ذكر سنة طبع، هامش رقم (٤)، ص ٣٢٨.

١٢- ينظر محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف (بالخطاب)، مواهب الجليل، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص ٤٠٥.

١٣- ينظر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ٢٢٠ نقلاً عن د. أيمن فوزي المستكاوي، عقد الفندق، الالتزامات والحقوق الناشئة عنه، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١٩.

١٤- ينظر د. نادرة محمود سالم، التشريعات السياحية في جمهورية مصر العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون ذكر سنة طبع، ص ٧٢.

١٥- ينظر د. نادية محمد معوض، التزامات وحقوق الفندق في إزاء النزلاء، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣.

١٦- ينظر عبد الأمير عبد الكاظم، تأثير إعداد الملاكات الفندقية المتخصصة على مستوى الخدمة في فنادق الدرجة الممتازة، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠١، ص ٤٨.

لقد كانت الاتجاهات الأولية للفنادق قائمة بما يسمى (الخانات) القديمة، إذ كانت مصر وفلسطين والعراق هي أول الدول التي أنشأت بيوت الضيافة للمسافرين والتجار.

ففي مصر القديمة وجدت الفنادق الصغيرة والمطاعم المؤثثة بالمقاعد والآرائك العالية وكان العاملون فيها يحرصون على تقديم أفضل أنواع الخدمة للضيوف^(١٧).

أما في العراق فقد كانت منازل الطريق أو الخانات أمكنة تشاد لاستراحة السياح والمسافرين، فهي تقام بين المدن العراقية أو داخلها يقصدها المسافرون والتجار وناقلوا البضائع والسواح وقد كان النازل بالخانات لا يدفع اجراً، إذ إن العرف كان يقضي بأن يكرم النازلون في الخان الشخص القائم بإدارته قدر ما يستطيعون نظير ما يقدمه للمسافرين من خدمات^(١٨).

وقد ظهرت بيوت الضيافة في روما القديمة على شكل محطات استراحة بين المدن تستقبل المسافرين وتوفر لهم مستلزمات الراحة والإيواء والطعام^(١٩).

وفي العصور الوسطى تطورت الخانات، وأصبحت كبيرة الحجم ومقسمة إلى قسم أول يحتوي على غرف بسيطة للفقراء وقسم ثاني يحتوي على غرف فاخرة للأغنياء وفيها أماكن طعام. وبدأت تختفي الإسطبلات من تلك الخانات بعد أن ظهر النقل بالقاطرات التجارية في أوروبا وفي المدن الكبرى^(٢٠).

أما الفندقية في العصور الحديثة فأصبحت صناعتها فريدة ومتميزة في خصائصها وأنظمتها وثقافتها وقوانينها، وذلك لأثرها في إشباع حاجات السياح والمواطنين، حيث استطاعت الفنادق الحديثة الانتقال من مراكز المدن (Center City)، ووسط المدينة (Down-Twon)، إلى الضواحي (Suburban) القريبة من المدينة التي تمتاز بالمناطق الخضراء، إلى أن وصلت في بعض البلدان المتقدمة إلى الطرق الدولية الرئيسية (High Ways) وتحولت الفنادق إلى موتيلات (Motels) ومنتجعات (Resorts) وقرى سياحية (Tourist Villages) ... الخ.

هذا وقد لعبت التكنولوجيا دوراً خطيراً وهاماً في تطور صناعة الفندقية، وبشكل خاص في مجال المنتجات والخدمات المقدمة للضيوف، فقد ظهرت في السنوات الأخيرة استعمالات كثيرة وواسعة لتكنولوجيا المعلومات في هذه الصناعة مثل أنظمة الحجز (Reservation Systems) عبر الانترنت، حيث يستطيع الضيف حجز غرفته ودفع إيجار الغرفة مسبقاً وغيرها من أنظمة معلوماتية حديثة أخرى^(٢١). وهكذا يُلاحظ وبحق، أن التنمية الفندقية السياحية في العراق قد بدأت في عقد الثمانينات من القرن الماضي وكان من أهم أهدافها هو التحضير لعقد قمة دول عدم الانحياز لغرض توفير سكن ملائم ولائق

١٧- ينظر زينب صادق مصطفى، إدارة المكونات الإستراتيجية للسياحة وتأثيرها في سياحة الجماهير، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧، ص ٤٩.

١٨- ينظر زينب صادق مصطفى، المصدر السابق، ص ٥٠.

١٩- ينظر: Rob Davidson, Tourism, 2nd Edition, Pitman Publishing, England, 1993. P68.

٢٠- ينظر د. فوزي عطوي، المصدر السابق، ص ٤٥.

٢١- ينظر د. حميد عبد النبي الطائي، مدخل الى إدارة الفنادق، الطبعة الأولى، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، ص ٥٣.

للووفود الدبلوماسية القادمة لهذا المؤتمر ومن ثم استقبال السياح في مرحلة ما بعد المؤتمر، فقد تم إنشاء الفنادق الممتازة وكان مقرها بغداد بالدرجة الأولى، وكانت ملكيتها تعود للقطاع الحكومي حصراً.

أما بالنسبة للقطاع الخاص فقد تم إنشاء فنادق ضمن هذه المدة لظهور بوادر سياحة نشطة مما جعل أصحاب رؤوس الأموال يقدمون على الاستثمار في مجال الصناعة الفندقية^(٢٢).

وبناءً على ذلك فقد اختلفت آراء المنظمات المتخصصة وآراء الكتاب المتخصصين في مجال إدارة الفنادق حول تعريف الفندق، فالجمعية الأمريكية للفنادق والموتيلات (American Hotel and Motel Association) عرفت الفندق كما يلي: (هو نزل أعدت طبقاً لأحكام القانون ليجد فيه النزيل المأوى والمأكل وخدمات أخرى لقاء اجر معلوم)^(٢٣).

أما القانون البريطاني (British Law) فقد عرف الفندق: (انه مكان يتلقى فيه المسافر خدمات المأوى والطعام مقابل سعر محدد قادر على دفعه)^(٢٤).

كما عرفه الدكتور ماهر عبد العزيز توفيق: (انه بناية أو مؤسسة تقدم خدمة الإقامة بالدرجة الأولى والأطعمة والمشروبات وخدمات أخرى لعامة الناس لقاء اجر معين)^(٢٥).

بينما يعرف الدكتور طارق طه الفندق: (هو منظمة خدمية هادفة للربح تقوم بإشباع الحاجات والرغبات الفندقية للأفراد والجماعات من خلال عمليات تبادلية كما يقصد بالتبادل التصرف الذي بمقتضاه يحصل العميل على ما يرغبه من خلال تقديم المقابل المادي)^(٢٦).

بينما يذهب الأستاذ مروان السكر إلى ابعده من ذلك في تعريف الفندق بقوله: (عبارة عن مرفق للإقامة المؤقتة والذي ينتج ويبيع ويقدم الخدمات والبضائع لتلبية حاجة السواح من النوم والراحة والطعام والعلاج والترفيه ومقابلات رجال الأعمال وغيرها وذلك حسب هدف ودوافع سفرهم وكمية ونوعية الخدمات المقدمة تعتمد على درجة هذا المرفق، والهدف من استثمارها هو الحصول على الربح)^(٢٧).

من هنا فان الفندق، كما يبدو لنا، طبقاً لهذه التعريفات هو: بناية Building او مرفق يوفر خدمة الإقامة بالدرجة الأولى، والطعام والشراب Food and Beverage وخدمات أخرى من اتصالات، بريد، سيارة أجرة... إلخ بصورة مؤقتة Precarious or Provisional ويقصد الربح Profit ولقاء اجر معين.

هذا ولا ريب في أنّ ثمة عوامل تكفل للفندق النجاح وتساعد على زيادة نسبة الاشتغال فيه ويذكر الباحثون هذه العوامل ومن أبرزها:-

- ٢٢- ينظر محمد حسن علي نصار الزويني، واقع وآفاق السياحة الدينية في محافظة كربلاء، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، ٢٠٠٥، ص٥٦.
- ٢٣- ينظر د. محمد امين محي الدين السيد علي، المصدر السابق، ص٤٠.
- ٢٤- ينظر د. طارق عبد الفتاح الشريعي، المصدر السابق، ص٢١٥.
- ٢٥- ينظر د. ماهر عبد العزيز توفيق، علم ادارة الفنادق، دار زهران، عمان، ص١٨.
- ٢٦- ينظر د. طارق طه، إدارة الفنادق مدخل معاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص٢٨.
- ٢٧- ينظر الأستاذ مروان السكر، مختارات من الاقتصاد السياحي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ١٩٩٩، ص٢٨.

- ١- الموقع: وهو ذو اثر كبير على الإقبال عليه سواء كان في وسط المدينة(فندق تجاري) او منطقة جميلة أو على طريق سريع موتيلات.
 - ٢- الإعلان: وهو وسيلة مهمة من وسائل التسويق والترويج للصناعة الفندقية.
 - ٣- الأطعمة والمشروبات: وقد تكون من أسباب شهرة الفندق والإقبال عليه ونجاحه.
 - ٤- تصميم الفنادق: فكلما كان تصميم الفندق الداخلي والخارجي جذاباً ومؤثراً كان ذلك عاملاً من عوامل نجاحه في جذب العملاء.
 - ٥- الخدمات الأخرى: إذ قد يقدم الفندق خدمات أخرى فتعتبر من ميزاته عن غيره مثل الفاكس، البريد، الحجز في الطائرات... وغير ذلك.
 - ٦- الإدارة الناجحة ولطف الموظفين: له الدور في نجاح الفندق^(٢٨).
- بيد أن ما يلاحظ انه ورغم هذه الأهمية لهذا النشاط التجاري المتميز، إلا إننا نجد أن التشريعات المقارنة لم تبذل الجهود الكافية في سبيل إصدار تشريعات تنظم هذا النشاط من حيث التعريف أو الأحكام المتعلقة به، مما حدا بالفقه الى أن يتصدى لبيان تعريف لهذا النشاط، ولكن بوصفه عقداً من العقود التبادلية، وهذا هو حال المشرع العراقي والمصري على سبيل المثال، إذ لم يوردا تعريفاً لهذا العقد، لهذا فقد عرف الأستاذ الدكتور أيمن فوزي عقد الفندقية بأنه: (عقد يلتزم بمقتضاه الفندقي إن يوفر للنزيل بصفة أساسية الإقامة الهادئة والأمنة والخدمة، ويحفظ له أمتعته وأغراضه الخاصة به في مكان يعده لهذا الغرض، إضافة الى تقديم مجموعة من الخدمات الفندقية الأخرى تختلف في النوعية بحسب درجة الفندق وتصنيفه وذلك في مقابل اجر معلوم يلتزم به النزيل)^(٢٩).
- ويرى المستشار الدكتور محمد عبد الوهاب خفاجي بان عقد الفندقية هو: (العقد الذي بموجبه يقوم احد المتعاقدين وهو الفندقي بتقديم المأوى والمأكل والمشرب فقط للطرف الثاني وهو النزيل خلال مدة معينة مقابل اجر محدد)^(٣٠).
- وقد عرفته الدكتورة سوزان علي على انه: (العقد الذي يبرم بين المنشأة الفندقية وبين النزيل، تتعهد بموجبه المنشأة الفندقية بتقديم الإقامة والمأكل أو الإقامة فقط للنزيل خلال مدة معينة لقاء اجر او مقابل معلوم)^(٣١).

٢٨- ينظر سهيل الحمدان، الإدارة المدنية للمؤسسات السياحية والفندقية، الطبعة الأولى، دار الرضا للنشر، دمشق، ٢٠٠١،

ص٨١.

٢٩- ينظر د. أيمن فوزي المستكاوي، المصدر السابق، ص٢٣-٢٤.

٣٠- ينظر د. محمد عبد الوهاب خفاجي، التشريعات السياحية والفندقية، التنظيم القانوني لحقوق المنشأة الفندقية والسياحة والإرشاد السياحي والعاملين، بما دراسة تطبيقية في ضوء نصوص التشريع وأحكام القضاء المصري، الطبعة الحادية عشر، دار الهناء، الإسكندرية، ٢٠٠٦-٢٠٠٧، ص٢٢٧.

٣١- ينظر د. سوزان علي حسن، التشريعات السياحية والفندقية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص١٨٩.

أما بالنسبة إلى الفقه الفرنسي فقد عرفه بأنه: (العقد الذي يبرم بين صاحب الفندق والعميل، والذي بمقتضاه يلتزم صاحب الفندق بتقديم مجموعة من الاداءات المتنوعة أو المتراطة كالمأوى والمأكولات، والمشروبات، الاتصالات، الخدمات الترفيهية... الخ في مقابل مبلغ من المال يدفعه العميل)^(٣٢).

أما عن موقف الفقه الإسلامي من تعريف عقد الفندق فيبدو لنا، انه ينحو المنحى نفسه، فلم نجد أحد من الفقهاء القدامى قد قام بتعريف عقداً بهذا الاسم حتى أنّ الباحث في هذا ليظن أنّ الفقه الإسلامي لا يعرف إلا العقود المسماة وانه فقه جامد لا يواكب التطور العصري ولا يعرف غير العقود الشكلية التي لا تتم إلا بألفاظ وصيغ معينة، ومن ثم فإن أي عقود أو صيغ جديدة لا توجد في كتب الفقه المعهودة تعد عقوداً باطلاً، وصيغاً غير مقبولة لدى الفقه الإسلامي^(٣٣).

ولكن هذه النظرة للفقه الإسلامي تعد نظرة قاصرة وناتجة عن التباس في فهم هذا الفقه، لكون الفقهاء قد اتفقوا على أن كل عقد اذا توافرت أركانه الشرعية وشروطه ولم يوجد مانع من موانع الانعقاد يكون صحيحاً ما دام لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً^(٣٤).

ونرى أن عقد الفندق وان لم يرد في كتب الفقه فان أحكامه لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية والقواعد العامة فالعقد صحيح وواجب الوفاء به. لهذا فإننا ندعو المشرع العراقي من الالتفاف إلى ما عرضه الفقه في الشريعة والقانون وتبنيه ذلك بتطويع القواعد العامة في فروع القوانين الأخرى. لتنظيم نصوص وقواعد خاصة بهذا العقد.

ولإحاطة أكثر بتعريف هذا العقد نجد من الضروري أن نحدد أطراف هذا العقد وهما "صاحب الفندق والنزيل". فعلياً أولاً تعريف صاحب الفندق وثانياً تعريف النزيل.

أولاً: تعريف صاحب الفندق

صاحب الفندق هو الطرف الأول في العقد وقد يكون شخصاً طبيعياً او شخصاً معنوياً، والفرض الثاني هو الأكثر وقوعاً من الناحية العملية^(٣٥) وفي هذا المعنى ما جاء في القضاء العراقي الصادر من محكمة استئناف كربلاء الاتحادية.

حيث أقامت المدعية (س) دعوى على المدعي عليه المدير المفوض لشركة ساليك سير وضمنتها أنها أجزت للمدعي عليه إضافة لوظيفته (عقار) بموجب عقد مصدق ببدل إيجار سنوي وقد استحق عليه قسطين، فطلب إلزامه المبلغ والفوائد التأخيرية.

٣٢- ينظر: Francois Van Derelst, Hotellerie, Ency Dalloz, Com, 1978, N.29.
٣٣- ينظر د. عبد الرزاق احمد السنهوري، مصادر الحق في الفقه الاسلامي، الجزء الاول، الطبعة الاولى، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بدون ذكر سنة طبع، بيروت، ص ٦٢-٦٣.
٣٤- ينظر د. أيمن فوزي المستكاوي، المصدر السابق، ص ١٤.
٣٥- ينظر د. حسن حسين البراوي، المسؤولية المدنية لصاحب الفندق، بحث منشور في مجلة القانون والاقتصاد، العدد الخامس والسبعون، مطبعة كلية الحقوق جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٥، ص ٦٢٣.

وقد أصدرت المحكمة حكماً قضى بإلزام المدعي عليه بتأديته للمدعي المبلغ المدعى به وقد نقض بقرار محكمة التمييز، وقد أصدرت المحكمة حكماً قضى برد دعوى المدعية لعدم توجه الخصومة^(٣٦).

حيث استغل العقار بتأجيريه فندقاً وبموجب عقد مصدق ببدل إيجار سنوي يدفع على قسطين. ولكن متى يعتبر الشخص صاحب الفندق؟ يشترط بعض الفقهاء إن يقدم الشخص للنزيل المأوى والطعام لاعتباره صاحب الفندق، ويرى البعض الآخر من الفقهاء إن هذا تضيقاً لا مبرر له وإن الشخص يعتبر صاحب الفندق متى قدم المأوى ولو لم يكن من عادته أن يقدم لنزلائه الطعام ولكن تقدم المأوى شرط^(٣٧).

والواضح لنا ومن خلال تعريف عقد الفندقية أن صاحب الفندق يلتزم بمجموعة اداءات يقدمها إلى النزيل وهذه الاداءات متنوعة ومتراطة وتتمثل في توفير الإقامة للنزيل او تقديم خدمات الاتصال والخدمات الترفيهية، وتقديم الأطعمة والمشروبات^(٣٨).

ثانياً: تعريف النزيل

فالنزيل هو الطرف الثاني في العقد وكلمة "نزيل" الذي نعنيه في هذا المقام تتمثل في كل من يتعاقد مع الفندق على مأوى سواء كان سائحاً أجنبياً ام وطنياً مسافراً كان أو مقيماً في البلد^(٣٩).

وفي تشريعات بعض الدول تستخدم بدلاً عن كلمة نزيل بـ(العميل) والذي تعرفه بأنه: (هو الذي تقدم له الاداءات المتعددة في مقابل ما يدفعه من مال)^(٤٠). والعميل بطبيعة الحال هو الشخص الطبيعي، وقد يكون وطنياً أو أجنبياً^(٤١).

وقد يكون المتعاقد مع صاحب الفندق نيابة عن العميل شخصاً معنوياً كما هو الحال في حالة ما إذا تعاقدت وكالة السفر والرحلات مع الفندق لتوفير إقامة لعملاء الوكالة^(٤٢).

إذا فالنزيل يعرف بأنه: (هو الشخص الذي يتعاقد مع الفندق بغرض التمتع بالإقامة في الفندق مع سائر الخدمات التي يقدمها الفندق له سواء كانت خدمات ترفيهية أو رياضية أو صحية أو غذائية)^(٤٣).

٣٦- لمزيد من التفصيل، انظر(القرار) الصادر من محكمة استئناف كربلاء الاتحادية عدد/١٩١/س/٢٠١٠، بتاريخ ٢٠١٠/٨/٨ والمنشور على البريد الالكتروني: e.mail:hjc.keac2008@yahoo.com.

٣٧- ينظر د. غني حسون طه ومحمد طه البشير، الحقوق العينية، الحقوق العينية الأصلية الحقوق العينية التبعية، الجزء الثاني، بدون ذكر اسم المطبعة وسنة الطبع، ص٦٠٦.

٣٨- ينظر صفحة (١٦) من هذا البحث.

٣٩- ينظر د. حسن حسين البراوي، التزام صاحب الفندق بحفظ أمتعة العملاء في القانون القطري الجديد، بحث منشور في مجلة القانون والاقتصاد، العدد السادس والسبعون، مطبعة كلية الحقوق جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٦، ص٤١٤.

٤٠- القاهرة، ١٩٩٣، ص١٥٧.

٤١- ينظر د. ناريمان عبد القادر، التشريعات الفندقية والسياحية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٤٥.

٤٢- ينظر د. حسن حسين البراوي، التزام صاحب الفندق بحفظ أمتعة العملاء في القانون القطري الجديد، المصدر السابق، ص٤١٥.

وبناءً على ما تقدم، يمكننا ان نعرف عقد الفندق بأنه: (عقد يلتزم بمقتضاه صاحب الفندق بأن يوفر للنزيل بصفة أساسية الإقامة الهادئة والأمنة، ويضمن سلامته ويحفظ أمتعته واغراضه، إضافة الى تقديمه مجموعة من الخدمات الفندقية الاخرى أثناء فترة اقامته في الفندق، بمقابل أجر معلوم يلتزم النزيل بدفعه).

المطلب الثاني: خصائص عقد الفندقية

Hospitality properties Held

يمتاز عقد الفندقية بخصائص غالباً ما تتصف بها بقية العقود كما سنرى، إلا أنّ هذا العقد، باعتباره يمثل نظاماً قانونياً متميزاً ينفرد ويتميز بخصائص تميزه عن غيره من العقود يمكن أن يعرض لها وكالاتي:-

الفرع الأول: عقد الفندقية عقد رضائي

تنقسم العقود عموماً من حيث تكوينها الى عقود رضائية أو شكلية أو عينية^(٤٤). فالعقود الرضائية Contrat Consensuel: هي تلك العقود التي يكفي مجرد الرضا في انعقادها أي اقتران الإيجاب بالقبول^(٤٥).

ولعل الغالب الاعم من العقود تبرم بمجرد اتفاق الطرفين (اقتران الإيجاب بالقبول) ولا يحتاج انعقاده الى أي إجراء شكلي^(٤٦).

اما ما يعد من العقود الشكلية (Formel Contract): فهي تلك العقود التي لا يكفي لانعقادها مجرد التراضي بين الطرفين، وإنما يجب أن يفرغ في شكل خاص يحدده القانون، ومثال ذلك العقود الواردة على نقل ملكية العقار، فلا تتم هذه العقود اذا لم تسجل في الدائرة المختصة، اذ تنص الفقرة الأولى من المادة/٩٠ من القانون المدني العراقي النافذ رقم (٤٠) لسنة (١٩٥١)) (اذا فرض القانون شكلاً معيناً للعقد فلا يتعقد إلا باستيفاء هذا الشكل، ما لم يوجد نص بخلاف ذلك)).

وتطبيقاً لذلك قضت محكمة التمييز في العراق في حكم لها صادر في (١٢-١٢-١٩٦٠) بان (المادة الثامنة من قانون إدارة الأوقاف رقم (٢٧) لسنة (١٩٢٧) نصت على إجراء عقد الإجارة للمسقفات والمستغلات الوقفية بالمزايدة وهذا يعني أن القانون فرض شكلاً معيناً للعقد، فلا يتعقد إلا باستيفاء هذا الشكل عملاً بحكم المادة (٩٠) مدني...)^(٤٧).

٤٤- ينظر د. عبد المجيد الحكيم و د. عبد الباقي البكري والأستاذ محمد طه البشير، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي، الجزء الأول في مصادر الالتزام، الطبعة الرابعة، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٣.

٤٥- ينظر د. جميل الشراوي، النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام، التصرف القانوني والإرادة المنفردة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٥٤-٥٥ وانظر كذلك د. محمد كامل مرسي باشا، شرح القانون المدني، العقود المسماة، عقد الإيجار، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ١٤.

٤٦- (مناسبات الانعقاد أن يكون القبول مطابقاً للإيجاب لا يختلف عنه في زيادة أو نقصان ولا كان هذا القبول المخالف رفضاً يتضمن إيجاباً جديداً) هذا ما جاء به الحكم الصادر من محكمة النقض المصرية في الطعن رقم (٣٥٤) لسنة (٣٠) القضائية، جلسة (١٩٦٥/١١/٩)، العدد الثالث، السنة السادسة عشر، مطبعة دار القضاء العالي الفرعية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٩٨٦.

٤٧- ينظر د. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، الجزء الأول في مصادر الالتزام، بدون ذكر اسم المطبعة، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٤٤.

بينما يعرف العقد العيني Aini decade بأنه ذلك العقد الذي لا يكفي لتمامه مجرد تراضي الطرفين، بل يجب فضلاً عن التراضي توافر وحصول القبض أو التسليم للعين محل العقد ايضاً. فالقبض أو التسليم يعتبر ركناً جوهرياً لانعقاد العقد ومثاله عقد هبة المنقول^(٤٨). وهكذا فان عقد الفندقية يعتبر من قبيل العقود الرضائية، اذ يكفي لانعقاده مجرد التراضي بين صاحب الفندق وبين النزيل دون حاجة لاشتراط شكل معين، فيتم التراضي على المكان تأجييره سواء كان غرفة أو جناحاً وكذا على المدة والمقابل. أي بمجرد طلب الحجز فمنذ هذه اللحظة يلزم صاحب الفندق إعداد المكان وتجهيته حتى يكون جاهزاً لاستقبال النزيل عند وصوله كما يلزم الأخير بدفع المقابل منذ تاريخ الاتفاق^(٤٩).

الفرع الثاني: عقد الفندقية عقد ملزم للجانبين

لا شك في أن طبيعة الأثر هو الذي ينقسم بموجبه العقد إلى عقد ملزم للجانبين وإلى طائفة أخرى ملزمة لجانب واحد، فالعقد الملزم للجانبين Binding contract for both sides: هو ذلك العقد الذي يلزم فيه كل من المتعاقدين تجاه الآخر على وجه التبادل بمقتضى ما هو متفق عليه بينهما ويكون كل متعاقد دائماً ومديناً في الوقت نفسه، اما بالنسبة للعقد الملزم لجانب واحد: Binding contract to one side هو ذلك العقد الذي يلتزم فيه طرف واحد أي متعاقد واحد فقط تجاه المتعاقد الآخر بأداء معين، ويسمى هذا الطرف الملتزم مديناً والطرف الآخر دائماً مثل عقد الوديعة والهبة^(٥٠).

من هنا يلاحظ وبحق، أن عقد الفندقية، هو عقد ملزم للجانبين كونه من العقود التبادلية الملزمة للجانبين، حيث تنشأ التزامات متبادلة في ذمة المتعاقدين فصاحب الفندق يلتزم بتوفير الإقامة الهادئة الآمنة، والمأكل والمشرب... وغير ذلك من الالتزامات في مقابل التزام النزيل بدفع الأجرة خلال مدة إقامته^(٥١).

وبناءً على ذلك، فان السؤال الذي ينقدح في الذهن: ما هي ابرز الآثار التي يمكن أن تترتب على اعتبار هذا العقد - موضوع البحث - من العقود الملزمة للجانبين؟ للإجابة عن هذا التساؤل نقول: إن من اخطر تلكم الآثار هي ما يتعلق بمسائل فسخ العقد وتبعية الهلاك بل وحتى من إمكانية الدفع بعدم التنفيذ، ففي عقد الفندقية اذ لم يقيم احد المتعاقدين بتنفيذ التزامه فانه يحق للطرف الآخر طلب فسخ العقد وذلك طبقاً لإحكام الفقرة الأولى من المادة/١٥٧ من القانون المدني المصري^(٥٢). وفي المعنى نفسه فقد نصت الفقرة الأولى من المادة/١٧٧ من القانون المدني العراقي النافذ على أن ((في العقود الملزمة

٤٨- ينظر د. محمد حسام محمود لطفي، النظرية العامة للالتزام، مصادر الالتزام بدون ذكر اسم المطبعة، القاهرة، ١٩٩٩،

٢٠٠٠، ص ٢٠.

٤٩- ينظر د. محمد عبد الظاهر حسين، عقد الفندقية، طبيعته القانونية، آثاره، مسؤولية الفندقية، دار النهضة العربية، القاهرة،

١٩٩٧، ص ٥١-٥٢.

٥٠- ينظر د. رمضان أبو السعود و د. همام محمد محمود، المبادئ الأساسية في القانون، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٥-

١٩٩٦، ص ٣١٠.

٥١- ينظر د. ايمن فوزي المستكوي، المصدر السابق، ص ٥٩ وانظر كذلك د. محمد عبد الوهاب خفاجي، المصدر السابق،

ص ٢٧٨.

٥٢- ينظر الفقرة الأولى من المادة/١٥٧ من القانون المدني المصري رقم (٣٠) لسنة ١٩٤٨.

للجانبيين اذ لم يوف احد المتعاقدين بما وجب عليه بالعقد جاز للعقاد الآخر بعد الاعذار إن يطلب الفسخ مع التعويض...)).

أما من حيث تبعة الهلاك، إذا استحال على احد المتعاقدين سواء كان صاحب الفندق أم النزيل تنفيذ التزامه بسبب أجنبي لا يد له فيه يسقط التزامه ومن ثم تسقط الالتزامات المتقابلة، وهذا مما يترتب عليه، إن المدين سينقضي التزامه لاستحالة تنفيذه بسبب أجنبي يتحمل مع ذلك تبعة استحالة التنفيذ ولا يتحملها الدائن كما سيتحملها في العقد الملزم لجانب واحد^(٥٣).

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن الارتباط الوثيق او تقابل التزامات طرفي عقد الفندقة مما يقود إلى القول بأن عدم قيام احدهما بتنفيذ التزامه يؤدي إلى امتناع الآخر عن التنفيذ أي التمسك بالقاعدة المعروفة - الدفع بعدم التنفيذ - أو الامتناع المشروع عن تنفيذ العقد التي لا تخرج عن كونها كما هو معلوم حق بالحبس^(٥٤).

الفرع الثالث: عقد الفندقة عقد معاوضة

يعد عقد الفندقة من عقود المعاوضة Netting Contracts: بحيث يأخذ فيه كل من المتعاقدين مقابلًا لما يعطي ويعطي مقابلًا لما يأخذ، فالمؤجر "صاحب الفندق" يسمح للمستأجر "النزيل" بالانتفاع بالعين المؤجرة في مقابل أخذ الأجرة، والمستأجر يدفع الأجرة في مقابل الانتفاع بالعين المؤجرة، وبهذا فلا تظهر تماماً نية التبرع في هكذا عقود فالعقود التبرعية Donation Contracts: هي العقود التي لا يأخذ فيه المتعاقد مقابلًا لما يعطي ولا يعطي مقابلًا لما يأخذ، ومثاله عقد عارية الاستعمال^(٥٥).

وليس أبلغ في الدلالة على كون عقد الفندقة من عقود المعاوضة، هو أن صاحب الفندق يأخذ مقابلًا لما يعطيه، فإنه يأخذ الأجرة من النزيل مقابل تقديم المأوى والمأكل والمشرب له، كذلك الشأن بالنسبة للنزيل حيث انه يتلقى مقابلًا لما يعطيه، فيعطي الأجرة مقابل أن يقدم له صاحب الفندق المأوى والمأكل والمشرب^(٥٦).

٥٣- ينظر د. عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد(٣)، نظرية الالتزام بوجه عام(الأوصاف- الحوالة- الانقضاء)، الطبعة الثالثة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٩٩١، وانظر كذلك د. أنور سلطان، النظرية العامة للالتزام، أحكام الالتزام، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٩٧، ص ٤٠٨.

٥٤- الدفع بعدم التنفيذ وفقاً للمادة(١٦١) من القانون المدني ليس إلا "الحق في الحبس" في نطاق العقود الملزمة للجانبين المعتصم بهذا الحق ليس في حاجة الى دعوى يرفعها على المتعاقد الآخر للتخصيص له باستعمال هذا الحق. له أن يدفع في دعوى بحقه في عدم التنفيذ أو أن يرفع دعوى على المتعاقد الآخر استناداً الى هذا الحق، اذا ما أنكره عليه او نازعه في مدى ما يحق له حبسه من التزاماته. انظر في هذا الشأن ما جاء به الحكم الصادر من محكمة النقض المصرية في الطعن رقم (٣٥٠) لسنة(٣٠) القضائية، جلسة(١١/١٢/١٩٦٥)، العدد الثالث، السنة السادسة عشر، مطبعة دار القضاء العالي الفرعية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٠١٨.

٥٥- ينظر د. محي الدين إسماعيل علم الدين، نظرية العقد، مقارنة بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٢٦-١٢٧.

٥٦- ينظر المستشار. محمد محمد خليل، التشريعات السياحية والفندقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧،

الفرع الرابع: عقد الفندقية عقد محدد المدة ومستمر التنفيذ

يعد عقد الفندقية في الغالب من العقود المحددة المدة، مع صاحب الفندق على استئجار غرفة او جناح لمدة معينة من الزمن طالقت هذه المدة ام قصرت^(٥٧).

من جانب آخر، فان عقد الفندقية عقد يكون الزمن فيه عنصراً جوهرياً والعقد الزمني نوعين أما أن يكون عقد زمني مستمر التنفيذ أو أن يكون عقد زمني دوري التنفيذ^(٥٨). ومن أمثلة العقود الزمنية المستمرة التنفيذ، عقد الإيجار لان الانتفاع بالشيء لا يتصور إلا ممتداً في الزمان، والأجرة تحسب على أساس المدة، ومن أمثلة العقود الزمنية دورية التنفيذ عقد التوريد، كالعقد الذي يلزم بتوريد مواد غذائية لمدرسة أو ناد في فترات منتظمة^(٥٩).

بناءً على ما سبق، فان عقد الفندقية عقد زمني مستمر التنفيذ كما يبدو لنا، يلعب فيه الزمن دوراً هاماً، لانه هو الذي يحدد مقدار المنفعة او الخدمات المعقود عليها، حيث انه يحدد مدة الخدمة او المنفعة التي ينتظرها النزيل من صاحب الفندق وهي لا تقاس بالزمن وبالتالي معرفة مقدار الأجرة المستحقة الواجب على النزيل دفعها^(٦٠).

الفرع الخامس: عقد الفندقية عقد غير مسمى

بدءاً يمكننا القول بان المقصود بالعقود المسماة Contrats nommes: وهي تلك العقود التي وضع المشرع لها تنظيم قانوني خاص وخصها بتسمية معينة وذلك لكثرة شيوعها بين أفراد المجتمع^(٦١).

أما بالنسبة للعقود غير المسماة Contrats innommes: وهي تلك العقود التي لم يخضعها المشرع لتنظيم قانوني خاص ولم يخصها باسم معين وذلك راجع إلى أنها لم تكن معروفة وقت وضع التشريع، وهذا ما ينطبق على عقدنا - عقد الفندقية - فضلاً عن كثير من العقود الأخرى مثل عقد النشر الذي يتم بين المؤلف والناشر وعقد النزول في الفندق الذي يتم بين النزيل وصاحب الفندق، وعقد التعلم الذي يتم بين المتعلم (أو وصيه أو وليه) وبين معهد العلم^(٦٢).

وتبدو أهمية تقسيم العقود إلى مسماة وغير مسماة في تحديد الأحكام القانونية واجبة التطبيق على العقد^(٦٣).

٥٧- ينظر د. سوزان علي حسن، المصدر السابق، ص ١٧٩.

٥٨- ينظر د. سمير عبد السيد تناغو، عقد الإيجار، الطبعة الثانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٥.

٥٩- ينظر د. عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء الأول، نظرية الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام، تنقيح المستشار احمد مدحت المراغي، بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع، ٢٠٠٦، ص ١٣٩-١٤٠.

٦٠- ينظر د. نادرة محمود سالم، المصدر السابق، ص ٧٤.

٦١- ينظر د. رأفت محمد حماد، الوجيز في النظرية العامة للالتزامات، ج الأول، مصادر الالتزام، المجلد الأول، المصادر الإرادية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون ذكر سنة الطبع، ص ٢٩.

٦٢- ينظر د. عبد الله مبروك النجار، مبادئ عقد البيع، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٩-١٠.

٦٣- ينظر د. عبد المنعم فرج الصدة، مصادر الالتزام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٦٣.

ولا تُثار مشكلة بالنسبة للعقد المسمى حيث يرجع القاضي بخصوصه إلى الأحكام القانونية الخاصة به، فإن لم يجد ففي القواعد العامة للعقود الواردة في كتاب القانون المدني، فإن لم يجد فعن طريق القياس على اقرب العقود المسماة للعقد موضوع النزاع.

اما بخصوص عقد الفندقية على اعتباره من العقود غير المسماة، فتبدو مهمة القاضي أكثر صعوبة حيث يجب عليه أولاً الرجوع إلى القواعد العامة للعقود مباشرة، فإن لم يجد توجه إلى القواعد الخاصة بأقرب العقود المسماة عن طريق القياس، وذلك ما لم يكن هناك اتفاق أو عرف بطبيعة الحال^(٦٤).

والواضح من خلال تعريف العقود غير المسماة أن عقد الفندقية يدخل في هذه الطائفة لان المشرع لم يضع له أحكاماً خاصة به ولم يخصص له اسماً معيناً نعرفه من خلال هذا الاسم، ولكنه يخضع في تنظيمه للقواعد العامة باستثناء بعض النصوص الخاصة التي تنظم مسؤولية أصحاب الفنادق، والتقدم في حقوق أصحاب الفنادق، وامتياز صاحب الفندق على أمتعة النزيل^(٦٥).

من هنا فان الممارسات العملية التطبيقية لعقود الفندقية وما عليها من أحكام وصيغ مختلفة قد تثير المنازعات، تدعو المشرع إلى ضرورة أن يعالج تشريعياً هذا العقد بحيث يخضعه لأحكام تفصيلية تحيط به^(٦٦).

المطلب الثالث: أركان عقد الفندقية

يعد عقد الفندقية من العقود الملزمة للجانبين، يستلزم توافر أركانه الثلاثة (التراضي بين طرفي عقد الفندقية ومحله والباعث والدافع لهذا التعاقد).

وبما أن عقد الفندقية يولد التزامات متباينة ومترابطة ناتجة عن العلاقات القانونية المتشابكة بين أطرافه، يقودنا بالضرورة الى تحليل طبيعته القانونية، فهل هو عقد ينتمي إلى احد العقود المسماة حتى تطبق أحكامه عليه؟ أم أنه عقد مستقل بذاته وله أحكام وطبيعته خاصة به، وللإجابة عن ذلك كان لزاماً علينا أن نتعرض لبيان أركان عقد الفندقية ابتداءً.

يتوجب لانعقاد عقد الفندقية توافر أركان التعاقد طبقاً للقواعد العامة، فلا بد من تراضي طرفيه وهما (صاحب الفندق والنزيل)، وبما أن تراضي طرفيه ينصرف الى إنشاء التزامات عديدة فان هذه الالتزامات بدورها تحتاج الى محل تنصب عليه وباعث دافع للتعاقد.

٦٤- ينظر د. اشرف جابر سيد، عقد السياحة، دراسة مقارنة في القانون المصري والفرنسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٤٨.

٦٥- ينظر في القانون المدني العراقي النافذ رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ المادة ٩٧٢/ منه حيث تناولت هذه المادة مسؤولية أصحاب الفنادق اما المادة/٤٣١ من هذا القانون تضمنت المسائل المتعلقة بالتقدم في حقوق أصحاب الفنادق واحيراً المادة/ ١٣٧٥ فقد تناولت امتياز صاحب الفندق على أمتعة النزيل.

٦٦- ينظر د. نبيلة رسلان، العقود المسماة، ج الثاني، عقد الإيجار، بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع، ١٩٨٨، ص ٣.

لذا يستوجب الخوض في معرفة هذه الأركان، وهذا ما سنبحثه في الفروع الثلاثة، الأول منه سنتناول فيه التراضي بين طرفي عقد الفندقية، أما في الفرع الثاني فسنبين المحل في عقد الفندقية، أما في الفرع الثالث فسنستحدث عن الباعث الدافع الى التعاقد.

الفرع الأول: الرضا

يعتبر التراضي ركناً أساسياً في العقد، فإذا لم يوجد فان العقد لا يتم، ويشترط لانعقاد العقد أن يصدر إيجاباً يصادفه قبولاً من الطرف الأول، فالإيجاب يكون من النزيل والقبول من صاحب الفندق^(٦٧). وهكذا فالتراضي، في عقد الفندقية: هو اتفاق ارادتي الطرفين المذكورين على إحداث اثر قانوني معتد به، أي توافق إرادة الموجب والموجه إليه الإيجاب بقصد إحداث الأثر القانوني المنشود من الإيجاب، ووجود التراضي يكفي لوجود العقد مع وجود الأركان الأخرى بطبيعة الحال، ولكنه لا يكفي لصحته، فلكي يكون العقد صحيحاً يجب أن يكون رضا المتعاقدين صحيحاً وغير مشوب بعيب^(٦٨).

فمما تقدم ذكره، ينبغي أن نتطرق إلى مسألتين: الأولى منها هي: - وجود التراضي في عقد الفندقية والمسألة الثانية صحة هذا التراضي، وهل يحتاج الى عوامل خاصة بعقد الفندقية أم لا؟

أولاً: وجود التراضي في عقد الفندقية

لا شك ان التراضي في هذا العقد يتم بتطابق إرادتي طرفيه، ويقصد بالإرادة أن يدرك الشخص أمر التعاقد وان يقصده وهما (صاحب الفندق والنزيل)^(٦٩).

وعليه يتوجب تطابق الإيجاب مع القبول على ماهية العقد، أهو عقد إقامة أم عقد إيجار، أم عقد آخر؟ وكذا يتم التطابق والتراضي على الشيء المعد للإقامة، هل هو غرفة أم جناح؟ أم غير ذلك؟ وأيضا على مدة العقد هل هو يوم أو أسبوع أو شهر أو أكثر وهكذا، وعلى الأجرة^(٧٠). فمثلاً هل هي عشرة دنانير في اليوم الواحد أم أكثر أم اقل من ذلك^(٧١).

وهذا يعني مطابقة القبول للإيجاب تمام المطابقة، فإذا اختلف القبول عن الإيجاب بالزيادة أو النقصان أو التغيير أو التعديل اعتبر ذلك رفضاً يتضمن إيجاباً جديداً^(٧٢). مما يثير في الذهن، كما هو معروف،

٦٧- ينظر د. محمد حسن عبد الرحمن، مصادر الالتزام "دراسة مقارنة"، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٧٠.

٦٨- ينظر د. علي نجيدة، النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٤٦.

٦٩- ينظر د. صاحب عبيد الفتلاوي، الموجز في العقود المسماة، البيع- الإيجار- المقاوله، الكتاب الثاني، عقد الإيجار، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٢-١٩٩٣، ص ٢٠٧.

٧٠- ينظر د. محسن عبد الحميد إبراهيم البيه، النظرية العامة للالتزامات، ج الأول، المصادر الإرادية، مكتبة الجلاء الجديدة بالمنصورة، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٠٦-١٠٧.

٧١- يتم الاتفاق على الأجرة في بعض الفنادق في جمهورية مصر العربية مثلاً على (عشرة جنيهات) في اليوم الواحد أو أكثر أو أقل. أما عندنا في العراق فانه يتم الاتفاق على الأجرة في بعض الفنادق وعلى سبيل المثال (كأحد فنادق كربلاء) على مبلغ قدره (خمسة عشر ألف دينار عراقياً) للشخص الواحد وليلة الواحدة.

٧٢- ينظر د. محسن عبد الحميد إبراهيم البيه، المصادر السابق، ص ١٠٧.

مسار تناسخ الإيجاب، ويكون التعبير عن الإرادة باللفظ والكتابة وبالإشارة المتداولة عرفاً^(٧٣). ومثال ذلك الموافقة الصريحة من صاحب الفندق على إعطاء الغرفة للنزيل، وكذا يكون التعبير عن الإرادة باتخاذ موقف لا تدع الظروف شكاً في دلالة على حقيقة المقصود كترك الفندق أحد النزلاء ينزل في إحدى الغرف دون أن يعترض فهذا الموقف دليل على انعقاد العقد (عقد الفندقية)^(٧٤).

ويجوز أن يكون التعبير عن الإرادة ضمناً، إذا لم يتفق الطرفان صراحةً. ومثال ذلك بقاء النزيل في الغرفة المؤجرة بالرغم من انتهاء مدة الحجز فيكون هذا بمثابة إيجاب وقبول من النزيل وصاحب الفندق لتجديد إيجار الغرفة^(٧٥).

وهكذا فإن التعبير عن الإرادة قد يكون تعبيراً صريحاً كما قد يكون تعبيراً ضمناً. وعادةً ما ينعقد هذا العقد في صورة حجز غرفة أو جناح في المنشأة الفندقية ولا يصبح الحجز نهائياً إلا بعد حصول النزيل على مستند كتابي من صاحب الفندق. ويلاحظ أن طلبات الحجز تقيد في دفتر يعد لهذا الغرض يوضح فيه تاريخ شغل الغرفة وتاريخ مغادرة النزيل لها، كذلك يصبح الاتفاق الخاص بالحجز ملزماً للطرفين ما لم يتنازل أيهما بمحض إرادته ورضاه للأخر عن جزء من حقه وبهذا يذهب البعض في الفقه المقارن إلى القول بأنه لا يجوز للنزيل أن يتنازل عن حجزه لأي شخص آخر إلا بعد حصوله على موافقة كتابية من المنشأة الفندقية يتم إثباتها بسجلات المنشأة^(٧٦).

بيد أن الأصل في عقد الفندقية انه يتم بين صاحب الفندق والنزيل دون أن يكون بينهم نائب أو وكيل، إلا انه أحياناً قد يتم هذا العقد بين صاحب الفندق والنزيل أو بين صاحب الفندق ونائب النزيل، ويكون عادة شركة أو إحدى شركات السفر والسياحة، وهنا ينصرف اثر العقد إلى الأصيل وليس للنائب، كما هو معلوم، بحيث تولد علاقة مباشرة بين الأصيل والغير الذي تعاقده معه النائب، وقد اخذ قرار وزير السياحة المصري رقم (٣٤٣) لسنة ١٩٧٤ بمهذ المبادئ فطبقتها على شركات السياحة ووكالات السفر والسياحة التي تنوب عن النزلاء في التعاقد مع الفنادق، والاستجابة في الوقت نفسه لدواعي النظام العام^(٧٧).

هذا، ويلاحظ وبحق، أن عقد الفندقية هو من العقود الرضائية، إذ ينعقد بمجرد تلاقي إرادتي صاحب الفندق والنزيل، فيكون لصاحب الفندق الحق في أن يقبل التعاقد مع النزيل من عدمه لأن هذا يتصل

٧٣- ينظر المادة/٧٩ من القانون المدني العراقي النافذ رقم(٤٠) لسنة(١٩٥١)، تقابلها المادة /٩٠ من القانون المدني المصري رقم(١٣٠) لسنة(١٩٤٨).

٧٤- ينظر د. أيمن فوزي المستكاوي، المصدر السابق، ص ١٠٤.

٧٥- ينظر د. سوزان علي حسن، المصدر السابق، ص ١٩٣.

٧٦- ينظر د. احمد مدحت حسن، التشريعات السياحية وعقد الإقامة بالفندق، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢-١٩٩٣، ص ١٤٠.

٧٧- ينظر د. عاطف النقيب، نظرية العقد، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٨، ص ٩٨.

بالحرية العقدية، وهكذا فإن الرفض لا بد من أن يكون له مسوغ قانوني، فالفقه الفرنسي يرى أن صاحب الفندق يتحمل المسؤولية المدنية إذا رفض التعاقد مع عميل معين بدون مسوغ قانوني^(٧٨).

وفي مصر يخول المشرع صاحب الفندق الحق في أن يرفض التعاقد مع نزيل معين إذ قامت لديه أسباب جدية، كان يكون النزيل شخصاً هارياً من السلطات ويريد أن يختبئ في الفندق، أو أن يكون شخصاً مشهوراً عنه سوء السلوك ويسبب إزعاجاً دائماً لنزلاء الفندق، وربما يكون النزيل مريضاً بمرض معدٍ يخشى معه أن ينتقل إلى باقي النزلاء، ومن هنا يقع على عاتق صاحب الفندق عبء إثبات السبب المشروع الذي يستند إليه ويخضع تقدير هذا السبب لسلطة قاضي الموضوع^(٧٩).

ويبدو لنا إن الواقع العملي يثبت أن الحجز في عقد الفندقية قد يتم عن طريق الهاتف، أو عن طريق التلكس، أو عبر شبكة الانترنت.

وطبقاً لأحكام المادة/ ٨٨ من القانون المدني العراقي النافذ التي تنص على أن ((تعبير التعاقد بالتليفون) أو بأية طريقة مماثلة كأنه يتم بين حاضرين فيما يتعلق بالزمان وبين غائبين فيما يتعلق بالمكان)).

ومما تجدر ملاحظته، أن التعبير عن الإرادة بواسطة الهاتف يعد ضمن طريقة التعبير عن الإرادة باللفظ، وهو تعبير شفهي صريح.

وليس أبلغ في الدلالة، على كون التعبير عن الإرادة باستخدام التلكس اقرب ما يكون الى الكتابة على الآلة الطابعة حيث يترك التلكس أثراً مادياً، وهو عبارة عن نبضات (الكثرونية).

هذا وان مفهوم التعاقد عبر شبكة الانترنت يقترب جداً من مفهوم التعاقد عن طريق الهاتف، فالتعاقد عن طريق الكمبيوتر هو تعاقد بين حاضرين من حيث الزمان وما بين غائبين من حيث المكان^(٨٠). ولعل التعاقد لا يتم إلا اذا كان هناك وسيلة اتصال بين هذه الأجهزة الالكترونية أي وجود شبكة كومبيوتر يستطيع المشترك في تلك الشبكة الاتصال مباشرة مع أي مشترك آخر يمتلك الجهاز ذاته وفقاً لرقم أو إشارة أو كلمة معينة^(٨١).

ومن هنا فان عقد الفندقية ينعقد أيضاً إذا تم بأحد هذه الوسائل المذكورة، أي متى تبادل الطرفان التعبير عن إرادتهما ومتى تطابق الإيجاب مع القبول، انعقد العقد وأصبح باتاً ملزماً لطرفيه (صاحب الفندق والنزيل)^(٨٢). ويلاحظ أحياناً أن يدفع النزيل مبلغاً من المال عند إبرام عقد الفندقية ويسمى هذا

٧٨- ينظر: Jacques Mester, Hotelier-Logeur, Ency Dalloze, Civ.n.14. نقلاً عن د. حسن حسين البراوي، المسؤولية المدنية لصاحب الفندق، ص ٦٢٢.

٧٩- ينظر د. محمد عبد الظاهر حسين، المصدر السابق، ص ٥٤.

٨٠- ينظر د. عصمت عبد المجيد بكر، مصادر الالتزام في القانون المدني (دراسة مقارنة)، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٤١-٤٢.

٨١- ينظر د. مندى عبد الله محمود الحجازي، التعبير عن الإرادة عن طريق الانترنت وأنبات التعاقد وفقاً لقواعد الفقه الإسلامي والقانون المدني (دراسة مقارنة)، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٠، ص ٥٥.

٨٢- ينظر د. حسن حسين البراوي، المسؤولية المدنية لصاحب الفندق، المصدر السابق، ص ٦٢٤.

المبلغ العربيون^(٨٣). فإذا عدل النزول عن الإقامة في الفندق بعد دفعه العربيون يضيع أو وجب عليه تركه، هذا وإذا كان صاحب الفندق هو الذي عدل فانه يلزم برد العربيون ومعه مبلغ مساو^(٨٤). وبناءً على ذلك، إن لم يعدل احد الطرفين عن عقد الفندقة أصبح العقد باتاً، وأعتبر دفع العربيون تنفيذاً جزئياً لهذا العقد^(٨٥).

ثانياً: صحة التراضي في عقد الفندقة

تأسيساً على ما سبق ذكره، لا يكفي أن يكون التراضي موجوداً عند التعاقد في عقد الفندقة، بل يشترط أيضاً أن يكون صحيحاً أي يكون صادراً من ذي أهلية لطرفي عقد الفندقة ودون أن تكون إرادة احد المتعاقدين مشوبة بعيب من عيوب الإرادة طبقاً للقواعد العامة^(٨٦).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن عقد الفندقة كغيره من العقود التجارية، مما يستلزم منا، والحال كذلك، أن نبحث عن الأهلية التجارية للطرفين إضافةً لما سبق بحثه في هذا العقد، فمن المؤكد أن ما نقصده بالأهلية في عقدنا هذا هو أهلية الاداء، أي صلاحية المتعاقد في عقد الفندقة للقيام بالأعمال القانونية ذات الصبغة التجارية^(٨٧). وهي لاشك، تعد ارفع ما يطلبه القانون من درجات الأهلية للتصرف، حيث تقتضي توافر إرادة واعية بصيرة لما تتجه إلى أحداثه من اثر قانوني، الأمر الذي يتطلب كمال الإدراك والتميز، ومن هنا ولما يكون مناط أهلية الاداء في عقد الفندقة هو كمال التمييز والإدراك فإنها تندرج مع تدرجهما في الإنسان تبعاً للسن وتتأثر بما قد يعتريهما من عوارض تنقص منهم أو تعدمهم^(٨٨). إذ أن من المقرر وكقاعدة عامة، يشترط لإبرام عقد الفندقة الا يكون احد المتعاقدين غير مميز، أي طفل لم يبلغ سن السابعة أو يعتريه عارض من عوارض الأهلية مثل الجنون والعتة، وإلا فان إبرامه لهذا العقد يعد باطلاً^(٨٩). بيد أن ناقص الأهلية، الذي يكمل سن الخامسة عشرة من العمر ولكنه لم يبلغ الثامنة عشرة كاملة، فان أراد مباشرة الأعمال الفندقية فلا بد أن يكون ذلك بإذن من المحكمة، ولعل ما تتسم به هذه الأعمال من المخاطر على أمواله لهذا فعقد الفندقة يقوم على فكرة المضاربة ومما يجعله حتماً يتصف بالمخاطرة، وهذا

٨٣- ينظر في هذا الشأن الفقرة الأولى من المادة/٩٢ من القانون المدني العراقي النافذ، تقابلها الفقرة الأولى من المادة/١٠٣ من القانون المدني المصري.

٨٤- ينظر في نص الفقرة الثانية من المادة/٩٢ من القانون المدني العراقي، والتي تقابلها الفقرة الثانية من المادة/١٠٣ من القانون المدني المصري.

٨٥- ينظر د. محمد حسن قاسم و د. محمد السيد الفقي، أساسيات القانون، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٩٥

٨٦- ينظر د. احمد مدحت حسن، المصدر السابق، ص ١٤٥.

٨٧- ينظر د. حمدي عبد الرحمن و د. رضا عبد الحلیم عبد الحميد، مبادئ القانون، نظرية القانون، نظرية الحق، مطابع جامعة المنوفية، بدون ذكر سنة الطبع، ص ٣٥٩-٣٦٠.

٨٨- ينظر د. محمد فهمي الجوهري، القانون التجاري، الأعمال التجارية ونظرية التاجر والمحل التجاري، مكتبة تحفة الشرق، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٨٠.

٨٩- لمزيد من التفصيل، انظر في هذا الشأن المواد/٩٦/٩٧/١٠٧/١٠٨/١٠٩/١١٠ من القانون المدني العراقي النافذ، تقابلها في القانون المدني المصري المواد ٤٥/١١٠/١١٤/١٦٥.

يعني انه لا يستطيع احتراف القيام بالأعمال التجارية إلا بإذن المحكمة^(٩٠). ولكن كاملي الأهلية، وهم ممن أكملوا سن الثامنة عشرة^(٩١). ولا يوجد عارض من عوارض الأهلية فهؤلاء يحق لهم إبرام عقد الفندقة^(٩٢)، وهكذا فلا بد من بحث الأهلية المطلوبة لطرفي عقد الفندقة وبشكل أكثر دقة وتخصيصاً وهما (صاحب الفندق والنزيل) وذلك كما يأتي:-

١- أهلية صاحب الفندق

يعتبر صاحب الفندق تاجراً، ويحترف العمل التجاري وذلك وفقاً لأحكام الفقرة الأولى من المادة "السابعة" من قانون التجارة العراقي النافذ^(٩٣). لذا يجب أن يكون متمتعاً بأهلية الاتجار، أي أن يكون قد بلغ سن الرشد، فإذا كان صغيراً غير مميز فانه لا يحق له أن يباشر أي عمل من أعمال الفندقة وإلا كان تصرفه باطلاً^(٩٤).

بيد أن الصغير المميز، وهو الذي تجاوز السابعة وبلغ سن الخامسة عشرة، فإذا باشر عملاً فندقياً من دون أن يكون له حق له في الإجازة وطبقاً للقواعد العامة. فتصرفه يعد باطلاً، أما إذا إذن له بتوافر الشروط المطلوبة فان تصرفاته في نطاق الإذن تعد صحيحة^(٩٥).

٢- أهلية النزيل

يعد عقد الفندقة بالنسبة للنزيل من أعمال الإدارة، فمن ينزل في فندق للسكنى ولتناول الطعام والشراب، إنما يدفع المقابل عادة من دخله لا من رأسماله، وينبغي على ذلك، إن البالغ سن الرشد يستطيع إبرام عقد الفندقة، ويختلف الحال بالنسبة لعدم الأهلية فانه لا يملك إن يبرم هذا العقد، فإذا ابرمه كان باطلاً، ولعل عقد الفندقة الذي يبرمه ناقص الأهلية يكون صحيحاً باعتبار أن هذا العقد من أعمال الإدارة^(٩٦).

٩٠- ينظر في هذا الشأن المادة /٩٨ من القانون المدني العراقي والتي تنص أن: ((لولي بتخصيص من المحكمة أن يسلم الصغير المميز إذا أكمل الخامسة عشرة مقداراً من ماله...)) تقابلها المادة/١١٢ من القانون المدني المصري إذ تقتضي هذه المادة بأنه:-((إذا بلغ الصغير المميز الثامنة عشرة من عمره واذن له في تسلم أمواله لإدارتها وتسلمها بحكم القانون...)).

٩١- من الجدير بالملاحظة أن قانون التجارة العراقي لم يحدد سناً معيناً للأهلية التجارية. إذ انه وحد الأحكام المتعلقة بالأهلية في المسائل المدنية والتجارية وصياغتها الواردة في القانون المدني. فعلياً الرجوع في الأهلية التجارية الى أحكام القانون المدني العراقي الخاص بالأهلية إذ تقتضي المادة/١٠٦ منه على أن((سن الرشد هي ثماني عشرة سنة كاملة)). وكذا وحد المشرع المصري سن الرشد المدني وسن الرشد التجاري إذ تنص الفقرة الثانية من المادة/٤٤ من القانون المدني المصري((سن الرشد هي إحدى وعشرين سنة ميلادية كاملة)) وتنص المادة/٤ من قانون التجارة= المصري رقم(١٧) لسنة ١٩٩٩ على انه((يسوغ لمن بلغ سنة إحدى وعشرين سنة كاملة أن يشتغل بالتجارة)).

٩٢- الأصل كمال الأهلية، فالكل يعتبر اهلاً لإبرام العقد، ما لم تسلب أهليته او يحد منها القانون. انظر في هذا الشأن المادة/٩٣ من القانون المدني العراقي النافذ. وتقابلها المادة/١٠٩ من القانون المدني المصري.

٩٣- ينظر الفقرة الأولى من المادة " السابعة" من قانون التجارة العراقي النافذ، رقم (٣٠) لسنة ١٩٨٤.

٩٤- إبطال العقد لنقص الأهلية أثره التزام ناقص الأهلية برد قدر النفع الحقيقي الذي عاد عليه، وعدم التزامه برد ما أضعاه او انقصه في غير مصلحته، الالتزام بالرد أساسه الإثراء بلا سبب، وهذا ما قضت به محكمة النقض في الطعن رقم(٤٥) لسنة(٤٦) قضائية، جلسة ١٥/٣/١٩٧٩، السنة ٣٠، العدد ٣، ص ٣١٠.

٩٥- ينظر د. نادرة محمود سالم، المصدر السابق، ص ٧٨.

٩٦- ينظر د. عزت مصطفى الدسوقي، التشريعات السياحية، الطبعة الأولى، بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع، ١٩٩٧،

ص ٥١-٥٠.

من جانب آخر، ففيما يتعلق بالشرط الثاني لصحة التراضي والذي يجب أن لا تكون إرادة احد المتعاقدين مشوبة بعيب من عيوب الإرادة، وعليه يمكن القول ان هناك عيبان يمكن تصورهما في هذا العقد وهما: أما الغلط في شخص النزيل، او أن يكون الغلط في العين المعدة للإقامة^(٩٧).

١- الغلط في شخص النزيل

يلاحظ، أن الأصل في هذا الغلط أن لا تأثير له على العقد، فيستوى لدى صاحب الفندق أن يتعاقد مع شخص أو آخر، كما لو تعاقد مع شخص على انه محام ثم يتبين له انه موظف.

بيد أن الغلط يكون في صفة النزيل جوهرياً اذا كانت شخصيته محل اعتبار^(٩٨). كأن يؤجر صاحب الفندق غرفة لسيدة وكان يعتقد أن سلوكها لا غبار عليه ثم يتضح انها سيدة سيئة السمعة، ففي هذه الحالة يكون العقد باطلاً، نظراً لسمعة النزيلة تكون محل اعتبار عند المؤجر (صاحب الفندق)^(٩٩).

٢- الغلط في العين المعدة للإقامة

قد يقع الغلط في وصف من أوصاف العين على إن يكون محل اعتبار، فان العقد يكون قابلاً للإبطال، فعلى سبيل المثال يتعاقد النزيل على إن تكون العين المعدة للإقامة جناحاً أو غرفة فخمة، وإذا بالعين غرفة بسطح الفندق^(١٠٠).

الفرع الثاني: المحل في عقد الفندقية

يُعد المحل الركن الثاني من أركان عقد الفندقية، ولعل محل العقد يتجسد في كونه العملية القانونية التي تراضى الطرفان على تحقيقها، ونظراً إلى أن تحقيق هذه العملية القانونية لا يتم إلا عن طريق إنشاء التزامات على عاتق الطرفين او على عاتق احدهما والسؤال الذي ينقدح في الذهن هو: - ما المراد من العملية القانونية التي يهدف إليها المتعاقدان في عقد الفندقية؟ وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول: إن المراد من هذه العملية هو الانتفاع من الإقامة في مقابل اجر، وهذه العملية القانونية لا تتحقق إلا عن طريق إنشاء التزام يقضي بالانتفاع بالإقامة يلقي على عاتق صاحب الفندق، والتزام بدفع الأجر يلقي على عاتق النزيل^(١٠١).

٩٧- ينظر د. احمد مدحت حسن، المصدر السابق، ص ١٤٦.

٩٨- ينظر د. مصطفى محمد الجمال، مصادر الالتزام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٥٤.

٩٩ ينظر د. نبيل إبراهيم سعد، النظرية العامة للالتزام، ج الأول، مصادر الالتزام، دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ١٦٧-١٦٨.

١٠٠- ينظر د. رأفت محمد حماد، المصدر السابق، ١٠٥.

١٠١- ينظر د. مصطفى محمد الجمال، القانون المدني في ثوبه الإسلامي، مصادر الالتزام، شرح مفصل لإحكام التقنينات العربية المستمدة من الفقه العربي والمستمدة من الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى، الفتح للطباعة والنشر، الأزاريطة، الإسكندرية، بدون ذكر سنة الطبع، ص ١٣٥.

ويبدو أن الحل في هذا العقد يتصل بثلاث مسائل، يتوجب علينا توضيحها ألا وهي: - المسألة الأولى هي منفعة الشيء المعد للإقامة، والثانية مدة عقد الإقامة، والمسألة الثالثة، المقابل الذي يلتزم النزيل بسداده^(١٠٢).

أولاً: منفعة الشيء المعد للإقامة

تنصب منفعة الشيء على المكان الذي يوفره صاحب الفندق للنزيل للانتفاع به. سواء كان غرفة أو جناحاً، بما فيه من منقولات من أسرة ومناضد ودواليب وكراسي، وهناك ملحقات الشيء المعد للإقامة ينتفع بها النزيل كدورات المياه والحمامات، وكذا ينتفع النزيل باستخدام مرافق الفندق المشتركة مثل السلم والمصعد وكذا المطعم والحديقة والسطح^(١٠٣).

ومن هنا يشترط في الحل أي(منفعة الشيء المعد للإقامة) ان يكون موجوداً أو ممكناً الوجود، وهكذا يجب أن تكون الغرفة موجودة او من الممكن وجودها في المستقبل، وكذا يشترط في الحل أن يكون معيناً أو قابلاً للتعين، أي أن يكون معيناً تعيناً نافياً للجهالة^(١٠٤). فعلى سبيل المثال لو تعهد صاحب الفندق للنزيل بإعطائه غرفة تطل على نهر مباشرة، فان هذا العقد سينعقد للتحديد النافي للجهالة من قبل صاحب الفندق^(١٠٥).

ويشترط أيضاً في الحل أن يكون مشروعاً وقابلاً للتعامل فيه، ومعنى كونه مشروعاً يتوجب أن لا يكون مخالفاً للنظام العام أو للآداب، وإلا كان العقد باطلاً. ومثال ذلك تأجير بعض غرف الفندق الذي سبق أن وضعت عليه إشارة الحجز أو قرر قضائياً بأنه آيل للسقوط^(١٠٦).

ثانياً: مدة عقد الإقامة

يتسم عقد الفندقية بكونه من عقود المدة، كما ذكرناه آنفاً، إذ تتحد فيه مدة انتفاع النزيل بمكان الإقامة، ولا يوجد حد أقصى أو أدنى لمدة هذا العقد وان كانت الإقامة في الفندق عادة لمدة قصيرة^(١٠٧). وإذا أمعنا النظر، فهناك سؤال يتبادر إلى الذهن وهو: - ماذا لو سكت النزيل وصاحب الفندق عن تحديد مدة الإقامة؟ وللإجابة عن ذلك نقول: لقد جرى العرف لدينا وفي بعض البلدان العربية نحو مصر مثلاً، على أن للنزيل أن يضع حداً لمدة الإقامة بان يخطر إدارة الفندق برغبته في الترك ويكون هذا الأخطار عادة قبل ظهر يوم الترك نفسه، وهذا العرف قُنن في الفقرة الثانية من المادة/١٥ من قرار وزير السياحة المصري رقم(٣٤٣) لسنة ١٩٧٤ إذ تنص(إذا كانت الإقامة غير محددة المدة وجب إخطار

١٠٢- ينظر د. أيمن فوزي المستكاوي، المصدر السابق، ص ١١٣.

١٠٣- ينظر د. محمد عبد الوهاب خفاجي، المصدر السابق، ص ١٣٢.

١٠٤- ينظر د. انور سلطان، المبادئ القانونية العامة، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٣٠٩.

١٠٥- ينظر د. احمد مدحت حسن، المصدر السابق، ص ١٤٢.

١٠٦- كما انه لا يجوز لموضوع العقد(محل العقد) ان يقع على ما يخالف النظام العام، كذلك لا يجوز ان يتعارض مع الآداب العامة، وهي مجموع المبادئ السلوكية والمفاهيم الأخلاقية الخاصة بمجتمع معين في زمن معين، نقلاً عن د. مصطفى العوجي، القانون المدني، ج الأول، العقد مع مقدمة في الموجبات المدنية، الطبعة الأولى، مؤسسة بحسون، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٨٥.

١٠٧- ينظر في الفقرة الأولى من المادة/١٥ من قرار وزير السياحة المصري رقم(٣٤٣) لسنة ١٩٧٤ إذ تنص انه(على العملاء بالمنشآت الفندقية إخلاء الأماكن التي يشغلونها في نهاية المدة المتفق عليها) نقلاً عن د. محمد محمد خليل، المصدر السابق، ص ١٧١.

المنشأة بالإخلاء خلال المواعيد التي تحددها إدارة المنشأة وتعلنها للنزيل والالتزام بأداء اجر اليوم التالي^(١٠٨).

ثالثاً: المقابل الذي يلتزم بسداده النزيل

مما تجدر الإشارة إليه، أن يلتزم النزيل بسداد بعض المبالغ نظير إقامته بالفندق ونظير الخدمات الأخرى التي تقدم له كوجبات يتناولها من مأكّل ومشرب، فيحسب هذا بمبلغ يضاف إلى اجر الإقامة ويسمى هذا الخليط بنظام (الإقامة الكاملة)، هذا يعني أن النزيل يسدد مبلغاً مجملاً يشمل مقابل الإقامة ومقابل الوجبات الثلاثة في اليوم، وهكذا فإن اجر الإقامة الكاملة يكون عادة اقل من اجر الإقامة وتناول الطعام على حدة، وهذا النظام اختياري للنزيل، بمعنى انه لا يجوز إجباره عليه^(١٠٩).

من هنا فقد يضاف جزء من مقابل الوجبات إلى مقابل الإقامة كما لو كانت وجبة الفطور إجبارية، يضاف المبلغ إلى اجر الغرفة سواء تناولها النزيل أم لم يتناولها، وتسير اغلب الفنادق على هذا النظام، ويضاف لمقابل الإقامة مبلغ وجبتين وجبة الفطور ووجبة أخرى هي الغداء أو العشاء حسب رغبة النزيل ويسمى هذا بنظام (نصف إقامة)، وقد يكون مقابل الوجبات منفصلاً تماماً عن مقابل الإقامة. وعليه فإن النزيل ينزل بالفندق للسكن فقط دون أن يكون مقيداً بتناول الوجبات. وأحياناً أخرى يلتزم النزيل بسداد مبالغ نظير ارتياده بعض مرافق الفندق نحو نوادي الرياضة، وحمام السباحة وغيرها، بيد أن هناك مبلغاً يحصل عليه العامل مباشرة من النزيل والذي يسمى منحة اليد (الخلوان) فهذه المنحة عبارة عن مبلغ اختياري يجوز للنزيل أن يدفعه أو لا يدفعه، لذا فهي لا تدخل ضمن المقابل الذي يلتزم بسداده النزيل^(١١٠).

الفرع الثالث: الباعث الدافع إلى التعاقد

يقصد بالباعث الدافع: هو الغرض البعيد أو غير مباشر الذي جعل الملتزم يتعاقد، ففي عقد الفندقية لعل الباعث الدافع لصاحب الفندق هو الحصول على الأجرة كمقابل لما يقدمه من سكنى وخدمات أخرى متعددة، وبحسب الأحوال والاتفاق.

أما فيما يتعلق بالباعث الدافع للنزيل فيكون هو الانتفاع من النزول في فندق لإغراض قد تكون سياحية أو دينية أو علاجية أو غيرها.

وليس أبلغ في الدلالة على أن الباعث الدافع هو السبب للتعاقد، الذي يكون متغيراً بالنسبة لكل عقد وبالنسبة لكل متعاقد وهذا أمرٌ شخصي يتعلق بنوايا الملتزم^(١١١). وهذا ما يذهب إليه رجال الفقه والقضاء في النظرية الحديثة، فقد اخذوا بفكرة الباعث الرئيس الدافع للتعاقد كسبب للعقد، لان البواعث

١٠٨- ينظر د. عزت مصطفى الدسوقي، المصدر السابق، ص ٥١.

١٠٩- ينظر د. احمد مدحت حسن، المصدر السابق، ص ١٥٠-١٥١.

١١٠- ينظر د. محمد محمد خليل، المصدر السابق، ص ١٧٥-١٧٦.

١١١- ينظر د. سعيد سعد عبد السلام، مصادر الالتزام المدني، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢-٢٠٠٣،

الإرادية كثيرة ومتنوعة، واشترط في هذا الباعث أن يكون مشروعاً، وكذا أن يكون معلوماً من الطرف الأخر أو من السهل عليه أن يتبينه^(١١٢).

وهكذا، ففي عقدنا هذا (عقد الفندقية) لو اقترض شخصٌ مبلغاً من المال من شخص آخر لتأجير غرفة في فندق لممارسة أعمال مشبوهة فالباعث لدى (المقترض) غير مشروع، فعقد القرض يعد صحيحاً إذا كان الطرف الأخر (المقرض) يجهل هذا الباعث غير المشروع، ويعد العقد باطلاً إذا علم (المقرض) بهذا الباعث غير المشروع أو من السهل عليه أن يتبينه^(١١٣).

وبهذا يتبين أن الباعث الدافع، يختلف عن السبب القسدي، أي سبب الالتزام والذي يعرف: بأنه الغرض المباشر الذي يقصد الملتزم الوصول إليه من وراء التزامه، وهذا ما اخذ به الفقهاء أصحاب النظرية التقليدية، فانه يُعتمد بالسبب القسدي، هذا وان السبب لا يتغير بالنسبة لكل طائفة من العقود.

فمثلاً في العقود الملزمة للجانبين سبب التزام كل طرف في العقد هو التزام المتعاقد الأخر، بيد أن هذه النظرية اعترافاً بقصور شديد لإهمالها البواعث وعدم تقديرها لصحة أو بطلان العقود، فتعرضت للانتقاد من قبل أصحاب النظرية الحديثة أو نظرية الباعث الدافع إلى التعاقد^(١١٤).

ومما تجدر ملاحظته، أن المشرع المصري اخذ بنظرية السبب أو الدافع إلى التعاقد، وذلك وفقاً لأحكام المادتين/١٣٦ و١٣٧ من القانون المدني المصري، بيد أن المشرع العراقي اخذ بالنظريتين معاً، نظرية سبب الالتزام ونظرية سبب العقد أو الباعث الدافع إلى التعاقد، وهذا ما تقتضي به المادة/١٣٢ من القانون المدني العراقي^(١١٥).

وبناءً على ذلك، فان نصوص القواعد العامة يمكن أن تعيننا للإلمام بالأحكام التي تتعلق بآركان هذا العقد، فيجدر بالمشروع الاستفادة من تلك النصوص لوضع قواعد تفصيلية تتعلق بآركان عقد الفندقية.

المبحث الثاني: الطبيعة القانونية لعقد الفندقية

إن العلاقات القانونية المترابطة والمتشابكة التي تنشأ في فندق ما، كانت السبب وراء الصعوبة في تحديد الطبيعة القانونية لهذا العقد، ذلك أن تحديد طبيعة العقد معناه إضفاء الوصف القانوني له عن طريق إعطائه اسماً من الأسماء المعروفة حتى يمكن تطبيق أحكامه عليه، إذ يلاحظ وبحق، أن عقد الفندقية يلقي التزامات متنوعة ومترابطة على عاتق صاحب الفندق، منها مثلاً أن يلتزم بتأمين النزول من الانتفاع بالمكان المعد للإقامة.

١١٢- ينظر د. رمضان أبو السعود، النظرية العامة للالتزام، مصادر الالتزام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص ١٩٨-١٩٩.

١١٣- ينظر د. محي الدين إسماعيل علم الدين، العقود المدنية الصغيرة في القانون المدني والشريعة الإسلامية والقوانين العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون ذكر سنة طبع، ص ٨٢.

١١٤- ينظر د. علي نجيدة، العقود المسماة، عقد الإيجار، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ١٩٨.

١١٥- ينظر صباح المفتي، القانون المدني وتعديلاته، مكتبة الشعب، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٢ وكذلك انظر السبب في القانون

المدني العراقي المنشور على الموقع الالكتروني: www.scribd.com/doc/20915366.

من هنا ظهرت العديد من الآراء الفقهية، بشأن تحديد طبيعة هذا العقد، والتي سنتعرض لها ضمن فروع متعاقبة على النحو الآتي:-

المطلب الاول: عقد الفندقة عقد إيجار Lease Contract

يذهب جانب من الفقه الى القول: بان عقد الفندقة هو عقد إيجار، ولعل أوجه التشابه بين العقدين هو الذي دفع بهذا الاتجاه، ذلك أن عقد الإيجار وفقاً للمادة/٧٢٢ من القانون المدني العراقي النافذ التي تقضي بأنه ((تمليك منفعة معلومة بعوض معلوم لمدة معلومة وبه يلتزم المؤجر أن يمكن المستأجر من الانتفاع بالمأجور))^(١١٦).

ويؤكد هذا التعريف على وجود التقارب بين العقدين، وما يترتب عليهما من التزامات، وهذا ما حدا بالفقه هنا، أن يجزم بان الطبيعة القانونية لهذا العقد هو كونه عقد إيجار، وخاصة في التزام المؤجر الذي نصطرح عليه بـ(صاحب الفندق) بتمكينه المستأجر الذي نصطرح عليه بـ(النزيل) من العين المؤجرة(الغرفة) وتسليمها اليه صالحة للغرض الذي من اجله تم التأجير^(١١٧). وكذا على صاحب الفندق أن يمتنع عن كل ما من شأنه أن يحول دون انتفاع النزيل بالعين المؤجرة، وهذا ما يعبر عنه بالتزام صاحب الفندق بضمان عدم التعرض المادي سواء منه او من احد تابعيه، هذا ويضمن صاحب الفندق كل تعرض من الغير للنزيل أو إضرار به، وفي مقابل ذلك يلتزم النزيل بمراعاة مدة العقد والأجرة المحددة فيه، وفي ذلك يتشابه مع أحكام عقد الإيجار^(١١٨). وهذا ما ذهب إليه القضاء العراقي في القرار الصادر من محكمة استئناف كربلاء الاتحادية بتاريخ ١٦/١/٢٠١١ بالعدد ١٠/ت/حقوقية/تحلية/ ٢٠١١، حيث أقامت المدعية (س) الدعوى لدى محكمة بداءة الهندية على المدعي عليه فادعت أن المدعي عليه يشغل(المحل) بصفة مستأجر ببدل سنوي مقداره ثلاثة ملايين دينار، ولانتهاء مدة العقد وعدم رغبة

١١٦- ينظر المادة/٥٥٨ من القانون المدني المصري وهي تقابل الحكم المشار إليه أعلاه. وكذا نص المادة/٥٣٣ من قانون الموجبات والعقود اللبناني الصادر في (٩) اذار ١٩٣٢ والمنشور في الجريدة الرسمية ملحقاً بالعدد رقم (٢٦٤٢) والمؤرخ في (١١) نيسان ١٩٣٢. نقلاً عن د. نزيه كباره، العقود المسماة، البيع-الإجارة-الوكالة-الكفالة، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ٢٠١٠، ص ١٧٣. وهذا هو أيضاً ما تنص عليه المادة/١٧٠٩ من القانون المدني الفرنسي الصادر في تشريع ٢/ ابريل/١٩٤٩.

١١٧- ينظر في هذا الشأن، المادة/٥٦٤ من القانون المدني المصري، وكذا انظر الفقرة الأولى من المادة/٧٢٠ من القانون المدني الفرنسي((والتي يلزم المؤجر بتسليم العين المؤجرة في حالة حسنة من التزميم بجميع أنواعه))، أما عن المادة/٧٤٢ من القانون المدني العراقي النافذ اذ تنص ((على المؤجر بعد قبضه الأجر...، أن يسلم المأجور للمستأجر بالحالة التي عليها وقت العقد...)) ويتضح أن المشرع لم يلزم المؤجر بتسليم المأجور بحالة يصلح معها لتحقيق ما اعد له من منفعة، فحاء قانون إيجار العقار المرقم(٨٧) لسنة ١٩٧٩ لحسم كل خلاف حول الحالة التي يجب عليها تسليم المأجور وذلك وفقاً لأحكام المادة/٨ من هذا القانون إذ تنص((على المؤجر أن يسلم المأجور بحالة تصلح للانتفاع به وفق العقد)) نقلاً عن د. جعفر الفضلي، الوجيز في العقود المدنية، البيع-الإيجار-المقاوله، دراسة في ضوء التطور القانوني معززة بالقرارات القضائية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧، ص ٢٣٢.

١١٨- ينظر د. رمضان أبو السعود، العقود المسماة، عقد الإيجار، الأحكام العامة في الإيجار، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ٤٠٤-٤٠٥.

المدعية بتجديده طلبت الحكم بالتخلية، فأصدرت المحكمة قرارها بإلزام المدعي عليه بتخلية المحل أعلاه وتسليمه للمدعية^(١١٩).

ولعل من المقرر قانوناً أن عقد الإيجار ينتهي بانتهاء المدة المحددة فيه ودون حاجة الى تنبيه بالإخلاء، وهذا ما تقتضيه به الفقرة الأولى من المادة/٧٧٩ من القانون المدني العراقي.

من جانب آخر، فان عقد الفندقية يعد من عقود الإيجار من حيث التمتع بحقوق الامتياز التي اقرها القانون لكل من المؤجر وصاحب الفندق، اذ تقتضي المادة/١٣٧٤ من القانون المدني العراقي النافذ أن للمؤجر حق امتياز على ما يوجد في العين من منقولات ضماناً لحقه في الأجرة^(١٢٠).

وهكذا الحال بالنسبة لحق صاحب الفندق في الامتياز، وذلك طبقاً لما تقرره الفقرة الأولى من المادة/١٣٧٥ من القانون المدني العراقي النافذ، على امتياز صاحب الفندق والتي تنص على أن ((المبالغ المستحقة لصاحب الفندق في ذمة النزول عن أجرة الإقامة والمؤنة ومما صرف لحسابه يكون لها امتياز على الأمتعة التي احضرها النزول في الفندق وملحقاته))^(١٢١).

ويبدو لنا، أن البعض من أنصار هذا الرأي، نظروا لهذا العقد-الفندقية- من زاوية واحدة، ألا وهي زاوية التزام صاحب الفندق بتوفير مكان ليقوم فيه النزول. وتأسيساً على ذلك تم تسمية وتكييف هذا العقد على انه عقد إيجار^(١٢٢).

وعلى الرغم من هذا التشابه بين عقدي الفندقية والإيجار، فان ذلك لا يمنع من وجود بعض الفوارق أو الاختلافات ولعل من أبرزها:-

١- يختلف عقد الإيجار عن عقد الفندقية من حيث صفة العمل، فالإيجار بالنسبة للمؤجر الأصل فيه انه عمل مدني، بيد أن التأجير بالنسبة لصاحب الفندق فهو عمل تجاري يقوم على سبيل الاحتراف والتكرار^(١٢٣).

وهذا مما يترتب اختلاف القواعد الواجبة التطبيق على كل منهما، حيث تطبق قواعد القانون المدني على عقد الإيجار، وقواعد قانون التجارة على عقد الفندقية^(١٢٤).

١١٩- لمزيد من التفصيل، انظر(القرار) الصادر من محكمة استئناف كربلاء الاتحادية، بتاريخ ١٦/١/٢٠١١، العدد/١٠/ت/حقوقية/ تخلية/ ٢٠١١ والمنشور على الموقع الالكتروني: e-mail: hjc.keac 2008@yahoo.com

١٢٠- ينظر المادة/١١٤٣ من القانون المدني المصري وهي تقابل الحكم المشار إليه أعلاه.

١٢١- ينظر المادة/١١٤٤ من القانون المدني المصري وهي تقابل الحكم المشار إليه أعلاه. وكذا نص الفقرة الخامسة من المادة/٢١٠٢ من القانون المدني الفرنسي إذ أعطت لصاحب الفندق امتيازاً على الأمتعة والأغراض الخاصة بالمسافر التي اصطحبها معه إلى الفندق.

١٢٢- (يقصد بتكييف عقد الفندقية: هو تحديد طبيعته أو ماهيته أو هو الوصف القانوني للعقد عن طريق إعطائه اسماً من الأسماء ولا يتسنى للقاضي أن يقوم بمجده العملية القانونية إلا إذا أحاط بخصائص هذا العقد، وبعد أن يقوم بتفسير إرادة المتعاقدين للوقوف على حقيقة ما أجهت إليه الإرادة. وعليه بعد ذلك الموازنة بين اتجاه الإرادة وماهية العقد وتكييفه). انظر في هذا الشأن تمييز ١٩٨١/٥/٢، مجموعة القواعد القانونية التي قررتها محكمة التمييز القسم الاول، المجلد الثاني، يناير ١٩٩٤، ص٢٩٨، نقلاً عن د. احمد السعيد الزقرد، عقد الرحلة، دراسة في التزامات ومسؤولية وكالات السياحة والسفر، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠٠٨، ص٣٠.

١٢٣- ينظر د. حمدي عبد الرحمن، الوسيط في شرح أحكام عقد الإيجار، ج الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨، ص٣٧٢.

٢- وتختلف العلاقة بين المؤجر والمستأجر في عقد الإيجار عنها بين صاحب الفندق والنزيل في عقد الفندقة من حيث واقع الإقامة، إذ يلاحظ وبحق، أن صاحب الفندق يلتزم بان يوفر للنزيل غرفةً ليقوم فيها، وكذا يلتزم بان يوفر للنزيل سلسلة من الخدمات الأخرى لا يمكن الاستغناء عنها كتقديم الطعام وكذا خدمات التليفون، والانترنت، وغيرها من الخدمات والتي تعد ثانوية بالنسبة للالتزام الرئيسي الذي هو إعداد الغرفة، لذا أصبحت هذه الالتزامات من مميزات هذه العلاقة^(١٢٥).

٣- وكما يوجد هناك اختلاف آخر، هو أن صاحب الفندق يتمتع بامتياز بالنسبة للمبالغ المستحقة في ذمة النزيل عن أجره الإقامة والمؤنة وكل ما صرف لحسابه. ويقع هذا الامتياز على الأمتعة التي يحضرها النزيل معه الى الفندق^(١٢٦).

في حين أن المؤجر يتمتع بهذا الامتياز بالنسبة لكل المنقولات الموجودة في العين المؤجرة والقابلة للحجز حين استيفاء مبلغ الأجرة ولو كانت مملوكة للغير او لزوجة المستأجر، وذلك وفقاً لأحكام المادة/٥٨٩ من القانون المدني المصري، وقد طابق هذا النص، ما تقضي به الفقرة الثانية من المادة/١٣٧٤ من القانون المدني العراقي النافذ^(١٢٧). إذ يلاحظ أن صاحب الفندق على عكس المؤجر، فانه لا يفي بالتزاماته بمجرد أن يضع تحت تصرف النزيل مكاناً ينزل فيه، وإنما يجب عليه اتخاذ الإجراءات التي تضمن سلامة نزله، إذ انه ملزم تجاهه بضمان سلامته، بينما المؤجر يتعهد بمجرد التأجير^(١٢٨). قد تبرم العقود ويكون القصد منها المضاربة وتحقيق الربح (المردود الايجابي) بمعنى أن يكون الباعث على العقد تجارياً بصرف النظر عن شخص المتعاقد. سواء كان تاجراً أم لا، ومثال ذلك الشراء لأجل البيع^(١٢٩).

وقد ذكر المشرع العراقي الأعمال التجارية في المادة "الخامسة" من قانون التجارة العراقي النافذ، فهي تعتبر أعمالاً تجارية إذا كانت بقصد الربح^(١٣٠). وذكرت المادة نفسها في الفقرة سابعاً خدمات مكاتب السياحة والفنادق على أنها أعمالاً تجارية. وقد وضحت المادة "السابعة" - أولاً- من القانون أعلاه من

١٢٤- ينظر د. حسن حسين البراوي، المسؤولية المدنية لصاحب الفندق، المصدر السابق، ص ٦٣٢.

١٢٥- ينظر د. محمد عبد الظاهر حسين، المصدر السابق، ص ٢٥.

١٢٦- ينظر د. إين فوزي المستكاوي، المصدر السابق، ص ٦٣-٦٤.

١٢٧- ينظر في الفقرة الثانية من المادة/١٣٧٤ من القانون المدني العراقي، والتي تتضمن أن المنقولات الموجودة في العين يثبت عليها حق امتياز ولو كانت مملوكة للغير اما بالنسبة للمنقولات المملوكة لزوج المستأجر لم يتعرض لها قانونا المدني، فيما اذا كانت هذه المنقولات يثبت عليها حق الامتياز أم لا، بعكس القانون المدني المصري وبحسب المادة/٥٨٩ منه والذي يقرر حق الامتياز يثبت ولو كانت المنقولات مملوكة لزوج المستأجر.

١٢٨- (فإذا اتفق على نزول مسافر في فندق، فان العقد لا يقتصر على التزام صاحب الفندق بتقديم مكان للإيواء، وإنما يلزمه بما يقتضيه الالتزام بالإيواء، ومن هذا القبيل اتخاذ الحيلة والحذر بما يرد على النزيل عائلة ما يتهدد سلامته من مخاطر ويحفظ عليه أمنه وراحته) انظر في هذا= الشان، محكمة النقض في حكمها الصادر في ٢٢ يناير ١٩٨٠، مجموعة المكتب الفني، سنة ٣١، العدد الثالث، رقم(٥٣)، ص ٢٥٥.

١٢٩- ينظر د. منفي طه الحوري، العلاقات القانونية في صناعة الضيافة، الطبعة الأولى، مطبعة الوراق، عمان، ٢٠٠٤،

ص ١٤٦.

١٣٠- ينظر المادة "الخامسة" من قانون التجارة العراقي النافذ رقم(٣٠) لسنة ١٩٨٤ إذ تنص ((تعتبر الأعمال التالية أعمالاً تجارية اذا كانت بقصد الربح. ويفترض فيها هذا القصد ما لم يثبت العكس))، وقد ذكرت هذه المادة الأعمال التجارية من ضمنها - سابعاً - ((خدمات مكاتب السياحة والفنادق والمطاعم ودور السينما والملاعب ودور العرض المختلفة الأخرى)).

هو التاجر اذ تنص (يعتبر تاجراً كل شخص طبيعي أو معنوي يزاوّل باسمه ولحسابه على وجه الاحتراف عملاً تجارياً).

وبناءً على ما تقدم، فان عقد الفندقية يُعدّ عقداً تجارياً بالنسبة لصاحب الفندق على اعتبار كل ما يتعلق بخدمات مكاتب السياحة والفنادق أعملاً تجارياً، أضف لذلك، أن صاحب الفندق ينطبق عليه وصف التاجر ويعد عمله عملاً تجارياً وفقاً لأحكام المادة السابعة من قانون التجارة العراقي النافذ. وهذا يعني أن صاحب الفندق يحترف تقديم خدمات الفندقية للزلاء في مقابل اجر متفق عليه^(١٣١).
ومما تجدر ملاحظته أن علاقة صاحب الفندق بنزيله تظهر صفة الاحتراف والتخصص من جانب الأول بوصفه مهنيّاً ترمس هذا العمل.

وبما أنّ عقد الفندقية عقداً تجارياً تبعاً لما ذكرنا، بالنسبة لصاحب الفندق، فيجوز له إثبات عقد الفندقية بكافة طرق الإثبات كالبينة وشهادة الشهود والقرائن، لان الإثبات في المواد التجارية حر طليق من كل قيد^(١٣٢).

هذا وقد يكون عقد الفندقية بالنسبة للنزيل عقداً مدنياً أو عقداً تجارياً على حسب صفة النزيل حينما يتعاقد مع صاحب الفندق، فإذا كان النزيل شخصاً عادياً يتعاقد بنفسه مع صاحب الفندق فالعقد بالنسبة له عقد مدني.

أما إذا تعاقدت وكالة السفر والسياحة مع صاحب الفندق على حجز غرف لنزلها فالعقد بالنسبة له عقد تجاري، لان وكالة السفر تحترف تقديم خدماتها في مقابل اجر، ولذا فعملها عمل تجاري، والفنادق عموماً تفضل أن تتم عمليات الحجز عن طريق وكلاء السفر حتى يمكنها مطالبتهم بمقابل عدم الإلغاء في حالة عدم تنفيذ هذه الحجوزات، إضافة إلى ذلك فإنها تتبع أصولاً وقواعد معينة عند تعاملها مع الفنادق تمتع ازدواج الحجز أو المطالبة بعمولات غير مستحقة^(١٣٣).

المطلب الثاني: عقد الفندقية عقد ودیعة Deposit Contract

يذهب جانب اخر من الفقه إلى القول، بأنه يمكن تحديد الطبيعة القانونية لعقد الفندقية على أنه عقد ودیعة، نظراً لوجود التقارب بين أحكام العقدين^(١٣٤). فالودیعة وفقاً لأحكام المادة/٧١٨ من القانون المدني المصري ((عقد يلتزم به شخص يتسلم شيئاً من آخر على أن يتولى حفظ هذا الشيء وعلى أن يردّه عيناً))^(١٣٥).

١٣١- ينظر د. محمود مختار احمد بريري، قانون المعاملات التجارية، ج الاول، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٩٣.

١٣٢- ينظر: Crestain, Les obligations, 1980, N.504, p.409. نقلاً عن د. محمد عبد الظاهر حسين، المصدر السابق،

ص ٥٩.

١٣٣- ينظر د. رعد مجيد العاني، إدارة الفنادق مفاهيم سياحية في الإقامة والإيواء، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع،

عمان ٢٠٠٥، ص ١٧٨.

١٣٤- ينظر د. احمد السعيد الزقرد، المصدر السابق، ص ٤٢.

١٣٥- ينظر الاتجاه ذاته، المادة/ ١٩٥١ من القانون المدني الفرنسي.

بينما يعرف الإيداع في القانون المدني العراقي في المادة/٩٥١ منه على إنه: ((عقد به يحيل المالك او من يقوم مقامه حفظ ماله إلى آخر ولا يتم إلا بالقبض))^(١٣٦).

ولا بد من التنويه، أن المشروع التمهيدي للقانون المدني المصري فقد تحدث عن الوديعة الاضطرارية في المادة/١٠١٢ من هذا المشروع، إلا انه قد حذف نص الوديعة الاضطرارية اكتفاءً بالقواعد العامة^(١٣٧). وقد عُد الوديعة الفندقية بمثابة وديعة من نوع خاص.

ويتبين لنا من خلال التعريف، بان الوديعة هي عقد رضائي ملزم لجانب واحد إذا كان بدون اجر، يلتزم به المودع لديه بحفظ الأشياء المودعة لديه^(١٣٨).

ويتوجب أن يكون الالتزام بحفظ الشيء المودع هو الغرض الأساسي من عقد الوديعة^(١٣٩).

وهكذا فان الكثير من التشريعات قد استعرضت أحكاماً وآثاراً تتعلق بالوديعة الفندقية، وليس ابلغ في الدلالة على ذلك ماتقضي به الفقرة الأولى من المادة/٧٢٧ من القانون المدني المصري بقولها: ((على أن يكون أصحاب الفنادق والحانات وما يماثلها فيما يجب عليهم من عناية وحفظ الأشياء التي يأتي بها المسافرون والنزلاء مسؤولين عن فعل المتزدين على الفندق أو الخان))^(١٤٠).

وكذا مما يؤكد هذه الخصوصية لعقد الفندقية ماتنص عليه المادة/٩٧٢ من القانون المدني العراقي^(١٤١).

اذ بينت بان صاحب الفندق انما هو مودع لديه وقد استؤمن ولو باجرة، على تلكم الأشياء والمتعلقات للنزيل، وهو بذلك -صاحب الفندق- مسؤول مسؤولية تعاقدية عن الأضرار التي قد تلحق بالنزيل في كل ما يرتبط بعلاقته بالنزيل.

من الواضح أن كلاً من النصين قد شددوا على مسؤولية صاحب الفندق بحيث يكونا مسؤولين عن كل فعل رائج أو غاد في الفندق.

وفي الوقت ذاته يتوجب على النزيل أن يخطر صاحب الفندق بسرقة الشيء أو ضياعه أو تلفه متى علم بذلك^(١٤٢).

١٣٦ - ينظر تعريف الإيداع في قانون الموجبات والعقود اللبناني في المادة/٩٦٠ منه.

١٣٧ - ينظر د. قدرى عبد الفتاح الشهاوي، أركان عقد الوديعة في التشريع المصري والمقارن مدنياً- جنائياً، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٠٦.

١٣٨ - ينظر د. نبيل إبراهيم سعد، العقود المسماة، الإيجار في القانون المدني وقوانين إيجار الأماكن، الازارطة، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٥٤.

١٣٩ - ينظر د. عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج السابع، المجلد الأول، العقود الواردة على العمل، تنقيح احمد مدحت المراغي، بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع، ٢٠٠٦، ص ٦٣٠.

١٤٠ - ينظر المادة/٧٢٧ من القانون المدني المصري. بحيث اعتبر المشرع الأمتعة الخاصة بالنزلاء في الفندق من قبيل الوديعة الخاصة أي بمثابة الوديعة الاضطرارية، والامر نفسه بالنسبة للمشرع الفرنسي الذي يشبه الوديعة الفندقية بالوديعة الاضطرارية وفقاً لأحكام المادة/١٩٥٢ من القانون المدني الفرنسي.

١٤١ - ينظر المادة/٩٧٢ من القانون المدني العراقي إذ تنص على ((أصحاب الفنادق والحانات والمناوي (البنسيونات) فيما يجب عليهم من عناية بحفظ الأشياء التي يأتي بها النزلاء مسؤولون عن فعل كل رائج أو غاد في الفندق أو الخان أو المئوي...)).

١٤٢ - ينظر د. احمد شوقي محمد عبد الرحمن، النظرية العامة للالتزام، العقد والإرادة المنفردة في الفقه وقضاء النقض المصري والفرنسي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٦٥.

حيث يحدث أحيانا أن يقوم صاحب الفندق بإعفاء نفسه من المسؤولية ويتم الإعفاء أما قبل العقد أو خلال انعقاد العقد، وهنا يستلزم من الأخير، أن يجلب انتباه النزيل لذلك وإشعاره بفقرة الإعفاء من المسؤولية، وفي هذا الشأن صدر الحكم في القضية: [Olley V. Marlborough Court Ltd (1949)] حيث ذهبت المدعية وزوجها إلى أحد الفنادق للإقامة فيه مدة أسبوع وقد دفعا قيمة المأكل والسكن مقدماً، وعند صعودهما إلى غرفتهما لاحظا لافتة معلقة على احد جدران الغرفة تقول(أن أصحاب الفنادق لا يعيدون أنفسهم مسؤولين عن الأشياء التي تفقد أو تسرق إلا إذا كانت قد سلمت إلى المديرين لإيداعها في مكان أمين)، وبسبب إهمال موظفي الفندق تسلل لص إلى غرفة المدعية وزوجها أثناء غيابهما وسرق قسماً من ممتلكاتهما.

فحكم من قبل محكمة الاستئناف، بأن اللافتة المعلقة في الغرفة لا تعد جزءاً من العقد، لأن العقد قد تم قبل أن يصعد الزوجان إلى غرفتهما، وعليه يكون المدعي عليه مسؤولاً عن الفقدان^(١٤٣).

وهذا يعني أن صاحب الفندق كالمودع في عقد الوديعة فإنه يلتزم بحفظ أمتعة النزلاء، وهذا هو ما حدا بالفقه كما يبدو، أن يذهب إلى القول: بأن عقد الفندقية عقد وديعة، ولكن هذا الاتجاه لم يسلم من النقد، نظراً لكون الالتزام الرئيسي في عقد الوديعة هو قيام المودع بحفظ الأشياء المودعة، إذ لا توجد وديعة إذا لم يكن هناك التزام عقدي بالحفظ.

بيد أن الالتزام الرئيسي في عقد الفندقية، هو إعداد وتهيئة المكان الذي يقيم فيه النزيل وكذا يلتزم بالتزامات أخرى من بينها التزامه بحفظ أمتعة النزلاء، وهذا يعني أن التزام صاحب الفندق بحفظ الأمتعة هو التزام ثانوي وليس رئيسي، ذلك أن النزيل عند نزوله في فندق ما، فإنه من الطبيعي إن يجلب معه أمتعته ومتعلقاته الشخصية التي قد يحتاجها خلال فترة إقامته^(١٤٤).

من جانب آخر، فإن المشروع التمهيدي المصري السابق اعتبر الوديعة الفندقية بمثابة وديعة اضطرارية إلا انه قد ألغى، وكذا فعل المشرع الفرنسي، ولعل العنصرين المميزين للوديعة الاضطرارية هما عدم التوقع، والضرورة.

وفي واقع الحال أن هذين العنصرين لا يوجدان باستمرار في عقد الفندقية، هذا وأن أجهزة النشر ووسائل الاتصال ووكالات السفر والسياحة تسمح للنزيل أو المسافر باختيار المكان الذي يريد الذهاب إليه^(١٤٥).

وإذا أمعنا النظر في الوديعة الاضطرارية، نجد أن للمودع لديه مطلق الحرية في قبول الوديعة أو رفضها وهذا يتفق مع مبدأ رضائية العقود، بيد أن هذا الأمر يختلف في عقدنا هذا فصاحب الفندق لا يملك رفض الوديعة الفندقية، إذ إنها جزء لا يتجزأ من عقد الفندقية^(١٤٦).

١٤٣ - ينظر د. مصطفى محمد الجمال، السعي إلى التعاقد في القانون المقارن، السعي إلى التعاقد وسلطان الإرادة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٠٠.

١٤٤ - ينظر د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط، ج الأول، المصدر السابق، فقرة ١١٦، هامش رقم (١) ص ١٩٣.

١٤٥ - انظر المادة/٩٧٣ من القانون المدني العراقي، تقابلها الفقرة الأولى من المادة/٨٢٨ من القانون المدني المصري.

١٤٦ - ينظر د. مجيد حميد العنبيكي، مبادئ العقد في القانون الانكليزي، بدون ذكر اسم الطبعة، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٢٥.

المطلب الثالث: عقد الفندقية عقد مقاوله

يتجه جانب من الفقه، للاعتقاد، بان عمل صاحب الفندق يعد مقاوله، وخاصة في التزامه بعمل معين في مواجهة النزيل^(١٤٧).

نظراً لكون عقد المقاوله عقداً يتعهد فيه احد طرفيه أن يصنع شيئاً أو يؤدي عملاً، بمقابل اجر يتعهد به الطرف الأخر^(١٤٨).

والجدير بالملاحظة، أن الالتزام الرئيسي في عقد المقاوله هو أن يؤدي عملاً أو يصنع شيئاً^(١٤٩). من هنا، فان السؤال الذي ينقدح في الذهن هو: ما الذي حدا بالفقه إلى أن يكيف عقد الفندقية على انه عقد مقاوله؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن القول: نظراً للخدمات التي تقدم من صاحب الفندق للنزيل كخدمات البريد، والاتصالات، والغسيل، وغير ذلك من الخدمات الأخرى، فان صاحب الفندق يلتزم بالقيام بعمل معين في مواجهة النزيل يتمثل هذا العمل بمجموعة من الاداءات التي يلتزم بها صاحب الفندق، وتأسيساً على ذلك، فعقد صاحب الفندق مع النزيل هو عقد مقاوله، ولكنه مقاوله من نوع خاص^(١٥٠).

بيد أن عقد الفندقية يتضمن طائفة من الالتزامات لا توجد في عقد المقاوله فمثلاً يلتزم صاحب الفندق بضمان سلامة نزيله، وهذا الالتزام تشير اليه وتؤكده محكمة بوردو الفرنسية في حكمها: حيث قضت أن نادي الإجازات Club devacances يعتبر في حكم صاحب الفندق، ويكون مسؤولاً عن واقعة غرق احد أعضائه في حمام السباحة، على الرغم من حصوله على إذن من المدرب المسؤول بينما كان الحمام في غاية من الخطورة، وكذا اعتبر مسؤولاً أيضاً عن غرق اثنين آخرين من الأعضاء حاولوا إنقاذ الأول^(١٥١).

وفي الأصل أن المتعاقد يملك حرية مناقشة شروط التعاقد، حيث تخضع العملية التعاقدية لمبدأ المساومة من التفاوض والإبرام Conclusion، أما الآن وبعد اتساع دائرة النشاط الاقتصادي وظهور المشروعات والشركات الاحتكارية، أصبح احد المتعاقدين يستقل غالباً بوضع شروط التعاقد مقدماً وبشكل لا يسمح بقبول المناقشة فيها من الطرف الأخر، حيث يقتصر دور الأخير أما على قبول الصفقة كلها برمتها وأما إن يرفض دون إن يكون له الحق في تعديلها^(١٥٢).

١٤٧ - ينظر د. محمد الظاهر حسين، المصدر عبد السابق، ص ٤٦.

١٤٨ - ينظر: Lis.Moret, Le contrat d'hôtellerie, Revue. Trim. Droit Civil, 1973, P. 605.

١٤٩ - ينظر د. مثنى طه الحوري، المصدر السابق، ص ١٤٦-١٤٧ وانظر كذلك د. إبن فوزي المستكاوي، المصدر السابق، ص ٥٦.

١٥٠ - لمزيد من التفصيل، انظر نقض مدني، ١٢ ديسمبر سنة ١٩٨٩، مجموعة النقض المدنية، سنة ٤٠، عدد ٣، رقم(٣٦٨)، ص ٢٨٨.

١٥١ - ينظر د. محمد عبد الظاهر حسين، المصدر السابق، ص ٤٧.

١٥٢ - ينظر د. غني حسون طه، الوجيز في العقود المسماة، ج الاول، عقد البيع، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٩٦ - ١٩٩٧، ص ١٢.

و غالباً ما يضطر المتعاقد الآخر إلى هذا القبول لتعلق موضوع التعاقد بسلع ضرورية او بمرفق أساسي لا غنى عنه وتلك هي عقود الإذعان، ومثالها عقود النقل التي تبرمها هيئة السكك الحديدية والعقود الخاصة بتوريد الكهرباء والمياه والغاز... الخ^(١٥٣).

وعليه يمكن ان يوصف عقد الفندقية من عقود الإذعان، وذلك عندما يسلم فيه احد طرفيه بالشروط التي يملئها عليه المتعاقد الآخر، وليس أمام الطرف المدعن إلا القبول بالشروط التي تعرض عليه، ولا يسمح له من الناحية القانونية والعملية مناقشة هذه الشروط، وأما أن يقبلها كلها فيتم العقد، وأما أنها لا تحضى بقبوله فلا ينعقد العقد^(١٥٤).

والقبول في هذه العقود إنما هو إذعان من القابل لإرادة الموجب، فالموجب يعرض إيجابه بشكل نهائي لا يقبل فيه مناقشة ولا يسع الطرف الآخر إلا إن يقبل فهو مضطر للقبول لحاجته للعقد^(١٥٥).

ويقال لهذه العقود في الفرنسية(عقود الانضمام) لان من يقبل العقد إنما ينظم إليه دون إن يناقش شروطه، فقد ترجم الأستاذ الدكتور السنهوري هذه التسمية بـ(عقود الإذعان) لما يشعر به هذا التعبير من معنى الاضطرار في القبول، والتي لاقت هذه التسمية رواجاً كبيراً لدى فقهاء القانون ورجال القضاء^(١٥٦). ويبدو لنا أن عقد الفندقية هو عقد إذعان، وذلك كون (الزبيل) وهو الطرف المدعن ليس له إلا التسليم والقبول بالشروط التي يضعها الطرف القوي والمتمثل بصاحب الفندق أو تضعها المنشأة الفندقية دون أن يكون له حق المناقشة والتعديل لهذه الشروط فعلى سبيل المثال فان اجر الغرفة في اليوم الواحد ثابت للجميع ولا مجال للمساومة^(١٥٧). هذا وقد نصت المادة /١٠٠/ من القانون المدني المصري على إن ((القبول في عقود الإذعان يقتصر على مجرد التسليم بشروط يضعها الموجب ولا يقبل مناقشة فيها))، وقد طابق هذا نص، ما جاء به نص المادة/١٦٧/ من القانون المدني العراقي وبنفس المعنى على أن ((القبول في عقود الإذعان ينحصر على مجرد التسليم بمشروع عقد ذي نظام مقرر يضعه الموجب ولا يقبل فيه مناقشة)).

١٥٣ - ينظر د. محمد عبد الوهاب خفاجي، المصدر السابق، ص ٢٢١، وانظر كذلك د. احمد مدحت حسن، المصدر السابق، ص ١٣٨.

١٥٤ - ينظر د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج الأول، المصدر السابق، ص ١٩٥.
١٥٥ - ينظر د. رشا مصطفى محمد ابو الغيط، التزام السلامة لنزلاء الفنادق والقرى السياحية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٨٢، وكذلك انظر د. عادل محمد خير، المصدر السابق، ص ٢١٠.

١٥٦ - ينظر في تنظيم المشرع العراقي لقانون تنظيم شركات ومكاتب ووكالات السفر والسياحة رقم(٤٩) لسنة(١٩٨٣)، وكذا انظر تنظيم المشرع المصري لنشاط الشركات السياحية بالقانون رقم(٣٨) لسنة(١٩٧٧) المعدل بالقانون رقم(١٨) لسنة (١٩٨٣)، بيد إن الوضع في فرنسا =

= فقد اصدر المشرع الفرنسي القانون رقم(٩٢/٦٤٥) في ١٣ يوليو سنة ١٩٩٢(قانون السياحة) الذي عني بتنظيم العقد السياحي من حيث انعقاده وتنفيذه

١٥٧ - ينظر د. رشا مصطفى محمد ابو الغيط، التزام السلامة لنزلاء الفنادق والقرى السياحية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٨٢، وكذلك انظر د. عادل محمد خير، المصدر السابق، ص ٢١٠.

ولكن حتى لا يضار الطرف المدعن في عقود الإذعان فقد وضعت المادة/ ١٤٩ من القانون المدني المصري الحماية التشريعية الخاصة والعامة لكافة عقود الإذعان^(١٥٨). حيث نصت هذه المادة على أنه ((إذا تم العقد بطريق الإذعان وكان قد تضمن شروطاً تعسفية جاز للقاضي إن يعدل هذه الشروط أو أن يعنى الطرف المدعن سواء أكان دائماً أو مديناً... ويقع باطلاً كل اتفاق خلاف ذلك)).

إذ يلاحظ أن الفقرة الثانية من المادة/ ١٦٧ من القانون المدني العراقي تتضمن الحماية التشريعية ذاتها للطرف المدعن والتي نصت عليها المادة/ ١٤٩ من القانون المدني المصري.

والواضح أن هناك حماية أخرى للطرف المدعن ذلك وفقاً لأحكام الفقرة الثانية من المادة/ ١٥٨ من القانون المدني المصري. وكذا أحكام نص الفقرة الثالثة من المادة/ ١٦٧ من القانون المدني العراقي إذ تنص على أنه ((لا يجوز أن يكون تفسير العبارات الغامضة في عقود الإذعان ضاراً بمصلحة الطرف المدعن سواء كان دائماً أم مديناً)).

المطلب الرابع: عقد الفندقية عقد سياحي Tourist Contract

من جانب آخر، يمكن القول بان عقد الفندقية عقد سياحي، فالعقد السياحي: هو العقد الذي يبرم بين وكالتين للسفر والسياحة احدهما وطنية والأخرى أجنبية، تقوم فيه الأولى بدور الوكيل المنظم، حيث تتولى إعداد برنامج الرحلة والإعلان عنه وإرساله إلى وكالة السياحة الأجنبية التي تقوم بتوزيع البرنامج والدعاية له والتعاقد مع النزلاء.

ويشمل إضافة إلى العقد المبرم بين وكالتين للسفر والسياحة، أيضاً العقد المبرم بين وكالة السفر والسياحة والنزيل، سواء كان وطنياً أم أجنبياً، ويتعلق بتفاسم خدمات سياحية سواء بناء على تنظيم مسبق من وكالة السفر والسياحة أو اقتراح من النزيل.

وعليه فالعقد السياحي، قد يبرم بين وكالتين للسفر والسياحة وقد يبرم بين وكالة السفر والسياحة والنزيل مباشرة^(١٥٩).

ولا بد من التنويه بان المشرع المصري، وكذا المشرع العراقي لم يضعوا تنظيمياً للعقد السياحي على غرار ما فعل المشرع الفرنسي إنما اكتفيا بوضع قواعد خاصة بالشركات السياحية^(١٦٠).

١٥٨ - ينظر د. رشا مصطفى محمد ابو الغيط، التزام السلامة لنزلاء الفنادق والقرى السياحية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٨٢، وكذلك انظر د. عادل محمد خير، المصدر السابق، ص ٢١٠.

١٥٩ - ينظر في تنظيم المشرع العراقي لقانون تنظيم شركات ومكاتب ووكالات السفر والسياحة رقم (٤٩) لسنة (١٩٨٣)، وكذا انظر تنظيم المشرع المصري لنشاط الشركات السياحية بالقانون رقم (٣٨) لسنة (١٩٧٧) المعدل بالقانون رقم (١٨) لسنة (١٩٨٣)، بيد إن الوضع في فرنسا = يختلف، فقد اصدر المشرع الفرنسي القانون رقم (٩٢/٦٤٥) في ١٣ يوليو سنة ١٩٩٢ (قانون السياحة) الذي عني بتنظيم = العقد السياحي من حيث انعقاده وتنفيذه.

١٦٠ - ينظر: Crestain, Les obligations, 1980, N.504, p.409. نقلاً عن د. محمد عبد الظاهر حسين، المصدر السابق، ص ٥٩.

كذلك اقتصر دور المشرع المصري على وضع تشريعات خاصة بالسياحة في قانون المنشآت الفندقية والسياحية رقم (١) لسنة ١٩٧٣، وكذا الحال بالنسبة للمشرع العراقي فقد اصدر قانون هيئة السياحة النافذ رقم (١٤) لسنة ١٩٩٦، والذي عني بتنظيم المرافق السياحية والذي اشرنا إليه انفاً. ومما تجدر الإشارة إليه، أن هناك خصائصاً يشترك بها العقدان فكلاهما من العقود الرضائية، وكذا من العقود التجارية، بالنسبة لصاحب الفندق في عقد الفندقية أو وكالة السفر والسياحة في العقد السياحي^(١٦١).

ومن جانب آخر، فإن العقد السياحي تتعدد فيه العلاقات القانونية بحيث لا تتعامل وكالة السفر والسياحة شأنها في ذلك شأن المنشأة الفندقية مع النزيل فحسب، بل مع وكالات السفر والسياحة الأخرى، وشركات النقل، والفنادق، والمطاعم. والحال كذلك بالنسبة للمنشآت الفندقية، فهي تتعامل مع النزيل مباشرة أو عن طريق وكالات السفر والسياحة، وكذا تتعامل مع شركات النقل وموردي الأغذية وغيره^(١٦٢).

يبدو لنا، أن لا محل لاعتبار عقد الفندقية عقداً سياحياً وذلك كون عقد الفندقية الهدف منه ينصب على الإقامة، بيد أن العقد السياحي الهدف منه ينصب على الرحلة Flight هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الطبيعة القانونية لعقد الفندقية هو عقد مركب (ذو طبيعة خاصة) كما سنرى لاحقاً، بينما العقد السياحي طبيعته القانونية تختلف بحسب الدور الذي تقوم به وكالة السفر والسياحة، فهي تارة تقوم بدور وكالة وتارة بدور نقل وتارة أخرى دورها مقاول^(١٦٣).

المطلب الخامس: عقد الفندقية عقد مركب (ذو طبيعة خاصة)

بعد أن تعرضنا لما اتجه إليه الفقهاء بشأن الطبيعة القانونية لعقد الفندقية، يبدو لنا، أن هناك صعوبة في انطباق أحكام أي عقد من العقود المسماة على هذا العقد لصعوبة خضوعه لأي عقد بشكل كامل ومطلق^(١٦٤).

ويثار التساؤل حول حقيقة الطبيعة القانونية لهذا العقد؟ وللإجابة عن ذلك، يتوجب النظر إلى طبيعة العلاقة التي تربط بين صاحب الفندق والنزيل، إذ إنهما لا تندرج تحت عقد واحد من العقود المسماة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة هذا العقد فهو يولد التزامات متباينة ومتراصة في الوقت نفسه، مثال ذلك التزام صاحب الفندق بتمكين النزيل من الانتفاع بالرفة بمقابل اجر، يتشابه مع عقد الإيجار كما

١٦١ - ينظر د. رعد مجيد العاني، إدارة الفنادق مفاهيم سياحية في الإقامة والإيواء، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٥، ص ١٧٨.

١٦٢ - ينظر د. احمد السعيد الزقرد، المصدر السابق، ص ٤٢.

١٦٣ - ينظر الاتجاه ذاته، المادة ١٩٥١/ من القانون المدني الفرنسي.

١٦٤ - ينظر تعريف الإيداع في قانون الموجبات والعقود اللبناني في المادة/٩٦٠ منه.

ذكرناه انفاً، وكذا على صاحب الفندق التزام بحفظ ودائع النزلاء وهذا يتشابه مع عقد الوديعة، وأيضاً يقدم كافة الخدمات الترفيهية والاتصالات وغيرها من الخدمات وهذا يتشابه مع عقد المقاولة^(١٦٥).

لذا فإن العقد يتميز (بطبيعة خاصة) تنبع من طبيعة الالتزامات التي ينشؤها العقد على عاتق صاحب الفندق، التي يصعب معها إدراجها تحت مظلة عقد واحد من العقود المسماة، إذ يلاحظ وبحق، (أن إطلاق تسمية عقد الفندقية يأتي من النظر إلى الطرف المهم في هذه العلاقة وهو صاحب الفندق)، فهو الذي يحدد عادة الشروط التي تحكم العقد ولا يملك النزيل في الغالب سوى قبول التعاقد أو رفضه بدون إن يكون له الحق في مناقشة بنود العقد، وهذا ما يجعل هذه العلاقة قريبة من عقد الإذعان^(١٦٦).

ويبدو لنا، أن عقد الفندقية يعد مثلاً حياً ونموذجياً للعقد المركب أو المختلط Mixte لان فيه تمتزج عدة عقود في عقد واحد، حيث ان العقد المركب (Complexe): هو العقد الذي يكون مزيجاً من عقود اختلطت جميعاً فأصبحت عقداً واحداً متعدد الأحكام^(١٦٧).

وهكذا تتلاشى أية مشكلة تثور بشأن القواعد الواجبة التطبيق على مثل هذا العقد المركب. إذ يقرر الفقه انه اذا أمكن تحليل العقد المركب الى عدة عقود مسماة، فانه يطبق عليه أحكام هذه العقود المسماة، فعلى سبيل المثال فيمكن تطبيق أحكام وقواعد (عقد الإيجار) على الجزء الخاص بتأجير النزيل غرفة أو جناح في فندق ما، وكذا تطبق أحكام الوديعة على الجانب المتعلق بالأشياء المعهودة بما إلى صاحب الفندق، وخاصة تلك الأحكام الخاصة بالوديعة الفندقية وهذا ما ذهب إليه البعض من الفقهاء المصريين^(١٦٨).

وإذا لم يكن في الإمكان فصل العقود التي يجمعها العقد المركب، أو تشتمل المسألة الواحدة على أحكام مغايرة، بحيث يصعب الجمع بينهما، تعين النظر في مثل هذه الحالة إلى العقد المركب كوحدة قائمة بذاتها، وتغليب العقد الذي يشكل العنصر الأساسي والرئيسي في ضوء ما قصده الطرفان من التعاقد^(١٦٩).

بيد أن هذا الرأي الأخير من وجهة نظرنا غير كافٍ لحل النزاع نهائياً، إذ يبقى في بعض الأحيان تعارض بين الأحكام التي تنظم العقد كعقد مركب، إذ يتوجب أن يتدخل المشرع بتنظيم هذا العقد محل البحث، فالنصوص القانونية المتناثرة والتي خصصها المشرع في فروع القوانين الأخرى، كقانون التجارة والقانون المدني لا تكفي، بل يتعين على المشرع أن يجمع شتات تلك النصوص، كما عليه أن يتدخل لصياغة قواعد وأحكام خاصة به، والنظر لهذا العقد (عقد الفندقية) على انه عقداً مستقلاً بذاته وذو طبيعة خاصة.

١٦٥ - ينظر د. محمد عبد الظاهر حسين، المصدر السابق، ص ٢٥.

١٦٦ - ينظر د. إين فوزي المستكاوي، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٠.

١٦٧ - لمزيد من التفصيل انظر المادة/٨٦٤ من القانون المدني العراقي ، تقابلها المادة/٦٦٤ من القانون المدني المصري.

١٦٨ - ينظر د. قدرى عبد الفتاح الشهاوي، عقد المقاولة في التشريع المصري والمقارن، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٢٣.

١٦٩ - ينظر د. حسن حسين البراوي، المسؤولية المدنية لصاحب الفندق، المصدر السابق، ص ٦٣٥.

الخاتمة

بعد دراستنا لموضوع التكيف القانوني لعقد الفندقية نحاول ان نضع جملة من النتائج التي توصلنا لها مع الإشارة الى التوصيات التي تقترح وتجزئ الأخذ بها وندعو صادقين الى رعايتها وعدم غرض النظر عنها.

اولاً: النتائج

اولاً: ان دراستنا للطبيعة القانونية لعقد الفندقية قد اظهرت ان هذا العقد له خصائص تميزه عن غيره من العقود، وهو من العقود غير المسماة التي لم يسمها المشرع ولم يقوم بتضمينها وكذلك فأن الفقه قد اظهر ان هذا العقد هو من العقود اللازمة لكلا الطرفين التي ترتب ألتزامات متقابلة.

ثانياً: تبين لنا ان عقد الفندقية في الاعم الاغلب هو العقود التجارية، وان من يباشر هذا العقد هو تاجراً وهو صاحب القندق. لهذا فان هذا الأخير يكتسب صفة التاجر ويلتزم ما يلزم به التاجر.

ثالثاً: الصفة الغالبة لهذا العقد والتي تميزه عن غيره هو مركباً . وذلك كونه يجمع في طياته كثيراً من العقود. وكلها اجتمعت في عقد واحد سمي بعقد الفندقية.

رابعاً: هذا العقد شأنه شأن بقية العقود من حيث الانعقاد ولكن اثره يختلف عن غيره من العقود باعتبار الخصوصية والتنظيم.

ثانياً : المقترحات

ان الدراسات القانونية في اعمها يظهر اثرها من خلال ما يكتب من المقترحات التي هي نتاج ما توصل اليه الباحث ومن خلال هذا نحاول ان نضع جملة اقتراحات ندعو للأخذ. سواء تعلق الامر بالمشرع (واضع القانون) او بالجانب العملي:

اولاً: نقترح الاهتمام التشريعي من قبل المشرع في القانون التجاري بعقد الفندقية وتنظيمه تنظيمياً بما يحقق الانسجام والمصلحة بين أطراف العلاقة العقدية والتي سيظهر اثرها الى المجتمع بشكل اوبأخر.

ثانياً: اذا اخذ المشرع بأقتراحنا الاول سوف ينعكس لا محال اثره الأيجابي على الجانب القضائي. ولهذا ندعو القضاء الى توخي الدقة في حسم المنازعات التي تثار بشأن العقد، خصوصاً بأعتبار الطبيعة القانونية لعقد الفندقية باعتبارها متشعبة وتجمع بين طياتها اكثر من وجهة نظر محدودة.

ثالثاً: نقترح ان تكون هناك هيئات ولجان خاصة تكون مهمتها التنسيق بين وزارة السياحة وبين كليات السياحة في كل العراق ومن دور هذه اللجان ان تأخذ بنظر الاعتبار كل العقود التي هي لها اثر واضح في المجتمع العراقي ومن بينها عقد الفندقية باعتبار كثرة شيوعه اليوم وما يترتب على ذلك من أثار. واخيراً نرى من الضروري ان تكون هناك أمور تنسيقية وخطوات فاعلة تبين اهمية السياحة وتنظيمها وهذه لا يقتصر عملها على السياحة بل مراعاة الجانب التنظيمي التشريعي وهذا ما يتطلب ان يكون الموكل اليه هذه الامور ان يكون ذو خبرة ودراية سياحية وقانونية في الوقت نفسه او العمل المشترك ما بين

من هو متخصصاً في جانب السياحة ومن هو متخصصاً بجانب القانون لكي ينعكس اثره على الواقع العملي.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم.

اولاً: معاجم اللغة:

- جمال الدين ابن منصور، لسان العرب، ج ١٠، ط ٣، احياء التراث العربي، بيروت. بدون ذكر سنة الطبع.

ثانياً: المصادر القانونية:

١. بنيامين يوخنا دانيال، المدخل إلى الفندقية، مطبعة شهاب، اربيل، ٢٠٠٦.
٢. .. طارق عبد الفتاح الشريعي، التسويق السياحي-التسويق الفندقية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٧.
٣. د. ليلي محمد صابر الزلاقي، أساسيات الإشراف الداخلي بالفنادق والمنتجعات، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٧.
٤. د. فوزي عطوي، السياحة والتشريعات السياحية والفندقية في لبنان والبلاد العربية، الطبعة الاولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٤.
٥. محمد أمين محي الدين السيد علي، إدارة الفنادق ورفع كفاءتها الإنتاجية، الطبعة الأولى، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٨.
٦. محمد بن جمال الدين مكي العاملي و زين الدين الجبعي العاملي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج الرابع، الطبعة الثانية، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٧. محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف (بالخطاب)، مواهب الجليل، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٨. عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣.
٩. د. أيمن فوزي المستكوي، عقد الفندقية، الالتزامات والحقوق الناشئة عنه، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٧.

١٠. د. نادرة محمود سالم، التشريعات السياحية في جمهورية مصر العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون ذكر سنة طبع.
١١. د. نادية محمد معوض، التزامات وحقوق الفندقية إزاء النزلاء، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.
١٢. عبد الأمير عبد الكاظم، تأثير إعداد الملاكات الفندقية المتخصصة على مستوى الخدمة في فنادق الدرجة الممتازة، رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠١.
١٣. د. حميد عبد النبي الطائي، مدخل الى إدارة الفنادق، الطبعة الأولى، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦.
١٤. د. ماهر عبد العزيز توفيق، علم ادارة الفنادق، دار زهران، عمان.
١٥. د. طارق طه، إدارة الفنادق مدخل معاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
١٦. الأستاذ مروان السكر، مختارات من الاقتصاد السياحي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ١٩٩٩.
١٧. سهيل الحمدان، الإدارة المدنية للمؤسسات السياحية والفندقية، الطبعة الأولى، دار الرضا للنشر، دمشق، ٢٠٠١.
١٨. د. أيمن فوزي المستكاوي، غقد الفندقية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٧.
١٩. د. محمد عبد الوهاب خفاجي، التشريعات السياحية والفندقية، التنظيم القانوني لحقوق المنشأة الفندقية والسياحة والإرشاد السياحي والعاملين، بها دراسة تطبيقية في ضوء نصوص التشريع وأحكام القضاء المصري، الطبعة الحادية عشر، دار الهناء، الإسكندرية.
٢٠. د. سوزان علي حسن، التشريعات السياحية والفندقية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
٢١. د. احمد عبد الرزاق احمد السنهوري، مصادر الحق في الفقه الاسلامي، الجزء الاول، الطبعة الاولى، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بدون ذكر سنة طبع، بيروت، ٢٠٠٦.
٢٢. د. حسن حسين البراوي، المسؤولية المدنية لصاحب الفندق، بحث منشور في مجلة القانون والاقتصاد، العدد الخامس والسبعون، مطبعة كلية الحقوق جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٥.
٢٣. د. غني حسون طه ومحمد طه البشير، الحقوق العينية، الحقوق العينية الأصلية الحقوق العينية التبعية، الجزء الثاني، بدون ذكر اسم المطبعة وسنة الطبع.
٢٤. د. حسن حسين البراوي، التزام صاحب الفندق بحفظ أمتعة العملاء في القانون القطري الجديد، بحث منشور في مجلة القانون والاقتصاد، العدد السادس والسبعون، مطبعة كلية الحقوق جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٦.
٢٥. د. عادل محمد خير، المخاطبة التشريعية للنشاط السياحي والفندقية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٣.
٢٦. د. ناريمان عبد القادر، التشريعات الفندقية والسياحية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩.

٢٧. د. حسن حسين البراوي، التزام صاحب الفندق بحفظ أمتعة العملاء في القانون القطري الجديد، بدون ذكر سنة النشر.
٢٨. د. عبد المجيد الحكيم و د. عبد الباقي البكري والأستاذ محمد طه البشير، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي، الجزء الأول في مصادر الالتزام، الطبعة الرابعة، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠١.
٢٩. د. جميل الشراقوي، النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام، التصرف القانوني والإرادة المنفردة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤.
٣٠. د. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، الجزء الأول في مصادر الالتزام، بدون ذكر اسم المطبعة، بغداد، ٢٠٠٧.
٣١. د. محمد حسام محمود لطفي، النظرية العامة للالتزام، مصادر الالتزام بدون ذكر اسم المطبعة، القاهرة، ١٩٩٩، ٢٠٠٠.
٣٢. د. محمد عبد الظاهر حسين، عقد الفندق، طبيعته القانونية، آثاره، مسؤولية الفندق، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧.
٣٣. د. رمضان أبو السعود و د. همام محمد محمود، المبادئ الأساسية في القانون، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٥-١٩٩٦.
٣٤. د. عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد(٣)، نظرية الالتزام بوجه عام(الأوصاف-الحوالة-الانقضاء)، الطبعة الثالثة، منشورات الحلبي.
٣٥. د. محي الدين إسماعيل علم الدين، نظرية العقد، مقارنة بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤.
٣٦. المستشار. محمد محمد خليل، التشريعات السياحية والفندقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧.
٣٧. د. سمير عبد السيد تناغو، عقد الإيجار، الطبعة الثانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧.
٣٨. د. عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء الأول، نظرية الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام، تنقيح المستشار احمد مدحت المراغي، بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع، ٢٠٠٦.
٣٩. د. رأفت محمد حماد، الوجيز في النظرية العامة للالتزامات، ج الأول، مصادر الالتزام، المجلد الأول، المصادر الإرادية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون ذكر سنة الطبع.
٤٠. د. عبد الله مبروك النجار، مبادئ عقد البيع، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧.
٤١. د. عبد المنعم فرج الصدة، مصادر الالتزام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢.
٤٢. د. اشرف جابر سيد، عقد السياحة، دراسة مقارنة في القانون المصري والفرنسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.

٤٣. د. نبيلة رسلان، العقود المسماة، ج الثاني، عقد الإيجار، بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع، ١٩٨٨.
٤٤. د. محمد حسن عبد الرحمن، مصادر الالتزام "دراسة مقارنة"، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.
٤٥. د. علي نجيدة، النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥.
٤٦. د. صاحب عبيد الفتلاوي، الموجز في العقود المسماة، البيع-الإيجار-المقاوله، الكتاب الثاني، عقد الإيجار، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٢-١٩٩٣.
٤٧. د. محسن عبد الحميد إبراهيم البيه، النظرية العامة للالتزامات، ج الأول، المصادر الإرادية، مكتبة الجلاء الجديدة بالمنصورة، القاهرة، ١٩٩٢.
٤٨. د. احمد مدحت حسن، التشريعات السياحية وعقد الإقامة بالفندق، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢-١٩٩٣.
٤٩. د. عاطف النقيب، نظرية العقد، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٨.
٥٠. د. عصمت عبد المجيد بكر، مصادر الالتزام في القانون المدني (دراسة مقارنة)، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٧.
٥١. د. مندى عبد الله محمود الحجازي، التعبير عن الإرادة عن طريق الانترنت واثبات التعاقد وفقاً لقواعد الفقه الإسلامي والقانون المدني (دراسة مقارنة)، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٠.
٥٢. د. محمد حسن قاسم و د. محمد السيد الفقي، أساسيات القانون، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٧.
٥٣. د. حمدي عبد الرحمن و د. رضا عبد الحليم عبد المجيد، مبادئ القانون، نظرية القانون، نظرية الحق، مطابع جامعة المنوفية، بدون ذكر سنة الطبع.
٥٤. د. محمد فهمي الجوهري، القانون التجاري، الأعمال التجارية ونظرية التاجر والمحل التجاري، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٠.
٥٥. د. عزت مصطفى الدسوقي، التشريعات السياحية، الطبعة الأولى، بدون ذكر اسم المطبعة ومكان الطبع، ١٩٩٧.
٥٦. د. مصطفى محمد الجمال، مصادر الالتزام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، بدون ذكر السنة.
٥٧. د. نبيل إبراهيم سعد، النظرية العامة للالتزام، ج الأول، مصادر الالتزام، دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

٥٨. د. مصطفى محمد الجمال، القانون المدني في ثوبه الإسلامي، مصادر الالتزام، شرح مفصل لإحكام التقنينات العربية المستمدة من الفقه العربي والمستمدة من الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى، الفتح للطباعة والنشر، الازارطة، الإسكندرية، بدون ذكر سنة.
٥٩. د. انور سلطان، المبادئ القانونية العامة، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣.
٦٠. د. سعيد سعد عبد السلام، مصادر الالتزام المدني، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة.
٦١. د. رمضان أبو السعود، النظرية العامة للالتزام، مصادر الالتزام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢.
٦٢. د. محي الدين إسماعيل علم الدين، العقود المدنية الصغيرة في القانون المدني والشريعة الإسلامية والقوانين العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون ذكر سنة طبع.
٦٣. د. علي نجيدة، العقود المسماة، عقد الإيجار، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤-٢٠٠٥.
٦٤. صباح المفتي، القانون المدني وتعديلاته، مكتبة الشعب، بغداد، ١٩٨٠.
٦٥. د. رمضان أبو السعود، العقود المسماة، عقد الإيجار، الأحكام العامة في الإيجار، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦.
٦٦. د. حمدي عبد الرحمن، الوسيط في شرح أحكام عقد الإيجار، ج الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.
٦٧. د. منى طه الحوري، العلاقات القانونية في صناعة الضيافة، الطبعة الأولى، مطبعة الوراق، عمان، ٢٠٠٤.
٦٨. د. محمود مختار احمد بريري، قانون المعاملات التجارية، ج الاول، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠.
٦٩. د. رعد مجيد العاني، إدارة الفنادق مفاهيم سياحية في الإقامة والإيواء، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٥.
٧٠. د. قدرى عبد الفتاح الشهاوي، أركان عقد الوديعة في التشريع المصري والمقارن مدنياً- جنائياً، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٧١. د. نبيل إبراهيم سعد، العقود المسماة، الإيجار في القانون المدني وقوانين إيجار الأماكن، الازارطة، الإسكندرية، ٢٠٠٧.
٧٢. د. احمد عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج السابع، المجلد الأول، العقود الواردة على العمل، تنقيح احمد مدحت المراغي، بدون ذكر اسم المطبعة ومكان ال
٧٣. د. احمد شوقي محمد عبد الرحمن، النظرية العامة للالتزام، العقد والإرادة المنفردة في الفقه وقضاء النقض المصري والفرنسي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
٧٤. د. مصطفى محمد الجمال، السعي الى التعاقد في القانون المقارن، السعي الى التعاقد وسلطان الإرادة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٢.

٥٧٥. د. مجيد حميد العنكي، مبادئ العقد في القانون الانكليزي، بدون ذكر اسم الطبعة، بغداد.
٥٧٦. د. غني حسون طه، الوجيز في العقود المسماة، ج الاول، عقد البيع، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٩٦.
٥٧٧. د. رشا مصطفى محمد ابو الغيط، التزام السلامة لنزلاء الفنادق والقرى السياحية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧.
٥٧٨. د. رعد مجيد العاني، إدارة الفنادق مفاهيم سياحية في الإقامة والإيواء، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٥.
٥٧٩. د. قدري عبد الفتاح الشهاوي، عقد المقاولة في التشريع المصري والمقارن، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

ثالثاً: الرسائل والمجلات والبحوث.

١. محمد حسن علي نصار الزويني، واقع وآفاق السياحة الدينية في محافظة كربلاء، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء ٢٠٠٥.
٢. النظام القانوني لعقد الأقامة في الفندق، حسين عبيد شعواط، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية القانون ٢٠١٣.
٣. المسؤولية العقدية لشركات السياحة والسفر في عقد الرحلة، علي حميد كاظم، بحث منشور في مجلة رسالة الحقوق الجامعة المستنصرية، السنة ١٠، العدد ١، ٢٠١٠.
٤. عقد المشاركة بالوقت، الدكتور ندى سالم حمدون ملا علو، بحث منشور في مجلة الشرعية القانون، السنة ٦، العدد ٥١، السنة ٢٠١٢.

رابعاً: القوانين

١. القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١
٢. القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨
٣. القانون المدني الاردني الصادر في ١٩٦٨
٤. قانون المنشآت الفندقية السياحية بالرقم ١١ لسنة ١٩٧٩
٥. قانون هيئة السياحة رقم ١٤ لسنة ١٩٩٦
٦. قانون التجارة العراقي رقم ٣٠ لسنة ١٩٨٤
٧. تعليمات ومواد الخاصة بالسياحة، وعددها ٢٧ مادة الصادره عن هيئة السياحة في مصر.

خامساً: المصادر الاجنبية

- 1-rob davidson, touism, 2nd edition, ditmanp,blishing, enaland, 1993.
- 2-chestain-lcs obigation, 1980.

- 3-jacques mester, hotelier –logeur, encydalloze, civn.
4-lis-moret, lecontrot dhotellerie revue. trim droit
civil, 1973.

طريقة الوحدات في تدريس المواد الاجتماعية (دراسة تحليلية)

The method of units in the teaching of social materials (An analytic study)

م.م. داخل محمد علوان العيساوي^١

M.A. Dakhil Mohammad Alwan AL-Issawi

ملخص البحث

يعد المعلم أحد الركائز الأساسية في العملية التعليمية وهو المسؤول الأول عن تحقيق أهداف التعليم في المنهج وإحداث التغيير في سلوك المتعلمين، وعن تحقيق النمو الشامل والمتكامل للمتعلمين معرفياً ومهارياً ووجدانياً واجتماعياً حتى نصل للغرض المنشود من تحديث التعليم وتطويره وجعل رسالة المعلم مكملة ومرتبطة بجهود الدولة في بناء النشء والجيل الصالح المدرك لغد مشرق ومستقبل عظيم لبلده. يهدف البحث الحالي (طريقة الوحدات في تدريس المواد الاجتماعية دراسة تحليلية) الى التعرف على كيفية تطبيق طريقة الوحدات من قبل المعلم في داخل الصف في مرحلة الدراسة المتوسطة، باعتبارها من الطرائق التدريس الحديثة التي تعتمد فعالية المتعلم في عملية التعلم، فقد قام الباحث الى توضيح دوافع قيامه بهذا البحث من خلال التطرق الى مشكلة البحث معتقدا ان هناك الكثير من المعلمين لا يجد في نفسه القدرة على كيفية استخدام طريقة الوحدات في تدريس المواد الاجتماعية داخل الصفوف الدراسية متجاهلا اهميتها في عملية التعليم لهذا قام الباحث بتوضيح كامل لأساليب استخدامها مستشهدا بمواضيع دراسية من خلال منهج الطالب في هذه المرحلة الدراسية.

حظيت هذه الطريقة باهتمام الكثير من الباحثين من خلال بحوث تجريبها ومقارنتها بالطرائق التقليدية، حيث اثبتت فعاليتها كطريقة تدريسية من خلال النتائج التي افرزتها الى الطلبة، تطرق لها

الباحث في الفصل الثاني من الدراسة الحالية، وشمل الفصل الثالث (الاطار النظري للدراسة) الذي شمل مفهوم (الوحدات الدراسية) من خلال توضيح افكار (هيربارت، دالتن، ومفهوم الوحدة عند هنري موريسون) وأساليبهم وخطوات استخدامهم لطرائقهم هذه.

وضح الباحث الاسس التي تقوم عليها طريقة الوحدات الدراسية معززا اياها بالأمثلة التوضيحية من خلال المنهج الدراسي لمادة الجغرافية والتاريخ، كما وضح الباحث تخطيط الوحدات والأسس التي يجب مراعاتها لاختيار الانشطة التعليمية المصاحبة لها وفي نهاية البحث تطرق الباحث الى جوانب امتياز وقصور طريقة الوحدات.

Abstract

The teacher one of the main pillars in the educational process, a primarily responsible for achieving the goals of education in the curriculum and make change in the behavior of the learners, and achieve overall growth and integrated learners cognitively and Mharria and emotionally and socially even get to the purpose of the objective of modernization of education and development and make message teacher complementary and linked to the efforts of the state in the construction of juveniles generation and good perceived tomorrow bright and great future for the town.

The current research aims (the way the units in the teaching of social analytical study applied) to learn how to apply the method of the units by the teacher in the classroom in the middle school, as one of the modern teaching methods that rely effectiveness of the learner in the learning process, the researcher has to b clarified motives of doing thisresearch through addressed to the research problem believing that there are a lot of teachers do not find in himself the ability to how it is used within the classroom and disregard their importance in the education process for this has to clarify the whole of the methods used, citing topics of study through the curriculum the student at this stage of study.

Received this method attention of many researchers through research testing and comparing the methods of conventional, where proven effective as a way of. the study, which included the third chapter (study procedures through a statement to clarify the evolution of the concept (units Subjects) by clarifying ideas (Herbart, Dalton, and the concept of unity when Henry Morrison) and their methods and steps to use this Traúghahm.

Explain researcher foundations upon which way modules upping them examples of illustrations through curriculum material geography and

history, as explained researcher planning units and foundations that must be considered for the selection of educational activities associated At the end of the search touched researcher to aspects of the franchise and palaces way units.

محتويات البحث

رقم الصفحة	الموضوع	ت
١	ملخص البحث باللغة العربية	١
٢	المحتويات	٢
٣ - ٥	الفصل الاول /اهمية البحث والحاجة اليه	٣
٥	هدف البحث	٤
٥	حدود البحث	٥
٦ - ٨	تحديد المصطلحات	٦
٩ - ١٠	الفصل الثاني / دراسات سابقة	٧
١٠ - ١١	مناقشة الدراسات السابقة	٨
١٢	الفصل الثالث / الاطار النظري	٩
١٢	الوحدات /تطور مفهوم الوحدات	١٠
١٢	أفكار هيربارت	١١
١٣	طريقة دالتن	١٢
١٣-١٤	مفهوم الوحدة عند هنري موريسون	١٣
١٤	منهج النشاط وتطوير الوحدات الدراسية	١٤
١٥ - ١٦	الاسس التي تقوم عليها طريقة الوحدات	١٥
١٦ - ١٧	انماط من الوحدات	١٦
١٧ - ٢٠	تخطيط الوحدات	١٧
٢٠	مرجع الوحدة	١٨
٢١ - ٢٢	تدريس الوحدة	١٩
٢٢	مزايا وجوانب القصور في طريقة الوحدات:	٢٠
٢٢ - ٢٣	جوانب الامتياز	٢١
٢٣ - ٢٤	جوانب القصور	٢٢
٢٥ - ٢٦	الفصل الرابع / التوصيات	٢٣

٢٧	الفصل الخامس / المقترحات	٢٤
٢٨ - ٣١	المصادر العربية و الاجنبية	٢٥
٣٢ - ٣٣	ملخص البحث باللغة الانكليزية	٢٦

الفصل الاول: اهمية البحث والحاجة اليه:

أصبح الاهتمام بعملية التعلم والتعليم يؤلف محورا من محاور اهتمامات الدول المتقدمة والنامية في الوقت الحاضر، إذ أن الشكوك من انخفاض مستوى خريجي المدارس والجامعات لدرجة عدم ملائمتها للمعرفة التي تزداد يوما بعد يوم (غنيمة، ١٩٩٨: ١١١) فالمتتبع لحال التدريس في كثير من الجامعات ولاسيما في العلوم الإنسانية يجد ان أسلوب المحاضرة هو الأسلوب السائد في توصيل المعلومات وشرحها، وقد تعرض كثير من المربين بالنقد لهذا الأسلوب وواضحو ان ذلك يحرم الطالب من المشاركة النشطة في الدروس كما تقلل من فرص تفاعله مع الأفكار والمعلومات التي تلقى عليه (الجاف: ٢٠٠٥: ٢).

إن النمو الواسع في الطرائق والأساليب والتقنيات التعليمية يجعل المتعلمين أمام خضم كبير من الاختيارات المنوعة التي يمكنهم الانتقاء منها بما يتفق وميول المتعلمين وإشباع حاجاتهم.

وفي هذا الصدد يرى (جابر: ١٤٢٥ هـ) أن في تنوع طرائق التدريس مراعاة لميول المتعلمين لما بينهم من فروق فردية في القدرات العقلية والنفسية والتربوية الاجتماعية مما يزيد من تفاعلهم وتأثيرهم، وبالتالي يتعزز ما يتعلمونه بأكثر من وسيله ويدون أثره بشكل أعمق في عقولهم ومهاراتهم الأدائية. (جابر: ١٤٢٥ هـ: ٢٤٧).

المعلمون أصحاب خبرة وممارسة وعليهم تقع مسؤولية اختيار الطرائق والأساليب الفعالة المؤثرة في توجيه المسيرة التعليمية بفهم ووعي دون تلقين.

ولقد ركز المتخصصون في مجال المناهج وطرائق التدريس في بحوثهم في القرن الحالي على طرائق التدريس المختلفة وفوائدها في مخرجات تعليمية مرغوب فيها لدى الطلاب في مختلف المراحل التعليمية، وقد أدى هذا الاهتمام بطرائق التدريس إلى انتشار القول بأن المعلم الناجح ما هو إلا طريقة أو أسلوب تدريسي ناجح (الخرّب وعبد الرحمن ١٤٢٤ هـ: ٢).

هذا ويعد اختيار طريقة تدريس معينة ومناسبة عنصرًا مهما من عناصر العملية التعليمية ووسيلة فعالة في كيفية استعمال واستغلال المادة العلمية بشكل جيد تمكن المعلم من الوصول إلى الأهداف التعليمية المخطط لها، وهذا لن يتأتى إلا من مهارة المعلم وبراعته في اختيار الطريقة المناسبة لذا يعد اختيار الطريقة وتمكن المعلم من مادته شيئا متلازمان في إيصال المادة لأذهان الطلاب وإحداث التغيير المطلوب (العاني والجميلي: ٢٠٠٠ م: ٤).

وفي هذا الصدد يرى (جابر، ١٤٢٥ هـ): "أن في تنوع طرائق التدريس مراعاة لميول المتعلمين لما بينهم من فروق فردية في القدرات العقلية والنفسية والتربوية و الاجتماعية مما يزيد من تفاعلهم وتأثيرهم،"

وبالتالي يتعزز ما يتعلمونه بأكثر من وسيله ويدون أثره بشكل أعمق في عقولهم ونفوسهم ومهاراتهم الأدائية جابر، ١٤٢٥ هـ " ص ٢٤٧

يرى عفانة والخزندار: ١٤٢٧ هـ: " (أنه مهما كان الأسلوب الذي يتبعه المعلم في التدريس الصفي، فإن أساليب التدريس الصفي ينبغي أن تحقق مطالب التربية الحديثة والتي تهتم بالتلميذ وتنمية ميوله وقدراته واستعداداته واحترام شخصيته وتنمية الشخصية المبتكرة القادرة على حل المشكلات وتوفير فرص التعليم التي تراعي الفروق الفردية بين التلاميذ) عفانة والخزندار: ١٤٢٧ هـ ص ٢٥ - ٢٦

تعد طريقة التدريس من الأوليات التي لا بد للمعلم أن يلم بها باعتبارها محور الارتكاز لأي تدريس فعال وناجح، فهي ركن من أركان العملية التربوية وعنصر أساسي من عناصر المنهج و تنبع أهمية طرائق التدريس من الدور الذي تلعبه الطريقة في تشكيل ما يرغب المعلم في إكسابه لطلابه من خبرات ومعلومات ومفاهيم مختلفة، وإن حسن اختيار الطريقة يؤدي إلى نتائج تعلم إيجابية، والعكس صحيح.

حيث ذكر خضر (١٤٢٦ هـ): " (أن طبيعة المواد الاجتماعية تهدف في واقعها إلى دراسة العلاقات الإنسانية من ناحية، وعلاقات الإنسان ببيئته من ناحية أخرى، ومع المجتمع الذي يعيش فيه، والمشكلات والمواقف التي تعتبر كردة فعل لتلك العلاقات) خضر (١٤٢٦ هـ). " ص ١٥

ان طبيعة المواد الاجتماعية أنها تدرس الإنسان في علاقاته وتفاعله مع الآخرين وعلاقاته مع البيئة والمجتمع وقضايا الإنسان ومشكلاته وأحداثه ومواقفه وهي تعتبر حلقة وصل بين جميع العلوم الطبيعية والإنسانية، كما أنها ترتبط ببعضها البعض لتوضح العلاقات التي تنشأ بين أفراد المجتمع، وفيما يلي توضيح فروع المواد الاجتماعية وميادينها.

يرى (الرواضية: ٢٠٠١) ان لطرائق التدريس أهمية لذا فقد انشغل المربون في إيجاد الطرائق التدريسية المناسبة للتدريس حتى سمي بعضها بأسماء أصحابها قديما وحديثا ومنها طريقة (الوحدات) التي بنيت على هدى أفكار العديد من مرابي القرنين التاسع عشر والعشرين أمثال (هربرت وديوي) وغيرهم، إلا أن الفضل في ظهور هذه الطريقة يعود أساسا الى المرابي الاميريكي (هنري موريسون) عام (١٩٦٢) فقد حظيت الوحدات الدراسية باهتمامه لا بل اقترنت باسمه حتى الوقت الحاضر وهو يرى ان الوحدة ما هي إلا جزء معين من البنية او علم من العلوم او فن من الفنون او نمط من السلوك يؤدي تعلمه الى تكيف او تعديل في سلوك الفرد، وقد طور موريسون هذه الطريقة لتفادي استخدام طرائق التدريس المعروفة التي تعمل على تدريس المواضيع منفصلة عن بعضها مما يورث الجمود في عملية التعليم (الرواضية: ٢٠٠١) ص ٣٨٦.

ويشير محمد (١٩٩٠) إلى أن (الوحدة هي تنظيم خاص في مادة الدراسة وطريقة التدريس تضع الطلبة في موقف تعليمي متكامل يثير اهتمامهم ويتطلب منهم نشاطا متنوعا يؤدي الى مرورهم في خبرات معينة تعلمهم تعلمنا خصوصا ويترتب على ذلك بلوغ مجموعة من الأهداف الأساسية المرغوب فيها ومنها اهتمامها بالمتعلم من حيث اثارة دوافعه واهتماماته ونشاطه لوضعه في موقف متكامل). محمد (١٩٩٠) ص ٢٠٢.

يرى الباحث ان هذه الطريقة تقوم على الوحدة الدراسية كتنظيم دراسي منهجي أو على الخبرة. وتعد طريقة الوحدات من الطرائق الحديثة في مجال التعليم حيث ينتقل فيه محور العملية التعليمية من الاهتمام بالمعلم والمادة الدراسية إلى الاهتمام بالمتعلم نفسه، فيتم تقديم المادة العلمية للدارسين بشكل يتناسب مع استعداداتهم وقدراتهم .

ذكر (الكلزة ومختار) ١٤٢٥ هـ (أن ظهور طريقة الوحدات كان نتيجة. للأسلوب السائد في تنظيم المواد الدراسية والخبرات التعليمية وهي تقسيم كل مادة من المواد إلى أجزاء أو أقسام صغيرة دون أن يكون لكل جزء من هذه الأجزاء في معظم الأحيان مغزى أو قيمة في حد ذاته مما أدى إلى حصول التلاميذ على حقائق وأفكار مفككة وغير مترابطة، يعتمدون في الحصول عليها في الغالب على الذاكرة والحفظ دون الفهم الصحيح لها وإدراك العلاقات والروابط بينها، وهذا بدوره أدى إلى قيام محاولات متعددة، فظهرت طريقة المشروع وطريقة حل المشكلات وطريقة الوحدات المدرسية) الكلزة ومختار: ١٤٢٥ هـ "ص ١١٩ .

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي الى التعرف على كيفية تطبيق طريقة الوحدات وبيان خطواتها ومستلزمات تطبيقها من قبل المعلم في مرحلة الدراسة المتوسطة.

حدود الدراسة:

اقتصر البحث الحالي على طلبة الصف الثالث المتوسط في محافظة النجف للعام الدراسي (٢٠١٢-٢٠١٣).

تحديد المصطلحات:

الطريقة:

عرفها (ال ياسين:١٩٧٥) هي " سلسلة فعاليات منظمة يديرها المعلم في الصف لتوجيه انتباه الطلبة عن طريق التفاعل فيما بينهم لتؤدي بهم الى عملية التعلم (ال ياسين:١٩٧٥)، ص٧٥ .
وعرفها(الكلزة وحسن: ١٩٨٥) "هي الأسلوب الذي يتم به عملية التعلم من جانب التلاميذ والتعليم من جانب المدرس والمدرسة والإدارة المدرسية،او كل من يهمهم أمر التلاميذ" (الكلزة وحسن:١٩٨٥)،ص ٧٤ .

وعرفها.(علوان،داخل محمد: ١٩٨٩) بأنها" سلسلة من الانشطة والفعاليات التي يستخدمها المعلم،داخل الصف ليزود بها المعلومات، والخبرات ويغرس في تلاميذه القيم،ويدربهم على اكتساب المهارات ويساعدهم في تحقيق التعلم في اسرع وقت واقل جهد (علوان،داخل محمد: ١٩٨٩)،ص٣٦ ويعرفها.(طنطاوي واحمد:١٩٧٦)" الاسلوب او الكيفية او الاساليب التي يتم بها عملية التدريس وعملية التعلم " (طنطاوي واحمد:١٩٧٦)، ص ٩٥ .

الوحدة الدراسية:

والوحدة الدراسية كما يراها. (فرج: ١٤١٩ هـ) هي " دراسة خطط يقوم بها التلاميذ في صورة سلسلة من الأنشطة التعليمية المتنوعة تحت إشراف المعلم وتوجيهه وتنصب الدراسة على موضوع من الموضوع التي تم التلاميذ أو على مشكلة من المشكلات التي تواجههم في حياتهم. ص ١٨٤ - ١٨٥ وعرف (Good.V: 1999) " الوحدة الدراسية بأنها " تنظيم للنشاطات والخبرات، وأمطاط التعليم المختلفة حول هدف معيّن، أو مشكلة معيّنة، تُحدّد بالتعاون بين مجموعة من المتعلّمين ومعلّمهم " وأشار.(جان: ١٤١٩ هـ): إلى أنّها (تجميع المعلومات والأفكار والمفاهيم المرتبطة بالموضوع مع بعضها البعض بقصد توحيد معلومات الطالب وأفكاره حول هذه النقطة. ولذلك سميت وحدة لأنها تهدف إلى وحدة معلومات الطالب وأفكاره) ص ٥٦٣

ويرى.(الأحمد واليوسف: ١٤٢٥ هـ): (أنها نقطة ارتكاز تتجمع حولها المعلومات والأفكار المختلفة وقد تمثل مشكلة أو خبرة أو تعميم لظاهرة البيئة أو موقف من مواقف الحياة وأن اختيار محتوى الوحدات يستند على الكتاب المنهجي والمادة الدراسية آخذين بنظر الاعتبار اهتمامات الطلبة وحاجاتهم) ص ١٠٠. ويرى.(الأمين: ٢٠٠٥ م): هي الطريقة التي تعتمد على فعالية المعلم في حسن اختياره لمادة الدرس التي تشملها الوحدة المراد تعليمها وفي اختيار المصادر ووضعها في تناول ايدي الطلاب. ص ١١٧ - ص ١١٨

عرفها.(الصراف: ١٩٩٩). بأنها " طريقة تدريسية تتضمن مجموعة من الأنشطة والمهارات المعرفية والعملية المقسمة الى مراحل يقوم بها كل من المدرس والطلبة يتخللها اختبارات تكون متبوعة بتقديم تغذية راجعة في نهاية كل مرحلة (الصراف: ١٩٩٩: ١٠).

وعرفها. (الرواضية: ٢٠٠١). بأنها " مجموعة الإجراءات الصفية التي يتخذها المدرس لتنفيذ مادة دراسية معينة تضع التلاميذ في مواقف تعليمية متكاملة تثير اهتماماتهم وتتطلب منهم أنشطة متنوعة تؤدي الى بلوغ مجموعة من الأهداف التعليمية (الرواضية، ٢٠٠١، ٢٨٨).

وعرفها.(الشافعي وآخرون: ٢٠٠٣). بأنها " عبارة عن موضوع هام من موضوعات الدراسة التي تم المتعلم يجمع حوله المعلومات من كل حقل من حقول المعرفة تتضح جوانبه ويدرسه الطالب متكاملًا " (الشافعي وآخرون: ٢٠٠٣: ٣٠١).

التدريس:

يشير.(الحמידان: ١٤٢٥ هـ). نظام شامل، يتكون من أجزاء مترابطة، شأنه في ذلك شأن أي نظام آخر، وعليه فإن عملية التدريس تتم وفق خطة مرسومة محورها الأساس. ص ١٧ - ١٨. ذكر. (شارلوتي: ١٤٢١ هـ). التدريس هي (قرارات مقصودة فالواجبات والأنشطة التعليمية لا يتم اختيارها مجرد المتعة، وإنما يتم اختيار أو بناء الأنشطة لكونها تخدم الأهداف التدريسية للمعلم، والتي تحكمها اهتمامات الطلاب وقدراتهم). ص ٧٨.

المواد الاجتماعية:

يعرف. (آل عمرو: ١٤٢٤ هـ). المواد الاجتماعية: " بأنها مجموعة من مواد مستقاة من العلوم الاجتماعية صيغت ونظمت محتوياتها في منهج دراسي لغرض التدريس ولتحقيق أهداف المواطنة لدى الطلاب. وتشمل المفاهيم والنظريات والعمليات في كل من التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والتربية الوطنية وغيرها من فروع العلوم الاجتماعية حسب أهداف التربية في نظام التعليم "ص ١٨ كما عرفها كل من.(دبور والخطيب: ٢٠٠١ م). بأنها " :جملة المقررات التي تعالج العلاقة بين الإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه، وعلاقات المجتمع بغيره من المجتمعات، وتعنى كذلك بدراسة علاقات الإنسان وميادين سلوكه وعلاقة الإنسان ببيئته والمشكلات التي تنشأ عن هذه العلاقات. وتشمل الاجتماعيات التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع " ص ٩

في حين ذكر(جمال ١٤٢٢ هـ). هي المناهج المدرسية التي تشمل التاريخ والجغرافيا، وكلها مواد بحكم طبيعتها تعالج المجتمع وواقعه وتطلعاته، وماضيه وحاضره ومستقبله، وهي تعني بدراسة العلاقات الإنسانية من ناحية، وعلاقات الإنسان ببيئته من ناحية أخرى والمشكلات والمواقف التي تبدو كرد فعل لتلك العلاقات " ص ١١

ويشير (السكران: ٢٠٠٢ م): (هي مجموعة الأفكار والمفاهيم والمبادئ التي تستخلص من ميادين العلوم الاجتماعية من أجل تنمية معرفة وقدرات .ومهارات وقيم التلميذ التي يواجهها في حياته لحل مشكلاته الحياتية). ص ١٩

ومن تلك التعريفات يمكن القول بأن مناهج المواد الاجتماعية تتكون من موضوعات دراسية وضعت بعناية ووفق أسس علمية موضوعية من قبل وزارة التربية والتعليم تحقيقاً لأهداف تربوية مرسومة ومكتوبة بعناية بحيث تتناول دراسة التراث الاجتماعي والثقافي من عادات وتقاليد وأعراف وقيم ودراسة العلاقات الإنسانية والبيئة وواقع المجتمع وآماله وتطلعاته ومشكلاته وقضاياها وماضيه وحاضره ومستقبله وإنجازاته ومكتسباته ومرافقه وميادينه الوطنية وحب الوطن وارتباط الأفراد به.

الفصل الثاني: دراسات سابقة

١- دراسة النعيمي (١٩٩٢).

اجريت الدراسة في جامعة الموصل كلية التربية وهدفت الدراسة الى معرفة (اثر استخدام طريقة الوحدات التعليمية في تعلم بعض المهارات الحركية لتلاميذ الصف الاول المتوسط) بلغ حجم العينة (٤٤) طالبا تم تقسيمهم الى مجموعتين ضابطة استخدمت الطريقة التقليدية والأخرى تجريبية استخدمت طريقة الوحدات، وتم اختبار المجموعتان الضابطة والتجريبية اختبارا مقنن جاهز لقياس المهارات الحركية وقدم استخدم الباحث لمعالجة البيانات احصائيا باستخدام الاختبار التائي ومعامل ارتباط بيرسون، وقد اشارت النتائج الى تقدم طريقة الوحدات في تعلم المهارات الحركية وهي بذلك افضل من الطريقة التقليدية (النعيمي ١٩٩٢).

٢- دراسة الصراف (١٩٩٩).

اجريت الدراسة في جامعة الموصل كلية التربية وهدفت الدراسة الى معرفة اثر طريقة الوحدات في التفكير الابتكاري والتحصيل في العلوم، وكانت عينة تتكون من (٤٦) طالبا تم تقسيمهم الى مجموعتين ضابطة تدرس بالطريقة التقليدية والأخرى تجريبية تسمى بطريقة الوحدات واستخدم الباحث في معالجة البيانات احصائيا استخدام الاختبار التائي ومعامل ارتباط بيرسون، وحققت طريقة الوحدات تقدما في تحصيل الطلبة لصالح المجموعة التجريبية (الصراف ١٩٩٩).

٣- دراسة الرواضية (٢٠٠١).

هدفت الى معرفة (اثر استخدام طريقة الوحدات في تحصيل طالبات الصف السابع في الاردن واحتفاظهن بالمعلومات في مادة الجغرافية مقارنة بالطريقة التقليدية)، وقد اختيرت مدرسة مؤتة الاساسية للبنات بطريقة عشوائية حيث قسمت عينة الدراسة البالغة (٦٤) طالبة الى مجموعتين متكافئتين من حيث المتغيرات (الذكاء والتحصيل في مادة الجغرافية ومستوى التحصيل الدراسي للابوين)، حيث درست المجموعة التجريبية بطريقة الوحدات والمجموعة الضابطة بالطريقة التقليدية، اما اداة الدراسة فكانت متمثلة باختبار تحصيلي تكون من (٢٥) فقرة من نوع اختبار من متعدد وتم معالجة البيانات احصائيا باستخدام الاختبار التائي والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري، وقد اظهرت النتائج الى عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين مجموعتي البحث في التحصيل والاحتفاظ بالمعلومات (الرواضية، ٢٠٠١).

٤- دراسة سلطان (٢٠٠٤).

هدفت الدراسة الى معرفة (اثر استخدام طريقة الوحدات في اكتساب تلاميذ الصف السادس الابتدائي للمفاهيم الزمنية في مادة التاريخ)، بلغ حجم العينة (٦٠) تلميذا تم تقسيمهم الى مجموعتين ضابطة تدرس بالطريقة التقليدية وتجريبية تدرس بطريقة الوحدات وقد كافأه الباحثة بين مجموعتي البحث في تحصيل التلاميذ في مادة التاريخ والمعدل العام للمواد الدراسية للصف الخامس الابتدائي في المستوى التحصيلي للابوين، وقد استخدمت الباحثة اداة جاهزة على عيني البحث، وتم معالجة البيانات احصائيا باستخدام معامل ارتباط بيرسون والاختبار التائي، أظهرت النتائج وجود فرق ذي دلالة احصائية بين متوسط الدرجة الكلية للاختبارين القبلي والبعدي في اكتساب المفاهيم الزمنية لدى التلاميذ الذين درسوا مادة التاريخ بطريقة الوحدات وكذلك لا يوجد فرق بين متوسط الدرجة الكلية للاختبارين القبلي والبعدي لدى التلاميذ الذين درسوا وفق الطريقة التقليدية (سلطان، ٢٠٠٤).

٥- دراسة ندى لقمان محمد امين الحبار (٢٠٠٨).

أجريت في جامعة الموصل وهدفت الدراسة إلى معرفة اثر استخدام طريقة الوحدات في اكتساب المفاهيم الفقهية لدى طلاب قسم التربية الإسلامية في كلية التربية الأساسية في جامعة الموصل، حيث بلغ حجم العينة (٥٧) طالبا وطالبة من طلبة الصف الثالث قسم التربية الإسلامية تم تقسيمهم إلى مجموعتين الأولى تجريبية بلغ عدد أفرادها (٢٩) طالبا تم تدريسهم باستخدام طريقة الوحدات والأخرى ضابطة بلغ عدد أفرادها (٢٨) والتي تم تدريسهم باستخدام الطريقة التقليدية (الإلقاء)، وقد أعدت الباحثة اداة

مكونة من (٣٦) فقرة بصيغة الاختيار من متعدد وتم التأكد من صدق وثبات الاداة وصعوبة الفقرات واستخدمت الباحثة الوسائل الإحصائية الاختبار التائي ومعادلة (كيودر ريتشاردسون) وقد توصل الباحث الى وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية التي درست وفق طريقة الوحدات. (الحبار: ٢٠٠٨)، ص ٦٦.

مناقشة الدراسات السابقة:

من خلال ما تقدم من دراسات سابقة يتسنى للباحث ان يستنتج ماياتي:

١- أن هذه الدراسات تشابهت كونها تدخل في نطاق الدراسات التجريبية، كدراسة محمد بن عوض (١٤٢٥ هـ) التي قام بها في دراسة في مقرر التوحيد لتلاميذ الصف الثالث المتوسط وفق طريقة الوحدات التعليمية و دراسة ندى لقمان محمد امين الحبار (٢٠٠٨) في جامعة الموصل، التي هدفت الى معرفة اثر استخدام طريقة الوحدات في اكتساب المفاهيم الفقهية لدى طلاب قسم التربية الإسلامية في كلية التربية الأساسية، وكذلك دراسة الصراف (١٩٩٩) ودراسة الرواضية (٢٠٠١) ودراسة سلطان (٢٠٠٤)، في حين الدراسة تدخل ضمن الدراسات الوصفية في تحليل الاجراءات العملية لتطبيق هذه الطريقة في المجال العملي.

٢- ان هذه الدراسات استخدمت وسائل احصائية متعددة لجمع البيانات والمعلومات في تحليل نتائج البحث ومن هذه الوسائل الاختبار التائي ومعادلة (كيودر ريتشاردسون) في دراسة (الحبار، ٢٠٠٨)، اما دراسة (النعمي ١٩٩٢) فقد استخدمت، الاختبار التائي ومعامل ارتباط بيرسون، واستخدمت دراسة (الصراف ١٩٩٩)، الاختبار التائي ومعامل ارتباط بيرسون، واستخدمت دراسة (الرواضية، ٢٠٠١)، الاختبار التائي والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري اما دراسة (سلطان، ٢٠٠٤)، معامل ارتباط بيرسون والاختبار التائي، اما الدراسة الحالية فانها لم تستخدم الوسائل لأنها جاءت ضمن الدراسات التاريخية في تحليل تدريس طريقة الوحدات.

٣- تباينت هذه الدراسات في احجام عيناتها وقد تراوحت هذه ما بين (٤٤) طالبا وطالبة الى (٦٤) طالبا وطالبة ويأتي هذا التباين في احجام العينة الى مدى توفر الوقت المتاح للباحث في استخدام التجربة. ٤- انفردت الدراسة الحالية عن بقية الدراسات السابقة المذكورة كونها الدراسة الوحيدة حسب علم الباحث التي استخدمت الجانب التحليلي في كيفية تنفيذ هذه الطريقة والإجراءات المرافقة لها.

مدى استفادة الدراسة الحالية من لدراسات السابقة:

يمكن تلخيص اوجه استفادة الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في النقاط الاتية:

١. تحديد الاطار النظري بهذه الدراسة وطريقة عرضها.
٢. طريقة عرض الدراسات السابقة وطريقة اختيار العينة وتنفيذ خطوات الدراسة.
٣. الاتفاق مع الدراسات على اعطاء اهمية لطريقة الوحدات في البحث والدراسة كونها ايجابية المتعلم في العملية التعليمية.

الفصل الثالث: (الاطار النظري)

مقدمة:

بعد ان تناول الباحث الدراسات السابقة في الفصل السابق وقام الباحث بمناقشتها وما لها من علاقة بالدراسة الحالية، ولغرض تحقيق اهداف الدراسة قام الباحث بشرح وافي لمفهوم تطور الوحدات وأنواعها.

الوحدات: Units / تطور مفهوم الوحدات الدراسية

نظرا لعقم الطرائق التربوية المستخدمة، بدأت منذ قرن من الزمن المحاولات لإيجاد طرائق تربوية أكثر فاعلية في تنظيم المنهج المدرسي أو كطريقة للتدريس، ومن أبرز الاتجاهات في هذا المضمار هي أفكار هيربارت Jones – F – Herbart.

أفكار هيربارت: (١٧٧٦ - ١٨٤١)

يشير، (الدليمي: ٢٠٠٣) أنها تسمى بالطريقة (الاستقرائية أو الاستنتاجية او الهيربارتية، تقوم هذه الطريقة على النمط العقلي وترتب الخطوات فيها ترتيبا تصاعديا وفكريا وتبدأ بدراسة الجزئيات وفحصها وملاحظة نتائجها والموازنة بينها وتعرف أوجه الشبه ولاختلاف بينهما وان أساس هذه الطريقة هي نظرية تربوية ترى أن العقل البشري يتكون من المدركات الفكرية وهذه الأخيرة يتراكم بعضها فوق بعض أو يرتبط بعضها ببعض الآخر وان هذه الأفكار تتفاعل مع بعضها البعض فتنتج أفكار جديدة) وهكذا وضع هيربارت الخطوات المنطقية الخمس وهي: المقدمة-العرض والربط والاستنباط والتطبيق. (الدليمي: ٢٠٠٣)، ص ٩٢

والطريقة الهيربارتية تتدخل مع طريقة المحاضرة والنقاش ومن أهم مبادئها وخطواته في التدريس تشمل على:

١- التمهيد أو الأعداد حيث يبدأ المدرس، درسه بمقدمة ذات معان واضحة ومعارف مفهومة ومرتبطة بخبرة التلاميذ السابقة.

٢- العرض: يتم عرض الحقائق الجديدة إلى الطلبة، والتي يرغب بتعليمها لهم.

٣- الربط: ربط الخبرات والمعلومات كما جاء في التمهيد والعرض.

٤- التنظيم أو التعميم: حيث يقدم المدرس بعض الأمثلة المتعلقة بالموضوع لجلب انتباههم ولتعزيز ما ينبغي تركيزه من مفاهيم لديهم.

٥- التطبيق: يطبق الطالب ما تعلمه من حقائق أو مفاهيم على حل مشكلات مماثلة أو جديدة قد يتعرض لها. (عبد العزيز: ١٩٦٩): (٢٠٤)

ومما يلاحظ أن الاستخدام الآلي لهذه الطريقة قد أفقدها قيمتها. (الديب: ١٩٧٣). إلا أن الميزة التي جاء بها هيربارت، هي أنه أبرز دور وحدة المادة الدراسية وتنظيمها بدلا من فعلها مجزأة مما يؤثر ذلك في تحقيق الأهداف المتوخاة من تدريسها. وهذا التنظيم يعتبر بداية استخدام فكرة الوحدة الدراسية في المناهج المدرسية. (الديب: ١٩٧٣)، ص ٤

طريقة دالتن:

وتعني طريقة الواجبات وهي إحدى طرائق التدريس الحديثة، والتي تنسب إلى (هيلين باركهست) التي يعود لها الفضل في نشأة هذه الطريقة عام (١٩٢٠) في دالتون بولاية تكساس بأمريكا حيث ذكر الكلزة ومختار (١٤٢٥هـ)، أن هذه الطريقة تحتفظ بالمواد الدراسية التقليدية. الكلزة ومختار (١٤٢٥هـ) ص ١٠٠

تقوم هذه الطريقة على أساس التعاقد. حيث يتفق التلميذ بموجب عقد على دراسة وحدات يختارها التلميذ ويحدد لها الوقت اللازم لدراستها، وللتلميذ الحرية في الانتقال بين صفوف (معامل) المدرسة (معمل للعلوم، وآخر للرياضيات وآخر للغات وهكذا) حيث كانت تعتبر المدرسة (معمل اجتماعي) (عبد العزيز، ص ٧٩). ويكون دور المدرس، مرشد وموجه لنشاط التلميذ في المعمل وحينما ينتهي التلميذ من دراسة الوحدة يؤدي بعض الاختبارات ليتعرف المدرس على مدى ما تعلمه أو استفادة الطالب من الوحدة الدراسية. (حمدان، ص: ١٩٨٥، ص: ١٦٥)، (عبد العزيز: ص ٧٩)، (الدمرداش، ١٩٦٢، ص: ١٣٦).

وأوضح فرج (١٤٢٦هـ) أن لهذه الطريقة عدة تسميات منها طريقة التعيينات أو التعهدات أو المختبرات أو المكتبات. فرج (١٤٢٦هـ) ص ١٧٨. نلاحظ أن هذه الطريقة نبهت إلى حاجات التلاميذ وإلى ضرورة إتباع منهج وحدة المادة في التدريس.

مفهوم الوحدة عند هنري موريسون:

رأى موريسون بأن المدرسة غير قادرة على إحداث التأقلم المطلوب لدى سلوك الفرد (الطالب) وهي بطريقتها الحالية في التدريس واعتمادها على التحفيظ والتسميع وعلى تفتيت المنهج المدرسي إلى مواد مبعثرة تؤدي إلى قصور في تحقيق أهداف التربية، لذا رأى بأن استخدام طريقة الوحدات في إعطاء معرفة كلية وشاملة تؤدي إلى إحداث التغيير المطلوب في سلوك المتعلم، ووضع خطة أطلق عليها خطة موريسون، نورها (باختصار) لتدرس الوحدات المقترحة (الديب، ١٩٧٣: ص ٤٣٨).

١- الاستكشاف Exploration: يحاول فيها المدرس من استكشاف واقع التلاميذ ومعرفة ميولهم بالنسبة لموضوع الوحدة وقد نأخذ ما بين نصف ساعة أو عدة حصص.

٢- العرض Presentation: يعرض المدرس فيها النقاط الأساسية عن الوحدة بشكل تعميمات وحقائق أساسية تاركا التفاصيل للطالب مستخدما طريقة الإلقاء، وفي نهاية العرض يستكشف مدى ما تعلمه التلاميذ عن طريق طرح بعض الأسئلة، وأحيانا يعيد المدرس بعض الحقائق مرة أخرى في حالة عدم فهمهم لها.

٣-لاستيعاب Assimilation: وفيها يوجه المدرس الطلاب إلى الأسئلة التي مطلوب منهم بالتفصيل، كما يزودهم بالأدوات والنماذج والأجهزة التي تساعد في دراستهم، وتعطى لكل طالب الفرصة الخاصة به لانتهاه من المهمة المكلف بها، وقد تستمر هذه المرحلة عدة أيام أو أسابيع.

٤-الترتيب Organization: وفيها يثبت التلاميذ أنهم قد استوعبوا الوحدة الدراسية وتتم هذه المرحلة عن طريق الاختبارات عادة.

٥-التسميع Recitation: وفيها يقوم التلميذ بطرح ما تعلمه بصورة تقارير أو مناقشات صفية لمعرفة مدى استيعابهم للوحدة الدراسية (الديب، ١٩٧٣: ص ٤٣٧ - ٤٤٠).

ومن المآخذ التي تطرح على طريقة موريسون كونها:

أ - لم تهتم بأغراض وحاجات التلاميذ.

ب - لم تتح لهم الفرصة في المشاركة بتخطيط الوحدة الأساسية.

ج - لم تدرّب الطلاب على التفكير الناقد أو حل المشكلات.

وحقيقة موريسون أن الوحدة ليست طريقة للتدريس فحسب بل وسيلة لترتيب وتنظيم المادة الأساسية والمنهج التربوي (الراوي: ١٩٦٤، ص ٧٧) ومن إيجابياتها الأساسية هي أنها قدمت مفاهيم جاهزة وقابلة للتطبيق حول طبيعة الوحدة الدراسية.

منهج النشاط وتطوير الوحدات الدراسية:

لاحظ الباحث ان اتجاه التربويين هو معالجة تفكك المنهج ومحاولة لإبراز وحدته، بعدها بدأ علماء النفس يهتمون بالطفل واعتبروه هو مركز التعليم والتعلم، ولا بد أن تتاح له الفرصة بأن يمارس النشاطات التي تتفق مع ميوله وحاجاته وعلى أهمية ربط الدراسة بالحياة، فظهرت مناهج النشاط التي تبرز الإيجابية الطالب في عملية التعلم، وهذا يساعد على تحقيق الأهداف التربوية بصورة أعم وأشمل كما سنرى في دراستنا هذه.

الاسس التي تقوم عليها طريقة الوحدات:

من خلال التطور التاريخي لمفهوم الوحدات وتطبيقاتها في مدارس متعددة نلاحظ أن الأسس التي تقوم عليها الوحدات الدراسية هي:

١ - التأكيد على وحدة المعرفة ومحاولين بذلك إبراز ما بين فروع المعرفة الإنسانية من ترابط وتماسك، حيث أن المناهج التقليدية جزأت المادة الواحدة إلى أجزاء دقيقة جدا. فعلى سبيل المثال (موضوع الاستعمار) فإنه يدرس في مادة التربية الوطنية وكذلك في الجغرافية والتاريخ، وكل ينظر لها من زاوية معينة، نلاحظ أن المعرفة عن حالة واحدة مجزأة وبالتالي فان استيعابها من قبل الطالب يكون صعبا، أما في حالة الوحدات فسيكون الإمام شاملا لجميع أطراف الوحدة الدراسية سواء كان هذا الاهتمام مركزا على ميول ومتطلبات التلاميذ والمشكلات والتحديات التي تواجههم أو الحقائق العلمية المرتبطة بالمادة الدراسية.

٢- ربط الدراسة بالحياة: ونعني به اكتساب التلاميذ لخبرات متعددة بطريقة وظيفية، حيث إن المناهج التقليدية وضعت سدودا بين محتوياتها وبين حياة وبيئة التلميذ، في حين التدريس الجيد لمادة الجغرافية مثلا يعتمد بالأساس على الملاحظة المباشرة للظواهر الطبيعية والبشرية المحيطة بالمدرسة أو في بيئة الطالب والاستعانة بالملاحظة غير المباشرة للغرض نفسه (الكرمي: ١٩٢٢، ٥١). والاستخدام الجيد لطريقة الوحدات في تدريس المواد الاجتماعية يهيئ للتلاميذ فرصة المشاركة والتعرف على مشاكل بيئتهم المحلية من خلال جمع الملاحظات والبيانات والحقائق المتصلة بموضوع الوحدة الدراسية.

٣- الدراسة على أساس أنشاط حيث يقوم الطلبة بممارسة مختلف الأنشطة الفكرية والحركية خلال الوحدة الدراسية، لما يتطلبه تدريس الوحدة من وقت وبذلك لا تكون الدراسة نظرية فقط وإنما تمزج النظرية بالتطبيق العملي، كما تراعي هذه الطريقة الفروق الفردية بين الطلاب من خلال ممارسة كل واحد منهم لأنواع النشاط ملبيا بذلك رغباته وحاجاته، بالإضافة إلى كونها تلبي متطلبات المجتمع المتطور ككل.

٤- شمول الخبرة أتاحت هذه الطريقة بالعناية بجميع جوانب الخبرة (المعرفة، المهارات، أسلوب التفكير، الاتجاهات والقيم، الميول والعادات، التذوق والتقدير وذلك لترباط الموضوعات وطول الفترة المستغلة في تدريس الوحدة)، (الدمرداش: ١٩٧٢، ص: ٢٧٨).

٥- التعارف المشتركة والتخطيط بين المدرس والتلاميذ: تنمي هذه الطريقة روح الجماعة والتعاون فيما بين التلاميذ أنفسهم، أو بينهم وبين كادر المدرسة التعليمي من جهة أخرى وهي بذلك تحقق هدفا تربويا ساميا، حيث أن تخطيط الوحدة وتحديد أهدافها وتوزيع العمل وتقوم نتائجها يكون للتلاميذ فيه دور ايجابي في تقريره ويكون للعمل التعاوني البناء صورة مشرقة يستفيد منها الطالب في حياته العملية وخاصة ما يتعلق بالتعاون وباحترام الآراء المختلفة وتغييرها إذا ما ثبتت صحتها، وبالتالي تصبح المدرسة مكانا لتعزيز الثقة بالنفس بدلا من المدارس التقليدية التي تعتمد على الحفظ والتلقين وأنظمة الامتحانات الحالية التي جعلت المدرسة مصدرا للقلق والتوتر بدلا من وظيفتها الاجتماعية الأساسية (الديب: ١٩٧٣، ص: ٤٥٠).

٦- مراعاة أسس التقويم السليمة لمعرفة مواطن القوة والضعف للمدرس والتلميذ معا حيث يكون التقويم شاملا ومتكاملا ومستمر طوال تدريس الوحدة.

انماط من الوحدات:

١- وحدة المادة: Subject matter units

تدور حول محور رئيس من المادة المدرسية، تتجمع حول حقائق ومفاهيم المتصلة بها مثل:

أ- وحدة دراسية محورها موضوع رئيسي من المادة الدراسية:

(الاستعمار وحركة التحرر العربي) (النفط العربي)، الأمين (١٩٨٥): (١٣٤)

ب- وحدة دراسية محورها مشكلة معينة:

(الهجرة من الريف إلى المدن) (الزراعة ومشاكلها في العراق) (الانفجار السكاني في مصر)

ج- وحدة دراسية محوراً قاعدة أو تقييم:

(الوحدة العربية حتم تاريخي وضرورة مصيرية تفرضها ظروف الطبيعة وحاجات المجتمع)

د- وحدة استعراضية...

(الحضارة اليونانية) حيث ترمي إلى دراسة حياة اليونانيين دراسة تستعرض شتى مظاهر هذه الحياة سياسية، واقتصادية، ودينية وغيرها، (الدمرداش: ١٩٦٢) ص ٣٨.

من خلال هذه المواضيع يتبين لنا تدريس الوحدة قائم على تنظيم الحقائق والمعلومات المتعلقة بحالة معينة ضمن إطار واحد، فمثلاً، الزراعة ومشاكلها في العراق، تدرس من الناحية الجغرافية من حيث أثر العوامل الطبيعية والبشرية عليها وتوزيع منتجاتها جغرافياً مع دراسة تطبيقاتها العملية في هذا المجال كما تدرس من الناحية التاريخية لمعرفة الأنظمة السياسية ودورها في تشريع القوانين والأنظمة التي لها علاقة بتطور الزراعة أو تخلفها، كما تدرس في موضوع التربية الوطنية من حيث إنجازات الثورة في حل مشاكل اقتصادية للبلد ومنها الزراعة والتشريعات التي أصدرتها حكومة الثورة مثلاً لحل هذه المشكلة. نلاحظ أن تجزئة هذه المادة يؤدي إلى تفككها وعدم استيعابها بشكل متكامل وواضح، في حين تدريسها بطريقة الوحدات يساعد على فهم جوهر هذه المشكلة وإبعادها عن مختلف الجوانب في مادة واحدة.

٢- وحدة الخبرة:

يكون محوراً حاجات التلاميذ ومشكلاتهم أو حاجات ومشكلات مجتمعهم فهي مستمدة أساساً من المواقف والمشكلات التي تلي رغبة التلميذ وميوله واتجاهاته في حلها: (الامين، ١٩٨٥، ص: ١٢٦)

كيف تعمل خارطة أو وسائل إيضاح لمادة الجغرافية، كيف نسهم في مساعدة العمل الوطني، كيف تساهم في تقوية الجبهة الداخلية، كيف ترشد الاستهلاك في الطاقة الكهربائية في ضوء الأعمال الإرهابية التي تستهدفها ولا بد من اعتماد معايير لتنظيم محتوى الخبرة تتمثل في:

أ - الاستمرارية: إن الخبرات التعليمية في الوحدة الدراسية لا بد أن تكون مرتبطة رأسياً، بمعنى أن الخبرة الحاضرة تستند إلى خبرة ماضية وتؤدي إلى خبرة لاحقة وهكذا أي إن النشاط في الوحدة التي يدرسها التلميذ في المرحلة الإعدادية تبنى على نشاط التلميذ في المرحلة المتوسطة.

ب- التتابع: ويتصل بالاستمرار، وهكذا يؤكد على أن كل خبرة تالية مبنية على خبرة سابقة مؤكدة على العمق والسعة للمسائل والأمر التي تتضمنها الخبرة.

ج- التكامل: أي أن النظرة الأفقية بين خبرات المنهج وتنظيمها ينبغي أن تتم بطريقة تساعد على تحقيق نظرة موصدة منسقة للخبرة. (ابراهيم، ١٩٨٦، ص ١٩٤).

تخطيط الوحدات:

١- اختيار موضوع الوحدة:

يختار المدرس موضوع الوحدة على أساس:

أ - علاقتها بالمنهج المدرسي المقرر.

ب- تمثيلها لحاجات أساسية من حاجات الطلبة أو لمشكلة اجتماعية عامة وفي كلا الحالتين على المدرس أن يلم بحاجات ومشكلات التلاميذ وبخصائص نموهم السيكولوجي ومشكلات مجتمعاتهم وأحوالهم المنزلية وخلفياتهم الفكرية وغيرها من الحقائق التي تخص الطلبة والمجتمع لكي تكون الوحدة ذات أهداف واضحة وملمية لحاجاتهم وحاجات مجتمعاتهم (الأمين: ٢٨).

على هذا الأساس يستعين المعلم بإجراء الاستفتاءات والاختبارات والمقابلات الشخصية ومراجعة سجلات البطاقة المدرسية لتعيين ومعرفة حاجات التلاميذ الإيجابية ومشكلاتهم لغرض تحديد موضوع الوحدة الدراسية هذا بالإضافة إلى كون مشاركة التلاميذ الإيجابية في اختيار موضوع الوحدة يجعل مساهمتهم إيجابية في عملية التعليم والتعلم (الأمين، ١٩٨٥، ص ١٢٧). وعلى المدرس أن يطلع على فلسفة المجتمع وأهدافه التربوية وتراثه الثقافي والحضاري والمشكلات التي يعاني منها وكذلك أن يطلع على ظروف البيئة المحلية للمدرسة (١١ - ٤٥٤) بشكل جيد وواعي.

٢- تحديد الأهداف:

لابد من تحديد الأهداف العامة والسلوكية (الخاصة) والتي يتوخى تحقيقها أو غرسها لدى التلاميذ، ولا بد أن تخطط هذه الأهداف بشكل واضح وسليم لغرض أن تكون النتائج واضحة وسليمة، ولا بد من مراعاة النقاط التالية في تحديد أهداف الوحدة:

أ - وضع إطار عام للأهداف:

أي أن تتناول الأفكار الأساسية أو التقييمات ذات العلاقة بالوحدة الدراسية وكذلك نوع المهارات التي يمكن تحقيقها والاتجاهات والعادات التي تنوي غرسها في التلاميذ، وما سبق نلاحظ بأن إلمام المدرس بهذه الخصائص تساعد على أن يطلع على الجوانب الأساسية في موضوع الوحدة إضافة إلى المهارات والاتجاهات والقيم التي تحققها الوحدة في التلاميذ.

ب- تحديد محتوى كل هدف وذلك من خلال:

- ١- ارتباط الأهداف بموضوع الوحدة.
 - ٢- الاهتمام بتحديد صياغة كل هدف، أي الابتعاد عن العموميات في صياغة الهدف وكلما كان الهدف محورا تمكن المدرس من تحقيقه.
 - ٣- أن تكون الأهداف واضحة ويمكن ترجمتها إلى مواقف سلوكية.
 - ٤- أن تكون ممكنة التحقيق ضمن ظروف المدرسة وإمكاناتها المادية.
 - ٥- أن تكون مناسبة مع الوقت المحدد لتدريس الوحدة.
 - ٦- أن تراعي الأهداف الفروق الفردية بين التلاميذ (الديب، ١٩٧٣، ص ٤٥٦-٤٦٠).
- على المدرس أن يطلع ويفهم على كيفية صياغة الأهداف السلوكية، وهذا مما يساعده على تنفيذ تخطيط الوحدة بشكل سليم. وعليه أن يسأل نفسه دائما، ما هي الأسباب التي تدعوه لدراسة هذه الوحدة، أو أجزاءها، وما هي المهارات الجديدة التي ينبغي غرسها لدى الطلبة، وما هي المشكلات أو

الخبرات التي ينبغي عليه أن يجعلها ضمن الوحدة والتي ستجعل الطلبة مهتمين بدراستها (جابر، ١٩٨٤/١٩٨٥، ص: ١١٧)، هذه التساؤلات تجعل الأهداف واضحة بالنسبة للمدرس.

ج- تنظيم المحتوى:

من خلال صياغة الأهداف، أصبح واضحاً ما هو المطلوب بالتحديد أن يتعلمه التلاميذ من معلومات أو ممارسة أنشطة معينة، ولا بد أن تكون الخبرات التعليمية منظمة منطقياً بحيث يدرك التلميذ العلاقة بين خبرة وأخرى (ابو العباس: ص ٢٤). وأن يراعى في تنظيم المحتوى الأساس السيكلوجي، أي أن يتفاعل المتعلم مع موقف له أهمية بالنسبة له ومن خلاله يكتسب خبرات متكاملة (الديب، ١٩٧٣، ص: ٤٦٠).

٣- اختيارات الأنشطة التعليمية:

يقوم المدرس باختيار أنشطة تعليمية لها علاقة بأهداف تدريس الوحدة وبممارستها التلاميذ أثناء دراسة الوحدة (الامين، ١٩٨٥، ص: ١٢٨). ومن الأسس التي يجب مراعاتها لاختيار الأنشطة التعليمية هي:

أ- أن تكون الأنشطة المختارة لها علاقة بتحقيق أهداف الوحدة.

ب- أن تعالج مشكلات ذات معنى بالنسبة للتلاميذ.

ج- أن تكون الأنشطة التعليمية مختلفة منها فردية أو جماعية ولا بد أن يؤخذ بنظر الاعتبار الفروق الفردية بين التلاميذ لدى توزيع الأنشطة عليهم.

د- أن يتضمن النشاط توجيهها واضحاً من قبل المدرس، مثلاً القيام برحلة إلى معمل إنتاجي ما هو المطلوب من هذه الرحلة، ما هي الأسئلة، كيفية التحدث مع المسؤولين وطرح الأسئلة، ما هي الأشياء التي يجب أن ينتبه إليها التلميذ؟ (الديب: ١٩٧٣، ص ٤٦٠ - ٤٦١) و (الدمرداش، ١٩٧٢، ص ٢٩٢ - ٢٩٤).

على المدرس أن يقسم هذه الأنشطة حسب مراحل العملية التعليمية التي تقوم بها فهناك أنشطة تستخدم كمدخل للدروس وأخرى مصاحبة له وأخرى ختامية للمراجعة وتلخيص محتوى الوحدة الدراسية.

٤- التخطيط والإعداد لعملية التقويم:

بعد أن توضحت الأهداف لدى المدرس عليه إذن أن يقيس مدى استفادة التلاميذ من الوحدة الدراسية على ضوء الأهداف المقررة لها، وهذا يتطلب منه إجراء تقويم مستمر مصاحب لعملية التدريس لغرض معرفة جوانب القوة والضعف لدى التلاميذ... بناءً لقدرة وصياغة وضع اختبارات وتحديد وسائل ومواقف يستخدمها المدرس أثناء وبعد تدريس الوحدة لقياس استيعاب التلاميذ للأهداف التي وضعت للوحدة الدراسية. (الديب: ١٩٧٣، ص ٤٦٠ - ٤٦١) و (الدمرداش، ١٩٧٢، ص ٢٩٢ - ٢٩٤).

٥- الوسائل التعليمية:

إن التدريس الناجح للوحدة الدراسية يتطلب توفير وسائل تعليمية تساعد على غرس الأهداف والاتجاهات لدى الطلبة مثل المصورات، والخرائط، والأفلام السينمائية، والكراسات والكتب، والمجلات

وغيرها من الأمور التي يراها المدرس مناسبة لإحداث التعلم المطلوب لدى التلاميذ. (الديب: ١٩٧٣، ص ٤٦٠ - ٤٦١) و (الدمرداش، ١٩٧٢، ص ٢٩٢ - ٢٩٤).

٦- مراجعة الخطة:

على المدرس أن يراجع الخطة (ما برجه عن الوحدة) بتأني لمعرفة جوانب الحضور فيها لتلاميذها وإعادة النظر مجدداً فيها قبل الشروع بتدريسها على الطلاب. ولا بد من الاستعانة بخبرات التربويين ومن لهم باع في هذا المجال لغرض مشاركتهم في صياغة الوحدة وبرمجتها بشكل يؤدي إلى نجاحها. (الديب: ١٩٧٣، ص ٤٦٠ - ٤٦١) و (الدمرداش، ١٩٧٢، ص ٢٩٢ - ٢٩٤).

مرجع الوحدة:

من خلال دراستنا لموضوع الوحدات، لاحظنا بأن المدرس يقوم بوضع خطة تفصيلية من خلال خبرته بالاشتراك مع تلاميذه لغرض تحقيق الأهداف المنشودة من تدريس الوحدة. وهذا العمل ليس بالأمر الهين وإنما يتطلب خبرة وباع طويل ومعرفة واسعة بالمادة وكذلك باتجاهات وميول الطلبة الذين يدرسهم، وهذا يحتاج إلى جهد متواصل، لذا أخذ المربون والتربويين يفكرون في إيجاد دليل للمدرس يعينه في تدريس الوحدة، هذا الدليل هو ما نطلق عليه مرجع الوحدة، وهو يتضمن الأمور التالية: (الامين، ص ٣١ - ٣٢) و (الديب، ١٩٧٣، ص ٤٦٥ - ٤٦٧)، (الدمرداش، ١٩٧٢، ص ٢٨٥)

١- عنوان الوحدة:

كل وحدة لها اسم محور يشير إلى نوعية محتواها وطبيعتها العامة.

٢- مقدمه:

يوضح فيها خلاصة مركزة لموضوع الوحدة ومغزاه بالنسبة للتلاميذ والأنشطة والفعاليات المصاحبة للتدريس.

٣- الأهداف:

من خلال دراستنا بشكل عام للأهداف ويمكن أن نقول بأن وضع أهداف محددة تراعى فيها الأسس السليمة من حيث ارتباطها بموضوع الوحدة وإمكانية تحقيقها بالمدرسة وملائمتها لمستوى التلاميذ وإمكانية قياسها وترجمتها إلى مواقف سلوكية، لهُو من الأسس العامة في نجاح وتدريس الوحدات.

٤- نطاق الوحدة ومحتواها:

ونقصد به مجموع المعلومات والحقائق التي تعطيها الأهداف الخاصة السابقة وتكون هذه المعلومات أما مهمة لذاتها كما هي الحال في وحدة المادة أو مهمة لتحقيق النشاط والخبرة كما هي حال وحدات النشاط والخبرة في التدريس (حمدان، ١٩٨٥ ص ٣٠).

٥- المصادر والمراجع والنشاط:

يتضمن المرجع قائمة بالمصادر والمراجع التي يحتاجها المدرس وكذلك الوسائل والأدوات التي تستخدم في التدريس، وكذلك أنواع النشاط المقترح المصاحب لتدريس الوحدة.

٦- مقترحات بأساليب تقويم الوحدة:

يشمل مرجع الوحدة على فصل خاص للتقويم ومجالاته وأدواته علماً بأن التقويم مستمر وملزم مع مراحل تنفيذ الوحدة وقد يشمل بطاقات يعدها المعلم لتدوين ملاحظاته عن كل تلميذ، أو مجموعة من الاختبارات الشفهية والتحريرية المصاحبة للتدريس (ابو العباس، (١٩٧٢): ٢٧)، أو الملاحظة المنظمة وغير المنظمة أو التقارير الشفوية أو الكتابية أو القدرة على التنفيذ العملي للمهارات والكفايات ذات الطبيعة العملية أو الحركية (حمدان، (١٩٨٥): ٣٠).

تدريس الوحدة:

بعد أن يتم تخطيط الوحدة وصياغة أهدافها وإعداد الوسائل الكفيلة بتدريسها بنجاح وما إلى ذلك من الأمور الضرورية، التي سبق ذكرها سلفاً... يشرع المدرس بتدريس الوحدة متتبعا الخطوات التالية:

١- تقديم الوحدة الغرض من تقديم الوحدة هو إثارة تفكير التلاميذ بموضوع الوحدة، بأن يربط بين موضوع الوحدة المزمع دراستها وبين خلفيات التلاميذ الفكرية أو يقوم بتعليق الصور والبطاقات الملونة أو عرض الأفلام العلمية ذات العلاقة عبر موضوع الوحدة، (الامين، (١٩٨٥): ١٢٩). أو يستغل الصحف ونشرات الأخبار المحلية التي تذاغ في وسائل الأعلام، أو القيام برحلة أو استدعاء زائر للتحدث في الموضوع (الديب، (١٩٧٣): ٤٧٨)، فمثلا في وحدة فلسطين (مشكلة فلسطين) يمكن استغلال أفلام توضح اضطهاد اليهود للعرب في الأرض المحتلة، أو نشرات الأخبار والصحف التي ما برحت تشير إلى اضطهاد اليهود يوميا للعرب الفلسطينيين..... ولا بد أن نشير بأن المدرس قد يستغل عدة دروس لغرض تقديم الوحدة.

٢- تصميم خطة عمل للسير في دراسة الوحدة ويتم فيها التخطيط المشترك بين المدرس والتلاميذ لغرض وضع خطة لدراسة الوحدة، حينئذ تثار الأسئلة والمشاكل التي يرغب التلاميذ في البحث عن حلول لها والتي تتصل بطبيعة أهداف تدريس الوحدة. كذلك يشترك التلاميذ مع المدرس في وضع خطط النشاط المزمع القيام به أثناء دراسة الوحدة، حيث إن هذا الاشتراك يتيح لهم فرص التعبير عن الذات، وتقدير آراء الآخرين وتعويدهم على أساليب التفكير السليم وآداب المناقشة (الدمرداش، (١٩٦٢): ٢٥٥). كما توزع الأعمال بين التلاميذ أما كأفراد أو كجماعات بحيث يعرف كل طالب ما هي الأعمال التي سيؤديها في الوقت المحدد... وعلى المدرس أن يمضي عدة حصص أسبوعية لهذا الغرض لأنه كلما أنجزت هاتين المرحلتين بإتقان كلما كان التقدم أسرع في دراسة الوحدة مثال: ففي مشكلة فلسطين: تثار الأسئلة التالية، من هم اليهود، ما علاقة الكيان الصهيوني باليهودية الدولية، دور الاستعمار في المشكلة، من هو بلفور، أين تقع فلسطين، ما هي

مواردها البشرية والاقتصادية، لماذا اختيرت فلسطين بالذات كموطن لليهود، الأمم المتحدة وقراراتها بهذا الشأن، دور الدول الكبرى في تكريس الاحتلال الصهيوني، الرؤساء والملوك العرب ودورهم في حرب فلسطين.... غ، من الأسئلة التي توزع على الطلبة لإيجاد إجابات لها.

٣- تنفيذ خطة العمل بعد أن وزعت الأسئلة والمشكلات والأنشطة المختلفة على التلاميذ، تبدأ الآن مرحلة العمل وهي مرحلة مهمة لاكتساب الحقائق وتعلم المهارات، ففيها تتم القراءة، والبحث، وجمع المعلومات وتنظيمها، وفي هذه المرحلة يتنوع النشاط، فقسم من التلاميذ يبحثون في المصادر والكتب عن حقائق تتعلق بالمشكلة وآخرين يقومون بمهارات يدوية مثل رسم الخرائط ونماذج وخطوط بيانية، وآخرون يجمعون الصور، والبعض يتولى (بأشراف المدرس) مقابلة أشخاص لهم علاقة بدراسة الوحدة أو متابعة الأخبار والبرامج التلفزيونية لمعرفة الجديد في المشكلة، وهكذا تتم تغطية جميع الحقائق المتعلقة بالوحدة الدراسية، بعدها يسهم التلاميذ جميعهم في كتابة التقارير وإعدادها للمناقشات الجماعية التي تدور حول المفاهيم والأفكار ووجهات النظر التي تم جمعها لغرض إجراء تغطية شاملة لموضوع الوحدة. علما بأن الفعاليات والنشاطات التي يمارسها الطلبة تنفيذا لتحقيق أهداف الوحدة تختلف حسب طبيعة المرحلة الدراسية وخبرة ونضج الطلبة ومدى توافر الإمكانيات المادية لتحقيقها (الامين، ١٩٨٥: ١٣١).

٤- تقييم نتائج تدريس الوحدة: إن عملية التقويم تتناول الوحدة ذاتها كما تتناول نتائج تدريسها ومن هنا تنوعت وسائل التقويم لتشمل الوحدة من حيث قيمة الموضوع ومدى ارتباطه بحاجات وميول ومشكلات التلاميذ والطريقة التي اتبعت في الدراسة ومن حيث الأعداد والتنفيذ. كذلك يتم التقويم ليس على مدى اكتساب المعلومات والحقائق المتعلقة بالوحدة وإنما أيضا على مدى قدرتهم على استخدام ما اكتسبوه وظيفيا في المواقف والمشكلات التعليمية، (الامين: ٣١)، وهذا يتطلب عقد اجتماعات دورية للجهات المسؤولة في المدرسة لمناقشة الصعوبات والمعوقات ومدى الإفادة والتقدم في دراستها. كما يتضمن إعداد تقارير من لجان المتابعة من المشرفين التربويين بشكل دوري كل المعوقات واقتراح الحلول الممكنة لها وكذلك مناقشة التلاميذ حول ما يقومون به من أنشطة، والإطلاع على تقدمهم التحصيلي والسلوكي، كما يتضمن التقويم إجراء اختبارات تحصيلية للطلبة لمعرفة مدى استيعابهم لموضوع الوحدة وفقا للأهداف المخطط لها سلفا، (ابو العباس، ١٩٧٢): ٨٧ - ١٢٠).

على هذا الأساس فان التقويم مهم لكل من الطالب والمدرس معا لغرض تقويم الدرس والاستفادة منه في التجارب المستقبلية أو في الحياة العملية نفسها. كذلك لاحظنا بأن التقويم عملية مصاحبة وملازمة لمراحل الدرس، فهو يبدأ مع المراحل الأولى وينتهي بانتهاء موضوع الوحدة.

مزايا وجوانب القصور في طريقة الوحدات:

أ - جوانب الامتياز:

١. إن هذه الطريقة توفر الدافع والحافز لدى التلميذ على الدراسة حيث يجد التلميذ نفسه مشاركاً فعالاً في الأنشطة التعليمية كافة لذا يجد أن هذه الطريقة هيأت له مواقف تعليمية تستجيب لحاجاته وحاجات مجتمعه (الامين: ٣٢). وبالتالي فالطالب هو محور العملية التعليمية، فالتحرر والانطلاق داخل المدرسة وخارجها والبحث عن المعلومات من مصادرها المختلفة عوامل مهمة لاجيائية التعليم.
٢. تؤدي هذه الطريقة إلى ترابط وتكامل معلومات وأفكار الطلبة حول موضوع الوحدة لأن الطلبة لا يدرسون محتوى أية مادة على أساس تقسيمها إلى أجزاء وحصص يومية، بل يدرسونها ككل متكامل مما يتيح لهم فهم جميع الحقائق والمفاهيم والعلاقات التي تتضمنها بسهولة ووضوح. ولا بد أن نشير بأن الوحدات جاءت كرد فعل على أساليب التعليم اللفظي غير المبصر وأساليب التحفيظ والتسميع وتقسيم المادة الدراسية إلى حصص يومية منفصلة ومتباعدة، (الامين، ١٩٨٥: ١٢٣).
٣. تتيح هذه الطريقة المشاركة الفعالة والإسهام الإيجابي في العديد من الأنشطة والفعاليات التربوية واستخدام الوسائل التعليمية بمختلف أنواعها، والزيارات والمقابلات وتوعيدهم على القراءة الناقدة، المنافسة الجماعية بروح بناء واحترام آراء الآخرين وإتاحة الفرصة لهم للعمل التعاوني المشترك وإلى كثير من ضروب السلوك الإيجابية التي تبرز من خلال تدريسها وهذا على عكس طريقة الأفكار حيث يكون المعلم هو المحور وليس التلميذ الذي دوره هنا هو أن يكون متلقي لمعلومات فقط.
٤. تتيح هذه الطريقة تنمية الاتجاهات والميول والمهارات لدى الطلبة، فكتابة البحوث والتقارير ومهارة القراءة وتفسير ورسم الخرائط والخطوط البيانية والتفكير الناقد كلها مهارات سيتعلمها الطالب من خلال تدريس الوحدة.

ب- أما جوانب القصور:

- ١- إنها تحتاج إلى وقت أطول في التدريس، وهذه الخاصية تمتاز بها طرائق التدريس الحديثة كافة حيث تؤكد على النوع وليس الكم.
- ٢- إن بعض المدرسين ليس لهم الخبرة والكفاية في التدريس بطريقة الوحدات وبالتالي تؤثر هذه سلبيات على تحقيق الأهداف المرجوة في تدريسها.
- ٣- بما أن هذه الطريقة تهتم بالمفاهيم والحقائق الكلية، فإن التدريس بها قد ينجم عن إهمال معاني بعض المعلومات الأساسية لدى وحدة ما.
- ٤- الخوف من أن تصبح الوحدة سبباً في تقسيم المنهج بدلاً من تكامله.
- ٥- قد تهتم بالشكل أكثر من المضمون.

٦- إن استخدامها بدون تخطيط كاف وعدم توفر المدرسين الجيدين الملمين بطبيعة الطريقة هذه وعدم توفر الإمكانيات المادية الضرورية، تصبح عامل هدم بدلا من أن تكون أساس بناء منهجي سليم.
(الامين، (١٩٨٥): ١٣٤) و (الديب، (١٩٧٣): ٤٨١)

الملاحظ إن هذه الانتقادات التي ورد ذكرها بأنها موجهة لا إلى الطريقة نفسها من حيث كونها منهجا وطريقة بل موجهة أساسا إلى سوء الفهم الذي ينجم عن تدريسها أو سوء اختيار موضوع الوحدة، ومدى قدرته على تلبية حاجات التلميذ والمجتمع، أو بسبب قصور في إعداد المدرس وبالتالي فهمه لطريقة التدريس أو إلى عدم توفر الكتب والمراجع والوسائل الخاصة بالتدريس.

الفصل الرابع: النتائج والتوصيات

من خلال الدراسة الحالية توصل الباحث الى النتائج الحالية:

اولا: النتائج

- ١- حظيت هذه الطريقة باهتمام الكثير من الباحثين من خلال بحوث تجريبها ومقارنتها بالطرائق التقليدية، حيث اثبتت فعاليتها كطريقة تدريسية وذلك من خلال استعراض الدراسات السابقة.
- ٢- تحتاج هذه الطريقة الى امكانيات مهنية كبيرة في طرائق التدريس ومن استخدام للتقنيات التربوية المصاحبة لهذه الطريقة لكي تتيح للطالب فهم الموضوع باسرع وقت واقل جهد.
- ٣- تستند هذه الطريقة على ايجابية المتعلم في عملية التعلم كونه المحور الاساسي في هذه الطريقة.
- ٤- ان التدريس بطريقة الوحدات لم يعد قاصرا على المواد الانسانية بل تعدى ذلك الى المواد العلمية.

ثانيا: توصيات الدراسة

وفقاً لنتائج الدراسة فإن الباحث يوصي بما يلي:

- ١- ضرورة استخدام المعلمين والمعلمات في تدريسهم لمقررات الجغرافيا بمدارس التعليم العام طرق التدريس الحديثة والتنوع في استخدامها حسب الحاجة إليها وحسب المواقف التعليمية في التدريس.
- ٢- التأكيد على استخدام المعلمين والمعلمات في تدريسهم لمقررات الجغرافيا بمدارس التعليم العام لطرق التدريس التي تثير التفكير وتنميهِ وتعتمد على النواحي العملية والتطبيقية والورش والمشاكل التربوية مثل: خرائط المفاهيم، والتعلم التعاوني، وطريقة الاكتشاف، والاستقصاء، والعصف الذهني، وتمثيل الدور، ودائرة التعلم، والتدريس بالفريق، والمشروعات، والتعيينات، والتعلم الالكتروني.
- ٣- تنظيم دورات تطويره من قبل وزارة التربية لتدريب مدرسي مادة العلوم الاجتماعية على استخدام الطرائق التدريسية التي تؤكد على ان يكون المتعلم مركز العملية التعليمية.
- ٤- ضرورة اهتمام وزارة التربية بأسلوب عرض وتنظيم مناهج العلوم الاجتماعية في المراحل الدراسية المختلفة المفاهيم المختلفة لحقائق المادة العلمية ومما يتناسب مع منهج العلوم الاجتماعية.

الفصل الخامس: المقترحات

- ١- القيام بدراسة حول اتجاهات المعلمين حول استخدام طرائق التدريس الحديثة في تدريس الجغرافيا أو التاريخ في بعض مراحل التعليم.
- ٢- القيام بدراسة مماثلة عن واقع استخدام طرائق التدريس الحديثة ومعوقاته في تدريس مقرر التاريخ أو الجغرافيا بالمرحلة الابتدائية أو المتوسطة أو الثانوية.
- ٣- القيام بدراسة تجريبية أو شبه تجريبية عن أثر استخدام طريقة من طرق التدريس الحديثة على التحصيل الدراسي في مادة الجغرافيا أو التاريخ بمرحلة تعليمية معينة.
- ٤- اجراء دراسة لمعرفة المعوقات التي تسهم في عزوف المعلمين عن استخدام الطرائق التدريس الحديثة في التعليم.

المصادر

- ال ياسين، محمد حسين، المبادئ الاساسية في طرق التدريس العامة، الطبعة لاولى، ١٩٧٤.
- ابراهيم، فوي طه، (١٩٨٦)، ورجب احمد الكلزة، المناهج المعاصرة، الطبعة الثانية، مكتبة الطالب الجامعي / مكة المكرمة.
- ابو العباس، احمد ونجم الدين على مردان، (١٩٧٢)، دراسة تجريبية وتقييمية للوحدات المدرسية، وحدة وسائل النقل لتلاميذ الصف الرابع الابتدائي، جامعة بغداد، مركز البحوث التربوية النفسية.
- الأحمدي، ردينة عثمان، واليوسف، حذام عثمان، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م طرائق التدريس، منهج، أسلوب، وسيله، ط ٢، دار المناهج، عمان، الأردن.
- آل عمرو، فهد بن عبد الله، ١٤٢٤ هـ: طرق تدريس المواد الاجتماعية، ط ٢، مكتبة المنتبي، الدمام.
- الأمين، شاكر، ٢٠٠٥ م: الشامل في تدريس المواد الاجتماعية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- الامين، شاكر محمود، و اكرم ابراهيم طه (١٩٨٥)، اصول تدريس المواد الاجتماعية، للصف الثاني معاهد المعلمين، وزارة التربية الطبعة السادسة.
- الامين، شاكر محمود، محاضرات في اصول تدريس المواد الاجتماعية، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد (محاضرات غير منشورة) للصف الثالث والرابع لقسم التاريخ، والجغرافية.
- جابر، وليد أحمد (٢٠٠٥ م). طرق التدريس العامة تخطيطها وتطبيقاتها التربوية، ط ٢، دار الفكر، عمان، الأردن.
- جابر، عبد الحميد جابر، (١٩٨٥/١٩٨٤)، اساسيات التدريس، للصف الثاني معاهد اعداد المعلمين، وزارة التربية، المديرية العامة للاعداد والتدريب.
- الجاف، عبد الرزاق محمد أمين عزيز اثر استخدام استراتيجي كلوزماير وميرل وتنسون في اكتساب المفاهيم والاحتفاظ بها لدى طالبات الصف الثاني المتوسط في التربية الإسلامية، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، أطروحة دكتوراه (غير منشورة).

- جامل، عبد الرحمن عبد السلام، ١٤٢٢ هـ: طرق تدريس المواد الاجتماعية، ط ١، دار المناهج، عمان، الأردن.
- جان، محمد صالح بن علي، ١٤١٩ هـ: المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس، ط ١، دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف.
- حمدان، محمد زياد، (١٩٨٥)، طرق منهجية للتدريس الحديث، سلسلة التربية الحديثة، دار التربية الحديثة، عمان الاردن.
- الحميدان، إبراهيم بن عبد الله. (١٤٢٥). التدريس والتفكير. القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ص ١٧، ١٨.
- الخرب، حمد عبد العزيز وعبد الرحمن، عبد الفتاح سعد، ١٤٢٤ هـ: طرائق التدريس العامة بين التقليد والتجديد مكتبة الرشد، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض.
- خضر، فخري رشيد، ٢٠٠٦ م: طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية، ط ١، دار المسيرة، عمان، الأردن.
- دبور، مرشد محمود و الخطيب، إبراهيم ياسين، ٢٠٠١ م: أساليب تدريس الاجتماعيات، ط ١، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة، عمان، الأردن.
- الدليمي، طه والوائل، سعاد. (٢٠٠٣). اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، عمان، دار الشروق.
- الدمرداش، سرحان، ومنير كامل، (١٩٧٢)، المناهج، الطبعة الثالثة، دار العلوم للطباعة، القاهرة.
- الدمرداش، سرحان، ومنير كامل، (١٩٦٢)، الطريقة في التربية، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة.
- الديب، فتحي عبد المقصود ومحمد صلاح الدين علي مجاور، (١٩٧٣)، المنهج المدرسي اسسه وتطبيقاته التربوية، دار القلم، الكويت، الطبعة الاولى.
- الراوي، مسارع حسن وصدقي حمدي، (١٩٦٤)، اصول تدريس العلوم الاجتماعية لمعاهد اعداد المعلمين والمعلمات، وزارة التربية، الطبعة الرابعة.
- الرواضية، صالح محمد (٢٠٠١) " اثر استخدام طريقة موريسن (الوحدات) في تحصيل طالبات الصف السابع الاساسي في الاردن واحتفاضهن بمادة الجغرافية مقارنة بالطريقة التقليدية " مجلة العلوم التربوية، مجلد ٢٧، العدد ٢، (٣٤٠ - ٣٨٤).
- السكران، محمد إبراهيم، ٢٠٠٢ م: أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية، عمان، الأردن.
- شارلوتي دانيلسون. (١٤٢١). مهنة التدريس ممارستها وتعزيزها " إطار نموذجي"، ترجمة عبد العزيز بن سعود العمر. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص ٧٨.
- الشافعي، ابراهيم محمد وآخرون (٢٠٠٣) المنهج المدرسي من منظور جديد، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.

- الصراف، زياد عبد الغني احمد (١٩٩٩) " اثر استخدام طريقة الوحدات في التفكير الأبتكاري والتحصيل في العلوم " كلية التربية، جامعة الموصل، رسالة ماجستير (غير منشورة).
- طنطاوي، محمود، واهمد بستان، تدريس المواد الاجتماعية، مصادره وأسسها وأساليبه، التطبيقية، دار البحوث العلمية، ١٩٧٦.
- الطيطي، محمد حمد (١٤٢٣ هـ): الدراسات الاجتماعية - طبيعتها - أهدافها - طرائق تدريسها، ط ١، دار المسيرة، عمان، الأردن.
- العاني، طارق علي، والجميلي، أكرم جاسم، ٢٠٠٠ م : طرائق التدريس والتدريب المهني، ط ١، المركز العربي للتدريب المهني وإعداد المدربين، طرابلس، ليبيا.
- عبد العزيز، صالح، التربية وطرق التدريس، دار المعارف، الجزء الثاني، الطبعة الحادية عشر.
- عبد العزيز، صالح، (١٩٦٩)، التربية الحديثة، الجزء الثالث، دار المعارف، مصر.
- عفانة، إسماعيل عزو والحزندار، نائلة نجيب، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م التدريس الصفّي بالذكاءات، دار المسيرة، عمان.
- علوان، داخل محمد، تقويم الطرائق التدريسية والوسائل التعليمية المستخدمة في تدريس مادة التاريخ من وجهة نظر المعلمين والمعلمات، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٨٩.
- غنيمه، محمد متولي (١٩٩٨)، سياسات وبرامج أعداد المعلم العربي، ط ٢، الدار المصرية، اللبنانية، القاهرة.
- فرج، عبد اللطيف حسين، ١٤١٩ هـ : المناهج وطرق التدريس التعليمية الحديثة، ط ٢، دار الفنون للنشر، جدة.
- الكرمي، زهير، (١٩٢٢) تعليم الجغرافية، مرجع اليونسكو، مطبعة حكومة الكويت.
- الكلزة، رجب أحمد و مختار، حسن علي ١٤٢٥ هـ: المواد الاجتماعية بين التنظير والتطبيق، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- الكلزة، رجب احمد، حسن علي مختار، المواد الاجتماعية بين التنظير والتطبيق، الطبعة الاولى، ١٩٨٥.
- محمد، مجيد مهدي (١٩٩٠) المناهج وتطبيقاتها التربوية، مطابع جامعة الموصل
- محمد، ندى لقمان. (٢٠٠٨). اثر استخدام طريقة الوحدات في اكتساب المفاهيم الفقهية لدى طلبة قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل.
- مهدي، و داد بنت عبد الجواد عبد الرزاق. (٢٠٠٨). واقع تدريس مادة الجغرافية للثالث المتوسط ومعوقاته بمدارس البنات بالمملكة العربية بمكة المكرمة / رسالة ماجستير غير منشورة.
- النعيمي، طلال تميم عبد الله (١٩٩٢) " اثر استخدام طريقة الوحدات التعليمية في تعلم بعض المهارات الحركية لتلاميذ الصف الاول، جامعة الموصل، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة.

- فرج، عبد اللطيف حسين، (١٤٢٦ هـ)، طرق التدريس في القرن الواحد والعشرين، ط ١، دار المسيرة، عمان، الأردن.

المصادر الأجنبية:

- Carter, Good.V (1999) : Dictionary of Education.Sixth Edition. New York: McGraw-Hill Book Company, P629.

مشروع الشرق الاوسط الكبير

(قراءة في الفكر السياسي الاميركي المعاصر)

The project of the big Middle east

(A reading in the American contemporary political thought)

M.A. Mithaq Minahi Disher

م.م. ميثاق مناحي دشر^(١)

ملخص الدراسة

تعد موضوعة الدراسة من المواضيع المهمة والمعاصرة في الفكر السياسي المعاصر، فمشروع الشرق الأوسط الكبير من المواضيع المعاصرة والتي ما زالت الولايات المتحدة تعمل على تحقيقها في المنطقة على الرغم من وجود معوقات كبيرة، فالولايات المتحدة عازمة على إصلاح ودمقرطة أنظمة الشرق الأوسط ولاسيما الأنظمة العربية بما يتوافق مع المصلحة الأميركية أولاً وبما يؤمن مصلحة وأمن إسرائيل في المنطقة ثانياً، وأبعاد شرور التنظيمات الارهابية والحركات المتشددة، فلا يمكن للباحث في مشروع الشرق الأوسط الكبير أن يدرس المشروع بأنه مشروع إصلاحية فقط دون الكشف عن البنية الحقيقية لهذا المشروع الاميركي، لان تداعياته السياسية وتشكيل مراحلها لازالت في طور التكوين، وربما نحن أمام عصر تكويني خامس أو سادس من عصور الشرق الأوسط كما يسميها ريتشاد هاس، وعلى نحو التكوين فهذا المشروع يحتاج إلى سنوات عقود من الزمن، لان عملية الإصلاح الديمقراطي تحتاج صبراً طويلاً وإصلاح مؤسسي تدريجي، وقد كشفت الدراسة ذلك من خلال دراسة المشروع الديمقراطي للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، وتاريخية ذلك المشروع في الفكر السياسي الاميركي والأوربي، وأهمية المنطقة

بالنسبة للولايات المتحدة. وهذا ما تم دراسته على شكل مبحثين تناول المبحث الأول مشروع الشرق الأوسط (الجذور والدوافع)، وقد تم تقسيم المبحث الى مطلبين تناول الاول التطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط، في حين تناول المطلب الثاني الدوافع الاميركية المحركة لمشروع الشرق الأوسط الكبير وأثرها في صياغة ذلك المشروع. أما المبحث الثاني تناول المشروع الديمقراطي الأميركي للشرق لأوسط وقسم المبحث الى مطلبين أيضا تناول المطلب الأول تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح لتقويض الإسلام الراديكالي، أما المطلب الثاني تناول موضوع القوة الناعمة ودورها في ترسيخ المشروع الديمقراطي الأميركي. إضافة الى الخاتمة والاستنتاجات.

Abstract

This study has been regarded as one of the important topics within the contemporary political thought, the Greater Middle East Project is one of contemporary topics, and the United States continue working to implementing it in the region despite there are many obstacles, The United States is planned to reform and democratize the Middle East regimes, particularly the Arab regimes in line with American interests firstly, and to secure the Israel's presence and interests in the region secondly, and combating terrorist groups and extremist movements. The researcher in the Greater Middle East project can not understand this project as a reformist project only without disclosing the true structure of this American project, because its political implications and formation stages are still in the formative stage, and perhaps that we are facing the forming of the fifth or sixth era of the Middle East eras as Richard Haass calls it, As the formative stage, this project needs to years and decades, because the democratic reform process requires patience and a long gradual institutional reforms, This study will reveal that by examining the democratic project brought by the United States in the Middle East, This study will reveal that by examining the democratic project brought by the United States in the Middle East, and its historical American and European political thought, and the importance of the region for the United States.

المقدمة

حظي الشرق الأوسط باهتمام كبير في السياستين الغربية والأميركية على حدٍ سواء، منذ بداية القرن العشرين والحرب العالمية الأولى واتفاقية سايكس بيكو، وبداية الاستعمار الأوربي المتمثل في الاستعمار البريطاني - الفرنسي في المنطقة العربية، وبعد الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة بين المعسكرين الأميركي - السوفيتي، واحتدام الصراع بين المعسكرين على منطقة الشرق الأوسط والبدء بسياسة

الاحلاف والاحلاف المضادة بين المعسكرين، وبداية التدخلات المباشرة في المنطقة، والشرق الأوسط الذي عد ساحة نزاع ومنافسة بين القوى المتصارعة، وحتى نهاية الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة في النظام الدولي وتسيدها العالمي، وإطلاق مشروع الشرق الأوسط الجديد من قبل الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز، وبداية التفكير لمشروع القرن الاميركي، حظي الشرق الأوسط أهمية كبيرة في التفكير السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الاميركية، وبدأت مراكز الأبحاث الأميركية بتقديم الدراسات والخطط لإطلاق مشروع الشرق الأوسط، إلى أن جاءت أحداث 9/11 / 2001م، وبدأت الإدارة الأميركية التفكير بجديّة وعزم في إصلاح الأنظمة السياسية الديكتاتورية في المنطقة، والداعمة للإرهاب وتحديث المنطقة ودمقرطتها وفق الرؤية الأميركية وبما يتناسب مع المصالح السياسية والامنية للولايات المتحدة وإسرائيل، ولذلك اطلقت الادارة الأميركية مشروع الشرق الأوسط الكبير ومبادرة الشراكة الأميركية الشرق أوسطية وتحديث المجتمعات والأنظمة السياسية للمنطقة؛ لإبعاد شهور الإسلاميين الراديكاليين، مستنداً لتقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية العربية 2002-2003م، ليدخل ذلك المشروع حيز التنفيذ بعد الحرب على افغانستان والعراق.

اهمية الدراسة:

تكمن اهمية الدراسة العلمية من كونه يبحث في الفكر السياسي الأميركي المعاصر أولاً، وأحد تجليات هذا الفكر ثانياً، ألا وهو مشروع الشرق الأوسط الكبير، وأهميته بالنسبة للسياسة الأميركية المعاصرة لاسيما بعد ظهور تنظيم "داعش" في المنطقة.

اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1. دراسة ماهية مفهوم الشرق الأوسط عبر المراحل التاريخية من خلال البحث في الجذور التاريخية لهذا المفهوم.
2. دراسة الأهمية الجيوسياسية والاستراتيجية للشرق الأوسط، وأهميته المعاصرة في العقل السياسي الاميركي.
3. الدوافع السياسية والفكرية التي دفعت الفكر السياسي الاميركي إلى إطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير.
4. دراسة اثر المتغيرات في البيئة السياسية وانتهاء الحرب الباردة ومصادر الطاقة وأمن إسرائيل، وأحداث 9/11 / 2001م، وأثرها في صياغة المشروع الأميركي.
5. دراسة الفكر السياسي الأميركي المعاصر في إصلاح المجتمعات الشرق أوسطية وطريقة ديمقراطية تلك المجتمعات وإصلاح انظمتها السياسية، انطلاقاً من الرؤية الأميركية المعاصرة وفق وسائل تحقيق الهدف الأميركي (القوة الصلبة والناعمة).

فرضية الدراسة :

تنطلق الدراسة من فرضية اساسية مفادها (أن الولايات المتحدة الأمريكية ما زالت تفتقر إلى استراتيجية واضحة المعالم في سياستها في الشرق الأوسط سواء فيما يتعلق بعملية إصلاح الأنظمة السياسية في المنطقة ودمقرطتها، أم ما يتعلق في المحافظة على استقرار الوضع السياسي في المنطقة بشكل عام). وبهذا ستحاول الدراسة إثبات صحة هذه الفرضية.

منهجية الدراسة :

اعتمدت المنهجية العلمية في التحقق من صحة فرضية الدراسة على المنهج التاريخي والمنهج التحليلي ويعتمد المنهج التاريخي في دراسة التطورات التاريخية لمفهوم الشرق الأوسط، فهو منهج ضروري لكل الدراسات والبحوث الانسانية، اما المنهج التحليلي فيعتمد في تحليل المواقف وأحداث الخاصة بموضوع الدراسة.

هيكلية الدراسة :

اقتضت الضرورة العلمية للدراسة تقسيم الدراسة على مبحثين، فضلاً عن مقدمة وخاتمة، وجاءت بالشكل الآتي:

المبحث الأول : مشروع الشرق الأوسط الكبير(التطور التاريخي والدوافع)، واشتمل على مطلبين، تناول المطلب الأول التطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط، اما المطلب الثاني فقد خصص بدراسة الدوافع الأميركية المحركة لمشروع الشرق الأوسط الكبير.

أما المبحث الثاني : فقد خصص لدراسة عنوان المشروع الديمقراطي الأميركي للشرق الأوسط، واشتمل على مطلبين ايضاً، خصص الأول لدراسة تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح لتقويض الإسلام الراديكالي، اما الثاني فتناول القوة الناعمة ودورها في ترسيخ المشروع الديمقراطي الأميركي في المنطقة.

المبحث الأول :مشروع الشرق الأوسط الكبير (التطور التاريخي

والدوافع)

تشكل منطقة الشرق الأوسط اهمية كبيرة من حيث موقعها الجيوسياسي والاستراتيجي، فضلاً عن اهميتها النفطية، ونتيجة لتلك الأهمية كان هناك اهتمام مبكر في منطقة الشرق الأوسط وصراع بين القوى الاستعمارية من اجل السيطرة على تلك المنطقة. فالحديث عن مشروع الشرق الأوسط الكبير، يتطلب - بصورة أو بأخرى - التطرق للتطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط، والدوافع الأميركية التي دفعت بالفكر السياسي الأميركي بإطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير. ولهذا سيتناول هذا المبحث مطلبين: تناول المطلب الأول: التطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط. اما المطلب الثاني فتناول: الدوافع الأميركية المحركة لمشروع الشرق الأوسط الكبير.

المطلب الأول: التطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط

يبدو أن مفهوم الشرق الأوسط مفهوم متحرك غير مستقر بالمعنى التاريخي، حتى في أبعاده الجغرافية والسياسية فقد تغيرت الصياغات السياسية والجغرافية والمسميات بالنسبة لهذا المصطلح، من الشرق الأوسط إلى الشرق الأوسط الجديد إلى الأورومتوسطية إلى الشرق الأوسط الكبير حسب المفاهيم الغربية (الأوروبية والأميركية)^(١). ويعد المؤرخون أن ولادة الشرق الأوسط المعاصر جاءت في أواخر القرن التاسع عشر، ويشير البعض إلى أن أولى مؤشراتها كانت مع توقيع معاهدة السلام بين روسيا والسلطة العثمانية في عام ١٧٧٤م^(٢).

إن مفهوم الشرق الأوسط يرجع في جذوره إلى بدايات القرن العشرين، حينما استخدمه رجل الاستخبارات البريطاني الجنرال توماس جوردن عام ١٩٠٠م، في تنبيهه للحكومة البريطانية من الخطر الروسي على مصالحها في الهند، وأن كان المفهوم قد ارتبط بالجنرال الأميركي الفرد ماهان عام ١٩٠٢م، حين نبه الحكومة البريطانية لأهمية منطقة الخليج العربي التي اطلق عليها الشرق الأوسط للإمبراطورية البريطانية ومصالحها في الهند، ليبدأ المفهوم بعد ذلك بالانتشار في الدوائر الاستعمارية الغربية،^(٣) وفي العام نفسه كذلك كتب فالنتاين شيروول مراسل جريدة التايمز البريطانية مجموعة مقالات امتدت لعدة شهور تحت عنوان (المسألة الشرق أوسطية)، حيث كرس فالنتاين مقالاته للبحث عن مقومات الاستراتيجية المتوفرة في المنطقة، والتي تعدها بريطانيا ضرورية لتأمين الدفاع عن مستعمراتها في الهند، والتي كانت توليها أهمية بالغة في ذلك الوقت. ونظراً لأهميتها، فقد اطلق عليها جوهر المستعمرات البريطانية. وقد تطور هذا التعبير وتساعد وفق استخداماته المرتبطة بالمصالح البريطانية^(٤). ليصل بعد ذلك إلى تأسيس قيادة الشرق الأوسط في القيادة العسكرية للحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

وقد استخدم هذا المفهوم للدلالة على المنطقة التي يقع مركزها في الخليج العربي الواقع بين منطقتي الشرق الأدنى والشرق الأقصى، وفي هذا الإطار شاعت فكرة الشرق الأوسط في السياسة البريطانية، وفكرة المشرق في ادبيات السياسة الفرنسية، وكلاهما مفاهيم جيوسياسية واستراتيجية دلت على طبيعة مخططات القوى الاستعمارية الأوروبية ازاء شرقها هي بالمعنى الجغرافي، وعكست استراتيجيات تقاسم مناطق النفوذ بينها، وخصوصاً مع اكتشاف البترول في كل من إيران والعراق وشبه الجزيرة العربية^(٥). وهكذا تداخل في المشروع الاستعماري الجغرافيا والتاريخ والأيدولوجيا وحمل المفهوم في طياته تطوراً لعلاقة الوطن العربي بالعالم الغربي لعصر ما قبل الحرب العالمية الأولى.

٢ - العفيفي، محمود حسن، مشروع الشرق الأوسط الكبير واثره على النظام الاقليمي العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية الآداب والعلوم السياسية، غزة، ٢٠١٢، ص ١٢.

٣ - هاس، ريتشارد، نهاية عصر الشرق الأوسط الجديد، مجلة فورن افيرز، ١٣ تشرين الثاني ٢٠٠٦، اعداد مركز الحرمين، مجموعة مقالات بعنوان (الشرق الأوسط الجديد)، ص ٩٤. انظر الرابط: <http://goo.gl/EbFMss>.

٤ - البرضان، احمد سليم، مبادرة الشرق الأوسط الكبير الإبعاد السياسية والاستراتيجية، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، المتابع الاستراتيجي، ٢٠٠٤، ص ٢١. انظر الرابط: <http://goo.gl/GaUrb6>.

٥ - زكي، صلاح احمد، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي، ط ١، دار العالم الثالث، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٧.

٦ - ثابت، احمد، الشرق الأوسط الكبير، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

جاءت الحرب العالمية الأولى لتسجل نهاية ذلك العصر أو ما يسميه ريتشارد هاس العصر الأول^(٧)، بالتزامن مع انحطاط وتفكك الدولة العثمانية، لبدأ الأوروبيون بعد ذلك بالتوغل في المنطقة، وتقاسم غنائم الحرب بين الدول الأوروبية المنتصرة معلنة بداية عصر الاستعمار، التي شهدت فيه المنطقة هيمنة فرنسية - بريطانية دامت نحو اربعة عقود، والذي سرعان ما انتهى في اعقاب الحرب العالمية الثانية التي استنزفت قوة الأوربيين، بالتزامن مع بروز القومية العربية، وظهور قوتين عظيمتين على مسرح السياسة الدولية، وفي هذا الاطار يعد المؤرخ البرت حوراني أن ازمة السويس في العام ١٩٥٦م كانت المؤشر على نهاية عصر الاستعمار(العصر الثاني) وبداية عصر الحرب الباردة في المنطقة، لافتاً إلى أن من يحكم الشرق الادنى يحكم العالم، ومن له مصالح في العالم يظل مقيداً بقضايا هذه المنطقة^(٨).

لم يكن مفهوم الشرق الأوسط يشير في الواقع إلى حيز جغرافي معين ولا تاريخ محدد مشترك لشعوب المنطقة، بل استند بالإساس إلى نظرة السياسات الاستعمارية، غير أن مفهوم الشرق الأوسط بدا في الانتشار اثناء الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء، للإشارة إلى الاقليم الممتد من جنوب اسيا إلى شمال افريقيا، ثم اخذ تعبير الشرق الأوسط يحل تدريجياً محل مصطلحات اخرى سادت في الاستعمال مثل الشرق الاقصى، والشرق الادنى^(٩). ومع قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م ركز المؤسسون الأوائل على مفهوم الشرق الأوسط للتضليل الحضاري على المنطقة. فالشرق أوسطية كفكره تنسب إلى مراكز خارج الشرق الأوسط، هو أوروبا تدريجياً وإلى الغرب، وفيه الآن الولايات المتحدة قطبه الاكبر، وهي لم تعبر ابداً عن نطاق جغرافي تاريخي محدد على وجه الدقة، بل تعرض للانكماش والتوسع مع تغير المشاريع الغربية والأميركية اتجاها الوطن العربي والعالم الإسلامي^(١٠). الا أن السياسة الأميركية بقيت مدركه للأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط من عام ١٩٠٢م، عندما اكد ماهان على اهمية المنطقة بقوله "إن الشرق الأوسط سواء كان مفهوماً استراتيجياً ام مفهوماً حدودياً للأجزاء الجنوبية للبحر المتوسط والامتداد الاسيوي، فإنه مرشحاً ليكون موقعاً للمواجهة المستقبلية بين الاستراتيجيات المتصارعة^(١١). فالإدراك الاميركي لأهمية المنطقة تبدوا بعيدة، ليس فقط ادراك اهميتها وانما دراستها عن بعد وهذا ما يبدو واضحاً في كتابات جون ليديارد وهو صديق توماس جيفرسون وربما يعد من أوائل الشخصيات الأميركية التي تدرك اهمية الشرق الأوسط عندما كتب " انه لمن الغريب ان اللغة العربية لا تحتوي على كلمة الحرية"^(١٢). وهذا يكشف عن مدى اهمية المنطقة العربية في الفكر السياسي الاميركي منذ زمن بعيد. ليبدأ

٧ - هو عصر وصول نابليون إلى مصر، الذي مهد لنشوء الشرق الأوسط الحديث وتفكك الدولة العثمانية.

٨ - هاس، ريتشارد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩.

٩ - العفيفي، محمود حسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

١٠ - المصدر نفسه، ص ١٢.

١١ - الرفوع، فيصل عوده، الغرب والصراع العربي الصهيوني في ظل الإسلام السياسي، مركز دراسات الشرق الأوسط، (التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط)، ط ١، عمان، ٢٠٠٠، ص ٦٤ - ٦٥.

١٢ - أورين، ميشيل، فطيرة التفاح والشرق الأوسط (لقد حاولت اميركا ولفتره طويله ان توجه الشرق الأوسط نحو القيم الأميركية، لوس انجلوس تايمز، ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٧، مركز الحرمين، مصدر سبق ذكره، ص ١١٤.

التدخل الأميركي الفعلي في منطقة الشرق الأوسط بعد ذلك وتمثل بالإطاحة بنظام مصدق في أيران وتثبيت حكم الشاه، ثم جاء الرئيس الأميركي أيزنهاور بمبدأ سياسة ملئ الفراغ، كي تحل الولايات المتحدة محل الاستعمارين البريطاني والفرنسي^(١٣). ليمد ذلك المبدأ نطاق المجال الحيوي للولايات المتحدة الأمريكية إلى الشرق الأوسط، وبرزت تطبيقات المبدأ بعد أن سمح الرئيس باستخدام القوات المسلحة الأمريكية، خارج الحدود في الشرق الأوسط، وكان التدخل المباشر في لبنان والاردن. ليأتي بعد ذلك مبدأ نيكسون والإنيابة المدعومة، والتي صيغت بعد ذلك إلى نظرية (فتنمه الحرب) أي جعل النظم المؤيدة للولايات المتحدة تلعب دورها في الدفاع عن مصالحها ومصالح الحليف الأكبر. وقد بدأ مبدأ نيكسون تطبيقاً في التحركات المكوكية لهنري كيسنجر، من أجل أن يقرر الشرق أوسطيين مستقبل الشرق الأوسط، برعاية العرب الأميركي، ومن هنا بدأت المفاوضات المباشرة بين الكيان الصهيوني والنظام السادتي، والتي انتهت بتوقيع اتفاقيتي سيناء الأولى والثانية، وجاء بعد ذلك مبدأ كارتر، في الشرق الأوسط، لي طرح ضرورة اعتماد القوة لغزو حقول النفط، وخاصة بعد حرب ١٩٧٣م، واستخدام النفط كسلاح^(١٤). ليستمر التدخل الأميركي في المنطقة بعد ذلك في عهد الرئيس ريغان في ثمانينات القرن الماضي، على المستويين السياسي والاقتصادي وفقاً للمصلحة الأمريكية، لكن من الخطأ القول أن العصر الثالث (عصر الحرب الباردة)، كان مجرد مرحلة تنافست فيها القوى العظمى بشكل منظم، فحرب حزيران ١٩٦٣م، أحدثت تغييراً في موازين القوة، فيما أظهر استخدام النفط كسلاح اقتصادي . وسياسي، في حرب ١٩٧٣م، وهشاشة الولايات المتحدة والعالم، سواء فيما يتعلق بالقدرة على تأمين النقص في الموارد النفطية والقدرة على التحكم في اسعارها، في وقت أوجدت فيه موازين الحرب الباردة، اطاراً سياسياً، استطاعت من خلاله القوة الاقليمية أن تحافظ على استقلالية كبيرة للعمل وفقاً لأجندتها الخاصة، وجاءت الثورة الإسلامية في أيران لتطرح بدعائم السياسة الأمريكية في المنطقة، ولتظهر عدم قدرة القوة الخارجية على التأثير، في الاحداث المحلية، عدا أن الدول العربية كانت قد نجحت في مواجهة المحاولات الأميركية لجرها مشاريع مناهضة للسوفييت، فيما ادى الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢م، إلى ولادة حزب الله، وقت استنزفت فيه الحرب العراقية الإيرانية هذين البلدين طيلة عقد من الزمن^(١٥). لينتهي بذلك العصر الثالث معلناً بداية العصر الرابع (عصر ما بعد الحرب الباردة) على منطقة الشرق الأوسط. ليبدأ ذلك العصر بالترويج بتحقيق السلام في المنطقة، وهو ما عبر عنه روبرت ماكفرلين، مستشار الامن القومي الأميركي السابق عام ١٩٨٨م، بقوله "يجب أن يكون للتوجه السياسي بعده الاقتصادي، على

١٣ - ليبب، فحري، النظام العالمي الجديد والمبادرات الأمريكية لشرق أوسطية، قضايا فكرية من اجل تأصيل العقلانية والديموقراطية والابداع، سلسلة كتب قضايا فكرية، قضايا فكرية لنشر والتوزيع، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٠٧.

١٤ - المصري، احمد، الاستراتيجية الأمريكية والشرق الأوسط المنطق النظري والتطبيقات العملية، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العدد ٣، ٢٠٠٧، ص ٦٧-٩٤. انظر الرابط: <http://goo.gl/J8Oyuh>.

١٥ - هاس، رتشارد، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

اساس أن السلام في الشرق الأوسط هو مصلحة عالمية، وأنه يجب تأمين تكاليف هذا المخطط عالمياً^(١٦).

وتعود أيديولوجيا الشرق الأوسط الكبير إلى طروحات المؤرخ البريطاني برناند لويس في مقال له نشر في مجلة الشؤون الخارجية بعنوان (أعادة هيكلية الشرق الأدنى) عام ١٩٩٢م^(١٧). ولكن قبل ذلك وبعد عقد مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١م، طرح شمعون بيريز مفهوم الشرق الأوسط الجديد، وألف كتاب حمل نفس العنوان يدعو فيه إلى اختراق العالم العربي، من خلال النشاط الاقتصادي بالتوازي مع الدعم الأميركي السياسي والاقتصادي للمنطقة العربية، وهو الطرح ذاته الذي عبر عنه روبرت ماكفرلين، بأن يكون للتوجه السياسي بعده الاقتصادي، لان بيريز كان يدعو إلى اختراق اقتصادي مسنود بتوجهات سياسية أميركية. إلا أن تعثر عملية السلام، وانهايار اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣م، ووصول اليمين المتطرف إلى الحكم ورفضه لهذا المفهوم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وفي اعقاب حرب الخليج الثانية والتواجد الأميركي في منطقة الخليج، تبنت الولايات المتحدة استراتيجية شاملة لمنطقة اسيا الوسطى والخليج العربي وبقية الدول العربية تحت مفهوم منطقة مترامية الاطراف من المغرب غرباً إلى هضبة التبت شرقاً وتضم تركيا وإيران وباكستان وافغانستان، كما ظهر مفهوم (الشرق الأوسط الكبير) في التقرير الاستراتيجي السنوي لعام ١٩٩٥م، الصادر من معهد الدراسات الاستراتيجية القومية التابع لوزارة الدفاع الأميركية، حيث خصص فصل منفرد للشرق الأوسط الكبير من المغرب حتى الحدود الصينية ليشمل المغرب العربي واسبيا العربية واسبيا الوسطى الإسلامية وجنوب اسيا^(١٨). وفي عام ١٩٩٩م، حدث تطور عسكري هام مرتبط بالشرق الأوسط الكبير، تمثل في نقل وزارة الدفاع الأميركية امر القيادة العليا للقوات الأميركية في اسيا الوسطى من قائد القوات الأميركية في الباسفيك (المحيط الهادي) إلى القيادة المركزية للشرق الأوسط التي كانت تعرف بقوات الانتشار السريع. إلا أن مع اعلان بوش الابن مبادرته (الشرق الأوسط الكبير) نجد أن هناك تحولا في طرح حدود هذا المفهوم خاصة منذ انعقاد مؤتمر قمة الثماني ومشاركة الدول الأوروبية، حيث اصبح يطرح الشرق الأوسط الكبير وشمال افريقيا، وكأن منطقة المغرب العربي خارج نطاق الشرق الأوسط الكبير^(١٩).

يتضح مما سبق أن مفهوم الشرق الأوسط لم يكن وليد مرحلة معينة، فهو يطلق على المنطقة العربية بشكل ثابت بينما يتحدد احيانا ليشمل دولاً أخرى أو ينكمش وفقاً للسياسات الاستعمارية الغربية آنذاك، ووفقاً لأهداف القوة المسيطرة والتي تختلف من مرحلة إلى أخرى. وإذا كان الشرق الأوسط غير

١٦ - ابو راشد، عبد الله احمد، العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، دار الحوار، ط١، ١٩٩٩، ص٦٤.
١٧ - الصواف، منتصر غازي، تأثير المحافظين الجدد على السياسة الخارجية الأميركية اتجاه سوريا ما بعد احداث ١١/أيلول ٢٠٠١، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم العلوم السياسية، ٢٠١٣، ص٩٤.
١٨ - البرصان، احمد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.
١٩ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

واضح المعالم، بالنسبة للسياسات الاستعمارية، فان الدوافع الأميركية لشرق الأوسط تبدو واضحة بشكل أكبر.

المطلب الثاني : الدوافع الأميركية المحركة لمشروع الشرق الأوسط الكبير

تعد منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي احدى اهم المناطق الحيوية والاستراتيجية للمصالح الغربية عموماً والأميركية بوجه خاص، ليس بسبب موقعها الجغرافي والاستراتيجي فحسب، وانما لدوافع اخرى، وفيما يأتي اهم الدوافع التي حركت العقل السياسي الاميركي ليطلق مشروع الشرق الأوسط الكبير.

اولاً: القيم الأميركية والروح التوسعية للفكر السياسي الاميركي.

ثانياً: النفط وضمان أمن إسرائيل.

ثالثاً: تغير البيئة السياسية وانتهاء الحرب الباردة.

رابعاً: احداث ١١/أيلول سبتمبر ٢٠٠١م.

وسنحاول - وبشيء من التفصيل - توضيح هذه الدوافع

١. القيم الأميركية والروح التوسعية للفكر السياسي الأميركي

في مطلع القرن التاسع عشر أو عام ١٨١٢م، على وجه التحديد قال الروائي هيرمان ميلفيل^(٢٠) "نحن رواد العالم وطلانعه.. اختارنا الرب، والانسانية تتطلع إلى سلالتنا وتنتظر منا الكثير، ونحن نشعر في مكنون انفسنا بالقدر على فعل الكثير، لقد بات لزاماً على الكثير من الأمم أن تحتل المؤخرة.. نحن الطليعة ننتقل إلى البرية لنقدم ما لم يستطع أن يقدمه الأوائل"^(٢١). وما قاله تيودور روزفلت ١٨٥٨-١٩١٩م، "أمركة العالم مصير امتنا وقدرها"^(٢٢). تلك الأقاويل وغيرها تعكس إلى حد كبير الروح التوسعية للفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة في وقتنا الحاضر. ففلاسفة الفكر الاميركي يؤمنون بأن الولايات المتحدة الأميركية امة صاحبة رسالة عالمية، وقد كلفها الله بتلك الرسالة وهذه الرسالة امتزجت مع الفكر السياسي الأميركي بروحه التوسعية ومضمونه البراغماتي الواقعي، لتظهر بمظهر الامة المكلفة بحماية الارض وبرعاية كونية، فالتفكير البراغماتي العملي يحتاج إلى النجاح حتى لو تخلى عن الروح الاخلاقية، وهذا يتسق كثيراً مع قول الكسندر هاملتون ١٧٥٥-١٨٠٤م، أول وزير خزانة في الولايات المتحدة بقوله "النجاح لا يعرف الاخلاق"^(٢٣). فالنجاح الاميركي ربما يفرض اخلاقيات من نوع آخر

٢٠ - هيرمان ميلفيل (١٨١٩-١٨٩١م)، روائي اميركي مؤلف رواية موبى ديك، التي صدرت في ١٨ أكتوبر عام ١٨٥١م، تدور حول صراع تراجميدي بين حوت وانسان تتخذ من هذا الصراع الضاري وسيلة لتأمل الوضع البشري وعلاقته بالوجود، كما تحوله إلى كيان رمزي معقد وحكاية البلغورية عن كيفية العيش، وعن المشروع الاميركي الذي وجد في عمل ملفيل شكلاً من اشكال التعبير عن نفسه في منتصف القرن التاسع عشر أي حين كانت اميركا تكتشف ذاتها كقوة كونية وامبراطورية امبريالية اميركية بالقوة والامكان، فكانت رواية موبى ديك، وروايات ملفيل الاخرى نبوءة لما ستصير اليه هذا القوة الكامنة. ويكيبيديا الموسوعة الحرة. ٢١ - ليفين، اناتول، اميركا بين الحق والباطل(تشريح القومية الأميركية)، ترجمة ناصر السعدون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٩٢-٩٣.

٢٢ - العيساوي، ميثاق مناحي، البراغماتية في الفكر السياسي الاميركي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، ٢٠١١، ص ١٥٠.

٢٣ - جلال، شوقي، العولمة الهوية والمسار، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٩٢.

تختلف عن اخلاقيات العالم الآخر. هذه الأقاويل والخطب ومبادئ الرؤساء الأميركيين خلقت ارضية فكرية واصبحت خلفية فكرية للسياسات الأميركية اللاحقة، فمفهوم الشرق الأوسط ادركه العقل الاميركي منذ وقت مبكر، فتوماس جيفرسون يعتقد أن الولايات المتحدة لا تستطيع الاعتماد على أي معاهدات سلام مع أي دولة شرق أوسطية والتي ترتبط بمعاهداتها مع حياة حاكمها^(٢٤). اذاً فالاعتقاد الراسخ في العقل الاميركي بأن جذور القيم الديمقراطية والإصلاح التي تروج لها الولايات المتحدة اليوم عبر مشروع الشرق الأوسط والعالم العربي، موجوده في القيم الدينية الأميركية والسلوك الاميركي، وأن قيم الديمقراطية تتطلب هذه الارضية لتدعيمها^(٢٥).

يقول جون مكين في مقال نشر في فصلية فورين أفييرز(الشؤون الخارجية الأميركية)، "يجب إن نسير قدماً نحو ربط الأمم الديمقراطية بعضها مع بعض في منظمة واحدة، منظمة رابطة الديمقراطيات العالمية" وهذا ما تسعى اليه اليوم الولايات المتحدة في مشروعها الشرق أوسطي وهذه ستكون مختلفة عن خطة ودر وولسون، خلال وبعد الحرب العالمية الأولى، بأثناء عصبة الأمم ذات العضوية المفتوحة، بل اقرب إلى ما تخيله تيودور روزفلت، حيث الدول المتشابهة تعمل بشكل لصيق بعضها مع بعض من اجل السلام والحرية، وهذا ما روج له المحافظون الجدد، لفكرة تأسيس رابطة الدول الديمقراطية، يكون هدفها الدفاع والمحافظة على مصالح هذه الدول ومصالحة الولايات المتحدة^(٢٦)، وربما هو الهدف الاكبر وراء مشروع الشرق الأوسط الكبير.

فقد وضعت الادارة الأميركية في عهد بوش الابن المصلحة الأميركية أولاً ولاحقاً وتناخمت مع مقولة روزفلت " إن قدرنا هو امركة العالم"، في صياغة اميركية معاصرة تحت مفهوم النظام العالمي، مقسمة المجال لإقامة نظام شرق أوسطي وفق المقاييس الأميركية^(٢٧). لذلك فإن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في بداية القرن الحادي والعشرين هي محاولة الجمع بين الترويج للقيم وقواعد السلوك بين العرب والمبنية على اساس العقيدة الأميركية مع دعم لدولة إسرائيل، التي تستند سياستها إلى الأطروحة الأميركية المضادة^(٢٨)، وهيمنة الاحلاف العسكرية والحكم على الشعوب الاخرى على اساس مزيج من مزاعم ليس لأي منها تربط مع القيم الليبرالية الشاملة^(٢٩). وهذا ما أعلنت عنه كونداليزا رايس حينما كانت مستشارة للأمن القومي الأميركي عام ٢٠٠٢م، بأن الولايات المتحدة تريد تحرير العالم الإسلامي ونشر الاسلوب الديمقراطي في ربوعه أولاً، وثانياً نريد تغيير الأنظمة السياسية العربية، وهو ما تجلّى بمشروع الشرق

٢٤ - أورين، ميشيل مصدر سبق ذكره، ص ١١٤.

٢٥ - كوريت، مايكل وكورنية، ميشيل، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأميركية، ترجمة زين نجاتي ونشأت جعفر، ج ١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، لوس انجلوس، ٢٠٠٢، ص ٢٢٢.

٢٦ - الحروب، خالد، في الفكر السياسي الاميركي الجديد (عودة التاريخ ورابطة الديمقراطيات)، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد، ٢٠٠٨، ص ٣٤ و ٣٧٥.

٢٧ - ابو راشد، عبد الله احمد، مصدر سبق ذكره، ص ٧١.

٢٨ - الأطروحة الأميركية المضادة (American Anti_Thesis)، وهي العوامل التي يراها المؤلف (اناتول ليفن) انها تؤثر سلباً على عظمة الولايات المتحدة على الصعيد العالمي، ليفن، ص ٥٥٦.

٢٩ - ليفين، اناتول، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣٨.

الأوسط الكبير، والاطاحة بنظام صدام حسين لدمقرطة المنطقة وضمها لرابطة الديمقراطيات العالمية التي اعلن عنها المحافظون الجدد.

إذاً ما يمكن قوله أن القيم الأميركية التي خلقها المؤسسون الأوائل، والروح التوسعية للفكر السياسي الأميركي كانت دافعاً مهماً لمشروع الشرق الأوسط في المنطقة، فالخطب والتصاريح الأميركية الرسمية والغير الرسمية، المترجمة بالقيم الأميركية الدينية والغير دينية، مثلت مرجعاً فكرياً للسياسات الأميركية المعاصرة، وخلقفت فكراً سياسياً أميركياً بُنيت على اساسه مشاريع واحتلت دول، واسقطت أنظمة سياسية، بتلك المرجعية الفكرية، ومشروع الشرق الأوسط هو احد افرازات ذلك الفكر.

٢. النفط وضمان أمن إسرائيل

احتلت مسألة النفط جانباً كبيراً من اهتمامات كافة الادارات الأميركية المتعاقبة، نظراً لما يشكله النفط من مصلحة اساسية للولايات المتحدة الأميركية، والقوى الكبرى، بسبب وجود احتياطيها بترولية ضخمة ومؤكدة، سهولة الاكتشاف، ومنخفضة التكاليف مقارنة بأية منطقة اخرى في العالم، وما قاله السيناتور الأميركي أوين بروستر في أيار عام ١٩٤٧م، يؤكد ذلك يقول " إن من يقعد على صمام النفط في الشرق الأوسط يمكنه أن يتحكم في مصير أوروبا"^(٣٠). يشكل هذا القول في مضامينه وخلفياته اهمية النفط العربي كضرورة اقتصادية - عسكرية وكقوة سياسية فاعله في فرض شروط الاقوياء، واحكام السيطرة الكونية ومقدرات الدول والشعوب. ففي شهر مارس من العام ٢٠٠١م، صرح سينسر ابراهام أول وزير طاقة في ادارة بوش الابن قائلاً "اميركا مقبلة على ازمة كبيرة في توفير الطاقة في العقود القادمة، وأن أي فشل في مواجهة هذا التحدي سيعرض اقتصادنا وامنا القومي للخطر، وتغير اسلوب حياتنا بكل معنى الكلمة مما دفع أو يدفع القوى العظمى إلى احكام سيطرتها على منطقة الشرق الأوسط التي تحوي على أكبر احتياطي للنفط في العالم"^(٣١).

فسياسة الولايات المتحدة للسيطرة على النفط في العالم ليس وليدة اليوم، بل هي تضرب عميقاً في جذور التاريخ الأميركي، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فالقرن الحادي والعشرون بدأ بحرب من اجل السيطرة على ثروة القرن الكبرى، أي النفط وذلك عندما شنت اميركا الحرب على العراق ٢٠٠٣م. فلم يكن هدف الحرب تخليص العراق من نظام ديكتاتوري، ولا الحرب على الارهاب، بل كان الهدف تحقيق مصالح اميركية استراتيجية متعلقة بضمان هيمنة اميركا على هذه المنطقة النفطية، وتأسيس لمشروع الشرق الأوسط، وتقسيم المنطقة لضمان أمن إسرائيل، الحليف الديمقراطي الوحيد في المنطقة للولايات المتحدة الأميركية^(٣٢). والمحافظون الجدد الذين تمكنوا من السيطرة على مفاصل السياسة الخارجية الأميركية كانوا مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بشركات النفط والسلاح والذين دفعوا ادارة الرئيس بوش للحرب على العراق،

٣٠ - ابو راشد، عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧.

٣١ - التنير، سمير، اميركا من الداخل (حروب من اجل النفط)، ط١، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٢٧.

٣٢ - المصدر نفسه، ص ١٢٥-١٢٦.

واطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير^(٣٣)، وهذا ما ذهب اليه لورنس ليندساى، المستشار الاقتصادي للرئيس الأميركي السابق بوش الابن، في قوله قبل بداية الحرب الأميركية على العراق ٢٠٠٣م، "إن النفط هو الهدف الرئيس لأي هجوم أميركي على العراق، وإن التأثيرات السلبية والتكلفة الاقتصادية لأي عمل عسكري ضد العراق، ستكون بسيطة للغاية مقارنة بالمزايا الاقتصادية المرجوة في حال نجاح الحرب"^(٣٤).

لقد تبنت الولايات المتحدة الأميركية خلال ادارتها المتعاقبة سياسه واضحة وثابتة، تمثلت بسياسة دعم وضمن امن إسرائيل مادياً ومعنوياً، وذلك من خلال تعمدتها بتحقيق تفوق إسرائيل العسكري على الدول العربية مجتمعة، وتمكنها من الاستمرار بامتلاك السلاح النووي في المنطقة، فضلاً عن التزام الولايات المتحدة بدعم إسرائيل في المحافل الدولية والحيلولة دون صدور قرار ضدها من مجلس الامن لانتهاكها المستمر للقانون الدولي، الامر الذي افقد الولايات المتحدة مصداقيتها في المنطقة العربية، ولاسيما موقفها من الصراع العربي - الإسرائيلي، الامر الذي يحتاج إلى تسوية واعادة الثقة في الولايات المتحدة بأنها صديق وحليف في المنطقة العربية، ولذلك ارادت الادارة الأميركية من خلال مشروع الشرق الأوسط الكبير، ادخال إسرائيل في المنظومة العربية، والتي سبق وان قدمت مجموعة افكار للكونغرس الاميركي تحت عنوان (التعاون الاقليمي في الشرق الأوسط)، قائمة على اساس ادخال إسرائيل في المجال الحيوي لسياسة الشرق الأوسط، وتهيئة الاحواء للاعتراف العربي الشامل به كجزء لا يتجزأ من تراث المنطقة، من خلال تطوير قنوات التعاون في مجالات العلوم التكنولوجية، واقامة شبكة من وسائط الاتصال الحديثة والربط الاقليمي لدول المنطقة^(٣٥). وفي الجانب الصهيوني ارتبط مفهوم الشرق أوسطية باسم شمعون بيريز تحت اسم الشرق الأوسط الجديد، والذي دعا فيه إلى نسيان الماضي والحروب، ووضع حد للصراع العربي - الصهيوني وبناء شرق أوسط جديد متجانس. فإسرائيل هي احد المرتكزات الاساسية في السياسة الشرق أوسطية، وتحتل المكانة الرئيسة في سلم أولويات الاستراتيجية الأميركية، كعنصر فاعل وتابع واحياناً كشرريك^(٣٦). وقد كشف بيريز عن نيته واهدافه في مقابلة صحفية نشرتها فصلية الشرق الأوسط في مارس ١٩٩٥م، حين رد على سؤال قول سابق له مفاده (إن هدف إسرائيل المقبل يجب أن يكون الانضمام إلى جامعة الدول العربية)، قائلاً "اعتقد أن جامعتهم العربية يجب أن تسمى جامعة الشرق الأوسط وعندئذ يمكن لإسرائيل أن تنضم اليها، نحن لن نصبح عرباً، ولكن الجامعة يجب أن تصبح شرق أوسطية"^(٣٧). ونتيجة لذلك اهتمت الولايات المتحدة بعد نهاية الحرب الباردة وطول عقد التسعينات من القرن الماضي ومطلع الألفية الثانية بتسوية النزاع العربي - الإسرائيلي، لضمان سيطرة

٣٣ - نفس المصدر، ص ٤٩ و ١٥٠.

٣٤ - علي، سليم كاطع، التواجد العسكري الأميركي في الخليج العربي (الدوافع الرئيسة)، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٥، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، كلية العلوم السياسة، ٢٠١٣، ص ١٣٩.

٣٥ - ابو راشد، عبدالله احمد، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

٣٦ - المصدر نفسه، ص ٦٨.

٣٧ - الداغور، سيد محمد، الشرق الأوسط الجديد مشروع اميركي يرسم خريطة جديدة لمنطقة الشرق الأوسط الكبير ام الجديد، مجلة الجزيرة، ١٦ مارس ٢٠٠٤، مركز الحرمين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

إسرائيل على المنطقة ودخولها في المنظومة العربية، وهذا ما أكدت عليه الاستراتيجية الأوربية أيضاً، التي اشارت إلى أن تسوية النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي تشكل أولوية استراتيجية لأوروبا، وفي غياب مثل هذا الحل لن تكون هناك فرصة لتسوية المشاكل الاخرى في الشرق الأوسط، ولهذا السبب من الضروري اعادة اطلاق نهج السلام في الشرق الأوسط^(٣٨).

ويرى برجنسكي أن الدور الجديد للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط يتطلب تغييراً جدياً في التأكد على التعامل مع النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني^(٣٩). فالحديث عن ديمقراطية الشرق الأوسط في ظل التداخل الفكري والسياسي بين إسرائيل والولايات المتحدة لا يحمل جديده واضحة من الولايات المتحدة، ولهذا فإن التحلي بالصفة الديمقراطية لا يكفي لتسوية دعم إسرائيل ولا لتفسير مثل هذا الدعم، وهذا من شأنه أن يعرض منطق الديمقراطية المشتركة للاهتزاز بسبب جوانب من الديمقراطية الإسرائيلية المتناقضة مع قيم اميركية جوهرية^(٤٠). فعلى مدار ٦٠ عام وخلال سيطرة اميركا على المنطقة واعتمادها المتزايد على النفط، تصرفت اميركا بطريقة أنانية في الشرق الأوسط، فقد دعمت التعاون مع الأنظمة الدكتاتورية وحاربت القادة الشعبين الذين قاموا بالسيطرة الأمريكية. وخلال هذه الفترة حاولت اميركا إعادة نشر القيم الأمريكية في المنطقة، فقد تدخلت اميركا لحماية الانتخابات الديمقراطية في لبنان عامي ١٩٥٨ و١٩٨٣م، وحررت الكويت عام ١٩٩١م، واطلقت العديد من مبادرات السلام بين العرب وإسرائيل، وقصة تدخل واشنطن ما بعد الحرب الباردة في الشرق الأوسط تمثل صراعاً للتوفيق بين كونها قوة عظمى ومع دورها كبطل للحقوق الوطنية والفردية. وفي اعادة للتفكير بمستقبلها في الشرق الأوسط يجب على اميركا أن تعتمد على الاهداف الواقعية، وإن تحافظ على اسبقيتها في المنطقة، وإيجاد تسوية للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. وفي الوقت نفسه يجب على صناع السياسة في اميركا ان يدركوا أن لديهم سجلاً طويلاً من الخير في حماية الحريات الاساسية في الشرق الأوسط، والترويج للديمقراطية. إن اميركا بحاجة إلى نظره متعددة الإبعاد تحافظ فيها على اسبقية مصالحها وخلال ذلك عليها أن تدعم وتؤيد تراثها الجدير بالاحترام^(٤١). وهذا يعني أن اميركا يجب عليها المضي قدماً في مشروعها الشرق أوسطي ودعم ديمقراطيتها في المنطقة.

٣. تغيير البيئة السياسية وانتهاء الحرب الباردة

نتيجة اختيار الاتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي هيمنة مطلقة لا ينافيها احد حتى الآن ترتب على ذلك سيادة مفاهيم وسياسات الولايات المتحدة، وفي هذه المرحلة تسعى

٣٨ - نص المشروع الفرنسي الالمانى من اجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط، صحيفة الحياة ٣/٧/٢٠٠٤، منشور ضمن سلسلة قضايا حقوق الانسان، كتاب غير دوري يعبر بالقضايا الفكرية لحقوق الانسان والديمقراطية، الاصدار التاسع، دار المستقبل العربي، مصر، ٢٠٠٤، ص ٣٥٦.

٣٩ - ليفين، اناتول، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٩.

٤٠ - ميرشايهر، جون ووجي ووالست، ستفن ام، اميركا المختطفة للوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية، ترجمة فاضل جنكر، ط ١، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦، ص ٣٦.

٤١ - أورين، ميشيل، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥.

الولايات المتحدة مستغلة المتغيرات الدولية، لاستثمار هذه الفرص من اجل تكريس هيمنتها الدولية وتعزيز نفوذها في المنطقة، ولعل في هذين المهدفين علاقة محكمة في الادراك السياسي الاميركي، ويقول جان بيرشمنمان وزير الدفاع الفرنسي خلال حرب الخليج الثانية عن ذلك " لقد استغلت الولايات المتحدة انهيار الاتحاد السوفيتي واصبحت السيدة الوحيدة لمنطقة الشرق الأوسط^(٤٢).

ووضعت مرحلة ما بعد الحرب الباردة صانع القرار الاميركي امام مرحلة جديدة، فالعدو السوفيتي تفكك، ليجد بعد ذلك العقل السياسي الاميركي فرصته في التفرد بالنظام العالمي.

أدى انتهاء الحرب الباردة إلى حدوث انقلاب في الميزان الاستراتيجي العالمي، بحيث أصبحت الولايات المتحدة القوى العظمى الوحيدة في العالم، إلا أن هذا التحول لم يؤثر على هيكل النظام الدولي أو مؤسساته بل أصبحت الولايات المتحدة صاحبة القوة والنفوذ والتأثير القوي على الأطلاق في الساحة الدولية، ليأتي ذلك في مقدمة المتغيرات الدولية المؤثرة على العمل العربي المشترك^(٤٣). وطرحت نهاية الحرب الباردة مع زوال الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج ضد الغزو العراقي للكويت، وانتصار الولايات المتحدة على المنظومة السوفيتية دون حرب، فرصا عديده للمضي قدماً في تطبيق مشروعها المتجدد للشرق الأوسط^(٤٤). وهذا ما يسميه ريتشارد هاس بالعصر الرابع من عصور الشرق الأوسط، التي أشرنا إلى ثلاث منها وكيف قوضت تلك العصور، اما العصر الرابع الذي جاء في اعقاب انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، فقد اتاح للأميركيين قدره على التأثير وحرية في التحرك بشكل غير مسبوق، وانتصارهم في معركة تحرير الكويت، وانتشارهم العسكري الطويل الامد براً وجواً في شبه الجزيرة العربية، وقيادة الجهود الدبلوماسية بهدف إيجاد حل شامل للنزاع العربي - الإسرائيلي. ويطلق البعض على هذه المرحلة تسمية الشرق الأوسط القديم، الذي برز فيه العراق كنظام معادي لكن ضعيف، وإيران كدولة اصولية لكنها مقسمة وضعيفة نسبياً، وإسرائيل الدولة النووية الوحيدة في المنطقة، كأقوى لاعب اقليمي في وقت شهدت فيه تلك المرحلة العديد من المظاهر، ابرزها التقلبات في اسعار النفط، واستمرار وجود أنظمة عربية قمعية وصعوبة التعايش بين إسرائيل والفلسطينيين وبقية العرب، في ظل التفوق الاميركي^(٤٥). أدت انتهاء الحرب الباردة إلى اختفاء هامش المناورة الاستراتيجية ما بين الكتلتين الشرقية والغربية، وهبت رياح التغيير الديمقراطي، لتعصف بمختلف الأنظمة التي كانت تسير في فلك الاتحاد السوفيتي، واصبحت قضية الديمقراطية وقضية حقوق الانسان قضايا عالمية^(٤٦).

اما العوامل التي ادت إلى أیصال هذا العصر إلى نهايته، بعد اقل من عقدين، فمنها البيوي ومنها ما هو مستحدث ذاتياً، حيث جاء غزو العراق في عام ٢٠٠٣م، الذي كان العراق السني، من أولى ضحاياه

٤٢ - العيفي، محمود حسن، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

٤٣ - المصدر نفسه، ص ٦٢.

٤٤ - ثابت، احمد، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.

٤٥ - هاس، ريتشارد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

٤٦ - العزي، سويم، السلوك السياسي في المجتمع العرب، ب ط، دار الألفية، المغرب، ١٩٩٢، ص ١٣٢.

بعدها كان قوياً فاعلاً بما يكفي لمواجهة إيران الشيعية، وهكذا استفاقت التوترات السنوية الشيعية في ظل هذا البلد، وعلى امتداد الشرق الأوسط بعدما كانت راكدة، وتحول الصراع من عربي إسرائيلي إلى عربي - عربي، وصراع سني - شيعي، حيث اتخذ الارهابيون قواعد لهم في العراق، وقاموا بتطوير تقنياتهم وتصديرها، بحيث أصبحت مسألة الديمقراطية مرتبطة بفقدان الامن ونهاية التفوق السني هذا من جهة. من جهة ثانية تسبب غزو العراق بتقليص نفوذ الولايات المتحدة في العالم، نتيجة لتنامي الشعور المعادي للأميركيين. فكان من سخرية القدر أن تكون حرب الخليج الأولى التي عدت حرباً ضرورية، قد شكلت بداية للعصر الاميركي في الشرق الأوسط، فيما جاءت حرب الخليج الثانية، التي عدت حرب خيار لتتهي ذلك العصر. إلى ذلك برزت عوامل اخرى ساهمت في فقدان واشنطن نفوذها في المنطقة، ومنها انهيار عملية السلام، كنتيجة للفشل لمفاوضات كامب ديفيد في العام ٢٠٠٢م، وضعف خليفة ياسر عرفات، وصعود حماس والنزعة الإسرائيلية الاحادية، وعدم قدرة إدارة بوش على مواصلة العمل الدبلوماسي، وهكذا خسرت الولايات المتحدة دوراً فريداً، كانت قد استطاعت من خلاله أن تتواصل مع العرب والإسرائيليين معاً. عامل اخر أيضاً أدى إلى انتهاء العصر الاميركي، وهو فشل الأنظمة التقليدية في مواجهة تنامي الاصولية الإسلامية، فيما انتظر الأميركيان حتى وقوع هجمات ٩/١١ / ٢٠٠١م، لكي يتأكدوا من أن المجتمعات المغلقة باتت تشكل الحاضنة الاصولية، إلى ذلك ساهمت العولمة في تغير المنطقة، حيث بات من السهل للأصوليين الحصول على التمويل والأسلحة والمتطوعين، والافكار، فيما ساهم الإعلام الجديد، بعد انتشار الفضائيات في تحويل العالم العربي إلى قرية اقليمية ميسسة، حيث بدأت الشاشات تبث مشاهد العنف والدمار في العراق، وسوء معاملة السجناء العراقيين والمسلمين والمآسي في الضفة الغربية، ما أدى إلى زيادة المسافة بين شعوب المنطقة والولايات المتحدة^(٤٧). وهكذا باتت حكومات المنطقة تواجه صعوبة في التعاون مع الولايات المتحدة التي بدء تأثيرها يتضاءل، وانعدام الثقة بالولايات المتحدة من زرع الديمقراطية في المنطقة. وربما نحن اليوم بصدد تشكيل العصر الخامس والسادس من عصور الولايات المتحدة في المنطقة خصوصاً بعد الربيع العربي وتغير كثير من الأنظمة وظهور ما يسمى بالدولة الإسلامية "داعش" بشكل غير طبيعي في المنطقة.

٤. احداث ١١ / أيلول سبتمبر ٢٠٠١م.

تعد احداث ١١ /أيلول من اهم الدوافع التي دفعت بالولايات المتحدة لصياغة واطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير، ويمكن أن نعود إلى ما قبل الاحداث، وهو التاريخ الفاصل في توجهات واشنطن نحو المنطقة، حيث كانت تؤمن الإدارة الأميركية مصالحها من منطلق عاملين اساسين: الأول وجود ما يمكن أن نسميه اصدقاء مقربين للولايات المتحدة بالمنطقة، والاخر قيام الادارة الأميركية نفسها من خلال اجهزتها بالتغلغل تحت مزايم التعاون ومساعدة المجتمعات العربية على النهوض والتنمية في شكل ما يعرف ببرامج المعونة الأميركية وغيرها من اشكال التدخل المتخصص في شؤون المنطقة. اما العامل

الثاني فبعد وقوع احداث ١١/٩/٢٠٠١ واعتراف الأميركيين أن العرب والمسلمين وراء هذه الاحداث يمكن القول أن واشنطن لم تعد تثق في قدرة النظام الرسمي العربي على حماية مصالحها وأن تأمينها بالخارج امر لم يعد يجدي وحده مما حدث من اعتداءات في سبتمبر داخل الولايات المتحدة، ومن هنا تصور الفكر الأميركي أن استراتيجية الامن القومي الأميركي يجب ان تستند على إحداث تغيير جذري في النظم التي تعتقد انها مسؤولة عن تفريخ من قاموا بعمليات سبتمبر وأن الصداقة وحدها لا تكفي^(٤٨). لتأتي تلك الاحداث لتلمئ الفراغ الأميركي الذي خلفه الاتحاد السوفيتي عبر عدو جديد اصاب اميركا في عقر دارها، واصبح الارهاب هو العدو المركزي، ليتسخ بعد تلك الاحداث ادراك سياسي اميركي في مراكز الدراسات، قبلت به الإدارة الأميركية، معلنة محور رؤيتها للشرق الأوسط، ويقوم هذا الادراك على أن القاعدة هي نتاج للامتيازات الداخلية العربية، وانها بمثابة الكرة الملتهبة التي القت بها الحكومات العربية في وجه العالم الغربي، وبالتحديد الولايات المتحدة، وأن السلاح الانجح في مواجهة الارهاب هو رمي الكرة مرة اخرى إلى الشعب العربي والقيام بضغوطات حقيقية من اجل تغيير الأوضاع، فإصلاح العالم العربي هو سلاح في مواجهة الارهاب^(٤٩). متناسين بأن اميركا لعبت دوراً أكبر من دور العربية السعودية فيما يتعلق بالأصولية السياسية لأسامة بن لادن ومنظمتها المرعبة، فالجهود الأميركية التي بُذلت لحشد النشاط السياسيين المسلمين الأتقياء عبر العالم باسم الجهاد ضد الشيوعيين الكفرة في افغانستان كانت سبباً اساسياً في النجاح الباهر لهذه الجماعات التي ساهمت في النهاية بتشكيل القاعدة، وحتى الدور الذي لعبته بلدان مثل السعودية ومصر في المساعد على تجنيد مثل هؤلاء، كان استجابة لرغبات الولايات المتحدة الأميركية وإلى حد كبير^(٥٠). لتلقي تلك الاحداث على النظم العربية عبئاً اضافياً إذ اصبحت متهمه من الدوائر الأميركية بأنها مسؤولة عن سيادة مناخ ثقافي واجتماعي وسياسي كان بمثابة حاضنه للأفكار الارهابية ومنتجة لها^(٥١). وهو ما زال قائماً إلى الآن، فالأنظمة السياسية العربية هي المسؤولة عن تفريخ التطرف، وهي حاضنة للمتطرفين، حتى لو كانوا هؤلاء المتطرفون. يحصلون على دعم دولي منظم، الا أن الدور الأكبر يقع على عاتق تلك الأنظمة في انتشار التطرف في المنطقة.

اضافت احداث ١١/٩/٢٠٠١ ابعاداً جديدة للصورة الانطباعية السلبية للعرب والمسلمين في الذهن الغربي، ومن بين ابعادها أن هؤلاء يمارسون الارهاب بدافع عقيدتهم الدينية وتخلفهم الحضاري^(٥٢). وقد عرفت السياسة الخارجية الأميركية تغييراً دراماتيكياً بعد احداث ١١/٩/٢٠٠١ ومن ثم اعتماد سياسة الحرب

٤٨ - الصياد، ابراهيم، ماذا وراء المشروع الأميركي الكبير، البيان الاماراتية، ٥ مارس ٢٠٠٤، اعداد مركز الحرمين، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.
٤٩ - الصافي، عبدالجبار الموسوي، الإسلام السياسي بين اليمين الأميركي وباراك أوباما(الحرب اسهل من السلام) ج١، ط١، المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٨٥-١٨٥.
٥٠ - تلحمي، شبلي، المخاطر (اميركا في الشرق الأوسط عواقب القوة وخيار السلام)، ترجمة ثائر ديب، ط١، مكتبة البيكان، الرياض، ٢٠٠٥، ص ٢٢٧.
٥١ - فرحات، محمد نور، حقوق الانسان في عصر الهيمنة (قراءه لبعض تداعيات حقوق الانسان في الوطن العربي بعد احداث ١١/٩/٢٠٠١)، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٩.
٥٢ - النجار، احمد حسين، البعد الاقتصادي لمشرق الشرق أوسطي، سلسلة قضايا فكرية، المصدر السابق، ص ٥٨.

على الارهاب^(٥٣). واصبحت الولايات المتحدة تنظر إلى الأوضاع الداخلية في عدد من دول الشرق الأوسط على انها تهديد للأمن القومي الاميركي على اساس أن هذه الأوضاع تربة خصبة لنمو الارهاب والتطرف ليعلن بوش الحرب على الارهاب بكل اشكاله واطلق عقيدته بضرب الارهاب^(٥٤).

أدت ١١/أيلول إلى إحداث تغيير في الفكر الاستراتيجي للولايات المتحدة. فالولايات المتحدة تلك القوة التي بدأت في التعامل مع المنطقة العربية والإسلامية منذ القرن التاسع عشر، وشهدت علاقاتها مع المنطقة كثقافة ملحوظة في القرن العشرين خاصة مع تحول الولايات المتحدة إلى احدى القوى العالمية، ثم إلى احدى القوتين، ومن ثم تحولها إلى قطب أوحده في السياسة العالمية. لتنبع بعد ذلك مبادرات الشرق الأوسط من اطار فكري تبلورت ملامحه بعد تلك الاحداث، وظهرت ملامح هذا الاطار الفكري في الخطاب السياسي للرئيس الاميركي بوش الابن^(٥٥). حيث القى الرئيس الاميركي جورج بوش خطاب الاتحاد في ٢٩ يناير ٢٠٠٢م، تحدث فيه عن محور الشر الذي يضم إيران وكوريا الشمالية والعراق، وردد الرئيس الاميركي كلاماً يشير بوضوح إلى ضرورة شن حروب وقائية ضد هؤلاء^(٥٦). وهي ما تُرجمت فعلاً على الارض بالحرب على العراق، وقد لوحظ بعد احداث أيلول بشكل واسع، استغلال ادارة بوش لكلمات، الارهاب ومحور الشر، من اجل احكام غلق الابواب لاحتمالات قيام مناقشات ذكية، بشأن الاستراتيجية الأمريكية، وكونت ادارة بوش، تعويذات لفظية استنبطتها من العوامل الجوهرية للتوافق الأيديولوجي الاميركي^(٥٧). والتي دفعت بالرئيس الاميركي بالحرب على العراق ٢٠٠٣م، فقبل هذا التاريخ كانت سياسة بوش اتجاه العراق مبنية على اساس العقوبات الذكية التي كانت تهدف إلى احتواء النظام العراقي، وليس الإطاحة به. لكن وجهة النظر تغيرت بعد احداث ١١/أيلول، إذ اصبح على قناعة بأنه لا يمكن للولايات المتحدة أن تنتظر ضربه اخرى، وأن التهديد الذي يفرضه صدام حسين اصبح محققاً، وهذه القناعات احدثت تحولاً في سياسته^(٥٨). وقلبت أولويات السياسة الخارجية الأمريكية، إذ اصبحت القضايا الأمنية تمثل الهاجس الاساس المعلن للسياسات الداخلية والخارجية الأمريكية، ومن اجل ذلك تم استبدال نظرية الردع المبنية على توازن القوى إلى نظرية الحرب الاستباقية ضد اعداء محتملين، وبذلك حسم الامر التزام افكار ومنظري المحافظين الجدد، بالتوجه نحو التوسع الاحادي، واعلان الحرب على الارهاب^(٥٩).

٥٣ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٢.

٥٤ - العفيفي، محمود حسن، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

٥٥ - المصدر نفسه، ص ٢٧.

٥٦ - نصار، بهيج، عسكرة السياسة الأمريكية وقضايا الحرب والسلام تصورات للمستقبل، قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره،

ص ٣٠٧.

٥٧ - ليفين، اناتول، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩.

٥٨ - روس، دنس، وللقناعات اعتباراً: السياسية الخارجية الأمريكية يشكّلها القادة والاحداث وليس اللوبيات، مقال ضمن مجموعة مقالات بعنوان (وجهات نظر حول النفوذ الإسرائيلي في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية)، سلسلة ترجمات الزيتونة، العدد ١٨، ٢٠٠٦، ص ٦.

٥٩ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦.

إن استراتيجية المحافظين الجدد الذين استولوا على القرار السياسي الاميركي بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر، تهدف إلى اعادة تشكيل الشرق الأوسط وتغييره ليلتآم مع القرن الحادي والعشرين^(٦١). والذي يعد بوابة اعادة صياغة الشرق الأوسط بالنسبة للمحافظين الجدد، مغلفاً ومربوطاً عندهم بدعاوي أيديولوجية تتعلق بالدمقرطة، واقتصاد السوق، والديكتاتوريات، والأنظمة المارقة^(٦٢). لتمثل تلك الاحداث فرصة حقيقة لهم وترويجهم لفكرة الحرب على العراق، لأنها تمثل عامل جوهري من عوامل كسب الحرب على الارهاب^(٦٣). واصرارهم على تغيير أنظمة الحكم في الشرق الأوسط، باسترجاع الانماط القديمة من العقائد والسلوك الاميركي، ودمج الاستخدام الانتقائي للدمقرطة مع استراتيجيات تشكلت على اسس الواقعية الفاشية، وهو السبيل المركزي في نهج المحافظين الجدد، منذ أن بدأ هذا التيار السياسي خلال العصور الأولى من الحرب الباردة، ذلك النهج الذي يحوي الكثير من الغرور والكذب والرياء بمشروع الديمقراطية^(٦٤). ذلك الفشل والرياء ترجم على ارض الواقع بعد غزو العراق والفشل في العثور على اسلحة الدمار الشامل الموعودة، لتتحول الدوافع بعد ذلك بدوافع الديمقراطية وحقوق الانسان، لتصبح الذريعة المركزية للحرب، وأن الديمقراطية سوف تشمل ديمقراطية الشرق الأوسط بأكمله، لتتجه الولايات المتحدة نحو سياسة ديمقراطية الشرق الأوسط الكبير، ولكن بمعان اخرى أوسع شمولاً^(٦٥). وقد يكون النفط واستمرار تدفقه للولايات المتحدة أحد تلك المعاني، وبهذا الصدد كتب دونالد كاغان، وهو احد الاعضاء المهمين في مجموعة المحافظين الجدد، قائلاً: "على الاغلب سنحتاج إلى وجود عسكري مكثف في الشرق الأوسط لفترة طويلة، وأي تعثر لتدفق النفط سيؤدي إلى عواقب اقتصادية وخيمة، ووجود قواتنا في العراق كفيل بمنع أي توقف للإمدادات النفطية"^(٦٥). ولهذا فقد يكون مشروع الشرق الأوسط كلمة حق يراد بها باطل، نعم المنطقة بحاجة لهكذا مشروع، وبحاجة إلى ديمقراطية شاملة، وفي الوقت نفسه يحتاج هذا المشروع إلى الجدية الواضحة، ومصداقية عالية من جانب الولايات المتحدة. "فاللحجة الأميركية لوجود عسكري دائم في منطقة الشرق الأوسط امر تم اقراره قبل ١١/أيلول"^(٦٦).

ليس هناك ثمة خلاف في كون الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م، تمثل محطة مهمة في تاريخ العلاقات الدولية، وربما يكمن الخلاف فقط في توصيف طبيعة اللحظة، التي تمت فيها الاعتداءات على نيويورك وواشنطن في ذلك اليوم، حيث يوجد اتجاهان في هذا الصدد:

- ٦٠ - الشهراني، سعد بن علي بن محمد، الجذور الاعتقادية للإرهاب في الاصولية الانجليزية، ٢٠٠٥، ص ٨٨.
٦١ - المهتدي، فراس، البعد الديني في السياسة الخارجية(اميركا نموذجاً)، دراسة لنيل درجة الدبلوم في الشؤون الدولية والدبلوماسية، المعهد العربي لشؤون الدولية والدبلوماسية، سوريا، ٢٠٠٩، ص ٢٨.
٦٢ - ميرشايمر وستيفن، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧.
٦٣ - ليفين، اناطول، مصدر سبق ذكره، ص ١٣ و ٣٥ و ص ١٩٢.
٦٤ - المصدر نفسها، ص ١٩٢ و ٢٠٢.
٦٥ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨.
٦٦ - المصدر نفسها، ص ١٤٩.

الأول: يرى أنها لحظة فارقة ادت إلى تشكيل سياسة خارجية اميركية جديدة ذات معالم مختلفة عن تلك التي كانت من قبل. أما الثاني: يؤكد أنها لحظة كاشفة، بمعنى أن السياسة الخارجية الأميركية بعد الاحداث لم تكن جديدة، فقد كانت اسس هذه السياسة موجودة بالفعل وكل ما فعلته تلك الاحداث انها كشفت ذلك الزيف وقدمتها للعالم في صورتها الحقيقية، خالية من محاولات التحميل الزائفة، كسياسة تنزع بشده نحو الهيمنة على مقدرات عالم ما بعد الحرب الباردة، وبعيداً عن ذلك الخلاف فإن تلك الاحداث احدثت بما يعرف بنظرية (الاستثناء الاميركي)، وقد ادت إلى تغيير واقعي في السياسة الخارجية الأميركية. وتمثل هذا التغيير في جانبين، الأول خاص بمفهوم الامن القومي الذي اصبح غير قادر على حماية الداخل الاميركي، الأمر الذي أدى إلى تطرف السياسة الأميركية وسيطرة المحافظين الجدد على القرار الاميركي، وسعيهم لتعميق الهيمنة الكونية، وتجنيف منابع الارهاب الدولي لتأمين الداخل الاميركي. اما الثاني نحت الادارة الأميركية بتفسيرها لتلك الاحداث بمنحى، أن تلك الاحداث وقعت بسبب غياب الديمقراطية في دول الشرق الأوسط^(٦٧). ومن هنا صارت لديها قناعه بضرورة تغيير النظم السياسية غير الديمقراطية في هذه الدول، وهو ما تجلّى بمشروع الشرق الأوسط الكبير.

إذاً ما يمكن القول به أن سياسة الولايات المتحدة بعد احداث ١١/أيلول ٢٠٠١م، وحسب رأي ليفين في كتابه أميركا بين الحق والباطل، "صاغتها وبلورتها ما يسميه بالقومية الأميركية، وهذه القومية هي نتاج اتحاد وانفصال في آن واحد معاً، بين قومية مدنية مسيحية تفاعلية مؤسسة على القيم والثوابت الشديدة الخصوصية، وتعصب شوفيني مسكون بوسواس عنصري"^(٦٨). ولهذا يعد مشروع الشرق الأوسط والحرب على العراق وافغانستان، ردة فعل على تلك الاحداث، بتبريرات الحرب على الارهاب ونشر الديمقراطية وحقوق الانسان واسلحة الدمار الشامل، فتلك الاحداث غيرت الفكر الاستراتيجي الاميركي لعقود قادمة من الزمن تسربت منها فلسفة الحرب على الارهاب ومفرداتها إلى مجمل السياسة الأميركية، واعادت موضوع ربط الإسلام بالفاشية. لتنتج عن تلك الفلسفة الأميركية مشروع ديمقراطي شرق أوسطي لإصلاح المجتمعات الشرق أوسطية وانظمتها السياسية الديكتاتورية.

المبحث الثاني: المشروع الديمقراطي الاميركي للشرق الأوسط

لاشك ان الحرية وتحسينها الاجتماعي في الديمقراطية هي جوهر انسانية الانسان فرداً كان أو مجتمعاً، وعلاقات انسانية دولية، وتختلف دلالتها باختلاف الملامسات التاريخية والاقتصادية فهي لم تعد (ديموكراتس) اليونانية، أي حكم الشعب التي تحرم العبيد والمرأة والرجل الفقير العادي من الاشتراك في الانتخابات، ولست هي مجرد (دعه يعمل دعه يمر) في المرحلة الأولى لنشأة البرجوازية وهي تغزو المعازل الاقتصادية المغلقة، فالحرية والديموقراطية ليستا مجرد وسيلة أو مجرد غاية، بل هي سيورة متصلة متنامية ومعنى حي لإنسانية الانسان، ولهذا ترتبط الحرية والديموقراطية ارتباطاً حيمياً بالتنمية الشاملة في ابعادها

٦٧ - فينيسي، احمد، الولايات المتحدة وقضية الديمقراطية في الوطن العربي، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره، ص

٢٢-٢٣.

٦٨ - ليفين، اناتول، مصدر سبق ذكره، الغلاف الخارجي للكتاب.

وتجلياتها المختلفة المعبرة عن الاحتياجات الأساسية للإنسان^(٦٩). ولهذا فإن المشروع الأميركي للشرق الأوسط جاء من ابواب الديمقراطية والحرية وإصلاح المنطقة، ليحدد تلك النواقص التي جاءت في تقرير الأمم المتحدة للتنمية العربية، (الحرية والمعرفة وتمكين النساء)، فتشجيع الديمقراطية والحكم الصالح كان الأساس في ترسيخ المشروع الأميركي، عن طريق الترويج بالديمقراطية والانحذاب لها وفق ما يسمى اليوم بالسياسة الأميركية (بالقوة الناعمة)، تلك القوى التي غابت عن السياسة الأميركية في فترة الرئيس بوش الابن وبعد أحداث ١١/أيلول. ولهذا سوف يتناول هذا المبحث مطلبين: المطلب الأول: تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح لتقويض الإسلام الراديكالي. المطلب الثاني: القوة الناعمة ودورها في ترسيخ المشروع الديمقراطي الأميركي في المنطقة.

المطلب الأول: تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح لتقويض الإسلام الراديكالي.

أصبحت الديمقراطية بمثابة حجر اساس للسياسة الأميركية في الشرق الأوسط، وذلك بعد أحداث ١١/أيلول، لتطلق الإدارة الأميركية في سبيل ذلك في العام ٢٠٠٢م، مبادرة المشاركة الجديدة في الشرق الأوسط بهدف تشجيع الديمقراطية في المنطقة، لتخلص من التوجهات التقليدية التي ظهرت في اعقاب تلك الهجمات^(٧٠). لتعلن الادارة الأميركية عن مشروعها بعد ذلك للشرق الأوسط، حيث اعلن كولن بأول وزير الخارجية الأميركية من مؤسسة التراث بواشنطن في ١٢ ديسمبر ٢٠٠٢م، عن مبادرته للشرق الأوسط بأنها "تتوخى تشجيع المشاركة الشعبية في العملية ومساعدة المؤسسات التعليمية والتربوية في سائر ارجاء الشرق الأوسط، ومكافحة الامية، ومؤازرة حقوق المرأة ودعم القطاعين الخاص والعام في العالم العربي وتحقيق الإصلاحات الاقتصادية والاستثمارية، فضلاً عن دفع عجلة التفاهم والشراكة بين شعب الولايات المتحدة والشعوب العربية"^(٧١). وساهمت النواقص الثلاثة التي حددها الكتاب العربي لتقرير الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية ٢٠٠٢ و٢٠٠٣م الحرية والمعرفة وتمكين النساء، في خلق الظروف التي تهدد المصالح الوطنية لكل اعضاء مجموعة الدول الثمانية، وطالما تزايد عدد الافراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة نشهد زيادة في التطرف والارهاب والجريمة الدولية والهجرة الغير مشروعة^(٧٢). ولهذا صار من الضروري القيام بتغيرات ديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، وأن الولايات المتحدة ستدعم كل الجهود الإصلاحية في المنطقة في اطار مبادرة الشرق الأوسط الجديد^(٧٣). تلك المبادرة التي تهدف إلى تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح، تشتمل على مشاريع يقصد

٦٩ - العالم، محمود امين، الثقافة والديمقراطية والهيمنة الأميركية، قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

٧٠ - الصافي، عبدالجبار الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٥ و ٤٠٧.

٧١ - لبيب، فخرى، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٦.

٧٢ - نص مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي قدمته الولايات المتحدة في قمة الدول الثماني، صحيفة الحياة

الدولية، ١٣ فبراير/شباط ٢٠٠٤، سلسلة حقوق الانسان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦.

٧٣ - الصواف، منتصر غازي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

بها تقدم مساعده تقنية لإدارة الانتخابات، وترتيب التبادل البرلماني والتدريب، وإنشاء أكاديميات قيادية انسانية وزيادة الجهود الاقليمية لمحاربة الفساد، وتعزيز منظمات المجتمع المدني الاقليمية^(٧٤).
فالخطة التي تنوي الولايات المتحدة تطبيقها في مشروع الشرق الأوسط الكبير، تقوم على دعم الإصلاحات والتحويلات الاجتماعية والثقافية في منطقة تمتد من المغرب إلى باكستان، وستكون آثار هذه الخطة محدودة على المدى القصير؛ لان الأنظمة الشمولية ترى أن الديمقراطية تشكل تهديداً لمستقبلها وستقف هذه الدول عند حدود الضمانات، ولاسيما واشنطن تعرف أن إجراء انتخابات بين عشية وضحاها لن تؤدي إلى نتائج تتفق مع مصالحها، لكن على المدى البعيد ستعتمد الولايات المتحدة على تأهيل نخب وتمويل حركات ديمقراطية لكي تشارك في تغير تلك المجتمعات من الدول، وينبغي على الولايات المتحدة أن تقوم بهذه المهمة بتواضع، وادراك بأن المخاطر بالنسبة للآخرين تفوق المخاطر بالنسبة للولايات المتحدة، التي ينبغي عليها أيضاً أن لا تقوم بتشجيع التنمية الديمقراطية ومساعدتها فقط، بل عليها أن تصغي إلى أولئك الأكثر تأثيراً^(٧٥). والأكثر تأثيراً هم المعتدلون اصحاب العقول المستنيرة.

قبل هجمات ١١/أيلول لم تكن الديمقراطية في الشرق الأوسط ذات أولوية على اجندة سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، فقد عد بعض الليبراليين أن الطريق الوحيد إلى الديمقراطية في المنطقة كان عبر الديكتاتوريات المستنيرة، عبر الطريق الذي سلكه كمال اتاتورك في تركيا، الا أن الحكمة الرسمية تغيرت بعد تلك الهجمات، فمن الواضح إن الوضع الحالي يشكل خطراً على مصالح الولايات المتحدة^(٧٦)؛ ونتيجة لهذا الخطر قامت الولايات المتحدة وبناءً على تفكير استراتيجي وتحليل ثقافي متعمق، قامت بصياغة استراتيجية (أبستمولوجيا) أي معرفية، لأول مره هدفها الرئيس إعادة صياغة مفاهيم الإسلام الليبرالي، ودعم الجماعات الإسلامية التي تتبناه، وتشجيع المفكرين والمثقفين والإسلاميين والذين يرفعون لواءه. والإسلام الليبرالي، يعني به هذا الاتجاه من اتجاهات تيار الإسلام السياسي، والذي لا يرى تناقضا بين مبادئ الإسلام وقيم الليبرالية والديمقراطية^(٧٧). وهذا بدوره ساعد على نمو حركات الإسلام السياسي وبناء مؤسسات خيرية داعمة للعمل السياسي الإسلامي، مثلما شجع الخط العلماني على النهوض، الا أن عوامل النجاح لم تحالف العلمانيين بقدر ما حالفت الإسلاميين^(٧٨).

٧٤ - ساتلوف، روبرت، شراكة الشرق الأوسط الكبير (عمل ما يزال بحاجة إلى كثير من التطوير)، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦.
٧٥ - هاس، ريتشارد، الهدف هو الديمقراطية الإسلامية (تحول في الأولويات في واشنطن)، سلسلة حقوق الانسان، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣-١٦٤.
٧٦ - رويل، مارك وجيرشن، وساتلوف، روبرت، مازق الديمقراطية في الشرق الأوسط (الإسلاميون هم الحل)، ملخص حوار سياسي في المنتدى الخاص لمعهد واشنطن، ٢٠٠٥، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سبق ذكره، ص ٤.
٧٧ - بينارد، شيرل، الإسلام الديمقراطي المدني: الموارد، الاستراتيجيات، الشركاء، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، المتابع الاستراتيجي (٨)، مصدر سبق ذكره، ٢٠٠٥، ص ٨-٩.
٧٨ - الصافي، عبدالجبار الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥.

إن السعي إلى تنظيم المجتمع وانشاء حكومة مرتكزة على قانون اسلامي، هي اعظم تحدٍّ أيديولوجي تواجهه الولايات المتحدة اليوم، إن هدف سياسة الولايات المتحدة ينبغي أن تكون لتقويض وهزيمة الإسلاميين الراديكاليين والذين يعارضون التحديث وقيم الديمقراطية. هزيمتهم عن طريق دمج وتنشئة ودعم ائتلاف واسع من غير الإسلاميين ومن المعادين للإسلاموية^(٧٩). فالمشروعات الأميركية للإصلاح الشرق الأوسط تقتضي التفكير في مجموعة من الأسئلة والافتراضات بشأن الحركة الإسلامية ودورها وموقعها في الخريطة السياسية القادمة للمنطقة، فمن المتوقع أن تكون الحركة الإسلامية هي القوة السياسية الرئيسية اذا اجرت انتخابات عامة في بلد عربي أو اسلامي^(٨٠). كما حدث في مصر بعد الإطاحة بنظام مبارك وصعود الاخوان في الانتخابات الرئاسية متمثلة بشخص محمد مرسي قبل الإطاحة به أيضا. وهذا هو احد سلبيات التحول الديمقراطي المفاجئ الذي تخشاه الولايات المتحدة، في اجراء انتخابات بين عشية وضحاها بعد الإطاحة بالأنظمة الديكتاتورية.

إن سياسة الترويج للديموقراطية في المنطقة تنم هي الاخرى عن نقص في الفهم، ذلك أن معادله الإصلاحات الديمقراطية بالانتخابات البرلمانية تفترض تمتع المؤسسات السياسية الرسمية بالشرعية الذاتية بوصفها ساحة يستطيع فيها الفاعلون الوطنيون أن يتفقوا حول المصالح وأن يتوصلوا إلى حلول حول النزعات التي تواجه المجتمع، غير أن كل ما يجري في البلدان الإسلامية العربية وغير العربية أفريقية وآسيوية يوحي بأن لدى هذا المجتمعات شكوكاً عميقة وواسعة الانتشار من هذه السلطة السياسية الرسمية^(٨١)، هذا فضلاً على أن الولايات المتحدة كما يقول روبرت كيغان انما تعتمد على حلفاء ودول غير ديموقراطية في المنطقة، أهمها مصر والسعودية ومصر قبل الإطاحة بنظام مبارك، وإن الحالات التي تقدمت فيها الديمقراطية قادت أو ربما تقود إلى أنظمة حكم معادية، أو على الأقل غير متحالفة مع الولايات المتحدة الأميركية، وأن أي انتخابات حرة نزيهة في المنطقة ستجلب في الأعم الأغلب الإسلاميين الراديكاليين إلى الحكم أو (المتشددين)، ولم يتردد كيغان في القول، أن الولايات المتحدة لن تسمح بأن يقع الشرق الأوسط في أيدي الإسلاميين، وهذا يعود بنا إلى أمرين، أولهما: عدم ديمقراطية المنطقة بمسوغ خشية قدوم الإسلاميين، وثانيهما: الاقرار بأن ليس من المؤكد أن أي توجه ديموقراطي سوف يقود البلد المعني إلى الانضواء التلقائي في حلف الولايات المتحدة وربما يفرز أنظمة على غرار أنظمة أميركا اللاتينية وجنوب أفريقيا، على الرغم من كونها أنظمة ديموقراطية، لكن لا يمكن عدّها حليفة للولايات المتحدة^(٨٢).

ويعزو معهد السلام الأميركي في تقريره الخاص رقم (١٤٦) لعام ٢٠٠٦م، سبب تأخر العالم الإسلامي في الفرص الاجتماعية والحكم الصالح التي اعطت الفرصة للمتطرفين السنيين في تعزيز نفوذهم

٧٩ - ساتولوف، روبرت، شراكة الشرق الأوسط الكبير، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

٨٠ - حسن، أثير نجاح، الواقع الإسلامي في العراق وانعكاسات الفوضى الخلاقة، ثقافتنا، العدد السابع، مجلة فصلية ثقافية عامة تصدر عن دائرة العلاقات الثقافية، وزارة الثقافة، ٢٠٠٩، ص ١٢٩.

٨١ - المغراوي، عبدالسلام، السياسة الاجنبية الأميركية والتجديد الإسلامي، موجز لتقرير معهد السلام الاميركي، تقرير خاص رقم ١٦٤، ٢٠٠٦، ص ٥. انظر الرابط: <http://goo.gl/y7lCKU>

٨٢ - الحروب خالد، في الفكر السياسي الاميركي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨.

خلال تلك العصور هو تفتيت السلطة الدينية في الإسلام السني وتردد علماء الدين أو عجزهم من إعادة تفسير التعاليم الإسلامية، ونظراً لعدم وجود سلطة مؤسسة مثل البابوية الكاثوليكية أو ولأية فقيه أو جهة دينية، فضلاً على الفوضى في الفتاوى التي يطلقها من يشاء، فكل تلك التحديات تقوض من سلطة المؤسسات الديمقراطية في إقامة حكم ديمقراطي صالح^(٨٣). وإن أهم مبادرة يمكن أن تقوم بها الولايات المتحدة لمكافحة التطرف الإسلامي تتمثل في مساندة (التجديد الإسلامي)^(٨٤).

يجب أن تنصب جهود الولايات المتحدة الرامية لتحسين صورتها في العالم الإسلامي إلى أبعد من مجرد التأثيرات على الرأي العام الإسلامي من خلال تحسين الاتصال، فلا يمكن أن الافتراض أن المسلمين سيبدلون من مواقفهم إذا قامت الولايات المتحدة ببساطة بتغيير تغليف سياساتها وقيمها، فلا بد من وجود رؤية جديدة واستراتيجية كبرى لخدمة المصالح المشتركة بين الجانبين، ويجب أن يكون قلب هذه الرؤية وهذه الاستراتيجية فكرة التجديد الإسلامي، التجديد بواسطة العلماء والمفكرين المسلمين الراعين لتحديث المجتمعات الإسلامية. فالتجديد كاستراتيجية يمكن أن يحقق التماسك بين كوكبة مهمه ولكنها متفرقة من الأفكار الإصلاحية والإسلامية، وربطها ببرنامج سياسي يتضمن إصلاح قوانين الأسرة بغية اعطاء النساء حقوقاً متساوية، ومراجعة الكتب المدرسية لتدريس حقوق الانسان والتعددية الدينية، وتحديث المجتمعات الخيرية والمدارس الإسلامية والتقاليد الاستشارية^(٨٥). فالتجديد أهمية كبيرة في تحديث المجتمعات الإسلامية، الا أن هناك بعض المشككين في هذه الحركة، ويشيرون إلى مشكلتين: أولهما أن المبادئ القائمة على العقيدة لا يرحح أن تحصل بالدعم السياسي الأميركي لأنها تشير قضايا دستورية شائكة، وثانيهما أن حكومة الولايات المتحدة غير موثوق بها في المنطقة، وأي دور أميركي صريح يمكن أن يقوض برنامج المعتدلين ويؤثر في وضعهم. وحقيقة الامر هاتان المشكلتان في غايه الأهمية؛ لأن المجتمعات الإسلامية سوف ترفض أي تجديد ديني يمس العقيدة الإسلامية برعاية أميركية، لان هناك عدم ثقة بين الولايات المتحدة والمجتمعات الإسلامية؛ وهذا بدوره سيعقد من الأمور بالنسبة للولايات المتحدة، لأن الاخير سيحاول جاهداً لفرض النمط الأميركي في الشرق الأوسط للحفاظ على مصالحها، وهذا ما أشار إليه اناتول ليفين بأن الولايات المتحدة تبدو مقيدة في الشرق الأوسط بشكل دائم، وبلا امل في منطقة غير مستقرة، وعنيفة ومعادية، ومقيدة بقيدين أولهما: هو الدفاع عن النمط الأميركي في المنطقة، وثانيهما هو ارتباط الولايات المتحدة مع إسرائيل، والذي يورط الولايات المتحدة في صراع قومي مع

٨٣ - المغراوي، عبد السلام، المصدر السابق، ص ٢.

٨٤ - التجديد الإسلامي: هي حركة حديثة، اجتماعية وسياسية وفكرية متفرقة ولكنها اخذت في النمو، وتحذف إلى زرع الاعراف الحديثة، والتصدي لاحتياجات الحياة الحديثة بالاستناد إلى التقاليد الإسلامية، وتكون من اربع مجموعات عرضية: ١. دعاة الإسلام المدني وههدفه ليس السلطة. ٢. دعاة الإسلام والديموقراطية التي تحذف إلى السلطة ولا تعارض مع القيم الديمقراطية. ٣. دعاة الإصلاح من داخل الإسلام، التي تضم الشخصيات الدينية وعلماء دين والمؤسسات الأكاديمية التي تدعوا إلى إعادة تفسير التعاليم الإسلامية وإلى قراءة تاريخية للإسلام والقران وتحديث المعرفة الإسلامية. ٤. اسلام التحديث الثقافي التي نشأة اساساً بين الطوائف المسلمة التي تعيش في الغرب. للمزيد انظر: المغراوي، عبد السلام، مصدر سبق ذكره.

٨٥ - المصدر نفسه، ص ٨٦.

القومية العربية والتطرف الإسلامي، وهو على ما يبدو سيستمر في المستقبل^(٨٦)، وهو الأمر نفسه الذي أفقد الولايات المتحدة مصداقيتها بالمنطقة، وربما هذا سيؤدي بالولايات المتحدة إلى القبول بالحركات الإسلامية في السلطة إذا احترمت قواعد اللعبة الديمقراطية، وهذا ما يعبر عنه ريتشارد هاس مدير التخطيط السابق بوزارة الخارجية الأمريكية في محاضرة بعنوان (نحو مزيد من الديمقراطية في العالم الإسلامي)، وينحو البرتو فرنانديز المسؤول في شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية أيضاً، بنفس المنحى حيث يؤكد أن الإدارة الأمريكية لا تمنع اليوم من رؤية حركات إسلامية في السلطة بشروط معينه، أهمها القبول بالعملية السلمية للقضية الفلسطينية، والقبول بالتعددية السياسية والفكرية، واحترام حقوق الأقليات والحريات العامة وحقوق المرأة^(٨٧). وربما تحديث المنطقة بهذه الطريقة سيكون أسوأ الخيارات بالنسبة للولايات المتحدة (التحديث على يد الإسلاميين بشروط معينة وليس المعتدلين الذاتيين)؛ لأنها تواجه مشكلة في تحديث المنطقة وفق الرؤية الأمريكية الخاصة بها، وهذا بدوره قد يولد أنظمة سياسية حليفة للولايات المتحدة على غرار تلك الأنظمة السياسية التي كانت مدعومة من قبلها ابان الحرب الباردة وحتى أنظمة معاصرة على غرار العربية السعودية ودول الخليج فهي أنظمة غير ديمقراطية، وتقيّد الحريات الفردية والدينية بشكل كبير، ولكنها أنظمة صديقة وحليفة للولايات المتحدة، أو يؤدي ذلك إلى تحول في الاستراتيجية الأمريكية بمشروع ديمقراطية الشرق الأوسط، وهذا التحول قد يكون بشكل تدريجي وبوسائل وآليات أكثر مقبولة لدى المجتمع العربي، وعلى المدى البعيد والتخلي عن فكرة الديمقراطية الفورية التي لم تعد مجدية خصوصاً بعد تجربة العراق وافغانستان، وهذا ما أكدت عليه وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت بقولها "يبدو أن الإدارة الأمريكية تراجعت عن فكرة الإصلاح وفكرة الديمقراطية الفورية، التي تهدد الاستقرار السياسي في المنطقة، وتؤكد على ضرورة اعتماد مبدأ الديمقراطية المتدرجة بعيدة الامد" وتقول أيضاً "بما أن حرمان الشعوب من الحرية السياسية أمر سيء، فهذا لا يعني بأن ممارسة تلك الحرية ستأتي موافقه لهوانا"^(٨٨). وهذا ما بشر به ريتشارد هاس في فرضيات الحرب على الإرهاب، اذ يقول "لابد من إدراك أن الديمقراطية لا تأثير لها على أولئك الذين كرسوا حياتهم للإرهاب"، وان نساند الديمقراطيين الذين حافظوا على موقفهم الداعي إلى ضرورة التدرج في الإصلاح السياسي في العالم العربي، بالتوازي مع اعتبار المصالح السياسية والامنية الأمريكية، وفي نفس السياق دعى برجنسكي إلى تبني الواقعية التقدمية في السياسة الخارجية الأمريكية، ويأتي ترتيب الديمقراطية والإصلاح وفق نظرية برجنسكي في المرتبة الرابعة بعد الامن، والقوة الاقتصادية وتجنب الكوارث البيئية، ويدعو برجنسكي إلى الانتقال التدريجي في الديمقراطية بالترغيب وليس بالإجبار والضغط^(٨٩). لأنه لا يمكن فرض الديمقراطية والإصلاح من الخارج وبشكل مفاجئ، فالديمقراطية لا يمكن أن تكون نتاجاً

٨٦ - ليفن، اناطول، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤٤.

٨٧ - الصافي، عبدالجبار الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧.

٨٨ - المصدر نفسه، ص ١٨٩-١٩٠.

٨٩ - المصدر نفسه، نفس الصفحة.

لضغط خارجي، فالعنصر الخارجي قد يعزز التطور الديمقراطي لكنه لا يخلقه من العدم^(٩٠). وهناك حقيقة في غاية الأهمية فيما يتعلق بمصادقية الولايات المتحدة وحديتها في سياستها اتجاه الشعوب العربية؛ لان تعاملها الطويل مع قادة غير ديمقراطيين في الشرق الأوسط، قد ألحق الضرر بمصادقيتها في المنطقة، ومع أن السياسات القائمة على التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي في العالم العربي قد تشكل مخاطر قصيرة الأمد على مصالح الولايات المتحدة، فإن تلك الاخطار تستحق العناء كما أن المنافع طويلة الأمد لشرق أوسط أكثر ديمقراطية، وأكثر تطوراً اقتصادياً، حيث تفوق تلك المنافع التحديات المحتملة التي قد تواجهها واشنطن في المستقبل المنظور^(٩١). فالديموقراطية والدمقرطة الأميركية تستخدم كمصلحة، وما هو عائدها الانتاجي للولايات المتحدة أولاً ومن ثم النظر إلى الناتج الاجمالي لها بنتائجها العامة، وربما تستخدم في بعض الاحيان لمحاصرة الخصوم والإطاحة بهم.

وهذا ما عبر عنه روبرت كيغان في كتابه (عودة التاريخ ونهاية الأحلام) بشكل واضح، بأن مسألة الديمقراطية استخدمت كأداة لمحاصرة الخصوم المحتملين، ولم تكن هدفاً لذاته في اجندة السياسة الخارجية الغربية، وهذا الأمر أفقد تلك السياسة صديقتها، وأضعف مشروعات الديمقراطية المحلية على قاعدة اتهامها بأنها مشروعات غربية تنطوي على أجندات لا تحتفي بالديموقراطية كثيراً^(٩٢)؛ لأن الدعوة الأميركية لدمقرطة العالم العربي بمشروع الشراكة للتنمية ونشر الديمقراطية، لا نجد لها توظيفاً إلا أنها قد حملت الكثير من الوعود والقليل من المصادقية وتضمنت عناصر نظره استعلائية على خيارات شعوب المنطقة، وتناقضت مع الممارسات الظاهرة، ففي عام ٢٠٠٢م، وضع أكثر من ٢٠٠٠ مثقف أميركي من مختلف الديانات والأجناس بمناسبة الذكرى الأولى لأحداث ١١ أيلول أعلنوا فيه عن معارضتهم لسياسة بلادهم القمعية^(٩٣). فالولايات المتحدة الأميركية تسعى بديموقراطيتها المتكررة في الشرق الأوسط إلى فرض أوضاع وحكومات صديقة وحليفة خاضعه لها وإسرائيل كلياً^(٩٤). فالنجاح الفعلي للسياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط، وفي العالم يتوقف على نجاح الولايات المتحدة في اقامة عراق مستقر ومزدهر وديموقراطي إلى حداً معقول، كما يتوقف على مصير السلام الفلسطيني - الإسرائيلي^(٩٥). وتتوقف أيضاً على إيجاد مخرج سليم للمنطقة العربية بعد الربيع العربي وتداعياته السياسية وعدم الاستقرار السياسي التي تعيشه المنطقة بعد تلك الأحداث، كسوريا واليمن وليبيا فضلاً على العراق. فالعراق كان المخطط الأول لإعادة رسم الخارطة السياسية في الشرق الأوسط، حيث لم يكن متوقعاً بالنسبة للولايات المتحدة، أن الحرب العراقية ستكون مستتقماً مكلفاً بهذا الحد^(٩٦). أما اليوم فالمنطقة العربية تعيش حالة من التحديات الأمنية

٩٠ - منيسي، احمد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

٩١ - أولبرايت، مادلين، واخرون، دعماً للديموقراطية العربية لماذا وكيف، تقرير فريق عمل مستقل برعاية مجلس العلاقات الخارجية الاميركي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٦٥.

٩٢ - الحروب، خالد، في الفكر السياسي الاميركي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

٩٣ - فرحات، محمد نور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢.

٩٤ - لبيب، فخري، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٠.

٩٥ - تلحمي، شبلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٧.

٩٦ - ميرشامر، جون جي ووالث، ستيفن، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩.

وعدم الاستقرار لاسيما بعد ظهور ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) بشكل ملفت للنظر واصبحت التحدي الأمني والسياسي الأول في المنطقة، وعلى الولايات المتحدة اثبات جديتها ومصداقيتها اتجاه الأنظمة التي انتهجت المشروع الديمقراطي أولاً ومن ثم اتجاه المنطقة ككل، إذا ما أرادت السير قدماً في المنطقة وفي مشروعها الشرق أوسطي وتقويض الإسلام الراديكالي، وهو موقف على ما يبدو ضعيفاً من جانب الولايات المتحدة لمواجهة تنظيم "داعش" والحد من قوتهم وتخفيف منابع تمويلهم. فالولايات المتحدة إذا ما أرادت لمشروعها النجاح في تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح عليها أن تثبت جديتها في تقويض ما يسمى بالدولة الإسلامية وتخفيف منابعهم الفكرية والتمويلية، واخذ موقف صارم من أولئك الذين يمولونهم من دول وشخصيات وأنظمة سياسية وإعلامية.

المطلب الثاني: القوة الناعمة ودورها في ترسيخ المشروع الديمقراطي في المنطقة.

فقدت الولايات المتحدة بشكل عام قدرتها على التأثير في الأحداث في الشرق الأوسط، ويعني ذلك ضعف قدرة أوباما على تشكيل الأحداث وممارسة نفوذها عليها^(٩٧). فبعد قرابة ثلاث عشر سنة من أحداث ١١/أيلول ومازالت الولايات المتحدة تفتقر إلى استراتيجية متكاملة ومستدامة لمجابهة التطرف الديني في العالم الإسلامي، فعدم الاستقرار في العراق وأفغانستان تثير الشكوك حول قوة الزخم الحالي للحرب على الإرهاب، بل إن فرص نجاحات الإسلاميين المتشددين في الانتخابات البرلمانية تضعف من الأمل في تشجيع الديمقراطية^(٩٨). فالتحديث والإصلاح السياسي ودمقرطة الشرق الأوسط عن طريق الإسلام السياسي أو العلماني تارة، أو عن طريق المجددين تارة أخرى لم تأتي أو كلاها على سياسة الولايات المتحدة. فمنذ أحداث ١١ أيلول طرحت كثير من المبادرات لمواجهة التحديات الناشئة في العالم الإسلامي وحظيت ثلاث مبادرات منها في عهد بوش، وهي مبادرة الحرب على الإرهاب، ومبادرة الشراكة لشرق الأوسط للنهوض بالإصلاح. أما المبادرة الثالثة والتي ستكون محور اهتمامنا هي حملة الدبلوماسية العامة لتحسين صورة الولايات المتحدة لدى العالم، هي ما تسمى بالقوة الناعمة، وعلى الرغم من أن كل هذه المبادرات يمكن أن تندرج ضمن مشروع واحد، وهو مشروع الشرق الأوسط الأميركي بمسمياته المختلفة^(٩٩).

يعرف جوزيف نأي القوة في كتابه (القوة الناعمة)، "بأنها القدرة على التأثير في الأهداف المطلوبة، وتغيير سلوك الأطراف عند الضرورة"، أما القوة الناعمة هي "القدرة في الحصول على ما تريد من خلال الإقناع وليس الاكراه" وأدواتها تتمثل في القيم السياسية والثقافية، والقدرات الإعلامية والتبادل العلمي والفكري والسياسة الخارجية القادرة على مد الجسور وإقامة الروابط والتحالفات، أما القوة الصلبة فهي تقوم على الإكراه والقسر، وأدواتها هي الامكانيات العسكرية والقدرة على فرض العقوبات الاقتصادية

٩٧ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥.

٩٨ - المغراوي، عبدالسلام، مصدر سبق ذكره، ص ٢.

٩٩ - المصدر نفسه، ص ٤.

والسياسية^(١٠٠). وقد دار حوار داخل الدوائر الرسمية الأميركية حول الاستراتيجية الواجبة والفعالة لتحقيق المصالح الأميركية في الشرق الأوسط، وهذا الحوار افرز تيارين، التيار المحافظ المتمثل في الحزب الجمهوري، ويؤمن بفلسفة القوة العسكرية والاقتصادية لتحقيق الحفاظ على تلك المصالح، والتي يطلق عليها القوة الصلبة، على الجانب الآخر برز التيار الليبرالي والمتمثل في الحزب الديمقراطي الذي يرى أن المصالح الأميركية يمكن حمايتها وتحقيقها من خلال تبني القيم الأميركية ونشرها مثل الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان والعلاقات الاقتصادية وهي ما يطلق عليها بالقوة الناعمة، لأنها أقل تكلفة وأكثر نجاحاً من القوة العسكرية^(١٠١). وهذا يتطلب تحولاً في السياسة الأميركية من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة، لأنها أقل تكلفة وأكثر نجاعة وإيجابية في النتائج. فالتحول من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة يقتضي من الرئيس أوباما الترويج للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في العالم العربي، وذلك من خلال التركيز على الحكم الصالح في المقام الأول، المفقود حالياً في معظم البلدان العربية، والنخب الآتية إلى الحكم بواسطة الانتخابات والعملية الديمقراطية هي المعول عليها في دفع عجلة التنمية إلى الأمام. وتلك العملية لا تتم في عشية وضحاها، بل تقتضي صبراً هائلاً في الوقت الذي تتم فيه^(١٠٢)، أو ما أسماه برجنسكي، الانتقال التدريجي، والترغيب بالقوة الناعمة وليس الصلبة.

يصف نأي القوة الناعمة بثلاث طرائق: أولهما يفسر القوة الناعمة بأنها الهوية الوطنية، مجمل القيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخاصة بأميركا، القوة الناعمة تمثل شخصية أميركا الجذابة وثقافتها وقيمها السياسية ومؤسستها. أما الوصف الثاني، فيصفها بأنها وسيلة غير إجبارية تجهد الدولة الأميركية، فالقوة الناعمة هي قدرة الدولة الأميركية في الحصول ما تريده من الاستمالة لا الاكراه أو دفع المال، ودعوة الناس لا إجبارهم. أما الوصف الثالث الذي قدمه نأي، للقوة الناعمة، فهو يرى انها شيء متعلق بالهيمنة الأيديولوجية الأميركية أو الهيمنة العالمية، اذ تصف القوة الناعمة المدى الذي تدرك عنده أميركا اخلاقياً ومعنوياً باعتبارها الزعيمة العالمية الشرعية من قبل الدول والمنظمات والشعوب الأخرى اللاأميركية، ومن أهم مصادرها هي القيمة الثقافية التي تجتذب بها الاخرين، والقيمة السياسية الداخلية والخارجية^(١٠٣). أما عن القوة العسكرية وتدخل الولايات المتحدة العسكرية فيعزوها روبرت كيغان بأنها لم تكن لرغبة الولايات المتحدة، وإنما لحماية النظام العالمي من التهديدات التي تستهدف أمنه واستقراره، والحفاظ على المصالح الاقتصادية وحماية المواطنين من الأخطار ومحاربة الإرهاب والديكتاتوريات ونشر الديمقراطية، فالحروب والتدخلات العسكرية للولايات المتحدة شرعية، وإنما أحد أدوات سياستها الخارجية، ويعطي شرعية للهيمنة الأميركية على العالم؛ لأن لولا التدخل الأميركي في تشكيل النظام

١٠٠ - ناي، جوزيف، القوة الناعمة وسائل النجاح في السياسة العالمية، عرض ملخص لكتاب جوزيف نأي، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، كتب استراتيجية، مصدر سبق ذكره، ٢٠١٠، ص ٣.

١٠١ - البرضان، احمد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

١٠٢ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩ - ١٦٠.

١٠٣ - ميرلز، تانر، قوة ناعمة ام اميرالية ثقافية اميركية، اعداد كولن مويرز، ضمن كتاب الاميراليون الجدد (الأيديولوجيات الامبراطورية)، ترجمة: معين الامام، ط ١، العيبكان، ٢٠٠٨، ص ٣٠٧.

الدولي لكننا بصدد نظام دولي مختلف عما عليه اليوم^(١٠٤). فانتصار المشروع الديمقراطي ودمقرطة الشرق الأوسط، وانتصار الديمقراطيات وما عداها من الأنظمة السياسية ليس لرغبة الأنظمة السياسية في تبني القيم الديمقراطية، ولكن لأن أميركا دولة ديمقراطية في حد ذاتها، وأن انتشار الديمقراطية عالمياً لم يحدث لولا أميركا، واتسع نطاق الديمقراطية باتساع رقعة الولايات المتحدة وتعزيز حرية التجارة بوجه الأنظمة الديكتاتورية والسوفيتية^(١٠٥). وعلى ما يبدو أن أفكار كيغان التي طرحها في كتاب (العالم الذي صنعته أميركا) كانت محور اهتمام أوباما والذي ابدى تأثره بتلك الأفكار حيث قال أوباما له أي شخص يقول لك " أن أميركا في الخطأ أو أن قوتها التأثيرية في تراجع فهو لا يعرف ما لذي يتحدث عنه" ويؤكد كيغان على قيادة الولايات المتحدة للنظام العالمي بشكل منفرد، بالرغم من وجود الأزمات؛ لأن العالم الذي أوجدته أميركا بعد الحرب العالمية الثانية نظام اتسم بغياب الحروب بين القوى الدولية ونمو الاقتصاد العالمي، وتضاعف عدد الديمقراطيات^(١٠٦). لذا ما تزال الولايات المتحدة مهمتها الحفاظ على هذا النظام الذي شكلته وتساهم في تشكيله إلى اليوم عبر ديمقراطيتها المتكررة في الشرق الأوسط وعملية إصلاح المجتمعات الشرق أوسطية بقوتها الصلبة تارة والناعمة تارة أخرى. وعلى ما يبدو أن كيغان يتجاهل الدعم الأميركي للديمقراطية، ارتبط بالأساس بتحقيق المصلحة الأميركية؛ لأنها تغافلت عن ديكتاتوريات أنظمة الشرق الأوسط من اجل الحفاظ على استقرار المنطقة واستمرار تدفق النفط إلى السوق الأميركية. واستعرض نأي تلك العلاقة بين الولايات المتحدة وأنظمة الشرق الأوسط الديكتاتورية وما طرء عليها من تغيرات، وعلى الرغم من تلك العلاقة، الا أن أحداث ١١/أيلول دفعت الولايات المتحدة إلى دمقرطة تلك الأنظمة بالقوة الصلبة، الا أن تجربة الحرب على العراق دفعت الإدارة الأميركية بقناعة أن التغيير الحقيقي للمنطقة يحتاج إلى القوة الناعمة إلى جانب وسائل أخرى^(١٠٧).

يعلق نأي القوة الناعمة الأميركية عبر استثمارها في وظيفتين أخلاقيتين: الأولى هي تخليص العالم من شرور شبكات الارهاب. اما الثانية فهي مساعدة الشرق الأوسط على التحديث بشكل أكثر كفاءة^(١٠٨). ذلك التحديث الذي يعد ضرورة ملحة على حد تعبير كيغان، لأن عالم ما بعد الولايات المتحدة لا يعمل ولا يساهم في نشر الديمقراطية، على الرغم من أن كيغان يفند ذلك العالم فيما بعد؛ لان القوة المرشحة لقيادة العالم بعد الولايات المتحدة (الصين وروسيا)، هي أنظمة ديكتاتورية تتوجس من الديمقراطية خوفاً على أنظمتها الديكتاتورية، مستنداً بذلك كون هذه القوى عادةً ما ترفض فرض عقوبات على أنظمة ديكتاتورية مثل سوريا وإيران وكوريا الشمالية^(١٠٩). فروسيا والصين هما القوتان اللتان

١٠٤ - عبد المعطي، عمرو، عرض لكتاب رورت كيغان العالم الذي صنعته أميركا، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣، ص ٣.

انظر الرابط: <http://goo.gl/aOxge7>

١٠٥ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

١٠٦ - المصدر نفسه، ص ٢.

١٠٧ - ناي، جوزيف، مصدر سبق ذكره، ص ٦.

١٠٨ - ميرلز، تانر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٨.

١٠٩ - عبد العاطي، عمرو، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

تنافسان الولايات المتحدة في المستقبل مثلما تنبأ بذلك برجنسكي. وعلى الرغم من تلك المنافسة والتنبؤات إلا أن البعض يرى في الصين وهي المرشح الأكثر تنافسياً من روسيا للولايات المتحدة في المستقبل، لا يمكنها أن تنافس الولايات المتحدة عالمياً، لأنها ستواجه عقبات اقتصادية وجيوستراتيجية، وهي محاطة بقوى تنافسية على المكانة الدولية فضلاً على ضعف نمو الاقتصاد الصيني، أما روسيا فعاداً ما تدخل في أزمات وآخرها مع أوكرانيا وعقوبات الاتحاد الأوروبي، كما أن انخفاض أسعار النفط الحالية والعقوبات الأوروبية أظهرت هشاشة الاقتصاد الروسي التي أدت إلى تراجع الروبل الروسي مقابل الدولار الأمريكي بشكل كبير، ومن ثم لا يمكن أن تكون قطباً منافساً للولايات المتحدة، وهذا أيضاً ما أكده عليه روبرت كيغان، الذي فد تلك التنبؤات المستقبلية، وفند أيضاً مقولات التراجع الاقتصادي الأمريكي، والقوة العسكرية ودحض مقولات التمدد المفرط التي تحدث عنها بول كندي في كتابه (صعود وسقوط القوى العظمى)^(١١). زيادة على ذلك فالولايات المتحدة تمتلك قوه تأثيرية جذابة (النموذج الأخلاقي) الذي يعد أحد المصادر الناعمة لديها.

فالنموذج الأخلاقي والقوة التأثيرية والجذابة للولايات المتحدة بقواها الناعمة تعد أكثر مقبولة وأكثر نجاعة من القوة العسكرية في ترسيخ المشروع الديمقراطي الأمريكي في المنطقة؛ لان ذلك سيبعد المنطقة عن ويلات ودمار الحروب، فالمشروع طويل الأمد لا يؤدي إلى نتائج سلبية مباشرة، على العكس من التحول الديمقراطي المفاجئ، فالتحول الديمقراطي التدريجي يتطلب ثقافة ديمقراطية وأرضيه خصبة لذلك التحول، وهذه الأرضية يمكن تهيئتها بوسائل الترغيب الناعمة وليس بالقسر والإجبار، ولعل في العراق وبعض دول الربيع العربي تجربة واضحة من التحول الديمقراطي المفاجئ، وما جلبه ذلك التحول من دمار وعدم استقرار، فجحاح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط يعتمد على فهمها الأكثر عمقاً لدور القوة الناعمة، وتطوير توازن سليم بين القوة الناعمة والقوة الصلبة، وإدارة القوتين بقدر عالٍ من الوعي بأوجه التشابه والاختلاف بينهما وطرق تأثير كل منهما على الأخرى، لينتج عن امتزاج القوتين ما يطلق عليها بالقوة الذكية، وهذا يتوقف على إدراك الإدارة الأمريكية للأخطاء الماضية ووسائل توظيف تلك القوى فيما بعد إذا ما أرادت النجاح في مشروعها الشرق أوسطي.

الخاتمة

ماتزال الولايات المتحدة الأمريكية تفتقر إلى استراتيجية واضحة ومستدامة في الشرق الأوسط والمنطقة العربية. فمنذ أحداث ١١/أيلول ٢٠٠١م، ومنطقة الشرق الأوسط تشهد أزمات كبيرة وعدم استقرار، فاستراتيجية الحرب على الإرهاب الذي أعلن عنها بوش الابن ماتزال تدور حول نفسها وكأنها أعلنت فقط لإلقاء التهم على الإسلام وأنظمة الشرق الأوسط وإسقاط نظام صدام حسين، والسعي وراء تحقيق المصالح، ولم تحد من خطر الإرهاب والعمليات الإرهابية لا في العراق ولا في منطقة الشرق الأوسط بل على العكس من ذلك حيث أصبحت اليوم المنطقة ساحه للعمليات الإرهابية ولاسيما بعد ظهور ما

يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية "داعش". كذلك الأمر بالنسبة لاستراتيجية الشراكة والمبادرة الأميركية الشرق أوسطية لتنمية البشرية لمشروع الشرق الأوسط الكبير، لتشجيع الديمقراطية والحكم الصالح وتقويض الإسلام الراديكالي، لم تأت أوكلاها للحد من الإسلاميين المتطرفين، بل على العكس من ذلك تماماً فالיום الجماعات المتشددة أصبحت أقوى من أي وقت مضى في ظل غياب استراتيجية واضحة لمجابهة تلك الجماعات والحد من خطرها وتخفيف منابع تمويلها، وربما أوباما على حق حينما قال "إن الولايات المتحدة ليس لها استراتيجية، وليس لها برنامج محدد حتى الآن للعمل وفقه" فالولايات المتحدة اليوم تخوض حرباً ثلاثية الأطراف ضد تنظيم (الدولة الإسلامية في العراق والشام) وضد نظام بشار الأسد، فضلاً على القضية النووية الإيرانية والجولات التفاوضية حول البرنامج النووي الإيراني، فالشرق الأوسط في حالة فوضى، والولايات المتحدة عالقة في الوسط بين مصالح وحلفاء، لا يمكن التخلي عنها ولا تحويل مسارها. إلا أن بالرغم من ذلك ستحاول الولايات المتحدة الحفاظ على مصالحها في المنطقة وهي قادرة على ذلك حتى في ظل التحديات الأمنية التي تواجهها. وأن أي نتيجة سياسية متركرة حول إجراء تغيير جذري في المنطقة وإنهاء حالات التفشي المشابهة لحالة "داعش" اليوم محكوم عليها بالفشل؛ لأن الشرق الأوسط بوتقة من التعقيد والاختلال والصراعات. وعلى الولايات المتحدة أن تبقى منخرطة فيه نظراً للمصالح الحيوية التي أعاد الرئيس أوباما التأكيد عليها - وهي مكافحة الإرهاب ووقف الانتشار النووي ودعم الحلفاء والشركاء وتسهيل تدفق النفط والغاز - إلا أنه ليس بإمكانها "إصلاح" المنطقة. وهناك بعض الاستنتاجات التي توصلت لها الدراسة وهي:

١. إن الولايات المتحدة ما زالت تفتقر إلى استراتيجية واضحة في تعاملها مع قضايا الشرق الأوسط، ولم تعد تمتلك ذلك الدور الريادي المؤثر في المنطقة، فهي على ما يبدو غير قادرة على فرض نمط ديمقراطي معين، فضلاً على التحدي الأمني المتمثل بتنظيم "داعش" وضعف استراتيجيتها العسكرية لمواجهة ذلك التنظيم هذا من جهة. ومن جهة أخرى، إن الولايات المتحدة ما زالت عاجزة عن حل الصراع السوري والإطاحة بالرئيس الأسد، وفشلها في إخراج سوريا من فلك إيران وروسيا. فضلاً عن أن مفاوضات واشنطن مع طهران بشأن برنامج إيران النووي لم تثمر شيئاً بالنسبة للولايات المتحدة لحد الآن على الرغم من استمرار تلك المفاوضات. وأيضاً ضعف الموقف السياسي والدعم العسكري الأميركي اتجاه العراق والتنصل عن تفعيل بنود الاتفاقية الاستراتيجية الموقعة بين البلدين، وعدم جديتها في درء خطر تنظيم "داعش" ودعمها لأطراف معينه في العراق على حساب أطراف أخرى قد يؤدي بنتائج عكسية على الولايات المتحدة.
٢. إن الديمقراطية تنمو ببطء، وليس من خلال ثورات عنيفة، وعلى واشنطن أن تتفادى الرغبة في تحقيق ديمقراطية في شرق اوسط ما يزال غير مهياً لها، فالحركات الثورية التي تطيح بأنظمة استبدادية غير كفؤة غالباً ما تجلب الى السلطة انظمة سياسية أسوء بكثير على الولايات المتحدة. لذلك يجب تجنب ذلك التحول الديمقراطي المفاجئ والتركيز على الوسائل الأخرى لأكثر مقبولية في زرع القيم الديمقراطية أو ما تسمى بالقوة الناعمة.

٣. تشخيص بعض الدراسات الأميركية تأخر العالم الإسلامي بسبب ما أعمته الإسلام السني؛ وذلك بسبب تفتيت السلطة الدينية وعجز علماء الدين في تفسير التعاليم الدينية، وعدم وجود مرجعية دينية لهم على غرار سلطة البابا الكاثوليكية أو ولأية الفقيه، وهذا التشخيص ربما يحمل موضوعية وواقعية كبيرة، لأن جل الفصائل المنضوية تحت لواء تنظيم الدولة الإسلامية هي فصائل سنية، وهذا يعد خلافاً كبيراً في المؤسسة الدينية السنية، ولهذا تحاول الولايات المتحدة اليوم كسب ثقة السنة ولم تشملهم ولا سيما سنة العراق، ولعل مؤتمر أربيل لجمع الأطراف السنية المختلفة كان خير دليل على ذلك؛ فالولايات المتحدة اليوم تدعم التقارب السني لمواجهة خطر انتشار ما يسمى بتنظيم (الدولة الإسلامية في العراق وسوريا) وخطر النفوذ الإيراني وغيرها من دول المنطقة. وربما تمهيداً ودعماً لإقامة الإقليم السني في العراق.
٤. لم تكن هناك جدية واضحة في استراتيجية الولايات المتحدة في تقويض الإسلاميين المتشددين والحد من خطر تلك التنظيمات الإرهابية، فاذا ما أرادت الولايات المتحدة أن تقوض تلك الجماعات فلا بد من تخفيف منابع تمويلها فكرياً ومادياً وفرض العقوبات الصارمة على الدول التي تدعم وتتعاون مع تنظيم "داعش" مثل تركيا وبعض الدول الخليجية، فالتنظيم اليوم يبيع النفط أمام مرأى العالم والولايات المتحدة.
٥. إن التحول الفكري في الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأميركية من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة، جاء لتصحيح الأخطاء التي ارتكبتها الإدارة الأميركية السابقة وعجزها في النجاح لكسب شعوب المنطقة.
٦. مع كل التحديات الأمنية والسياسية وعدم الاستقرار في المنطقة التي تواجه الولايات المتحدة الأميركية، إلا أنها مجبرة على الانغماس في منطقة الشرق الأوسط للحفاظ على مصالحها وحمايتها حلفائها.

المصادر

أولاً: الكتب

- ابو راشد، عبد الله احمد، العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، ط١، دار الحوار، ١٩٩٩.
- التنير، سمير، اميركا من الداخل (حروب من اجل النفط)، ط١، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠١٠.
- تلحمي، شبلي، المخاطر (اميركا في الشرق الأوسط عواقب القوة وخيار السلام)، ترجمة نائر ديب، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٥.
- جلال، شوقي، العولمة الهوية والمسار، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧.
- الرفوع، فيصل عوده، الغرب والصراع العربي الصهيوني في ظل الإسلام السياسي، مركز دراسات الشرق الأوسط، (التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط)، ط١، عمان، ٢٠٠٠.

- زكي، صلاح احمد، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي، ط١، دار العالم الثالث، القاهرة، ١٩٩٥.
- الشهري، سعد بن علي بن محمد، الجذور الاعتقادية للإرهاب في الاصولية الانجليزية، ط١، ٢٠٠٥.
- الصافي، عبد الجبار الموسوي، الإسلام السياسي بين اليمين الاميركي وباراك أوباما(الحرب اسهل من السلام) ج١، ط١، المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠٠٩.
- العزي، سويم، السلوك السياسي في المجتمع العربي، ب/ ط، دار الألفية، المغرب، ١٩٩٢.
- كوريت، مايكل وكورنية، ميشيل، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة زين نحاتي ونشأت جعفر، ج١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، لوس انجلوس، ٢٠٠٢.
- ليفين، اناتول، اميركا بين الحق والباطل(تشریح القومية الأمريكية)، ترجمة ناصر السعدون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨.
- ميرلز، تانز، قوه ناعمة اميركية ام امبريالية ثقافية اميركية، اعداد كولن مويرز، ضمن كتاب الامبريالون الجدد (الأيديولوجيات الامبراطورية)، ترجمة: معين الامام، ط١، العبيكان، ٢٠٠٨.
- ميرشايمر، جون وجي ووالث، ستفن ام، اميركا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية، ترجمة فاضل جنكر، ط١، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦.

ثانياً: الرسائل والاطاريج

- الصواف، منتصر غازي، تأثير المحافظين الجدد على السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه سوريا ما بعد احداث ١١/أيلول ٢٠٠١، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم العلوم السياسية، سوريا، ٢٠١٣.
- العفيفي، محمود حسن، مشروع الشرق الأوسط الكبير واثره على النظام الاقليمي العربي، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة الازهر، كلية الآداب والعلوم السياسية، غزة، ٢٠١٢.
- العيساوي، ميثاق مناحي، البراغمية في الفكر السياسي الاميركي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، ٢٠١١.
- المهندي، فراس، البعد الديني في السياسة الخارجية(اميركا نموذجاً)، دراسة لنيل درجة الدبلوم في الشؤون الدولية والدبلوماسية، المعهد العربي لشؤون الدولية والدبلوماسية، سوريا، ٢٠٠٩.

ثالثاً: البحوث والتقارير

- أورين، ميشيل، فطيرة التفاح والشرق الأوسط (لقد حاولت اميركا ولفتره طويله ان توجه الشرق الأوسط نحو القيم الأمريكية، لوس انجلوس تايمز، ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٧، اعداد: مركز الحرمين، <http://goo.gl/EbFMss>.
- البرصان، احمد سليم، مبادرة الشرق الأوسط الكبير الإبعاد السياسية والاستراتيجية، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، المتابع الاستراتيجي، ٢٠٠٤. <http://goo.gl/GaUrb6>

- أولبرايت، مادلين، واخرون، دعماً للديموقراطية العربية لماذا وكيف، تقرير فريق عمل مستقل برعاية مجلس العلاقات الخارجية الاميركي، القاهرة، ٢٠٠٥.
- بينارد، شيرل، الإسلام الديموقراطي المدني: الموارد، الاستراتيجيات، الشركاء، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، المتابع الاستراتيجي (٨)، مصدر سابق، ٢٠٠٥.
- ثابت، احمد، الشرق الأوسط الكبير، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سابق ٢٠٠٤.
- الحروب، خالد، في الفكر السياسي الاميركي الجديد (عودة التاريخ ورابطة الديموقراطيات)، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٥٧، ٢٠٠٨.
- حسن، اثير نجاح، الواقع الإسلامي في العراق وانعكاسات الفوضى الخلاقة، ثقافتنا، العدد السابع، مجلة فصلية ثقافية عامة تصدر عن دائرة العلاقات الثقافية، وزارة الثقافة، ٢٠٠٩.
- الداعور، سيد محمد، الشرق الأوسط الجديد مشروع اميركي يرسم خريطة جديده لمنطقة الشرق الأوسط الكبير ام الجديد، مجلة الجزيرة، ١٦ مارس ٢٠٠٤.
- رويل، مارك وجيرشن، وساتلوف، روبرت، مأزق الديمقراطية في الشرق الأوسط (الإسلاميون هم الحل)، ملخص حوار سياسي في المنتدى الخاص لمعهد واشنطن، ٢٠٠٥، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سابق.
- روس، دنس، وللقناعات اعتباراتها: السياسية الخارجية الأميركية يشكلها القادة والاحداث وليس اللوبيات، مقال ضمن مجموعة مقالات بعنوان (وجهات نظر حول النفوذ الإسرائيلي في صياغة السياسة الخارجية الأميركية، سلسلة ترجمات الزيتونة، العدد ١٨، ٢٠٠٦).
- ساتلوف، روبرت، شراكة الشرق الأوسط الكبير (عمل ما يزال بحاجة إلى كثير من التطوير، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سابق.
- الصياد، ابراهيم، ماذا وراء المشروع الاميركي الكبير، البيان الاماراتية، ٥ مارس ٢٠٠٤، اعداد مركز الحرمين، مصدر سابق.
- العالم، محمود امين، الثقافة والديموقراطية والهيمنة الأميركية، قضايا فكرية من اجل تأصيل العقلانية والديموقراطية والابداع، سلسلة كتب قضايا فكرية، قضايا فكرية لنشر والتوزيع، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥.
- علي، سليم كاطع، التواجد العسكري الأميركي في الخليج العربي (الدوافع الرئيسية)، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، العدد ٤٥٥، بغداد، ٢٠١٣.
- عبد المعطي، عمرو، عرض لكتاب رورت كيغان العالم الذي صنعته اميركا، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣، انظر الرابط: <http://goo.gl/aOxge7>
- فينيسي، احمد، الولايات المتحدة وقضية الديمقراطية في الوطن العربي، سلسلة قضايا فكرية من اجل التأصيل والعقلانية والابداع، مصدر سابق.

- فرحات، محمد نور، حقوق الانسان في عصر الهيمنة (قراءه لبعض تداعيات حقوق الانسان في الوطن العربي بعد احداث ١١ / أيلول، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سابق.
- ليبب، فخري، النظام العالمي الجديد والمبادرات الأميركية لشرق أوسطية، قضايا فكرية من اجل تأصيل العقلانية والديموقراطية والابداع، مصدر سابق.
- المغراوي، عبدالسلام، السياسة الاجنبية الأميركية والتجديد الإسلامي، موجز لتقرير معهد السلام الاميركي، تقرير خاص رقم ١٦٤، ٢٠٠٦، انظر الرابط: <http://goo.gl/y71CKU>.
- المصري، احمد، الاستراتيجية الأميركية والشرق الأوسط المنطق النظري والتطبيقات العملية، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العدد ٣، ٢٠٠٧، انظر الرابط <http://goo.gl/J8Oyuh> .:
- النجار، احمد حسين، البعد الاقتصادي لمشرق الشرق أوسطي، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره.
- ناي، جوزيف، القوة الناعمة وسائل النجاح في السياسة العالمية، عرض ملخص لكتاب جوزيف نأي، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، كتب استراتيجية، مصدر سابق، ٢٠١٠.
- نصار، بهيج، عسكرة السياسة الأميركية وقضايا الحرب والسلام تصورات للمستقبل، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سابق.
- نص المشروع الفرنسي الالماني من اجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط، صحيفة الحياة ٢٠٠٤/٣/٧، منشور ضمن سلسلة قضايا حقوق الانسان، كتاب غير دوري يعبر بالقضايا الفكرية لحقوق الانسان والديموقراطية، الاصدار التاسع، دار المستقبل العربي، مصر، ٢٠٠٤.
- نص مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي قدمته الولايات المتحدة في قمة الدول الثماني، صحيفة الحياة الدولية، ١٣ فبراير / شباط ٢٠٠٤، سلسلة حقوق الانسان، مصدر سابق.
- هاس، ريتشارد، نهاية عصر الشرق الأوسط الجديد، مجلة فورن افيرز، ١٣ تشرين الثاني ٢٠٠٦، اعداد مركز الحرمين، مصدر سابق.
- هاس، ريتشارد، الهدف هو الديمقراطية الإسلامية (تحول في الأولويات في واشنطن)، سلسلة حقوق الانسان، مصدر سابق.